

مِنْ
وَصَايَا الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

إِخْتِيَارُ وَتَعْلِيقُ
مُحَمَّدٍ النَّوَّارِ مُحَمَّدٍ الْبَلَّاجِ

الناشر
دار التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت، العهد الحسيني سنة ١٣٦١هـ

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الثانية
١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ
وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ

“صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ”



الاصحاب ..

الى حفيدتي صفاء ..
الى اخوتها : على ، وعلا ، ومروة ..
الى كل صفاء .. وكل على .. وكل علا .. وكل مروة ..
الى كل فتى وفتاة من جيل الأبناء والأحفاد ..
.. ذلك الجيل الذى نأمل على يديه الخير ..
فيعودوا الى الاسلام .. ويعيدوا له مجده وعزه ، ومثله وأخلاقه ..
الى هذا الجيل الطاهر المأمول .. فى وطننا الاسلامى العريض ..
الذى يدين بالاسلام .. ويستلهم القرآن ..
أهدى هذا الكتاب .. عله يكون علامة على الطريق .. نحو المستقبل
المشرق باذن الله ..
وعلى الله قصد السبيل ..

محمد الانور البلتاجى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله .. نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونستغفره .. ونعوذ بالله
من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا .. من يهده الله فلا مضل له ..
ومن يضل فلا هادي له ..

وأشهد أن لا اله الا الله .. وحده لا شريك له .. له الملك وله الحمد
.. يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير .. وبيده المصير ..

ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ..
ما اتخذ صاحبة ولا ولدا .. ولم يكن له شريك في الملك ، وخلق
كل شيء فقدره تقديرا ..

وأشهد أن سيدنا ومولانا .. وحبيبنا وشفيعنا محمد عبده ورسوله
.. وخيرته من خلقه .. أرسله رحمة للعالمين ..

فبلغ الرسالة .. وأدى الأمانة .. وجاهد في الله حق جهاده ..
ونصح الأمة .. وتركنا على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيغ
عنها الا هالك ..

اللهم صل على سيدنا محمد .. وعلى آل سيدنا محمد .. كما صليت
على سيدنا ابراهيم .. وعلى آل سيدنا ابراهيم .. وبارك على سيدنا
محمد .. وعلى آل سيدنا محمد .. كما باركت على سيدنا ابراهيم ..
وعلى آل سيدنا ابراهيم .. في العالمين انك حميد مجيد ..

وبعد ..

أرسل الله تعالى رسوله — صلى الله عليه وسلم — للناس كافة ..
هاديا ومبشرا ونذيرا .. وأنزل عليه القرآن وحيا من السماء ليكون
دستورا دائما ينظم الناس حياتهم .. ويأخذ بأيديهم الى طريق النجاة
.. حاملا من المثل الرفيعة ما يجعلهم يعيشون دنياهم في سعادة وهناء ..

اخوة متحابين متعاونين .. ليجنوا في أخراهم ثمرة صلاحهم وعملهم
الطيب : جنات النعيم .

ولم يجبر الله الناس على الايمان .. انما وضح لهم الطريق ..
وتركهم أحرارا وما يشاءون .. فمن شاء فليؤمن .. ومن شاء فليكفر ..
غير أن الله تعالى لم يترك الناس سدى . بل بين لهم السبيل
الى الهدى والصلاح .. وأنذرهم عاقبة البغى والعدوان ..
ثم أعلمهم بما يؤول اليه أمرهم .. فاما جنة عرضها السموات
والأرض أعدت للمؤمنين المتقين .. واما نار حامية .. وقودها الناس
والحجارة أعدت للكافرين الجاحدين ..

وأيضا نظرت في القرآن .. وجدت الجواب على ما يساورك من
تساؤل .. والعلاج الشافي لأمراض النفوس ، وعلل المجتمعات .

* * *

ومنذ وعيت القرآن الكريم .. وأنا أقف مبهورا أمام وصاياه عامة
.. ووصايا لقمان الحكيم خاصة .. فقد أجملت ما فصله القرآن
في وصاياه الخالدة ..

ففيها خلاصة الحكمة التي أوتيها لقمان والنبیین .. منذ أرسل
الله الرسل يهدون الناس ويأخذون بأيديهم الى طريق النجاة ..
وفيها المنهاج الكامل للأخلاق الفاضلة والحياة السعيدة ..
وفيها النبراس المضيء في مسيرة الحياة .. الهادي الى التقى
والصلاح ..

وأول ما تطالع في هذه الوصايا الخالدة .. تجد النهي عن الشرك
بالله .. لأن الله هو الخالق الرازق المدبر .. ومن الظلم أن يعبد
سواه ..

وتجد الأمر ببر الوالدين .. فهما السبب المباشر في ايجاد الأبناء
في هذه الحياة ..

وخص الأم بزيادة البر والاحسان .. فقد حملت ابنها جنينا
في بطنها شهورا طويلة .. وأرضعته طفلا حولين كاملين .. وتعهدته
بالرعاية والعناية والتربية .. وكل ذلك يزيدها ضعفا على ضعفها
الطبيعي .. فوجب شكرها وبرها زيادة على شكر الأب وبره ..

بل ان الله تعالى قرن شكره بشكر الوالدين .. ومن لم يشكر
والديه فما شكر الله ..

وتجد الأمر بالصلاة .. والحض على الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر .. والصبر على المكاره ..
وتجد فيها النهي عن التكبر والاختيال والغرور .. والأمر بالتواضع
والإتانة الجانب ..

والخلاصة .. تجد فيها الخير كله ..

* * *

وظل الناس بخير ما تمسكوا بتعاليم ربهم .. فلما تبدل الحال
وجرفتهم الحياة بمادياتها .. صرفوا أنظارهم عن تعاليم السماء ..
وأعرضوا عن كتاب ربهم وقصروه على طقوس تؤدي في الصلوات
وتتقدم قربانا للأموات .. فغاثوا عن طريق النجاة بعد أن فقدوا النور
الذي يهديهم ويرشدهم الى سواء السبيل ..

وأينما توجهت ببصرك اليوم .. وجدت ما يصدم مشاعرك ..
لقد أعرض الناس عن توحيد الله تعالى .. فاتخذوا من دونه
أولياء ووسطاء وشفعاء .. يتوجهون اليهم في الملل والمهمات .. ويتضرعون
اليهم في الشدائد ..

وانتشر عقوق الآباء والأمهات بين الأبناء والبنات ..
وضاعت الصلاة .. الا من حركات تؤدي دون تدبر أو ادراك ..
وكف الناس عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. ولم يصبروا
على المكاره ..

وانتشر الكبر والاختيال والغرور ..
فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ..

* * *

وما أوصل الناس الى هذا الحال .. الا اعراضهم عن كتاب ربهم
.. وانحرافهم الى التيارات المادية التي نزل الوحي من السماء
بمقاومتها والاعراض عنها ..
فما أحرانا اليوم الى العودة الى كتاب الله .. ففيه الهدى والفلاح
.. وفيه العلاج والشفاء ..
وما أجدرنا باتتباع وصايا القرآن الكريم .. حتى يعود الى
الاسلام مجده وعزه ..

وانما الأمل معقود على جيل الأبناء والأحفاد .. أن يعودوا الى
دين ربهم .. حتى يفلحوا ويسودوا .. فتدين لهم الدنيا .. ويعيشوا
حياتهم في سعادة وهناء ..

« رينا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ، رينا ولا تحمل علينا اصرا
كما حملته على الذين من قبلنا ، رينا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به ،
واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين »
والله الموفق .. وهو المستعان .

القاهرة في ٢٩ جمادى الأول ١٤٠٤ هـ
٢ مارس ١٩٨٤ م

محمد الأنور البلتاجي

وصايا حكيم :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ، ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن الله غني حميد * »

« واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ، أن الشرك لظلم عظيم * »

« ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إلى المصير * »

« وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من أناب إلى ، ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون * »

« يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله ، إن الله لطيف خبير * »

« يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ، أن ذلك من عزم الأمور * »

« ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا ، إن الله لا يحب كل مختال فخور * »

« واقصد في مشيك واغضض من صوتك ، أن أنكر الأصوات لصوت الحمير » (١) .

صدق الله العظيم

* * *

(١) لقمان : ١٢ - ١٩

* تفسير مختصر للآيات :

● « يقول الله تعالى : ولقد أعطينا لقمان الحكم والعلم والاصابة في القول .. وقلنا له : اشكر الله على ما أعطاك من النعم ، ومن يشكر فانما يبتغى الخير لنفسه .. ومن كفر النعم ولم يشكرها فان الله تعالى غير محتاج الى شكره .. فهو مستحق للحمد وان لم يحمده أحد .. »

● واذكر اذ قال لابنه وهو يعظه : يا بني .. لا تشرك بالله أحدا .. ان الشرك بالله لظلم عظيم يسوى بين المستحق وغير المستحق ..

● وأمرنا الإنسان ان يبر والديه .. ويجعل أمه أوفر نصيبا .. حملته : فيترايد ضعفها ، ويعظم شيئا فشيئا .. وفطامه في عامين .. ووصيناه أن اشكر الله ولو الديك .. اليه المرجع للحساب والجزاء ..

● وان حملك والدك — بجهد — على أن تشرك بالله مالا تعلم أنه يستحق العبادة .. فلا تطعهما في ذلك ، وصاحبهما في الدنيا بالبر والصلة والاحسان .. واتبع طريق من رجع الى بالتوحيد والاخلاص .. ثم الى مرجعكم جميعا .. فأخبركم بما كنتم تعملون من خير وشر ، لأجازيكم عليه ..

● يا بني .. ان الحسنة أو السيئة للإنسان ان تكن — مثلا — في الصغر كحبة الخردل .. فتكن في أخفى مكان ، كقلب صخرة أو في السموات أو في الأرض يظهرها الله ويحاسب عليها .. ان الله لطيف لا تخفى عليه دقائق الأشياء .. خبير يعلم حقائق الأشياء كلها ..

● يا بني .. حافظ على الصلاة .. وأمر بكل حسن ، وانه عن كل قبيح .. واحتمل ما أصابك من الشدائد .. ان ما أوصى الله به هو من الأمور التي ينبغى الحرص عليها والتمسك بها ..

● ولا تمل خدك للناس تكبرا .. ولا تمش في الأرض معجبا بنفسك .. ان الله لا يحب كل مختال يعدد مناقبه ..

● وتوسط في مشيك بين السرعة والبطء .. واخفض من صوتك .. لأن أقبح ما يستنكر من الأصوات هو صوت الحمير .. أوله زفير مما يكره .. وآخره شهيق مما يستقبح » (٢) .



(٢) انظر : المنتخب من تفسير القرآن الكريم .

الفصل الأول

الحكيم .. والحكمة

- * لقمان الحكيم ..
- * أصله وجنسه ..
- * صناعته ..
- * هل كان نبيا ??
- * نماذج من وصاياه ..
- * ما هي الحكمة ??
- * شكر الله وحمده ..

الحكيم .. والحكمة

* لقمان الحكيم :

عرف العرب بهذا الاسم — لقمان — شخصين .. أحدهما « لقمان ابن عاديا » .. وكان معمرًا من بقية عاد الأولى .. عظمت العرب قدره في النبأة والرياسة والعلم ، والفصاحة والدهاء .

ونسبوا اليه طائفة من الأمثال والأخبار والأقاصيص .. وشخصيته شبه أسطورية ..

أما الآخر .. فهو لقمان الحكيم .. الذي اشتهر بحكمه وأمثاله .. وشهد الله له بالحكمة .. فقال تعالى : « ولقد آتينا لقمان الحكمة » (١) وأطلق اسمه على سورة من القرآن الكريم .

وقد أدخل لقمان على العرب حكمة جديدة .. تداولوها فيما بعد .. وكانت حكمة شائعة بينهم ..

ذكر ابن هشام : « قدم سويد بن الصامت — أخو بني عمرو ابن عوف — مكة حاجا أو معتمرا .. فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاه الى الله عز وجل والى الاسلام ..

فقال له سويد : لعل الذي معك مثل الذي معي ؟

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وما الذي معك » ؟

فقال : مجلة لقمان — يعنى حكمة لقمان — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اعرضها على » فعرضها عليه فقال : « ان هذا الكلام حسن .. والذي معي أفضل منه : قرآن أنزله الله على .. وهو هدى ونور » ..

فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ودعاه الى الاسلام .. فلم يبعد وقال : هذا قول حسن !!

ثم انصرف وقدم المدينة على قومه .. فلم يلبث أن قتلته الخرج
.. فكان رجال من قومه يقولون : انا لنراه مات مسلما .
وكان قتله يوم بعث ^(٢) .

* * *

* أصله وجنسه :

واختلف الناس في أصل لقمان وجنسه .. وفي العهد الذي عاش
فيه وصناعته .. وفيما اذا كان نبيا .. أم كان عبدا صالحا من غير
نبوة !!

فذكر قوم أنه كان عبريا .. وذكر آخرون أنه كان نوبيا من أهل
« أيلة » .. وقال آخرون : بأنه كان حبشيا .. أو أسودا من سودان
مصر .. ولم يقل أحد بأنه كان عربيا ..

قال ابن اسحاق : « هو لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارح
— وهو آزر أبو ابراهيم عليه السلام » .

وقال وهب : « كان ابن أخت أيوب » .

وقال مقاتل : « ذكر أنه كان ابن خالة أيوب » .

وذكر الزمخشري : « هو لقمان بن باعوراء ابن أخت أيوب
أو ابن خالته » ..

وقيل : كان من أولاد آزر .. عاش ألف سنة .. وأدركه داوود
عليه السلام ، وأخذ عنه العلم .. وكان يفتى قبل مبعث داوود ..
فلما بعث قطع الفتوى فقل له في ذلك .. فقال : ألا أكتفى اذ كفيت ..
وذكر السهيلي : هو لقمان بن عنقاء بن سرون .. وكان نوبيا
من أهل أيلة ..

ونقل قتادة عن عبد الله بن الزبير قال : قلت لجابر بن عبد الله :
ما انتهى اليكم من شأن لقمان ؟ قال : كان قصيرا .. أفطس الأنف ..
من النوبة ..

(٢) أسد الغابة — لابن الاثير — ج ٢ ص ٨٩ طبع دار الشعب ..
و « بعث » : موضع بالقرب من المدينة .. سكنته قبيلة بنى قريظة اليهودية
واشتهرت بالحرب التي نشبت بين الأوس والخزرج بفعل دسائس اليهود ،
قبل الهجرة ببضع سنين .

وعن سعيد بن المسيب رضى الله عنه قال : كان لقمان من سودان مصر .. ذو مشافر .. أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة ..
وجاء رجل أسود الى سعيد بن المسيب رضى الله عنه يسأله ..
فقال له سعيد : لا نحزن من أجل أنك أسود .. فإنه كان من أخير الناس ثلاثة من السودان : بلال ، ومهجع مولى عمر بن الخطاب ، ولقمان الحكيم .. كان أسود نوبيا ذا مشافر ..

* * *

* صناعته :

واختلف الناس فى صناعته .. ف قيل كان خياطا .. وقيل كان نجارا ..
وقيل خطابا .. وقيل راعيا ..

وقيل كان قاضيا فى بنى اسرائيل ومستشارا لنبي الله داوود عليه السلام !!

وذكر سعيد بن المسيب أنه كان خياطا ..
وقال ابن عباس رضى الله عنهما : كان لقمان عبدا حبشيا نجارا ..
وعن خالد بن ربيع قال : كان لقمان عبدا حبشيا نجارا ..
فقال له مولاه يوما : اذبح لنا هذه الشاة • فذبحها • قال : أخرج أطيب مضغتين فيها • فأخرج اللسان والقلب •

ثم مكث ما شاء الله • ثم قال : اذبح لنا هذه الشاة • فذبحها •
فقال : أخرج لنا أخبث مضغتين فيها • فأخرج اللسان والقلب !!

فقال له مولاه : أمرتك أن تخرج أطيب مضغتين فيها فأخرجتهما •
وأمرتك أن تخرج أخبث مضغتين فيها فأخرجتهما !!

فقال لقمان : انه ليس من شئ أطيب منهما اذا طابا • ولا أخبث منهما اذا خبثا !!

وفى هذا المعنى • حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ألا وان فى الجسد مضغة • اذا صلحت صلح الجسد كله •
واذا فسدت فسد الجسد كله : ألا وهى القلب » •

ويقول عن اللسان : « من وقاه الله شر اثنتين ولج الجنة :
ما بين لحييه^(٣) ورجليه • » الحديث •

(٣) اللحين : هما الفكـان .

وقال مجاهد : « كان لقمان عبدا أسود .. غليظ الشفتين ..
مصفح القدمين — اى متشقهما — وخان قاضيا على بنى اسرائيل » •
وقال الواقدي : « كان قاضيا في بنى اسرائيل » •

وعن عمرو بن قيس بن : بن لقمان عبدا أسود .. غليظ الشفتين ..
مصفح القدمين .. غاتاه رجل في مجلس ناس يحدثهم فقال له :
ألست الذى كنت ترعى معى الغنم فى مكان كذا وكذا ؟ قال : نعم ..
قال : فما الذى بلغ بك ما أرى ؟ .. فقال لقمان : صدق الحديث ،
والصمت عما لا يعنينى ..

وعن جابر قال : ان الله رفع لقمان الحكيم بحكمته .. فرآه رجل
كان يعرفه قبل ذلك .. فقال له : ألست عبد بنى فلان الذى كنت ترعى
بالأمس ؟ .. قال : بلى .. قال : فما الذى بلغ بك ما أرى ؟
فقال لقمان : قدر الله .. وأداء الأمانة .. وصدق الحديث ..
وتركى ما لا يعنينى ..

وروى عبد الله بن وهب عن عمر مولى غفرة قال : وقف رجل
على لقمان الحكيم .. فقال : أنت لقمان ؟ قال : نعم .. قال : انت
عبد بنى الحساس ؟ قال : نعم .. قال : أنت راعى الغنم ؟ قال :
نعم .. قال : أنت الأسود ؟

فقال لقمان : اما سوادى فظاهر .. فما الذى يعجبك فى أمرى ؟
قال : وطء الناس بساطك .. وغشيتهم بابك .. ورضاهم بقولك !!
فقال : يا ابن أخى .. ان أصغيت الى ما أقول لك كنت كذلك ..
انما بلغ بى ما ترى : غض بصرى .. وكفى أسانى .. وعفة طعمتى ..
وحفظى فرجى .. وقولى بصدقى .. ووفائى بعهدى .. وتكرمتى
ضيفى .. وحفظى جارى .. وتركى ما لا يعنينى .. فذاك الذى صيرنى
الى ما ترى ..

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه — وذكر لقمان الحكيم — فقال :
ما أوتى عن أهل ولا مال .. ولا حسب ولا خصال .. ولكنه كان رجلا
صمامة سكيئا .. طويل التفكير .. عميق النظر .. لم ينم نهارا قط
.. ولم يره أحد قط ييزق ولا ينخع ولا يبول ولا يتغوط ولا يغتسل ..
ولا يعبث ولا يضحك .. وكان لا يعيد منطقا نطقه الا أن يقول حكمة
يستعيدها اياه أحد .. وكان قد تزوج وولد له أولاد فماتوا فلم يبك

عليهم .. وكان يغشى السلطان .. ويأتى الحكام لينظروا ويتفكر ..
فبذلك أوتى ما أوتى ..

* * *

* هل كان نبيا ؟؟

روى ابن عطية .. عن ابن عمر رضى الله عنهما .. قال : سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لم يكن لقمان نبيا .. ولكن
كان عبدا كثير التفكير حسن اليقين .. أحب الله تعالى فأحبه ، فمن
عنه بالحكمة .. وخيره في أن يجعله خليفة يحكم بالحق . فقال :
رب .. ان خيرتني قبلت العافية وتركت البلاء .. وان عزمت على
فسمعا وطاعة فانك ستعصمني » .

وزاد الثعالبي : « فقلت له الملائكة بصوت لا يراهم : لم يا لقمان ؟
قال : لأن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها .. يغشاه المظلوم من كل
مكان .. ان يعان فبالحرى أن ينجو .. وان أخطأ أخطأ طريق الجنة
.. ومن يكن في الدنيا ذليلا فذلك خير من أن يكون فيها شريفا ..
ومن يختر الدنيا على الآخرة نفته الدنيا ولا يصيب الآخرة .
فعجبت الملائكة من حسن منطقته .. فنام نومة فأعطى الحكمة ..
فانتبه يتكلم بها !!

ثم نودى داوود بعده فقبلها — يعنى الخلافة — ولم يشترط
ما اشترطه لقمان .. فهوى في الخطيئة غير مرة .. كل ذلك يعفو
الله عنه ..

وكان لقمان يؤازره بحكمته .. فقال له داوود : طوبى لك
يا لقمان .. أعطيت الحكمة وصرف عنك البلاء .. وأعطى داوود الخلافة
وابتلى بالبلاء والفتنة » ..

وروى ابن أبي حاتم عن قتادة رضى الله عنه قال : « خير الله
لقمان الحكيم بين النبوة والحكمة .. فاختر الحكمة على النبوة ..
قال : « فأثاه جبريل وهو نائم فذر عليه الحكمة — أو رش عليه
الحكمة — فأصبح ينطق بها .. ف قيل له : كيف اخترت الحكمة على
النبوة وقد خيرك ربك !؟

فقال : انه لو أرسل الى بالنبوة عزمة لرجوت فيها الفوز منه ..
ولكنك أرجو أن أقوم بها .. ولكنه خيرنى فخفت أن أضعف عن النبوة
.. فكانت الحكمة أحب الى » .

وروى أن لقمان الحكيم دخل على داوود عليه السلام .. وهو يسرد الدروع .. وقد لين له الحديد كالطين .. فأراد أن يسأله فادررته الحكمة فسكت .. فلما أتمها داوود لبسها وقال : نعم لبوس الحرب أنت .. فقال لقمان : الصمت حكمة وتقليل فاعله .. فقال له داوود : بحق ما سميت حكيما !!

وسئل يوما : أى الناس شر ؟ قال : الذى لا ييأس ان رآه الناس مسيئا ..

وفى هذا المعنى يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل أمتى معانى الا المجاهرون .. وان من المجاهرة ان يعمل الرجل بالليل عملا .. ثم يصبح وقد ستره الله فيقول . يا فلان .. عملت البارحة كذا وكذا .. وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه » (٤) .



ولقد كان لقمان راضيا بفضاء الله .. مؤمنا بأن تدبيره تعالى خير من كل تدبير .. ومن ذلك ما رواه ابن قدامة المقدسى عن سعيد بن المسيب قال : « قال لقمان لابنه : يا بنى .. لا ينزلن بك أمر رضيته أو كرهته لأجعلن فى الضمير أن ذلك خير لك .. » قال : أما هذه فلا أقدر أن أعطيها دون أن أعلم ما قلت أنه كما قلت !!

قال : يا بنى .. فان الله قد بعث نبيا .. هلم حتى نأتيه .. فعنده بيان ما قلت لك .. قال : اذهب بنا اليه ..

فخرج على حمار وابنه على حمار .. وترودا بما يصلحهما .. ثم سارا أياما وإيالي .. حتى تلتقتهما مفازة .. فأخذا أهبتهما ودخلا .. فسارا ما شاء الله أن يسيرا .. حتى تعالى النهار واشتد الحر .. ونشد الماء والزاد .. فاستبطآ حماريهما فتنزلا يمشيان .. فبينما هما كذلك .. اذ نظر لقمان أمامه فإذا هو بسواد ودخان .. فقال فى نفسه : السواد شجر والدخان عمران وناس ..

فبينما هما كذلك يشهدان .. اذ وطىء ابن لقمان على عظم على الطريق .. فدخل فى باطن قدمه حتى ظهر من أعلاها .. فخر مغشيا عليه ..

(٤) رواه البخارى عن أبى هريرة .

فحانت من لقمان التفاته .. فاذا هو بابنه صريع .. فوثب اليه
فضمه الى صدره .. واستخرج العظم بأسنانه .. وشق عمامة كانت
عليه فعصّب رجله .. ثم نظر الى وجه ابنه فذرفت عيناه .. فقطرت
قطرة من دموعه على خد الغلام فانتبه لها .. فنظر الى أبيه يبكي
فقال : يا أبت أنت تبكى ، وأنت تقول هذا خير لى .. فكيف ذلك
وأنت تبكى .. وقد نفذ الشراب والزاد .. وبقيت انا وأنت فى هذا
المكان ؟!

قال : أما بكائى يا بنى فوددت أنى افتديتك بجميع حظى من
الدنيا .. ولكنى والد وفى رقة الوالد .. وأما قولك : كيف يكون هذا
خير لى ؟ ففعل ما صرف عنك أعظم مما ابتليت به .. ولعل ما ابتليت
به أيسر مما صرف عنك ..

فبينما هو يحاوره .. اذ نظر لقمان أمامه .. فلم ير الدخان
والسواد .. فقال فى نفسه : لم أر شيئاً .. ثم قال : قد رأيت ،
ولكن لعله أن يكون قد أحدث ربى بما رأيت شيئاً !!

فبينما هو يفكر فى ذلك .. اذ نظر فاذا هو بشخص قد أقبل
على فرس أبلق .. عليه ثياب بيض .. يمسح الهواء مسحاً .. فلم
يزل يرمقه بعينه حتى كان منه قريباً .. فتوارى عنه .. ثم صاح
به فقال : أنت لقمان ؟ .. قال : نعم .. قال : ما قال لك ابنك
هذا السفية ؟

قال : يا عبد الله .. من أنت ؟ .. أسمع كلامك ولا أرى وجهك !!
قال : أنا جبريل .. لا يرانى إلا ملك مقرب أو نبي مرسل ..
ولولا ذلك لرأيتنى .. فما قال لك ابنك هذا السفية ؟
قال : أما علمت ذلك ؟

فقال جبريل : مالى بشيء من أمركما علم .. الا أن حفظتكما
أتونى وقد أمرنى ربى تعالى بخسف هذه المدينة وما فيها وما يليها ..
فأخبرونى أنكما تريدان هذه المدينة .. فدعوت ربى أن يحبسكما عنى
بما شاء .. فحبسكما عنى بما ابتلى به ابنك .. ولولا ذلك لخسف
بكما مع من خسف به ..

ثم مسح جبريل — عليه السلام — بيده على قدم الغلام فاستوى
قائماً .. ومسح يده على الذى كان فيه الطعام فامتلا طعاماً .. ومسح
على الذى كان فيه الماء فامتلا ماء .. ثم حملهما وحمازيهما فرحل

بهما كما يرحل الطير .. فاذا هما في لدار التي خرجا منها بعد أيام
وليالى .. (٥) .

* * *

* نماذج من وصاياه :

عن وهب بن منبه : قرأت في حكمة بقمان أرجح من عشرة آلاف
باب ..

وعن مالك بن أنس رضى الله عنه .. أنه بلغه أن لقمان الحكيم
أوصى ابنه فقال : يا بني .. جالس العلماء وزاحمهم بركبتك ..
فإن الله يحيى القلوب بنور الحكمة .. كما يحيى الله الأرض الميتة
بريل السماء .. (١) .

ومما يروى من وصاياه لابنه :

— « يا بني .. استغن بالكسب الحلال عن الفقر .. فإنه ما افتقر
أحد قط إلا أصابه ثلاثة خصال : رقة في دينه ، وضعف في عقله ،
وذهاب مروءته .. وأدهى من هذه الثلاثة : استخفاف الناس به » .
— « يا بني .. أنى موصيك بثمانية أمور : احفظ قلبك في الصلاة
.. واحفظ نظرك في بيوت الناس .. واحفظ لسانك في مجالس الناس
.. واحفظ بطنك من حلقومك .. واذكر اثنين وانس اثنين .. اذكر
الله وأماوت .. وانس احسانك الى الناس واساءتهم اليك » .
— « يا بني .. اتخذ تقوى الله تعالى تجارتك يأتيك الربح
من غير بضاعة » .

— « يا بني .. احضر الجنائز ، ولا تحضر العرس .. فإن
الجنائز تذكر الآخرة ، والعرس يشهيك الدنيا » .
— « يا بني .. لا تكن أعجز من هذا الديك الذى يصوت
بالأسحار .. وأنت نائم على فراشك » .
— « يا بني .. لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتى بغتة » .
— « يا بني .. لا ترغب في ود الجاهل فيرى أنك ترضى عمله » .
— « يا بني .. اتق الله ، ولا ترى الناس أنك تخشاه ليكرموك
بذلك ، وقلبك فاجر » .

(٥) مختصر منهاج القاصدين — لابن قدامة المقدسى — ص ٣٠٩
طبع دار التراث العربى سنة ١٩٨٢ .
(٦) الموطأ — للإمام مالك — ص ٦١٩ طبع دار الشعب .

— « يا بنى .. ما ندمت على الصمت قط .. فان الكلام اذا كان من فضة كان السكوت من ذهب » .

— « يا بنى .. اعتزل الشر فان الشر للشر خلق » .

— « يا بنى .. لا ترسل رسولا جاهلا .. فان لم تجد حكيما فكُن رسول نفسك » .

— « يا بنى .. لا تنكح أمة غيرك فتورث بنيك حزنا طويلا » .

— « يا بنى .. اتق المرأة السوء .. فانها تشييك قبل وقت المشيب » .

— « يا بنى .. يأتى على الناس زمان لا تقر فيه عين حليم » .

— « يا بنى .. لا يأكل طعامك الا الأتقياء .. وشاور فى أمرك العلماء » .

— « يا بنى .. لا تتعلم ما لا تعلم حتى تعمل بما تعلم » .

— « يا بنى .. اذا أردت أن تؤاخى رجلا فأغضبه قبل ذلك .. فان أنصفك عند غضبه والا فاحذره » .

— « يا بنى .. انى حملت الجندل والحديد .. فلم أحمل شيئا أثقل من جار السوء .. وذقت المرارة كلها .. فلم أذق أشد من الفقر » .

— « يا بنى .. انك منذ نزلت الى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة .. فدار أنت اليها تسير أقرب من دار أنت عنها ترحل » .

— « يا بنى .. عود لسانك أن يقول : اللهم اغفر لى .. فان لله ساعات لا ترد » .

— « يا بنى .. اياك والدين .. فانه ذل النهار وهم الليل » .

— « يا بنى .. ان الدنيا بحر عميق .. وقد غرق فيه ناس كثير .. فاجعل سفينتك فيها تقوى الله .. وحشوها الايمان به .. وشرعها التوكل على الله .. لعلك تتجو ، وما أراك ناجيا » .

— « يا بنى .. عليك بمجالس العلماء واستمع كلام الحكماء .. فان الله يحيى القلب الميت بنور الحكمة كما يحيى الأرض بوابل المطر .. واياك والكذب وسوء الخلق .. فان من كذب ذهب ماء وجهه .. ومن ساء خلقه كثر غمه .. ونقل الصخور من موضعها أيسر من افهام من لا يفهم » .

— « يا بنى .. اختبر المجالس على عينك .. فان رأيت المجلس

يذكر فيه الله عز وجل فاجلس معهم فانك ان تك عالما يزداد علمك ..
وان تك غبيا يعلمون .. وان يطع الله عز وجل عليهم برحمة تصيبك
معهم » .

— « يا بني .. لا تجلس في المجلس الذي لا يذكر فيه الله عز وجل
.. فانك ان نكن عالما لا ينفعك علمك .. وان تك غبيا يزيدك غباء ..
وان يطع الله عليهم بعد ذلك بسخط يصيبك معهم » (٧) .

* * *

وقد ذكر الامام مالك في الموطأ كثيرا من حكمه .. كما ذكرت
بعض كتب التفسير والأدب ألوانا من هذه الحكم .. ثم جمعت أمثال
قصصية بعد ذلك في كتاب اسمه « أمثال لقمان » .. غير أن ضعف
أسلوبها وكثرة أغلاطها النحوية والصرفية .. وعدم ورود كتاب بهذا
الاسم في كتب العرب القديمة .. يؤكد أنه موضوع في عصر متأخر ..

وخلاصة القول : كان لقمان الحكيم عبدا صالحا .. أسود اللون ..
آتاه الله الحكمة والولاية ، ولم يكن نبيا .. فان الرسل تبعث في أحساب
قومها .. وكان لقمان عبدا مسه الرق .. مما ينافي كونه نبيا .. انما
كان وليا زوده الله تعالى بالحكمة .. وفقهه في الدين والعقل والعمل ..
ولم يقل بنبوته سوى عكرمة .. وسند هذا القول ضعيف ..
فقد رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث وكيع عن اسرائيل عن
جابر عن عكرمة .. وجابرا هذا هو ابن يزيد الجعفي .. وهو ضعيف ..
والله أعلم (٨) .

* * *

ذكر الامام القرطبي في تفسيره :

« قال السهيلي : اسم ابنه « ثاران » في قول القرطبي والقتبي ..
وقال الكلبي : « مشكم » وقيل « أنعم » حكاه النقاش .
وذكر القشيري أن ابنه وامرأته كانا كافرين .. فما زال يعظهما
حتى أسلما » .

* * *

(٧) حق الآباء على الأبناء — للشيخ طه عبد الله العنفي .
(٨) راجع الجامع لأحكام القرآن للامام القرطبي .. وتفسير القرآن
العظيم للامام ابن كثير .

ما هي الحكمة ؟؟

عرفت القواميس « الحكمة » بأنها : العلم بحقائق الأشياء .. ومعرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم .. وضبط النفس والطبع عند الغضب .. والكلام المعبر عن الخبرة والتجربة الموافق للحق ، والذي يقل لفظه ويجل معناه .. والتفكر في الأمور .. ومعرفة علل الأشياء .. كما عرفت بأنها : الفلسفة .. والعلم .. والتفقه .. والعدل .. والحلم ..

وتجمع الحكمة على « حكم » — بكسر الحاء وفتح الكاف —
وأطلق علم الحكمة : على الكيمياء .. والطب ..
والحكيم : اسم من أسماء الله تعالى ..
وأطلق على صاحب الحكمة .. والعالم .. والفيلسوف .. والطبيب .. والمتفقه للأمور ..

ويجمع على « حكماء » .. « وحكم الرجل » — بفتح الحاء وضم الكاف — : أى صار حكيما ..
وأطلق على القرآن الكريم : الذكر الحكيم .. لأنه الحاكم للناس وعليهم .. ولأنه محكم لا اختلاف فيه ولا اضطراب ..



وقد ورد لفظ « الحكمة » في القرآن الكريم في عشرين آية ..
كما ورد اسم الله تعالى « الحكيم » في واحد وثمانين آية ..
ويقول الله تعالى : « يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ، وما يذكر الا أولوا الألباب » (١) ..
فالله سبحانه وتعالى يهب العلم والمعرفة بدينه .. والفقه فيه والاتباع له .. والتفكر في أوامره تعالى وطاعته ، والخشية منه ..
والورع عن المحارم .. والاصابة في القول والفعل : لمن يختار من عباده الصالحين .. ومن يؤته الله هذه الأمور كلها أو بعضها فقد آتاه الخير الكثير ..

(١) البقرة : ٢٦٩

وأحببنا قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » (٢) .. فالفقه في الدين والمعرفة بالقرآن : فقهه ونسخته ومحكمه ومتشابهه وغريبه ومقدمه ومؤخره .. أحد وجوه الحكمة .. بل أهمها ..

ويقول بعض الحكماء : من أعطى العلم والقرآن ينبغي أن يعرف نفسه ، ولا يتواضع لأهل الدنيا لأجل دنياهم .. فانما أعطى أفضل ما أعطى أصحاب الدنيا .. فقد سمي الله تعالى الدنيا متاعا قليلا .. وسمى العلم والقرآن خيرا كثيرا ..

وعن ثابت بن عجلان الأنصاري قال : كان يقال : ان الله لا يريد لعذاب باهل الأرض .. فاذا سمع تعليم المعلم الصبيان الحكمة صرف ذلك عنهم ..

ويعنى بالحكمة : القرآن الكريم ..

* * *

ويقول الله تعالى : « ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة » . وقبل هذه الآية مباشرة .. فصل الله تعالى المقصود بكلمة « الحكمة » الواردة فيها .. فقال عز من قائل : « لا تجعل مع الله الها آخر فتتعد مذموما مخذولا ..

« وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبوالوالدين احسانا ، اما يلغى عندك الكبر أهدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ..

« واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ..

« ربكم أعلم بما في نفوسكم ، ان تكونوا صالحين فانه كان للأوابين غفورا ..

« وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا .. « ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا ..

« واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ..

(٢) رواه البخارى .

« ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا .. »

« ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، انه كان بعباده خبيرا بصيرا .. »

« ولا تقتلوا اولادكم خشية اطلاق ، نحن نرزقهم واياكم ، ان قتلهم كان خطئا كبيرا .. »

« ولا تقربوا الزنا ، انه كان فاحشة وساء سبيلا .. »

« ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ، ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل ، انه كان منصورا .. »

« ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا بالعهد ، ان العهد كان مسئولا .. »

« وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ذلك خير وأحسن تأويلا .. »

« ولا تقف ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا .. »

« ولا تمش في الأرض مرحا ، انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا .. »

« كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها » (٣) .

ثم يقول تعالى عقب ذلك : « ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ، ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا » (٤) .

فبدأها بقوله تعالى : « لا تجعل مع الله الها آخر » وختمها بقوله :

« ولا تجعل مع الله الها آخر » .. ليلفت النظر الى أهمية التوحيد ..

فان جميع الفضائل التي حثت عليها هذه الآيات بدونها لا قيمة لها ..

فاننظر معا الى هذه الوصايا التي بدأت بالتوحيد وختمت به ..

● أمر تعالى بافراده وحده بالعبادة .. ونهى عن اتخاذ الشركاء

والأنداد والوسطاء .. وذم المشركين وتوعدهم بالخذلان والضياع ..

فتوحيده تعالى من الحكمة .. بل هو أساس الحكمة ..

● وأمر ببر الوالدين .. ونهى عن ايذائهما والتأفف منهما

وزجرهما .. كما حض على تكريمهما .. والانة الجانب والتواضع لهما

(٤) الاسراء : ٣٩

(٣) الاسراء : ٢٢ — ٣٨

•• وازجاء القول الجميل لهما •• والشفقة عليهما في حياتهما •• وطلب
الرحمة والمغفرة لهما بعد مماتهما •• فبر الوالدين من الحكمة ••

● وأعلم الناس بأن الله تعالى يعلم ما في ضمائرهم • وأنه
يحاسبهم على ما أسروه في أنفسهم بالثواب والعقاب •• في حين أنه
يغفر لهم اذا حدثت هفوة منهم •• ثم عادوا اليه مستغفرين عازمين
على الصلاح فاعطين له •• لأنه دائم المغفرة للعائدين اليه •• فاليقين
بذلك من الحكمة ••

● وحض على البر وصلة الرحم •• واعطاء ذوى القربى
والمساكين المحتاجين وأبناء السبيل من المسافرين المنقطعين عن أموالهم
حقوغيهم من الزكاة والصدقة •• كما نهى عن بعثرة المال في غير مصلحة •
فصلة الرحم وبر المساكين وأبناء السبيل والقصد في الانفاق من
الحكمة ••

● ووصف المبذرين بانهم قرناء للشياطين •• حيث يقبلون
وسوسنهم فيفسخرونهم للفساد والانفاق في الباطل •• ولما كان دآب
الشيطان الكفر بنعمه ربه • فان من يتخذه صاحباً وقريناً يكون شيطاناً
منه •• وعلى هذا فاجتناب التبذير من الحكمة ••

● أما أولئك الذين أرغمتهم أحوالهم المالية على الاعراض عن
صلة اولئك المذكورين لأبعدام ما يعطونه اياهم في الحال •• مع رجائهم
أن يسح الله عيهم فقد أمرهم الله تعالى بأن يقولوا لهم القول الحسن
الذى يؤملهم فيه ولا يردوهم رداً خشناً •• أو يمنون عليهم بالعطاء ••
وهذا من الحكمة ••

● ونهى عن مساك اليد عن الأنفاق في الخير •• وجعلها كأنها
مربوطه الى العنق بغل من حديد لا يقدر صاحبها على مداها ••
كما نهى عن بسطها كل البسط بالاسراف في الانفاق •• وأنذر
من يفعل ذلك بأنه سيصير مذموماً على امساكه •• نادماً — أو منقطعاً
لا شيء عنده — بسبب تبذيره واسرافه •• والتزام ذلك من الحكمة ••

● وأخبر أنه تعالى يوسع الرزق لمن يشاء من عباده ، ويضيقه
على من يشاء منهم •• لأنه تعالى الخبير بطبائعهم البصير بحوائجهم ••
فهو يعطى كلا منهم ما يتفق مع الحكمة ان اتخذ الأسباب •• والايمان
بهذا واعتقاده من الحكمة ••

● ونهى عن قتل الأولاد خوف الفقر المتوقع •• لأن أمر الأرزاق

بيد الله تعالى .. وهو وحده الضامن لرزقهم ورزق آبائهم .. وأخبر
أن قتلهم من أعظم الآثام .. وهذا من الحكمة ..

● ونهى عن الاقتراب من الزنا بمباشرة أسبابه ودواعيه ..
لأنه رذيلة واضحة القبح ، وبئس الطريق طريقه .. وهذا من الحكمة ..

● ونهى عن قتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق .. وذلك
بأن تكون النفس مستحقة للقتل قصاصا أو عقوبة .. أما من قتل
مظلوما .. فقد جعل الله لأقرب قرابته سلطانا على القاتل بطلب القصاص
من الحاكم .. فلا يجاوز الحد فى القتل بأن يقتل غير القاتل .. أو يقتل
الاثنين بالواحد .. فقد نصره الله وأوجب له القصاص أو الدية ،
فلا يصح أن يتجاوز الحد .. وهذا من الحكمة ..

● ونهى عن التصرف فى مال اليتيم إلا بالطريقة التى هى أحسن
الطرق لتنميته وتثمينه .. وطلب الاستمرار على ذلك حتى يبلغ اليتيم
رشد .. فإذا بلغ الرشد أعطى له ماله ..

كما أمر تعالى بالمحافظة على كل عهد التزمه الانسان على نفسه ..
لأن الله سوف يسأل ناقض العهد عن نقضه ويحاسبه عليه .. والتزام
ذلك من الحكمة ..

● وأمر بإيفاء الكيل حقه .. والوزن بالميزان العدل .. فإن إيفاء
الكيل والوزن خير للناس فى الدنيا ، لأنه يرغب الناس فى التعامل
معهم .. وأجمل عاقبة لهم فى الآخرة .. والحرص على ذلك من الحكمة ..
● ونهى عن تتبع المرء ما لا علم له به من قول أو فعل .. فلا يقل :
سمعت وهو لم يسمع .. أو علمت وهو لم يعلم .. فإن نعم السمع
والبصر والقلب يسئل صاحبها عما يفعل بكل منها يوم القيامة ..
ومعرفة ذلك من الحكمة ..

● ونهى عن المشى فى الأرض بالكبر والاختيال .. فمهما فعل
الانسان فإنه لن يخرق الأرض بشدة وطأته .. ولن يبلغ — مهما
تداول — أن يحاذى الجبال بطوله .. ومعرفة ذلك من الحكمة ..

● وأخبر تعالى أن القبائح التى ذكرت فى هذه الوصايا من الأمور
المنهى عنها ، المكروهة المبعوضة عنده تعالى .. وفاعلها محروم من
رضا الله ورحمته .. والايمان بذلك من الحكمة ..

● ثم أخبر رسوله — صلى الله عليه وسلم — بأن هذه الوصايا
والحكم مما أوحاه الله اليه من معرفة الحق بذاته ، والخير للعمل به ..

ونهى الناس أن يجعلوا مع الله الها غيره .. وتوعد من يفعل ذلك منهم بالالقاء فى جهنم ملومين عند أنفسهم وعند غيرهم .. وأن مصيرهم الهلاك والطرده من رحمة الله ..

فانت ترى أن كل هذه الفضائل التى أمر الله بها .. والنواهى التى نهى عنها .. قد جاءت فى القرآن الكريم — على هذا النسق الرائع — تفصيلا لكلمة « الحكمة » التى نزل بها الوحي من الله تعالى .. وجاءت بها الكتب السماوية كلها ..

* * *

● وقد سمي الله تعالى النبوة « حكمة » .. ووصف أنبياءه الكرام بالحكمة ..

كما استجاب لدعوة ابراهيم عليه السلام حين دعاه قائلا :
« رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين » (٥) .

فقال تعالى . « ووهبنا له اسحاق ويعقوب ، حمدا هدينا ، ونوحا هدينا من قبل ، ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون ، وكذلك نجزي المحسنين . وزكريا ويحيى وعيسى والياس ، كل من الصالحين . واسماعيل واليسع ويونس ولوطا ، وكلنا فضلنا على العالمين . ومن آياتهم وذرياتهم واخوانهم ، واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم . ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ، ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون . أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ، فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين » (٦) .

وقال جل وعلا : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما » (٧) .
كما استجاب لدعوته وابنه اسماعيل عليهما السلام عندما قالا :
« ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم » (٨) .

فكان محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم هو هذه الدعوة التى توجه بها الانبياء الكريمان .. فيقول تعالى : « هو الذى بعث فى الأميين

(٦) الانعام : ٨٤ — ٨٩

(٨) البقرة : ١٢٩

(٥) الشعراء : ٨٣

(٧) النساء : ٥٤

رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين» (٩) .

وامتن الله تعالى على المؤمنين برحمته وفضله فقال : « لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » (١٠) .

وقال تعالى : « كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » (١١) . ويقول جل شأنه : « واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه » (١٢) ويقول تعالى لنبيه وحبيبه محمدا صلى الله عليه وسلم : « وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما » (١٣) .



● واختص الله تعالى بعض الأنبياء بذكر الحكمة التي آتاها إياهم .. فقال عن لوط عليه السلام : « ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث » (١٤) .

● ولوط عليه السلام .. هو لوط بن هاران بن آذر .. وكان قد آمن بإبراهيم عليه السلام واتبعه وهاجر معه .. كما قال تعالى : « فأمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي » (١٥) .. فأثاه الله حكما وعلما .. وأوحى اليه وجعله نبيا .. وبعثه الى سدوم وأعمالها فخالفوه وكذبوه .. فأهلكهم الله ودمر عليهم .. وأنجاه ومن آمن معه ..

● وقال تعالى عن يوسف عليه السلام : « ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما ، وكذلك نجزي المحسنين » (١٦) .

ولقد كان من الحكمة التي أوتيتها يوسف عليه السلام القدرة على تأويل الأحلام .. ففسر وهو في سجن العزيز رؤيا الملك .. في حين عجز الكهنة والعلماء والمفسرون عن تفسيرها ..

(٩) الجمعة : ٢

(١٠) آل عمران : ١٦٤

(١١) البقرة : ١٥١

(١٢) آل عمران : ٨١

(١٣) النساء : ١١٣

(١٤) الأنبياء : ٧٤

(١٥) يوسف : ٢٢

(١٦) الأنبياء : ١٢٤

(١٧) يوسف : ٢١

(١٨) يوسف : ٢٠

(١٩) يوسف : ١٩

(٢٠) يوسف : ١٨

(٢١) يوسف : ١٧

(٢٢) يوسف : ١٦

اذ قال الملك : « انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف
وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات ، يا أيها المלאأفتونى فى رؤياى
ان كنتم للرؤيا تعبرون » (١٧) .

وهالته الرؤيا .. وتعجب من أمرها .. وحار فى تفسيرها ..
مجمع الكهنة والحكماء .. وكبار رجال الدولة والأمراء .. وقص عليهم
رؤيه . وسأهم تأويلا لها .. فلم يعرفوا لها تأويلا .. بل قالوا :
« اضغات أحلام ، وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين » (١٨) .

ولكن يوسف عيه السلام .. بما آتاه الله من الحكمة .. استطاع
تأويل الرؤيا عندما عرضت عليه فى سجنه .. فقال : « تزرعون سبع
سنين دابا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون . ثم يأتى
من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون .
ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يفاث الناس وفيه يعصرون » (١٦) .

فأخبرهم — عليه السلام — بأنه يأتهم الخصب والمطر سبع
سنين متواليات .. ففسر البقر بالسنين لأنها تثير الأرض التى تستغل
منها الثمرات والزروع ، وهن السنبلات الخضر .

ولم يكتف بالتأويل .. بل دفعته الحكمة الى تقديم النصيح
وارشادهم الى ما يعتدونه فى تلك السنين فقال : مهما استغلتم فى هذه
السبع السنين الخصب .. فادخروه فى سنبله ليكون أبقى له وأبعد
عن اسراع الفساد اليه .. الا المقدار الذى تأكلونه منه .. وليكن قليلا
قليلا .. ولا تسرفوا فى السبع الشداد .. وهن السنين المحل التى
تعقب هذه السبع المتواليات .. وهن — فى الرؤيا — البقرات العجاف
اللاتى تأكل السمان .. فان سنى الجذب يؤكل فيها ما جمعوه فى
سنى الخصب .. وهن السنبلات اليابسات ..

وأخبرهم أنهم لا ينبتن شيئا .. وما بذروه فلا يرجعون منه الى
شئ ..

ثم بشرهم بعد الجذب العام المتوالى .. بأنه سيعقبهم بعد ذلك
عام فيه يفاث الناس — أى يأتهم الغيث وهو المطر — وتغل البلاد ..

(١٨) يوسف : ٤٤

(١٧) يوسف : ٣٣

(١٩) يوسف : ٤٧ — ٤٩

ويعصر الناس ما كانوا يعصرون على عادتهم من زيت وسكر ونحوه ..
حتى قال بعض المفسرين : ويدخل فيه حلب اللبن أيضا (٢٠) .

* * *

● وقال تعالى عن موسى عليه السلام : « ولما بلغ أشده
واستوى آتيناها حكما وعلما ، وكذلك نجزي المحسنين » (٢١) .
كما قال موسى — عليه السلام — عن نفسه لفرعون مصر :
« ففررت منكم لما خفتكم فوهد لى ربي حكما وجعلنى من
المرسلين » (٢٢) .. أى النبوة ..

* * *

● وقال تعالى عن داود عليه السلام : « وآتاه الله الملك والحكمة
وظلمه مما يشاء » (٢٣) .
كما قال تعالى : « وشددنا ملكه وآتيناها الحكمة وفصل
الخطاب » (٢٤) .

عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : « وشددنا ملكه » ..
.. أن نفرين من بنى اسرائيل استعدى أحدهما على الآخر الى داود
عليه السلام أنه اغتصبه بقرا .. فأنكر الآخر ولم يكن للمدعى بينة ..
فأرجأ أمرهما .. فلما كان الليل ، أمر داود عليه السلام فى المنام
بقتل المدعى !!

فلما كان النهار طلبهما وأمر بقتل المدعى .. فقال : يا نبى الله ..
علام تقتلنى وقد اغتصبنى هذا بقري ؟!
فقال عليه السلام : ان الله تعالى أمرنى بقتلك .. فأنا قاتلك
لا محالة .

فقال الرجل : والله يا نبى الله .. ان الله لم يأمر بك بقتلى لأجل
هذا الذى ادعيت عليه .. وانى لصادق فيما ادعيت .. ولكنى كنت
قد اغتلت أباه وقتلته .. ولم يشعر بذلك أحد !!
فأمر به داود عليه السلام فقتل .. قال ابن عباس رضى الله عنهما :

(٢٠) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٤٨٠ طبع دار التراث
المري .

(٢٢) الشعراء : ٢١

(٢١) القصص : ١٤

(٢٤) سورة ص : ٢٠

(٢٣) البقرة : ٢٥١

فأشندت هيئته في بني إسرائيل .. وهذا الذي يقول الله عز وجل :
« **وشددنا ملكه** » •

وفسر مجاهد حكمة داوود عليه السلام بالفهم والعقل .. وقال
مرة : الحكمة والعدل .. وقال أخرى : الصواب ..
وقال قتادة : كتاب الله واتباع ما فيه ..
وقال السدي : انبوة ، وقوه : « جل جلاله » •
وعن أبي موسى رضى الله عنه قال : أول من قال : « أما بعد .. »
داوود عليه السلام .. وهو فصل الخطاب (٢٥) •

وقال شريح والشعبي وقتادة وأبو عبد الرحمن السلمي وغيرهم :
فصل الخطاب الشهود والأيمان يعنون بذلك « البينة على المدعى واليمين
على من أنكر » ..

وقال مجاهد والسدي : هو اصابة القضاء وفهمه .. وقال مجاهد :
هو الفصل في الكلام وفي الحكم .. واختاره ابن جرير •
وهذا لا ينافي ما روى عن أبي موسى أنه قول : أما بعد ..

* * *

● وقال تعالى عن سليمان بن داوود عليهما السلام :
« **ففهمناهما سليمان ، وكلا آتينا حكما وعلمًا** » (٢٦) •

حكى أن غنما لأحد الرعاة دخلت ليلا كرما قد تدلت عناقيده
فأفسدته .. ولم تدع فيه ورقة ولا عنقودا من غنم الا أكلته ..
فأتى أصحاب الكرم داوود عليه السلام ف قضى لهم بالغنم ..
فقال سليمان عليه السلام : أغير هذا يا نبي الله ؟ .. قال :
وماذا ؟

قال : تدفع الكرم الى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود
كما كان .. وتدفع الغنم الى صاحب الكرم فيصيب منها .. حتى اذا
كان الكرم كما كان دفعت الكرم الى صاحبه ودفعت الغنم الى صاحبها •
وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قضى داوود — عليه السلام —
بالغنم لأصحاب الحرث .. فخرج الرعاء معهم الكلاب .. فقال لهم
سليمان عليه السلام : كيف قضى بينكم ؟ فأخبروه .. فقال : لو وليت

(٢٥) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٠

(٢٦) الانبياء : ٧٩

أمركم لقضيت بغير هذا !! فأخبر بذلك داوود عليه السلام فدعاه فقال : كيف تقضى بينهم ؟

قال : أدفع الغنم الى صاحب الحرث فيكون له أولادها وألبانها وسلاؤها ومنافعها .. ويبيذر أصحاب الغنم لأهل الحرث مثل حرثهم .. فاذا بلغ الحرث الذي كان عليه أخذه أصحاب الحرث ، وردوا الغنم الى أصحابها .. وذلك قوله تعالى : « ففهمناها سليمان » (١٧) .

ولهذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران .. واذا اجتهد وأخطأ فله أجر » .. لأن الله تعالى أثنى على سليمان ولم يذم داوود — عليهما السلام — بل شهد له بالحكمة والعلم .. فقال عز من قائل : « وكلا آتينا حكما وعلما » .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن امرأة حسناء فى زمان بنى اسرائيل راودها عن نفسها أربعة من رؤسائهم .. فامتنعت على كل منهم .. فاتفقوا فيما بينهم عليها .. فشهدوا عليها عند داوود عليه السلام بأنها مكنت من نفسها كلبا لها قد عودته ذلك منها .. فأمر بوجعها !!

فلما كان عشية ذلك اليوم .. جلس سليمان عليه السلام — وكان صبيا — واجتمع معه صبية مثله .. فانتصب حاكما ، وتريا أربعة منهم بزى أولئك الأربعة ، وتريا آخر بزى المرأة .. ثم شهدوا عليها بأنها مكنت من نفسها كلبا ..

فقال سليمان عليه السلام : فرقوا بينهم .. ثم سأل أولهم : ما كان لون الكلب ؟ فقال : أسود .. فعزله ، واستدعى الآخر فسأله عن لونه فقال : أحمر ، وقال الآخر : أغبش .. وقال الرابع : أبيض .. فأمر عند ذلك بقتلهم !!

فحكى ذلك لداوود عليه السلام .. فاستدعى من فوره بأولئك الأربعة فسألهم متفرقين عن لون ذلك الكلب .. فاختلوا عليه .. فأمر بقتلهم (٢٨) .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينما امرأتان معهما ابنان لهما .. اذ جاء الذئب فأخذ أحد الابنين .. فتحاكما الى داوود — عليه السلام — فقضى به للكبرى فخرجتا .. فدعاهما سليمان

(٢٧) نفس المرجع ج ٣ ص ١٨٦

(٢٨) نفس المرجع ج ٣ ص ١٨٧

— عليه السلام — فقال : هاتوا السكين أشقه بينكما .. فقالت الصغرى :
يرحمك الله .. هو ابنها ، لا تشقه . فعضى به للصغرى « (١٧) » .

* * *

● ويقول تعالى عن يحيى عليه السلام : « يا يحيى خذ الكتاب بقوة ، وآتيناه الحكم صبيا » (٢٠) .

أمره الله تعالى بأخذ الكتاب بجد وحرص واجتهاد .. وآتاه الفهم والعلم والجد والعزم والاقبال على الخير والاكباب عليه .. والاجتهاد فيه وهو صغير حدث !!

قال عبد الله بن المبارك : قال معمر : قال الصبيان يوما ليحيى ابن زكريا : اذهب بنا نلعب . فقال : ما للعب خلقنا !!

قال : فلهذا أنزل الله تعالى : « وآتيناه الحكم صبيا » .

* * *

ولا تظهر الحكمة طفرة واحدة .. وانما تبدو مخايلها في مرحلة مبكرة من العمر .. فتكون ارهاصا مبكرا بأن صاحبها قد أوتيها .. وأن له ثأنا في الحياة ..

وقد رأينا كيف بدت تباشير الحكمة على سليمان عليه السلام في صباه .

ومن قبله بدت تباشير الحكمة على أبى الأنبياء ابراهيم عليه السلام .

فمن مخايل هذه الحكمة المبكرة التى بدت عليه — صلى الله عليه وسلم — ما فعله عندما حطم الأصنام وترك كبيرها ليرجعوا اليه .. وحتى يقيم الحجة عليهم بلسانهم ..

لقد حطم ابراهيم عليه السلام الأصنام .. وترك كبيرها سليما .. بل وعلق الفأس في رقبتة .. وعاد القوم من عيدهم .. فلم يجدوا سوى الحطام بينما وجدوا الصنم الأكبر سليما والفأس في رقبتة .. فحاروا في أمرهم .. ويقص علينا القرآن الكريم هذا الموقف .. يقول الله تعالى :

« ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكن به عالما .. »

« اذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون .. »

« قالوا وجدنا آبائنا لها عابدين ..
 « قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين ..
 « قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين ..
 « قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن وأنا على
 فلكم من الشاهدين ..

« ونأله لاخيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ..
 « فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون ..
 « قالوا من فعل هذا بالهتنا انه من الظالمين ..
 « قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ..
 « قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون ..
 « قالوا أنت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم ..
 « قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم أن كانوا ينطقون ..
 « فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون ..
 « ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ..
 « قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم ..
 « أف لكم ولما تعبدون من دون الله ، أفلا تعقلون » (٣١) .

فأقام — عليه السلام — بحكمته الحجة عليهم .. وجعلهم يشهدون
 على أنفسهم بأنهم هم الظالمون ..

* * *

● ولقد أوتى نبينا صلى الله عليه وسلم الحكمة صغيرا .. فقد
 اصطفاه الله تعالى واصطنعه لنفسه .. وأعدده للرسالة الخاتمة ..
 وزوده بالحكمة منذ طفولته وصباه .

● وتتجلى حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم — المبكرة — في
 حادثة إعادة بناء الكعبة حين تهدمت .. وأراد قومه إعادتها على ما كانت
 عليه .. وتنازعت القبائل في شرف وضع الحجر الأسود مكانه ..
 وكادت الدماء تسيل بينهم أنهارا .. فقد أعدوا عدة الحزب ..
 بل وغمسوا أيديهم في جفنة الدماء استعدادا للقتال .. لولا أن تداركتهم
 حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم ..

يقول ابن هشام : « .. قال ابن اسحاق : ثم ان القبائل من قريش

جمعت الحجارة لبنائها .. كل قبيلة تجمع على حدة .. ثم بنوس ..
حتى بلغ البنيان موضع الركن ، فاختصموا فيه .. كل قبيلة تريد
أن ترفعه الى موضعه دون الأخرى .. حتى تحاوزوا وتحالفوا ..
وأعدوا للقتال .. فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما .. ثم
تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤى على الموت .. وأدخلوا أيديهم
في ذلك الدم في تلك الجفنة — فسموا لذلك لعقة الدم — فمكثت قريش
على ذلك أربع ليال أو خمسا .. ثم انهم اجتمعوا في المسجد ، وتشاوروا
وتناصفوا ..

فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر
ابن مخزوم — وكان عامئذ أسن قريش كلها — فقال : يا معشر قريش ..
اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد
يقضى بينكم فيه .. ففعلوا ..

فكان أول داخل عيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه
قالوا : هذا الأمين .. رضينا .. هذا محمد . فلما انتهى اليهم وأخبروه
الخبر .. قال صلى الله عليه وسلم : « هلم الى ثوبا » .. فأتى به ..
فأخذ الركن فوضعه فيه بيده .. ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية
من الثوب . ثم ارفعوه جميعا » .. ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه ..
وضعه هو بيده .. ثم بنى عليه » (٣٢) .

لله درك يا سيدى يا رسول الله .. وما أروع الحكمة التى وهبك
الله قبل مبعثك .. لقد حققت ببساطة دماء كانت ستسيل .. وأطفأت
نار حرب لم يكن يعلم مدى استمرارها الا الله تعالى .. ولكنها الحكمة
التى وهبه الله اياها ..

* * *

● وفى حادثة الهجرة — تتجلى حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم ..
ليس فى موقف واحد منها .. ولكن فى مواقف متعددة ..
ينطق كل موقف منها بحكمة بالغة ..

لقد ائتمر المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم .. وأجمعوا
أمرهم على قتله فى داره .. وحددوا مياعدا للتنفيذ .. فأتى جبريل ،

(٣٢) السيرة النبوية — لابن هشام ج ١ ص ١٢٠ — طبع دار التراث .

المرسى .

— عليه السلام — رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : لا تبت هذه الليلة على فر شك الذى كنت تبئت عليه ..

لقد جاء الأمر بالهجرة اذن .. وسيتكفل الله تعالى بسلامته ..
فلما كانت عتمة من الليل .. اجتمع المتآمرون على بابه — صلى الله عليه وسلم — يرصدون نومه حتى يثبوا عليه !!

ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم مكانهم .. فقال لعلى ابن أبى طالب — كرم الله وجهه — : « نم على فراشى .. وتسج ببردى هذا الحضرى الأخضر ، فثم فيه .. فانه لن يخلص اليك شيء فكرهه منهم » .. وكان صلى الله عليه وسلم ينام فى برده هذا اذا نام ..

ان نجاح رحلة الهجرة من مكة الى المدينة يتطلب ثلاثة أمور :
الخروج من الدار المحاصرة — والاختباء فى مكان آمن حتى يهدأ الطلب — وسلوك طريق مأمونة .

وتكفل الله تعالى باخراج نبيه من الدار .. فأغشى أبصار المتآمرين وألقى عليهم النعاس فلم يشعروا بخروجه صلى الله عليه وسلم ومروره بهم .. بل وهو يضع حفنة من تراب على رأس كل منهم .

فلما جاوزهم .. أفاقوا وجعلوا يتطلعون الى داخل الدار .. فيرون عليا على فراش الرسول متسجيا ببرده .. فيقولون : والله ان هذا لمحمد نائم عليه برده .. وظلوا على حالهم حتى أصبحوا فقام على كرم الله وجهه ..

وفى تلك الأثناء .. كان الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه قد وصلا الى انغار الذى اختاره — صلى الله عليه وسلم — بجبل ثور بأسفل مكة ..

لقد كان الموقف يتطلب استبقاء المتآمرين حول الدار المحاصرة حتى يبنخ الرسول مأمنه .. فكان استخلافه عليا فى فراشه من حكمته صلى الله عليه وسلم ..

وجد المشركون فى طلب الرسول صلى الله عليه وسلم .. حتى وصلوا الى الغار حيث انقطعت عنده آثار الأقدام .. ولكن الله تعالى تكفل بحمايته منهم وصددهم عنه .. فاذا بمدخل الغار وقد سد بخيوط عنكبوت نسجتها حتى أغلقته .. واذا بحمامة ترقد عند مدخله محتضنة بيضا !!

حماء تعالى بأبسط الأشياء واهونها .. خيط عنكبوت .. وحمامة
في عشا !! اين هذه الأسلحة من أسحة المطاردين وعقادهم ! جلت
قدرة الله ..

وينطلق أحد المشركين قائلاً : ن هذا العنكبوت على فم الغار
قبل أن يولد محمد .. فعادوا يلتمسون أقرب الطرق المؤدية الى
المدينة ..

لقد كان انتظاره — صلى الله عليه وسلم — وصاحبه في الغار
ثلاثة أيام .. يروح عليهما خلالها عامر بن فهيرة بالغنم والحلاب ..
ويأتيهما عبد الله بن أبي بكر بأخبار القوم .. وتحمل أسماء رضى الله
عنها ايهما الطعام والشراب .. كان هذا الانتظار في الغار المأمون
من حكمته صلى الله عليه وسلم .. فقد سبقهما المطاردون في طريق
المدينة بثلاثة أيام ..

ثم كان استصحابه — صلى الله عليه وسلم — عبد الله بن أريقط
العليم بمسالك الصحراء ودروبها دليلاً .. واجتياز طريق الساحل الجليل
للوصول الى المدينة .. بينما المطاردون يلتمسون أقربها .. فكان هذا
الأمر على جانب كبير من الحكمة ..

* * *

● ومن حكمته صلى الله عليه وسلم استخلافه — وهو في مرضه
الأخير — أبا بكر الصديق رضى الله عنه للصلاة بالناس ..
روى ابن هشام : عن حمزة بن عبد الله بن عمر أن عائشة
رضى الله عنها قالت : لما استعز برسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« مروا أبا بكر فليصل بالناس » .. قالت قلت : يا نبي الله .. ان أبا بكر
رجل رقيق ضعيف الصوت .. كثير البكاء اذا قرأ القرآن ..
قال : « مروه فليصل بالناس » .. قالت : فعدت بمثل قولى ..
فقال صلى الله عليه وسلم : « انكن صواحب يوسف .. مروه
فليصل بالناس » ..

قالت : فوالله .. ما أقول ذلك الا أنى كنت أحب أن يصرف ذلك
عن أبى بكر .. وعرفت أن الناس لا يحبون رجلاً قام مقامه أبداً ..
وأن الناس سيتشاءمون به في كل حدث كان .. فكنت أحب أن يصرف
ذلك عن أبى بكر (٣٣) .

بل ان الرسول صلى الله عليه وسلم أصر على هذا الأمر وألح فيه
الحاحا شديدا .. فعن عبد الله بن زمعة رضى الله عنه قال : لما استعز
برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فى نفر من المسلمين • قال :
دعاه بلال الى الصلاة • فقال : « مروا من يصلى بالناس » •
قال : فخرجت فاذا عمر — رضى الله عنه — فى الناس • وكان أبو بكر
— رضى الله عنه — غائبا • فقلت : قم يا عمر فصل بالناس •
قال : فقام • فلما كبر ، سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته
— وكان عمر رجلا مجهرا — قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« فأين أبو بكر ؟ • يابى الله ذلك والمسلمون • يابى الله ذلك
والمسلمون » •

قال : فبعث الى أبى بكر • فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة
• فصلى بالناس •

ويقول عبد الله بن زمعة : قال لى عمر : ويحك • ماذا صنعت بى
يا ابن زمعة ؟ • والله ما ظننت حين أمرتنى الا أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أمرك بذلك • ولولا ذلك ما صليت بالناس • قال قلت :
والله ما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك • ولكنى حين
لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس^(٣٤) •

وعن أبى بكر بن عبد الله بن أبى مليكة قال : لما كان يوم الاثنين
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصبا رأسه الى الصبح ،
وأبو بكر يصلى بالناس • فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
تفرج الناس • فعرف أبو بكر — رضى الله عنه — أن الناس لم يصنعوا
ذلك الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم • فنكص عن مصلاه •
فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظهره وقال : « صل بالناس » •
وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه • فصلى قاعدا عن
يمين أبى بكر • فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس • فكلهم
رأفعا صوته حتى خرج صوته من باب المسجد يقول : « أيها الناس •
سمعت النار وأقبلت الفتنة كقطع الليل المظلم • وانى والله ما تمسكون
على بشىء • انى لم أحل الا ما أحل القرآن ولم أحرم الا ما حرم
القرآن »^(٣٥) •

(٣٤) نفس المرجع والصفحة . (٣٥) نفس المرجع ج ٤ ص ٤٨٥

وفي روايه : أن الرسول صلى الله عليه وسلم أشار به بيده بيئفى مكانه .. ورفع ابو بكر — رضى الله عنه — يديه الى السماء حمد رب .. ثم ننحى عن مكانه .. فحصى رسول الله صلى الله عليه وسلم جاسا .. وأبو بكر رضى الله عنه يصلى بصلاته .. والناس يصنون بصلاته أبى بكر .. فما فرغ سأل الرسول صلى الله عليه وسلم : لم لم يستمر فى صلاته حين أشار إليه .. فقال : « ما كان لابن أبى قحافة أن يصلى بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم » ..

أن فى اصرار الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه المرات الثلاث على أن يحلفه ابو بكر رضى الله عنه فى الصلاة لحكمة بالغة .. غابت عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها .. حجبها عن معرفتها الحرص على مناعة أبيها بين الناس وخوفها من تشاؤمهم به ..

نحى الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى .. واجتمع نفر من الأنصار — على رأسهم سعد بن عباد — فى سقيفة بنى ساعدة — للنظر فى أمر الخلافة .. والمهاجرون وآل البيت ما زالوا مشغولين بتجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما يدفن بعد !!

وأطلت الفتنة برأسها .. ودب الخلاف بين المهاجرين والأنصار .. نحن الذين آزرنا الرسول .. وتحمانا فى سبيل دعوته العذاب والتشريد .. وغديناه بأنفسنا وأموالنا .. وتركنا وراءنا أهلونا وعيالنا .. وهاجرنا من بلادنا لنصرته وتأييده .. وبنا نصر الله الاسلام !!

— ونحن الذين آوينا ونصرنا .. وقتحنا لكم ديارنا وبلادنا .. وأشركنكم فى أموالنا وأرزاقنا .. فبنا أعز الله الاسلام !! — منا الأمراء .. ومنكم الوزراء !!

— بل منا أمير .. ومنكم أمير .. الخ .. الخ .. ويرتفع من بينهم صوت عاقل : ليس لها سوى أبى بكر .. رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا .. أفلا نرضاه لديننا ؟ ويحسم هذا الصوت العاقل القضية .. ويخمد الفتنة .. ويزيل الخلاف .. فيجمع المسلمون على اختيار الصديق رضى الله عنه خليفة للمسلمين ..

وتتضح حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم حين ألح على زوجه رضى الله عنها وهو فى التزع الأخير : « مروا أبى بكر فليصل بالناس .. انكن صواحب يوسف .. مروه فليصل بالناس » ..

وحين قال غاضبا في المرة الثانية : « فأين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون .. يأبى الله ذلك والمسلمون » .

وحين صلى الناس بصلاة أبى بكر ورسول الله يؤمهم جالسا ..
صلى الله عليك يا سيدى يا رسول الله .. طبت حيا وطبت ميتا ..
لقد كان لحكمتك الفضل كل الفضل فى اخماد الفتنة فى مهدا وحفظ
وحدة المسلمين ودمائهم فى ذلك الوقت العصيب .

لقد حققت حكمته — صلى الله عليه وسلم — دماء قريش يوم غمس
« لعقة الدم » أيديهم فى جفنة الدماء .. قبل البعثة ..

وحققت حكمته — صلى الله عليه وسلم — دماء المسلمين يوم
سقيفة بنى ساعدة .. بعد وفاته ..

وتباركت ربى .. يا من أرسلته رحمة للعالمين .. وجعلت كلامه
وحيا توحىه اليه .. ونفيت عنه الهوى والغرض .. فقلت وقولك الحق :
« وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى » (٣٦) .

● وفى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم الكثير من المواقف
الحكيمة .. نكتفى منها بهذه الأمثلة الثلاثة .. فما يستطيع قلم
الاحاطة بها ..

ولا عجب فى ذلك .. فقد أوتى الرسول صلى الله عليه وسلم
الحكمة .. طفلا .. وصبيا .. وراشدا .. وكهلا .. صلى الله عليه
وآله وسلم ..

* * *

كما أطلق الله تعالى « الحكم » ، و « الحكمة » على كتبه المنزلة ..
فقال عن التوراة : « واقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم
والنبوة » (٣٧) .

وذكر الحكمة مقرونة بالانجيل .. فقد بشرت الملائكة مريم
عليها السلام فقالت عن المسيح عليه السلام : « ويعطيه الكتاب والحكمة
والتوراة والانجيل » (٣٨) .

وامتن الله تعالى على المسيح عليه السلام فقال : « يا عيسى

(٣٧) الجاثية : ١٦

(٣٦) النجم : ٣ ، ٤

(٣٨) آل عمران : ٤٨

ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم
الناس في المهد وكهلا ، واذا علمتك الكتاب والحكمة والتوراة
والانجيل» (٣٩) .

وقال المسيح عليه السلام لقومه : « قد جئكم بالحكمة ولأبين
لكم بعض الذي تختلفون فيه ، فاتقوا الله وأطيعون » (٤٠) .

وسمى القرآن الكريم « حكمة » . فقال تعالى : « واذكروا نعمة الله
عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به » (٤١) .

وقال لنساء النبي صلى الله عليه وسلم : « واذكروا ما يتلى في
بيوتكن من آيات الله والحكمة » (٤٢) .



(٤٠) الزخرف : ٦٣

(٤٢) الأجزاب : ٣٤

(٣٩) المائدة : ١١٠

(٤١) البقرة : ٢٣١

شكر الله وحمده

من تكرر القول أن نذكر أن الله تعالى قد وهب لقمان العلم بحقائق الأشياء .. ومنحه معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلم .. وحباه بالكلام المعبر عن الخبرة والتجربة الموافق للحق .. وأنه كان ضابطاً لنفسه وطبعه عند الغضب .. وأن كلامه كان قليلاً في لفظه جليلاً في معناه .. أو أنه كان دائماً التفكر في الأمور .. أو أنه كان يستطيع معرفة علل الأشياء ..

فقد أخبرنا تعالى بأنه وهب لقمان الحكمة — وهذه كلها أوصاف وتعريفات للحكمة — إنما قرن الله تعالى الحكمة التي وهبها لقمان بالشكر له تعالى .. فقال عز من قائل : « ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر الله ، ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن الله غني حميد » (١) .

ويقول تعالى : « فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون » (٢) ويقول جل وعلا واصف المؤمنين : « وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين » (٣) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع » (٤) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ، ويشرب الشربة فيحمده عليها » (٥) .

وروى أحمد والنسائي والترمذي .. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أفضل الذكر : لا اله الا الله .. وأفضل الدعاء : الحمد لله » .

كما قال صلى الله عليه وسلم : « التسبيح نصف الميزان .. والحمد لله تملؤه .. ولا اله الا الله ليس لها من دون الله حجاب حتى تخلص اليه » (٦) .

(٢) البقرة : ١٥٢

(٤) رواه أبو داود .

(٦) رواه الترمذي .

(١) لقمان : ١٢

(٣) يونس : ١٠

(٥) رواه مسلم .

وروى الطبراني وأبو نعيم والبيهقي .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ينادى يوم القيامة ليقيم الحمدادون .. فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة » . قيل : وما الحمدادون يا رسول الله ؟ قال : « الذين يشكرون الله تعالى على كل حال » .. وفي رواية : « الذين يشكرون الله على السراء والضراء » .

وفي الحديث القدسي الذي رواه الطبراني عن أبي بن كعب رضي الله عنه .. يقول الله تعالى : ابن آدم .. أنزلت عليك سبع آيات .. ثلاث نى وثلاث لك .. وواحدة بينى وبينك .. فأما التى لى : فـ « الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين » . والثى بينى وبينك : « اياك نعبد واياك نستعين » ، منك العبادة وعلى العون .. وأما التى لك : « اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله عز وجل (٧) : قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل فاذا قال العبد : « الحمد لله رب العالمين » قال الله تعالى : حمدنى عبدى ، واذا قل العبد : « الرحمن الرحيم » قال الله : أثنى على عبدى ، واذا قال العبد : « مالك يوم الدين » قال : مجدنى عبدى — وقال مرة : فوض الى عبدى — واذا قال : « اياك نعبد واياك نستعين » قال : هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل ، فاذا قال : « اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » قال : هؤلاء لعبدى ، ولعبدى ما سأل » (٨) .



وقد مدح الله تعالى نوحا عليه السلام فقال : « نرية من حملنا مع نوح ، انه كان عبدا شكورا » (٩) . ومدح ابراهيم عليه السلام فقال : « ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين . شاكرا لانعمه ، اجتباه وهداه الى صراط مستقيم » (١٠) .

(٨) رواه مسلم .

(١٠) النحل : ١٢٠ ، ١٢١

(٧) أى فى الحديث القدسى .

(٩) الاسراء : ٣

ووصى تعالى الناس بالشكر فقال : « ووصينا الإنسان بوالديه . أحساناً ، حملته أمه كرها ووضعته كرها ، وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ، حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذرىتى ، انى تبنت إليك وانى من المسلمين » (١١) .

ووعده هؤلاء . « أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة ، وعد الصدق الذى كانوا يوعدون » (١٢) .

وقال تعالى : « اعملوا آل داود شكرا ، وقليل من عبادى الشكور » (١٣) .

يقول ابن كثير : « كان داود عليه السلام هو المقتدى به فى ذلك الزمان فى العدل وكثرة العبادة وأنواع القربات حتى انه كان لا يمضى ساعة من آناء الليل وأطراف النهار الا وأهل بيته فى عبادة ليلا ونهارا » (١٤) .

وعن أبى الجلد قال : قرأت فى مسألة داود عليه السلام أنه قال : يا رب .. كيف لى أن أشكرك وأنا لا أصل الى شكرك الا بنعمتك .. قال : فأتاه الوحي : أن يا داود .. أأست تعلم أن الذى بك من النعم منى ؟ قال : بلى يا رب . قال : فأنى أرضى بذلك منك (١٥) .. وعن ابن شهاب قال : قال داود عليه السلام : الحمد لله كما ينبغى لكرم وجهه وعز جلاله . فأوحى الله تعالى اليه : انك أتعبت الحفظة يا داود (١٦) ..

ودعا سليمان عليه السلام ربه فقال : « رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين » (١٧) .

ولما رأى عرش بلقيس مستقرا عنده قال : « هذا من فضل

(١٢) الاحقاف : ١٦

(١١) الاحقاف : ١٥

(١٣) سبا : ١٣

(١٤) قصص الانبياء ، للامام ابن كثير ص ٤٩٢ ، طبع دار التراث .

(١٥) نفس المرجع والصفحة .

العربى .

(١٧) النمل : ١٩

(١٦) نفس المرجع والصفحة .

ربى ليلونى أشكر أم اكفر ، ومن شكر فانما يشكر لنفسه ، ومن كفر
فان ربي عني كريم» (١٨) .

* * *

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم الشكر لله تعالى ..
عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال : خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتوجه نحو مشربته فدخل .. واستقبل القبلة
فخر ساجدا فاحال السجود حتى ظننت أن الله قد قبض نفسه فيها ..
فدنوت منه فرفع رأسه قال : « من هذا » ؟ قلت : عبد الرحمن .
قال : « ما شأنك » ؟ قلت : يا رسول الله .. سجدت سجدة خشيت
أن يكون الله قد قبض نفسك فيها .

فقال صلى الله عليه وسلم : « ان جبريل — صلى الله عليه وسلم —
أتانى فبشرنى فقال : ان الله عز وجل يقول : من صلى عليك صليت
عليه .. ومن سلم عليك سلمت عليه .. فسجدت لله شكرا » (١٩) .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : أقبلت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى ..
فلم يزل قائما حتى أصبح فسجد سجدة ظننت أن نفسه قد قبضت فيها ،
قال : « تدري لم ذاك » ؟ قلت : الله ورسوله أعلم .. فقال : « انى صليت
ما كتب لى ربي وأتانى ربي فقال لى : ما أفعل بأمتك ؟ قلت : أى رب ..
أنت أعلم .. فأعادها على ثلاثا أو أربعا فقال لى فى آخرها : ما أفعل
بأمتك ؟ قلت : أنت أعلم يا رب . قال : انى لا أحزنك فى أمتك ..
فسجدت لربى .. وربى شاكر يحب الشاكرين » (٢٠) .

وعن عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما قال : جئت أزور
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو يوحى اليه .. فلما سرى عنه
قال لعائشة رضى الله عنها : « ناولينى ردائى » .. فخرج فدخل المسجد
فاذا فيه قوم ليس فى المسجد غيرهم .. فجلس فى ناحية القوم حتى
قضى المذكر تذكركه .. قرأ تنزيل السجدة فأطال السجود حتى اذا جاء
من كان على قدر ميلين وتسامع الناس سجوده .. فعجز المسجد عن
الناس .. فأرسلت عائشة الى أهلها : احضروا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلقد رأيت منه شيئا لم أره .. فرفع رأسه فقال أبو بكر

(١٩) رواه أحمد .

(١٨) النمل : ٤٠

(٢٠) أخرجه الطبرانى .

رضى الله عنه : يا رسول الله .. أظلت السجود ! فقال : « سجدت
لربى شكرا غيما أعطانى من أمتى : سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير
حساب » .. فقال أبو بكر : يا رسول الله .. أمتك أكثر وأطيب
فاستكثرهم ، فقال مرتين أو ثلاثا .. فقال عمر رضى الله عنه : بأبى أنت
وأمى يا رسول الله .. فقد استوهبت أمتك » (٢١) .

وأخرج الطبرانى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله
عليه وسلم مر به رجل به زمانة — والزمانة : عدم بعض الأعضاء
وتعطيل القوى — فنزل وسجد .. ومر به أبو بكر رضى الله عنه فنزل
وسجد .. ومر به عمر فنزل وسجد ..

وعن على كرم الله وجهه قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
سرية من أهله فقال : « اللهم .. ان لك على ان رددتهم سالمين أن
أشكرك حق شكرك » . فما لبثوا أن جاءوا سالمين فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « الحمد لله على ما بغير نعم الله » فقلت :
يا رسول الله .. ألم تقل : ان ردهم الله أن أشكره حق شكره ؟ فقال :
« أو لم أفعل » (٢٢) ؟



ويقول أستاذنا فضيلة الشيخ طه عبد الله العفيفى :
« والشكر هو الاقرار والاعتراف بما أنعم الله تعالى به على
عباده .. وهو الثناء على المحسن بذكر احسانه .. وزيادة في النعم ..
وأمان من النقم ..

فاذا كان الله تعالى قد أنعم على عباده — وما أكثر هذه النعم —
ولا سيما نعمة الايمان والاسلام .. ونعمة الصحة والعافية .. ونعمة
الغنى عن الناس .. فكل هذه النعم التى لا حصر لها تقتضى منهم
الشكر للمنعم سبحانه وتعالى ..

وكما يكون الشكر بالقلب واللسان .. يكون أيضا بجميع الجوارح
.. فشكر اليدين العطاء .. وشكر العينين ألا تنظر الى ما لا يحل ..
وشكر الأذنين ألا تسمع ما لا يحل .. وشكر القلب عدم الحقد
والضغن ..

(٢٢) أخرجه البيهقى .

(٢١) أخرجه الطبرانى .

وكما يكون الشكر لله على نعمه .. فان شكر من أجرى الخير على يديه يعتبر شكرا له سبحانه وتعالى ..

وفي الحديث القدسي : يقول رب العزة : « عبادي .. اذا لم تشكروا من أجرى الخير على يديه لم تشكروني » ..

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان أشكر الناس لله تبارك وتعالى أشكرهم للناس » (٢٣) .

ويقول صلى الله عليه وسلم : « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » (٢٤)

ودخل سفيان الثوري على جعفر الصادق رضى الله عنه وقال له : علمنى يا ابن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مما علمك الله ..

فقال له : اذا تظاهرت الذنوب عليك بالاستغفار .. واذا تظاهرت النعم فعليك بالشكر .. واذا تظاهرت الغموم فقل : لا حول ولا قوة الا بالله .. فخرج سفيان وهو يقول : ثلاث .. وأى ثلاث !!

وقال بعض العارفين : من أعطى أربعا لم يمنع من أربع : من أعطى الشكر لم يمنع المزيد لقوله تعالى : « لئن شكرتم لأزيدنكم » (٢٥) . ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول لقوله تعالى : « وهو الذى يقبل التوبة عن عباده » (٢٦) .

ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ، ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب .. لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا خاب من استخار .. ولا ندم من استشار » .

وروى أن داود عليه السلام قال : الهى .. كيف أشكرك وشكرى لك نعمة من عندك ؟ .. فأوحى الله تعالى اليه : الآن شكرتنى (٢٧) ..

* * *

ويقول الزجاج في تفسير قوله تعالى : « ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله » : أعطى لقمان الحكمة لأن يشكر الله .. وقيل : أى بأن اشكر الله تعالى ، فشكر .. فكان حكيما بشكره لله تعالى ..
والخلاصة : فان شكر الله تعالى الى جانب الاقرار والاعتراف

(٢٤) رواه الترمذى وصححه .

(٢٦) الشورى : ٢٥

(٢٧) من وصايا الرسول — للأستاذ الشيخ طه عبد الله العففى —

(٢٣) رواه أحمد .

(٢٥) ابراهيم : ٧

طبع دار التراث العربى .. بتصرف .

بما أنعم به على عباده ، والثناء عليه بذكر احسانه .. يكون بعبادته وحده وأفراده بالعبادة والدعاء .. وطاعته فيما أمر به ..
وشكر الوالدين الى جانب الاقرار بفضلهما في الایجاد والتربية ..
يكون بطاعتهما — فيما أمر الله به — وبرهما والاحسان اليهما ..

وشكر الناس الى جانب معرفة الفضل لصاحبه .. يكون باحسان المعاملة لهم وبرهم وصلتهم بالمعروف ..

● فمن عبد غير الله وأشرك معه آلهة وأندادا .. فما شكر له ..

● ومن عصى الله ولم يطعه .. فما شكر له .

● ومن جحد فضل الله ، ونسب الفضل الى نفسه .. فما شكر له .

وفي قارون عظة وعبرة .. يقول الله تعالى : « أن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ، واتيناها من الكنوز ما ان مفاتحه لتتوء بالعصبة أولى اقوة الا قل له هو مه لا تفرح ، ان الله لا يحب الفرحين . وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض ، ان الله لا يحب المفسدين » (٢٨) .

فما شكر الله .. ولا أحسن الى الناس .. بل جحد نعم الله تعالى وتكبر على الناس وقال : « انما أوتيته على علم عندي » (٢٩) .

فكانت عاقبته : « فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين . وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكان الله ييسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ، لولا أن من الله علينا لخسف بنا ، ويكانه لا يفلح الكافرون » (٣٠) .

لقد جحد قارون فضل الله .. ونسب الفضل الى نفسه ..
وما شكر الله فكانت عاقبته الخسران المبين .

● ومن عق والديه ولم يحسن اليهما وعصاهما .. فما شكر لهما .

● ومن جحد حق الناس وأساء معاملتهم .. فما شكر لهم ..

* * *

يقول الله تعالى : « ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر
فإن الله غنى حميد » •

حقا •• من يطع الله فإنما يعمل لنفسه لأن نفع الثواب عائد اليه ••
ومن كفر النعم •• فلم يوحد الله •• فإن الله غنى عن عبادة خلقه ••
محمود في فعله ••

والله الموفق •• وهو المستعان ••



الفصل الثاني

أولى الوصايا..

- * دعوة الأنبياء والرسل ..
- * الشرك الأكبر .. والشرك الأصغر
- * أفراد الله وحده بالعبادة
- * كان الناس أمة واحدة ..
- * عبادة الأصنام ..
- * أصنام قريش ..
- * تعظيم الموتى .. وعبادة الأصنام
- * عبادة النجوم والكواكب
- * عبادة مظاهر الطبيعة
- * عبادة الملوك والفراعين
- * الشرك والأديان السماوية
- * تحدى !!
- * الشرك الأصغر .. شرك العقائد
- * ظلم عظيم !!

أولى الوصايا ..

* دعوة الأنبياء والرسل :

« ... لا تشرك بالله ، أن الشرك لظلم عظيم » (١) .

أولى وصايا لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه ..

وأولى الوصايا على الإطلاق .. « لا تشرك بالله » ..

دعوة التوحيد ..

وصى الله تعالى بها الناس منذ بعث اليهم رسلا .. فقال تعالى :
« وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » (٢) .

ووصى بها انبيون أمهم من لدن آدم عليه السلام .. حتى كانت
الرسالة الخاتمة بمبعث محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ..
إذ التوحيد هو أساس الدين .. وبه بعث النبيون جميعا إلى
الناس كافة ..

فقد قال نوح عليه السلام لقومه : « يا قوم اعبدوا الله ما لكم من
إله غيره ، إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم » (٣) .
وقال هود عليه السلام : « يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ،
أفلا تتقون » (٤) .

وقال صالح عليه السلام : « يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ،
قد جاءكم بينة من ربكم » (٥) .
كما قالها شعيب عليه السلام لقومه (٦) .
وإبراهيم عليه السلام قال : « إني وجهت وجهي للذي فطر
السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين » (٧) .

(٢) الأنبياء : ٢٥

(٤) الأعراف : ٦٥

(٦) الأعراف : ٨٥

(١) لقمان : ١٣

(٣) الأعراف : ٥٩

(٥) الأعراف : ٧٣

(٧) الأنعام : ٧٩

وحين يزكيه الله تعالى يقول عنه : « ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين » (٨) .

كما يقول نعتي عنه : « واذا بؤانا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئا » (٩) .

ويعقوب عليه السلام . . حين حضره الموت قال لبنيه : « ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون » (١٠) .

وقال يوسف عليه السلام : « وتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب ، ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء » (١١) .

وقال موسى عليه السلام : « انما انهم الله الذي لا اله الا هو ، وسع كل شيء علما » (١٢) .

وقال يونس عليه السلام : « لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين » (١٣) .

وقال المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام : « يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم » (١٤) .

كما قال لقومه : « ان الله ربي وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم » (١٥) .

ويقول الله تعالى لنبيه وصفيه محمدا صلى الله عليه وسلم : « قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا اربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون » (١٦) .

كما قال تعالى له : « اتبع ما اوحى اليك من ربك ، لا اله الا هو ، واعرض عن المشركين » (١٧) .

ويقول جل وعلا : « ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم

(٩) الحج : ٢٦
(١١) يوسف : ٣٨
(١٣) الانبياء : ٨٧
(١٥) آل عمران : ٥١
(١٧) الانعام : ١٠٦

(٨) النحل : ١٢٠
(١٠) البقرة : ١٣٣
(١٢) طه : ٩٨
(١٤) المائدة : ٧٢
(١٦) آل عمران : ٦٤

تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون • ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة
والنبيين أربابا ، يأمركم بالكفر بعد أن كنتم مسلمون» (١٨) •

بل ان شهادة الحق قائمه من لدن الخلق الاول •• يقول الله تعالى :
« واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم
ألست بربكم ، قالوا بلى شهدنا ، أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن
هذا غافلين • أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من
بعدهم» (١٩) •

وهكذا كان التوحيد هو دعوة الأنبياء والمرسلين ••
وحتى فرعون — عدو الله — فقد قال حين أدركه الغرق :
« آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو إسرائيل» (٢٠) •• فأقر بعد
فوات الأوان بوحدة الألوهية •• وأنها لله وحده دون سواه ••

* * *

* الشرك الأكبر •• والشرك الأصغر :

والشرك نوعان •• أكبر ، وأصغر •• جلى وخفى ••
فأما الشرك الأكبر — وهو شرك العبادات الذى يضاد التوحيد —
فهو أن تجعل لله ندا فى ذاته أو صفاته •• أو أن تعبد غيره وتتوجه
إليه بالدعاء •• نبيا كان أو وليا •• ملكا أو شيئا •• أو عبادة شيء
من مخلوقاته •• كالشمس والقمر والكواكب والنجوم ، والنار والماء ،
والظلمة والنور •• أو غير ذلك من شجر أو حجر !!

ومن مات على شيء من ذلك — أعاذنا الله — مات مشركا كافرا ••
لا يغفر الله له أبدا •• فهو من أصحاب النار خالدا مخلدا فيها ••
ولا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ••

يقول الله تعالى : « ان الله لا يفر أن يشرك به ويفر ما دون
ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا» (٢١) •

ويقول جل وعلا : « أنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة
وماواه النار ، وما للظالمين من أنصار» (٢٢) •

ويقول جل شأنه : « ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون» (٢٣)

(١٩) الأعراف : ١٧٢ ، ١٧٣

(١٨) آل عمران : ٧٩ ، ٨٠

(٢١) النساء : ١١٦

(٢٠) يونس : ٩٠

(٢٣) الأنعام : ٨٨

(٢٢) المائدة : ٧٢

ان الله سبحانه وتعالى .. هو العفو الغفور .. ومن شأنه العفو والمغفرة .. وكل ذنب قابل للعفو والمغفرة .. الا الشرك بالله وعبادة غيره ، واتخاذ الأولياء والشفعاء من دونه .. فان هذا الذنب العظيم لا يغفره الله أبدا .. ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ..

لقد تاه المشركون عن الحق وبعثوا عنه كثيرا .. وأفسدوا عقولهم ونفوسهم .. وتعدوا حدود الله بعبادتهم وولاءهم لغيره .. فكان جزاؤهم ضياع كل أعمال الخير التي عملوها في الدنيا ، وأن يحرموا ثوابها .. ومن شأنه تعالى أن يحرم عليهم الجنة ، وأن تكون النار هي مصيرهم ومأواهم ..

* * *

* افراد الله وحده بالعبادة :

وقد أمرنا الله تعالى بافراد العباداة له وحده دون سواه .. ونهانا عن الشرك في عبادته تعالى .. وغلظ في ذلك وعادى فيه .. وكفر من فعله ..

ولا تستقيم العباداة الا بالتوحيد ..
اذ التوحيد هو الدين الذي بعث به الرسل جميعا .. وهو الدين عند الله منذ خلق الخلق الى أن يرث الأرض ومن عليها ..
وحذر الرسل جميعا — عليهم صلوات الله وسلامه — أقوامهم من الشرك وحضوا على اقرار العباداة لله وحده ..
يقول الله تعالى : « ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » (٢٤) .

ويقول تعالى : « واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا الا الله » (٢٥) .
ويقول جل شأنه : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » (٢٦) .
ويقول جل وعلا : « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه » (٢٧) .
وفي جملة واحدة جامعة .. العباداة هي « اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه .. من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة » .

* * *

(٢٥) الأحقاف : ٢١

(٢٧) الاسراء : ٢٣

(٢٤) النحل : ٣٦

(٢٦) الذاريات : ٥٦

* كان الناس أمة واحدة :

على هذا كانت دعوة الرسل .. أفراد الله وحده بالعبادة ..
حتى تفرق الناس أشتاتاً واختلفوا ..

يقول الله تعالى : « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين
مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما
اختلفوا فيه » (٢٨) .

ويقول جل وعلا : « وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلّفوا ،
ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون » (٢٩) .

عن قتادة رضى الله عنه : « ذكر لنا أنه كان بين آدم ونوح عليهما
السلام عشرة قرون كلهم على الهدى ، وعلى شريعة من الحق ،
ثم اختلفوا بعد ذلك ، فبعث الله عز وجل نوحا — عليه السلام — وكان
أول رسول بعثه الله تعالى الى أهل الأرض ، وبعث عند الاختلاف
وترك الحق » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : « كان بين نوح و آدم عشرة قرون
كلهم على شريعة من الحق .. فاختلّفوا فبعث الله النبيين مبشرين
ومنذرين » .

وفي رواية : « كان الناس أمة واحدة .. كانوا على الاسلام
— أى التوحيد — كلهم » .

وهناك قول للحسن وعطاء .. عن ابن عباس رضى الله عنهما حيث
قالا : « كان الناس من وقت وفاة آدم الى مبعث نوح — عليهما
السلام — أمة واحدة ، على ملة واحدة ، وهى الكفر .. كانوا كلهم
كفاراً أمثال البهائم ، فبعث الله نوحا وإبراهيم والنبيين » ..

ويضعف هذا القول تعارضه مع قول الله تعالى : « وما كان الناس
الا أمة واحدة فاختلّفوا » .

فضلا عن انقطاعه عن ابن عباس ومخالفته لقوله رضى الله عنه :
« كانوا على الاسلام كلهم » .. وهو النص الذى رواه ابن أبى حاتم
عن أبى زرعة عن شيبان بن فروخ عن همام عن قتادة عن عكرمة عن
ابن عباس رضى الله عنهما ..

ويشهد له قراءة أبي بن كعب رضى الله عنه : « ... فاختلفوا فبعث
الله النبيين مبشرين ومنذرين » •

* * *

* عبادة الأصنام :

ثم نشأت عبادة الأصنام .. باتخاذ الوسطاء والشفعاء !!
وفى نشأتها يقول هشام بن محمد بن السائب الكلبي فى كتابه
« الأصنام » : « أخبرنى أبى قال : أول ما عبدت الأصنام أن آدم
عليه السلام لما مات جعله بنو شيث بن آدم فى مغارة فى الجبل
الذى أهبط عليه آدم بأرض الهند .. ويقال للجبل « نوذ » وهو أخصب
جبل فى الأرض ..

... فكان بنو شيث عليه السلام يأتون جسد آدم فى المغارة ..
فيعظمونه ويترحمون عيه .. فقال رجل من بنى قابيل بن آدم :
يا بنى قابيل .. ان لبنى شيث دوارا — أى مطافا — يدورون حوله
ويعظمونه .. وليس لكم شىء .. فنحت لهم صنما .. فكان أول
من عملها .. !!

فكانت القبور وتعظيمها والعكوف عليها .. أول ما أضل الشيطان
به الناس !!

ويقول الامام البخارى فى نشأة الأصنام الأولى — « ود ،
وسواع ، ويغوثة ، ويعوق ، ونسر » — نقلا عن ابن عباس رضى الله
عنهما : « هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح .. فلما هلكوا
أوحى الشيطان الى قومهم : أن انصبوا الى مجالسهم التى كانوا
يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ، ففعلوا فلم تعبد حتى اذا
هلك أولئك ونسخ العلم عبدت » !!

وفيههم يقول ابن جرير عن محمد بن قيس : « كانوا قوما صالحين
من بنى آدم .. وكان لهم أتباع يقتدون بهم ، فلما ماتوا قال أصحابهم
الذين كانوا يقتدون بهم : لو صورناهم .. كان أشوق لنا الى العبادة
اذا ذكرناهم .. فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب اليهم ابليس
فقال : انما كانوا يعبدونهم ، وبهم يسقون المطر .. فعبدوهم » !!

ويقول ابن الجوزى فى كتابه « تلبيس ابليس » : « ... كان ود ،
وسواع ، ويغوثة ، ويعوق ، ونسر .. قوما صالحين .. فماتوا فى
شهر .. فجزع عليهم أقاربهم .. فقال رجل من بنى « قابيل » :

يا قوم .. هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم ؟ ..
غير أنى لا أقدر أن أجعل فيها أرواحاً .. فقالوا : نعم !!

فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها لهم .. فكان
الرجل منهم يأتى أخاه وعمه وابن عمه .. فيعظمه ويسعى حوله ..
حتى ذهب ذلك القرن الأول .. وعملت على عهد « يزد بن مهلايل
ابن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم » !!

ثم جاء قرن آخر .. فعظموهم أشد تعظيم من القرن الأول !!
ثم جاء من بعدهم القرن الثالث .. فقالوا : ما عظم الأولون
هؤلاء الا وهم يرجون شفعاقتهم عند الله عز وجل .. فعبدوهم وعظموا
أمرهم .. واشتد كفرهم .. فبعث الله سبحانه وتعالى اليهم « أدريس »
عليه السلام فدعاهم فكذبوه .. فرفعه الله مكانا عليا ..

ولم يزل أمرهم يشتد .. حتى أدرك « نوح » فبعثه الله نبيا ..
وهو يومئذ ابن أربعمئة وثمانين سنة .. فدعاهم الى عبادة الله عز وجل
مائة وعشرين سنة .. فعصوه وكذبوه .. فأمره الله تعالى أن يصنع
الفلك .. فعملها وفرغ منها .. وركبها وهو ابن ستمائة سنة .. وغرق
من غرق .. ومكث بعد ذلك ثلاثمئة وخمسين سنة ..

وروى ابن أبى حاتم عن عروة بن الزبير أنه قال : « ود ،
ويعوق ، ويعوق ، وسواع ، ونسر ، أولاد آدم . وكان « ود »
أكبرهم وأبرهم به » ..

وذكر الامام ابن كثير فى « البداية والنهاية » : « قال ابن أبى حاتم :
حدثنا أحمد بن منصور ، حدثنا الحسن بن موسى ، حدثنا يعقوب
عن أبى المطهر ، قال : ذكروا عند أبى جعفر — هو الباقر — وهو
قائم يصلى يزيد بن المهلب .. قال : فلما انفتل من صلاته قال :
ذكرتم يزيد بن المهلب — أما انه قتل فى أول أرض عبد فيها غير الله
تعالى . قال : ذكر « ودا » قال : كان رجلا صالحا .. وكان محببا
فى قومه ، فلما مات عكفوا حول قبره فى أرض بابل وجزعوا عليه ..
فلما رأى ابليس جزعهم عليه تشبه فى صورة انسان ثم قال : انى أرى
جزعكم على هذا الرجل .. فهل لكم أن أصور لكم مثله فيكون فى
ناديكم فتذكرونه به ؟ قالوا : نعم ، فصور لهم مثله .. قال : فوضعوه
فى ناديهم وجعلوا يذكرونه .. فلما رأى ما بهم من ذكره قال :
هل لكم أن أجعل فى منزل كل واحد منكم تمثالا مثله ليكون له فى بيته

فتذكرونه ؟ .. قالوا : نعم .. قال : فمثل لكل أهل بيت تمثالا مثله ..
 فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به . قال : وادرك أبناءهم فحطوا يرون
 ما يصنعون به . قال : وتناسلوا ودرس أمر ذكرهم آياه حتى تخذوه
 الها يعبدونه من دون الله أولاد أولادهم .. فكان أول ما عبد غير الله
 « ود » الصنم الذي سموه « ودا » .

* * *

بعث الله نوحا عليه السلام .. يدعو الناس الى افراد الله وحده
 بالعبادة والتعظيم .. وما جحد قوم نوح وجود الله تعالى .. فقد كان
 ردهم على دعوة نبيهم عليه السلام : « ما هذا الا بشر مثلكم يريد
 ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لآنزل ملائكة » (٣٠) .

وما كانوا يعتقدون أن الألوهية قد توزعت في هذه الأصنام ..
 دون وجود اله قاهر فوقها .. بل كان لديهم تصور واضح لوجود اله ..
 عبروا عنه بقولهم : « ولو شاء الله ... » فأقروا بوجود الله تعالى !!
 كما لم يجحدوا كونه تعالى خالق العالم .. فلم يقل واحد منهم
 ان الله ليس بربنا .. أو ليس هو خالق السموات والأرض .. أو خالقنا
 نحن .. أو ليس هو الذي يقوم بتدبير أمور السموات والأرض ..
 لقد كانوا — في الواقع — يؤمنون بأن الله وحده هو الخالق ..
 وأنه تعالى هو المدبر .. الا أنهم اتخذوا آلهة أخرى الى جواره ..
 جعلوا لها بعض التدخل في تدبير نظام هذا العالم .. وتتعلق بها
 حاجاتهم .. فكانوا يفرعون اليها في النوائب والشدائد .. ويلتمسون
 عندها الأمن من الخوف والنقص .. ويجدون أمنهم في الاحتماء
 بجوارها ..

وفي ذلك يقول الله تعالى : « واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا
 لهم عزا » (٣١) .
 كما يقول جل شأنه : « واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم
 ينصرون » (٣٢) .

كانوا يؤمنون بوجود الله تعالى .. وأنه وحده الخالق والمدبر ..
 وانما اتخذوا هذه الأصنام أولياء لهم وحماة وشفعاء !!

ولهذا تمسكوا بعبادتها — اى التوجه اليها بالسؤال — وقالوا :
« لا تذرنا آلهتكم ولا تفرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق
ونسرا » (١٢) .

فاتخذوا من أوليائهم أربابا من دون الله — اى اتخذوهم وسطاء
وشفعاء بينهم وبينه تعالى !!

* * *

ثم لما كان الطوفان الذى حدث فى عهد نوح عليه السلام ..
هيبت أصنامهم من جبل « نود » وحملها الماء فى جريانه من أرض الى
أرض .. حتى تذفها الى أرض جدة من بلاد الحجاز .. فلما نضب
الماء وبقيت على الشاطئ سفت الريح عليها حتى وارتها .. الى
أن استخرجها « عمرو بن لحي » — ويحنى أبا ثمامة — وكان كاهنا
له رأى من الجن .. فأثاه يوما فقال له : « عجل المسير والظعن من تهامة
.. بالسعد والسلامة .. أثت صفا جدة .. تجد فيها أصناما معدة ..
فأوردها تهامة ولا تهب .. ثم ادع العرب الى عبادتها تجب » (٢٤) !!
فأتى جدة واستخرجها .. ثم حملها الى تهامة .. ودعا الى عبادتها
فى موسم الحج .. فأجابه قومه .. وحملوها معهم الى بلادهم !!
فكان « ود » بوادى انقرى بدومة الجندل تعبد « كلب » ..
وكان « سواع » بأرض يقال لها وهاط من بطن نخلة يعبد من
بلييه من مضر ..

وكان « يغوث » باليمن تعبد مذحج ..
وكان « يعوق » بقرية يقال لها حيوان تعبد همدان ومن والاها
من اليمن ..

وحل « نسر » بأرض سبأ تعبد « حمير » ومن والاها حتى
هودهم ذونواس ..

وظلت هذه الأصنام تعبد فى تلك الأنحاء .. حتى بعث الله محمدا
صلى الله عليه وسلم فهدمها وحطمها ..

ويقول الامام البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما : « صارت
الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب تعبد .. أما « ود » فكانت

(٢٣) نوح : ٢٣

(٢٤) تلييس ابليس للامام ابن الجوزى ص ٥٢

لكلب بدومة الجندل ، وأما « سواع » فكانت لهذيل ، وأما « يغوث » فكان لمрад ثم لبنى غطيف بالجرف عند سبأ ، وأما « يعوق » فكانت لهمدان ، وأما « نسر » فكانت لحمير لال ذى الكلاع .. قال : وهؤلاء أسماء رجال صالحين !!

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت عمرو بن عامر الخزاعى يجر قصبه فى النار .. وكان أول من سيب السوائب » وفى لفظ : « ... وغير فى دين ابراهيم » . ويقول ابن كثير : « ان عادا - وهم عاد الأولى - كانوا أول من عبد الأصنام بعد الطوفان .. وكانت أصنامهم ثلاثة : « صمدا » ، و « صمودا » ، و « هرا » .

* * *

✽ أصنام قريش :

نم اتخذ العرب لهم أصناما .. فكان أقدمها « مناة » - صنم من خشب - نصبوه على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد بين مكة والمدينة .. وعظمته العرب جميعا .. وكان أشدهم تعظيما له الأوس والخزرج !!

ثم اتخذوا « اللات » بالطائف .. وكان صخرة مربعة عظمتها قريش وثقيف !!

كما اتخذوا « العزى » بوادى حراض : من نخلة - ويقال انها كانت نخلة تأتيها شيطانة !!

وكان لقريش أصنام فى جوف الكعبة وحولها .. وأعظمها عندهم « هبل » .. اتخذوه من عقيق أحمر على صورة انسان .. ونصبه

خزيمة بن مدركة بن الياس بن النضر .. ووضع أمامه القداح !! وكان لهم « أساف » و « نائلة » .. رجل وامرأة من جرهم زنيا فى جوف الكعبة فمسخهما الله حجريْن .. فعبدتهما خزاعة وقريش

ومن حج من العرب !! وكان لهم « ذو الخلصة » - مروة بيضاء منقوشة ، عليها كهيفة

التاج .. وتعظمها وتهدى لها خثعم وبجيلة !!

ولدوس صنم يقال له : « ذو الكفين » !!

ولبنى الحارث بن يشكر : « ذو الشرى » !!

ولقضاعه ولخم وجذام وعاملة وغطفان « الأقيصر » !!

ولمزينه : « نهم » .. ولأزد السراة : « عائم » .. ولعنزة :
« سكير » .. ولطىء : « الفليس » .. ولخولان : « عم أنس » ..
ولبنى ملكان بن كنانة : « سعد » !!

وكان لأهل كل دار من مكة صنم في داره .. كانوا يعبدونه
ويتمسكون به عند سفرهم وقدمهم !!

واتخذ العرب مع الكعبة طواغيت .. وهى بيوت تعظمها تعظيمها
للكعبة .. ولها سدنة وحجاب .. وتحطوف بها وتهدي لها وتنحر عندها
كما تفعل عند الكعبة !!

وكان الرجل منهم اذا سافر فنزل منزلا أخذ أربعة أحجار ..
فينظر الى أحسنها ويتخذها ربا .. ويجعل من الثلاثة أثافي لقدره ..
فاذا ارتحل تركه .. واذا نزل منزلا آخر فعل مثل ذلك !!

[والأثافي : هى الأحجار توضع تحت القدر لترفعها عن النار
حتى ينضج ما بها] .

عن أبى رجاء العطاردي قال : « لما بعث النبى صلى الله عليه
وسلم فسمعنا به .. لحقنا بمسيلمة الكذاب فلققنا بالنار .. وقال :
وكنا نعبد الحجاره فى الجاهلية فاذا وجدنا حجرا هو أحسن منه نلقى
ذلك ونأخذه .. فاذا لم نجد حجرا جمعنا حثية من تراب .. ثم جئنا
بغنم فحلبناها عليه .. ثم طفنا به » !!

وقال أبو عثمان النهدي : « كنا فى الجاهلية نعبد حجرا ..
فسمعنا مناديا ينادى : يا أهل الرجال .. ان ربكم قد هلك فالتمسوا
ربا .. قال : فخرجنا على كل صعب وذلول .. فبينما نحن كذلك نطلبه
اذا نحن بمناد ينادى : انا قد وجدنا ربكم — أو شبهه — فاذا حجر
فنحرنا عليه الجزر » !!

وعن عمرو بن عبسة قال : « كنت امرءا ممن يعبد الحجاره ..
فينزل الحى ليس معهم اله .. فيخرج الرجل منهم فيأتى بأربعة
أحجار .. فينصب ثلاثة لقدره .. ويجعل أحسنها الها يعبده ..
ثم لعله يجد ما هو أحسن قبل أن يرتحل فيتركه ويأخذ غيره » !!
أرأيت الى أى حد وصل بهم الأمر ؟!

ولما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة .. وجد حول
البيت ثلاثمائة وستين صنما .. فجعل يطعن فى وجوهها وعيونها بسية

قوسه ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقا » (٣٥) .
وهي تتساقط على رؤوسها •• ثم أمر بها فأخرجت من المسجد وأحرقت •

* * *

ولقد كان الناس — قبل الاسلام — كأسلافهم من عباد الأصنام !!
ما اعتقدوا أن الألوهية قد توزعت في هذه الأصنام دون وجود
أنه قاهر فوقها !!

وما جحدوا كونه خالق العالم أو مدبره !!

حانوا يؤمنون بوجود الله تعالى •• وأنه الخالق والمدبر •• انما
اتخذوا هذه الأصنام أولياء لهم وحماة •• يدعونهم عند الشدائد
ويستغيثون بهم في الملمات •• ويزعمون أنها تسمعهم وتقدر على
نصرهم ••

وعقيدتهم الحقيقية في شأنها أن لها شيئا من التدخل والنفوذ في
الألوهية ذلك الاله الأعلى •• وأن كلمتها تتلقى عنده بالقبول •• فنتحقق
أمانيتهم بواسطتها •• ويستدرون النفع ويتجنبون المضار باستشفاعها •
تماما كأسلافهم القدماء !!

يقول الله تعالى : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض
وسخر الشمس والقمر ليقولن الله ، فأنى يؤفكون » (٣٦) •

ويقول جل شأنه : « قل لمن الأرض ومن فيها أن كنتم تعلمون •
سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون • قل من رب السموات السبع ورب
العرش العظيم • سيقولون لله ، قل أفلا تتقون • قل من بيده ملكوت
كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون • سيقولون لله ،
قل فأنى تسحرون » (٣٧) •

فهم قد أقروا — بنص القرآن الكريم — بأن الله تعالى هو الخالق
الرازق المدبر ••

انما كانت حجتهم أن هؤلاء الأولياء لمكانتهم عند الله تعالى وقربهم
منه نظرا لصلاحهم وتقواهم — هم الوسطاء والشفعاء بينهم وبينه ••
نعلمى الله عما يقولون علوا كبيرا ••

(٣٦) العنكبوت : ٦١

(٣٥) الاسراء : ٨١

(٣٧) المؤمنون : ٨٤ — ٨٩

ويقول الله تعالى : « الا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون » (٣٨) .

يقول الامام ابن تيمية فى قوله تعالى : « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ، لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وما بهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له » (٣٩) .

« بين سبحانه ضلال الذين يدعون المخلوق من الملائكة والانبياء وغيرهم .. فبين أن المخلوقين لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض .. ثم بين أنه لا شركة لهم .. ثم بين أنه لا عون له ولا ظهير .. لأن أهل الشرك يشبهون الخالق بالمخاوق .. كما يقول بعضهم اذا كانت له حاجة : استوح الشيخ فلانا فانك تجده .. أو توجه الى ضريحه خطوات ، وناد : يا شيخ . تقضى حاجتك .. وهذا غلط لا يحل فعله .. وان كان من هؤلاء الداعين لغير الله من يرى صورة المدعو أحيانا .. فذلك شيطان يمثل له .. كما وقع مثل هذا العدد كثير ..

ونظير هذا قول بعض الجهال من أتباع الشيخ عدى وغيره : كل رزق لا يجىء على يد الشيخ لا أريده (!!) . والعجب من ذى عقل سليم يستوحى من هو ميت ، ويستغيث به .. ولا يستغيث بالحي الذى لا يموت !! فيقول أحدهم : اذا كانت لك حاجة الى ملك .. توصلت اليه بأعوانه ، فهكذا يتوصل اليه بالشيوخ (!!) .

وهذا كلام أهل الشرك والضلال .. فان الملك لا يعلم حوائج رعيته ولا يقدر على قضائها وحده .. ولا يريد ذلك الا لغرض يحصل له بسبب ذلك .. والله أعلم بكل شىء .. يعلم السر وأخفى .. وهو على كل شىء قدير .. فالأسباب منه واليه .. وما من سبب من الأسباب الا دائر موقوف على أسباب أخرى .. وله معارضات ..

فالنار لا تحرق الا اذا كان المحل قابلا .. فلا تحرق السمنندل .. واذا شاء الله منع أثرها كما فعل بابراهيم عليه السلام ..

وأما مشيئة الرب فلا تحتاج الى غيره .. ولا مانع لها ..
بل ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .. وهو سبحانه أرحم من الوالدة
بولدها .. يحسن اليهم ويرحمهم ويكشف ضرهم مع غناه عنهم ..
وافتقارهم اليه : « ليس حملة شيء ، وهو السميع البصير » .

فنفى الرب هذا كله .. فلم يبق الا الشفاعة فقال : « ولا تنفع
الشفاعة عنده الا لمن أذن له » ..

وقال : « من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه » .

فهو الذى يأذن فى الشفاعة .. وهو الذى يتقبلها .. فالجميع
منه وحده .. وكلما كان الرجل أعظم اخلاصا لله .. كانت شفاعة الرسول
أقرب اليه .. قال له أبو هريرة رضى الله عنه : من أسعد الناس بشفاعتك
يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « من قال لا اله الا الله
يبتغى بها وجه الله » ..

وأما الذين يتوكلون على فلان ليشفع لهم من دون الله ...
ويتعلقون بفلان .. فهؤلاء من جنس المشركين الذين اتخذوا شفعا
من دون الله تعالى » ..

ثم يقول : « قال طائفة من السلف : كان أقوام يدعون المسيح
والعزير والملائكة .. فبين الله تعالى أن هؤلاء الأنبياء والملائكة عباده
.. كما أن هؤلاء عباده ..

هؤلاء يتقربون الى الله .. وهؤلاء يرجون رحمة الله .. وهؤلاء
يخافون عذاب الله ..

فالمشركون اتخذوا مع الله أندادا .. يحبونهم كحب الله ..
واتخذوا شفعا يشفعون لهم عند الله .. ففيهم محبة لهم واشراك
بهم .. وفيهم من جنس ما فى النصارى من حب المسيح واشراك به ..

والمؤمنون أشد حبا لله .. فلا يعبدون الا الله وحده .. ولا يجعلون
معه شيئا يحبونه كحبه .. لا أنبياء ولا غيرهم .. بل أحبوا ما أحبه
بمحبتهم لله .. وأخلصوا دينهم لله .. وعلموا أن أحدا لا يشفع لهم
الا باذن الله تعالى .. فأحبوا عبد الله ورسوله محمدا صلى الله عليه
وسلم لحب الله .. وعلموا أنه عبد الله المبلغ عن الله .. فأطاعوه فيما
أمر .. وصدقوه فيما أخبر .. ولم يرجوا الا الله .. ولم يخافوا الا الله
.. ولم يسألوا الا الله .. وشفاعته لمن يشفع له هو باذن الله ..
ولا ينفع رجائنا للشفيع ولا مخافتنا له .. وانما ينفع توحيدنا واخلاصنا
لله .. وتوكلنا عليه .. فهو الذى يأذن للشفيع أن يشفع ..

فعلى المسلم أن يفرق بين محبة انصارى والمشرىكى ودينهم ..
ويتبع أهل التوحيد والايمان ويخرج عن مشابهة المشرىكى وعبدة
الصلبان ..

وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ثلاث من
كن فيه وجد حلاوة الايمان : من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ..
ومن كان يحب المرء لا يحبه الا الله .. ومن كان يكره أن يرجع فى الكفر
بعد اذ أنقذه الله منه ، كما يكره أن يلقى فى النار » .. اهـ .

* * *

* تعظيم الموتى .. وعبادة الأصنام :

وانما ضل الناس الى عبادة الأصنام من جهة تعظيم الموتى
الذين صوروها على صورهم .. ولهذا لعن الرسول صلى الله عليه وسلم
المتخذين على القبور المساجد والسرر .. ونهى عن الصلاة الى القبور
.. وسأل الله تعالى أن لا يجعل قبره وثنا يعبد .. ونهى أمته أن
يتخذوا قبره عيداً .. وأمر بتسوية القبور .. ونهى عن التماثيل وغلظ
فى ذلك تغليظاً شديداً .

ويحق للنفس — وهى ترى واقع المسلمين اليوم — أن تتقطع
عليهم حشرات !!

فقد عظموا الموتى وقدموا لهم !!

وأقاموا التماثيل والأنصاب تخليداً لعظمائهم وأبطالهم !!
وعصوا أمر رسولهم الكريم صلى الله عليه وسلم .. فاتخذوا
المساجد والسرر على القبور .. وصلوا اليها واتخذوها عيداً !!
وأقاموا من أوليائهم وصالحينهم حماة لهم .. يتقدمون اليهم
بالنذور والقرايين .. ويدعونهم عند الشدائد .. ويستغيثون بهم فى
الملامات !!

واعتقدوا أن هؤلاء الأولياء قادرين على نصرهم .. وأن لهم
قدرة على التدخل فى تدبير نظام العالم .. وأن لهم سلطة تغيير
المقادير بما لهم من دالة على الله تعالى !!

واتخذوا منهم وسطاء يستدرون النفع ويتجنبون المضار
باستشفاعهم !!

وظنوا أنهم يسمعونهم ويستجيبون لدعائهم .. وغاب عنهم أنهم قد انقطع عملهم بعد أن ماتوا .. فلا يسمعون لهم دعاء ولا يستطيعون استجابته !!

والله تعالى يقول : « ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثائكم ، فادعوهم فليستجيبوا نحم ان كنتم صادقين • اللهم أرجل يمشون بها ، أم لهم أيدي يبطشون بها ، أم لهم أعين يبصرون بها ، أم لهم آذان يسمعون بها ، قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون • ان وليي الله الذي نزل الكتاب ، وهو يتولى الصالحين • والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون » (٤١) •

وصدق الله تعالى .. انهم لا يستطيعون نصرهم ولا أنفسهم ينصرون ..

ومن بين لهم الأرجل التي بها يمشون .. والأيدي التي بها يبطشون .. والأعين التي بها يبصرون .. والآذان التي بها يسمعون .. وقد ماتوا وانقضى أمرهم ؟!

وغفلوا عن أن أول شروط الدعاء التوجه به الى الله وحده .. مع الاخلاص فيه .. وقد استجاب الله لابليس حين قال : « رب فأنظرني الى يوم يبعثون » (٤٢) فاستجاب الله لدعائه وأنظره الى يوم القيامة .. لاقراره لله تعالى وحده بالربوبية .. وأنه وحده القادر على افنائه أو انظاره .. وكان مخلصا في التوجه الى الله بهذا الدعاء !!

ولكن القوم باتخاذهم الشفعاء والوسطاء .. جعلوا منزلتهم أحط منزلة من عدو الله اللعين !!

والله تعالى يقول : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (٤٣) •

ويكنهم أعرضوا عن تحكيم الرسول صلى الله عليه وسلم والامثال لأوامره .. وأنبعوا شياطينهم وكهانهم وشيوخهم .. فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم •

أفيقوا أيها المسلمون من غفلتكم .. يرحمكم الله ..

(٤١) الأعراف : ١٩٤ — ١٩٧

(٤٢) الحجر : ٣٦ ، وسورة ص : ٧٩

(٤٣) النساء : ٦٥

فما هكذا كان الاسلام .. وما بهذا نزل القرآن .. ولا على
 هذا بعث الرسول صلى الله عليه وسلم !!
 فلنتجه الى الله جميعا ضارعين .. مرددين دعاء الرسول صلى الله
 عليه وسلم : « اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون » ..
 وليكن دعائنا لله وحده دون وسيط ولا شفيع : « ربنا لا ترغ
 قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة ، انك أنت الوهاب » (٤٤) .

* * *

* عبادة النجوم والكواكب :

واشرك أقوام الأجرام السماوية ، والكواكب والنجوم في عبادتهم
 لله تعالى !!

فقد عبد قوم الزهرة .. والشمس .. والقمر .. بعد أن ظنوا
 أن لها تأثيرا في العالم .. وأن لها دخلا في تصرف أمور معاشهم ..
 فأقاموا لها المعابد .. واتخذوا لها سدنة وحجابا .. وشرعوا لها حجا
 وقربانا !!

فكان في صنعاء معابد لعبادة « الزهرة » !!
 وفي فرغانة .. أخرى لعبادة « الشمس » !!
 وزعموا أن الشمس ملك من الملائكة لها نفس وفعل .. وهي أصل
 نور القمر والكواكب .. وأن الموجودات كلها منها !!
 واتخذوا لها صنما بيده جوهرة على لون النار .. يحجون اليه
 ويدعونه .. وينذرون له ويقربون عنده القرايين .. ويسجدون للشمس
 عند الغروب عنها وغروبها !!

وفي هؤلاء يقول مبعوث سليمان عليه السلام الى ملكة سبأ :
 « وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان
 أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون » (٤٥) .

كما بنى آخرون معابد لعبادة « القمر » .. واتخذوا له صنما
 على شكل عجل يجره أربعة .. وبيد الصنم جوهرة .. فكانوا يسجدون
 له .. ويصومون له أياما معلومة من كل شهر .. ثم يأتون اليه بالطعام
 والشراب .. فاذا فرغوا من أكلهم وشربهم أخذوا في الرقص والغناء
 وأصوات المعازف بين يديه !!

وجعل أقوام أصنامهم على صورة الكواكب التي عبدوها
وروحانيتها بزعمهم .. فبنوا لها الهياكل ودور العبادة .. لكل كوكب
منها هيكل يخصه .. وصنم يخصه .. وعبادة تخصه !!

وفي هؤلاء يقول الله تعالى : « ومن آياته الليل والنهار والشمس
والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم
اياه تعبدون » (٤٦) .

وكان قوم ابراهيم عليه السلام ممن عبد الكواكب .. ويعتقدون
أنها شريكة مع الله في الربوبية بما لها من قدرة على تحريف أمور العالم
بزعمهم !!

ولعل الحادث الذي أشار اليه القرآن الكريم في قوله تعالى :
« فلما جن عليه الليل رأى كوكبا ، قال هذا ربي ، فلما أفل قال لا أحب
الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي ، فلما أفل قال لئن لم يهدني
ربي لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي
هذا أكبر ، فلما أفلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون . انى وجهت
وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين » (٤٧) .

لعل هذا الحادث .. يبين بجلاء حقيقة اعتقاد القوم بأن الأجرام
الفلكية شريكة مع الله في الربوبية .. فقد أشركوها معه سبحانه في
العبادة .. ولكنهم لم يجحدوا وجود الله تعالى .. بل كانوا يقرون
بوجوده وقدرته .. غير أنهم أشركوا معه الكواكب والنجوم ..
واتخذوا لها تماثيلا أصناما !!

ولهذا عندما بلغ ابراهيم عليه السلام رشده .. جعل يتفكر في
معتقداتهم ويتأمل فيها .. وأخذ في مناقشتها حتى هداه طلوع السيارات
السماوية وأقولها الى الواقع الذى لا واقع سواه .. انه لا رب الا فاطر
السموات والأرض ..

يقول ابن كثير :

« كان أهل حران في بلاد الكلدانيين — زمن ابراهيم عليه السلام —
يعبدون الكواكب السبعة .. وكان الذين عمروا دمشق على هذا الدين
يستقبلون القطب الشمالى ويعبدون الكواكب السبعة بأنواع من الفعال
والمقال .. ولهذا كان على كل باب من أبواب دمشق السبعة القديمة
هيكل لكوكب منها ، ويعملون لها أعيادا وقرابين » .

* * *

* عبادة مظاهر الطبيعة :

ورأى أقوام مظاهر الطبيعة كالنار والماء .. والنور والظلمة ..
ولم يعرفوا خواصها وطبائعها .. فخافوها على أنفسهم .. وعبدوها
اتقاء لشرها !!

ويقول ابن جرير الطبري في أصل عبادة النار : « انه لما قتل
قابيل هابيل .. وهرب من أبيه آدم عليه السلام .. أتاه ابليس فقال له :
ان هابيل انما قبل قربانه وأكلته النار لأنه كان يخدمها ويعبدها ..
فانصب أنت أيضا نارا تكون لك ولعقبك .. فبنى بيت النار .. فهو
أول من نصب النار وعبدها » ..

وسرت هذه العبادة الى المجوس .. فبنوا للنار المعابد الكثيرة ..
واتخذوا لها سدنة وحجابا .. فلا يدعونها تخدم لحظة واحدة ..
وعبدوها استجلابا لخيرها واتقاء لشرها !!

وفيهم يقول ابن القيم : ... وهم يفضلونها على التراب
ويعظمونها .. ويقولون انها أوسع العناصر خيرا .. وأعظمها جرما ..
وأوسعها مكانا .. وأشرفها جوهرًا .. وألطفها جرما .. ولا كون
في العالم الا بها .. ولا نمو ولا انعقاد الا بممازجتها !!

وكانوا اذا أرادوا عبادتها .. حفروا لها أخدودا مربعا في الأرض
ويطوفون به !!

ومنهم الزهاد والعباد الذين يجلسون حولها صائمين عاكفين عليها !!
وأكثرهم يحرمون القاء النفوس فيها .. واحراق الأبدان بها !!
وطائفة أخرى غالت في عبادتها الى حد التقرب اليها بأنفسهم
وأولادهم .. فيعمد الرجل الذي يريد أن يفعل ذلك بنفسه أو بولده
أو حبيبه .. فيحمله ويلبسه أحسن الملابس .. ويزينه بأفخر الحلى ..
ويركبه أعلى المراكب .. وحوله المعازف والطبول والأبواق .. فيزف
الى النار أعظم من زفافه ليلة عرسه .. حتى اذا ما قابلها ووقف
عليها .. وهى تأجج طرح نفسه فيها .. فضج الحاضرون ضجة واحدة
بالدعاء له .. وغطوه على ما فعل (٤٨) !!

وزعم آخرون — وهم طائفة الحلبانية — أن الماء أصل كل

(٤٨) اغاثة اللهفان — للامام ابن القيم ج ٢ ص ١٨٤ طبع دار التراث
العربي سنة ١٩٨٣ بتصرف يسير .

الأشياء .. وبه كل ولادة ونمو ونشوء .. وطهارة وعمارة .. وما من عمل في الدنيا الا ويحتاج اليه .. فعبدوه !!

وكانوا اذ ارادوا عبادته .. تجرد الواحد منهم من ثيابه .. وستر عورته .. ثم يحمل معه ما يمكنه حمله من الرياحين .. ويدخل فيه حتى يصير الى وسطه .. ويقيم فيه بقدر ما يستطيع من وقت .. يقطع الرياحين قطعاً صغيرة ويلقيها فيه شيئاً فشيئاً .. وهو يسبحه ويمجده .. فاذا اراد الانصراف حرك الماء بيديه .. ثم أخذ منه فيضعه على رأسه وجسده .. ثم يسجد وينصرف !!

كما دان مجوس الفرس بالثنوية .. فعبدوا النور والظلمة .. « وقالوا ان الصالح انان .. فتفاعل الخير نور .. وفاعل الشر ظلمة .. وهما قديمان .. لم يزلا وان يزالا قوين حساسين .. مدركين سميعين بصيرين .. وهما مختلفان في النفس والصورة .. متضادان في الفعل والتدبير .. فالنور فاضل حسن ، نقي .. طيب الريح ، حسن المنظر .. ونفسه خيرة .. كريمة حكيمة نفاعه .. فيها الخير والمسرات والصلاح .. وليس فيها شيء من الضرر ولا من الشر !!

والظلمة على ضد ذلك : من الكدر والنقص .. وتتن الريح وتبج المنظر .. ونفسها نفس شريرة .. بخيلة سفيهة منتنة مضره .. منها الشر والفساد !!

وزعموا ان لكل واحد منهما أربعة أبدان ، وخامس هو الروح !!
فأبدان النور أربعة : النار .. والنور .. والريح .. والماء .. وروحها : النسيم ولم يزل يتحرك في هذه الأبدان !!
وأبدان الظلمة الأربعة : الحريق .. والظلمة .. والسموم .. والضباب .. وروحها : الدخان !!

وسموا أبدان النور ملائكة .. وسموا أبدان الظلمة شياطين وعفاريت !!

وبعضهم يقول : الظلمة تتولد شياطين .. والنور يتولد ملائكة .. والنور لا يقدر على الشر ولا يجيء منه .. والظلمة لا تقدر على الخير ولا يجيء منها (٤٩) !!

وعبدت طائفة الملائكة .. والجن .. والشياطين !!
وفي هؤلاء يقول الله تعالى : « ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول

للملائكة أهولاء اياكم كانوا يعبدون • قالوا سبحانك أنت ولينا من
دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن ، أكثرهم بهم مؤمنون» (٥٠) •
ويقول تعالى ((ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان ،
انه لكم عدو مبين)) (٥١) •

وانحط آخرون •• فعبدوا الطيور •• والحيوانات •• والأفاعى !!
وعبد أقوام الشجر والحجر •• فقد كانت « العزى » نخلة تأتيها
شيطانة بوادى حراض •• كما كانوا يتمسحون ويتبركون بشجرة يعلقون
عليها أسلحتهم وأطلقوا عليها « ذات أنواط » !!
وكانت « اللات » صخرة مربعة بالطائف !!

* * *

* عبادة الملوك والفراعين :

وانتسب بعض الملوك والفراعين الى الآلهة التى يعبدونها ••
كما ادعى البعض الآخر الألوهية لنفسه !!

وقد ذكر القرآن الكريم منهم : نمرود ابراهيم ، وفرعون موسى !!
ولم يدع النمرود أنه خالق السموات أو الأرض •• ولا نسب
لنفسه القدرة على خلق ذبابة أو ما دونها •• ولكنه استند فى دعواه
الى سطوة الملك وسلطة التشريع والتقنين !!
ولهذا عندما حاجه ابراهيم عليه السلام فى أمر توحيد الألوهية ••
استند النمرود على سلطته كملك غاشم يملك الرقاب •• يقتل من يشاء
ويعفو عن يشاء !!

يقول الله تعالى : ((ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن
آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى
وأميت ، قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من
المغرب فبهت الذى كفر ، والله لا يهدى القوم الظالمين)) (٥٢) •

ولم يدع فرعون موسى أنه خالق السموات والأرض •• ولا نسب
لنفسه القدرة على الخلق والابداع •• ولكنه استند أيضا فى دعواه
على سطوة الملك وسلطة التشريع والتقنين !!

(٥١) يس : ٦٠

(٥٠) سبأ : ٤٠ ، ٤١

(٥٢) البقرة : ٢٥٨

ولم يجد أمامه من حجة تسند دعواه الا أن يقول : « يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي ، أفلا تبصرون » (٥٣) .
فاستند على سلطته وقدرته كملك قوى غاشم يملك البلاد والأنهار
.. ومن ثم يملك الرقاب والعباد !!

ولكنهما أبدا لم يدعيا ألوهية الخلق والابداع !!
وكل من حرم حلالا أو حل حراما فقد شرع في دين الله ما لم ينزل
به سلطانا .. وأتى بذلك بابا من الكبائر .

عن عدى بن حاتم قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي
صليب من ذهب .. فقال : « ما هذا يا عدى ؟ .. اطرح عنك هذا
الوثن » .. وسمعتة يقرأ في سورة براءة : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم
أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا ،
لا اله الا هو ، سبحانه عما يشركون » (٥٤) .. فقلت : ما عبدوهم
يا رسول الله .. فقال : « أما انهم لم يكونوا يعبدونهم .. ولكنهم كانوا
إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه .. وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه » (٥٥) .
والله سبحانه وتعالى يقول « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك
هم الكافرون » (٥٦) .

ويقول جل وعلا : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم
الظالمون » (٥٧) .

ويقول جل شأنه : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم
الفاستقون » (٥٨) .

* * *

* الشرك .. والأديان السماوية :

عرف اليهود الاله الواحد .. وآمنوا أنه تعالى واحد لا شريك له .
لا يرى ولا يقدر أحد أن يراه .. وليس كمثله شيء .. وهو متصف
بكل كمال .. منزّه عن كل نقص .. ولا يحده مكان ولا زمان .
ولكنهم قصروه عليهم وحدهم .. واعتقدوا في امكانية تجسده
— تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا — !!

(٥٤) التوبة : ٣١

(٥٦) المائدة : ٤٤

(٥٨) المائدة : ٤٧

(٥٣) الزخرف : ٥١

(٥٥) رواه الترمذى .

(٥٧) المائدة : ٤٥

ونقرأ في سفر التثنية الحضر على افراد الله وحده بالعبادة :
« ... اسمع يا اسرائيل : الرب الهنا رب واحد .. فثحب الرب الهك
من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك » ..

كما جاء في انجيل مرقس — لدى النصارى — : « ان اول الوصايا :
هى اسمع يا اسرائيل .. الرب الهنا اله واحد » .

فكيف نشأت عقيدة التعدد لدى أتباع هذين الدينين السماويين ؟؟
رأينا أن موضوع التعدد يكاد يكون عاما في جميع الثقافات
القديمية .. قال به المصريون القدماء .. كما قال به الآشوريون والبابليون
والفرس والهنود والصينيون واليونانيون ..

وأول من قال بالتثليث هم البابليون عام ٤٠٠٠ ق.م .
ثم نشأ مذهب « التعدد في وحدة » ، والوحدة في تعدد « لدى
الهنود عام ١٠٠٠ ق.م .

فقد عدوا « براهما » و « فشنو » و « سيفا » ثلاثة جوانب
لاله واحد .. وكانوا يعدون « براهما » واحدا له ثلاثة أقانيم^(٥٩) ..
فهو « براهما » من حيث هو موجود .. و « فشنو » من حيث هو
حافظ .. و « سيفا » من حيث هو مهلك !!

وفي عهد بطليموس الأول أقيم في الاسكندرية معبد لثالوث مكون
من « سيرابيس » و « ايزيس » و « حورس » .. وكانوا يعدونهم
ثلاث هيئات لاله واحد ..

وفي مدرسة الاسكندرية ظهر مذهب « أفلوطين » وخلاصته :
ان مبدأ الوجود وقمته هو « الأول » .. وهو جوهر كامل فياض ..
وفيضه يحدث شيئا غيره .. والشئ المحدث عنه « عقل » ، وهو
شبيه به .. وهذا يفيض بدوره فيحدث صورة منه هى « نفس » ..
وتفيض النفس فتصدر عنها الكواكب والبشر !!

وكانت عادة اليهود القديمة .. أن يطلقوا لقب « ابن الله »
— أى ولى الله وحبيبه — على أى فرد منهم سواء أكان صالحا أم غير
صالح .. فسموا أنفسهم « أبناء الله » — أى أولياءه ومحبيه !!
وتبعهم النصارى في قولهم .. ومن هنا جاء تعبير « ابن الله » ،
و « الأب الذى فى السماء » — عندهم — عاما لم يخص بواحد منهم
الا على سبيل المجاز .. وبالمفهوم الذى كان سائدا لدى اليهود ..

(٥٩) الاقنوم كلمة سريانية تعنى الشخص الاساسى او الرئيسى .

وفد رد الله عليهم افكهم ، وأبطل زعمهم .. فقال تعالى :
« وفاتت آيهم وانصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم
بذنوبكم ، بل أنتم بشر ممن خلق ، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ،
والله ملك السموات والأرض وما بينهما ، واليه المصير » (١٠) .

واعترى الذين قصرُوا النبوة — سواء على التعزير أو المسيح —
متساوين مع الذين كفروا .. بعد أن أخرج التخصيص مفهوم اللفظ
عن معناه المجازى الذى كان سائدا ..

وفى عهد المسيح عليه السلام أشاع الرومان — الذين كانوا
يؤمنون بتجسد الآلهة — فكرة ألوهية المسيح .. مما شجع « بولس »
— وكان يهوديا تظاهرا بالنصرانية — على الجهر بدعوى الاثنينية ..
ونادى بأقنوم لأب .. وأقنوم آخر للأبن .. وجعل بينهما علاقة
نسبية بعد أن كانت هذه البنوة معنى مجازيا للأبوة والبنوة على
السواء !!

وفى المجمع المسكونى الثانى بالقسطنطينية عام ٣٨١ ميلادية ..
اعن بطريرك الاسكندرية اعتبار « الروح القدس الها » .. فأصبحت
الأقنيم بذلك ثلاثة !!

وينقسم النصارى الى شرقيين — وهم الأرثوذكس ، وكان يطلق
عليهم قديما اسم اليعاقبة ، وغربيين — وهم الكاثوليك ، وكانوا
يسمون الملكانية — !!

ويعتقد الأرثوذكس بأن الله واحد فى أقنيم ثلاثة .. اذ بزعمون
أن أقنوم « الأب » نزل من السماء .. واختبأ فى بطن مريم — عليها
السلام — تسعة شهور .. تطور خلالها بداخله من نطفة الى علقة ثم
مضغة ثم أصبح جنينا متكاملا .. وخرج من بطنها طفلا — أقنوم
« الابن » — ونما كما ينمو سائر الأطفال .

ولما بلغ الثلاثين من عمره بلغ الرسالة .. وبعد سنتين وبضعة
شهور قتله اليهود وصلبوه .. ثم دفن فى القبر ثلاثة أيام .. ونزل
الى الجحيم وهو فى القبر .. ثم خرج فى اليوم الثالث وصعد الى
السموات — وأصبح بذلك الأقنوم الثالث « روح القدس » — واتخذ
الاسم الذى كان له قبل انشاء العالم !!

فهو يسمى عندهم « الأب » قبل التجسد .. ويسمى « الابن » بعد التجسد .. ويسمى « روح القدس » بعد صعوده من الجحيم !!
وعلى هؤلاء رد القرآن الكريم بقوله . « لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح ابن مريم ، قل ممن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ، والله ملك السموات والأرض وما بينهما ، يخلق ما يشاء ، والله على كل شيء قدير » (١١٠) .

وقال تعالى . « لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح ابن مريم ، وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم ، أنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصار » (١١١) .
ويعتقد الكاثوليك أن الآلهة ثلاثة أقانيم متميزة ومنفصلة :
الأب .. والابن .. وروح القدس .. فالأب غير الابن .. والابن غير الأب .. وهما معا غير الروح القدس !!

رمع ذلك فهم شيء واحد في الطبيعة والذات والحكمة !!
ويتساوى عندهم أقنوم الابن بالأب بحسب لاهوته .. وهو دون الأب بحسب ناسوته !!
ثم يقولون بالواحد في ثلاثة .. والثلاثة في واحد !!

وعلى هؤلاء يرد القرآن الكريم بقوله تعالى : « لقد كفر الذين قالوا أن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا الله وأحد ، وأن لم ينهوا عما يقولون ليمس من الذين كفروا منهم عذاب اليم . أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه ، والله غفور رحيم . ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ، انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون . قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا ، والله هو السميع العليم » (١١٢) .

لقد رد الله تعالى على الذين قالوا أن الله هو المسيح عيسى ابن مريم .. وحكم بكفرهم ..

كما رد على الذين هالوا أن الله ثالث ثلاثة .. وحكم بكفرهم ..
وقضى تعالى بكفر الذين جعلوا له ابنا .. سبحانه : « لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد » (١٦٤) .

(٦٢) المائدة : ٧٢

(٦٤) الاخلاص : ٣ ، ٤

(٦١) المائدة : ١٧

(٦٣) المائدة : ٧٣ - ٧٦

وقرن اليهود والنصارى بالذين أشركوا فقال : « وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأنفواهم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله ، أنى يؤفكون » (٦٥) .

ويقول تعالى : « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسوله ، ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيرا لكم ، إنما الله اله واحد ، سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض ، وكفى بالله وكيلًا . لن يستتلف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ، ومن يستتلف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا » (٦٦) .

* * *

ويوم القيامة يفصل الله بينهم .. ويطهر الحجة عليهم ..

اذ يتبرأ المسيح عليه السلام من كفرهم وباطلهم .. فما دعاهم إلى عبادته أو تقديسه .. إنما كانت دعوته هي دعوة الرسل منذ خلق الله الأرض ومن عليها : « ان الله ربى وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم » (٦٧) .

ويحدثنا الله تعالى عن هذا المشهد الخالد من يوم القيامة .. حيث توفى كل نفس ما عملت .. فيقول وهو أصدق القائلين :

« واذا قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ، قال سبحانه ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك ، انك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شىء شهيد » (٦٨) .

* * *

ثبت فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« يقول الله تعالى : شتمنى ابن آدم ولم يكن له ذلك ، يزعم أن لى ولدا وأنا الأحد الصمد الذى لم ألد ولم أولد ولم يكن لى كفوا أحد » .

(٦٦) النساء : ١٧١ ، ١٧٢

(٦٨) المائدة : ١١٦ ، ١١٧

(٦٥) التوبة : ٣٠

(٦٧) آل عمران : ٥١

وفي الصحيح أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله ، انهم يجعلون له ولدا وهو
يرزقهم ويعافيهم » .

وهكذا شأن الله تعالى دائما ، فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال : « ان الله ليملى للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته » . .
آمنت بالله وحده . . لا اله الا هو سبحانه :

• « ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير » (٦٩) .

• « ما اتخذ صاحبة ولا ولدا » (٧٠) .

• « ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا » (٧١) .

• « سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا » (٧٢) .

* * *

* تحدى !! . . .

تحدى الله تعالى المشركين فقال : « خلق السموات بغير عمد
ترونها ، وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة ،
وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم . هذا خلق الله
فأروني ماذا خلق الذين من دونه ، بل الظالمون في ضلال مبين » (٧٣) .

لقد خلق الله تعالى السموات ورفعها بغير عمد . . وبسط الأرض
وثبتها بالجبال حتى لا تضطرب . . ونشر فيها من كل الحيوانات التي
تمشي وتتحرك . . وأنزل من السماء ماء فأنبت به نباتا من كل صنف . .
مختلفا في منافعه . .

هذه هي قدرة الله ماثلة أمامكم . . ترونها في كل وقت وحين . .
فماذا خلقت آلهتكم المزعومة ؟ . . تلك الآلهة التي جعلتموها شريكة
لله تعالى !!

أليس ما أنتم عليه هو الضلال الواضح ؟

وقال تعالى : « الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم ،
هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء ، سبحانه وتعالى عما
يشركون » (٧٤) .

(٧٠) الجن : ٣

(٧٢) الاسراء : ٤٣

(٧٤) الروم : ٤٠

(٦٩) الشورى : ١١

(٧١) الفرقان : ٢

(٧٣) لقمان : ١٠ ، ١١

الله وحده هو الذى اوجدكم من العدم .. ثم يرزقكم بما تعيشون به .. وهو وحده الذى يميّتكم اذا انتهت اعماركم واجابكم .. ثم هو وحده الذى سوف يبعثكم من قبوركم يوم القيامة .
هل تستطيع انهنم انى بزعمونها وتعبدونها من دون الله ان تفعل شيئاً من ذلك .

أهى التى اوجدتكم ورزقتكم .. تستطيع امانتكم ثم احيائكم !!
تنزه الله وتعالى عما تشركون به ..
وقال جل ثناؤه : « يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ،
أن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وان
يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب .
ما قدروا الله حق قدره ، أن الله لقوى عزيز » (٧٥) .

لندع السماء والارض والجبال والبحار جانباً .. فقد ثبت أن
آلهتكم التى تدعونها لم تبدعها ولا تقدر على ذلك ..
ولندع أمر ايجادكم واعاشتكم وامانتكم ثم احيائكم أيضاً ..
فان آلهتكم التى تدعونها لا تملك شيئاً من ذلك ..
هل تستطيع تلك الآلهة المزعومة أن تخلق أحقر الأشياء ؟ ..
هذا الذباب — مثلاً — هل يستطيع خلقه ؟

انهم لا يستطيعون ذلك ويو تضافروا جميعاً على خفه .. بل أن
هذا المخلوق سقاه الحقيقير لو سلبهم شيئاً من القرابين التى تقدمونها
اليهم .. فانهم لا يملكون بحال أن يمنعوه أو يستردوه منه !!
ما أضعف الذباب .. وما أضعف آلهتكم المدعاة !!

هل يليق بكم .. يا من تدعون العقل والفهم .. أن تعبدوا هذه
الأشياء العاجزة وتتجهون اليها بالدعاء .. وتلتئمسون النفع منها ؟!
انكم ما عرفتم الله تعالى حق المعرفة .. ولا عظمتوه حق تعظيمه
حين أشركتم به فى العبادة أعجز الأشياء .. مع أن الله وحده هو القادر
على كل شئ .. وهو العزيز الذى لا يغلبه غالب ..

ويقول جل وعلا : « أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون .
ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون . وان تدعوهم الى الهدى
لا يتبعوكم ، سواء عليكم أدعوتهم أم أنتم صامتون . ان الذين
تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم

صادقين • ألهم أرجل يمشون بها ، أم لهم أيد يبطشون بها ، أم لهم أعين يبصرون بها ، أم لهم آذان يسمعون بها ، قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنتظرون • أن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين • والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون • وأن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعون ، وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون» (٧٦) •

هل من العدل أن تشركوا مع الله أصناما لا تقدر على إيجاد شيء • •
مهما ضل أو هان ؟!

أليست هذه الآلهة المزعومة من مخلوقات الله ؟!

إنها لا تقدر على نصر عبدتها • • ولا تقدر على نصر أنفسها إذا تعدى الغير عليها • •

وإن دعوتهم لها لترشدكم إلى ما تحبون لا تستطيع إجابتكم إلى مرادكم • • فالأمر سواء عندكم في عدم الفائدة • • دعوتهم لها أم سكتهم عن دعائها • • فإن حالكم لن يتغير في الحالين !!

إن الذين تعبدونهم من دون الله • • وتتجهون إليهم بالدعاء • • وترجون النفع منهم — سواء أكانوا أصناما من حجر • • أم موتى مقبورين — خاضعين جميعا لله بحكم تكوينهم • • فهم مثلكم مسخرين لأمره تعالى • •

ولو كنتم صادقين في زعمكم أنهم يقدرون على أي فعل • • فاطلبوه منهم • • وانتظروا أن يحققوه لكم • • وهيات !!

إن هذه الأصنام — وهؤلاء الموتى — أقل منكم في الخلق والتكوين • • فليس لهم أرجل يمشون عليها • • أو أيد يدفعون بها الضر عنكم وعنهم • • وليس لهم أعين يبصرون بها • • أو آذان يسمعون بها • • فكيف يحققون لكم ما تطلبون منهم ؟!

ليس لهم من ذلك شيء • فكيف تشركونهم مع الله في العبادة ؟!
ثم يطلب الله تعالى من رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتحداهم بدوره ، ويقول لهم : إذا كنتم تتوهمون أن هذه الأصنام تستطيع أنزال الضر بي أو بأحد • • فاني أتحداكم أن تتادوها وتدبروا معها ما تشاءون • • من غير امهال أو انظار • • فانها لن تستطيع شيئا • •

فلا تمهلوني وأسرعوا بتدبيركم فاني لا أبالي بها .. ان الله وحده
هو ناصرى عليكم .. وله وحده ولايتى .. وهو الذى أوحى الى بالقرآن
.. وهو وحده ناصر الصالحين من عباده ..

أما آلهتكم التى تطلبون منها النصر من دون الله .. فانها لا تستطيع
نصركم ولا تملك نصر انفسها .. ولن تسمعكم حين تسألونها الهداية
الى ما فيه خيركم .. فضلا عن استطاعتها ارشادكم ..

ثم يقول لنبيه وصفيه صلى الله عليه وسلم .. واصفا حال
المشركين : وانك لتراهم فى مقابلك كأنما يفترون اليك .. ويفهمون قولك
.. ولكنهم فى الحقيقة لا يرون شيئا .. ولا يفهمون شيئا .. فقد
أعمى الله بصائرهم وأصمهم ..

* * *

الشرك الأصغر .. شرك العقائد ..

يقول الله تعالى : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ، ألا تشركوا به شيئا ، وبآلوالدين أحسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من أملاق ، نحن نرزقكم وإياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا تكلف نفسا إلا وسعها ، وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون » (١) .

ويقول تعالى : « فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » (٢) .

ويقول جل شأنه : « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما » (٣) .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر » — ثلاثا — قالوا : بلى يا رسول الله .. قال : « الاشرak بالله .. وعقوق آوالدين » — وكان متكئا فجلس ثم قال : « ألا وقول الزور .. ألا وشهادة الزور » .. فما زال يكررها حتى قالوا : ليته سكت اشفاقا عليه .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اجتنبوا السبع الموبقات » .. قيل : يا رسول الله .. وما هن ؟ قال : « الشرك بالله .. والسحر .. وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق .. وأكل مال اليتيم .. وأكل الربا .. والتولى يوم الزحف .. وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » (٤) .

وروى أحمد والطبرانى .. عن أبى على — رجل من بنى كاهل — قال : خطبنا أبو موسى الأشعري فقال : يا أيها الناس .. اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل ..

(٢) الكهف : ١١٠

(٤) رواه مسلم .

(١) الانعام : ١٥١ ، ١٥٢

(٣) النساء : ٤٨

فقام اليه عبد الله بن حزن وقيس بن المضارب فقالا : والله
لنخرجن مما قلت أو لنأتين عمر مأذونا لنا أو غير مأذون ..
فقال : بل أخرج مما قلت .. خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم فقال : « يا أيها الناس .. اتقوا هذا الشرك ، فإنه أخفى
من دبيب النمل » .. فقال له من شاء الله أن يقول : وكيف نتقيه وهو
أخفى من دبيب النمل يا رسول الله ؟
قال : « قولوا : اللهم انا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه
ونستغفرك لما لا نعلمه » .

* * *

ولقد رأينا أن أول ما أضل الناس الى عبادة الأصنام تعظيم
القبور وتقديس الموتى !
ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان من كان قبلكم
كان اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه
تلك الصور .. أو تلك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » ..
وقال صلى الله عليه وسلم : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا
قبور أنبيائهم مساجد » .
كما قال صلى الله عليه وسلم : « اشتد غضب الله على قوم اتخذوا
قبور أنبيائهم مساجد » (٥) .
وفي الصحيح : قال صلى الله عليه وسلم : « ان من شرار الناس
من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد » .
كما قال صلى الله عليه وسلم : « لعن الله زوارات القبور والمتخذين
عليها المساجد والسرج » ..
وروى الامام مالك رضى الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم
كان يدعو فيقول : « اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد » .

وما ذاك الا لأن تعظيم القبور وتقديس الموتى قد أديا الى اتخاذ
المقبرين شفعا ووسطاء .. يقترب الناس اليهم بالنذور والقرايين ..
ويتوجهون اليهم بالسؤال والدعاء ..
وكما أمرنا الله تعالى بافراده وحده بالعبادة .. ونهى عن اشراك
سواه فيها وعاقب على ذلك .. أمرنا بافراده وحده بالدعاء .. ونهى

(٥) رواه أحمد وابن حبان .

عن اشرارك سواء فيه وعاقب على ذلك .. فقال تعالى ولا يزال قائلاً :
« وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » (١) .

وقال تعالى : « وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب ، أجيب دعوة
الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » (٢) .

ويقول جل شأنه : « وقال ربكم ادعونى أستجب لکم ، ان الذين
يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين » (٣) .

فسمى الدعاء عبادة .. والاعراض عنه استكبارا ..
وفى الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« الدعاء مخ العبادة » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت
فاستعن بالله .. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء
لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك .. واذا اجتمعوا على أن يضروك
بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك .. رفعت الاقلام وجفت
الصحف » (٤) .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : أوصانى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعشر كلمات فقال : « لا تشرك بالله شيئا وان قتلت وحرقت
.. ولا تعقن واديك وان أمراك ان تخرج من أهلك ومالك .. ولا تترك
صلاة مكتوبة متعمدا فان من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت
منه ذمة الله .. ولا تشربن خمرا فانه رأس كل فاحشة .. واياك والمعصية
فان بالمعصية حل سخط الله .. واياك والفرار من الزحف وان هلك
الناس .. ون أصاب الناس موت فاثبت .. وأنفق على أسلاك من طونك ..
ولا ترفع عنهم عصاك أدبا .. وأخفهم فى الله » (٥) .

* * *

قلنا ان الشرك نوعان .. أكبر وأصغر .. جلى وخفى ..

وقلنا ان الشرك الأكبر — وهو الشرك الجنى — هو شرك العبادة
الذى يضاد التوحيد .. وهو أن يجعل لله ندا فى ذاته أو صفاته .

(٧) البقرة : ١٨٦

(٩) رواه الترمذى .

(٦) الجن : ١٨

(٨) غافر : ٦٠

(١٠) رواه أحمد والطبرانى فى الكبير .

ويقول الله تعالى : « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله ، ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب » (١١) .

سأل ابن مسعود الرسول صلى الله عليه وسلم : أى الذنب اعظم عند الله ؟ قال : « ان تجعل لله ندا وهو خلقك » .. قال قلت : ان ذلك عظيم .. ثم أى ؟ قال : « ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك » قال قلت : ثم أى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أن تزاني حيلة جارك » (١٢) .

أما الشرك الأصغر وهو الشرك الخفى .. فهو شرك العقائد كالرياء فى العبادات .. والنذر لغير الله .. والحنف بغيره تعالى .. وتحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحله .. والاعتقاد فيما سواه من جلب النفع أو دفع الضرر ..

● وأكبره الرياء فى العبادات ..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » فقيل : وما هو يا رسول الله ؟ قال : « الرياء .. يقول الله تعالى يوم يجازى العباد بأعمالهم : اذهبوا الى الذين كنتم ترءونهم بأعمالكم فانظروا هل تجدون عندهم جزاء » (١٣) .

وروى ابن خزيمة فى صحيحه .. عن محمود بن لبيد قال : خرج النبى صلى الله عليه وسلم وقال : « اياكم وشرك السرائر » قالوا : يا رسول الله .. وما شرك السرائر ؟ قال : « يقوم الرجل فيصلى فيزين صلاته جاهدا لما يرى من نظر الناس اليه .. فذلك شرك السرائر » ..

فالمرأى يطلب الرفعة والمنزلة والجاه عند الناس .. فهو يجاهر بصلاته وصدقته وصومه أمامهم ليظنوا فيه الصلاح والتقوى .. وليكون عندهم محمودا يذكرون من صلاته واحسانه وتقواه .. وعمله مردود عليه ، لأنه كله للناس وليس خالصا لله تعالى .. ولهذا فهو عند الله من الخاسرين ..

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان أول ما يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد

(١٢) رواه مسلم .

(١١) البقرة : ١٦٥

(١٣) رواه أحمد والبيهقى والطبرانى .

فأتى به فعرفه نعمه فعرفها .. قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك - أى في سبيلك - حتى استشهدت . قال : كذبت .. ولكنك قاتلت لأن يقال فلان جريء ، فقد قيل .. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار ..

ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن ، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها .. فقال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعملت وقرأت فيك القرآن .. قال : كذبت .. ولكنك تعلمت ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال هو قارىء ، فقد قيل .. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار ..

ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك .. قال : كذبت .. ولكنك فعلت ليقال هو جواد ، فقد قيل .. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار» (١٤) .

وفي الحديث الشريف : « قال الله عز وجل : أنا أغنى الشركاء عن الشرك .. فمن عمل لي عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو للذي أشرك » (١٥) .

وعن أبي سعيد بن أبي فضالة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة نيوماً لا ريب فيه .. نادى مناد : من أشرك في عمله أحداً فليطلب ثوابه من عنده .. فان الله أغنى الشركاء عن الشرك » (١٦) .

وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما النجاة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « أن لا تخادع الله » فقال : وكيف يخادع الله ؟ قال : « أن تعمل عملاً أمرك الله ورسوله به وتريد به غير وجه الله .. واتق الرياء فإنه الشرك الأصغر .. وان المرائي ينادى عليه يوم القيامة على رؤوس الخلائق بأربعة أسماء : يا مرائي .. يا غادر .. يا فاجر .. يا خاسر : ضل عملك وبطل أجرك فلا أجر لك عندنا .. اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له يا مخادع » (١٧) .

(١٤) رواه مسلم والنسائي والترمذي وحسنه ابن ماجه .

(١٥) رواه ابن ماجه . (١٦) رواه الترمذي وابن حبان والبيهقي .

(١٧) رواه ابن أبي الدنيا .

• والنية هي أساس العمل •• وشرطه الاخلاص •• لذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرئ ما نوى •• فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله •• ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه » (١٨) •

* * *

● ومن نذر لغير الله فقد أشرك •• ومن حلف بغير الله فقد أشرك •• ومن توكل على غير الله فقد أشرك •• ومن استعان بغير الله فقد أشرك ••

روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سمع رجلا يقول : لا •• والكعبة •• فقال ابن عمر : من حلف بغير الله فقد كفر — أو أشرك (١٩) •
وقال صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حائفا فليحلف بالله أو ليصمت » •

وقال رجل للرسول صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله وشئت •• فقال : « أجعلتنى لله ندا ؟ •• قل : ما شاء الله وحده » •

« وكذلك من يقول : أنا متوكل على الله وعليك •• وأنا في حسب الله وحسبك •• ومالى الا الله وأنت •• وهذا من بركات الله وبركاته •• والله في السماء وأنت في الأرض •• أو يقول : نذرا على لفلان •

فكل هذا يعتبر اعتمادا على غير الله •• والمفروض أن يكون الاعتماد والاتكال على الله وحده •• ولا مانع أن يكون هناك تعاون بين المؤمنين على البر والتقوى ••

وكذلك من يشبه به في الاسم الذى لا ينبغي الا له وحده •• كملك الملوك •• وحاكم الحكام ••

« •• ان السجود والعبادة والتوكل والانابة والتقوى ، والخشية ، والتحسب ، والتوبة ، والنذر ، والحلف ، والطواف بالبيت ، والدعاء : كل ذلك محض حق الله تعالى •• لا يصلح لسواه من ملك مقرب أو نبي مرسل » (٢٠) •

* * *

(١٨) رواه البخارى ومسلم • (١٩) رواه الترمذى •
(٢٠) من وصايا الرسول — لفيلة الشيخ طه عبد الله العفيفى

● وتعليق التمايم — وهى خرزات يعلقها الجاهل على أنفسهم وأولادهم ودوابهم وعرباتهم ، ويزعمون أنها ترد العين — وكذا الودع .. واتخاذ الرقى والعزائم .. والتولة — وهى العمل يعمل ويزعمون أنه يحجب المرأة الى زوجها والرجل الى امرأته — واعتقاد أن لهذه الأشياء تأثير بذاتها .. كل ذلك شرك ..

عن عقبة بن عامر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من تعلق تميمة فلا أتم الله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له » .

وفى رواية : « من تعلق تميمة فقد أشرك » .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه : « من الرقى والتولة شرك » .

ويقول الامام الخطابى : « وأما اذا كانت الرقية بانفران او بأسماء الله تعالى فهى مباحة لان انبى صلى الله عليه وسلم كان يرقى الحسن والحسين رضى الله عنهما فيقول : « أعيدكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة » ..

وعن عبدة بن رفاعه أن أسماء بنت عميس قالت : يا رسول الله .. أن بنى جعفر تصيبهم العين .. أفنسترقى لهم ؟ قال : « نعم .. فلو كان شئ يسبق القضاء لسبقته العين » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجان ، وعين الانسان .. حتى نزلت المعوذتان ، فلما نزلتا أخذهما وترك ما سواهما » .

وعن قيس بن حازم عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط : أعوذ برب الفلق .. وأعوذ برب الناس » .

● والسحر واتيان العراف والكاهن ، والتصديق بهذه الأمور من أكبر الكبائر .. بل انه ليؤدى الى الكفر والعياذ بالله !!

فالله وحده هو القادر .. وهو القاهر فوق عباده .. وبيده وحده تصريف الأمور .. ولا يعلم الغيب سواه تعالى ..

واعتقاد قدرة أحد من البشر على تصريف الأمور .. أو انكشاف أمر الغيب له .. باب من أبواب الشرك ..

يقول الله تعالى عن السحر وتأثيره فى الناس : « واتبعوا ما تنزلوا

الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ، وما يعلمان من احد حتى يقولوا انما نحن فتنه فلا تكفر ، فيتعلمون منهما ما يدرقون به بين المرء وزوجه ، وما هم بضارين به من احد الا بآذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ، ولبيئس ما شروا به انفسهم ، لو كانوا يعلمون» (١١) .

عن عمران بن الحارث قال : بينا نحن عند ابن عباس اذ قال : ان الشياطين كانوا يسترقون السمع من السماء .. فيجىء أحدهم بكلمه حق .. فاذا جرب من أحدهم الصدق كذب معها سبعين كذبة فيبشر بها قلوب الناس .. فاطلع على ذلك سليمان .. فأخذها فدفنها تحت الكرسي .. فلما مات سليمان قام شيطان الطريق فقال : ألا أدلكم على كنز سليمان المنيع الذي لا كنز له مثله ؟ قالوا : نعم . قال : تحت الكرسي فأخرجوه .. فقالوا : هذا سحر سليمان سحر به الأمم .. فأنزل الله عذر سليمان : « واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر » ... الآية ..

وقال الكلبي : ان الشياطين كتبوا السحر والنارنجيات على لسان آصف : « هذا ما علم آصف بن برخيا الملك » .. ثم دفنوها تحت مصلاه حين نزع الله ملكه .. ولم يشعر بذلك سليمان .. ولما مات سليمان استخرجوه من تحت مصلاه وقالوا للناس : انما ملككم سليمان بهذا فتعلموه .. فلما علم علماء بنى اسرائيل قالوا : معاذ الله أن يكون هذا علم سليمان .. وأما السفلة فقالوا : هذا علم سليمان .. وأقبلوا على تعلمه .. ورفضوا كتب أنبيائهم .. ففشت الملامه لسليمان .. فلم تزل هذه حالهم حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم .. وأنزل الله عذر سليمان على لسانه ونزل براءته مما رمى به » ..

وقال السري : « ان الناس في زمن سليمان كتبوا السحر فاشتغلوا بتعلمه .. فأخذ سليمان تلك الكتب فدفنها تحت كرسيه ونهاهم عن ذلك .. ولما مات سليمان وذهب من كانوا يعرفون دفن الكتب .. فتمثل شيطان على صورة انسان .. فأتى نفرا من بنى اسرائيل وقال : هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبدا ؟ قالوا : نعم . قال : فاحفروا

تحت الكرسي .. فحفروا فوجدوا تلك الكتب .. فلما أخرجوها قال الشيطان : ان سليمان ضبط الجن والانس والشياطين والطيور بهذا .. فاخذ بنو اسرائيل تلك الكتب .. فلذلك أكثر ما يوجد السحر في اليهود .. فبرأ الله عز وجل سليمان في ذلك وأنزل هذه الآية « (٢٢) » .

وقال الله تعالى عن السحرة وعملهم : « **أنما صنعوا كيد ساحر ، ولا يفلح الساحر حيث أتى** » (٢٣) .

ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الاعتقاد في السحر فقال : « **اجتنبوا السبع الموبقات** » .. قيل : وما هن يا رسول الله ؟ قال : « **الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات** » (٢٤) .

فعد صلى الله عليه وسلم السحر مساويا في اثمه للشرك بالله وقتل النفس التي حرم الله ..

وعن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن خمر .. وقاطع رحم .. ومصديق بالسحر** » (٢٥) .

* * *

● وأما عن علم الغيب .. فقد قال الله تعالى : « **وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين** » (٢٦) .

وقال تعالى : « **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا . الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا** » (٢٧) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : « **من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم** » (٢٨) .
وعن زيد بن خالد الجهني رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله

(٢٢) أسباب النزول — للنيسابورى — نشر دار الكتب العلمية

(٢٣) طه : ٦٩

بيروت ص ١٩ ، ٢٠

(٢٥) رواه أحمد .

(٢٤) متفق عليه .

(٢٧) الجن : ٢٦ ، ٢٧

(٢٦) الانعام : ٥٩

(٢٨) أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه .

صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح في اثر سماء كانت من الليل .. فلما انصرف أقبل على الناس بوجهه فقال : « هل تدرون ماذا قال ربكم » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : قال : « أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر .. فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب .. وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا .. فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب » (٢١) .

وعن صفية بنت أبي عبيد رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أتى عرافا فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوما » (٢٠) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أناس عن الكهان فقال : « ليس بشيء » .. قايوا : يا رسول الله .. أليس قد قال كذا وكذا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تلك الكلمة من الحق يحفظها الجنى فيقرها في أذن وليه — أى يلقيها — فيخلط معها مائة كذبة » (٢١) .

وعنها رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الملائكة تنزل في العنان — أى السحاب — فتذكر لأمر قضى في السماء فيسترق الشيطان السمع فيسمعه فيوحيه الى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم » (٢٢) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر .. زاد ما زاد » .

وقال على بن أبي طالب كرم الله وجهه : الكاهن ساحر . والساحر كافر في الدنيا والآخرة ..

وعن قبيصة بن المخارق رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « العياغة والطيرة والطرق من الجبت » (٢٣) .

* * *

-
- (٢٩) رواه البخارى ومسلم . (٣٠) رواه مسلم .
(٣١) رواه البخارى ومسلم . (٣٢) رواه البخارى .
(٣٣) رواه أبو داود — والعياغة : الخط ، والطيرة : التشاؤم ، والطرق : الزجر .. أى زجر الطير ثم يتيامن أو يتشائم بطيرانه ، والجبت : الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك .

● واستحلال أكل ما حرمه الله تعالى مما لم يذكر عليه اسمه
 .. كالميتة .. وما أهل به لغير الله .. والمنخنقة .. والموقوذة ..
 و المتزديه .. والنطيحة .. وما اكل السبع .. مما لم يذكر .. وما ذبح
 على المنصب .. كل ذلك شرك !!

فعن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى : « ولا تأكلوا
 مما لم يذكر اسم الله عليه وأنه لفسق ، وان الشياطين ليوحون الى
 اوليائهم ليبدلنكم وان اطعتموهم انكم لمشركون » (٣٤) .

يقول ابن عباس : أوحى الشيطان الى أوليائه من الانس :
 كيف تعبدون شيئاً لا تأكلون ما يقتل ، وأنتم تأكلون ما قتلتم ؟ ..
 يحرضهم بذلك على استحلال أكل الميتة .. فأنزل الله تعالى :
 « وان اطعتموهم انكم لمشركون » .

ولهذا يقول الزجاج : من أحل شيئاً مما حرم الله .. أو حرم
 شيئاً مما أحل الله فهو مشرك ..

* * *

● ومن شرع في دين الله ما لم ينزل به سلطاناً .. فقد جعل نفسه
 شريكاً لله تعالى في التشريع .. ومن رضى من الناس بقوله أو بفعله
 فهو مشرك .. والله تعالى يقول : « ان الحكم الا لله ، أمر ألا تعبدوا
 الا اياه ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (٣٥) .

ويقول تعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم
 الكافرون » (٣٦) .

ويقول جل شأنه : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم
 الظالمون » (٣٧) .

ويقول جل وعلا : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم
 الفاسقون » (٣٨) .

فحكم بفسقهم .. وظلمهم .. وكفرهم ..
 ويقول تعالى : « وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه
 من الكتاب ومهيئاً عليه ، فاحكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم
 عما جاءك من الحق ، لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء الله

(٣٥) يوسف : ٤٠

(٣٧) المائدة : ٤٥

(٣٤) الانعام : ١٢١

(٣٦) المائدة : ٤٤

(٣٨) المائدة : ٤٧

لجعلكم أمة واحدة ولكن ليلوكم في ما آتاكم ، فاستبقوا الخيرات ، الى
الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون . وأن احكم بينهم
بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل
الله اليك ، فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ،
وان كثيرا من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون . ومن أحسن
من الله حكما لقوم يوقنون» (٣٩) .

* * *

وختاما .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل
رضي الله عنه : « يا معاذ .. أتدرى ما حق الله على العباد ؟ قال :
الله ورسوله أعلم .. فقال صلى الله عليه وسلم : « أن يعبدوه ولا يشركوا
به شيئا .. أتدرى ما حقهم عليه ؟ قال : الله ورسوله أعلم ؟ ..
قال : « أن لا يعذبهم » (٤٠) .

* * *

ظلم عظيم

وصدق الله تعالى : « ان الشرك لظلم عظيم » (١) .

فما من أمة أشركت في عبادتها لله سواء .. الا وحبط عملها ، وكانت عاقبتها الهلاك والدمار .. وفي الآخرة : مآلها الى الخسران المبين ..

والحق أن هذه الأمم — التي أشركت في عبادتها — انما ظلمت نفسها حين جحدت حق الخالق سبحانه وتعالى في افراده وحده بالعبادة والتعظيم فاستحققت بذلك غضبه ونكاله .. فهي في واقع الأمر قد ظلمت نفسها قبل أن تظلم غيرها !!

● قوم نوح .. قال لهم نبيهم نوح عليه السلام : « انى لكم نكير مبين . أن لا تعبدوا الا الله ، انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم » (٢) فكان ردهم عليه : « ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أرائلنا بآدى الراى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين » (٣) .

وأجمعوا رأيهم فيما بينهم : « وقالوا لا تدرن آلهتكم ولا تدرن ودا ولا سواعا ولا يفيث ويعوق ونسرا » (٤) . فكانت عاقبتهم الاغراق لشركهم وكفرهم .. وما ظلموا الا أنفسهم « مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا » (٥) .

● وقوم عاد .. قال لهم نبيهم هود عليه السلام : « يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ، ان أنتم الا مفترون . يا قوم لا أسالكم عليه أجرا ، ان أجرى الا على الذى فطرني ، أفلا تعقلون . ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين » (٦) .

(٢) هود : ٢٥ ، ٢٦ .

(٤) نوح : ٢٣ .

(٦) هود : ٥٠ — ٥٢ .

(١) لقمان : ١٣ .

(٣) هود : ٢٧ .

(٥) نوح : ٢٥ .

فسخروا منه وقالوا له : « يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى
آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين • ان نقول الا اعتراك بعض
آلهتنا بسوء » (٧) .

فأرسل الله عليهم الريح تدمرهم •• يقول تعالى : « فأرسلنا
عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة
الدنيا ، ولعذاب الآخرة أظرف وهم لا ينصرون » (٨) .
فهل ظلموا هودا عليه السلام ؟ •• انهم ما ظلموا الا أنفسهم !!

● وثمود •• قال لهم نبيهم صالح عليه السلام : « يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره ، هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها
فاستغفروه ثم توبوا اليه ، ان ربي قريب مجيب » (٩) .

فاستهزأوا به وقالوا ساخرين : « يا صالح قد كنت فينا مرجوا
قبل هذا ، أتتهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لفى شك مما تدعونا اليه
مريب » (١٠) .

فأهلكهم الله بالصيحة : « وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في
ديارهم جائمين » (١١) .
•• وما ظلموا الا أنفسهم ••

● ومدين •• قال لهم شعيب عليه السلام : « يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره ، ولا تنقصوا المكيال والميزان ، انى أراكم بخير
وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط » (١٢) .

فقالوا : « يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن
نفعل في أموالنا ما نشاء ، أنك لأنت الحليم الرشيد » (١٣) .
قالوها مستهزئين بقوله متعجبين من تفكيره •• وقد عهدوا فيه
حصافة الرأي وأعمال الفكر !!

« فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جائمين • الذين كذبوا
شعيبا كأن لم يفنوا فيها ، الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين » (١٤) .
فهل ظلموا الا أنفسهم !؟

(٨) فصلت : ١٦

(١٠) هود : ٦٢

(١٢) هود : ٨٤

(١٤) الاعراف : ٩١ ، ٩٢

(٧) هود : ٥٣ ، ٥٤

(٩) هود : ٦١

(١١) هود : ٦٧

(١٣) هود : ٨٧

● وأرسل الله موسى عليه السلام الى فرعون مصر .. فقال له :
« يا فرعون انى رسول من رب العالمين » (١٦) .

فكان رده عليه . « وما رب العالمين » (١٦) .

واستبد وتجبر .. وقال لموسى عليه السلام : « لئن اتخذت الاله
غيرى لأجعلنك من المسجونين » (١٧) .

وقال لقومه : « يا ايها الملا ما علمت لكم من اله غيرى » (١٨) .

ونادى فى قومه صارح : « يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار
تجرى من تحتى ، افلا تبصرون » (١٩) .

وأخذته العزة بالملك .. والجبروت بالسلطان .. وقال لمن حوله :
« ذرونى أقتل موسى وليدع ربه ، انى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر
فى الأرض الفساد » (٢٠) .

فكانت عاقبته وجنوده : « فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم ،
فانظر كيف كان عاقبة الظالمين » (٢١) .

... ولم يظلم فرعون سوى نفسه وقومه .

* * *

يقول الله تعالى : « ذلك من انباء القرى نقصه عليك ، منها قائم
وحصيد . وما ظلمهم ولكن ظلموا أنفسهم ، فما آخنت عنهم آياتهم
التي يدعون من دون الله من شىء لما جاء امر ربك ، وما زادوهم غير
تتبيب . وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ، ان اخذه اليم
شديد » (١١) .

أما العاقبة : بعد الهلاك والخسران فى الدنيا .. فالنار فى الآخرة
خالدين فيها .. ولهم العذاب الاليم : « أنكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم أنتم لها واردون . لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها ، وكل
فيها خالدون . لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون » (٢٢) .
... صدق الله العظيم .

* * *

(١٦) الشعراء : ٢٣

(١٨) القصص : ٣٨

(٢٠) غافر : ٢٦

(٢٢) هود : ١٠٠ — ١٠٢

(١٥) الأعراف : ١٠٤

(١٧) الشعراء : ٢٩

(١٩) الزخرف : ٥١

(٢١) القصص : ٤٠

(٢٣) الانبياء : ٩٨ — ١٠٠

الفصل الثالث

ووصينا الإنسان بوالديه

- * شكر الله مقرون بشكر الوالدين
- * بر الأم وطاعتها
- * بر الأم مقدم على الطاعات والقربات
- * غضب الأم يحبط العمل ..
- * وهن على وهن !!
- * البر بالوالدين يرفع الكربات
- * البر بالوالدين يزيد الرزق ويطيل في العمر
- * سب الآباء والأمهات من الكبائر
- * بر الوالدين يكون بطاعتهم في كل أمر
- * وجوب الانفاق على الوالدين
- * البر بالوالدين ولو كانا مشركين
- * صلة الرحم
- * عقوق الوالدين من أكبر الكبائر
- * بر ابن .. وعقوق آخر ..
- * حقوق .. تقابلها واجبات
- * وصايا خالدة ..

ووصينا الانسان بوالديه

يقول الله تعالى : « ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على
وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك الى المصير . وان جاهداك
على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا
معروفا ، واتبع سبيل من أناب الى ، ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم
تعملون » (١) .

ويقول تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين
احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار
الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ، ان الله لا يحب
من كان مختالا فخورا » (٢) .

ويقول جل شأنه : « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين
احسانا ، اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف
ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة
وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » (٣) .

ويقول جل وعلا : « ووصينا الانسان بوالديه حسنا ، وان جاهداك
للتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم
تعملون » (٤) .

* * *

* شكر الله مقرون بشكر الوالدين :

قرن الله تعالى الاحسان للوالدين بتوحيده وعبادته .
كما قرن شكرهما بشكره تعالى ..
وفي ذلك يقول الامام القرطبي : « فأحق الناس بعد الخالق
المنان .. بالشكر والاحسان ، والتزام البر والطاعة والاذعان .. من
قرن الله الاحسان اليهما بعبادته وطاعته .. وشكره بشكرهما ..
وهما الوالدان » ..

(٢) النساء : ٣٦

(٤) العنكبوت : ٨

(١) لقمان : ١٤ ، ١٥

(٣) الاسراء : ٢٣ ، ٢٤

ويقول ابن عباس رضى الله عنهما : « ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث .. لا تقبل منها واحدة بغير قرينتها :

أحداها : قوله تعالى : « اطيعوا الله وأطيعوا الرسول » (٥) فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه ..

الثانية : قوله تعالى : « ومنيموا الصلاة واتوا الزكاة » (٦) فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه .

الثالثة : قوله تعالى : « أن اشكر لى ولوالديك » (٧) فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه .

ولذا يقول النبی صلى الله عليه وسلم : « رضا الله فى رضا الوالدين .. وسخط الله فى سخط الوالدين » (٨) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يجزى ولد والدا إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه » (٩) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من ولد بار ينظر الى والديه نظرة رحمة الا كتب الله له بكل نظرة حجة مبرورة » — أى ثواب حجة مبرورة — قالوا : وإن نظر كل يوم مائة مرة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « نعم .. الله أكبر وأطيب » .

وسئل عمر بن ذر : كيف كان بر ابنك ؟ فقال : ما مشيت نهارا قط الا مشى خلفى .. ولا ليلا قط الا مشى أمامى .. ولا رقى سطحا وأنا تحته ..

وقيل لزين العابدين على بن الحسين رضى الله عنهما : أنت من أبر الناس .. ولا نراك تؤاكل أمك ؟! فقال : أخاف أن تسير يدي الى ما سبقت عينها اليه .. فأكون قد عققتهما (١٠) .

وانما يكون بر الوالدين والاحسان اليهما .. بتوقيرهما وتعظيم شأنهما ، وخفض الجناح لهما ، وتكريمهما بالقول والفعل .. فلا ينهرهما ، ولا يرفع صوته فوق صوتهما ، ولا يمشى أمامهما ، ولا يؤثر عليهما زوجة ولا ولدا ، ولا يدعهما باسمهما ، ولا يسافر الا باذنهما ورضاهما .

(٥) النساء : ٥٩ ، والنور : ٥٤ (٦) النور : ٥٦

(٧) لقمان : ١٤

(٨) رواه الترمذى وابن حبان والحاكم .

(٩) رواه مسلم .

بل ان الرسول صلى الله عليه وسلم فضل بر الوالدين على الجهاد
في سبيل الله والهجرة اليه !!

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : سألت النبی صلى الله
عليه وسلم : أى العمل أحب الى الله تعالى ؟ فقال : « الصلاة على
وقتها » .. قلت : ثم أى ؟ قال : « بر الوالدين » .. فقلت : ثم أى ؟
قال : « الجهاد في سبيل الله » (١٠) .

ومن ذلك أن رجلا جاء الى النبی صلى الله عليه وسلم يستأذنه
في الجهاد فقال : « أحى والداك » ؟ قال : نعم .. قال : « ففيهما
فجاهد » (١١) .

وفي خبر آخر .. قال صلى الله عليه وسلم : « نومك مع أبويك
على فراشهما يضاحكانك ويلاعبانك أفضل لك من الجهاد معي » (١٢) .

ففضل صلى الله عليه وسلم بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله .
وذكر الامام البخارى في كتاب « بر الوالدين » عن عبد الله
ابن عمرو رضى الله عنهما .. قال : جاء رجل الى النبی صلى الله
عليه وسلم يبأيه على الهجرة .. وترك أبويه ييكيان .. فقال صلى الله
عليه وسلم : « ارجع اليهما فأضحكما كما أبكيتهما » .

قال ابن المنذر : في هذا الحديث النهى عن الخروج بغير اذن
الأبوين ما لم يقع النفير .. فاذا وقع وجب الخروج على الجميع .
وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن أصحاب الأعراف .. من هم ؟
وما الأعراف ؟ فقال : « أما الأعراف فهو جبل بين الجنة والنار ..
وانما سمى الأعراف لأنه مشرف على الجنة والنار .. وعليه أشجار
وثمار وأنهار وعيون .. وأما الرجال الذين يكونون عليه فهم رجال
خرجوا الى الجهاد بغير رضا آبائهم وأمهاتهم .. فقتلوا في الجهاد ..
فمنعهم القتل في سبيل الله عن دخول النار .. ومنعهم عقوق الوالدين
عن دخول الجنة .. فهم على الأعراف حتى يقضى الله فيهم أمره » .
يا الله !! رجال خرجوا بغير رضا آبائهم وأمهاتهم بيتغون وجه الله ..
ويريدون الجهاد في سبيله .. ويقتلون في هذه السبيل .. ولكن يحبسهم
العقوق على الأعراف .. بين الجنة والنار .. انتظارا لأمر الله فيهم !؟

(١١) رواه مسلم .

(١٠) متفق عليه .

(١٢) ذكره ابن خويذ منداد .

* بر الأم وطاعتها :

والأم .. التى تتحمل وحدها صعوبة الحمل .. وصعوبة الوضع ..
وصعوبة الرضاع .. ومتاعب التربية .. ينبغى أن تكون محبتها ثلاثة
أمثال محبة الأب .. فقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الأم ثلاث
مرات .. فى حين ذكر الأب فى الرابعة فقط ..

جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله
.. من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : « أمك » .. قال : ثم من ؟
قال : « أمك » .. قال : ثم من ؟ قال : « أمك » .. قال : ثم من ؟
قال : « أبوك » ..

وفى رواية أخرى : قال : يا رسول الله .. من أحق بحسن
الصحبة ؟ قال : « أمك ثم أمك ثم أمك .. ثم أباك .. ثم أدنأك
فأدنأك » ..

يقول المحاسبى فى كتاب « الرعاية » : انه لا خلاف بين العلماء
أن للأم ثلاثة أرباع البر ، وللأب الربع .. على مقتضى حديث أبى هريرة
رضى الله عنه المتقدم ..

وجاء رجل وامرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يختصمان
فى صبي لهما .. فقال الرجل : يا رسول الله .. ولدى خرج من صلبى ..
وقالت المرأة : يا رسول الله .. حملة خفا ووضعته شهوة ..
وحملته كرها ووضعته كرها .. وأرضعته حولين كاملين ..
فقضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمه ..

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص فيما رواه أحمد وأبى داود ..
أن امرأة قالت : يا رسول الله .. ان ابنى هذا كان بطنى له وعاء ..
وحجرى له حواء .. وثديى له سقاء .. وان أباه طلقنى وزعم أنه
ينزعه منى .. فقال صلى الله عليه وسلم : « أنت أحق به ما لم تنكحى » ..



ويرسم لنا الامام البخارى صورة من أروع صور الأمومة الحانية
الشفوق .. حين يصف لنا هاجر — عليها السلام — فى لهفتها وجزعها
.. تسعى حائرة مجهودة بين جبلين .. تبحث عن قطرة من ماء فى
صحراء جرداء مهلكة .. عساها تنقذ وليدها من الهلاك ..
ويكافئها الله تعالى على صبرها ويقينها .. فينبع الماء من تحت

قدمى الوليد .. ويخذ أمومتها ولهفتها .. فيجعل سعيها بحثا عن الماء .. منسكا من مناسك الناس الى يوم الدين ..

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « جاء ابراهيم صلى الله عليه وسلم بأم اسماعيل وبابنها اسماعيل وهى ترضعه .. حتى وضعها عند البيت .. عند دوحة فوق زمزم فى أعلى المسجد .. وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء .. فوضعها هنالك .. ووضع عندها جرابا فيه تمر .. وستاء فيه ماء .. ثم قفى ابراهيم منطلقا .

فتبعته أم اسماعيل فقالت : يا ابراهيم .. أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شىء ؟ .. فقالت له ذلك مرارا .. وجعل لا يلتفت اليها قالت له : الله أمرك بهذا ؟ قال : نعم .. قالت : إذن لا يضيعنا .. ثم رجعت .

فانطلق ابراهيم صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان عند الثانية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت .. ثم دعا بهؤلاء الدعوات .. فرفع يديه فقال : « ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » (*) .

وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل — عليه السلام — وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفذ ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها .. وجعلت تنظر اليه يتلوى — أو قال : يتلبط — فانطلقت كراهية أن تنظر اليه .. فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها .. فقامت عليه .. ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا ؟ فلم تر أحدا .. فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى .. ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا ؟ .. فلم تر أحدا .. ففعلت ذلك سبع مرات ..

قال ابن عباس رضى الله عنهما : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « فذلك سعى الناس بينهما » ..

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا .. فقالت : صه — تريد نفسها — ثم تسمعت .. فسمعت أيضا .. فقالت : قد أسمعت ان كان عندك غواث .. فاذا هى بالملك عند موضع زمزم .. فبحث بعقبه

— أو قال : بجناحه — حتى ظهر الماء .. فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا .. وجعلت تغرف الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف — وفي رواية : بقدر ما تغرف — .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « رحم الله ام اسماعيل .. لو تركت زمزم — أو قال : لو لم تغرف من الماء — لكانت زمزم عينا معينا » .

قال : فشربت وأرضعت وندها فقال لها الملك : لا تخافى الضيعة .. فان ههنا بيتا بينيه هذا الغلام وأبوه .. وان الله لا يضيع أهله .. وخلصها الله تعالى .. وخلص موقفها الرائع الصابر .. وجعل سعيها بحثا عن الماء لوليدها .. منسكا من مناسك الناس الى يوم القيامة .. فقال تعالى : « ان انصفا والمروة من شعائر الله ، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما » (*) .

* * *

* بر الأم مقدم على الطاعات والقربات :

بل ان بر الأم وطاعتها .. مقدم على كثير من الطاعات والقربات .. كما أن كسر خاطرها وتغيير قلبها كفيل بأسخط الله واغضابه .. وفي قصة « جريج » شاهد لذلك .. فقد استجاب الله لدعاء الأم حين دعت على ابنها العابد .. ثم أظهر كرامته للناس لإيمانه وتقواه ..

عن أبي هريرة رضى الله عنه .. عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لم يتكلم في المهد الا ثلاثة : عيسى ابن مريم ، وصاحب جريج — وكان جريج رجلا عبدا ، فاتخذ صومعة فكان فيها .. فأنته أمه وهو يصلى .. فقالت : يا جريج .. فقال : يا رب .. أمى وصلاتى ، فأقبل على صلاته فأنصرفت ..

فلما كان من الغد أنته وهو يصلى .. فقالت : يا جريج .. فقال : أى رب .. أمى وصلاتى ، فأقبل على صلاته ..

: فلما كان الغد أنته وهو يصلى .. فقالت : يا جريج .. فقال : أى رب .. أمى وصلاتى ، فأقبل على صلاته .. فقالت : اللهم لا تمته حتى ينتظر الى وجوه المومسات !!

فتذكر بنو اسرائيل جريجا وعبادته .. وكانت امرأة بغى يتمثل بحسبتها .. فقالت : ان شئتم لأقتنه .. فتعرضت له .. فلم يلتفت

(*) البقرة : ١٥٨

اليها .. فأنت راعيا، كان يأوى الى صومعته .. فأمكنته من نفسها فوقع عليها .. فحملت .. فلما ولدت قالت : هو من جريج !!
فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته .. وجعلوا يضربونه . فقال :
ما شأنكم ؟! قالوا : زنيت بهذه البغي فولدت منك .. فقال : أين الصبي ؟
فجاءوا به اليه .. فقال : دعوني حتى أصلى .. فصلى ، فلما انصرف
أتى الصبي فطعن في بطنه وقال : يا غلام .. من أبوك ؟ قال :
فلان الراعى !!

فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به .. وقالوا : نبني صومعتك
من ذهب .. قال : لا .. بل أعيدوها من طين كما كانت ،
ففعلوا» (١٣) .



* غضب الأم يحبط العمل :

كما ان غضب الأم يحبط العمل .. ويضيع الاجر والثواب ..
بل ينذر بسوء الخاتمة .. والعياذ بالله ..
حكى أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم شاب يسمى
« علقمة » وكان كثير الاجتهاد في طاعة الله في الصلاة والصوم والصدقة
.. فمرض واشتد مرضه .. فأرسلت امرأته الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم : ان زوجي علقمة في النزع .. فأردت أن أعلمك يا رسول الله
بحاله ..

فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم عمارا وصهيبا وبلالا ..
وقال : « امضوا اليه ولقنوه الشهادة » .. فمضوا اليه ودخلوا عليه
فوجدوه في النزع .. فجعلوا ياتنونه قول « لا اله الا الله » ، ولسانه
لا ينطق بها .. فأرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه
أنه لا ينطق لسانه بالشهادة !!

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « هل من أبويه أحد حي ؟ »
قيل : يا رسول الله .. أم كبيرة السن ..

فأرسل اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا وقال له :
« قل لها : ان قدرت على المسير الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم —
والا فخرى في المنزل حتي يأتيك » .

(١٣) متفق عليه .

قال : فجاء اليها الرسول فأخبرها بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فقالت : نفسى فداء .. أنا أحق باتيانه ..
ختوكات وقامت على عصا وأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ..
فقال : « يا أم علقمة .. أصدقيني ، وان كذبتنى جاء الوحي من الله تعالى .. كيف كان حال ولدك علقمة » ؟
قالت : يا رسول الله .. كان كثير الصمت .. كثير الصيام .. كثير الصدقة ..

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فما حالك » ؟
قالت : يا رسول الله .. أنا عليه ساخطة !! .. فقال : « لم » ؟
قالت : يا رسول الله .. كان يؤثر على زوجته .. ويعصينى !!
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان سخط أم علقمة حجب لسان علقمة عن الشهادة » .. ثم قال : « يا بلال .. انطلق واجمع لى حطبا كثيرا » ..
قالت : يا رسول الله .. وما تصنع ؟
فقال : « أحرقه بالنار بين يديك » ..
قالت : يا رسول الله .. ولدى .. لا يحتمل قلبى أن تحرقه بالنار .. بين يدي ..

فقال : « يا أم علقمة .. عذاب الله أشد وأبقى .. فان سرك أن يغفر الله له فارضى عنه .. فوالذى نفسى بيده لا ينتفع علقمة بصلاته ولا بصيامه ولا بصدقته ما دمت عليه ساخطة » ..
فقالت : يا رسول الله .. انى أشهد الله تعالى وملائكته ومن حضرنى من المسلمين أنى قد رضيت على ولدى علقمة ..
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انطلق يا بلال اليه .. وانظر هل يستطيع أن يقول (لا اله الا الله) أم لا ؟ .. فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس فى قلبها حياء منى » ..
فانطلق بلال .. فسمع علقمة من داخل الدار يقول (لا اله الا الله) .. فدخل بلال وقال : يا هؤلاء .. ان سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة وان رضاها أطلق لسانه ..

ثم مات علقمة من يومه .. فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بغسله وكفنه .. ثم صلى عليه وحضر دفنه .. ثم قام على شفير قبره وقال : « يا معشر المهاجرين والأنصار .. من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .. لا يقبل الله منه »

صرفا ولا عدلا الا أن يتوب الى الله عز وجل ويحسن اليها ويطلب رضاها .. فرضا الله من رضاها .. وسخط الله من سخطها » (١٤) .

أرأيت؟! شاب كثير الصمت .. كثير الصيام .. كثير الصدقة .. ولكنه اسخط أمه عليه لأنه كان يعصاها ويؤثر عليها امرأته .. فحجبه سخط الأم عن اللدق بالشهادة حين احتضاره وكاد يموت كافرا .. فلما رضيت عليه أمه انطلق لسانه بكلمة التوحيد ومات على الاسلام .
أرأيت كيف أقسم الرسول صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده .. لا ينتفع علقمة بصلاته ولا بصيامه ولا بصدقته ما دمت عليه ساخطة » ؟

أرأيت قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .. لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا الا أن يتوب الى الله عز وجل ويحسن اليها ويطلب رضاها » ؟ ..

وصدقت يا سيدي يا رسول الله — صلى الله عليك وسلم : رضا الله في رضا الأم .. وسخط الله في سخطها ..

وعن أبي الدرداء رضى الله عنه .. أن رجلا أتاه فقال : ان لى امرأة .. وان أمى تأمرنى بطلاقها !! فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الوالد أوسط أبواب الجنة — أى خيرها — فان شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه » (١٥) .

وأى عجب فى هذا .. والجنة تحت أقدام الأمهات .. كما أن « رضا الله فى رضا الوالدين .. وسخطه فى سخطهما » ..

جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله : « هل لك من أم » ؟ قال : نعم .. فقال صلى الله عليه وسلم : « فالزمها .. فان الجنة تحت رجلها » ..

* * *

* وهن على وهن !! .. *

مهما حاول الابن .. فانه لا يمكنه أن يفى أمه حقها .. وحسبها شهادة الله تعالى حين قال فيها : « حملة أمه وهنا على وهن وفصالة فى عامين » .. فنوه بضعفها الطبيعى لكونها أنثى .. الى جانب الضعف الناتج عن الحمل والولادة والرضاع والفطام ..

(١٤) رواه الذهبى فى الكبائر . (١٥) رواه الترمذى .

وحسبنا في التدليل على ضعف الأنثى الطبيعي .. أن نذكر
ما يعترىها أثناء دورتها الشهرية من علل وأمراض .. وما ينتج عنه
من تكرار هذه الدورة في كل شهر — ولفترة طويلة من حياتها —
من وهن وضعف .. فضلا عن المتاعب التي تنتج عن الحمل والوضع
والرضاعة .

يقول أحد الأطباء المتخصصين في طب النساء :

« ان الأعراض البدنية الشائعة في المرأة قبل الحيض وخلالها
ما يأتي : الصداع غالبا فيمن اعتدن الصداع في هذه الفترات ..
ويزداد تدفق اللعاب .. ويتمدد الحبد ويتضخم .. ويحدث مغص
في الكيس الصفراوي .. ويضطرب الهضم .. وتضطرب شهية الأكل ..
فاما أن تحس المرأة بجوع شديد .. أو تعاف الطعام ..

وكثيرا ما يحدث الغثيان . والميل الى القيء .. ويسوء النفس
.. وترداد الأرياح في الأمعاء .. ويزداد نشاط الأمعاء الغلاظ بدرجة
كبيرة تقرب من الاسهال .. ولكن كل دورة شهرية تنتهي عادة
بالامساك ..

وتظهر الاضطرابات في الدورة الدموية .. فالنبض غالبا لا يكون
منتظما متشابها .. وتضطرب ضربات القلب .. وتتورم الأوردة الدموية
.. ويبرد القدمان .. ويتضخم الرسغان والركبتان .. وتحقق الأغشية
الأنفية . كما تحدث آلام مفصلية ..

وتتضخم الغدة الدرقية والحبال الصوتية بشكل ملحوظ .. ويفقد
الجهاز الصوتي قدرته لما يصيب الجزء الخلفي من الحنجرة من تمدد
وارتخاء في العدد والعروق الدموية .. ويتضح هذا في السيدات اللاتي
يستعملن صوتهن بكثرة كالمدرسات .. اذ يبدو التعب في صوتهن بسرعة
.. كما يصيبه التغير الملحوظ .. ويتجلى هذا في الغناء .. فيبعد
الصوت عن النغم الموسيقي .. ويفقد الجرس والتنغيم .. وتقل القدرة
على تنويع الأنغام ..

ويظهر في العين اضطراب في أعمالها ووظائفها .. وتلتهب قليلا
وتبدو « نقط وبقع » غريبة .. ويضيق مجال الرؤية ضيقا ملحوظا ..
وتقل القدرة على تمييز الألوان ..

وتصيب حاسة السمع أعراض مشابهة ..

وأما أنسجة الجسم العامة فهي تنبسط وترتخي .. أو تتضخم

وتحتقن .. ويكمل سوء الحال بشحوب الوجه شحوبا شديدا .. واحمراره
بسرعة عند التأثر .. وظهور تجعدات أو دوائر زرقاء تحت العيون ..
ويختتم الطبيب المتخصص كلامه بقوله :

« لقد ذكرت كل هذه الأعراض بالتفصيل لأظهر أن المرأة الحائض
تكاد تكون مريضة .. بل هي مريضة بعض المرض » (١٦) .

ويصحب هذه الأعراض عادة الاحساس بالقلق والتوتر .. وضيق
الخلق .. والشعور بالارهاق والتعب والخمول .. والميل الى النوم
والحاجة الى الراحة ..

وهذه الأعراض تتوزع .. فتظهر طائفة منها في امرأة .. وطائفة
في أخرى .. أى أنها لا تتجمع كلها في امرأة واحدة ..

هذا ما يقوله العلم الحديث .. وصدق الله : « حملته أمه وهنا
على وهن » .

* * *

جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو سوء خلق
أمه .. فقال له : « لم تكن سيئة حين أرضعتك حولين » ؟

قال : انها سيئة الخلق ..

فقال صلى الله عليه وسلم : « لم تكن كذلك حين أسهرت ليلها
وأظمأت نهارها » ؟

قال : لقد جازيتها ..

فقال : « ما فعلت » ؟

قال الرجل : حجبت بها على عاتقى ..

فقال صلى الله عليه وسلم : « ما جزيتها ولو بطلقة » .

وروى أن ابن عمر رضى الله عنهما رأى رجلا يحمل أمه على رقبتة
وهو يطوف بها حول الكعبة .. فقال الرجل : يا ابن عمر .. أترانى
جازيتها ؟

قال : ولا بطلقة واحدة من طلاقاتها .. ولكن قد أحسنت ..
والله يثيبك على القليل كثيرا ..

وجاء رجل الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : انى أخدم
أمى كما كانت تخدمنى فى الصغر .. فهل قمت بحقها ؟

(١٦) الزواج المثالى — للدكتور فان دفلد — ترجمة الدكتور محمد منقى

ص ١٨١ .

قال : لا .. فقال الرجل : لم ؟
قال : انها كانت تخدمك وهى تتمنى لك الحياة .. وانت تخدمها
وانت تتمنى لها الموت !!

* * *

● وللامام الذهبى موعظة بليغة^(١٧) يقول فيها :

« أيها المضيع لآكد الحقوق .. المعتاض من بر الوالدين العقوق ..
الناسى لما يجب عليه .. الغافل عما بين يديه .. »

بر الوالدين عليك دين ، وأنت تتعاطاه باتباع الشين .. تطلب
الجنة بزعمك ، وهى تحت أقدام أمك .. حملتك فى بطنها تسعة أشهر
كأنها تسع حجج ، وكابدت عند الوضع ما يذيب المهج .. وأرضعتك
من ثديها لبنا ، وأطارت لأجلك وسنا .. وغسلت بيمينها عنك الأذى ،
وآثرتك على نفسها بالغذا .. وصيرت حجرها لك مهذا ، وأنالتك احسانا
ورفندا ..

فان أصابك مرض أو شكاية ، أظهرت من الأسف فوق النهاية ..
وأطالت الحزن والنحيب ، وبذلت مالها للطبيب .. ولو خيرت بين
حياتك وموتها ، لطلبت حياتك بأعلى صوتها ..

هذا .. وكم عاملتها بسوء الخلق مرارا ، فدعت لك بالتوفيق
سرا وجهارا .. فلما احتاجت عند الكبر اليك ، جعلتها من أهون الأشياء
عليك .. فشبعته وهى جائعة .. ورويت وهى قانعة .. وقدمت عليها
أهلك وأولادك بالاحسان ، وقابلت أياديها بالنسيان .. وصعب لديك
أمرها وهو يسير ، وطال عليك عمرها وهو قصير ، وهجرتها ومالها
سواك نصير ..

هذا .. ومولاك قد نهاك عن التأفيف ، وعاتبك فى حقها بعتاب
لطيف .. ستعاقب فى دنياك بعقوق البنين ، وفى أخراك بالبعد من
رب العالمين .. يناديك بلسان التوبيخ والتهديد : « ذلك بما قدمت
يداك وإن الله ليس بظلام للعبيد »^(١٨) .

* * *

(١٧) الكبائر — للامام الذهبى — طبع دار التراث العربى سنة ١٩٨٢

(١٨) الحج : ١٠

* البر بالوالدين يرفع الكريات :

في حين أن بر الوالدين .. كفيل برفع الكريات .. والنجاة من المهلكات ..

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما • قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت الى غار فدخلوه .. فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار .. فقالوا : انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم ..

قال رجل منهم : اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران .. وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا — والغبوق هو ما يشرب فى العشى
لهناى بى طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما .. فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين .. فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلا أو مالا .. فلبثت والقدرح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر .. والصبية يتضاغون عند قدمي — أى يتضايحون من الجوع — فاستيقظا فشربا غبوقهما ..

اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة .. فانفرجت شيئا ... » (١٩) •
فكان بر هذا الرجل بأبويه سببا فى تفريج بعض الكرب عن الثلاثة ..



* البر بالوالدين يزيد الرزق ويطيل فى العمر :

ذكر الامام البغوى فى تفسير قوله تعالى : « واذا قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » الى قوله : « فذبحوها وما كادوا يفعلون » (٢٠) .. قصة تبين لنا ثمرة البر بالوالدين .. خلاصتها :

« انه كان فى بنى اسرائيل رجل غنى .. وله ابن عم فقير لا وارث له سواه ، فلما طال عليه موته قتله ليورثه .. وحمله الى قرية أخرى فألقاه بفنائها .. ثم أصبح يطلب ثأره .. وجاء بناس الى موسى عليه السلام — قال الكلبى : وذلك قبل نزول القسامة فى

(١٩) متفق عليه .

(٢٠) البقرة : ٦٧ — ٧١

التوراة — فسألوا موسى عليه السلام أن يدعو الله ليين لهم بدعائه
امر القنيل .. فامرهم بذبح بقرة قاسلا بهم : « **آن الله يامرهم أن
تذبحوا بقرة ، قتلوا اتخذنا هزوا** » — اى استهزىء بنا ونحن نسالك
عن امر القنيل بذبح البقرة ؟ —

فقال موسى عليه السلام : « **اعوذ بالله أن أكون من الجاهلين** »
— اى من المستهزئين بالمؤمنين .. وقيل : بالجاهلين بالجواب لا على
وفق السؤال — •

فلما علم الناس أن ذبح البقرة عزم من الله تعالى استوصفوه ..
وكان تحته حكمة عظيمة !!

وذلك لأنه كان فى بنى اسرائيل رجل صالح له ابن طفل وله عجلة
.. أتى بها الى غيضة وقال : اللهم انى أستودعك هذه العجلة لابنى
حتى يكبر •

ومات الرجل فصارت العجلة فى الغيضة أعواما ، وكانت تهرب
من كل من رآها ..

فلما كبر الابن كان بارا بوالديه .. وكان يقسم الليل ثلاثة أثلاث
يصلى ثلثا .. وينام ثلثا .. ويجلس عند رأس أمه ثلثا ..

فاذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره .. فيأتى السوق فيبيعه
بما شاء الله .. ثم يتصدق بثلثه .. ويأكل ثلثه .. ويعطى أمه ثلثه ..
فقالت له أمه يوما : ان أباك ورثك عجلة استودعها الله فى غيضة
كذا .. فانطلق فادع اله ابراهيم واسماعيل واسحاق أن يردها عليك ..
وعلامتها أنك اذا نظرت اليها تخيل لك أن شعاع الشمس يخرج من
جلدها — وكانت تسمى المذبة لحسنها وصفرتها — •

فأتى الغيضة فراها ترعى .. فصاح بها وقال : أعزم عليك
بأله ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ..

فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه .. فقبض على عنقها يقودها
— وزعموا أن البقرة تكلمت باذن الله تعالى — وقالت : أيها الفتى
اجبر بوالدته اركبنى ، فان ذلك أهون عليك ..

فقال الفتى : ان أمى لم تأمرنى بذلك ولكن قالت : خذ بعنقها ..
فقالت البقرة : بأله بنى اسرائيل .. لو ركبتنى ما كنت تقدر على
أبدا .. فانطلق فانك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق
معك لفعل .. لبرك بأملك ..

فسار الفتى بها الى أمه ..

وقالت له أمه : انك فقير لا مال لك .. ويشق عليك الاحتصاب
بالنهار ، والقيام بالليل .. فانطلق فباع هذه البقرة ..
قال : بكم أبيعها ؟

قالت : بثلاثة دنانير .. ولا تتبع بغير مشورتى ..
— ودان نمى البقرة ثلاثة دنانير — .

فانطلق بها الى السوق .. فبعث الله ملكا ليرى خلقه وقدرته ،
وليختبر الفتى وكيف بره بأمه .. وكان الله به خبيرا ..
فقال الملك : بكم تبع هذه البقرة ؟

قال : بثلاثة دنانير .. واشترط عليك رضا أمى .
فقال الملك : لك ستة دنانير ولا تستأمر أمك !!

فقال الفتى : لو أعطيتنى وزنها ذهباً لم آخذه الا برضا أمى !!
فردها الى أمه وأخبرها بالثمن فقالت له : ارجع فبيعها بستة
دنانير عى رضا منى ..

فانطلق بها الى السوق وأتى الملك فقال : استأمرت أمك ؟
فقال الفتى : انها أمرتنى أن لا أنقصها عن ستة دنانير على أن
أستأمرها ..

فقال الملك : فانى أعطيك اثنى عشر دينارا !!
فأبى الفتى ورجع الى أمه وأخبرها بذلك فقالت : ان الذى يأتيك
ملك فى صورة آدمى ليختبرك .. فاذا أتاك فقل له : أأأمرنا أن نبيع
هذه البقرة أم لا ؟

ففعل .. فقال الملك : اذهب الى أمك وقل لها : أمسكى هذه
البقرة .. فان موسى بن عمران — عليه السلام — سيشتريها منكم
لقتيل يقتل من بنى اسرائيل .. فلا تبيعوها الا بملء مسكها دنانير ..
فأمنسكوها ..

وقدر الله على بنى اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها .. فما زالوا
يستوصفون حتى وصف لهم تلك البقرة مكافأة له على بره بأمه ..
فضلا ورحمة .. فاشتروها بملء مسكها — أى جلدتها — ذهباً ..
فذبحوها وضربوا القاتل ببعض منها .. كما أمر الله تعالى ..
فقام القاتل حيا باذن الله تعالى .. وأوداجه بشخب دما وقال : قتلنى
فلان .. ثم سقط ومات مكانه .. فحرم قاتله الميراث» (١١) .

(٢١) من وصايا الرسول — لفضيلة الشيخ طه عبد الله العفيفى —

وكتب أنس بن مالك رضى الله عنه الى الخليفة هارون الرشيد يوصيه .. فقال فى وصيته : « بر والديك وخصهما منك بالدعاء فى كل صلاة ، وأكثر لهما الاستغفار .. وأبدأ بنفسك قبلهما ، فان إبراهيم عليه السلام قال : « رب اغفر لى ولوالدى » (١٢) . قبدأ بنفسه قبل والديه .. وبلغنى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من سره أن ينسأ له فى عمره ، ويزاد فى رزقه ، فليتق الله ربه ، وليصل رحمه » .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من بر والديه طوبى له .. زاد الله فى عمره » (٢٣) .
وعن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه .. ولا يرد القدر الا الدعاء .. ولا يزيد فى العمر الا البر » (٢٤) ..

* * *

وحسبنا قولاً فى بر الوالدين .. أن الله تعالى قد ذكره فى معرض تركية نبيه يحيى عليه السلام .. فقال : « وآتيناه الحكم صبياً . وحنانا من لدنا وزكاة ، وكان تقياً . وبراً بوالديه ولم يكن جباراً عصياً . وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً » (٢٥) .
وأن المسيح عيسى ابن مريم — عليهما السلام — قال مفاخرًا : « انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبياً . وجعلنى مباركا أين ما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حياً . وبراً بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقياً » (٢٦) .

* * *

* سب الآباء والأمهات من الكبائر :

ومن البر بالوالدين والاحسان اليهما .. ألا يؤذيها بالقول أو الفعل .. وألا يشتمهما أو يتعرض لسيئهما .. فان ذلك من الكبائر بلا خلاف .. روى ابن حبان فى صحيحه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما .. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو علم الله شيئاً أدنى من

(٢٢) نوح : ٢٨

(٢٣) رواه أبو يعلى والطبرانى والأصبهائى .

(٢٤) رواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم .

(٢٦) مريم : ٣٠ — ٣٢

(٢٥) مريم : ١٢ — ١٥

الأف لنهى عنه .. فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة ..
وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار » ..
بل ان مجرد النظر اليهما بغضب ، والتجهم في وجهيهما من العقوق •
فعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « ما بر أباه من حد اليه الطرف » (٢٧) •
وعند الطبرى : « ما بر أباه من شد اليه الطرف بالغضب » ..
أى نظر اليهما بغضب وان لم يتكلم ..
وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « لم ينل القرآن من لم يعمل به .. ولم يبر والديه من أحد
النظر اليهما في حال العقوق .. أولئك براء منى وأنا برىء منهم » (٢٨) •
وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال : « ان من الكبائر شتم الرجل والديه » .. قالوا :
يا رسول الله .. وهل يشتم الرجل والديه ؟ .. قال : « نعم .. يسب
الرجل أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه » ..
وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رأيت ليلة
أسرى بى أقواما فى النار معلقين فى جذوع من نار .. فقلت : يا جبريل
.. من هؤلاء ؟ قال : الذين يشتمون آباءهم وأمهاتهم فى الدنيا » •
وروى سفيان عن داود بن شابر عن أبى قزعة .. قال : مررنا
فى بعض المياه التى بيننا وبين البصرة .. فسمعنا نهيق حمار .. فقلنا
لهم : ما هذا النهيق ؟ .. قالوا : هذا رجل كان عندنا .. كانت أمه
تكلمه بالشئ فيقول لها : انهقى نهيقك .. فلما مات سمع هذا النهيق
من قبره كل ليلة !!
وروى أن من شتم والديه .. ينزل عليه فى قبره حجر من نار
بعدد كل قطر ينزل من السماء الى الأرض ..

* * *

* بر الوالدين يكون بطاعتهم فى كل أمر :

ويكون بر الوالدين والاحسان اليهما .. بطاعتهم فى كل ما يأمران
به .. أو ينهيان عنه .. مما ليس فيه معصية لله تعالى أو مخالفة
لشريعته .. اذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ..

(٢٧) رواه البيهقى وابن مردويه . (٢٨) رواه الدارقطنى

(٢٩) متفق عليه .

روى ابن عباس رضى الله عنهما — فى حديث طويل — عن رسول الله صلى الله عليه وسلم — حكاية عن ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام — قال : « ... فالفى ذلك أم اسماعيل وهى تحب الأُنس .. فنزلوا ، وأرسلوا الى أهليهم فنزلوا معهم .. حتى اذا كانوا بها أهل أبيات .. وشب الغلام وتعلم العربية منهم .. وأنفسهم وأعجبهم حين شب .. فلما أدرك زوجوه امرأة منهم .. وماتت أم اسماعيل .. فجاء ابراهيم بعدما تزوج اسماعيل يطالع تركته .. فلم يجد اسماعيل فسأل امرأته عنه .. فقالت : خرج يبتغى لنا — وفى رواية : يصيد لنا — ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت : نحن بشر .. نحن فى ضيق وشدة .. وشكت إليه !!

قال : فاذا جاء زوجك اقرأى عليه السلام .. وقولى له يغير عتبة بابه !!

فلما جاء اسماعيل كأنه أنس شيئاً .. فقال : هل جاءكم من أحد ؟ قالت : نعم .. جاءنا شيخ كذا وكذا — وصفته — فسألنى عنك فأخبرته .. فسألنى كيف عيشنا فأخبرته أنا فى جهد ومشقة ..

قال : فهل أوصاك بشىء ؟

قالت : نعم .. أمرنى أن أقرأ عليك السلام .. ويقول لك : غير عتبة بابك !!

قال : ذاك أبى .. وقد أمرنى أن أفارقك .. الحقى بأهلك !! فطلتها .. وتزوج منهم أخرى ..

فأبث عنهم ليراهم ما شاء الله .. ثم أناهم بعد فلم يجده .. فدخل على امرأته فسأل عنه .. قالت : خرج يبتغى لنا .. قال : كيف أنتم ؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم .. فقالت : نحن بخير وسعة .. وأثنت على الله تعالى .. فقال : ما طعامكم ؟ قالت : اللحم .. قال : فما شرابكم ؟ قالت : الماء .. فقال : اللهم بارك لهم فى اللحم والماء « وفى رواية أخرى : « ... فجاء فقال : أين اسماعيل ؟ فقالت امرأته : ذهب يصيد .. ثم قالت : ألا تنزل فتطعم وتشرب ؟ قال : وما طعامكم وما شرابكم ؟ قالت : طعامنا اللحم وشرابنا الماء .. قال : اللهم بارك لهم فى طعامهم وشرابهم ..

ثم قال : « فاذا جاء زوجك فاقرأى عليه السلام .. ومريه أن يثبت عتبة بابه » ..

فلما جاء اسماعيل قال : هل أتاكم من أحد ؟

قالت : نعم .. اتانا شيخ حسن الهيئة — واقتت عليه — فسألني
عنه فآخبرته ، فسألني كيف عيتنا فأخبرته انا بخير ..

قال : فاوصاك بشيء ؟

قالت : نعم .. يفرأ عليك السلام ، ويأمرك ان تثبت عتبة بابك !!

قال : ذاك أبى .. وانت العتبة آمرنى أن امسكك » .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما .. قال : كانت تحتى امرأة أحبها ..
وكان أبى يكرهها .. فأمرنى ان أطلقها .. فأبيت ، فذكرت ذلك للنبي
صلى الله عليه وسلم فقال : « يا عبد الله بن عمر .. طلق امرأتك » (٣١) .

وفى رواية أخرى أن عمر رضى الله عنه أتى النبي صلى الله عليه
وسلم فذكر له ذلك فقال لابنه : « أطلقها » .

ومن أروع الأمثلة على بر الوالدين وطاعتهما .. ما رواه
ابن الجوزى فى كتابه « ذم الهوى » قال : ان عبد الله بن أبى بكر
الصديق رضى الله عنهما تزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ..
وكانت حسناء جملاء .. ذات خلق بارع .. فشغلته عن مغازيه ..
فأمره أبوه بطلاقها وقال : انها قد شغلتك عن مغازيك ..

فقال عبد الله شعرا :

يقولون طلقها وخيم مكانها مقيما عليك ألهم أحلام نائم
وان فراقى أهل بيت جمعتهم على كبر منى لاحدى العظام
ثم طلقها .. فمر به أبوه فسمعه يقول :

أعاتك لا أنساك ما ذر شارق وما لاح نجم فى السماء محلق
أعاتك قلبى كل يوم وليلة لديك بما تخفى النفوس معلق
ولم أر مثلى طلق اليوم مثلها ولا مثلها فى غير شيء تطلق
لها خلق جزل ورأى ومنصب وخلق سوى فى الحياة ومصداق
فرق له أبوه فراجعها .. ثم شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم
غزوة الطائف فأصابه سهم .. فمات بعد بالمدينة .. فقالت عاتكة تبكيه :

رزئت بخير الناس بعد نبيهم وبعد أبى بكر وما كان قصرا
فأليت لا تنفك عيني حزينه عليك ولا ينفك جلدى أغبرا
فأله عينا من رأى مثله فتى أكر وأحمى فى الهياج وأصبرا
إذا شرعت فيه الأسنة خاضها

الى الموت حتى يترك الرمح أحمر (٣٢)

(٣٠) رواه البخارى بطوله . (٣١) رواه الترمذى .

(٣٢) ذم الهوى لابن الجوزى .

•• رأيت كيف آثر عبد الله — رضى الله عنه — بر أبيه وطاعته على حبه لزوجته وقد كاد فراقها أن يودى به ؟!

وأتى رجل أبا الدرداء رضى الله عنه فقال : ان أبى لم يزل بى حتى زوجنى •• وانه الآن يأمرنى بطلاقها ؟ قال : ما أنا بالذى آمرك أن تعق والديك •• ولا بالذى آمرك أن تطلق امرأتك •• غير أنك ان شئت حدثتك بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم •• سمعته يقول : « الوالد أوسط أبواب الجنة » •• فحافظ على ذلك الباب أن شئت أو دع (٣٣) ••

وعنه رضى الله عنه أن رجلا أتاه فقال : ان لى امرأة •• وان أمى تأمرنى بطلاقها •• فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الوالد أوسط أبواب الجنة » •• فان شئت فأضع هذا الباب أو احفظه (٣٤) •

* * *

● بل ان اسماعيل عليه السلام قد وصل بیره لأبيه الى حد التضحية بالنفس •• والاقبال على الموت بنفس مطمئنة •• فاستحق أن يخلده القرآن الكريم •• وأن يشيد به التاريخ ••

قيل ان ابراهيم عليه السلام ادعى محبة الله •• ثم نظر الى ولده بالمحبة •• فلم يرض حبيبه بمحبة مشتركة •• فرأى فى ليلة التروية كأن قائلاً يقول : ان الله يأمرك بذبح ابنك •• فلما أصبح تروى فى نفسه — أى تفكر — أهذا الحلم من الله أم من الشيطان ؟ •• فسمى يوم التروية ••

فلما كانت الليلة الثانية رأى ذلك أيضا وقيل له : الوعد •• فلما أصبح عرف أن ذلك من الله فسمى يوم عرفة ••

ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة •• فعزم على نحره فسمى يوم النحر •• فلما تحقق عليه السلام أن ذلك الأمر من الله تعالى •• قال لابنه : يا بنى •• خذ الحبل والمديّة وانطلق بنا الى هذه الهضبة لنحتطب لأهلنا •• وفعل الغلام وتبع أباه ••

فقال الشيطان : والله لئن لم أفتن عند هذا آل ابراهيم لا أفتن منهم أحدا أبدا •• فتمثل لهم فى صورة رجل •• ثم أتى أم الغلام وقال : أتدرين أين يذهب ابراهيم بابنك ؟ •• قالت : لا !!

(٣٤) رواه ابن ماجه والترمذى •

(٣٣) رواه ابن حبان •

قال : انه ذهب به ليذبحه !!
 قالت : كلا .. هو اراف به من ذلك !!
 فقال : انه يزعم ان ربه امره بذلك !!
 قالت : فان كان ربه قد امره بذلك فقد أحسن أن يطيع ربه !!
 فلم ينجح معها الشيطان .. ثم أتى الغلام فقال : أتدرى أين
 يذهب بك أبوك ؟ .. قال : لا !!
 فقال : فانه يذهب بك ليذبحك !! .. قال : ولم ؟!
 قال : زعم أن ربه أمره بذلك !!
 فقال اسماعيل عليه السلام : فليفعل ما أمره الله به .. سمعا
 وطاعة لأمر الله !!
 ولم ينجح معه الشيطان .. ثم جاء ابراهيم عليه السلام فقال :
 أين تريد ؟ .. والله انى لأظن أن الشيطان قد جاءك فى منامك فأمرك
 بذبح ابنك !!
 فعرفه ابراهيم عليه السلام وقال : اليك عنى يا عدو الله ..
 فوالله لأمضين لأمر ربى !!
 وانما عرف ابراهيم عليه السلام أنه الشيطان لأنه لم يخبر أحدا
 برؤياه .. فمن أين لهذا الغريب معرفة ما رآه فى منامه .. أو ما عقد
 — عليه السلام — العزم على فعله ..
 ويقول ابن عباس رضى الله عنهما : « لما أمر ابراهيم بذبح
 ابنه .. عرض له الشيطان عند جمره العقبة فرماه بسبع حصيات
 حتى ذهب .. ثم عرض له عند الجمره الوسطى فرماه بسبع حصيات
 حتى ذهب .. ثم عرض له عند الجمره الأخرى فرماه بسبع حصيات
 حتى ذهب .. ثم مضى لأمر الله تعالى » .. ولم ينل الشيطان منه
 شيئا ..
 ثم ان ابراهيم عليه السلام أفضى الى ابنه برؤياه فقال :
 « يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى » (٣٥) .
 فقال اسماعيل عليه السلام : « يا أبت افعل ما تؤمر ، ستجدنى
 ان شاء الله من الصابرين » (٣٦) .
 وفى الخبر : أن اسماعيل قال لأبيه — عليهما السلام — : يا أبت
 .. اشدد رباطى حتى لا أضطرب .. واكفف ثيابك لئلا ينتضح عليها

شيئاً من دمي فتراه أُمى فتحزن .. وأسرع مر السكين على حلقى
ليكون الموت أهون على .. واقذفني للوجه لئلا تنظر الى وجهي
فترحمنى .. ولئلا أنظر الى الثُفرة فأجزع .. واذا أتيت أُمى فأقرئها
منى السلام (!!)

فقال ابراهيم عليه السلام : نعم العون يا بنى أنت على أمر الله !!
ثم انه شمر .. وأخذ السكين .. وأضجع ولده .. وقال : اللهم
تقبله منى فى مرضاتك .. فأوحى الله تعالى اليه : يا ابراهيم لم يكن
المراد ذبح الولد ، وإنما المراد أن ترد قلبك الينا .. فلما رددت قلبك
مكليته الينا رددنا ولدك اليك « .. وفداه الله تعالى بكبش عظيم ..
وجده ابراهيم على مقربة منه فذبحه (٣٧) ..

* * *

* وجوب الاتفاق على الوالدين :

ومن البر بالوالدين والاحسان اليهما .. أن ييرهما بكل ما تصل
اليه يداه .. وتتسع له طاقته من أنواع البر والاحسان .. كاطعامهما
وكسوتهما .. وعلاج مريضهما .. ودفع الأذى عنهما .. وتقديم
النفس فداء لهما ..

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : جاء رجل الى النبى
صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. ان أبى أخذ مالى ..
فقال النبى صلى الله عليه وسلم للرجل : « فأنتى بأبيك » ..
فنزل جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم فقال :
« ان الله عز وجل يقرئك السلام .. ويقول لك : اذا جاء الشيخ
فاسأله عن شىء قاله فى نفسه ما سمعته أذنائه » ..

فلما جاء الشيخ قال له النبى صلى الله عليه وسلم : « ما بال ابنك
يشكوك ؟ .. أتريد أن تأخذ ماله » ؟
فقال : سله يا رسول الله .. هل أنفقه الا على احدى عماته ..
أو خالاته .. أو على نفسه ؟

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ايه — وهى لفظة
استحسان — دعنا من هذا .. أخبرنى عن شىء قلته فى نفسك ما سمعته
أذنائك ؟ »

(٣٧) رواه القرطبى فى تفسير سورة الصافات — بتصرف .

فقال الشيخ : والله يا رسول الله .. ما زال الله عز وجل يزيدنا بك يقينا .. لقد قلت في نفسي شيئا ما سمعته أذنأى !!
قال : « قل .. أنا أسمع » .
قال : قلت :

غزوتك مولودا ومنتك ياغفا
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت
كأنى أنا المطروق دونك بالذى
تخاف الردى نفسى عليك وانها
فلما بلغت السن والغاية التى
جعلت جزائى غلظة وغلظة
فليتك اذ لم ترع حق أبوتى
فأوليتنى حق الجوار ولم تكن
قال : فحينئذ أخذ النبى صلى الله عليه وسلم بتلابيب ابنه وقال :
« أنت ومالك لأبيك » (٣٨) .

وحكى أن ولدا اشتكى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أباه ..
وأنه يأخذ ماله .. فدعا به فاذا هو شيخ يتوكأ على عصا .. فسأله
فقال : يا رسول الله .. انه كان ضعيفا وأنا قوى .. وفقيرا وأنا غنى
.. فكنت لا أمنعه شيئا من مالى .. واليوم أنا ضعيف وهو قوى ..
وأنا فقير وهو غنى ييخل على بماله ؟!

فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « ما من حجر
ولا مدر يسمع هذا الا بكى » .. ثم قال للولد : « أنت ومالك لأبيك » ..
أنت ومالك لأبيك » ..

*** البر بالوالدين ولو كانا مشركين :**

ولا يختص البر بالوالدين والاحسان اليهما بأن يكونا مسلمين ..
بل عليه أن يبرهما ويحسن اليهما أيضا حتى ولو كانا كافرين !!
وفي حوار رائع أخاذ .. يضرب لنا القرآن الكريم مثلا من أروع
الأمثلة لبر الوالدين ومصاحبتهم بالمعروف رغم كفرهما .. ذلك حين
يقص علينا دعوة ابراهيم عليه السلام أباه الى الايمان بالله .. ونهيه
بياه عن عبادة الأصنام .. يقول تعالى :

(٣٨) رواه القرطبى في تفسير سورة الاسراء .

« اذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يفنى
عك شيئا .. »

« يا أبت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك
صراطا سويا .. »

« يا أبت لا تعبد الشيطان ، ان الشيطان كان للرحمن عصيا .. »
« يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان
وليا » (٣٩) .. »

تأمل أسلوب الخطاب .. وتأمل تكرار لفظة « يا أبت » فى مطلع
كل آية ..

ولكن أباه أصم أذنيه عن سماع داعى الايمان .. وأغلقهما دون
الهدى والرشاد .. ولم يكتف بالاعراض عن ابنه .. بل انتهره وهدده
بالرجم والطرده والابعاد :

« قال أرغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم ، لئن لم تنته لأرجمنك ،
واهجرنى مليا » (٤٠) . »

فماذا قال الابن البار لأبيه ؟ .. هل قابل الاساءة بالاساءة ،
والصد بالصد ، والهجران بالهجران ؟ ..
وهل يليق ذلك بمكانة أبى الأنبياء ابراهيم عليه السلام ؟!
حاشا وكلا ..

« قال سلام عليك سأستغفر لك ربى ، انه كان بى حفييا .
وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعوا ربى عسى ألا أكون بدعاء ربى
شقيا » (٤١) . »

وروى البخارى عن أسماء رضى الله عنها قالت : قدمت أمى وهى
مشركة — فى عهد قريش ومدتهم اذ عاهدوا النبى صلى الله عليه وسلم —
مع أبيها .. فاستفتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت : ان أمى
قدمت وهى راغبة — أى راغبة عن الاسلام كارهة له — أفأصلها ؟ ..
قال : « نعم .. صلى أمك » ..

وروى عنها أيضا أنها قالت : أتتني أمى راغبة — فى عهد النبى
صلى الله عليه وسلم — فسألت النبى صلى الله عليه وسلم : أأصلها ؟ ..
قال : « نعم » ..

(٤٠) مريم : ٤٦

(٣٩) مريم : ٤٢ — ٤٥

(٤١) مريم : ٤٧ ، ٤٨

يقول ابن عيينة : فأنزل الله عز وجل فيها : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، أن الله يحب المقسطين » (٤٢) .

انما نهى الله تعالى عن طاعتها عندما يأمران بالكفر والشرك بالله فقط .. دون قطع البر عنهما والاحسان اليهما ..

روى عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال : كنت بارا بأمي .. فأسلمت ، فقالت : لتدعن دينك أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي ويقال يا قاتل أمه .. وبقيت يوما ويوما .. فقلت : يا أماه .. لو كان لك مائة نفس .. فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني هذا .. فان شئت فكلى وان شئت فلا تأكلى .. فلما رأت ذلك أكلت ، وفيه نزلت : « وان جاهدك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما » (٤٣) .

وفى رواية الترمذى : « ... فقالت أم سعد : اليس قد أمر الله بالبر ؟ .. والله لا اطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أموت أو تكفر .. قال : فكانوا اذا أرادوا أن يطعموها شجروا فهاها — أى أدخلوا فيه عودا ليفتحوه به — فنزلت هذه الآية : « ووصينا الانسان بوالديه حسنا » (٤٤) .



* صلة الرحم :

ويكون بر الوالدين و لاحسان اليهما .. بصلة الرحم التى لا رحم له الا من قبلهما .. والدعاء والاستغفار لهما .. وانفاذ عهدهما .. واکرام صديقيهما ..

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه .. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه .. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » (٤٥) .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت :

(٤٢) المتحفة : ٨

(٤٣) رواه القرطبى فى تفسير سورة العنكبوت .

(٤٥) متفق عليه .

(٤٤) متفق عليه .

هذا مقام العائذ بك من القطيعة .. قال : نعم .. أما ترضين أن أصل
من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى .. قال : فذلك لك ..

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقراوا بن شعثم :
« فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم .
اولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم » (٤٦) .

وعنه رضى الله عنه قال : : ان رجلاً قال : يا رسول الله ..
ان لى قرابة أصلهم ويقطعونى .. وأحسن اليهم ويسئون الى ..
وأحلم عنهم ويجهلون على .. فقال صلى الله عليه وسلم : « لئن كنت
كما قلت ، فكأنما تسفهم المل — بفتح الميم وتشديد اللام : أى الرماد
الحار — ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك » (٤٧) .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من أحب أن يبسط له فى رزقه .. وينسأ له فى أثره .. فليصل
رحمه » (٤٨) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلنى وصله الله ..
ومن قطعنى قطعه الله » (٤٩) .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « ليس الواصل بالمكافئ .. ولكن الواصل
الذى اذا قطعت رحمه وصلها » (٥٠) .

وعن خالد بن زيد الأنصارى رضى الله عنه أن رجلاً قال :
يا رسول الله .. أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار ..
فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ..
وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة .. وتصل الرحم » (٥١) .

وعن سلمان بن عامر رضى الله عنه .. عن النبى صلى الله عليه
وسلم قال : « الصدقة على المسكين صدقة .. وعلى ذى الرحم ثنتان :
صدقة وصله » (٥٢) .

(٤٦) متفق عليه — والآية من سورة محمد : ٢٢ ، ٢٣

(٤٨) متفق عليه .

(٤٧) رواه مسلم .

(٥٠) رواه البخارى .

(٤٩) متفق عليه .

(٥٢) رواه الترمذى .

(٥١) متفق عليه .

وورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« من كان له أقارب ضعفاء ولم يحسن اليهم ويصرف صدقته الى
غيرهم لم يقبل الله منه صدقته ولا ينظر اليه يوم القيامة » ..

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما من ذنب أجدر ان
يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البغى
وقطيعة الرحم » .

* * *

وعن البراء بن عازب رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : « الخالة بمنزلة الأم » — يعنى في وجوب برها واکرامها وصلتها
والاحسان اليها ..

وعن ابن عمر رضى الله عنهما : أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم
وسلم فقال : يا رسول الله .. انى أصبت ذنبا عظيما .. فهل لى من
توبة ؟ فقال : « هل لك من أم » ؟ قال : لا .. قال : « فهل لك من
خالة » ؟ قال : نعم .. قال : « فبرها » .

وعنه رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان من
أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولى » (٥٣) .

وعن أبى أسيد رضى الله عنه قال : بينا نحن جلوس عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بنى سلمة فقال : يا رسول الله
.. هل بقى من بر أبوى شىء أبرهما به بعد موتهما ؟

فقال : « نعم .. الصلاة عليهما — أى الدعاء لهما — والاستغفار
لهما .. وانفاذ عهديما من بعدهما .. وصلة الرحم التى لا توصل
الا بهما .. واکرام صديقيهما » (٥٤) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « ان العبد ليموت والداه — أو أحدهما — وانه لهما لعاق ..
فلا يزال يدعو لهما ويستغفر لهما حتى يكتبه الله بارا » (٥٥) .

وعن مالك بن زرارة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « استغفار الولد لأبيه من بعد الموت من البر » (٥٦) .

(٥٤) رواه أبو داود .

(٥٦) رواه ابن النجار .

(٥٣) رواه مسلم .

(٥٥) رواه البيهقى .

● ومن البر بالوالدين بعد موتهما الصلاة والصوم والصدقة والحج عنهما :

روى أن رجلا قال : يا رسول الله .. أنه كان لى أبوان أبرهما فى حال حياتهما .. فكيف لى ببرهما بعد موتهما ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « أن من البر بعد الموت أن تصلى لهما مع صلاتك .. وأن تصوم لهما مع صيامك » (٥٧) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. ان أمى ماتت وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها ؟ فقال : « لو كان على أمك دين هل أنت قاضيه عنها » ؟ قال : نعم . قال : « فدين الله أحق أن يقضى » (٥٨) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله .. ان أبى مات وترك مالا ولم يوص .. فهل يكفر عنه أن أتصدق عنه ؟ قال : « نعم » (٥٩) .

وعن الحسن بن سعد بن عبادة أن أمه ماتت فقال : يا رسول الله .. ان أمى ماتت أفأتصدق عنها ؟ قال : « نعم » . قلت : فأى الصدقة أفضل ؟ قال : « سقى الماء » . يقول الحسن : فتلك سقاية آل سعد بالمدينة (٦٠) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن امرأة من جهينة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : ان أمى نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت .. أفأحج عنها ؟ قال : « حجى عنها .. أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟ اقضوا فالله أحق بالقضاء » (٦١) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من زار قبر أبويه أو أحدهما كل جمعة غفر له وكتب برا » (٦٢) .

* * *

(٥٨) رواه البخارى ومسلم .
(٦٠) رواه أحمد والنسائى .
(٦٢) رواه الطبرانى فى الاوسط .

(٥٧) رواه الدارقطنى .
(٥٩) رواه أحمد ومسلم .
(٦١) رواه البخارى .

عقوق الوالدين من أكبر الكبائر

عن أبي بكرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر » ؟ — ثلاثا — قلنا : بلى يا رسول الله قال : « الاشرأ بالله .. وعقوق الوالدين » — وكان متكئا فجلس فقال : « ألا وقول الزور وشهادة الزور » .. فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت (١) .

وعن المغيرة بن شعبه رضى الله عنه .. عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله تعالى حرم عليكم عقوق الأمهات ، ومنعها وهات ، ووأد البنات .. وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » (٢) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الكبائر : الاشرأ بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس » (٣) .

وعنه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة : مدمن الخمر ، والعاق ، والديوث انذى يقر الخبث فى أهله » (٤) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة : العاق لوالديه ، ومدمن الخمر ، والمنان عطاءه ، وثلاثة لا يدخلون الجنة : العاق لوالديه ، والديوث ، والرجلة » (٥) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يزيقهم نعيمها : مدمن الخمر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم بغير حق ، والعاق لوالديه » (٦) .

(١) متفق عليه ، وإنما قالوا : « ليته سكت » اشفاقا عليه ﷺ .

(٢) متفق عليه . (٣) رواه البخارى .

(٤) رواه أحمد والنسائى والبزار والحاكم .

(٥) رواه النسائى والبزار والحاكم .

(٦) رواه الحاكم .

وروى ثوبان رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« ثلاثة لا ينفع معهن عمل : الشرك بالله .. وعقوق الوالدين .. والفرار
من الزحف »^(٧) .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ثلاثة لا يقبل الله عز وجل منهم صرفا ولا عدلا : عاق ،
ومنان ، ومكذب بالقدر »^(٨) .

وفى كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الذى كتبه الى أهل اليمن ،
وبعث به مع عمرو بن حزم : « ... وان أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة :
الاشراك بالله ، وقتل النفس المؤمنة بغير حق ، والفرار فى سبيل الله
يوم الزحف ، وعقوق الوالدين ، ورمى المحصنة ، وتعلم السحر ،
وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم »^(٩) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« رغم أنف ، ثم رغم أنف ، ثم رغم أنف من أدرك
أبويه عند الكبر — أحدهما أو كلاهما — فلم يدخله الجنة »^(١٠) .

وعن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم :
« احضروا المنبر » .. فلما خرج رقى إلى المنبر .. فرقى
فى أول درجة منه ، وقال : آمين .. ثم رقى فى اثنائية فقال : آمين ..
ثم لما رقى فى الثالثة قال : آمين ..

فلما فرغ ونزل من المنبر قلنا : يا رسول الله .. لقد سمعنا
منك اليوم شيئا ما كنا نسمعه منك ..

قال : وسمعتموه ؟ .. قلنا : نعم .

فقال صلى الله عليه وسلم : « ان جبريل عليه السلام اعترضنى
وقال : بعد من أدرك رمضان فلم يغفر له .. فقلت : آمين .. فلما
رقيت الثانية ، قال : بعد من ذكرت عنده فلم يصل عليك .. فقلت :
آمين .. فلما رقيت فى الثالثة قال : بعد من أدرك عنده أبواه الكبير
— أو أحدهما — فلم يدخله الجنة .. قلت : آمين »^(١١) .

(٧) رواه الطبرائى .

(٨) رواه أحمد والنسائى والبزار والحاكم .

(٩) رواه ابن حبان فى صحيحه . (١٠) رواه مسلم .

(١١) رواه القرطبى فى تفسير سورة الاسراء .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن خمر » .

كما قال صلى الله عليه وسلم : « لعن الله العاق والديه » .
وقال : « كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء الى يوم القيامة ..
الا عقوق الوالدين .. فانه يعجل لصاحبه » (١٢) — أى يعجل العقوبة
فى الدنيا قبل يوم القيامة .

وقال كعب الأحبار رضى الله عنه : ان الله ليعجل هلاك العبد
اذا كان عاقا لوالديه ليعجل له العذاب .. وان الله ليزيد فى عمر العبد
اذا كان بارا بوالديه ليزيده برا وخيرا ..

وسئل رضى الله عنه عن عقوق الوالدين ما هو ؟ قال : هو اذا أقسم
عليه أبوه أو أمه لم يبر قسمهما .. واذا أمراه بأمر لم يطع أمرهما ..
واذا سألاه شيئا لم يعطهما .. واذا ائتمناه خانهما ..

وقال صلى الله عليه وسلم : « ثلاث دعوات مستجابات لا شك
فيهن : دعوة المظلوم .. ودعوة المسافر .. ودعوة الوالد على ولده » .
وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « من أمسى مرضيا لوالديه وأصبح .. أمسى
وأصبح وله بابان مفتوحان فى الجنة ، وان واحدا فواحدا .. ومن أمسى
وأصبح مسخطا لوالديه .. أمسى وأصبح وله بابان مفتوحان الى النار ،
وان واحدا فواحدا » ..

فقال رجل : يا رسول الله .. وان ظلماه ؟
فقال صلى الله عليه وسلم : « وان ظلماه .. وان ظلماه ..
وان ظلماه » (١٣) .

وعن عمرو بن مرة الجهنى قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. أرأيت ان صليت الخمس ..
وصمت رمضان .. وأديت الزكاة .. وحججت البيت .. فماذا لى ؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من فعل ذلك كان مع النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين .. الا أن يعق والديه » (١٤) .

* * *

-
- (١٢) رواه الحاكم من حديث أبى بكر .
(١٣) رواه القرطبى فى تفسير سورة الاسراء .
(١٤) رواه أحمد والطبرانى .

وعن وهب بن منبه قال : ان الله تعالى أوحى الى موسى صلوات الله وسلامه عليه : « يا موسى .. وقر والديك فان من وقر والديه مددت في عمره .. ووهبت له ولدا يوقره .. ومن عق والديه قصرت في عمره ووهبت له ولدا يعقه » ..

وقال أبو بكر بن أبي مريم : قرأت في التوراة : « أن من يضرب أباه يقتل » .

وقال وهب : قرأت في التوراة : « على من صك والده الرجم » .
ويروى أنه اذا دفن عاق والديه .. عصره القبر حتى تختلف فيه أضلاعه ..
وأشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة : المشرك .. والزاني .. والعاق لوالديه ..

* * *

وجمع أبو طالب المكي رحمه الله الكبائر فقال : « أربعة في القلب وهي : الشرك بالله تعالى .. والاصرار على معصية الله تعالى .. والقنوط من رحمة الله تعالى .. والأمن من مكر الله تعالى ..

وأربعة في اللسان .. وهي : شهادة الزور .. وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات .. واليمين الغموس .. والسحر .

وثلاثة في البطن .. وهي : شرب الخمر .. وأكل مال اليتيم .. وأكل الربا وهو يعلم ..

واثنان في اليدين وهما : القتل .. والسرقة ..

واثنان في الفرج وهما : الزنا .. واللواط .

وواحدة في الرجل وهي : الفرار من الزحف .

وواحدة في جميع البدن وهي : عقوق الوالدين « (١٥) » .

أرأيت ؟ .. فاذا كانت كل جارحة من الجوارح تختص ببعض الكبائر .. فان كبيرة عقوق الوالدين تختص بالبدن كله .. فكأن كل جارحة تتحمل نصيبا من هذه الكبيرة !!

* * *

(١٥) حق الآباء على الأبناء — لفضيلة الشيخ طه عبد الله العنفي .

* بر ابن .. وعقوق آخر :

ولقد ضرب لنا القرآن الكريم مثلين رائعين .. عرض في الأول
منهما صورة مشرقة للطاعة والامتثال الى حد التضحية بالنفس !!
ثم عرض صورة أخرى مظلمة للعصيان والتمرد والمكابرة ..
والاستبداد بالرأى الى حد الاضرار بالنفس !!
وبين عاقبة كل منهما !!

قص علينا القرآن الكريم .. كيف تكون «التضحية والايثار في
أعلى صورهما .. في موقف خالد بين ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما
السلام .. فقال تعالى :

« فبشرناه بغلام حليم • فلما بلغ معه السعى قال يا بني انى أرى
في المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ،

« قال يا أبت افعل ما تؤمر ، ستجدنى ان شاء الله من الصابرين •
« فلما أسأما وتله للجبين • وناديناه أن يا ابراهيم • قد صدقت
الرؤيا ، انا كذلك نجزي المحسنين • ان هذا لهو البلاء المبين •
« وفديناه بذبح عظيم •

« وتركنا عليه في الآخرين • سلام على ابراهيم • كذلك نجزي
المحسنين • انه من عبادنا المؤمنين » (١٦) .

استسلم اسماعيل عليه السلام للذبح طاعة لأبيه ..
واستسلم الأب الصابر طاعة لربه ..
فلما تله للجبين — استجابة لرجاء ابنه (١٧) — فداه الله تعالى
بذبح عظيم .. وخلد تضحية الابن وامتنانه لأمر أبيه .. وصبر الأب
وامتنانه لأمر ربه .. في كتابه الكريم .. الى أن يرث الله الأرض ومن
عليها .

وفي الجانب الآخر .. نرى صورة مظلمة كئيبة للعصيان والتمرد ،
والمكابرة والاستبداد بالرأى .. حين يقص علينا القرآن الكريم موقفا
مغايرا تمام المغايرة .. جرت مشاهدته بين نوح عليه السلام وابنه
— ولم يحفل القرآن حتى بذكر اسمه استصغارا له وتحقيرا لشأنه —
يقول الله تعالى :

• (١٦) الصفات : ١٠١ — ١١١

(١٧) راجع ما تقدم تحت عنوان « بر الوالدين يكون بطاعتها في كل

أمر » ص ١١٩

« واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا ،
انهم مفرقون •

« ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه ، قال
ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون • فسوف تعلمون من يأتيه
عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم •

« حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين
اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن ، وما آمن معه الا قليل •
« وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ، ان ربى لغفور
رحيم •

« وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان فى معزل
يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين •

« قال ساوى الى جبل يعصمنى من الماء ،

« قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم ،

« وحال بينهما الموج فكان من المفرقين •

« وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى وغيض الماء وقضى
الأمر واستوت على الجودى ، وقيل بعدا للقوم الظالمين •

« ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق
وأنت أحكم الحاكمين •

« قال يا نوح انه ليس من أهلك ، انه عمل غير صالح ، فلا تسألن
ما ليس لك به علم ، انى أعظك أن تكون من الجاهلين » (١٨) •

لقد أراد نوح عليه السلام لابنه النجاة •• ولكنه عصى وكابر ••
واستبد برأيه فأورد نفسه موارد التهلكة •• وكانت عاقبته الخسران
المبين •

* * *

حقوق .. تقابلها واجبات

لقد وصى الله تعالى الأبناء بآبائهم .. وقرن عبادته وتوحيده
بالاحسان اليهما وبرهما .. وحض على شكرهما والاعتراف بفضلهما
حين قرن شكره تعالى بشكر الوالدين .

بل ان من يشكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه .
وقد مر بنا بعض حقوق الآباء على أبنائهم .
غن من حق الأبوين على أبنائهما : طاعتهما كبارا .. كما أطاعهم
صغارا ..

والانفاق عليهما كبارا .. كما أنفق عليهم صغارا ..
وخدمتهما كبارا .. كما خدماهم صغارا ..
وحبهما كبارا .. كما أحباهم صغارا وكبارا ..
واحسان صحبتهم .. كما أحسنا صحبتهم ، فلا يقدمون عليهما
زوجا ولا ولدا ولا صديقا ..

وعرفنا أن حق الأم على أبنائها أكبر من حق الأب ..
لأنها تعبت أكثر منه ، فحملتهم في بطنها .. وأرضعتهم من ثديها ..
وربتهم في حجرها ..

وأن من حق الوالدين على أبنائهما أن ييروهما ويحسنوا اليهما ..
فالتشبع وهما جائعان .. ليس من البر والاحسان .
والكلمة الخشنة .. ليست من البر والاحسان .
ورفع الصوت في حضرتهم .. ليس من البر والاحسان .
واثارة الغبار وهما جالسان .. ليس من البر والاحسان .
والسير أمامهما في الطريق .. ليس من البر والاحسان .
والجلوس في مكان مرتفع عليهما .. ليس من البر والاحسان .
ووضعهما في موضع أقل حسنا مما هم فيه .. ليس من البر
والاحسان .

والإساءة الى أقاربهما وأصحابهما .. ليس برا بهما أو احسانا
اليهما ..



ولم يوص الله تعالى الآباء برعاية أبنائهم .. بل ترك ذلك لطبيعة
الأبوة والأمومة التي أودعها الله أيهما ..

وما دلت إلا لأنه تعالى .. قد أودع في غرائز الجنس البشري
— بل وفي جميع الكائنات الحية — حب الأولاد ورعايتهم وحمائيتهم
من كل ما يلحق بهم الأذى .. حتى أن الدابة لترفع حافرها مخافة
أن تطأ وليدها شفقة به وحنانا عليه ..

لقد جعل الله دوافع الرحمة والتشفقة كامنة في ذوات الآباء والأمهات
وطبائعهم .. ومن هنا لم يكونوا بحاجة إلى توصيتهم بأبنائهم .
غير أن بعض الناس جبلت نفوسهم على الأنانية وحب الذات ..
فلا يعرفون لغيرهم واجبا — ولو كانوا أبناءهم — ولا يرون من الدنيا
سوى حقوقهم وحدها ..

وهؤلاء لم يتركهم الإسلام على ضلالهم .. بل بين لهم الرسول
صلى الله عليه وسلم الطريق .. وأنازلهم السبيل ..

* * *

من الأمور البديهية أن كل حق يقابله واجب .. ولذا فإن على
الآباء نحو أبنائهم واجبات .. كما أن لهم عليهم حقوق ..
وأول هذه الواجبات : أن يحسنوا اختيار الزوجة الصالحة .
حتى تكون أما صالحة لأبنائها ..

وأن يتخيروا لأبنائهم أحسن الأسماء .. ذكورا كانوا أم إناثا ..
وأن ينفقوا عليهم من كسب طيب .. فلا يطعموهم إلا من حلال ..
وأن يساووا بينهم في المعاملة ويتوخوا العدل بينهم ..
وأن يحسنوا تاديبهم وتربيتهم ورعايتهم ..
وأن يعلموهم القرآن وأحكام الدين .. كما يعلموهم الفروسية
والسباحة والرماية ..

وليعلم الآباء أنهم حين يقومون بواجبهم نحو أبنائهم .. ويربونهم
التربية الإسلامية السليمة .. وينشئوهم النشأة الطيبة .. فإن ثواب
صلاح الأبناء سوف يصل إلى آبائهم في قبورهم .. ويزيد في حسناتهم
يوم القيامة .

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة : صدقة جارية
.. أو علم ينتفع به .. أو ولد صالح يدعو له » (١) .

(١) رواه مسلم والنسائي والترمذي .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ن الرجل لترفع درجته فى الجنة .. فيقول : يا رب .. أنى لى هذا ؟
.. فيقال : باستغفار ولدك لك » (١) .

* * *

جاء رجل أنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه .. يشكو اليه عقوق
ابنه .. فأحضر عمر الابن وأنبه على عقوقه لأبيه فقال : يا امير المؤمنين
.. أليس للولد حقوق على أبيه ؟ .. قال : بلى .. قال : فما هى
يا أمير المؤمنين ؟

قال : أن ينتقى أمه .. وأن يحسن اسمه .. وأن يعلمه الكتاب
— أى القرآن .

فقال الابن : يا أمير المؤمنين .. فإن أبى لم يفعل شيئاً من ذلك ..
أما أمى فإنها زنجية كانت لمجوسى .. وقد سمانى جعلاً — أى جعرانا —
ولم يعنمنى من الكتاب حرفاً واحداً (!!) .

فالتفت عمر رضى الله عنه الى الرجل وقال له : قم .. فقد عقلت
ابنك قبل أن يعقك .. وأسأت اليه قبل أن يسيء اليك ..

* * *

● وأول واجبات الأب نحو أبنائه أن يحسن اختيار الزوجة
الصالحة حتى تكون أما صالحة لهم ..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اياكم وخضراء الدمن ..
قالوا : وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ قال : المرأة الحسناء فى
المنبت السوء » (٢) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس » (٣) .

وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « تتكح المرأة على احدى خصال : لجمالها ،
ومالها ، وخلقها ، ودينها .. فعليك بذات الدين والخلق تربت يمينك » (٤)
وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

(٢) رواه أحمد وابن ماجه والبيهقى .

(٣) رواه الدارقطنى . (٤) رواه ابن ماجه .

(٥) رواه أحمد .

عليه وسلم : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسنها ولجمالها ولدينها ..
فاظفر بذات الدين تربت يداك » (٧) .

وعنه أيضا قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الناس
خير ؟ قال : « التى تسره اذا نظر .. وتطيعه اذا أمر .. ولا تخالفه
فى نفسها ولا مالها بما يكره » (٨) .

واخرج سعيد بن منصور من حديث يحيى بن جعدة أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : « خير مائة افادها المرء المسلم بعد اسلامه :
امراه جميله تسره اذا نظر اليها وتطيعه اذا أمرها وتحفظه فى غيبته
وماله ونفسها » .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
« من تزوج امرأة لعزها لم يزد الله الا ذلا .. ومن تزوجها لمالها
لم يزد الله الا فقرا .. ومن تزوجها لحسبها لم يزد الله الا دناءة ..
ومن تزوج امرأة لم يرد بها الا أن يغض بصره ويحصن فرجه أو يصل
رحمه .. بارك الله له فيها وبارك لها فيه » (٩) .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ..
ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن .. ولكن تزوجوهن
على الدين ، ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل » .

وعن معقل بن يسار رضى الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. انى أصبت امرأة ذات حسب
ومنصب ومال .. الا أنها لا تلد ، أفأتزوجها ؟ .. فنهاه .. ثم أتاه
الثانية فقال له مثل ذلك .. ثم أتاه الثالثة فقال له : « تزوجوا الودود
ألولود .. فانى مكأثر بكم الأمم » (١٠) .

* * *

● وأن يستتر حين يأتى أهله ويتعوذ من الشيطان ..
عن عتبة بن عبد السلمي رضى الله عنه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « اذا أتى أحدكم أهله فليستتر ولا يتجردا
تجرد العيرين » (١١) .

(٧) رواه النسائي والحاكم .

(٦) رواه البخارى ومسلم .

(٩) رواه أبو داود والنسائي .

(٨) رواه الطبرانى فى الأوسط .

(١٠) رواه ابن ماجه .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« اياهم والتعري فان معكم من لا يفارقكم الا عند اعاط وحين
يفضى الرجل الى أهله .. فاستحيوهم وأكرمواهم » (١١) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « لو ان أحدكم اذا أتى أهله قال : بسم الله .. اللهم
جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا .. فقضى بينهما ولد
لم يضره » (١٢) .

* * *

● وأن يؤذن في أذنه بعد ولادته :

عن الحسين بن على رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى .. وأقام في أذنه
اليسرى لم تضره أم الصبيان » (١٣) .

وروى عن أبى رافع رضى الله عنه — مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم — قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن في أذن
الحسن بن على حين ولدته فاطمة بالصلاة » (١٤) .

* * *

● وأن يتخير له اسما حسنا .. ذكرا كان أم أنثى ..

روى أبو داود باسناد حسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « انكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم ..
فأحسنوا أسماءكم » .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « ان أحب أسمائكم الى الله عز وجل : عبد الله
وعبد الرحمن » (١٥) .

وعن أبى وهيب الجشمى رضى الله عنه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « تسموا بأسماء الأنبياء .. وأحب الأسماء
الى الله : عبد الله وعبد الرحمن .. وأصدقها : حارث وهمام ..
وأقبحها : حرب ومرة » (١٦) .

(١١) رواه الترمذى . (١٢) رواه البخارى ومسلم .

(١٣) رواه ابن السنى — وام الصبيان : هى القرينة من الجن .

(١٤) رواه أبو داود والترمذى .

(١٥) رواه مسلم . (١٦) رواه أبو داود والنسائى .

وعن سعيد بن المسيب بن حزن عن أبيه .. أن أباه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما اسمك ؟ قال : حزن .. فقال : أنت سهل .. قال : لا أغير أسما سمانيه أبى (!!) — يقول ابن المسيب : فما زالت الحزونة فينا بعد — أى غلظ الوجه وقساوته (١٧) — .
وقد غير النبي صلى الله عليه وسلم اسم عاصية إلى جميلة ،
وبرة إلى زينب ..

* * *

● ومن السنة أن يعق عنه يوم سابعه ..

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم : أمر بتسمية المولود يوم سابعه ووضع الأذى عنه والعق عنه (١٨) .

وعن سمرة بن جندب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كل غلام رهين بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ، ويحلق ويسمى » (١٩) .

وعن سلمان بن عامر الضبى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مع الغلام عقيقته .. فأهريقوا عليه دما وأميطوا عنه الأذى » (٢٠) .
وعن أم كرز الكعبية قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « عن الغلام ثاتان متكافئتان .. وعن الجارية ثاة » .
وذكر ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم عق عن الحسن بشاة .. وقال : « يا فاطمة .. احلقى رأسه وتصدقى موزنه فضة على المساكين » فوزناه فكان وزنه درهما أو بعض درهم (٢١)

* * *

● وأن يختنه .. ذكرًا كان أم أنثى ..

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « سبع من السنة في الصبى : يسمى في السابع ، ويختن ، ويماط عنه الأذى ، وتثقب أذنه — إذا كان أنثى — ويعق عنه ، ويحلق رأسه ، ويلطخ من عقيقته — أى يصبغ

(١٨) رواه الترمذى .

(١٧) رواه البخارى .

(١٩) رواه أبو داود والترمذى .

(٢١) رواه أحمد والترمذى .

(٢٠) رواه الخمسة .

شعر رأسه بعد حلقه بدم العقيقة ثم يدفن — ويتصدق بوزن شعر رأسه ذهباً أو فضة» (٢٢) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الفطرة خمس : الاستحداد — أى حلق العانة — والختان ، وقص الشارب ، ونتف الابط ، وتقليم الأظافر » (٢٣) .

وعن شداد بن أوس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الختان سنة للرجال مكرمة للنساء » (٢٤) .

وعن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يا نساء الأنصار .. ختضبن غمسا ، واختفضن ولا تتهكن ، وإياكن وكفران النعمة » (٢٥) .

ويستحب أن يكون الختان يوم السابع من ولادته .. فعن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم ختن الحسن والحسين يوم السابع من ولادتهما (٢٦) .



● وأن ينفق عليهم .. من كسب طيب ، ولا يطعمهم الا من حلال .

روى الطبرانى فى الأوسط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من سعى على عياله من حبه .. فهو كالمجاهد فى سبيل الله .. ومن طلب الدنيا حلالا فى عفاف كان فى درجة الشهداء » ..

وعن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال : مر على النبي صلى الله عليه وسلم رجل .. فرأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلده ونشاطه فقالوا : يا رسول الله .. لو كان هذا فى سبيل الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « ان كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله .. وان كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله .. وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان » . وروى البيهقى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتاب والسباحة .. وألا يرزقه الا طيبا » .

(٢٢) أخرجه الطبرانى فى الأوسط .

(٢٣) رواه البخارى ومسلم .

(٢٤) رواه أحمد والبيهقى .

(٢٥) أخرجه ابن عدى .

(٢٦) أخرجه الحاكم والبيهقى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دينار أنفقته في سبيل الله .. ودينار أنفقته في رقبة .. ودينار تصدقت به على مسكين .. ودينار أنفقته على أهلك : أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك » (٢٧) .

وعن ثوبان بن جدد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله .. ودينار ينفقه على دابته في سبيل الله .. ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله » (٢٨) .

وعن أبى مسعود البدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها فهي له صدقة » (٢٩) .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت » (٣٠) .
ورواه مسلم بمعناه قال : « كفى بالمرء اثما أن يحبس عن يملك قوته » ..

وعن أنس بن مالك رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو هكذا » — وضم اصبعيه (٣١) .

وعن عوف بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من عبد يكون له ثلاث بنات فينفق عليهن حتى يبين — أى يقمن — أو يمتن .. الا كن له حجابا من النار » .. فقالت امرأة : يا رسول الله .. وابنتان ؟ قال : وابنتان (٣٢) .

* * *

● وأن يساوى بينهم في المعاملة ويتوخى العدل بينهم ..
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ساووا بين أولادكم في العطية .. فلو كنت مفضلا أحدا لفضلت النساء » (٣٣) .

(٢٨) رواه مسلم .
(٣٠) رواه أبو داود .
(٣٢) رواه البيهقي .

(٢٧) رواه مسلم .
(٢٩) متفق عليه .
(٣١) رواه مسلم .
(٣٣) رواه البيهقي والطبراني .

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما أن أباه أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انى نحلقت ابنى هذا غلاما كان لى .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكل ولدك نحلته مثلك هذا » ؟ فقال : لا .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فأرجعه » ..

وفى رواية : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفعلت هذا بولدك كلهم » ؟ قال : لا .. فقال صلى الله عليه وسلم : « اتقوا الله واعدلوا فى أولادكم » .. فرجع أبى فرد تلك الصدقة .

وفى رواية : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بشير .. ألك ولد سوى هذا » ؟ قال : نعم .. قال : « أكلهم وهبت له مثل هذا » ؟ قال : لا .. فقال صلى الله عليه وسلم : « فلا تشهدنى اذن .. فانى لا أشهد على جور » ..

وفى أخرى : « أشهد على هذا غيرى — ثم قال : أيسرك أن يكونوا اليك فى البر سواء » ؟ قال : بلى .. فقال صلى الله عليه وسلم : « فلا اذن » (٣٤) .

وانما سقنا هذا الحديث برواياته المتعددة .. ليعلم الآباء الذين يفرقون بين أبنائهم فى المعاملة .. ويفضلون بعضا على بعض .. مدى الجناية التى يجنونها على أبنائهم .. اذ يزرعون بينهم بذور الحقد والكراهية .. ويدفعونهم الى قطع الأرحام التى أمر الله بها أن توصل .. وقد سماها الرسول صلى الله عليه وسلم جورا .. وأبى أن يشهد عليه ..

* * *

● وأن يحسن تأديبهم وتربيتهم ورعايتهم .. وأن يعلمهم القرآن وأحكام الدين .. كما يعلمهم الفروسية والسباحة والرماية .. روى البيهقى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتاب .. والسباحة .. وألا يرزقه الا طيبا » .

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر يوما .. فقرأ قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » (٣٥) ثم قال : « ألا ان القوة الرمى .. ألا ان القوة الرمى .. ألا ان القوة الرمى » (٣٦) .

(٣٥) الأنفال : ٦٠

(٣٤) متفق عليه .

(٣٦) رواه مسلم .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ارموا واركبوا .. وان ترموا أحب الى من أن تركبوا .. ومن ترك
الرمى بعد ما علمه رغبة عنه : فإنها نعمة تركها — أو قال : كفرها » (٣٧) .

وعن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم ينتضلون — أى يتسابقون فى الرمي — فقال :
« ارموا بنى اسماعيل فان اباكم كان راميا .. وأنا مع بنى فلان » .
فأمسك أحد الفريقين بأيديهم .. فقال صلى الله عليه وسلم :
« ما لكم لا ترمون » ؟ قالوا : كيف نرمي وأنت معهم ؟ فقال : « ارموا
وأنا معكم كلكم » (٣٨) .

وعن عطاء بن أبى رباح رضى الله عنه قال : رأيت جابر بن عبد الله
وجابر بن عمير الأنصارى يرتميان — أى يتسابقان فى الرمي — فمل
أحدهما فجلس فقال الآخر : كسيت ؟ .. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كل شئ غير ذكر الله فهو لهو أو سهو .. الا أربع
خصال : مشى الرجل بين الغرضين ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ،
وتعليم السباحة » (٣٩) .

* * *

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « مروا صبيانكم بالصلاة لسبع سنين ..
واضربوهم عليها عشر سنين .. وفرقوا بينهم فى المضاجع » (٤٠) .

وعن الربيع بنت معوذ رضى الله عنها قالت : أرسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم غداة يوم عاشوراء الى قرى الأنصار التى حول
المدينة : « من كان أصبح صائما فليتم صومه .. ومن كان مفطرا
فليتم بقية يومه » .. فكنا بعد ذلك نصومه ونصومه — بضم النون
وتشديد الواو مع كسرهما — صبياننا الصغار منهم .. ونذهب الى
المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن — أى الصوف — فاذا بكى أحدهم
من الطعام أعطيناها اياه حتى يكون عند الإفطار (٤١) ..

وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم
أنه قال : « أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » (٤٢) .

(٣٨) رواه البخارى .

(٤٠) رواه أحمد وأبو داود .

(٤٢) رواه ابن ماجه .

(٣٧) رواه أبو داود .

(٣٩) رواه الطبرانى .

(٤١) رواه الشيخان .

وعن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما نحل والد ولدا أفضل من أدب حسن » (٤٣) .

وعن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع » (٤٤) .

ومر قوم من الأعراب على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : أتقبلون صبيانكم ؟ قالوا : نعم . . فقالوا : لكنا والله ما نقبل . . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « وما أملك ان كان الله قد نزع منكم الرحمة » (٤٥) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من كان له ولد فليقترب له . . وليكن معه كما يكون الصبي مع الصبي ملاطفة له » .
كما قال : « من كان عنده صبي فليقتصا له » (٤٦) .

* * *

وروى أن معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه غضب يوما على ابنه يزيد . . فأرسل الى الأحنف بن قيس فقال له : يا أبا بحر . . ما تقول في الولد ؟

قال : يا أمير المؤمنين . . ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا . . ونحن لهم أرض ذليلة وسما ظليلة . . وبهم نصول على كل جليلة . . فان طلبوا فأعطهم . . وان غضبوا فأرضهم يمنحوك ودهم . . ويحبوك جهدهم . . ولا تكن عليهم ثقلا ثقيلا . . فيملوا حياتك ويودوا وفاتك . . ويكرهوا قربك . .

فقال له معاوية : لله أنت يا أحنف . . لقد دخلت على وأنا مملوء غضبا على يزيد . . ولقد أصلحت من قلبي له . . وأرسل الى يزيد بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب . . فأرسل يزيد نصف ذلك الى الأحنف . . وقالت العرب قديما : الولد ريحانك سبعا . . وخادمك سبعا . . وهو بعد ذلك صديقك أو عدوك أو شريكك . .

* * *

(٤٤) رواه الترمذى .

(٤٣) رواه الترمذى .

(٤٥) رواه ابن ماجه .

(٤٦) رواه ابن عساكر وابن بابويه .

ويقول الامام مالك بن أنس في وصيته للخليفة هارون الرشيد :
« أدب ولدك ، ومن وليت أمره على خلقك وأدبك ، حتى يتأدبوا على
ما أنت عليه ، فيكونوا لك عوناً على طاعة الله • بلغنى عن ابن مسعود
— رضى الله عنه — أنه قال : كل مؤدب يحب أن يؤخذ بأدبه ، وإن
أدب الله هو القرآن » •



وصايا خالدة

قنا ان من واجب الآباء نحو أبنائهم أن يحسنوا تأديبهم وتربيتهم ورعايتهم .. وأن يعلموهم القرآن وأحكام الدين ..
وقد حفظ لنا التاريخ الكثير من الوصايا الرائعة .. التي حفلت بالتجربة والحكمة ..
وما دمنا بصدد الحديث في هذا الجانب .. فلا بأس من أن نورد بعض هذه الوصايا الخالدة ..

● عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال : « يا غلام .. انى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك .. احفظ الله تجده تجاهك .. اذا سألت فاسأل الله .. واذا استعنت فاستعن بالله .. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك .. وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك .. رفعت الأقلام وجفت الصحف » (١) .

وفي رواية أخرى :

« احفظ الله تجده أمامك .. تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة .. واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك .. وما أصابك لم يكن ليخطئك .. واعلم أن النصر مع الصبر .. وأن الفرج مع الكرب .. وأن مع العسر يسرا »

* * *

● ومن وصية لأمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه لابنه الحسن رضى الله عنه قال :

« من الوالد الفان ، المقر للزمان ، المدبر العمر ، المستسلم للدهر ، الذام للدنيا ، الساكن مساكن الموتى ، والظاعن عنها غدا ..
« الى المولود المؤمل مالا يدرك ، السالك سبيل من قد هلك ،
غرض الأسقام ورهينة الأيام ، ورمية المصائب ، وعبد الدنيا ، وتاجر

(١) رواه الترمذى .

انغرور وغريم المنايا ، وأسير الموت ، وحليف الهموم ، وقرين الأحزان ،
ونصيب الآفات ، وصرير الشهوات ، وخليفة الأموات ..

« أما بعد .. فان فيما تبينت من ادبار الدنيا عنى وجموح الدهر
على ، واقبال الآخرة الى ، ما يزعنى عن ذكر من سواى ، والاهتمام
بما ورائى . غير انى حيث تفرد بى دون هموم الناس هم نفسى ،
فصدفنى رأبى ، وصرفنى عن هواى ، وصرح لى محض أمرى ، فأفضى
بى الى جد لا يكون فيه لعب ، وصدق لا يشوبه كذب . ووجدتك بعضى ،
بل ووجدتك كلى ، حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابنى ، وكأن الموت
لو أتاك أتانى ، فعنانى من أمرك ما يعينى من أمر نفسى ، فكتبت اليك
مستظهما به ان أنا بقيت لك أو غنيت ..

« فانى أوصيك بتقوى الله — أى بنى — ولزوم أمره ، وعمار
قلبك بذكره ، والاعتصام بحبله . وأى سبب بينك وبين الله ان أنت
أخذت به .

« أحي قلبك بالموعظة ، وأمته بالزهادة ، وقوه باليقين ، ونوره
بالحكمة ، وذلله بذكر الموت ، وقرره بالفناء ، وبصره فجائع الدنيا ،
وحذره صولة الدهر ، وفحش تقلب الليالى والأيام ، واعرض عليه
أخبار الماضين ، وذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين ، وسر فى
ديارهم وآثارهم فانظر فيما فعلوا ، وعما انتقلوا ، وأين حلوا ونزلوا ،
فانك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبة ، وحلوا ديار الغربة ، وكأنك عن
قليل قد صرت كأحدهم ، فأصلح مثواك ، ولا تبع آخرتك بدنياك ،
ودع القول فيما لا تعرف ، والخطاب فيما لم تكلف ، وأمسك عن طريق
إذا خفت ضلالتة ، فان الكف عند حيرة الضلال خير من ركوب الأهوال ،
وأمر بالمعروف تكن من أهله ، وانكر المنكر بيدك ولسانك ، وبأين من
فعله بجهدك ، وجاهد فى الله حق جهاده ، ولا تأخذك فى الله لومة لائم ،
وخض الغمرات للحق حيث كان ، وتفقه فى الدين ، وعود نفسك التصبر
على المكروه ، ونعم الخلق التصبر ، وألجئ نفسك فى الأمور كلها
الى الهك ، فانك تلجئها الى كهف حريز ، ومانع عزيز ، وأخلص فى
المسألة لربك ، فان بيده العطاء والحرمان ، وأكثر الاستخارة وتفهم
وصيتى ، ولا تذهبن عنها صفحا ، فان خير العقول ما نفع ، واعلم
أنه لا خير فى علم لا ينفع ، ولا ينتفع بعلم لا يحق تعلمه ..

» أي بني .. اني لما رأيته قد بلغت سنا ، ورأيتني أزداد
وهنا ، بادرت بوصيتي اليك ، وأوردت خلاصا منها قبل أن يعجل بي
أجلى دون أن أفضي اليك بما في نفسي ، وأن أنقص في رأيي كما نقصت
في جسمي ، أو يسبقني اليك بعض غلبات الهوى وفتن الدنيا ، فتكون
كالصعب النفور ، وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقى فيها من
شيء قبله ، جادرتك بالأدب قبل أن يفسو فبك ، ويتستغل بك لتستقبل
بجد رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته فتكون
قد كفيت مؤونة الطلب ، وعوفيت من علاج التجربة ، فأناك من ذلك
ما قد كنا نأتيه ، واستبان لك ما ربما أظلم علينا منه ..

» أي بني .. اني وان لم أكن عمرت عمر من كان قبلي ، فقد
نظرت في أعمالهم ، وفكرت في أخبارهم ، وسرت في آثارهم حتى عدت
كأحدهم ، بل كأني بما انتهى الى من أمورهم قد عمرت مع أولهم أي
آخرهم ، فعرفت صفو ذلك من كدره ، ونفعه من ضرره ، فاستخلصت
لك من كل أمر نخيله ، وتوخيت لك جميله ، وصرفت عنك مجهوله ،
ورأيت حيث عناني من أمرك ما يعنى الوالد الشفيق ، وأجمعت عليه
من أدبك أن يكون ذلك وأنت مقبل العمر ومقتبل الدهر ، ذونية سليمة
ونفس صافية ، وأن أبتدئك بتعليم كتاب الله وتأويله ، وشرائع الاسلام
وأحكامه ، وحلاله وحرامه ، لا أجاوز ذلك بك الى غيره ، ثم أشفقت
أن يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من أهوائهم وآرائهم مثل الذي
التبس عليهم ، فكان احكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك به الهلكة ،
ورجوت أن يوفقك الله فيه لرشدك ، وأن يهديك لقصدك ، فعهدت
اليك وصيتي هذه ..

» واعلم يا بني أن أحب ما أنت آخذ به الى من وصيتي تقوى الله
والاقتصار على ما فرضه الله عليك ، والأخذ بما مضى عليه الأولون
من آباءك ، والصالحون من أهل بيتك ، فانهم لم يدعوا أن نظروا
لأنفسهم كما أنت ناظر ، وفكروا كما أنت مفكر ، ثم ردهم آخر ذلك
بما عرفوا ، والامساك عما لم يكلفوا ، فان أبت نفسك أن تقبل ذلك
دون أن تعلم كما علموا ، فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم ، لا بتورط
الشبهات وعلو الخصومات ، وأبدأ قبل نظرك في ذلك بالاستعانة بالله ،
والرغبة اليه في توفيقك ، وترك كل شائبة أولجتك في شبهة ، أو أسلمتك
الى ضلالة ، فاذا أيقنت أن قد صفا قلبك فخشع ، وتم رأيك فاجتمع ،
وكان همك في ذلك هما واحدا ، فانظر فيما فسر لك ، وان لم يجتمع

لك ما تحب من نفسك ، وفراغ نظرك وفكرك ، فاعلم أنك إنما تخطب
العشواء ، وتتورط الظلماء ، وليس طالب الدين من خبط أو خلط ،
والامساك عن ذلك أمثل ..

« ففتهم يا بنى وصيتي . واعلم أن مالك الموت هو مالك الحياة ،
وأن الخائق هو المميت ، وأن المغنى هو المعيد ، وأن المبتلى هو المعاقى ،
وأن الدنيا لم تكن لتستقر الا على ما جعلها الله عليه من النعماء والابتلاء
والجزاء فى المعاد أو ما شاء مما لا نعلم ، فان أشكل عليك شئ من
ذلك فاحمله على جهالتك به ، فانك أول ما خلقت جاهلا ثم علمت ،
وما أكثر ما تجهل من الأمر ، ويتحير فيه رأيك ، ويضل فيه بصرك ،
ثم تبصره بعد ذلك ، فاعتصم بالذى خلقك ورزقك وسواك ، وليكن
له تعبدك ، واليه رغبتك ، ومنه شفقتك .

« واعلم يا بنى أن أحدا لم ينبئ عن الله كما أنبأ عنه الرسول
— صلى الله عليه وآله وسلم — فارض به رائدا ، والى النجاة قائدا ،
فانى لم آلك نصيحة ، وانك لن تبلغ فى النظر لنفسك — وان اجتهدت
— مبلغ نظرى لك ..

« واعلم يا بنى أنه لو كان لربك شريك لأنتك رسله ، ولرايت
آثار ملكه وسلطانه ، ولعرفت أفعاله وصفاته ، ولكنه اله واحد كما
وصف نفسه ، لا يضاده فى ملكه أحد ، ولا يزول أبدا ، ولم يزل أول
قبل الأشياء بلا أولية ، وآخر بعد الأشياء بلا نهاية ..

« يا بنى .. اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك ، فأحب
لغيرك ما تحب لنفسك ، واكره له ما تكره لها ، ولا تظلم كما لا تحب
أن تظلم ، وأحسن كما تحب أن يحسن اليك ، واستقبح من نفسك
ما تستقبح من غيرك ، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ،
ولا تقل ما لا تعلم وان قل ما تعلم ، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك ..
« واعلم أن الاعجاب ضد الصواب ، وآفة الألباب ، فاسع فى
كدحك ولا تكن خازنا لغيرك . واذا أنت هديت لقصدك ، فكن أخشع
ما تكون لربك ..

« واعلم يا بنى أن الرزق رزقان : رزق تطلبه ، ورزق يطلبك ،
فان أنت لم تأته أتاك ، ما أقبح الخضوع عند الحاجة ، والجفاء عند
الغنى ، ان لك من دنياك ما أصلحت به مثواك ، وان جزعت على
ما تفلت من يديك فاجزع على كل ما لم يصل اليك . استدل على ما لم يكن

بما قد كان ، فان الأمور أشباه ، ولا تكن ممن لا تتفقه العظة الا اذا بالغت في ايلامه ، فان العاقل يتعظ بالآداب ، والبهاائم لا تتعظ الا بالضرب ، اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين . من ترك القصد جار ، والصاحب مناسب ، والصديق من صدق غيبه .

« ولا تمك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها . فان المرأة ريحانة وليست بقهرمانه ، ولا تعد بكرامتها نفسها ، ولا تطمعها في أن تتسنع بغيرها . وأياك والتغابير في غير موضع الغيرة ، فان ذلك يدعو الصحيحة الى انسقم . والبريئة الى الريب ، واجعل لكل انسان من خدمك عملا تأخذه به ، فانه أخرى أن لا يتواكلوا في خدمتك ، وأكرم عشيرتك ، فانهم جناحك الذي به تطير ، وأصلك الذي اليه تصير ، ويدك التي بها تصل .»

« أستودع الله دينك ودنياك ، وأسأله القضاء لك في العاجلة والآجلة ، والدنيا والآخرة .» (٢) .

* * *

● ومن وصية ذي الاصبغ العدواني لابنه « أسيد » :
« يا بني . . ان أباك قد غنى وهو حى ، وعاش حتى سئم العيش ، وانى موصيك بما ان حفظته بلغت من قومك ما بلغت فاحفظ عني :
« ألن جانبك لقومك يحبوك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك ، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم ، يكرمك كبارهم ، ويكبر على مودتك صغارهم . .
« واسمح بمالك ، واحم حريمك ، واعزز جارك ، وأعن من استعان بك ، وأكرم ضيفك ، وأسرع النهضة في الصريخ فان لك أجلا لا يعدوك ، وصن وجهك من مسألة أحد . . فبذلك يتم سؤددك » (٣) .

* * *

● ومن وصية أعرابية لابنتها ليلة زفافها (٤) :
« أى بنية . . ان الوصية لو تركت لعقل وأدب ، أو مكرمة

(٢) كتبها الى ابنه رضى الله عنهما بحاضرين — بلدة من نواحي صفين — راينا ان نثبتها بتمامها لما حوته من حكم وعظات بليغة . . نفعا الله وأبتاعنا بها . (٣) الاغانى لأبى الفرج الأصفهاني ج ٣ .
(٤) هى أمانة بنت الحارث الثعلبية أوصت بها ابنتها ليلة زفافها للحارث بن عمرو الكندى .

في حسب لترك ذلك منك ، ولزويته عنك ، ولكن الوصية تذكرة للعاقل ،
ومنبهة للغافل ..

« أى بنية .. انه لو استغنت المرأة بغنى أبويها وشدة حاجتهما
اليها نكنت أغنى الناس عن الزوج ، ولكن للرجال خلق النساء ، كما
لهن خلق الرجال ..

« أى بنية .. انك قد فارقت الحواء الذى منه خرجت ، والوكر
الذى منه درجت ، الى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فأصبح
بملكه عليك ملكا ، فكونى له أمة يكن لك عبدا ، وأحفظى عنى خلا
عشرا تكن لك دركا وذكرا ..

« فأما الأولى والثانية : فالمعاشرة له بالقناعة ، وحسن السمع
والطاعة ، فان فى القناعة راحة القلب ، وحسن السمع والطاعة
رأفة الرب .

« وأما الثالثة والرابعة : فلا تقع عيناه منك على قبيح ، ولا يشم
أنفه منك الا طيب الريح . واعلمى - أى بنية - أن الماء أطيب
الطيب المفقود ، وأن الكحل أحسن الحسن الموجود .

« وأما الخامسة والسادسة : فالتعهد لوقت طعامه والهدوء عند
منامه ، فان حرارة الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة .

« وأما السابعة والثامنة : فالاحتفاظ بماله ، والرعاية على حشمه
وعياله ، فان الاحتفاظ بالمال من حسن التقدير ، والرعاية على الحشم
والعيال من حسن التدبير .

« وأما التاسعة والعاشرة : فلا تفشى له سرا ، ولا تعصى له أمرا ،
فانك ان أفشيت سره لم تأمنى غدره ، وان عصيت أمره أوغرت صدره .
« واتقى الفرح لديه ان كان ترحا ، والاكتئاب عنده ان كان فرحا ،

فان الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ..
« واعلمى أنك لن تصلى الى ذلك منه حتى تؤثرى هواه على هواك ،

ورضاه على رضاك ، فيما أحببت وكرهت ..

« والله يخبر لك ، ويصنع لك برحمته » ..

* * *

● وأوصى حكيم ابنته عند زفافها .. قال :

« يا بنية .. قد كانت أمك أحق بتأديبك منى لو كانت باقية ..

أما الآن فأنا أحق بتأديبك من غيرى .. فافهمى عنى ما أقول ..

« انك خرجت من العش الذي فيه درجت .. وصرت الى فراش
لا تعرفينه ، وقرين لا تألفينه .. فكوني له أرضا يكن لك سماء ..
وكوني له مهادا يكن لك عمادا .. وكوني له أمة يكن لك عبدا ..
ولا تلحقى به ولا تباعدى عنه فينساك .. ان دنا منك فادنى منه ..
وان نأى عنك فابعدى عنه .. واحفظى أنفه وسمعه فلا يشم منك
الا طيبا .. ولا يسمع الا حسنا .. ولا ينظر الا جميلا .. وكوني
معه كما قلت لأملك ليلة ابتنائى بها » ..

* * *

عود الى وصايا لقمان

● يقول الله تعالى : « وأتبع سبيل من أناب الى ، ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون » (١) .

ذكر الامام القرطبي في تفسير هذه الآية : « قوله تعالى : « وأتبع سبيل من أناب الى » وصية لجميع العالم كأن المأمور به الانسان . « وأناب » معناه : مال ورجع الى الشيء . . . وهذه سبيل الأنبياء والصالحين . . . وحكى النقاش أن المأمور سعد ، والذي أناب أبو بكر . . . وقال : ان أبا بكر لما أسلم أتاه سعد وعبد الرحمن ابن عوف وعثمان وطلحة وسعيد والزبير فقالوا : آمنت ؟ قال : نعم . . . فنزلت فيه : « أم من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه » (٢) فلما سمعها الستة آمنوا . . . فأنزل الله تعالى فيهم : « والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشري ، تبشر عباد . الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولوا الألباب » (٣) .

وقيل : الذي أناب النبي صلى الله عليه وسلم . . . وقال ابن عباس : : ولما أسلم سعد . . . أسلم معه أخواه عامر وعويمر ، فلم يبق منهم مشرك الا عتبة . . . ثم تواعد الله عز وجل بالبعث من في القبور والرجوع اليه للجزاء والتوقيف على صغير الأعمال وكبيرها » (٤) .

* * *

(٢) الزمر : ٩

(١) لقمان : ١٥

(٣) الزمر : ١٧ ، ١٨

(٤) الجامع لأحكام القرآن — للامام القرطبي .

الفصل الرابع

المرجع إلى الله

- * قضايا غيبية ..
- * رحلة القدوم « الميلاد »
- * رحلة العودة « الموت »
- واجبات نحو الموتى ..
- بداية الطريق
- * عالم البرزخ
- * علامات على الطريق
- * البعث والنشور والحساب
- * من أهوال يوم القيامة
- * نهاية المطاف .. جنة أو نار !!

المرجع الى الله ..

خلق الله آدم — عليه السلام — من أديم الأرض .. ليكون خليفة فيها .. وخلق له حواء زوجا .. وأسكنهما الجنة وقال لهما : « يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقريا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » (١) .

ولما كان الشيطان هو عدوهما الوحيد .. فان الله تعالى لم يتركهما دون تحذير .. فقال لهما : « يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى » (٢) .

غير أنهما ضعفا عن مقاومة اغراء الشيطان .. فعصيا ربهما وأكلا من الشجرة .. فكانت عاقبتهم الاخراج من الجنة .. والهبوط الى الأرض التي خلقا منها : « فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين » (٣) .

وذلك حتى تتم عمارة الأرض والخلافة فيها .. فقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يخلق الناس من الأرض .. وأن يخرج لهم أرزاقهم منها .. وفيها يحيون .. ثم اذا ماتوا عادوا اليها ودفنوا في باطنها .. ومنها يخرجهم الله مرة أخرى : « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » (٤) .

ولم يترك الله الناس في الأرض سدًى .. بل حذرهم من الشيطان وكيده .. فقال تعالى : « يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما ، انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، انا جطنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون » (٥) .

(٢) طه : ١١٧

(٤) طه : ٥٥

(١) البقرة : ٣٥

(٣) البقرة : ٣٦

(٥) الأعراف : ٢٧

كما لم يجبر الناس على التزام طريق واحدة .. بل بين لهم طريق الخير وطريق الشر .. وبين عاقبة سلوك كل منهما .. فقال تعالى : « انا هديناه السبيل اما شاكرًا واما كفورًا » (٦) .

ولم يترك الله اناس وشأنهم أمام غواية الشيطان .. بل أرشدهم الى طريق الخير والفلاح .. فأرسل الرسل لهدايتهم والأخذ بأيديهم الى طريق النجاة .. فقال تعالى : « فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار ، هم فيها خالدون » (٧) .

ووعد المؤمنين بالثواب فى الآخرة .. وتوعد الكافرين بالعقاب فيها .. فقال تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » (٨) .

وأخبرهم تعالى أن اليه المعاد .. فقال عز من قائل : « واتبع سبيل من أناب الى ، ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون » (٩) .

وقضى سبحانه .. أن كل انسان رهين بعمله .. وأنه لا تمييز بين الناس الا بالعمل الصالح .. فقال تعالى : « وكل انسان أزمانه طأثره فى عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسييا . من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » (١٠) .

* * *

* قضايا غيبية :

سيجد القارىء الكريم .. أن هذا الفصل قد بني على النصوص الواردة فى الكتاب والسنة .. ذلك لأنه يتناول قضايا : الخلق ، والتكوين ، والموت والبعث والحساب ، ثم الجنة أو النار .. لهذا .. فان الطريق الوحيد للتعرض لهذه الأمور .. هو الاعتماد الكامل على ما ورد فى القرآن الكريم .. وما جاءت به الأحاديث النبوية الشريفة .. وطرح ما عدا ذلك من آراء وفلسفات .

(٧) البقرة : ٣٨ ، ٣٩

(٩) لقمان : ١٥

(٦) الانسان : ٣

(٨) الزلزلة : ٧ ، ٨

(١٠) الاسراء : ١٣ — ١٥

كما سيلاحظ القارئ .. ان هذا الفصل هو أطول فصول الكتاب ..
وما ذلك إلا لأنه يتناول مسأله الوجود والعدم .. وهى أخطر
قضايا الانسان على الاطلاق ..

وما كان لنا — ونحن نقف أمام قوله تعالى : « ثم الى مرجعكم
فأنبئكم بما كنتم تعملون » — أن نكتفى بشرح للألفاظ لا يتجاوز صفح
أو بعض صفحه .. ثم ننتقل الى بقية الوصايا التى أتى بها لقمان
الحكيم .. فالامر أكبر من ذلك وأخطر .. انه قضية الانسان ..

ولم يكن لنا من فضل فى اعداد هذا الفصل .. سوى التنسيق
بين عشرات الآيات ومئات الأحاديث التى تناولت الموضوع .. ثم
التدخل — بين الحين والآخر — بالتعليق بما يفسر ما غمض منها ..

والأمل .. أن يغفر لنا القارئ التزام هذا الموقف — فى هذا
الفصل — فما يستطيع العقل — أى عقل — أن يخوض فى مثل هذه
القضايا الغيبية دون الاعتماد الكامل على الكتاب والسنة .. والله وحده
المستعان .

* * *

رحلة القدوم « الميلاد » ..

● يقول الله تعالى : « ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين • ثم جعلناه نطفة في قرار مكين • ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين » (١) •

ويقول تعالى : « الذي أحسن كل شيء خلقه ، وبدأ خلق الانسان من طين • ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين • ثم سواه ونفخ فيه من روحه ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ، قليلا ما تشكرون » (٢) •
ويقول جل شأنه : « هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ، ومنكم من يتوفى من قبل ، ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون » (٣) •

ويقول جل وعلا : « أيعسب الانسان أن يترك سدى • ألم يك نطفة من منى يمنى • ثم كان علقه فخلق فسوى • فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى • أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى » (٤) •

* * *

خلق الله الانسان من ذكر وأنثى .. وهيا كل منهما لأداء وظيفته في الحياة ..

وشرع الزواج سبيلا لتكوين الأسرة ..

وجعل الحمل وسيلة الانسان الوحيدة للتناسل •

فيقول تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » (٥) •

ويقول جل شأنه : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » (٦) •

وجعل سبحانه وتعالى من وظيفة الرجل انتاج الملايين من الخلايا

(٢) السجدة : ٧ — ٩

(٤) القيامة : ٣٦ — ٤٠

(٦) الروم : ٢١

(١) المؤمنون : ١٢ — ١٤

(٣) غافر : ٦٧

(٥) النساء : ١

الصغيرة — التي لا ترى بالعين المجردة — وجعلها كاملة النضج
صالحة للاخصاب ..

كما جعل وظيفة الأنثى : الحمل والوضع والرضاع .. وزودها
بما يساعدها على أداء وظيفتها ..

وهيأ أجهزة الأنثى للعمل في تناسق تام .. وفق نظام رتيب
أودعه فيها .. بحيث تتخذ هذه الأجهزة لكل خطوة — من حمل ووضع
ورضاع — دواعيها !!

ولقد وقف بنا علم وظائف الأعضاء عند الحدود المشاهدة للمموسة
.. فلم يتجاوزها الى حقائق الأمور كما أبدعها الله تعالى وأودعها
أسراره ..

لم يستطع العلم أن يصل بنا الى كيفية التطور من الماء المهيئ
.. الى العلقة .. ثم المضغة .. ثم العظام .. فاللحم .. فتكوين
الجنين متكاملاً حاملاً للصفات الوراثية .. من ملامح وخصائص !!

ثم ماهية الروح • وكيف تنفخ في الجنين !!
وأخيراً .. الخروج الى الدنيا انساناً متكاملًا !!
كل ما استطاع العلم الوصول اليه .. وصف المشاهد التي تحدث
.. أما الأسرار الخفية فعلمها عند الله وحده ..

يقول الله تعالى : « فليُنظر الانسان مم خلق • خلق من ماء
دافق • يخرج من بين الصلب والترائب » (٧) •

ويقول جل شأنه : « ألم نخلقكم من ماء مهين • فجعلناه في
قرار مكين » (٨) •

يحاول العلم وصف هذه العملية الرائعة .. فيقف عاجزاً أمام
أسرارها .. فيكتفى باطلاق عبارة « التطور » عليها .. ليزيدنا حيرة
الى حيرة .. ولا نمك الا أن نقرر مبهورين : « تبارك الله أحسن
الخالقين » !!

* * *

تولد الأنثى .. وفي مبيضها حوالى السبعين ألف « بويضة »
غير ناضجة .. أودع الله كل منها في كيس صغير يسمى « الحويصلة »
.. وتظل هذه البويضات دون نمو يذكر حتى قرابة سن المراهقة ..
وعندئذ يأذن الله للفص الأمامى للغدة النخامية في افراز هرموناته ..

(٨) الرسائل : ٢٠ ، ٢١

(٧) الطارق : ٥ — ٧

ومنها هرمون خاص وظيفته حث الحويصلات وبويضاتها على النمو ..
ولا يبلغ منها الى درجة النضج الكامل سوى واحدة فقط في كل دورة
شهرية !!

ولو قدرنا سن الاخصاب في المرأة بثلاثين عاما .. لاتضح لنا
أنه لا يبلغ الى درجة النضج الكامل سوى أربعمئة بويضة — على
وجه التقريب — أما البويضات الباقية فانها تضرر خلاياها .. ثم
تبتلعها « ابلعمات » — وهى خلايا خاصة أودعها الله تعالى جسم
الانسان لتخليصه من أى مادة غير مرغوب فيها ، وذلك بالتهاهما
وبلعها !!

وتبدأ الحويصلة المحتوية على البويضة في الكبر شيئاً فشيئاً
— بداخل المبيض — وينشأ عن ذلك تجمع سائل تفرزه الخلايا الجدارية
المبطنة للحويصلة .. ومع تراكم ذلك السائل وتجمعه، تكبر الحويصلة
وتتفخ ويرق جدارها .. ثم لا تلبث أن تتفجر وتتطلق البويضة منها
.. يدفعها السائل الحويصلى نحو شراريب « بوق فالوب » .. والتي
تلتقها بدورها وتدخلها الى البوق .. وتسمى هذه العملية — التى تحدث
في الفترة ما بين اليوم الرابع عشر الى السادس عشر من الدورة
الشهرية — بالتبويض .. ويتناوب المبيضان هذه العملية !!

وقد زود الله تعالى السائل الحويصلى .. بهرمون خاص أطلق
عليه العلماء اسم « الاستروجين » .. وهذا الهرمون يؤثر في جدار
الرحم .. حيث يتضخم الغشاء المبطن له .. وتمتلئ أوعيته الدموية
بالدم .. حتى يبلغ ذروته حوالى اليوم الرابع عشر .. استعداداً
لتلقى البويضة اذا شاء الله لها الاخصاب !!

وعندما يتم اللقاء .. تبدأ ملايين « الخلايا الذكرية » في الحركة
السريعة .. مستعينة بذيلها الذى زودها الله به .. ولا يعبر قناة الرحم
سوى عدد قليل .. وبمجرد اجتياز هذا العدد تتسابق حتى تصل الى
البوق الذى تستكن « البويضة » بداخله .. والتى يخرج منها — بمجرد
اقتراب هذه الخلايا — بروز لالتقاط الخلية التى تنجح في الوصول
اليها .. وينفصل رأسها بمجرد ملامسته واجتيازه لهذا البروز .. لتعود
« البويضة » الى وضعها الأول .. وعلى الفور تقوم بتكسية نفسها
بغلاف يمنع دخول المزيد من الخلايا !!

وهنا يكون الاخصاب قد تم .. واتحدت النواتان .. ولا زالت
« البويضة » بداخل « البوق » !!

أى ابداع .. وأى قدرة ؟!

« تبارك الله أحسن الخالقين » .

ثم تبدأ بعد ذلك عملية رائعة .. فتأخذ « البويضة » المخصبة في الانقسام الى اثنتين .. وتنقسم كل منهما بدورها الى اثنتين .. وهكذا !!

بينما تنتقل « البويضة » عبر « البوق » حتى تصل الى « الرحم » .. وتظل هائمة فيه غير مستقرة يومين أو ثلاثة .. ثم تلتصق بواسطة شعيرات دقيقة تمتد من جدرها .. بينما تفرز مادة لزجة بمجرد لمس الغشاء المبطن للرحم .. حتى تساعد هذه المادة على الالتصاق به !! وما تقتضى بضع ساعات .. الا وتكون « البويضة » قد حفرت لنفسها مكانا داخل الغشاء لتستقر فيه .. بعد أن أصبحت « علقة » !!

ويمد الله تعالى « العلقة » باحتياجاتها من غذاء وأكسوجين من دم الأم .. ثم تأخذ « العلقة » في النمو والتطور .. الى أن تشعر الأم بحركة الجنين في أحشائها في الأسبوع السادس عشر لبدء الحمل !! ويأذن الله للحمل بالاكتمال .. وتشعر الأم بالآلام الوضع التي تستمر عادة يوما أو يومين .. ثم تبدأ رحلة الحياة بنزول الجنين الى الحياة طفلا !! (٩) .

سبحان الله : « يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث » (١٠) .

وصدق الله تعالى القائل : « يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ، ونقر في الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا » (١١) .

* * *

روى الامام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق . قال : « ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما .. ثم يكون

(٩) اخذنا المعلومات الطبية عن كتاب « الانثى » للدكتور أحمد محمد

كمال ، رحمه الله .

(١٠) الزمر : ٦

(١١) الحج : ٥

في ذلك علة مثل ذلك .. ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك .. ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : يكتب رزقه . وأجله ، وعمله ، وتسقى أو سعيد .. فوالذى لا إله غيره .. ان أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع .. فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها .. وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » .

وعن حذيفة بن أسيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين — أو خمسة وأربعين ليلة — فيقول : يا رب .. أشقى أو سعيد ؟ فيكتبان .. فيقول : أى رب .. أذكر أو أنثى ؟ فيكتبان .. ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه .. ثم تطوى الصحف فلا يزداد فيها ولا ينقص » (١٢) .

وعن عامر بن واثلة أنه سمع عبد الله بن مسعود — رضى الله عنهم — يقول : الشقى من شقى في بطن أمه .. والسعيد من وعظ بغيره .. فأتى رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له حذيفة بن أسيد الغفارى فحدثه بذلك من قول ابن مسعود .. فقال : وكيف يشقى رجل بغير عمل ؟

فقال له حذيفة : أتعجب من ذلك ؟ .. فأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة .. بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها .. ثم قال : يا رب .. أذكر أم أنثى ؟ .. فيقضى ربك ما شاء .. ويكتب الملك .. ثم يقول : يا رب .. أجله ؟ فيقول ربك ما شاء .. ثم يقول : يا رب .. رزقه ؟ فيقضى ربك ما شاء .. ويكتب الملك .. ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص » (١٣) .

وعن حذيفة بن أسيد الغفارى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم — بأذنى هاتين — يقول : « ان النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة .. ثم يتصور عليها الملك .. فيقول : يا رب .. أذكر أم أنثى ؟ .. فيجعله الله ذكرا أو أنثى . ثم يقول : يا رب .. أسوى أو غير سوى ؟ .. فيجعله الله سويا أو غير سوى . ثم يقول :

(١٣) رواه مسلم .

(١٢) رواه مسلم .

يا رب .. ما رزقه ؟ ما أجله ؟ ما خلقه ؟ .. ثم يجعله الله شقيا أو سعيدا» (١٤) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله عز وجل قد وكل بالرحم ملكا .. فيقول : أى رب .. نطفة ؟ أى رب .. علقة ؟ أى رب .. مضغة ؟ .. فاذا أراد الله أن يقضى خلقا قال الملك : أى رب .. ذكر أو أنثى ؟ شقى أو سعيد ؟ فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ فيكتب كذلك في بطن أمه » (١٥) .

* * *

ومن الأمور المستغربة حقا .. أن الناس — في زماننا هذا — شغلوا أنفسهم عن الفروض والواجبات التي افترضها الله ورسوله عليهم .. بما ليس لهم فيه دخل أو يستطيعون معه حيلة .. أمرنا الله تعالى بافراد العبادة له وحده .. فأشرك الناس معه الأنداد والوسطاء والشفعاء !! وأمرنا بطاعة رسوله — صلى الله عليه وسلم — والتمسك بسنته واتباع هديه ..

فأعرضوا عن سنة نبيهم .. وأقبلوا على البدع المنكرة والعادات المردولة .. ما لم ينزل الله به سلطانا !! فرض علينا إقامة الصلاة .. وأداء الزكاة .. وصوم شهر في العام ..

فاكتفى الناس من الصلاة بحركاتها .. ومن الزكاة بالنذر اليسير يعطونه للفقير على كره منهم .. ومن الصوم بهجر الطعام والشراب !! وغرض الحج على من استطاع إليه سبيلا .. وكم من مستطيع للحج لم يخطر له الحج على بال !! إنما جعلوا أكبر همهم الحرص على الحياة الدنيا وإطالة أعمارهم فيها .. ولم يفكروا فيما بعد الحياة .. وغفلوا عن أن الموت لاحقهم لا محالة .. طال العمر أو قصر .. ولم يعظهم ما آل إليه الآباء والأجداد !!

كما اهتموا بالاستكثار من المال .. يكتنزونهم ويعدونه ذخرا للمستقبل .. ومعينا على الأيام المقبلة .. وكأنما كتب لهم الخلود على هذه الأرض الفانية .

(١٤) رواه مسلم .

(١٥) رواه البخارى ومسلم .

ولو أيقن الناس حقا أن الأجل والرزق بيد الله وحده .. وأنهم
مقدران بقدر قدره تعالى وكتبه لهم في بطون أمهاتهم .. لأنصفوا
أنفسهم وتركوا أمر العمر والرزق لله تعالى المتصرف فيهما .. ليدبر
لهم معاشهم وآجالهم بحكمته .. ولشغلوا أنفسهم بما افترضه الله
عليهم وما سنه لهم رسوله — صلى الله عليه وسلم — منهاجا كاملا
لمعاشهم ومعادهم ..

فاللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه .. وأرنا الباطل باطلا
وارزقنا اجتنابه ..

* * *

رحلة العودة « الموت »

تبدأ رحلة الانسان فى الحياة بالميلاد .. طفلا صغيرا لا يدري
من أمره شيئا .. يحتاج الى حنان الأم وعطف الأب فى تغذيته
ورعايته وتربيته ..

ثم يبدأ فى الاعتماد على نفسه شيئا فشيئا .. ويصبح شابا
يافعا .. ثم رجلا مكتمل الرجولة .. فكهلا .. ثم شيخا فانيا ...
ثم تنتهى الحياة بالموت بعد أن تغادر الروح الجسد ..
وقد أثبت العلم .. أن ما يحدث للجسم بعد الموت أمر غريب
يبالغ الغرابة .. عجيب أشد العجب ..

فسواء دفن الجسد فى القبر .. أى قبر .. أم غرق فى البحر ..
حرق بالنار أو أكلته السباع والحيوانات .. فإنه يتحلل الى عناصره
الرئيسية الأولى المكونة له .. وهى عناصر التراب المعروفة والتى
يتكون منها .. وهى : الكربون ، والأكسوجين ، والايديروجين ،
والفسفور ، والكبريت ، والآزوت ، والكالسيوم ، والبوتاسيوم ،
والصوديوم ، والكلور ، والمغنسيوم ، والحديد ، والمنجنيز ، والنحاس ،
والليود ، والفلورين ، والكوبالت ، والزنك ، والسلكون ، والألومنيوم
... الخ !!

هذا ما أثبتته العلم الحديث بتحليل جسم الانسان تحليلا معمليا !!
فالأجساد عندما تقبر .. تبدأ البيكتريا والجراثيم فى تحليلها
الى تراب .. وهو ما يشاهد فعلا فى كافة القبور ..

والجسم يعود بالموت الى عناصره التى تكون منها .. وهذه
تختلط بالتربة .. أيا كانت هذه التربة .. فى أعماق البحر أم فى الصحراء
.. أم فى الأرض .. أى أرض ^(١) ..

هذا هو مصير الأجساد .. فهل هذه هى النهاية التى لا نهاية
بعدها ؟! أم أن هذه هى مجرد البداية .. التى يبدأ بها الانسان رحلته
الخالدة ١٤



(١) راجع كتاب « يوم القيامة » للدكتور عبد الرزاق نوفل رحمه الله .

يموت الأب .. أو الابن .. أو الزوج .. أو الأخ !!
وتموت الأم .. أو البنت .. أو الزوجة .. أو الأخت !!
حما يموت الجد والجدة .. ولعم والعمة .. والخال والخالة ..
أيا كانت صفه الميت .. فالامر سواء .. والكل سوف يموت !!
ويتجمع الأبناء والاباء .. والاخوة والاخوات .. والأهل
والأصدقاء .. واجمين محزونين .. قد هالهم المصاب وأفزعتهم
المفاجأة !!

وتساقط عبرات .. ويرتفع نسيج محتوم .. وتتعالى صيحات ثكلى
.. كلها تبكى خلال الراحل الكريم .. وتتذكر محاسنه وتعدد مآثره !!
ثم ينتبه القوم الى أمر لا فكاك منه .. اذ لابد أن يثوى الراحل
الكريم التراب .. مهما كان عزيزا أو حبيبيا .. فهكذا سنة الحياة !!
وينشر نعى الفقيد الغالى فى الجرائد .. وتطير أسلاك البرق
النبا المشئوم .. ويتجمع الأهل والأصدقاء ليحملوا الفقيد العزيز الى
مثنواه الأخير !!

ثم تخرج الجنازة .. يحفها الجلال والوقار .. ومن حولها يرتفع
البكاء والعويل .. والناس بين محزون ومتحزن .. فاذا ما وورى
الجسد التراب .. واستقر الفقيد العزيز فى قبره .. عاد كل منهم
الى بيته وأهله .. يتحدث عن جلال المشهد وعظمة الموكب !!

وفى المساء .. يقام السرادق الفخم الضخم .. ويجلس للتلاوة
فيه مشاهير القراء .. يرتلون ما تيسر لهم من آيات الله البينات .. بأصوات
عذبة جميلة .. وبأحلى الأنغام والألحان .. يتخيرون منها آيات الصبر
والتبشير بالجنة الوارفة والنعيم المقيم .. ويتبارى الخطباء والوعاظ
فى التخفيف عن الأهل فى مصابهم الفادح !!

وفى الصباح .. تشرق الشمس فى موعدها تماما .. ما تتخلف
لحظة واحدة .. وتسير الحياة سيرها المعتاد .. لا يتغير خطوة واحدة
.. كل شىء كما تعود أن يكون !!

ثم تتوالى الأيام والشهور .. ويصبح الفقيد العزيز مجرد ذكرى
عابرة .. تطوف بمن اتصلت بهم حياته بين الحين والآخر .. فلا يتذكر
سوى أقرب المقربين اليه .. مرة فى كل عام .. ثم يصبح نسيا منسيا !!
هكذا الحياة !!

فهل هذا هو نهاية المطاف ؟!

وهل انتهت رحلة الانسان حقا الى هذا الحد ؟؟
ظاهر الامر .. أن هذا هو مصير كل حي .. ولكن الواقع يختلف
عن ذلك اختلافا كبيرا .. فما انتهت المسألة !!
لقد انتهت مرحلة لتبدأ أخرى !!

لقد انتهت رحلة الحياة الثانية .. لتبدأ رحلة الحياة الأبدية
السرمدية .. حيث الخلود بلا نهاية .. فلا فناء ولا موت في دار البقاء ..
وفي الأثر من جوامع الكلم : « الناس نيام .. فإذا ماتوا انتبهوا »
.. فما انتهى الانسان بموته .. انما أفاق من غفلته .. وانتقل الى
مرحلة جديدة !!



يقول الامام ابن قدامة المقدسى عن الموت :
« والذي تدل عليه الآيات والأخبار .. أن حقيقة الموت هو مفارقة
الروح للجسد .. وأن الروح تكون بعد ذلك باقية .. اما معذبة
أو منعمة .. فان الروح قد تتألم بنفسها بأنواع الحزن والغم ..
وتتعم بأنواع الفرح والسرور من غير تعلق لها بالأعضاء .. فكل
ما هو وصف للروح بنفسها .. يبقى معها بعد مفارقة الجسد .. وكل
ما هو لها بواسطة الأعضاء يتعطل بموت الجسد .. الى أن تعاد الروح
الى الجسد .. ولا يبعد أن تعاد الروح الى الجسد في القبر .. ولا يبعد
أن تؤخر الى يوم البعث .. والله سبحانه أعلم بما حكم به على كل
عبد من عباده .. »

فمعنى الموت انقطاع تصرف الروح عن البدن .. وخروج البدن
عن أن يكون آلة لها .. وسلب الانسان عن أمواله وأهله بازعاجه الى
عالم آخر لا يناسب هذا العالم .. فان كان له بالدنيا شيء يفرح به
ويستريح اليه .. عظمت حسرته عليه بعد الموت .. وان كان لا يفرح
الا بذكر الله تعالى والأنس به .. عظم نعيمه وتمت سعادته اذا خلى
بينه وبين محبوبه .. وقطعت عنه العوائق والشواغل .. لأن جميع
شواغل الدنيا شاغلة عن ذكر الله تعالى ..

وينكشف للميت بالموت ما لم يكن مكشوفاً في حال الحياة ..
كما ينكشف للمتيقظ ما لم يكن مكشوفاً له عند النوم .. والناس نيام
فإذا ماتوا انتبهوا .. وأول ما ينكشف له ما يضره وما ينفعه من حسناته
وسيئاته .. وقد كان ذلك مسطور في كتاب مطوى في سر قلبه ..

وكان يشغفه عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا .. فلما انقطعت انكشفت له جميع أعماله .. فلا ينظر الى سيئة الا ويتحسر عليها تحسرا يؤثر أن يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة .. وكل ذلك ينكشف له عند الموت .. وهذه آلام تهجم على العاصي قبل الدفن .. نسأل الله العافية» (٢) .

واذا كانت سيئات العاصي تنكشف له عند احتضاره فيتحسر لها ويتألم لذلك ألما عظيما .. فان الطائع تنكشف له حسناته وما أعد له من عظيم المنازل .. فتسعد روحه وتتبسط أساريره .. وتغمره السكينة والطمأنينة ..

وقد شوهد ذلك في كثير من الموتى عند احتضارهم .. فمنهم من تفرج أسارير وجهه ويغمرها الهدوء والسكينة .. ومنهم من تنقبض ملامحه ويبدو عليها الرعب والفرع .. أعاذنا الله من ذلك .
عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « مثل المؤمن حين تخرج نفسه .. مثل رجل كان في سجن فأخرج منه .. فهو يتفصح في الأرض ويتقلب فيها » ..

ويعلق عليه ابن قدامة فيقول : « وهو صحيح .. فان المؤمن ينكشف عليه عقيب الموت من فضل الله وكرامته .. ما تكون الدنيا بالاضافة اليه كالسجن .. فيكون كمحبوس في بيت مظلم .. ففتح له باب الى بستان واسع الأكفاف .. فيه أنواع الأشجار .. فلا يسره الرجوع الى الدنيا .. كما لا يسره العود الى بطن أمه » (٣) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه .. ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » .

قلنا : يا رسول الله .. كلنا يكره الموت !!
قال : « ليس ذلك كراهية الموت .. ولكن المؤمن اذا حضر .. جاءه البشير من الله .. فليس شيء أحب اليه من أن يكون قد لقي الله فأحب الله لقاءه .. وان الفاجر — أو الكافر — اذا حضر جاءه ما هو صائر اليه من الشر — أو ما يلقي من الشر — فكره لقاء الله فكره الله لقاءه » (٤) .

(٢) مختصر منهاج القاصدين — لابن قدامة المقدسي ، نشر دار التراث

العربي — سنة ١٩٨٢ ، ص ٣٤٥

(٤) رواه أحمد .

(٣) المرجع السابق ص ٣٤٦

فبين لنا — صلى الله عليه وسلم — حال المؤمن عند الاحتضار ..
حيث تنزل عليه ملائكة الرحمة تبشيره بالرضوان وتطمئنه وتؤنسه ..
ويفتح الله له أبواب الجنة .. فينظر الى نعيمها فيشرح صدره
وييسم ثغره ..

ومصادقه قول الله تعالى : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
تتوزل عليهم الملائكة الا تحاموا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم
توعدون . نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ولكم فيها
ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون . نزلا من غفور رحيم » (٥) .

وعن فضالة بن عبيد رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : « اللهم من آمن بك ، وشهد أنى رسولك فحبب اليه
لقاءك ، وسهل عليه قضاءك ، واقلل له من الدنيا .. ومن لم يؤمن بك ،
ولم يشهد أنى رسولك فلا تحبب اليه لقاءك ، ولا تسهل عليه قضاءك ،
وأكثر له من الدنيا » (٦) .

وفي رواية لابن ماجه من حديث عمرو بن غيلان الثقفى .. أنه قال :
« اللهم من آمن بى وصدقنى وعلم أن ما جئت به الحق من عندك
فأقلل ماله وولده ، وحبب اليه لقاءك ، وعجل له القضاء .. ومن لم يؤمن
بى ولم يصدقنى ، ولم يعلم أن ما جئت به الحق من عندك فأكثر
ماله وولده وأطل عمره » (٧) .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « ان شئتم أنبأتكم ما أول ما يقول الله عز وجل للمؤمنين
يوم القيامة .. وما أول ما يقولون له .. »
قلنا : نعم .. يا رسول الله ..

قال : « ان الله عز وجل يقول للمؤمنين : هل أحببتم لقائى ؟
فيقولون : نعم يا ربنا .. فيقول : لم ؟ .. فيقولون : رجونا عفوك ،
ومغفرتك ، فيقول : قد وجبت لكم مغفرتى » (٨) .

* * *

(٥) فصلت : ٣٠ — ٣٢

(٦) رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى وابن حبان .

(٧) ذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب .

(٨) رواه أحمد .

✽ واجبات نحو الموتى :

يقول الله تعالى : « كلا اذا بلغت التراقي • وقيل من راق • وظن أنه الفراق • والتفت الساق بالساق • الى ربك يومئذ المساق » (٩) •
ويقول جل شأنه : « اد يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد • ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد • وجاءت سكرة الموت بالحق ، ذلك ما كنت منه تحيد » (١٠) •

عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى سلمة وقد شق بصره فأغمضه وقال : « ان الروح اذا قبض تبعه البصر » • فضج ناس من أهله فقال : « لا تدعوا على أنفسكم الا بخير • فان الملائكة يؤمنون على ما تقولون » • ثم قال : « اللهم اغفر لأبى سلمة • وارفع درجته في المهديين • واخلفه في عقبه في الغابرين • واغفر لنا وله يا رب العالمين • وافسح له في قبره • ونور له فيه » (١١) •

وروى هانىء — مولى عثمان بن عفان — رضى الله عنه قال : كان عثمان اذا وقف على قبر بكى حتى ييل لحيته • فقيل له : تذكر الجنة والنار ولا تبكى ، وتذكر القبر فتبكى ؟!

فقال : انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « القبر أول منزل من منازل الآخرة • فان نجا منه فما بعده أيسر منه • وان لم ينج فما بعده أشد منه » •
قال : وسمعت صلى الله عليه وسلم يقول : « ما رأيت منظرا قط الا والقبر أفظع منه » •
وزاد رزين : قال هانىء : وسمعت عثمان رضى الله عنه ينشد على قبر :

فان تنج منها تنج من ذى عزيمة والا فانى لا أخالك ناجيا

✽ ✽ ✽

● ولم يتركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بعد أن بين لنا الحلال من الحرام • وتركنا على المحجة البيضاء • ليلها كنهارها • لا يزيغ عنها الا هالك •

(١٠) سورة ق : ١٧ — ١٩

(٩) القيامة : ٢٦ — ٣٠

(١١) رواه مسلم •

• ويعلمنا الرسول صلى الله عليه وسلم ما يجب علينا نحو موتانا .
 • • نأول ما يجب تذكير الميت بالشهادة : عن أبي سعيد الخدري
 رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقنوا موتاكم :
 اله الا الله » (١٢) .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : « من دان آخر كلامه : لا اله الا الله •• دخل الجنة » (١٣) .

وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يقول : « ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول : انا لله وانا اليه
 راجعون •• اللهم آجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها الا آجره
 الله تعالى فى مصيبتة ، وأخلف له خيرا منها » •• قالت : فلما مات
 أبو سلمة قلت : أى المسلمين خير من أبى سلمة •• أول بيت هاجر
 الى رسول الله صلى الله عليه وسلم •• ثم انى قلتها فأخلف الله لى
 خيرا منه : رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٤) .

وعن أبى موسى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال : « اذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملكته : قبضتم ولد عبدى ؟
 فيقولون : نعم •• فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم ••
 فيقول : وهو تعالى أعلم — : ماذا قال عبدى ؟ فيقولون : حمدك
 واسترجع •• فيقول الله تعالى : ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه
 بيت الحمد » (١٥) .

● ولم ينفه الرسول صلى الله عليه وسلم — الخبير بطبائع
 البشر — عن البكاء •• بل انه — صلى الله عليه وسلم — بكى ابنه ابراهيم
 •• وبكى حفيده •• كما بكى سعد بن عباد رضى الله عنه ••
 فعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 دخل على ابنه ابراهيم وهو يجود بنفسه •• فجعلت عيني رسول الله
 صلى الله عليه وسلم تذرفان •• فقال له عبد الرحمن بن عوف
 رضى الله عنه : وأنت يا رسول الله ؟ •• فقال : « يا ابن عوف ••
 انها رحمة » .

(١٢) رواه مسلم . (١٣) رواه أبو داود والحاكم .

(١٤) رواه مسلم وأبو داود والنسائي والترمذى .

(١٥) رواه الترمذى وحسنه وابن حبان فى صحيحه .

تم أتبعها بأخرى .. فقال : « ان العين تدمع والقلب يحزن ..
ولا نقول الا ما يرضى ربنا .. وانا بفراقك يا ابراهيم لحزونون » (١٦) .
وعن أسامة بن زيد رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع ليه ابن ابنته وهو في الموت .. ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فقال له سعد : ما هذا يا رسول الله ؟ .. قال : « هذه رحمه جعلها الله تعالى في قلوب عباده .. وانما يرحم الله من عباده الرحماء » (١٧) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد سعد بن عبادة ومعه عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم .. فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم .. فلما رأى القوم بكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بكوا .. فقال : « ألا تسمعون .. ان الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب .. ولكن يعذب بهذا — وأشار الى لسانه — أو يرحم » (١٨) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه .. فبكى وأبكى من حوله .. فقال : « استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لى .. واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لى .. فزوروا القبور فانها تذكر الموت » (١٩) .

● انما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن اللطم والنياحة ..
وتشق الثياب .. وحلق الرأس ونتفه .. والدعاء بالويل والثبور ..
عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من ضرب الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية » (٢٠) .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الميت يعذب في قبره بما نيح عليه » (٢١) — وفي رواية : « ما نيح عليه » ..

وعن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من نيح عليه فانه يعذب بما نيح عليه يوم القيامة » (٢٢) .

-
- | | |
|---------------------------|---------------------------|
| (١٧) متفق عليه . | (١٦) رواه البخارى ومسلم . |
| (١٩) رواه مسلم . | (١٨) متفق عليه . |
| (٢١) رواه البخارى ومسلم . | (٢٠) رواه البخارى ومسلم . |
| | (٢٢) رواه البخارى ومسلم . |

وعن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول : واجبلاه ، واسيداه ، أو نحو ذلك إلا وكل به ملكان يلهمانه : هكذا كنت » ؟ (٢٢) .

وعنه رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الميت ليعذب ببكاء الحي اذا قال : واعضداه ، وامانعاه ، وأناصره ، واكاسياه . . . جبد الميت فقيل : أناصرها أنت ؟ . . . أكاسيها أنت ؟ » (٢٤) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة من الكفر بالله : شق الجيب . . . وانثيافة . . . والطعن في النسب » (٢٥) .

وعنه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تصلى الملائكة على نائحة ولا مرنة » (٢٦) [بضم الميم وكسر الراء مع التشديد . . . والرنين : رفع الصوت] .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان هذه أنوائح يجعلن يوم القيامة صفين في جهنم : صف عن يمينهم وصف عن يسارهم فينبحن على أهل النار كما تنبح الكلاب » (٢٧) .

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة والمستمعة » (٢٨) .

وعن أم عطية رضى الله عنها قالت : « أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في البيعة ألا ننوح » (٢٩) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة رن ابليس رنة — أى صوت — اجتمعت اليه جنوده . . . فقال : اياأسوا أن تردوا أمة محمد على الشرك بعد يومكم هذا ، ولكن افتنوهم في دينهم ، وأفشوا فيهم النوح (٣٠) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة : مزمار عند نعمة ، وورنة عند مصيبة » (٣١) .

(٢٣) رواه ابن ماجه والترمذى .

(٢٥) رواه ابن حبان والحاكم .

(٢٤) رواه الحاكم .

(٢٧) رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٢٦) رواه أحمد .

(٢٩) رواه البخارى .

(٢٨) رواه أبو داود .

(٣١) رواه البزار .

(٣٠) رواه أحمد .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنما نهيت عن صوتين أحمرين فاجرين : صوت عند نعمة ولهو ولعب ومزامير شيطان (٣٢) .. وصوت عند مصيبة خمش وجوه وشق جيوب ورنه شيطان » .

وعن أبي بردة رضى الله عنه قال : وجع أبو موسى الأشعري رضى الله عنه ورأسه في حجر امرأة من أهله .. فأقبلت تصيح برنة فلم يستطع أن يرد عليها شيئا .. فلما أفاق قال : أنا برىء ممن برىء منه رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ان رسول الله صلى الله عليه وسلم برىء من الصالقة (٣٣) والحالقة (٣٤) والشاقة (٣٥) .

وعن الأوزاعي أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمع صوت بكاء .. فدخل ومعه غيره .. فمال عليهن ضربا حتى بلغ النائحة .. فضربها حتى سقط خمارها .. وقال : اضرب .. فانها نائحة ولا حرمة لها . انها لا تبكى بشجوكم .. انها تهريق دموعها لأخذ دراهمكم .. وانها تؤذى موتاكم في قبورهم وأحياءكم في دورهم .. لأنها تنهى عن الصبر وقد أمر الله به .. وتأمر بالجزع وقد نهى الله عنه .

* * *

● ويجب على الأحياء نحو موتاهم أمور .. هي فرض كفاية .. إذا قام بها البعض سقطت عن الباقيين .. وإذا لم يقم بها أحد أثم الجميع ..

وهذه الأمور تسعة .. هي : تلقين الميت ، توجيهه الى القبلة ، تغميض عينيه ، تسجيته ، قضاء ديونه ، تغسيله ، تكفينه ، الصلاة عليه ، تشييع جنازته ، ودفنه ..
وتفصيل ذلك في كتب الفقه ..

● وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بستر ما يبدو على الميت أثناء غسله من أمور مستكرهة .. فعن رافع رضى الله عنه قال :

(٣٢) مثل الزغاريد التي يطلقها النساء في الأمراح .

(٣٣) الصالقة : التي ترفع صوتها بالندب والنياحة .

(٣٤) الحالقة : التي تحلق شعرها وتنتفه عند المصيبة .

(٣٥) الشاقة : التي تشق ثيابها عند المصيبة .. وكل ذلك حرام باتفاق العلماء .. وكذلك يحرم نشر الشعر ولطم الخدود وخمش الوجوه والدعاء بالويل والثبور — والحديث رواه البخارى وابن ماجه والنسائى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من غسل ميتا فكتُم عليه
غفر الله له أربعين كبيرة .. ومن حفر لأخيه قبرا حتى يجنبه فكأنما
أسكنه مسكنا حتى يبعث » (٣٦) .

وفي رواية أنه قال : « من حفر قبرا بنى الله له بيتا في الجنة ..
ومن غسل ميتا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .. ومن كفن ميتا كساه
الله من حلل الجنة .. ومن عزى حزينا ألْبسه الله التقوى وصلى على
روحه في الأرواح .. ومن عزى مصابا كساه الله حلتين من حلل الجنة
لا تقوم لهما الدنيا .. ومن تبع جنازة حتى يقضى دفنها كتب الله له
ثلاثة قراريط : القيراط منها أعظم من جبل أحد .. ومن كفل يتيما
أو أرملة أظله الله في ظله وأدخله الجنة » (٣٧) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « من غسل ميتا فأدى فيه الأمانة ، ولم يفش عليه ما يكون منه
عند ذلك خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » (٣٨) .

* * *

● ورغب صلى الله عليه وسلم في تكثير المصلين على الجنازة
وتكثير صفوفهم .. فعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « ما من ميت يصلى عليه أمة من الناس يبلغون
مائة كلهم يشفعون له الا شفَعوا فيه » (٣٩) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« ما من رجل يصلى عليه مائة الا غفر الله له » (٤٠) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول : « ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته
أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا الا شفَعهم الله فيه » (٤١) .

وعن عامر بن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه أنه كان قاعدا
عند ابن عمر رضى الله عنهما اذ طلع خباب صاحب المقصورة فقال :
يا عبد الله بن عمر .. ألا تسمع ما يقول أبو هريرة — رضى الله عنه — ؟

(٣٦) رواه الطبرانى والحاكم .

(٣٧) رواية الطبرانى في الأوسط من حديث جابر .. وفي مسنده

الخليل بن مرة . (٣٨) رواه أحمد والطبرانى .

(٣٩) رواه مسلم والنسائى والترمذى .

(٤٠) رواه الطبرانى . (٤١) رواه مسلم .

يقول : انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من خرج مع جنازة من بيتها وصلى عليها واتبعها حتى تدفن كان له قيراطان من الأجر كل قيراط مثل أحد .. ومن صلى عليها ثم رجع كان له من الأجر مثل أحد » ..

فأرسل ابن عمر خبابا الى عائشة رضى الله عنها يسألها عن قول أبى هريرة ثم يرجع اليه فيخبره بما قالت .. وأخذ ابن عمر قبضة من حصي المسجد يقلبها في يده حتى يرجع فقال : قالت عائشة : صدق أبو هريرة ..

فضرب ابن عمر بالحصي الذي كان في يده الأرض ثم قال : لقد فرطنا في قراريط كثيرة (٤٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أصبح منكم اليوم صائما » ؟ قال أبو بكر : أنا . فقال : « من أطعم منكم اليوم مسكينا » ؟ قال أبو بكر : أنا . قال : « من عاد منكم اليوم مريضا » ؟ فقال أبو بكر : أنا . فقال : « من تبع منكم اليوم جنازة » ؟ قال أبو بكر : أنا ..

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما اجتمعت هذه الخصال قط في رجل الا دخل الجنة » (٤٣) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبی صلى الله عليه وسلم كان يقول : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله » ويقول : « والذي نفسى بيده ما تواد اثنان فيفرق بينهما الا بذنوب يحدثة أحدهما » وكان يقول : « للمسلم على المسلم ست : يشتمه اذا عطس ، ويعوده اذا مرض ، وينصحه اذا غاب أو شهد ، ويسلم عليه اذا لقيه ، ويجيبه اذا دعاه ، ويتبعه اذا مات » (٤٤) .

وعن مالك بن مبيرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من مسلم يموت فيصلى عليه ثلاثة صفوف من المسلمين الا أوجب » (٤٥) — أى وجبت له الجنة — وكان مالك اذا استقبل أهل الجنازة جزأهم ثلاثة صفوف لهذا الحديث ..

* * *

(٤٣) رواه ابن خزيمة .

(٤٢) رواه مسلم .

(٤٤) رواه أحمد .

(٤٥) رواه أبو داود وابن ماجه والترمذی .

● ويستحب المشي أمام الجنازة .. فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما يمشون أمام الجنازة .
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عودوا المرضى واتبعوا الجناز تذكركم الآخرة » (٤٧) .

وعنه رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « خمس من عملهن في يوم كتبه الله من أهل الجنة : من عاد مريضا ، وشهد جنازة ، وصام يوما ، وراح إلى الجمعة ، وأعتق رقبة » .
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أتبع جنازة مسلم إيمانا واحتسابا .. وكان معه حتى يصلى عليها ويفرغ من دفنها .. فإنه يرجع من الأجر بقيراطين كل قيراط مثل أحد .. ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط » (٤٩) .

● إنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء عن اتباع الجناز لما يبدر منهن من صياح وعويل .. فعن أم عطية رضي الله عنها قالت : « نهينا عن اتباع الجناز .. ولم يعزم علينا » (٥٠) .

* * *

● وحث صلى الله عليه وسلم على الإسراع بالجنازة فقال : « أسرعوا .. فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه .. وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم » (٥١) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فإن تك صالحة قالت : قدموني .. وإن كانت غير ذلك قالت : يا ويلها .. أين تذهبون بها ، يسمع صوتها كل شيء إلا الثقلين — أو قال « الإنسان » — ونو سمع الإنسان لصعق » (٥٢) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سألنا نبينا صلى الله عليه وسلم

(٤٦) رواه مسلم .

(٤٧) رواه أحمد والبخاري وابن حبان .

(٤٨) رواه ابن حبان .

(٤٩) رواه البخاري .

(٥٠) رواه البخاري .

(٥١) متفق عليه .

(٥٢) رواه البخاري ومسلم .

وسلم عن المشى مع الجنازة فقال : « ما دون الخبيب .. ان يكن خيرا
فعجل اليه .. وان يكن غير ذلك فبعدا لأهل النار » ^(٥٣) [والخبب
ضرب من العدو ، وقيل هو الرمل] •

وعن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه أنه كان في جنازة عثمان
ابن أبي العاص رضى الله عنه .. وكنا نمشى مشيا خفيفا .. فلحقنا
أبو بكر رضى الله عنه فرفع صوته قال : لقد رأيتنا ونحن مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم نرمل رملا ^(٥٤) [أى نسرع الخطا ونهرول] •

* * *

(٥٣) رواه أبو داود والترمذى •

(٥٤) رواه أبو داود والترمذى •

بداية الطريق

يقول الله تعالى : « ولو ترى اذ الظالمون في عُمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم ، اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن اياته تستكبرون . ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ، وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء ، لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون » (١) .

ويقول تعالى : « ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق . ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد » (٢) .

ويقول جل شأنه : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ويضل الله الظالمين ، ويفعل الله ما يشاء » (٣) .

ويقول جل وعلا : « سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم » (٤) .

كما يقول : « النار يعرضون عليها غدوا وعشيا » (٥) .

ويقول في شأن المؤمنين : « يا أيها النفس المطمئنة . ارجعي الى ربك راضية مرضية . فادخلي في عبادي . وادخلي جنتي » (٦) .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه . . . ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » . . .

قلت : يا نبي الله . . . أكرهية الموت ؟ فكلنا يكره الموت !!
قال : « ليس ذلك . . . ولكن المؤمن اذا بشر برحمة الله ورضوانه

(٢) الانفال : ٥٠ ، ٥١

(٤) التوبة : ١٠١

(٦) الفجر : ٢٧ — ٣٠

(١) الانعام : ٩٣ ، ٩٤

(٣) ابراهيم : ٢٧

(٥) غافر : ٤٦

وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه .. وان الكافر اذا بشر بعذاب الله
وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه» (٧) .

وفي رواية : « ... والموت قبل لقاء الله » .

وفي أخرى : « اذا شخص البصر .. وحشرج الصدر .. واقشعر
الجلد .. وتشنجت الأطراف .. فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله
لقاءه .. ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » (٨) .

* * *

* الاحتضار .. وسؤال القبر :

يحدثنا الدكتور عبد الرزاق نوفل في كتابه القيم « الحياة الأخرى »
عن لحظة الاحتضار فيقول : « ... يبدأ المحتضر يفقد الاحساس
بالألم .. اذ أن الحواس تدخل في دور الغيوبة .. ولذلك لا يمكن
القول بأن لدى المحتضر من الشعور ما يمكن وصفه ..
تبدأ الروح تتفصل عن الأطراف السفلى .. فيحاول أن يحرك
قدميه فلا يستطيع .. بل ولا يمكنه أن يحس بها .
ثم تتفصل الروح عن يديه فيفقد الاحساس بهما والقدرة على
تحريكهما ..

ويمر بخاطره في هذا الوقت تفكير سريع فيما ينتظره .. اذ رأى
فعلاً شبح الموت .. فينتفض لذلك جسمه بشدة .. ويحس بالظماً ..
وما ذلك الا نتيجة الاضطراب لأمر لم يكن قد استعد له .. شأنه
في ذلك شأن أى انسان يفاجأ بشيء لم يكن يتوقعه .. فيجف حلقه
ويحس بما يشبه الرعدة ..

الروح تتفصل من جزء آخر .. ولا يظل على حالته سوى قلبه الذى
ينبض نبضاً خافتاً آلياً .. والمخ الذى ما زال يتصل بالروح اتصالاً تاماً
.. ولكن على ادراك غير ادراكه العادى .. اذ انخفضت كميات الدم
فيه .. وبالتالي انخفض مستواه الفكرى بالنسبة للحياة التى لا يحسها
ولا يعرفها الا بحواس الجسد .

بدأت الروح تتغلب على الجسد تغلباً تاماً .. فعرفت أنها باقية
بعد الموت .. وهنا يختلف من كان يؤمن بالبقاء بعد الموت ، ومن كان
يكفر به .

(٧) رواه البخارى ومسلم .

(٨) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى .

فالاول يسلك طريقا يعتقد ويؤكد منه ويؤمن به عن طريق انغيب
الذى امن به واستجاب له بالدين ..

واما الثانى فانه يرهبه ويخافه .. فهو لم يكن مستعدا له لانه
كفر به .. ولم يصدق ما جاء عنه ..

الروح ترى ارواحا ولكنها تظن انها احياء .. لانها فعلا ما زالت
تري الاحياء ..

ووضوح كل من هذين انما يتناسب مع درجة خروج الروح ..
فان كانت الروح انفصلت الى اكثر من نصف قوتها رأت الارواح اوضح
مما ترى الاحياء .. وان كان العكس رأت الاحياء اوضح ..

ولذلك فان المحتضر كثيرا ما يتحدث مع الموتى او يناديهم
او يبتسم لهم .. وما الحديث او النداء او الابتسام الا ترجمة لدرجة
اتصال الروح بالجسم او انفصالها ..

ففى الابتسام تكون رؤية الأرواح غير واضحة تماما ..

وفى النداء تكون أكثر وضوحا انما هى على بعد ..

أما فى الحديث فتكون واضحة وقريبة .. ومن ثم فقد قربت
لحظة الانتقال ..

ثم تتفصل الروح عن أبراج الفهم .. ثم الذاكرة .. ثم المخ كله ..
.. وتتدفع الروح هائمة الى عالمها الأوسع والأرحب الى الحياة الأخرى
.. ويكون الانتقال قد تم ..

* * *

وروت لى أخت فاضلة .. كيف كانت اللحظات الأخيرة فى حياة
طفلها الصغير .. مما يمكن أن نشاهده فى لحظات الاحتضار ..

كان « أيمن » — وهذا اسمه — فى السابعة من عمره .. ولكنه
كان مختلفا عن بقية الأطفال فى مثل سنه .. فقد كان الوداعة كلها ..
والطيبة كلها .. وكان خفيف الظل كأنه نسمة هواء عليل فى يوم قائف ..

فوجئت به أمه يوما .. يفتح حصالة نقوده ليعطى ما بها لأبيه ..
ثم يتناول لعبه التى كان يعتز بها ويقدمها لأخيه الصغير .. زاهدا
فيها معرضا عنها ..

وفى اليوم التالى فاجأه المرض .. وحار الأطباء فى تشخيص مرضه
المفاجىء أو علاجه .. فقد كان لا يستجيب لأى علاج .. بل كانت
حالته تزداد سوءا ساعة بعد أخرى ..

ولم يستمر مرضه سوى أسبوع واحد ..
فلما كان اليوم الأخير .. رآته أمه يفتح عينيه على اتساعهما ..
ثم يأخذ في التلفت حوله في الفضاء .. مرددا بصره بين نافذة
الغرفة وسقفها .. وعبثا تحاول الأم صرفه عن ذلك ..
ثم .. اذا بيده تمتد في الهواء .. باسطا أصابعه وقابضا إياهما ..
كأنما يتناول شيئا من الفضاء .. وفشلت للمرة الثانية في محاولة منعه
عن ذلك .. بعد أن أحست بما في هذه التصرفات من معاني انقبض
لها صدرها ..

فأخذت في النحيب بصوت مكتوم .. وانسابت الدموع غزارا
من عينيها ..

واذا بالطفل المحتضر يحول بصره الى أمه الثكلى .. وفي عينيه
معنى غريب .. ثم يرفع يده نحو عينيها يمسح عنهما الدموع ..
وينحدر بها نحو فمها محاولا كفها عن النحيب ..

ثم يعاود التلفت حوله .. ماذا يده نحو الفضاء .. محاولا
امساك ذلك الشيء المجهول !! ثم صعدت روحه الى بارئها ..
حدثتني الأم الثكلى بهذه الواقعة طالبة لها تفسيراً .. فhezزت
رأسي وقلت : صدق الله العظيم : « لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا
عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » .

لقد رأى الصغير في لحظاته الأخيرة في هذه الدنيا الفانية ..
ملائكة الرحمة تحوطه لتقره الى السماء .. ولا شك أنهم كانوا
يشاغلون بفاكهة الجنة .. والا لماذا كان اصراره على الامساك
بالهواء !؟

ولا شك أن عقله الصغير لم يستوعب بكاء أمه ونحيبها في هذا
الموقف .. لماذا البكاء ولماذا النحيب !؟ .. ألا ترى ما يرى !؟
أتكره له هذا النعيم الذي يوشك أن يقبض عليه بيديه !؟
لماذا تبكى وهي ترى هذه الخيرات تساق اليه !؟
وعبثا يحاول الصغير منع أمه عن النحيب أو كفها عن البكاء ..
فيعاود التلفت حوله متشاغلا عنها بما يرى من بشرى تساق اليه !!
وما العجب في ذلك .. أليس من الأبرار (*) !؟

(*) الأبرار : هم الصالحون الطائعون الأطهار .. ولا شك أن الاطفال
فون سن التكليف يعتبرون من الأبرار .

ووجدتني أردد قول الله تعالى . « ان كذب الأبرار لفي عظيم .
وما أدراك ما عليون . حجاب مرقوم . يتشهد المقربون . ان الأبرار
لفي نعيم . على الأرائك ينضرون . تعرف في وجوههم مضرة النعيم .
يسسون من رحيق مختوم . ختامه مسك ، وفي ذلك فليتناسس المتنافسون .
ومزاجه من تسنيم . عينا يشرب بها المقربون » ..

وصدق الله اعظيم : « ان الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها
كافورا . عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا » .
« ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار » .
فلتصبري يا أختاه .. صبرا أم أيمن ولتحتسبي .. وقولي كما
أمرك الرسول صلى الله عليه وسلم : « أنا لله ، وأنا إليه راجعون » .

* * *

ويصف لنا الرسول المعلم — صلى الله عليه وسلم — بداية الرحلة
الى الآخرة .. منذ لحظة الاحتضار حتى سؤال القبر ..
عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار .. فانتهينا الى القبر
.. ولما يلحد بعد .. فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا
حوله كأنما على رؤوسنا الطير .. وببیده عود ينكت به في الأرض
فرفع رأسه فقال : « استعيذوا بالله من عذاب القبر » — مرتين أو ثلاثا —
ثم قال : « ان العبد المؤمن اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من
الآخرة نزل اليه ملائكة من السماء .. بيض الوجوه كأن وجوههم
الشمس .. معهم كفن من أكفان الجنة .. وحنوط من حنوط الجنة ..
حتى يجلسوا منه مد البصر ..

ويجىء ملك الموت — عليه السلام — حتى يجلس عند رأسه
فيقول : أيتها النفس الطيبة .. اخرجي الى مغفرة من الله ورضوان .
قال : فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من في السقاء — أى من القربة —
فيأخذها .. فاذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها
فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط .. ويخرج منه كاسب نفحة
مسك وجدت على وجه الأرض ..

قال : فيصعدون بها .. فلا يمرون على ملا من الملائكة الا الوا :
ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون : فلان ابن فلان — بأحسن ما مائه
التي كان يسمى بها في الدنيا — حتى ينتهوا بها الى السماء الدنيا ..

فيستفتحون له فيفتح له فيشيعة من كل سماء مقربوها الى السماء
التي تليها .. حتى ينتهي بها الى السماء السابعة .. فيقول الله عز وجل :
اكتبوا كتاب عبدى في عليين .. وأعيدوه الى الأرض في جسده ..

فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان : من ربك ؟ فيقول : ربى الله ..
فيقولان : ما دينك ؟ فيقول : دينى الاسلام .. فيقولان : ما هذا الرجل
الذى بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله .. فيقولان : ما يدريك ؟
فيقول : قرأت كتاب الله .. وآمنت به وصدقته ..

فينادى مناد من السماء : أن قد صدق عبدى فأفرشوه من الجنة ،
وافتحوا له بابا الى الجنة ..

قال : فيأتيه من روحها وطيبها .. ويفسح له في قبره مد بصره ..
قال : ويأتيه رجل حسن الوجه .. حسن الثياب .. طيب الريح ..
فيقول : أبشر بالذى يسرك .. هذا يومك الذى كنت توعده .. فيقول :
من أنت ؟ فوجهك الوجه الحسن ييثر بالخير .. فيقول : أنا عمك
الصالح .. فيقول : رب أقم الساعة .. رب أقم الساعة ، حتى أرجع
الى أهلى ومالى ..

« وان العبد الكافر اذا كان فى انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة
.. نزل اليه ملائكة سود الوجوه معهم المسوح^(٩) .. فيجلسون منه
مد البصر .. ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول :
أيتها النفس الخبيثة .. اخرجى الى سخط من الله وغضب .. فتفرق
فى جسده فينتزعها كما ينتزع السفود^(١٠) من الصوف المبلول فيأخذها
.. فاذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك
المسوح .. وتخرج منها كأنتن جيفة وجدت على وجه الأرض ..

فيصعدون بها .. فلا يمرون بها على ملا من الملائكة الا قالوا :
ما هذه الريح الخبيثة ؟ فيقولون : فلان ابن فلان — بأقبح أسمائه
التي كان يسمى بها فى الدنيا — حتى ينتهى بها الى السماء الدنيا ..
فيستفتح له فلا يفتح له ..

ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تفتح لهم أبواب
السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط »^(١١) .

(٩) والمسوح : مجارف من حديد ، وقيل اللباس الخشن المقوت .

(١٠) السفود : الحديد التى يشوى بها اللحم .. ولها شعب .

(١١) الأعراف : ٤

فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى .. ثم
تطرح روحه طرحا ..

ثم قرأ : « ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير
أو تهوى به الريح في مكان سحيق » (١٢) .

فتعاد روحه في جسده .. ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له :
من ربك ؟ فيقول : هاه هاه .. لا أدري . قال : فيقولان له : ما دينك ؟
فيقول : هاه هاه لا أدري .. قال : فيقولان له : ما هذا الرجل الذي
بعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ..

فينادى مناد من السماء : أن كذب فأفرشوه من النار .. وافتحوا
له بابا الى النار ..

قال : فيأتيه من حرها وسمومها .. ويضيق عليه قبره حتى
تختلف فيه أضلاعه .. ويأتيه رجل قبيح الوجه .. قبيح الثياب ..
منتن الريح فيقول : أبشر بالذي يسووك .. هذا يومك الذي كنت
توعد .. فيقول : من أنت ؟ فوجهك الوجه القبيح يجيء بالشر ! فيقول :
أنا عمك الخبيث .. فيقول : رب لا تقم الساعة » (١٣) .

وفي رواية له بمعناه وزاد : « ... فيأتيه آت قبيح الوجه ..
قبيح الثياب .. منتن الريح .. فيقول : أبشر بهوان من الله وعذاب
مقيم .. فيقول : بشرك الله بالشر .. من أنت ؟ فيقول : أنا عمك
الخبيث .. كنت بطيئا عن طاعة الله .. سريعا في معصيته .. فجزاك
الله بشر ..

ثم يقيض له أعمى أصم أبكم .. في يده مرزبة لو ضرب بها جبل
كان ترابا .. فيضربه ضربة فيصير ترابا .. ثم يعيده الله كما كان ..
فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعه كل شيء الا الثقلين » ..
قال البراء : ثم يفتح له باب من النار .. ويمهد له من فرش النار ..

ورواه عيسى بن المسيب عن عدي بن ثابت عن البراء رضى الله عنهم
عن النبي صلى الله عليه وسلم .. وذكر فيه اسم الملكين فقال في
ذكر المؤمن :

« فيرد الى مضجعه فيأتيه منكر ونكير .. يثيران الأرض بأنيابهما
وبلجان الأرض بشفاهما فيجلسانه .. ثم يقال له : يا هذا من ربك ؟
.. فذكره ..

وقال في ذكر الكافر : « فيأتيه منكر ونكير .. يثيران الأرض بأنياهما .. ويلجفان الأرض بشفاههما .. أصواتهما كالرعد القاصف .. وأبصارهما كالبرق الخاطف .. فيجلسانه ثم يقال : يا هذا من ربك ؟ فيقول : لا أدري .. فينادي من جانب القبر : لا دريت .. ويضربانه بمرزبة من حديد .. لو اجتمع عليها من بين الخافقين لم يقلوها .. يشتعل منها قبره نارا .. ويضيق عليه قبره حتى تختف أضلعه » ..

* * *

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان المؤمن اذا قبض أتنه ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء .. فيقولون : اخرجى الى روح الله — أى نعيمه — فتخرج كأطيب ريح المسك حتى انه ليناوله بعضهم بعضا فيشتمونه حتى يأتوا به باب السماء .. فيقولون : ما هذه الريح الطيبة التى جاءت من الأرض ؟ .. ولا يأتون سماء الا قالوا مثل ذلك .. حتى يأتوا به أرواح المؤمنين .. فلهم أشد فرحا به من أهل الغائب بغائبهم .. فيقولون : ما فعل فلان ؟ فيقولون — أى الملائكة — : دعوه حتى يستريح .. فانه كان فى غم الدنيا .. فيقول : قد مات .. أما آتاكم ؟ فيقولون : ذهب به الى أمه الهاوية .. وأما الكافر فيأتيه ملائكة العذاب بمسح فيقولون : اخرجى الى غضب الله .. فتخرج كأنتن ريح جيفة .. فيذهب به الى باب الأرض » (١٤) .

وعنه رضى الله عنه قال : شهدنا جنازة مع نبى الله صلى الله عليه وسلم .. فلما فرغ من دفنها وانصرف الناس .. قال نبى الله صلى الله عليه وسلم : « انه الآن يسمع خفق نعالكم .. أتاها منكر ونكير .. أعينهما مثل قدور النحاس .. وأنياهما مثل صياصى البقر .. وأصواتهما مثل الرعد .. فيجلسانه فيسألانه : ما كان يعبد ومن كان نبيه .. فان كان ممن يعبد الله قال : أعبد الله ، ونبى محمد — صلى الله عليه وسلم — جاءنا بالبينات والهدى .. فأما واتبعناه » ..

فذلك قول الله : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » (١٥) .. فيقال له : على اليقين حييت .. وعليه مت .. وعليه تبعث ، ثم يفتح له باب الى الجنة ويوسع له فى حفرته ..

(١٤) رواه ابن حبان وابن ماجه .

(١٥) ابراهيم : ٢٧

وان كان من أهل الشك، قال : لا أدري .. سمعت الناس يقولون شيئاً فقتلته .. فيقال له : على الشك حييت .. وعليه مت .. وعليه تبعث .. ثم يفتح له باب الى النار .. وتسلط عليه عقارب وتنانين .. لو نفخ أحدهم على الدنيا ما أنبتت شيئاً .. تنهشه .. وتؤمر الأرض فتتضم عليه حتى تختلف أضلاعه» (١٦) .

وعنه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الميت اذا وضع في قبره .. انه ليسمع خفق نعالهم حين يولوا مدبرين .. فان كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه .. وكان الصيام عن يمينه .. وكانت الزكاة عن شماله .. وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلاة والمعروف والاحسان الى الناس عند رجله .. فيؤتى من قبل رأسه فنقول الصلاة : ما قبلى مدخل .. ثم يؤتى عن يمينه فيقول الصيام : ما قبلى مدخل .. ثم يؤتى عن يساره فنقول الزكاة : ما قبلى مدخل .. ثم يؤتى من قبل رجله .. فيقول فعل الخيرات من الصدقة والمعروف والاحسان الى الناس : ما قبلى مدخل ..

فيقال له : اجلس .. فيجلس قد مثلت له الشمس وقد دنت للغروب .. فيقال له : رأيته هذا الذى كان قبلكم ما تقول فيه وماذا تشهد عليه ؟ فيقول : دعونى حتى أصلى .. فيقولون : انك ستفعل .. أخبرنا عما نسألك عنه .. رأيته هذا الرجل الذى كان قبلكم ماذا تقول فيه وماذا تشهد عليه ؟ قال : فيقول : محمد .. أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه جاء بالحق من عند الله .. فيقال له : على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث ان شاء الله ..

ثم يفتح له باب من أبواب الجنة .. فيقال له : هذا مقعدك منها .. وما أعد الله لك فيها .. فيزداد غبطة وسرورا .. ثم يفتح له باب من أبواب النار فيقال له : هذا مقعدك وما أعد الله لك فيها لو عصيته .. فيزداد غبطة وسرورا .. ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً .. وينور له فيه .. ويعاد الجسد كما بدأ منه فتجعل نسمة في النسيم الطيب .. وهى طير تعلق في شجر الجنة .. فذلك قوله : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة » .

وان الكافر اذا أتى من قبل رأسه لم يوجد شيئاً .. ثم أتى عن

(١٦) رواه الطبرانى فى الأوسط .

يمينه فلا يوجد شيء .. ثم أتى عن شماله فلا يوجد شيء .. ثم أتى من قبل رجليه فلا يوجد شيء .. فيقال له : اجلس . فيجلس مرعوبا خائفا .. فيقال : رأيته هذا الرجل الذي كان فيكم ماذا تقول فيه وماذا تشهد له ؟ فيقول : أى رجل ؟! ولا يهتدى لاسمه .. فيقال له : محمد .. فيقول : لا أدري .. سمعت الناس قالوا قولا فقلت كما قال الناس .. فيقال له : على ذلك حييت وعليه مت وعليه تبعث ان شاء الله . ثم يفتح له باب من أبواب النار .. فيقال له : هذا مقعدك من النار وما أعد الله لك فيها .. فيزداد حسرة وثبورا .. ثم يفتح له باب من أبواب الجنة ويقال له : هذا مقعدك منها وما أعد الله لك فيها لو أطعته .. فيزداد حسرة وثبورا .. ثم يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه .. فتلك المعيشة الضنكة التي قال الله : « فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى » (١٧) .

وفي رواية للطبراني : « يؤتى الرجل في قبره .. فإذا أتى من قبل رأسه دفعته تلاوة القرآن .. وإذا أتى من قبل يديه دفعته الصدقة .. وإذا أتى من قبل رجليه دفعه مشيه الى المساجد » .

* * *

وعن تميم بن أوس الداري رضى الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله عز وجل ملك الموت : انطلق الى ولى فلان ابن فلان فأنتى به .. فانى قد ضربته بالسراء والضراء فوجدته حيث أحب .. أثنتى به فلاريحنه .. »

فينطلق اليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم أكفان وحنوط من الجنة .. ومعهم ضبائر الريحان .. ومعهم الحرير الأبيض فبه المسك الاذخر .. فيجلس ملك الموت عند رأسه وتحف به الملائكة .. ويضع كل ملك يده على عضو من أعضائه .. ويبسط ذلك الحرير الأبيض والمسك الاذخر تحت ذقنه .. ويفتح له باب من الجنة .. وان روحه لتعل بنعيم الجنة التي تراه كما يعل الصبى أهله اذا بكى .. ويقول ملك الموت : اخرجى أيتها الروح الطيبة الى سدر مخضوض .. وطلح منضود .. وظل ممدود .. وماء مسكوب .. وللك الموت أشد لطفا به من الوالدة لولدها .. يعرف أن هذه الروح خبيثة الى ربها .. فهو يلتمس بتلفه وتحببه رضاء الرب ..

فتتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين .. قال الله عز وجل :
« الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم » (١٨) .
وقال : « فأما ان كان من المقربين - فروح وريحان وجنة نعيم » (١٩) .

فاذا قبض ملك الموت روحه .. قالت الروح للجسد : جزاك الله عنى خيرا .. فقد كنت سريعا بى الى طاعة الله .. بطيئا بى عن معصية الله .. فقد نجيت وأنجيت .. ويقول الجسم للروح مثل ذلك .. وتبكى عليه الأرض التى كان يعبد الله فيها .. وكل باب من أبواب السماء يصعد منه عمه ، وينزل منه رزقه ..

فاذا قبض ملك الموت روحه .. أقامت الخمسمائة من الملائكة عند جسده .. فلا يقلبه بنو آدم لشق .. الا قلبته الملائكة وغسلته وكفنته بأكفان قبل أكفان بنى آدم ..

ويقوم من باب قبره الى بيته صافان من الملائكة يستقبلونه بالاستغفار .. فيصيح عند ذلك ابليس ويقول لجنوده : انويل لكم .. كيف خلص هذا العبد منكم ؟ .. فيقولون : ان هذا كان مؤيدا بالعصمة من ربه ..

فاذا صعد ملك الموت بروحه .. استقبله جبريل فى جمع من الملائكة .. كل يأتية ببشارة من الله سوى بشارة صاحبه .. فاذا انتهى ملك الموت بروحه الى العرش قال الله عز وجل لملك الموت : انطلق بروح عبدى .. فضعه فى سدر مخضود ، وطلح منضود ، وظل ممدود ، وماء مسكوب .. فاذا وضع فى قبره .. جاءتة الصلاة فصارت عن يمينه .. وجاءه الصيام فكان عن يساره .. وجاءه القرآن فكان عند رأسه .. وجاءه الوضوء فكان عند رجليه .. وجاءه الصبر فكان ناحية من القبر .. فيبعث الله عنقا من العذاب فيأتيه عن يمينه فتقول الصلاة : وراءك .. والله ما زال دائما عمره كله فى العمل .. وانما استراح الآن حين وضع فى قبره ..

فيأتيه العذاب عن يساره فيقول الصيام مثل ذلك .. ثم يأتيه العذاب من عند رأسه فيقول القرآن والذكر مثل ذلك .. ثم يأتيه من عند رجليه فيقول الوضوء مثل ذلك .. فلا يأتيه

العذاب من ناحية الا وجد ولى الله قد أخذ جفته — أى وقايته — فينتقم العذاب عند ذلك ويرجع .. ويقول انصبر : أما انه لم يمنعنى أن أباشر على الا أنى نظرت ما عندكم .. فان عجزتم كنت صاحبه .. فأما اذ أجزتم فأنا له ذخر عند الصراط والميزان .

ويبعث الله ملكين .. أبصارهما كالبرق الخاطف .. وأصواتهما كالرعد القاصف .. وأنيابهما كالصيصى .. وأنفاسهما كاللهب .. وقد فزعت منهما الرأفة والرحمة .. يقال لهما منكر ونكير .. فى يد كل واحد مطرقة لو اجتمع عليها ربعة ومضر لم يقلوها .. فيقولان له : اجلس . فيستوى جالسا وتقع أكفانه فى حقويه .. فيقولان له : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟

فقال الصحابة : يا رسول الله .. ومن يطيق الكلام عند ذلك وأنت تصف الملكين بما تصف ؟!

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ويضل الله الظالمين ، ويفعل الله ما يشاء » (٢٠) .

قال : فيقول العبد : ربى الله .. ودينى الاسلام .. ونبىي محمد — صلى الله عليه وسلم — فيقولان له : صدقت .. ويرفعان القبرا ويوسعانه من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وشماله من كل جهة أربعون ذراعا .. ثم يقولان له : انظر فوقك .. فاذا باب مفتوح الى الجنة فيقولان : ولى الله .. هذا منزلك اذ أطعت الله ..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفس محمد بيده .. انه ليصل الى قلبه عند ذلك فرحة لا ترتد أبدا ..

قال : ثم يقال له : انظر تحتك .. فينظر تحته فاذا باب مفتوح الى النار .. فيقولان له : ولى الله .. نجوت آخر ما عليك ..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفس محمد بيده .. انه ليصل الى قلبه عند ذلك فرحة لا ترتد أبدا ..

قال : ويقول الله لملك الموت : انطلق الى عدوى فلان ابن فلان فأنتى به .. فأنى قد بسطت له رزقى ويسرت له نعمتى .. فأبى الا معصيتى .. فأنتى به لأنتقم منه ..

فينطلق انيه ملك الموت في أكره صورة رآها ابشر .. ومعه سفود
من النار كثير الشوك .. ومعه خمسمائة من الملائكة معهم نحاس وحجر
من حجر جهنم .. ومعهم سياط من نار تاجج .. فيضربه ملك الموت
بذلك السفود ضربة يغيب كل أصل شوكة من ذلك السفود في أصل
كل شعرة وعرق .. ثم يلويه ليا شديدا فينزع روحه من أظفار قدميه
فيلقيها في عقبه فيسكر عدو الله سكرة شديدة .. فيهون عليه ملك الموت
حتى يصحو ..

وتضرب الملائكة وجهه ودبره بتلك السياط .. ثم يشده ملك الموت
شدة فينزع روحه من ركبتيه ويلقيها في حقويه .. فيسكر عدو الله
سكرة أشد من الأولى .. فيهون ملك الموت عليه حتى يصحو ..

وتضرب الملائكة وجهه ودبره بتلك السياط .. ويستمر ملك الموت
ينزع الى صدره .. ثم الى حلقه .. ثم تبسط الملائكة ذلك النحاس
وحجر جهنم تحت ذقنه .. ويقول ملك الموت : اخرجي أيتها الروح
الملعينة الى سموم وحميم .. وظل من يحموم .. لا بارد ولا كريم ..

فاذا قبض ملك الموت روحه قال الروح للجسد : جزاك الله غنى
شرا .. فقد كنت سريعا بى الى معصية الله .. بطيئا بى عن طاعة الله ..
فقد هلكت وأهلك .. ويقول الجسد للروح مثل ذلك .. وتلعنه بقاع
الأرض التى كان يعصى الله عليها .. وتنطلق جنود ابليس فيبشرونه
بأنهم أوردوا عبدا من ولد آدم الى النار ..

فاذا وضع فى قبره .. ضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ..
وحتى تدخل اليمنى فى اليسرى واليسرى فى اليمنى .. ويبعث الله اليه
أفاعى دهما كأعناق الابل .. يأخذن بأذنيه وإبهاميه فيقرضنه
حتى يلتقين فى وسطه ..

ويبعث الله ملكين .. أبصارهما كالبرق الخاطف .. وأصواتهما
كالرعد القاصف .. وأنيابهما كالصياصى .. وأنفاسهما كاللهب .. قد
فرغت منهما الرأفة والرحمة .. يقال لهما منكر ونكير .. فى يد كل منهما
مطرقه لو اجتمع عليها ربعة ومضر لم يقلوها — أى يرفعوها —
فيقولان له : اجلس .. فيستوى جالسا .. وتقع أكفانه فى حقويه ..
فيقولان له : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ .. فيقول : لا أدري ..
فيقولان له : لا دريت ولا تليت .. فيضربانه ضربة يتطاير شررها فى قبره
ثم يقولان له : انظر فوقك .. فينظر فاذا باب مفتوح من الجنة ..
فيقولان له : عدو الله .. هذا منزلك لو أطعت الله ..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفس محمد بيده ..
انه ليصل الى قلبه عند ذلك حسرة لا ترتد أبدا ..
ثم يقولان له : أنظر تحتك .. فينظر تحته فإذا باب مفتوح من
جهنم .. فيقولان له : هذا منزلك اذ عصيت الله ..
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفس محمد بيده ..
انه ليصل الى قلبه عند ذلك حسرة لا ترتد أبدا » (٢١) .

* * *

كتبت « سفيتلانا النيليوفا » ابنة الزعيم الشيوعي الملحد
« ستالين » — في مذكراتها التي نشرت في جميع أنحاء العالم — تصف
اللحظات الأخيرة لحياة أبيها ديكتاتور روسيا وجبارها .. الذي عاش
حياته كلها كافرا بالله منكرًا لوجوده .. قالت :

« كان موت أبي مأساة قاسية صعبة .. وكانت تلك أول مرة
ولا تزال أرى فيها انسانا يموت .. أن الله لا يمنح الموت السهل
الا للمؤمنين .. أن النزيف الداخلي امتد رويدا رويدا الى بقية المخ ..
واذ كان قلب أبي قويا فان النزيف غزا بالتدريج مراكز التنفس وانتهى
بالاختناق .. وبدأ تنفسه أسرع فأسرع .. وخلال الساعات الاثنتي عشرة
الأخيرة كان أبي يعاني من نقص حاد في الأوكسجين .. وكان وجهه
قرتسم عليه أمارات الفزع .. وكان يتقلص واسودت شفاته .. وأصبحت
تقاطيع وجهه غريبة ..

ولم تكن الساعتان الأخيرتان سوى مرحلة اختناق بطيء ..
واحتضار رهيب .. وكان أبي يختنق بدمائه تحت أنظارنا ..
وفي اللحظة التي بدت وكأنها الذروة في احتضاره فتح عينيه فجأة
.. وشمل الجميع من حوله بنظرة .. كانت نظرة رهيبة .. نظرة معتوه
.. أو لعلها نظرة غضب مليئة بالخوف من الموت .. والخوف من الوجوه
الغريبة للأطباء الذين كانوا منحنين عليه ..

واكتسحت نظرتة كل الموجودين في ثانية واحدة .. ثم وقع شيء
مخيف وغير مفهوم .. شيء لن أنساه مدى الحياة ولم أفهمه حتى
اليوم .. رفع أبي فجأة يده اليسرى وكأنه يشير الى شيء فوقه ثم
أسقطها الى جانبه وكأنه يلعننا جميعا ..

(٢١) أخرجه الحافظ ابو يعلى في مسنده .

وكانت تلك الايماءة التهديدية بلا تفسير .. ولم يستطع أحدنا أن يقول انى من أو الى ماذا كانت موجهة » .. اه .
 وصدق الله العظيم اذ يقول : « وجاءت سكرة الموت بالحق ، ذلك ما كنت منه تحيد . ونفخ في الصور ، ذلك يوم الوعيد . وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد . لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد . وقال قرينه هذا ما لدى عتيد . ألقيا في جهنم كل كفار عنيد . مناع للخير معتد مريب » .

* * *

وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الموتى ليعذبون في قبورهم حتى ان البهائم لتسمع أصواتهم » (٢٢) .

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر » (٢٣) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي .. ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة .. وان كان من أهل النار فمن أهل النار .. فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة » (٢٤) .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة .. فلو أن تنينا منها نفخت في الأرض ما أنبتت خضراء » (٢٥) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله .. تبلى هذه الأمة في قبورها .. فكيف بى وأنا امرأة ضعيفة ؟ قال : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة » (٢٦) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان المؤمن في قبره لفى روضة خضراء فيرحب له قبره سبعون ذراعا .. وينوز له كالقمر ليلة البدر .. أتدرون فيما أنزلت هذه الآية : « فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى » .. قال : أتدرون

(٢٢) رواه الطبرانى . (٢٣) رواه مسلم .

(٢٤) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وأبو داود .

(٢٥) رواه أحمد وأبو يعلى . (٢٦) رواه البزار .

ما المعيشة الضنك ؟ .. قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : عذاب الكافر في قبره .. والذي نفسي بيده .. انه يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا .. أتدرون ما التنين ؟ سبعون حية لكل حية سبع رؤوس يلسعنونه ويخدشونه الى يوم القيامة » (٢٧) .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر فتان القبر .. فقال عمر : أترد علينا عقولنا يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم كهيتك يوم ولدت » .. فقال عمر : بفيه الحجر (٢٨) — [أى يلقم الفتان الحجر كأنه أفحم وارجع عليه] ..

* * *

● وللقبر ضمة لا ينجو منها أحد .. طائعا كان أم عاصيا .. مؤمنا أم كافرا ..

فعن زاذان بن عمرو قال : لما دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته .. فجلس عند القبر .. فتريد وجهه ثم سرى عنه .. فقال له أصحابه : رأينا وجهك آنفا ثم سرى .. فقال صلى الله عليه وسلم : « ذكرت ابنتي وضعفها وعذاب القبر .. فدعوت الله ففرج عنها .. وأيم الله لقد ضمت ضمة سمعها من بين الخافقين » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم دفن سعد بن معاذ رضي الله عنه وهو قاعد على قبره : « لو نجا أحد من فتنة القبر — أو مسألة القبر — لنجا سعد بن معاذ .. ولقد ضم ضمة ثم أرخى عنه » (٢٩) .

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان للقبر ضغطة لو كان أحد ناجيا منها لنجا سعد بن معاذ » (٣٠) .

وسعد بن معاذ هذا .. هو الذي اهتز العرش يوم موته .. روى أن جبريل عليه السلام — نزل الى النبي صلى الله عليه وسلم معجرا بعمامة من استبرق .. فقال : يا نبي الله .. من هذا الذي فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش ؟ .. فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا يجر ثوبه .. فوجد سعدا قد قبض (٣١) .

(٢٧) رواه أبو يعلى وابن حبان . (٢٨) رواه أحمد والطبراني .

(٢٩) رواه الطبراني . (٣٠) رواه أحمد .

(٣١) أسد الغابة للحافظ ابن كثير .

رجل يهتر له العرش .. وتفتح له أبواب السماء .. وينزل بخبره
جبريل عليه السلام .. ومع هذا لا ينجو من ضغطة القبر !؟

* * *

● ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتعوذ من فتنة القبر ..
عن أنس بن مالك رضى الله عنه .. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم انى أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل .. وأعوذ بك من عذاب القبر .. وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات » (٣٢) .

وروت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو فيقول : « اللهم انى أعوذ بك من الكسل والهيم والمغرم .. ومن فتنة القبر وعذاب القبر .. ومن فتنة النار وعذاب النار .. ومن شر فتنة الغنى ومن شر فتنة القبر .. وأعوذ بك من شر فتنة المسيح الدجال .. اللهم اغسل عنى خطاياى بماء الثلج والبرد .. ونق قلبنى كما نقيت الثوب الأبيض .. وباعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب » (٣٣) .

● كما كان صلى الله عليه وسلم يعوذ أصحابه من فتنة القبر وعذابه ..

عن عوف بن مالك رضى الله عنه قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة .. فحفظنا من دعائه : « اللهم اغفر له وارحمه .. وعافه واعف عنه .. وأكرم نزله .. ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد .. ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس .. وأبدله دارا خيرا من داره .. وأهلا خيرا من أهله .. وزوجا خيرا من زوجته .. وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار » .. قال عوف : حتى تمنيت أن أكون ذلك الميت (٣٤) .

* * *

وما دمننا بصدد الحديث عن القبور .. فلا بأس من أن نذكر بعض الأحكام الشرعية المتعلقة بها .. والتي جاءت بها أحاديث للرسول صلى الله عليه وسلم اتماما للفائدة ..

(٣٢) للستة الا سالكا . (٣٣) للستة الا مانكا .

(٣٤) رواه الترمذى والنسائى ومسلم .

● فقد أباح الرسول صلى الله عليه وسلم زيارة القبور للرجال
ومن النساء ..

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : زار النبي صلى الله عليه وسلم
قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال : « استأذنت ربي في أن أستغفر لها
فلم يؤذن لى .. واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لى .. فزوروا
القبور فإنها تذكركم الموت » (٣٥) .

وعن ابن بريدة عن أبيه رضى الله عنهما قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور .. فقد أذن
لمحمد في زيارة قبر أمه .. فزوروها فإنها تذكركم الآخرة » (٣٦) .

قال الحافظ : قد كان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة
القبور نهيا عاما للرجال والنساء .. ثم أذن للرجال في زيارتها ..
وامتدح النهى في حق النساء .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروا القبور فإنها تترشد في الدنيا
وتذكر الآخرة » (٣٧) .

وعن أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « زر القبور تذكركم بها الآخرة .. واغسل الموتى فإن معالجة
جسد خاو موعظة بليغة .. وصل على الجنائز لعل ذلك أن يحزنك فإن
الحزين في ظل الله يتعرض كل خير » (٣٨) .

وعن بريدة رضى الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم
يعلمهم إذا خرجوا الى المقابر أن يقول قائلهم : « السلام عليكم
أهل الديار من المؤمنين والمسلمين .. وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ..
أسأل الله لنا ولكم العافية » (٣٩) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كلما كان ليلتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من آخر
الليل الى البقيع فيقول : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين .. وأتاكم
ما توعدون .. غدا مؤجلون .. وإنا إن شاء الله بكم لاحقون .. اللهم
اغفر لأهل بقيع الغرقد » (٤٠) .

• (٣٦) رواه الترمذى .

• (٣٨) رواه الحاكم .

• (٤٠) رواه مسلم .

• (٣٥) رواه مسلم .

• (٣٧) رواه ابن ماجه .

• (٣٩) رواه مسلم .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبور بالمدينة فاقبل عليهم بوجهه فقال : « السلام عليكم يا أهل القبور .. يغفر الله لنا ولكم .. أنتم سلفنا ونحن بالأثر » (٤١) .
● وإنما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم النساء عن زيارة القبور ..

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « لعن زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج » (٤٢) .
ويقول الامام القرطبي : اللعن المذكور في الحديث إنما هو للمكثرات من الزيارة لا تقتضيه الصيغة من المبالغة .. ولعل السبب ما يفرض اليه ذلك من تضييع حق الزوج والتبرج وما ينشأ من الصياح ونحو ذلك .. وقد يقال : اذا أمن جميع ذلك فلا مانع من الاذن لهن .. لأن تذكر الموت يحتاج اليه الرجال والنساء .. فعن عبد الله بن أبي مليكة رضى الله عنه : أن عائشة رضى الله عنها أقبلت ذات يوم من المقابر .. فقلت : يا أم المؤمنين .. من أين أقبلت ؟ قالت : من قبر أخى عبد الرحمن .. فقلت لها : أليس كان نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيارة القبور ؟ قالت : نعم .. كان نهى عن زيارة القبور ثم أمر بزيارتها ..

وروى عن علي رضى الله عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا نسوة جلوس قال : « ما يجلسكن » ؟ قلن : ننتظر الجنازة .. قال : « هل تغسلن » ؟ قلن : لا .. قال : « هل تحملن » ؟ قلن : لا .. قال : « هل تدلين فيمن يدلى » ؟ قلن : لا .. قال : « فارجعن مأزورات غير مأجورات » (٤٣) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : « قبرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم — يعنى ميتا — فلما فرغنا انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرفنا معه .. فلما حاذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بابه وقف .. فاذا نحن بامرأة مقبلة .. قال : أظنه عرفها ، فلما ذهبت اذا هي فاطمة رضى الله عنها .. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أخرجك يا فاطمة من بيتك ؟ قالت :

(٤١) رواه الترمذى .

(٤٢) رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان .

(٤٣) رواه ابن ماجه وأبو يعلى .

أتيت يا رسول الله أهل هذا الميت فرحمت اليهم ميتهم — أو عزيزهم به — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لعنك بلغت معهم الكد ؟ — أى المقابر — فقالت : معاذ الله وقد سمعتك تذكر فيها ما تذكر . قال : لو بنيتها معهم ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك » (٤٤) .

* * *

● كما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن البناء فوق القبور وتجصيصها وتعظيمها ..

عن جابر رضى الله عنه قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بجصص القبر — أى يطلى بالجير — أو يقعد عليه أو أن يبنى عليه » (٤٥) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قاتل الله اليهود .. اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » (٤٦) .

وعن عبد الله البجلي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول : « انى أبرأ الى الله أن يكون لى منكم خليل ، فان الله عز وجل قد اتخذنى خليلا .. وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد .. ألا فلا تتخذوا القبور مساجد .. انى أنهاكم عن ذلك » (٤٧) .

وعن عائشة رضى الله عنها : أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خنيسة رآناها بالحبشة فيها تصاوير .. فقال صلى الله عليه وسلم : « ان أولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور .. أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » (٤٨) .

وقد مر بنا حديث ابن عباس رضى الله عنهما الذى يقول فيه : ان الرسول صلى الله عليه وسلم لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج ..

وروى مسلم عن هارون أن ثمامة بن شفى حدثه قال : كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس .. ففتوفى صاحب لنا .. فأمر

(٤٤) رواه أبو داود والنسائى .

(٤٦) رواه البخارى ومسلم .

(٤٨) رواه البخارى ومسلم .

(٤٥) رواه مسلم .

(٤٧) رواه مسلم .

هضانه. بن عبید بقبره فسوی ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بتسويتها ..

وعن ابی الهیج الأسدی قال : قال لی علی بن أبی طالب کرم الله وجهه : ألا أبعتک علی ما بعننی علیه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تدع تمثالا الاطمسته .. ولا قبراً مشرفاً الا سويته ..

قال الترمذی : والعمل علی هذا عند بعض أهل العلم • یکرهون أن یرفع القبر فوق الأرض الا بقدر ما یعرف أنه قبر • لکیلا یوطأ ولا یجلس علیه ••

وقال الشافعی : وأحب ألا یزاد فی لقبر تراب من غیره •• وإنما أحب أن یشخص علی وجه الأرض شبراً أو نحوه •• وأحب أن لا یبنی ولا یجصص •• فان ذلك یشبه الزینة والخیلاء •• وليس الموت موضع واحد منهما •• ولم أر قبور المهاجرین والأنصار مجصصة •• وقد رأیت من الولاة من یهدم ما بنی من المقابر •• ولم أر الفقهاء یعییون علیه ذلك ••

* * *

ویقول أستاذنا فضيلة الشيخ السيد سابق (٤٩) :

« قال الشوکانی : وانظاہر أن رفع القبور زیادة علی القدر المأذون فیہ محرم •• وقد صرح بذلك أصحاب أحمد وجماعة من أصحاب الشافعی ومالك ••

والقول بأنه غیر محذور لوقوعه من السلف والخلف فلا نکر - كما قال الامام یحیی والمهدی فی الغیث - لا یصح •• لأن غاية ما فیہ أنهم سکتوا عن ذلك •• والسکوت لا یشکل دلیلاً اذا کان فی الأمور الظنیة •• وتحريم رفع القبور ظن ••

ومن رفع القبور الداخل تحت الحدیث دخولاً أولیاً : القباب والمشاهد المعمورة علی القبور •• وأیضا هو من اتخاذ القبور مساجد •• وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعل ذلك •

وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها مفسد يئس لها الاسلام •• منها اعتقاد الجهلة فیها كاعتقاد الكفار فی الأصنام ••

(٤٩) فقه السنة - للشيخ سيد سابق - المجلد الأول (العبادات)

طبع دار التراث العربی ص ٤١٧ ، ٤١٨

وعظموا ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر .. فجعنوها مقصدا لطلب قضاء انحوائج ومجا سجاج المطالب .. وسألوا منها ما يسأل العباد من ربهم .. وشدوا اليها الرحال ومسحوا بها واستغاثوا .

وبالجملة : انهم لم يدعوا شيئا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام الا فعلوه .. فاننا لله وانا اليه راجعون .. ومع هذا المنكر الشنيع .. والكفر الفظيع .. لا تجد من يغضب لله ويغار حمية للدين الحنيف .. لا عالما ولا متعلما .. ولا أميرا ولا وزيرا ولا ملكا ..

وقد توارد الينا من الأخبار مالا يشك معه أن كثيرا من هؤلاء القبوريين — أو أكثرهم — اذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه .. حلف بالله فاجرا .. فاذا قيل له بعد ذلك : بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني .. تلعثم وأبى واعترف بالحق (!!) .. وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال : انه تعالى ثانی اثنين أو ثالث ثلاثة !!

ثم يقول أستاذنا — جزاه الله خيرا — : « فيا علماء الدين .. ويا ملوك الاسلام .. أى رزء للاسلام أشد من الكفر .. وأى بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله ، وأى مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة .. وأى منكر يجب انكاره ان لم يكن انكار هذا الشرك البين واجبا ؟

لقد أسمعت لو ناديت حيا ونكن لا حياة لمن تنادى ولو نارا نفخت بها أضاءت ولكن أنت تنفخ فى الرماد وقد أفتى العلماء بهدم المساجد والقباب التى بنيت على المقابر (٥٠) قال ابن حجر فى « الزواجر » : وتجب المبادرة لهدم المساجد والقباب التى على القبور .. اذ هى أضر من مسجد الضرار .. لأنها أسست على معصية رسول الله صلى الله عليه وسلم .. لأنه نهى عن ذلك .. وأمر بهدم القبور المشرفة .. وتجب ازالة كل قنديل أو سراج على قبر .. ولا يصح وقفه ونذره .. » (٥١) (انتهى بنصه) .

(٥) كاتبت هذه الفتوى فى عهد الملك الظاهر .. حين عزم على هدم كل ما فى القرافة من البناء .. فاتفق علماء عصره على أنه يجب على ولى الأمر هدم ذلك كله .
(٥١) المصدر السابق ص ٤١٨

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : انما لم يبرز قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يتخذ مسجداً ..
وما ذلك الا لان تخصيص القبور بالصلاة عنده .. يشبه تعظيم الأصنام والتقرب اليها .. فقد كان ابتداء عبادة الأصنام تعظيم الأموات باتخاذ صورهم ومسحها والصلاة عليها .. كما تقدم .

* * *

كما يقول أستاذنا فضيلة الشيخ محمد الغزالي (٥٢) :
« فشا في بلاد كثيرة بناء المساجد على قبور الموتى .. اعزازاً لذكرهم .. وتقرباً الى الله .. كما يقال — بمحبتهم ومجاورتهم .. مع أن النصوص قاطعة بمنع هذا العمل ولعن مرتكبيه .. وكان أولى بهؤلاء البانين أن يدعوا الموتى الى ما قدموا .. وأن يقفوا عند حدود الله .. فلا يعصون وصاياه ..

وهذه البدعة تسربت الى المسلمين عن النصرانية بعد تحريفها .. فقد صح عن عائشة أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بمرض الحبشة يقال لها « مارية » .. وذكرت ما رآته فيها .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أولئك قوم اذا مات فيهم العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً .. وصوروا فيه تلك الصور .. أولئك شرار الخلق عند الله » .

وهذه البدعة دخلت النصرانية من الوثنية الأولى .. فقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس وغيره من السلف أن وداً وسواناً وأخواتهما .. كانوا قوماً صالحين من أمة نوح عليه السلام .. فلما ماتوا عكفوا على قبورهم .. ثم صوروا تماثيلهم .. ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم .. فكان هذا مبدء عبادة الأصنام .. واغلاقاً لأبواب الفتنة وسداً لذرائع الفساد .. شدد النبي عليه الصلاة والسلام على المسلمين في حظر هذا المسلك .. وعزم عليهم أن ينفضوا أيديهم من الموتى .. وأن يستقبلوا الحياة بجهدهم وعزمهم .. دون تعويل على صالح مات أو بقى ..
فالإنسان لا يجدى عليه — أمام ربه — الا صالح عمله ..

(٥٢) ليس من الاسلام — للشيخ محمد الغزالي — طبع دار الكتب الإسلامية سنة ١٩٨٣ ص ٢٠٧ — ٢٠٩

وفي هذا الارشاد المبين يقول صلى الله عليه وسلم : « لا تصلوا الى القبور .. ولا تجلسوا عليها » .. ويقول : « الأرض كلها مسجد الا المقبرة والحمام » ويقول : « لعن الله اليهود والنصارى .. اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد .. ألا لا تتخذوا القبور مساجد .. انى أنهاكم عن هذا » ..

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لعن الله زائرات القبور .. والمتخذين عليها المساجد والسرج » .

ونهى رسول الله عن تجصيص القبور والبناء عليها ..

وكان يوصى جيوشه — وهو يطارد الوثنية في جزيرة العرب — ألا تدع صنما الاطمسته .. ولا قبرا مشرفا الا سوته .

وعن المعرور بن سويد قال : صليت مع عمر بن الخطاب — في طريق مكة — صلاة الصبح .. فقرأ فيها : « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » و « لا يلاف قريش » .. ثم رأى الناس يذهبون مذاهب — بعد انصرفهم من الصلاة .. فقال : أين يذهب هؤلاء ؟ فقيل : يا أمير المؤمنين .. مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم يصلون فيه .. فقال : انما هلك من كان قبلكم بمثل هذا .. كانوا يتبعون آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعا !! فمن أدركته الصلاة في هذه المساجد فليصل .. ومن لا فليمض ولا يتعمدها ..

وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه ألا يكون قبره بعده عيدا — موسما — تتلقى اليه الوفود ..

والخبراء بحقائق الأديان وطبائع النفوس يعرفون وجه الحكمة فيما أمر به الله ورسوله .. من تحريم اتخاذ القبور مساجد ..

ان رجاء البركة أول ما يذكره الخارجون على هذه النصوص .. أو المحرفون لها .. لكن هذه البركة المزعومة سرعان ما تتحول الى تقديس للهالكين واتجاه اليهم بالأدعية والندور .. واستصراخ بهم في الأزمات والنوائب ..

فاذا لم يكن الأمر شركا محضا .. فهو مزلة اليه .. مهما كابر المعاندون ..

وقد رأيت عشرات من الظلمات المكتوبة .. ترمى في خريج الامام الشافعى .. أو ترسل اليه بالبريد !!

وسمعت المئات من سفهاء النعمة .. يلهثون بالنجوى الحارة حول
قبر الامام الحسين وغيره !!
ولم أر أسفه من هؤلاء وأولئك الا الذين يعتذرون عنهم ..
من صعاليك المتصوفة وأدعياء المعرفة ..
على أن عاج هذه المنائر المبتدعة .. لا سبيل اليه الا باشاعة
العلم والخلق .. وتهذيب العقول والطباع ..
فان النبي صلوات الله وسلامه عليه لم يهدم الأصنام الا بعد أن
مكث عشرين عاما .. يكون الأمة التي تؤمن بالله .. وتكفر بالطواغيت «
(انتهى بنصه) .



كما يقول — جزاه الله خيرا — في موضع آخر (٥٣) :

« ومما وقع فيه العوام : الاتجاه الى قبور بعض الصالحين ..
يطلبون من أصحابها ما لا يطلب الا من الله عز وجل .
لعل سر هذا الشرود .. أن الناس يرون في أنفسهم ضعة ..
تقصر بهم عن مناجاة الله مباشرة ..
فهم يذهبون بحاجاتهم الى قوم أركى حالا ليرفعوا عنهم مالا
يمكنهم رفعه بأفئدتهم وألسنتهم ..
وهذه العلة هي سر الانصراف عن الله الحق الى عباده الذين
يسمعون .. والذين لا يسمعون .. بل الذين يعقلون والذين لا يعقلون .
وكم من علة .. ظاهرها زيادة توقير الله .. بانتهاك حرمان الله ..
ألا ترى أن المشركين كانوا يطوفون بالكعبة عرايا .. نساء ورجالا
.. محتجين بأنه لا ينبغي أن يطوفوا في ثياب عصوا الله فيها ؟!
فالتخرج من الاتصال بالله .. دون وساطة .. كان جريمة الوثنية
القديمة التي صور القرآن الكريم اعتذارها عن شركها بقوله :
« ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » (٥٤) .
وهذا الاعتذار نفسه .. هو ما يردده سدنة الجاهلية الحديثة ..
في دفاعهم عن قصاد القبور طلبا للشفاء والفلاح .. والتماسا للنجدة
والعون ..

(٥٣) المصدر السابق ص ١٦٤ — ١٦٦

(٥٤) الزمر : ٣

وبيديه أن لا مكان في الاسلام لوسطاء بين الله وخلقه .. فان كل مسلم مكلف ان يقف بين يدي الله مهما كانت حاجته .. وهو موقن بأن دعاءه ينتهي الى سمع الرحمن من غير تدخل بشر آخر .. ايا كان شأنه ..

والعبادة الأولى في الاسلام — وهي الصلاة المقسمة على أجزاء النهار والليل — غوامها هذه الحقيقة المؤكدة التي لا ريب فيها .. فكيف يوجب الله على عباده أن يترددوا على ساحته ويسألوه — حتماً — الهداية الى الصراط المستقيم .. ويسجدوا بين يديه ضارعين طالبين ؟ .. وكيف يعتبر التخلف عن هذه الصلوات كفراً به .. أو اهداراً لحقه .. ثم يسوغ لأحد من الناس بعد أن يقول : أنا محتاج لموسيط يحمل عني الى الله ما أريد !!

ان هذا لا تفسير له الا الرغبة في الشرك الخفى أو الجلى ..
وتسأل طالب الوساطة : من تختار يكلم لك الله ؟

فلو انه اختار من الأحياء رجلاً يتوسم فيه الصلاح ليدعو الله له لكان الخطب .. بيد أن العجيب قصده الى الأموات الذين انقطعت بالدنيا صلاتهم وأفضوا الى ما قدموا من عمل !! .. ولا شعور لهم بهذا القاصد الجهول الذي جاء . لم ؟ .. ليطلب منهم أو يستشفع بهم !!

ان لتفكير الاسلامي سقط في هذه الوهدة الشائنة من أمد بعيد ..
هدارت حول الولاية والأولياء خرافات شتى ..
وجاءت على الناس أيام .. ظنوا فيها أن مقاليد الكون أصبحت بأيدي نفر من هؤلاء الهلكى يصرفونها — بدلالهم على الله — كما يشاءون !!

وزاد الطين بنة .. أن أولئك الأولياء المقصودين تجاوزت أقدارهم هوانين 'الأسباب والمسببات المعروفة !!

فاضطربت — تبعاً لذلك — نظرة المسلمين الى سنن الله الكونية ..
وحسبوها تليين لكل من واطب على شيء من العبادة !!

وانتهى أمر هذه الأمة المنكودة الى أن فقدت مكانتها العالية في دنيا تعتمد على المعرفة الحقة بأسرار الطبيعة وقوانين الحياة ..
بعد أن فقدت — أيضاً — منزلتها عند الله مذ أشركت معه من لا يملك لنفسه أو لغيره ضراً ولا نفعاً ..

« أفحسب الذين كفروا أن يتفلسفوا عبادي من دوني أولياء »
 أنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلاً» (٥٦) .

لماذا يكون من الدين الاعتراف بحق « أناس ما » في التوسط بين الله وخلقه ؟ ولماذا يكون من الدين الاعتراف بقدرة هؤلاء على اختراق نواميس الطبيعة وصنع الخوارق الباهرة ؟
 ولماذا يعد من شعب الأيمان بالله ورسوله واليوم الآخر أن نفكر بحقوق هذه الولايات وطاقتها الواسعة في تصريف الشئون وبعث الشجون ؟

الحق أن هذا كله تخليط سمج .. وأن اللجاجة فيه نزعة جاهلية .. ولن تعدد دعيا في الاسلام يخاصم عن هذه الأوهام .. ويحاول تعكير التوحيد الخالص — وهو روح الاسلام ومادته — بلغظ لا عقل فيه ولا اخلاص .. زاعما أن اتخاذ الوسطاء لا ينافي تعاليم الدين .. ولا غرابة .. فان النصراني يرون التثليث توحيدا !!
 « وكان الانسان أكثر شيء جدلا » (٥٦) !! (انتهى بنصه) .

* * *

فما الذي أوصل الناس الى هذه العقائد الزائفة ؟
 لقد أمرهم الله تعالى في محكم كتابه بقوله : « اطيعوا الله واطيعوا الرسول » (٥٧) .

ونهاهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن رفع القبور .. وبناء المساجد فوقها .. والصلاة اليها .. وتعظيمها .. ولكنهم نسوا كتاب ربهم .. وأعرضوا عن سنة نبيهم .. فوصلوا الى ما وصلوا اليه .. وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ..
 يقول الله تعالى : « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا • الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » (٥٨) .
 ويقول تعالى : « فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » (٥٩) .

● كما نهى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة الى القبور والجلوس عليها ..

(٥٦) الكهف : ٥٤

(٥٨) الكهف : ١٠٣ ، ١٠٤

(٥٥) الكهف : ١٠٢

(٥٧) النساء : ٥٩

(٥٩) الكهف : ١١٠

فعن أبي مرثد كنان بن الحصين رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تصلوا الى القبور ولا تجلسوا عليها » (٦٠) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص الى جلده .. خير له من أن يجلس على قبر » (٦١) .

وعن عمارة بن حزم رضى الله عنه قال : رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا على قبر فقال : « يا صاحب القبر .. انزل من على القبر ، لا تؤذى صاحب القبر ولا يؤذيك » (٦٢) .

أى لا تؤذيه بالجلوس على قبره لاهنته .. ولا يؤذيك بما يسببه لك من عذاب الله فى الآخرة بسبب هذا الجلوس .

* * *

● ونهى صلى الله عليه وسلم أن تحد المرأة فوق ثلاث الا على زوج ..

فعن زينب بنت أبى سلمة رضى الله عنهما قالت : دخلت على أم حبيبة رضى الله عنها — زوج الرسول صلى الله عليه وسلم — حين توفى أبوها أبو سفيان بن حرب رضى الله عنه .. فعدت بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره .. فدهنت منه جارية ثم مست بعارضتها ثم قالت : والله مالى بالطيب من حاجة .. غير أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث .. الا على زوج : أربعة أشهر وعشرا » .

قالت زينب : ثم دخلت على زينب بنت جحش رضى الله عنها حين توفى أخوها .. فعدت بطيب فمست منه .. ثم قالت : أما والله مالى بالطيب من حاجة .. غير أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث .. الا على زوج : أربعة أشهر وعشرا » (٦٣) .

* * *

(٦٠) رواه مسلم .

(٦١) رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه .

(٦٢) رواه الطبرانى فى الكبير . (٦٣) رواه البخارى ومسلم .

● كما نهى عليه الصلاة والسلام عن تمنى الموت ..

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يتمن أحدكم الموت .. اما محسنا فلعله يزداد .. واما مسيئاً فلعله يستعقب » (٦٤) .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يتمن أحدكم الموت ولا يدع به من قبل أن يأتيه .. انه اذا مات انقطع عمله .. وانه لا يزيد المؤمن عمره الا خيرا » (٦٥) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه .. فان كان لا بدا فاعلا فليقل : اللهم أحيى ما كانت الحياة خيرا لى .. وتوفنى اذا كانت الوفاة خيرا لى » (٦٦) .

* * *

(٦٥) متفق عليه .

(٦٤) رواه البخارى ومسلم .

(٦٦) رواه البخارى ومسلم .

عالم البرزخ

خلق الله الانسان من روح وجسد .. وقد مر بنا كيف يكون مصير الأجساد الى أن يأذن الله بالبعث والنشور .. فماذا عن الأرواح ؟
يقول الله تعالى : « حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني •
لعلى أعمل صالحا فيما تركت ، كلا انها كلمة هو قائلها ، ومن ورائهم
برزخ الى يوم يبعثون » (١) •

والبرزخ هو الحاجز بين الشيئين .. وهو ما بين الموت والبعث
• • • فمن مات فقد دخل البرزخ • •
يقول مجاهد : البرزخ هو الحاجز بين الموت والرجوع الى الدنيا
• • • وعن الضحاك : هو ما بين الدنيا والآخرة • • وعن ابن عباس :
الحجاب • وعن السدى : الأجل • •

ويقول قتادة : بقية الدنيا • • وقيل : الامهال الى يوم القيامة • •
ويقول الكلبي : هو الأجل بين النفختين ، وبينهما أربعون سنة • •
وهذه الأقوال كلها متقاربة • • وكل حاجز بين شيئين فهو برزخ •
يقول الله تعالى : « وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات
وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا » (٢) •

ويقول جل شأنه : « مرج البحرين يلتقيان • بينهما برزخ
لا يفيان » (٣) •

وعن الجوهرى : البرزخ الحاجز بين الشيئين • • والبرزخ
ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت الى البعث • • فمن مات فقد
دخل فى البرزخ • •

وعن محمد بن كعب : البرزخ ما بين الدنيا والآخرة • • ليسوا
من أهل الدنيا يأكلون ويشربون • • ولا مع أهل الآخرة يجازون
بأعمالهم • •

وعن أبى صخر : البرزخ • • المقابر ، لا هم فى الدنيا ولا هم
فى الآخرة • • فهم مقيمون الى يوم يبعثون • •

(٢) الفرقان : ٥٣

(١) المؤمنون : ٩٩ ، ١٠٠

(٣) الرحمن : ١٩ ، ٢٠

فالبرزخ هو أول دار الجزاء .. فيه تنعم الأرواح الصالحة ..
وفيه تعذب الأرواح الشريرة .. الى يوم البعث والقيام ..
فعن سيمان الفارسي .. قال : أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض
تذهب حيث شاءت .. وأرواح الكفار في سجين .. وفي لفظ عنه :
نسمة المؤمن تذهب في الأرض حيث شاءت ..

ويقول الامام ابن حزم : « مستقرها حيث كانت قبل خلق
أجسادها .. والذي نقول به : في مستقر الأرواح هو ما قاله الله
عز وجل ونبيه صلى الله عليه وسلم لا نتعداه .. فهو البرهان الواضح
.. وهو أن الله عز وجل قال : « وأخذ ريك من بنى آدم من ظهورهم
ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، قالوا بلى شهدنا ،
أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين » (٤) .

وقال تعالى : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم » (٥) .

فصح أن الله تعالى خلق الأرواح جملة .. وكذلك أخبر صلى الله
عليه وسلم أن : « الأرواح جنود مجتدة فما تعارف منها ائتلف ..
وما تناكر منها اختلف » .. وأخذ الله عهدها وشهادتها له بالربوبية ..
وهي مخلوقة مصورة عاقلة قبل أن يأمر الملائكة بالسجود لآدم ..
وقبل أن يدخلها في الأجساد .. والأجساد يومئذ تراب وماء .. ثم
أقرها حيث شاء .. وهو البرزخ الذي ترجع اليه عند الموت ..
ثم لا يزال يبعث منها الجملة بعد الجملة فينفخها في الأجساد المتولدة
من المنى » .

* * *

ويقول الامام ابن القيم : « جعل الله سبحانه الدور ثلاثا : دار
الدنيا .. ودار البرزخ .. ودار القرار .. وجعل لكل دار أحكاما تختص
بها .. وركب هذا الانسان من بدن ونفس ..
وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان والأرواح تبعا لها ..
ولهذا جعل أحكامه الشرعية مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان
والجوارح .. وان أضمرت النفوس خلافه ..
وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعا لها .. فكما

(٥) الأعراف : ١١

(٤) الأعراف : ١٧٢

تبعث الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتألمت بألمها والتذت براحتها .. وكانت هي التي باشرت أسباب النعيم والعذاب .. تبعث الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها ، والأرواح حينئذ هي التي تبشر العذاب والنعيم ..

فالأبدان هنا ظاهرة والأرواح خفية والأبدان كالقبور لها .. والأرواح هناك ظاهرة والأبدان خفية في قبورها .. تجري أحكام البرزخ على الأرواح فتسرى إلى أبدانها نعيما أو عذابا .. كما تجري أحكام الدنيا على الأبدان فتسرى إلى أرواحها نعيما أو عذابا « (٦) » .

كما يقول في موضع آخر : « ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر ونيعمه اسم لعذاب البرزخ ونيعمه .. وهو ما بين الدنيا والآخرة ..

وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة .. وسمى عذاب القبر ونيعمه ، وأنه روضة أو حفرة نار .. باعتبار غالب الحق ..

فالمصلوب والحرق والغرق وأكيل السباع والطيور .. له من عذاب البرزخ ونيعمه قسطه الذي تقتضيه أعماله وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتهما .. فقد ظن بعض الأوائل أنه إذا حرق جسده بالنار وصار رمادا وذرى بعضه في البحر وبعضه في البر في يوم شديد الريح أنه ينجو من ذلك .. فأوصى بنيه أن يفعلوا به ذلك .. فأمر الله البحر فجمع ما فيه .. وأمر البر فجمع ما فيه .. ثم قال : قم .. فإذا هو قائم بين يدي الله .. فسأله : ما حملك على ما فعلت ؟ .. فقال : خشيتك يا رب وأنت أعلم .. فما تلافاه أن رحمه ..

فلم يفت عذاب البرزخ ونيعمه لهذه الأجزاء التي صارت في هذه الحال .. حتى لو علق الميت على رؤوس الأشجار في مهاب الرياح لأصاب جسده من عذاب البرزخ حظه ونصيبه .. ولو دفن الرجل الصالح في أتون من النار لأصاب جسده من نعيم البرزخ وروحه نصيبه وحظه .. فيجعل الله النار على هذا بردا وسلاما .. والهواء على ذاك نارا وسموما ..

فمناصر العالم ومواده منقادة لربها وفاطرها وخالقها .. يصرفها كيف يشاء .. ولا يستعصى عليه منها شيء أراده .. بل هي طوع

مُشِيَّتُهُ .. مَذَلَّةٌ مُنْقَادَةٌ لِقُدْرَتِهِ .. وَمَنْ أَنْكَرَ هَذَا فَقَدْ جَحَدَ رَبَّ السَّالِمِينَ
.. وَكَفَرَ بِهِ وَأَنْكَرَ رَبُّوبِيَّتَهُ « (٧) » .

* * *

● وَالْمَوْتَى فِي قُبُورِهِمْ يَعْرِفُونَ زِيَارَةَ الْأَحْيَاءِ لَهُمْ .. وَيُردُّونَ
عَلَيْهِمُ السَّلَامَ .. وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى الْحَيَاةِ الْبَرْزَخِيَّةِ ..

فِي الصَّحِيحِينَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِقَتْلِ بَدْرٍ
.. فَأَنقَوْا فِي قَلْبِهِ .. ثُمَّ جَاءَ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِمْ وَنَادَاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ :
« يَا فَلَانُ ابْنُ فَلَانٍ .. وَيَا فَلَانُ ابْنُ فَلَانٍ .. هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ
رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ .. قَانِي وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا » .. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ .. مَا تَخَاطَبُ أَقْوَامٌ قَدْ جِيفُوا .. فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ .. مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعٍ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ ..
وَلَكِنْهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ جَوَابًا » ..

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ أَحَدٍ يَسْلُمُ عَلَى آلِ اللَّهِ عَلَى رُوحِي حَتَّى أُرَدَّ
السَّلَامَ » (٨) .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ رَجُلٍ يَمُرُّ عَلَى قَبْرِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ كَانَ يَعْرِسُهُ فِي
الدُّنْيَا فَيَسْلُمُ عَلَيْهِ .. إِلَّا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ » (٩) .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ رَجُلٍ يَزُورُ قَبْرَ أَخِيهِ وَيَجْلِسُ عِنْدَهُ إِلَّا اسْتَأْنَسَ بِهِ
وَرَدَّ عَلَيْهِ حَتَّى يَقُومَ » ..

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : إِذَا مَرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ أَخِيهِ
يَعْرِفُهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَعَرَفَهُ .. وَإِذَا مَرَّ بِقَبْرِ لَا يَعْرِفُهُ
فَسَلَّمَ عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ ..

وَعَنْ عُمَرُو بْنِ دِينَارٍ أَنَّهُ قَالَ : مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ إِلَّا وَهُوَ يَعْلَمُ
مَا يَكُونُ فِي أَهْلِهِ بَعْدَهُ ، وَأَنْهُمْ لَيَغْسِلُونَهُ وَيَكْفِنُونَهُ .. وَأَنَّهُ لَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ .

* * *

(٨) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

(٧) الْمَرْجِعُ السَّابِقُ ص ١٠٢

(٩) رَوَاهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ .

● وينتفع الميت بتلقيه في قبره عند دفنه ..

لا شك أن الميت ينتفع عند احتضاره — بتذكيره بالشهادة ..
كما ينتفع بتلقيه أياها بعد ايداعه في القبر .. هذا إذا كان إيمانه صحيحا
وعقيدته سليمة ..

والرسول — صلى الله عليه وسلم — حين نادى أصحاب القليب ..
فانه كان بلا ريب ينادى أقواما يسمعون النداء ويعقلون الكلام ..
ولكنهم لا يستطيعون جوابا (١٠) .

وروى مسلم عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : إذا دفنتموني
فأقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها .. حتى
أستأنس بكم ، وأعلم ما أراجع به رسل ربى .

وعلى هذا .. فإذا كان المقبور صحيح الإيمان سليم العقيدة ..
فانه حين يسمع التلقين بالشهادة يكون قد لقن حجته فينطق بها ..
بشرط أن يكون ذلك موافقا لما كانت عليه عقيدته الباطنة .. أما إذا
كان زائغ العقيدة منحرف الإيمان فان التلقين لن يفيده أو يساعده ..
لأنه إنما ينداق في تلك اللحظة بما اعتقده في حياته ..

كما روى أبو داود في سننه بإسناد لا بأس به أن النبي صلى الله
عليه وسلم حضر جنازة رجل .. فلما دفن قال : « سلوا لأخيكم
التبئيت .. فانه الآن يسئل » .

فأخبر صلى الله عليه وسلم أنه يسئل حينئذ .. وإذا كان يسئل
فانه يسمع التلقين ..

وقال شبيب بن شيبه : أوصتني أمى عند موتها فقالت : يا بنى ..
إذا دهنتني غقم عند قبري .. وقل : يا أم شبيب .. قولى : لا اله الا الله
.. فلما دفنتها غمت عند قبرها فقلت : يا أم شبيب .. قولى لا اله الا الله
.. ثم انصرفت ..

فلما كان من الليل رأيته في النوم فقالت : يا بنى .. كدت أهلك
لولا أن تداركني لا اله الا الله .. فقد حفظت وصيتي يا بنى ..

* * *

● وتتلاقى أرواح الموتى وتتراور وتتذاكر ..

يقول الله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا ،
بل أحياء عند ربهم يرزقون » فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون

يَالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ •
يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنْ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرُ الْمُؤْمِنِينَ» (١١) •

فأخبر تعالى عن الشهداء بأنهم أحياء عند ربهم •• وأنهم يرزقون ••
•• وأنهم يفرحون بما آتاهم الله من فضله •• وأنهم يستبشرون بالذين
لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ •• وأنهم يستبشرون بنعمة الله وفضله ••
وهذا يدل على تلاقِيهم ••

وعن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي لبينة عن جده •• قال :
لما مات بشر بن البراء بن معرور •• وجدت عليه أم بشر وجدا
شديدا •• فقالت : يا رسول الله •• انه لا يزال الهالك يهلك من
بنى سلمة •• فهل تتعارف الموتى فأرسل الى بشر بالسلام ؟ •• فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم •• والذي نفسى بيده يا أم بشر
انهم ليتعارفون كما تتعارف الطير في رؤوس الشجر » •

فكان لا يهلك هالك من بنى سلمة الا جاءته أم بشر فقالت :
يا فلان •• عليك السلام •• واقرأ على بشر السلام ••

وعن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « ان نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله
كما يتلقى البشير في الدنيا فيقولون : انظروا أخاكم حتى يستريح
فانه كان في كرب شديد •• فيسألونه ماذا فعل فلان ؟ وماذا فعلت
فلانة ؟ وهل تزوجت فلانة ؟ •• لهاذا سألوه عن رجل مات قبله قال :
انه قد مات قبلى •• قالوا : انا لله وانا اليه راجعون •• ذهب به الى
أمه الهاوية ، فبئست الأم وبئست المربية » ••
وعن سعيد بن المسيب قال : اذا مات الرجل استقبله والده كما
يستقبل الغائب ••

● وتتلاقى أرواح الأحياء مع أرواح الأموات ••
يقول الله تعالى : « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت
في منامها ، فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجل
مسمى ، ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (١٢) •
عن ابن عباس رضى الله عنه — وقد ذكر هذه الآية — فقال :

بلغنى أن أرواح الأحياء والأموات تلتقى فى المنام .. فيتساءلون بينهم ..
فيمسك الله أرواح الموتى ، ويرسل أرواح الأحياء الى أجسادها ..

وعن السدى قال : يتوفاها فى منامها .. فيلتقى روح الحى وروح الميت فيتذاكران ويتعارفان .. قال : فترجع روح الحى الى جسده فى الدنيا الى بقية أجلها .. وتريد روح الميت أن ترجع الى جسده فتحبس ..

ويقول الامام ابن القيم : « ويدل على التقاء أرواح الأحياء والأموات أن الحى يرى الميت فى منامه فيستخبره ويخبره الميت بما لا يعلم الحى .. فيصادف خبره كما أخبر فى الماضى والمستقبل .. وربما أخبره بمال دفنه الميت فى مكان لم يعلم به سواه .. وربما أخبره بدين عليه وذكر له شواهد وأدلتة ..

وأبلغ من هذا أنه يخبر بما عمله من عمل لم يطلع عليه أحد من العالمين ..

وأبلغ من هذا أنه يخبره أنك تأتينا الى وقت كذا وكذا فيكون كما أخبر .. وربما أخبره عن أمور يقطع الحى أنه لم يكن يعرفها غيره » (١٣) .

وعن مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه عن فاطمة بنت عبد الملك — امرأة عمر بن عبد العزيز — قالت : انتبه عمر ابن عبد العزيز ليلة فقال : لقد رأيت رؤيا معجبة .. قالت فقلت : جعلت فداك فأخبرنى بها .. فقال : ما كنت لأخبرك بها حتى أصبح .. فلما طلع الفجر خرج فصرى ثم عاد الى مجلسه .. قالت : فاغتتم خلوته فقلت : أخبرنى بالرؤيا التى رأيت ..

قال : رأيت كأنى رفعت الى أرض خضراء واسعة كأنها بسات أخضر .. واذا فيها قصر أبيض كأنه الفضة .. واذا خارج قد خرج من ذلك القصر فهتف بأعلى صوته يقول : أين محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب .. أين رسول الله ؟ — صلى الله عليه وسلم — اذ أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل ذلك القصر ..

قال : ثم ان آخر خرج من ذلك القصر فنادى : أين أبو بكر الصديق .. أين ابن أبى قحافة ؟ .. اذ أقبل أبو بكر حتى دخل ذلك القصر ..

ثم خرج آخر فنادى : أين عمر بن الخطاب ؟ فأتبىل عمر حتى دخل ذلك القصر ..

ثم خرج آخر فنادى : أين عثمان بن عفان ؟ فأتبىل حتى دخل ذلك القصر ..

ثم خرج آخر فنادى : أين على بن أبى طالب ؟ فأتبىل حتى دخل ذلك القصر ..

ثم ان آخر خرج فنادى : أين عمر بن عبد العزيز ؟ .. قال عمر : فممت حتى دخلت ذلك القصر .. قال : فدفعته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقوم حوله .. فقلت بينى وبين نفسى أين أجلس .. فجلست الى جنب أبى عمر بن الخطاب فنظرت فاذا أبو بكر عن يمين النبى صلى الله عليه وسلم .. واذا عمر عن يساره .. فتأملت فاذا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أبى بكر رجل فقلت : من هذا الرجل الذى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أبى بكر ؟ فقال : هذا عيسى ابن مريم .. فسمعت هاتفا يهتف وبينى وبينه ستر نور : يا عمر بن عبد العزيز .. تمسك بما أنت عليه واثبت بما أنت عليه .. ثم كأنه أذن لى فى الخروج .. فخرجت من ذلك القصر .. فالتفت خلفى فاذا أنا بعثمان بن عفان وهو خارج من ذلك القصر يقول : الحمد لله الذى نصرنى .. واذا على بن أبى طالب فى اثره خارج من ذلك القصر وهو يقول : الحمد لله الذى غفر لى ..

وعن حماد بن أبى هاشم : جاء رجل الى عمر بن عبد العزيز فقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله .. وأقبل رجلان يختصمان .. وأنت بين يديه جالس فقال لك : يا عمر .. اذا عملت فاعمل بعمل هذين — لأبى بكر وعمر — فاستحلفه عمر بالله : رأيت هذه الرؤيا ؟ .. فحلف فبكى عمر ..



وعن سالم بن عبد الله عن أبيه .. قال : لقي عمر بن الخطاب على بن أبى طالب رضى الله عنهما .. فقال له : يا أبا الحسن .. ربما شهدت وغنا وشهدنا وغبت .. ثلاث أسألك عنهن عندك منهن علم ؟ فقال على بن أبى طالب : وما هن ؟ .. فقال : الرجل يحب الرجل ولم ير منه خيرا .. والرجل يبغض الرجل ولم ير منه شرا ..

فقال على : نعم .. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« ان الأرواح جنود مجنده تلتقى في الهواء فتشأم .. فما تعارف
منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » .

فقال عمر : واحدة .. قال عمر : والرجل يحدث الحديث اذ نسيه
هبينما هو وما نسيه اذ ذكره ..

فقال : نعم .. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« ما في القلوب قلب الا وله سحابة نسية القمر ، بينا القمر مضى
اذ تجللاته سحابة الظلم اذ تجلت فأضاء .. وبينما القلب يتحدث
اذ تجللاته سحابة فنسى اذ تجلت عنه فيذكر » .

فقال عمر : اثنتان .. قال : والرجل يرى الرؤيا فمناها ما يصدق
ومنها ما يكذب ..

فقال : نعم .. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« ما من عبد ينام يمتلىء نوما الا عرج بروحه الى العرش .. فالذى
لا يستيقظ دون العرش فتلك الرؤيا التي تصدق .. والذي يستيقظ
دون العرش فهي التي تكذب » .

فقال عمر : ثلاث كنت في طلبهن .. فالحمد لله الذى أصبتهن
قبل الموت ..

وعن سليم بن عامر الحضرمي قال : قال عمر بن الخطاب : عجت
لرؤيا الرجل يرى الشيء لم يخطر له على بال فيكون كآخذ بيد ..
ويرى الشيء فلا يكون شيئاً .. فقال على بن أبى طالب : يا أمير المؤمنين
.. يقول الله عز وجل : « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت
في منامها ، فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجل
مسمى » .. قال : والأرواح يعرج بها في منامها فما رأت وهي في
السماء فهو الحق .. فاذا ردت الى أجسادها تلتقتها الشياطين في الهواء
فكذبتها .. فما رأت من ذلك فهو الباطل .. قال : فجعل عمر يتعجب
من قول على ..

وذكر الطبراني من حديث على بن أبى طالب أن عبد الله بن عباس
قال لعمر بن الخطاب — رضى الله عنهم أجمعين — : يا أمير المؤمنين ..
أشياء أسألك عنها .. قال : سل عما شئت .. فقال : يا أمير المؤمنين ..
مم يذكر الرجل ومم ينسى ؟ ومم تصدق الرؤيا ومم تكذب ؟

فقال به عمر : ان على القلب طخاوة — أى سحابة — كطخاوة القمر
 فاذا تغشت القلب نسي ابن آدم ، فاذا انجلت ذكر ما كان نسي ..
 وأما مم تصدق الرؤيا ومم تكذب .. فان الله عز وجل يقول :
 « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت فى منامها » فمن دخل
 منها فى ملكوت السماء فهى التى تصدق .. وما كان منها دون ملكوت
 السماء فهى التى تكذب ..



● وعذاب القبر هو عذاب البرزخ .. ونعيمه هو نعيمه ..
 عن سمرة بن جندب قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا صلى
 صلاة أقبل علينا بوجهه فقال : « من رأى منكم الليلة رؤيا » ؟ قال :
 فان رأى أحد رؤيا قصها فيقول ما شاء الله .. فسالنا يوما فقال :
 « هل رأى أحد منكم رؤيا » ؟ قلنا : لا . قال : « لكى رايت الليلة
 رجلان أتيانى .. فأخذا بيدي وأخرجانى الى الأرض المقدسة ..
 غاد رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب من حديد^(١٤) يدخله فى
 شذقه حتى يبلغ قفاه .. ثم يفعل بشقه الآخر مثل ذلك .. ويلتئم
 شذقه هذا فيعود فيصنع مثله !! قلت : ما هذا ؟ قال : انطلق ..
 فانطلقنا : حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه .. ورجل
 قائم على رأسه بصخرة أو فهر^(١٥) فيشدها بها رأسه فاذا ضربه
 تدهده^(١٦) فانطلق اليه ليأخذه فلا يرجع الى هذا حتى يلتئم رأسه
 وعاد رأسه كما هو .. فعاد اليه فضربه !! قلت : ما هذا ؟ قال : انطلق .
 فانطلقنا الى نقب مثل التنور^(١٧) أعلاه ضيق وأسفله واسع ..
 يوقد تحته نار فاذا فيه رجال ونساء عراة .. فيأتيهم اللهب من تحتهم ،
 فاذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا يخرجوا .. فاذا خمدت رجعوا !!
 فقلت : ما هذا ؟ قال : انطلق ..
 فانطلقنا .. حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم .. وعلى
 وسط النهر رجل بين يديه حجارة .. فأقبل الرجل الذى فى النهر ..
 فاذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر فى فيه فردده حيث كان .. فجعل

(١٤) الكلوب : خشبة فى رأسها عقانة من حديد .

(١٥) الفهر : الحجر الناعم الصلب .

(١٧) أى الفرن .

(١٦) أى تدهرج .

كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فرجع كما كان !! فقلت : ما هذا ؟
هالا : انطلق ..

فانطلقنا .. حتى أتينا الى روضة خضراء .. فيها شجرة عظيمة
.. وفي أصلها شيخ وصبيان .. واذا رجل قريب من الشجرة بين
يديه نار يوقدها !!

فصعدا بي الشجرة وأدخلاني دارا لم أر قط أحسن منها ..
فيها شيوخ وشبان .. ثم صعدا بي فأدخلاني دارا هي أحسن
وأفضل !!

قلت : طوغماني الليلة .. فأخبراني عما رأيت ..
قالا : نعم .. الذي رأيته يشق شذقه كذاب .. يحدث بالكذبة
فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق .. يصنع به الى يوم القيامة ..
والذي رأيته يشدخ رأسه .. فرجل علمه الله القرآن فنام عنه
مالميل ولم يعمل به بالنهار .. يفعل به الى يوم القيامة ..
وأما الذي رأيته في النقب فهم الزناة ..
والذي رأيته في النهر فاكل الربا ..
وأما الشيخ الذي في أصل الشجرة فابراهيم .. والصبيان حوله
وأولاد الناس ..

والذي يوقد النار فمالك خازن النار .
والدار الأولى دار عامة المؤمنين .. وأما هذه الدار فدار الشهداء
.. وأنا جبرائيل .. وهذا ميكائيل .. فارفع رأسك .. فرفعت رأسي فاذا
قصر مثل السحابة .. قالا : هذا منزلك .. قلت : دعاني أدخل منزلي ..
قالا : انه بقى لك عمر لم تستكمله ، فلو استكملته أتيت منزلك » (١٨) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
— في رحلة الاسراء — : « أنه أتى بفرس فحمل عليه .. قال : كل خطوة
منتهى أقصى بصره .. فسار ومعه جبريل .. فأتى على قوم يزرعون
في يوم ويحصدون في يوم .. كلما حصدوا عاد كما كان .. فقال :
يا جبريل .. من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله يضاعف
لهم الحسنه بسبعمائة : « وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ، وهو
خير الرازقين » (١٩) .

ثم أتى على قوم ترسخ رؤوسهم بالصخر .. كلما رضخت عادت
كما كانت .. لا يفتر عنهم شيء من ذلك .. قال : يا جبريل .. من
هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين تتناقل رؤوسهم عن الصلاة •

قال : ثم أتى على قوم على أقبالهم وعلى أدبارهم رقاع ..
يسرحون كما تسرح الأنعام على الضريع والزقوم ورضف جهنم
وحجارتها (٢٠) .. قال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين لا يؤدون
صدقات أموالهم .. وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد ..

ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم من قدر نضيج ، ولحم آخر
خبث .. فجعلوا يأكلون من الخبيث ويدعون النضيج الطيب .. فقال :
يا جبرائيل .. من هؤلاء ؟ قال : هذا الرجل يقوم وعنده امرأة حلالة
طيبا فيأتي المرأة الخبيثة فتبيت معه حتى تصبح ..

ثم أتى على خشبة على الطريق .. لا يمر بها شيء الا قصفته
— وفي رواية : لا يمر بها ثوب الا شقته ولا شيء الا فرقته • قال :
ما هذا يا جبرائيل ؟ قال : هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق
فيقطعونه — يقول الله تعالى : « ولا تقعدوا بكل صراط توعدون » (٢١) •

ثم مر على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها ..
وهو يزيد عليها .. قال : يا جبريل .. ما هذا ؟ قال : هذا رجل من
أمتك عليه أمانة لا يستطيع أدائها وهو يزيد عليها •

ثم أتى على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من حديد .. كلما
قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم شيء .. قال : يا جبريل ..
من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء خطباء الفتنة ..

ثم أتى على جحر صغير .. يخرج منه نور عظيم .. فجعل النور
يريد أن يدخل من حيث خرج ولا يستطيع • قال : ما هذا يا جبريل ؟
قال : هذا رجل يتكلم بالكلمة فيندم عليها فيريد أن يردّها
فلا يستطيع » (٢٢) •

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
— في حديث الاسراء — : قال : « فصعدت أنا وجبريل فاستفتح

(٢٠) الضريع : العوسج الرطب ، والزقوم : شجرة مرة كريهة الرائحة
والرضف : الحجر المحمى بالنار •

(٢٢) رواه البيهقي •

(٢١) الأعراف : ٨٦

جبريل .. فاذا بأدم كهيئته يوم خلقه الله على صورته (٢٣) .. تعرض عليه ارواح ذريته المؤمنين .. فيقول : روح حييه ونفس حييه اجعلوها في عليين .. ثم تعرض عليه ارواح ذريته الفجار .. فيقول : روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها في سجين (٢٤) ..

ثم مضيت هنيهة فاذا أنا باخونة (٢٥) عليها لحم قد أروح (٢٦) ومنتن وعندها ناس يأكلون منها .. قلت : يا جبريل .. من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء يتركون الحلال ويأتون الحرام ..

قال : ثم مضيت هنيهة .. فاذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت .. كلما نهض أحدهم خر يقول : اللهم لا تقم الساعة .. قال : وهم على سابلة (٢٧) آل فرعون قال : فيجىء السابلة فتطأهم فيصيحون .. قلت : يا جبريل .. من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء « الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس » (٢٨) .

قال : ثم مضيت هنيهة .. فاذا أنا بقوم مشافرهم كمشافر الابل .. فتفتح أفواههم فيلقمون الحجر .. ثم يخرج من أسافلهم ، فسمعتهم يصيحون .. قلت : من هؤلاء ؟ قال : الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ..

ثم مضيت هنيهة .. فاذا أنا بنساء معلقات بثديهن .. فسمعتهن يصحن .. قلت : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الزواني ..

ثم مضيت هنيهة .. فاذا أنا بقوم يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمونه .. فيقال : كل كما كنت تأكل لحم أخيك .. قلت : من هؤلاء ؟ قال : الهمازون من أمتك » (٢٩) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما عرج بى .. مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم .. فقلت : يا جبريل .. من هؤلاء ؟ قال : الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم » (٣٠) .

(٢٣) أى على صورته التى خلقه الله عليها .

(٢٤) وادى فى جهنم .

(٢٥) جمع خوان .. وهو ما يؤكل عليه .

(٢٦) أى على طريقهم .

(٢٧) أى فاحت رائحته .

(٢٨) رواه البيهقى .

(٢٩) البقرة : ٢٧٥

(٣٠) رواه أبو داود .

كل هذه الأخبار تؤكد أن الأرواح تنعم وتعذب في برزخها ..
كما تنعم الأجساد وتعذب في قبورها .. وأنما النار التي في القبور
والخضرة بها ليست من نار الدنيا ولا من زروع الدنيا غيرها من
شاهد نار الدنيا وخضرها .. وأنما هي من نار الآخرة وخضرها ..

وقد يدفن الرجلين أحدهما الى جوار الآخر .. وهذا في حفرة
من حفر النار لا يصل حرها الى جاره .. وذلك في روضة من رياض
الجنة لا يصل روحها ونعيمها الى جاره ..

وأنما حجب الله تعالى هذه المشاهد عن الأحياء رحمة بهم ..
فقد ورد في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لولا أن
لا تداقنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع » (٣١) .



(٣١) رواه البخارى ومسلم .

علامات على الطريق

يقول الله تعالى : « أن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون » (١) .

ويقول تعالى : « ولله غيب السموات والأرض ، وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب ، ان الله على كل شيء قدير » (٢) .

ويقول : « ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى » (٣) .

ويقول : « الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان ، وما يدريك لعل الساعة قريب » (٤) .

ويقول جل وعلا : « يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، قل انما علمها عند ربي ، لا يجليها لوقتها الا هو ، ثقلت في السموات والأرض ، لا تأتيكم الا بغتة ، يسألونك كأنك حفي عنها ، قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (٥) .

ويقول : « ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام ، وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدري نفس بأي أرض تموت ، ان الله عليم خبير » (٦) .

ويقول : « يسألك الناس عن الساعة ، قل انما علمها عند الله ، وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا » (٧) .

ويقول : « يسألونك عن الساعة أيان مرساها . فيم أنت من ذكراها . الى ربك منتهاها . انما أنت منذر من يخشاها . كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها » (٨) .

ويقول جل شأنه : « قد خسر الذين كذبوا بقاء الله ، حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ، ألا ساء ما يزرون » (٩) .

(٢) النحل : ٧٧
(٤) الشورى : ١٧
(٦) لقمان : ٣٤
(٨) النازعات : ٤٢ — ٤٦

(١) غافر : ٥٩
(٣) طه : ١٥
(٥) الأعراف : ١٨٧
(٧) الأحزاب : ٦٣
(٩) الأنعام : ٣١

ويقول : « أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون » (١٠) .

ويقول : « ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتهم عذاب يوم عقيم . الملك يومئذ الله يحكم بينهم ، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين » (١١) .

ويقول : « هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون . الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين . يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون » (١٢) .

ويقول : « فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة ، فقد جاء أشراطها ، فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم » (١٣) .

فالساعة آتية لا ريب فيها ..

وقد اقترب وقتها ..

ولا يعلم موعدها الا الله تعالى ..

ولا تأتي الا بغتة ..

وقد جاء بعض أشراطها ..

وقد بين الله سبحانه وتعالى بعض هذه الأشرط .. وعرفنا الرسول صلى الله عليه وسلم بعض العلامات والأمارات ..

وللساعة علامات صغرى .. وعلامات كبرى .

ومن علامات الساعة الكبرى : الدخان . وطلوع الشمس من مغربها . وظهور المسيح الدجال . ونزول عيسى عليه السلام . وخروج يأجوج ومأجوج . وظهور دابة تكلم الناس ..

وأما علاماتها الصغرى فمنها : ظهور الفتن وانتشار الحروب . والخسف بالشرق والمغرب وفي جزيرة العرب . وظهور النيران من الأرض .. وغيرها كثير يضيق المقام عن حصره ..

ويقول الله تعالى عن بعض العلامات والأمارات الكبرى : « هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات

(١١) الحج : ٥٥ — ٥٧

(١٣) محمد : ١٨

(١٠) يوسف : ١٠٧

(١٢) الزخرف : ٦٦ — ٦٨

ريك ، يوم ياتي بعض آيات ريك لا يتمتع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او حسبت في ايمانها خيرا ، قل انتظروا انا منتظرون» (١٥) .

ويقول تعالى : « فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين • يغشى الناس هذا عذاب اليم » (١٤) .

ويقول جل شأنه : « وادأ وقع القول اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون » (١٦) .

ويقول جل وعلا : « حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون • واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين » (١٧) .

* * *

● وقد وردت أحاديث كثيرة عن العلامات الصغرى والكبرى ليوم القيامة .. اجتزأنا ببعضها حتى لا يخرج الكتاب عن موضوعه ..
عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ما ترك شيئا يكون من مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدث به .. حفظه من حفظه ونسيه من نسيه .. قد علمه أصحابي هؤلاء .. وانه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه (١٨) .

وروى الامام البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة .. وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل .. ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج — وهو القتل — وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته ، وحتى يعرضه الذى يعرضه عليه لا أرب لى به .. وحتى يتناول الناس فى البنيان .. وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : يا ليتنى مكانه .. وحتى تطلع الشمس من مغربها

(١٥) الدخان : ١٠ ، ١١

(١٧) الانبياء : ٩٦ ، ٩٧

(١٤) الانعام : ١٥٨

(١٦) النمل : ٨٢

(١٨) رواه مسلم .

•• فإذا طلعت ورآها الناس — يعنى آمنوا أجمعون — فذلك حين لا يحسبها إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا ••
« ولتقوم الساعة وقد نشر الرجlan ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يصويانه •• ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه •• ولتقوم الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه •• ولتقوم الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها » ••
وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« والذي نفسى بيده •• لا تذهب الدنيا حتى يأتى على الناس يوم لا يدرك القاتل فيم قتل ، ولا المقتول فيم قتل » •• فقيل : كيف يكون اذن ؟ قال : « الهرج •• القاتل والمقتول في النار » (١٩) •
وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ان بين يدى الساعة أياما يرفع فيها العلم وينزل فيها الجهل ويكثر فيها الهرج » (٢٠) •
وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم :
« يتقارب الزمان وينقضى العمل •• ويلقى الشح وتظهر الفتن ويكثر الهرج » •
قالوا : يا رسول الله •• أيم هو ؟ •• قال : « القتل •• القتل » (٢١) •
وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب •• فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا » (٢٢) •
وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الابل ببصرى » (٢٣) •
وعن أنس رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم :
« أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب » (٢٤) •
وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« بعثت أنا والساعة كهاتين » — وضم السبابة والوسطى (٢٥) •

• (٢٠) رواه البخارى

• (٢٢) رواه البخارى

• (٢٤) رواه البخارى

• (١٩) رواه مسلم

• (٢١) رواه البخارى

• (٢٣) رواه البخارى

• (٢٥) رواه مسلم

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى — أى يكفر أنفاس — فقلت : يا رسول الله .. ان كنت لأظن حين أنزل الله : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » (٢٦) أن ذلك تاما .. قال : « انه سيكون من ذلك ما شاء الله .. ثم يبعث الله ريحا طيبة فتوفى كل من فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان .. فيبقى من لا خير فيه فيرجعون الى دين آبائهم » (٢٧) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة » (٢٨) .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء » (٢٩) وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده .. لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه ويقول : يا ليتنى كنت مكان صاحب هذا القبر .. وليس به الدين الا البلاء » (٣٠) .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تقاتلون بين يدي الساعة قوما نعالهم الشعر .. كأن وجوههم المجان المطرقة .. حمر الوجوه .. صغار الأعين » (٣١) .

وروى ابن عمر رضى الله عنهما قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيت عائشة — ونظر الى المشرق — فقال : « رأس الكفر من ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان » (٣٢) .



وروى الامام مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفارى قال : اطلع النبى صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر .. فقال : « ما تذاكرون ؟ قالوا : نذكر الساعة .. قال : « انها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات ..

(٢٧) رواه مسلم .

(٢٩) رواه مسلم .

(٣١) رواه مسلم .

(٢٦) التوبة : ٣٣

(٢٨) رواه مسلم .

(٣٠) رواه مسلم .

(٣٢) رواه مسلم .

فذكر الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب .. وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم » .

وعن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول الآيات خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم .. ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر .. تبيت معهم اذا باتوا وتقبل معهم اذا قالوا وتصبح معهم اذا أصبحوا وتمسى معهم اذا أمسوا .. قلت : يا نبي الله .. وما الدخان ؟ قال : هذه الآية : « فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين » .. يملأ ما بين المشرق والمغرب .. يمكث أربعين يوما وليلة .. أما المؤمن فيصيبه منه شبه الزكام .. وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج الدخان من فمه ومنخره وعينه وأذنيه ودبره » (٣٣)

* * *

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفس ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت من ايمانها خيرا : طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض » (٣٤) .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لم أنسه بعد .. سمعت رسول الله يقول : « ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى .. وأيهما كانت قبل صاحبتهما فالأخرى على أثرها قريبا » (٣٥) .

وذكر الثعلبي في حديث طويل عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ما معناه : « ان الشمس تحبس عن الناس — حين تكثر المعاصي في الأرض ، ويذهب المعروف فلا يأمر به أحد ، ويغشوا المنكر فلا ينهى عنه — مقدار ليلة تحت العرش .. كلما سجدت واستأذنت ربها تعالى من أين تطلع لم يجيء لها جواب حتى يوافيها القمر فيسجد معها .. ويستأذن من أين يطلع فلا يجاء اليهما جواب ..

(٣٣) رواه القرطبي في تفسير سورة الدخان .

(٣٤) رواه مسلم .

(٣٥) رواه مسلم .

حتى يحبساً مقدار ثلاث ليالٍ للشمس وليلتين للقمر .. فلا يعرف طول تلك الليلة الا المتجددون في الأرض ، وهم يومئذ عصابة قليلة في كل بلدة من بلاد المسلمين .. فاذا تم لهما مقدار ثلاث ليالٍ أرسل الله تعالى اليهما جبريل عليه السلام فيقول : ان الرب سبحانه وتعالى يأمركما أن ترجعا الى مغاربكما فتطلعان منه ، وأنه لا ضوء لكما عندنا ولا نور .. فيطلعان من مغاربهما أسودين لا ضوء للشمس ولا نور للقمر ، مثلهما في كسوفهما قبل ذلك .. فذلك قوله : « **وجمع الشمس والقمر** » (٣٦) وقوله : « **إذا الشمس كورت** » (٣٧) .. فيرتفعان كذلك مثل البعيرين المقرونين .. فاذا ما بلغ الشمس والقمر سرة السماء .. وهي منتصفها جاءهما جبريل فأخذ بقرونها وردهما الى المغرب فلا يغربان من مغاربهما .. ولكن يغربهما من باب التوبة ثم يرد المصراعين .. ثم يلتئم ما بينهما فيصير كأنه لم يكن بينهما صدع .. فاذا أغلق باب التوبة لم تقبل لعبد بعد ذلك توبة .. ولم تنفعه بعد ذلك حسنة يعملها .. الا من كان قبل ذلك محسناً ، فانه يجري عليه ما كان عليه قبل ذلك اليوم .. فذلك قوله تعالى : « **يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً** » (٣٨) .. ثم ان الشمس والقمر يكسيان بعد ذلك الضوء والنور .. ثم يطلعان على الناس ويغربان كما كانا قبل ذلك يطلعان ويغربان » (٣٩) .



وذكر الامام مسلم عن النواس بن سمعان قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة .. فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل .. فلما رحنا اليه عرف ذلك هينا فقال : « ما شأنكم ؟ قلنا : يا رسول الله ذكرت الدجال غداة .. فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل .. »

فقال : « غير الدجال أخوفنى عليكم .. ان يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم .. وان يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه ، والله خليفتى على كل مسلم .. انه شاب قطط عينه طائفة كأنى أشبهه »

(٣٧) التكوين : ١

(٣٦) القيامة : ٩

(٣٨) الانعام : ١٥٨

(٣٩) ذكره القرطبي في تفسير سورة الانعام .

بعبد العزى بن قطن .. فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة
الدهف .. انه خارج خلة بين الشام والعراق .. فعث يمينا وعث
شمالا .. يا عباد الله ثابتوا » .

قلنا : يا رسول الله .. وما لبثه فى الأرض ؟ قال : « أربعون يوما ..
يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم » .

قلنا : يا رسول الله .. فذلك اليوم الذى كسنة .. أتكفينا فيه
صلاة يوم ؟ قال : « لا .. اقدروا له قدره » .

سند . يا رسول الله .. وما اسرعه فى الأرض ؟

قال : « كألغيت استدبرته الريح .. هياتى على القوم فيدعوهم
حيؤمنون به ويستجييون له .. فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت ..
فتروح عيهم سارحتهم أطول ما كانت درا وأسبغه ضروعا وامده خواصر
.. تم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله .. فينصرف عنهم
فيصبحون محلين ليس بأيديهم شئ من أموالهم .. ويمر بالخربة
فيقول لها : أخرجى كنوزك .. فتتبعه كنوزها كيغاسيب النحل ..

ثم يدعو رجلا ممثلا شابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين
رمية الغرض .. ثم يدعو فيقبل ويتהל وجهه يضحك ..

فبينما هو كذلك .. اذ بعث الله المسيح ابن مريم .. فينزل عند
المنارة البيضاء شرقى دمشق .. بين مهرودتين — أى حلتين — واضعا
كفيه على أجنحة ملكين .. اذا طأطأ رأسه قطر .. واذا رفعه تحدر
منه جمان كاللؤلؤ .. فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الا مات .. ونفسه
ينتهى حيث ينتهى طرفه .. فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ..

ثم يأتى عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن
وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة .. فبينما هو كذلك اذ أوحى الله
الى عيسى انى قد أخرجت عبادا لى لا يدان لأحد بقتالهم .. فحرز
عبادى الى الطور ..

ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون .. فيمر
أوائهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها .. ويمر آخرهم فيقولون :
لقد كان بهذه مرة ماء ..

ثم يسيرون حتى ينتهوا الى جبل الخمر — أى الشجر الملتف —
وهو جبل بيت المقدس .. فيقولون : لقد قتلنا من فى الأرض .. هلم

فلنقتل من في السماء .. فيرمون بنشابهم الى السماء .. فيرد الله عليهم بنشابهم مخضوبة دما !!

ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه .. حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم .. فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه .. فيرسل الله عليهم — أى يأجوج ومأجوج — النعف — وهو الدود — في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ..

ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه الى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر الا ملاء زهمهم وننتهم .. فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله .

ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر . فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة .. ثم يقال للأرض : أنبتى ثمرتك وردى بركتك .. فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها .. ويبارك في الرسل حتى ان اللقحة من الابل لتكفى الفئام من الناس .. واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس .. واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس ..

فبينما هم كذلك اذ يبعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم .. ويبقى شرار الناس يتهاجرون فيها تهاج الحمير .. فعليهم تقوم الساعة » .

* * *

وعن زينب بنت جحش رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ من نومه وهو يقول : « لا اله الا الله .. ويل للعرب من شر قد اقترب .. فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه — وعقد بيده عشرة — قالت قلت : يا رسول الله .. أنهلك وفيينا الصالحون ؟ قال : « نعم .. اذا ظهر منهم الخبث » (٤٠) .

وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ولد لنوح سام وحام ويافث .. فولد سام العرب وفارس والروم والخير فيهم .. وولد يافث يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة ولا خير فيهم .. وولد حام القبط والبربر السودان » .

(٤٠) رواه مسلم .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن يأجوج ومأجوج فقال : « يأجوج ومأجوج أمتان .. كل أمة أربعمئة ألف أمة ولا يعلم عددها الا الله .. لا يموت الرجل منهم حتى يولد له ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح » .
 قيل : يا رسول الله .. صفهم لنا .. قال : « هم ثلاثة أصناف .. صنف منهم أمثال الأرز^(٤١) .. وصنف عرضه وطوله سواء .. نحووا من الذراع .. وصنف يفترش أذنه ويلتحف بالأخرى .. لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا أكلوه .. ويأكلون من مات منهم .. مقدمتهم بالشام وساقطهم بخراسان .. يشربون أنهار الشرق وبحيرة طبرية .. فيمنعهم الله من مكة والمدينة وبيت المقدس » .

وورد عن الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه وقد سئل عنهم .. قوله : « وصنف منهم فى طول شبر .. لهم مخالب وأنياب السباع .. وتداعى الحمام .. وتسافد البهائم .. وغواء الذئب .. وشعور تقيهم الحر والبرد .. وآذان عظام احداها وبرة يشتون فيها ، والأخرى جلدة يصيفون فيها » !!

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان يأجوج ومأجوج يحفران كل يوم .. حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم : ارجعوا فستحفرونه غدا .. فيعيده الله أشد ما كان .. حتى اذا بلغت مدتهم وأراد الله تعالى أن يبيعهم على الناس .. حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال : ارجعوا فستحفرونه غدا ان شاء الله .. فاستثنوا فيعدون عليه وهو كهيئته حين تركوه .. فيحفرونه ويخرجون على الناس .. فينشفون الماء .. ويتحصن الناس منهم فى حصونهم فيرمون بسهامهم الى السماء فيرجع عليهم الدم .. فيقولون : قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء .. فيبيعت الله تعالى عليهم نغفا — أى دودا — فى أقفائهم فيقتلهم بها » .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده .. ان دواب الأرض لتسمن وتشكر شكرا من لحومهم »^(٤٢) .



(٤١) شجرة الأرز المعروفة بالشام طول الواحدة منها عشرون ومائة ذراع .

(٤٢) رواه ابن ماجه فى سننه .. وذكره القرطبى فى تفسير سورة الكهف .

وعن حذيفة رضى الله عنه قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة .. فقال : « لها ثلاث خرجات من الدهر .. فتخرج من أقصى البادية .. ولا يدخل ذكرها القرية — يعنى مكة — ثم تكمن زمانا طويلا .. ثم تخرج خرجة أخرى دون ذلك .. فيفشو ذكرها في ابادية .. ويدخل ذكرها القرية » — يعنى مكة — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثم بينما الناس فى أعظم المساجد على الله حرمة وخيرها وأكرمها على الله .. المسجد الحرام .. لم يرعهم الا وهى ترغو بين الركن والمقام .. تنفض عن رأسها القراب .. فرفض الناس منها شتى ومعا .. وثبتت عصابة من المؤمنين .. وعرفوا أنهم لن يعجزوا الله .. فبدأت بهم فجلت فى وجوههم حتى جعلتها كأنها الكوكب الدرى .. وولت فى الأرض لا يدركها طالب .. ولا ينجو منها هارب .. حتى ان الرجل ليتعوذ منها بالصلاة هتأتيه من خلفه فتقول : يا فلان .. الآن تصلى ؟ فتقبل عليه فتسمه فى وجهه .. ثم تتطلق .. » ويشرك الناس فى الأموال .. ويصطلحون فى الأمصار .. يعرف المؤمن من الكافر .. حتى ان المؤمن يقول : يا كافر .. اقضى حقى » (٤٣) .

واختلفوا فى تعيين هذه الدابة .. وصفتها .. ومن أين تخرج . فقيل : انها فصيل ناقة صالح .. وذلك أنه لما قتلت الناقة هرب .. فانفتح له حجر فدخل فى جوفه !! وقيل : انها دابة مزغبة شعراء .. ذات قوائم طولها ستون ذراعا .. ويقال انها نجاسة !! وقيل : انها ذات وبر وريش !! وروى أنها على خلقة الآدميين .. وهى فى السماء وقوائمها فى الأرض !! وروى أنها جمعت من خلق كل حيوان !! وروى أنها الثعبان المشرف على جدار الكعبة التى اقتلعتها العقاب حين أرادت قريش بناء الكعبة !! وقال بعض المفسرين : ان الأقرب أن تكون هذه الدابة افسانا متكلمة .. يناظر أهل البدع والكفر ويجادلهم !!

وذكر الثعلبي والماوردي عن ابن الزبير رضى الله عنهما في وصفها : أن رأسها رأس ثور .. وعينها عين خنزير .. وأذنها اذن فيل .. وقرنها قرن أيل .. وعنقها عنق نعامة .. وصدرها صدر أسد .. ولونها لون نمر .. **وخاصرتها خاصرة هرة** .. وذنبها ذنب كبش .. وقوائمها قوائم بعير .. بين كل مفصل ومفصل اثني عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام .. ويخرج معها عصا موسى وخاتم سليمان .. **فتنكت في وجه المسلم بعصا موسى نكتة بيضاء فيبيض وجهه** .. **وتنكت في وجه الكافر بخاتم سليمان فيسود وجهه !!**

ونقول : الله وحده هو العليم بحقيقتها ..

وروى في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أن الأرض تتشق عن الدابة .. وعيسى عليه السلام يطوف بالبيت .. ومعه المسلمون من ناحية المسعى .. وأنها تخرج من الصفا .. فتسم بين عيني المؤمن هو مؤمن سمة كأنها كوكب دري .. وتسم في عيني الكافر نكتة سوداء : كافر » ..

وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : تخرج من جبل الصفا بمكة .. يتصدع فتخرج منه ..

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما بنحوه .. وقال : لو شئت أن أضع قدمي على موضع خروجها لفعلت (٤٤) .

* * *

(٤٤) ذكر هذه الأخبار القرطبي في تفسير سورة النمل .

البعث .. والنشور .. والحساب

* البعث حق ..

يقول الله تعالى : « ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض الا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون . وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون . ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون » (١) .

ويقول تعالى : « ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون . فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون . ونفخ في الصور فاذا هم من الأجداث الى ربهم ينسلون . قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ، هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون . ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون . فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون » (٢) .

ويقول جل شأنه : « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ، وبرزوا لله الواحد القهار » (٣) .

ويقول جل وعلا : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين » (٤) .

ويقول : « وكل انسان أزمانه طأثره في عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » (٥) .

* * *

(٢) يس : ٤٩ — ٥٤

(٤) الانبياء : ٤٧

(١) الزمر : ٦٨ — ٤٠

(٣) ابراهيم : ٤٨

(٥) الاسراء : ١٣ ، ١٤

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : جاء أعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما الصور ؟ قال : « قرن ينفخ فيه » (٦) .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ » .
فكان قد ثقل على أصحابه فقالوا : فكيف نفعل يا رسول الله أو نقول ؟ قال : « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل .. على الله توكلنا » — وربما قال : « توكلنا على الله » (٧) .

وعن عبد الله بن الحارث قال : كنت عند عائشة رضى الله عنها .. وعندها كعب الأخبار فذكر اسرافيل فقالت عائشة : يا كعب .. أخبرنى عن اسرافيل .. فقال كعب : عندكم العلم .. قالت : أجل فأخبرنى ..

قال : له أربعة أجنحة .. جناحان فى الهواء .. وجناح قد تسربل به ، وجناح على كاهله .. والقلم على أذنه .. فاذا نزل الوحي كتب القلم .. ثم درست الملائكة .. وملك الصور جاث على احدى ركبتيه وقد نصب الأخرى فالتقم الصور يحنى ظهره .. وقد أمر اذا رأى اسرافيل قد ضم جناحه أن ينفخ فى الصور ..

فقالت عائشة : هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (٨) .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « النافخان فى السماء الثانية .. رأس أحدهما بالشرق ورجلاه بالمغرب — أو قال : رأس أحدهما بالمغرب ورجلاه بالشرق — ينظران متى يؤمران أن ينفخا فى الصور فينفخان » (٩) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بين النفختين أربعون » .

(٦) رواه أبو داود والترمذى .

(٧) رواه أحمد والطبرانى والترمذى وابن حبان .

(٨) رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٩) رواه أحمد .

قيل : أربعون يوما ؟ قال أبو هريرة : أبيت .. قيل : أربعون شهرا ؟
قال : أبيت .. قيل : أربعون سنة ؟ قال : أبيت ..

« ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل .. وليس في
الانسان شيء الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب .. منه يركب
الخلق يوم القيامة » (١٠) .

وعن ابي سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « يأكل التراب كل شيء من الانسان الا عجب ذنبه » .
قيل : وما هو يا رسول الله ؟ قال : « مثل حبة الخردل منه تنشئون » (١١) .
وعنه رضى الله عنه أنه لما حضره الموت دعا بثياب جدد فلبسها ..
ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الميت يبعث
في ثيابه التي يموت فيها » (١٢) .

* * *

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء
كقرصة النقى .. ليس فيها علم لأحد » (١٣) .
[العفراء : البيضاء بياضا ليس بناصع ، والنقى : الخبز الأبيض ،
والعلم : الأثر] .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول : « يحشر الناس حفاة عراة غرلا » .. قالت فقلت :
الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض ؟ قال : « الأمر أشد من
أن يهتمهم ذلك » (١٤) .

وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول : « يحشر الناس يوم القيامة عراة حفاة » قالت
فقلت : يا رسول الله .. واسوأ تأه ! ينظر بعضنا الى بعض ؟ فقال :
« شغل الناس » قلت : وما شغلهم ؟ قال : « نشر الصحائف فيها مثاقيل
الذر ومثاقيل الخردل » (١٥) .

(١١) رواه أحمد وابن حبان .

(١٠) رواه البخارى ومسلم .

(١٢) رواه أبو داود وابن حبان .

(١٤) رواه البخارى ومسلم .

(١٣) رواه البخارى ومسلم .

(١٥) رواه الطبرانى فى الأوسط .

وعن سودة بنت زمعة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يبعث الناس حفاة عراة غرلا .. قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الأذان » .. فقلت : يبصر بعضنا بعضا ؟ فقال : « شغل الناس .. لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » (١٦) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف : صنفا مشاة .. وصنفا ركبانا .. وصنفا على وجوههم » .. قيل : يا رسول الله .. وكيف يمشون على وجوههم ؟ قال : « ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم .. أما انهم يتقون بوجوههم كل حذب وشوك » (١٧) .

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : ان الصادق المصدوق حدثنى أن الناس يحشرون ثلاثة أفواج : فوجا راكبين طاعمين كاسين .. وفوجا تسحبهم الملائكة على وجوههم وتحشرهم النار .. وفوجا يمشون ويسحون (١٨) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق : راغبين وراهبين .. واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير .. ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا .. وتصبح معهم حيث أصبحوا .. وتمسى معهم حيث أمسوا » (١٩)

وعن أنس رضى الله عنه قال : لم يلق ابن آدم شيئا منذ خلقه الله عز وجل أشد عليه من الموت .. ثم ان الموت أهون مما بعده .. وانهم ليلقون من هول ذلك اليوم شدة حتى يلجمهم العرق .. حتى ان السفن لو أجريت فيه لجرت (٢٠) ..

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة فيقول : يا رب أرحنى ولو الى النار » — وفي رواية : « ان العرق ليلزم المرء فى الموقف

(١٧) رواه الترمذى .

(١٦) رواه الطبرانى .

(١٩) رواه البخارى ومسلم .

(١٨) رواه النسائى .

(٢٠) رواه احمد والطبرانى فى الاوسط .

حتى يقول : يا رب ارسالك بى الى النار أهون على مما أجد وهو يعلم ما فيها من شدة العذاب» (٢١) .



وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى طائفة من أصحابه قال : « ان الله تعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور .. فأعطاه اسرافيل .. فهو واضعه على فيه شاخصا الى العرش ببصره .. ينتظر متى يؤمر » .

يقول أبو هريرة قلت : يا رسول الله .. ما الصور ؟ قال : « قرن » قلت : كيف هو ؟ قال : « عظيم .. والذى بعثنى بالحق ان عظم دائرة فيه لعرض السموات والأرض ينفخ فيه ثلاث نفخات .. الأولى نفخة الفزع .. والثانية نفخة الصعق .. والثالثة نفخة القيام لرب العالمين .. » يأمر الله اسرافيل بالنفخة الأولى فيقول : انفخ نفخة الفزع .. فيفزع أهل السموات والأرض .. الا من شاء الله .. ويأمره تعالى فيمدها ويطيلها ولا يفتر .. وهى التى يقول الله تعالى فيها : « وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة مالها من فواق » (٢٢) .

« ففسير الجبال سير السحاب فتكون سرايا .. وترتج الأرض بأهلها رجا .. فتكون كالسفينة فى البحر تضربها الأمواج تكفاً بأهلها كالقنديل المعلق بالعرش .. ترجه الأرواح ألا وهو الذى يقول الله تعالى فيه : « يوم ترجف الراجفة .. تتبعها الرادفة .. قلوب يومئذ واجفة .. أبصارها خاشعة » (٢٣) .

« فتميد الأرض بأهلها .. وتذهل المراضع .. وتضع كل الحوامل .. وتشيب الولدان .. ويطير الناس هاربين من الفزع .. فنتلقاهم الملائكة فتضرب وجوههم فيرجعون .. ثم يولون مدبرين .. ما لهم من الله من عاصم .. ينادى بعضهم بعضا .. « فبينما هم على ذلك اذ تصدعت الأرض بصدعين .. من قطر الى قطر .. فأروا أمرا عظيما لم يروا مثله .. وأخذهم لذلك من الكرب والهول ما الله به أعلم .. »

(٢١) رواه الطبرانى وابو يعلى والبخارى والحاكم .

(٢٢) التازعات : ٦ - ٩

(٢٣) سورة ص : ١٥

« نظروا في السماء فاذا هي كالمهل .. ثم انشقت السماء فانثرت
نجومها .. وخسفت شمسها وقمرها .. قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « الأموات لا يعلمون شيئاً من ذلك » .

وقال أبو هريرة : من استثناه الله حين يقول : « ففرع من في
السموات ومن في الأرض الا من شاء الله » (٢٤) قال : أولئك الشهداء ..
وانما يصل الفرع الى الأحياء ، وهم أحياء عند ربهم يرزقون ..
فوقاهم الله فرع ذلك اليوم وآمنهم منه .. وهو عذاب الله يبعثه على
شرار خلقه .. وهو الذي يقول فيه : « يا أيها الناس اتقوا ربكم ،
ان زلزلة الساعة شيء عظيم . يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت
وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن
عذاب الله شديد » (٢٥) .

« فيمكنون في ذلك العذاب ما شاء الله الا أنه يطول .. ثم يأمر الله
اسرافيل فينفخ نفخة الصعق .. فيصعق أهل السموات والأرض الا من
شاء الله ..

« فاذا هم خمدوا .. جاء ملك الموت الى الجبار فيقول : يا رب ..
مات أهل السموات والأرض الا من شئت .. فيقول الله — وهو أعلم
بمن بقى — فمن بقى ؟ .. فيقول : يا رب بقيت أنت الحي الذي
لا تموت .. وبقيت حملة العرش .. وبقي جبريل وميكائيل وبقيت أنا .

« فيقول الله : ليمت جبريل وميكائيل .. فينطق الله العرش فيقول :
يا رب .. يموت جبريل وميكائيل ؟ فيقول : اسكت .. فاني كتبت
الموت على كل من كان تحت عرشي .. فيموتان ..

« ثم يأتي ملك الموت الى الجبار عز وجل . فيقول : يا رب ..
قد مات جبريل وميكائيل .. وبقيت أنا وحملة العرش .. فيقول الله :
فليمت حملة العرش .. فيموتون .. ويأمر الله العرش فيقبض الصور
من اسرافيل .

« ثم يأتي ملك الموت الى الجبار فيقول : يا رب .. قد مات
حملة عرشك .. فيقول — وهو أعلم بمن بقى — فمن بقى ؟ فيقول :
يا رب .. بقيت أنت الحي الذي لا تموت .. وبقيت أنا .. فيقول الله :
أنت خلق من خلقي . خلقتك لما رأيت .. فمت .. فيموت ..

« فإذا لم يبق إلا الله الواحد القهار .. الأحد الفرد الصمد ..
الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .. كان آخرها كما كان
أولا .. طوى السموات والأرض كطى السجل للكتاب .. ثم دحاها ..
ثم لفها ثلاث مرات .. وقال : انا اجبار — ثلاثا — ثم هتف بصوته :
« **لن الملك اليوم** » (٢٠) ؛ — ثلاث مرات فلا يجيبه أحد فيقول لنفسه :
« **الله الواحد القهار** » (٢١) .

« ويبدل الله الأرض غير الأرض والسموات .. فيسطحها ويسطحها
ويمدها مد الأديم العاضى .. لا ترى فيها عوجا ولا امتا .. ثم يزجر
الله الخلق زجرة .. فإذا هم في مثل ما كانوا فيه في الأولى .. من
كان في بطنها كان في بطنها .. ومن كان على ظهرها كان على ظهرها ..
» ثم ينزل الله عليكم من ماء من تحت العرش .. ثم يأمر الله
السماء أن تمطر فتمطر أربعين يوما .. حتى يكون الماء فوقهم
اثني عشر ذراعا .. ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت .. فتنبت كنبات
البقل .. حتى إذا تكاملت أجسادهم فكانت كما كانت .. قال الله :
ليحيا جبريل وميكائيل .. فيحييان ..

ثم يدعو الله بالأرواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المسلمين نورا ..
والأخرى ظلمة .. فيقبضها جميعا ثم يلقيها في الصور .. ثم يأمر
اسرافيل أن ينفخ نفخة البعث فتخرج الأرواح كأنها النحل .. قد ملأت
ما بين السماء والأرض .. فيقول الله : وعزتى وجلالى ليرجعن كل روح
إلى جسده .. فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد .. فتدخل
في الخياشيم .. ثم تمشي في الأجساد مشى السم في اللديغ ..
« ثم تنشق الأرض عنكم .. وأنا أول من تنشق عنه الأرض ..
فتخرجون منها سراعا إلى ربكم تنسئون . » **« مهطعين إلى الداع ،
يقول الكافرون هذا يوم عسر »** (٢٢) .

« ثم تقفون موقفا واحدا .. مقدار سبعين عاما لا ينظر اليكم ،
ولا يقضى بينكم .. فتبكون حتى تنقطع الدموع .. ثم تدمعون دما
وتفرقون حتى يبلغ ذلك منكم أن يجمعكم ، أو يبلغ الأذقان فتضجون
وتقولون : من يشفع لنا إلى ربنا ليقضى بيننا ؟ فيقولون : من أحق
بذلك من أبيكم آدم ؟ .. خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وكلمه

قبلاً •• فيأتون آدم فيطلبون اليه ذلك فيأبى فيقول : ما أنا بصاحب ذلك •• ثم يسعون الى الأنبياء نبيا نبيا •• كلما جاءوا نبيا أبى عليهم ••

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حتى تأتوني •• فأنطلق حتى التى الفحص ماخر ساجدا » •• فقال أبو هريرة : يا رسول الله •• ما الفحص ؟ قال : « موضع فدام العرش » ••

حتى يبعث الله الى ملكا فيأخذ بعضدى فيرفعنى ويقول لى : يا محمد •• فأقول : نعم •• لبيك يا رب •• فيقول : ما شأنك ؟ — وهو أعلم — فأقول : يا رب •• وعدتني الشفاعة فشفعنى فى خلقك فأقض بينهم •• فيقول : شفعتك •• أنا آتيكم فأقضى بينكم ••

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فأرجع فأقف مع الناس •• فبينما نحن وقوف •• اذ سمعنا حسا من السماء شديدا •• فينزل من أهل السماء الدنيا مثل من فى الأرض من الجن والانس •• حتى اذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم •• وأخذوا مصافهم وقلنا لهم : أفيكم ربنا ؟ قالوا : لا •• وهو آت •• ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف ••

« حتى ينزل الجبار تبارك وتعالى •• فى ظل من الغمام والملائكة •• ويحمل عرشه يومئذ ثمانية ، وهم اليوم أربعة •• أقدامهم على تخوم الأرض السفلى •• والأرض والسموات الى حجرهم •• والعرش على مناكبهم •• لهم زجل من تسبيحهم •• يقولون : سبحان ذى العزة والجبروت •• سبحان ذى الملك والملكوت •• سبحان الحى الذى لا يموت •• سبحان الذى يميت الخلائق ولا يموت ••

« فيضع الله كرسيه حيث شاء من أرضه •• ثم يهتف بصوته فيقول : يا معشر الجن والانس •• انى قد أنصت لكم من يوم خلقتكم الى يومكم هذا •• أسمع قولكم وأرى أعمالكم •• فأنصتوا الى •• فانما هى أعمالكم وصحفكم تقرأ عليكم •• فمن وجد خيرا فليحمد الله •• ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه ••

ثم يأمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم •• ثم يقول : « وامتازوا اليوم أيها المجرمون • ألم أعهد اليكم يا بنى آدم ان لا تعبدوا الشيطان ، انه لكم عدو مبين • وأن اعبدونى ، هذا صراط مستقيم •

ولقد أضل منكم جيلا كثيرا ، أفلم تكونوا تعقلون • هذه جهنم التي كنتم توعدون • اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون» (٢٨) •
 « فيميز الله الناس • • وينادي الأمم داعيا كل أمة الى كتابها • • والأمم جاثية من الهول • قال الله تعالى : « والله ملك السموات والأرض ، ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون • وترى كل أمة جاثية ، كل أمة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون • هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ، أنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون» (٢٩) •

« فيقضى الله بين خلقه الا الثقلين — الانس والجن — فيقضى بين النوحوش والبهائم • • حتى انه ليقيد الجماء» (٣٠) من ذات القرن • • فاذا فرغ الله من ذلك فلم يبق تبعة عند واحدة لأخرى • • قال الله لها : كونى ترابا • • فعندئذ يقول الكافر « يا ليتنى كنت ترابا» (٣١) •

« ثم يقضى الله بين العباد • • فيكون أول ما يقضى فيه الدماء • • فيأتى كل قتل فى سبيل الله • • ويأمر الله من قتل فيحمل رأسه تشخب أوداجه • • فيقول : يا رب • • فيم قتلنى هذا ؟ فيقول الله تعالى — وهو أعلم — : فيم قتلته ؟ فيقول : قتلته يا رب لتكون العزة لك • • فيقول الله : صدقت • • فيجعل الله وجهه مثل نور السموات • • ثم تسبقه الملائكة الى الجنة •

« ثم يأتى كل من كان يقتل على غير ذلك • • ويأمر من قتل فيحمل رأسه تشخب أوداجه فيقول : يا رب • • فيم قتلنى هذا ؟ فيقول الله — وهو أعلم — : فيم قتلته ؟ فيقول : يا رب قتلته لتكون العزة لى • • فيقول الله : تعست • •

« ثم ما تبقى نفس قتلها قاتل الا قتل بها • • ولا مظلمة الا أخذ بها • • وكان فى مشيئة الله ان شاء عذبه وان شاء رحمه • • ثم يقضى الله بين من بقى من خلقه • • حتى لا تبقى مظلمة لأحد عند أحد الا أخذها الله للمظلوم من الظالم • • حتى انه ليكلف شائب اللبن بالماء أن يخلص اللبن من الماء • •

(٢٩) الجاثية : ٢٧ — ٢٩

(٢٨) يس : ٥٩ — ٦٤

(٣٠) أى يقتص الله للشاة التي لا قرن لها من القرناء •

(٣١) النبأ : ٤٠

فاذا فرغ الله من ذلك .. نادى مناد يسمع الخلائق كلهم فقال :
ليلحق كل قوم بآلهتهم وما كانوا يعبدون من دون الله .. فلا يبقى
أحد عبد من دون الله شيئاً الا مثلت له الهيئة بين يديه .. فيجعل
الله يومئذ ملك من الملائكة على صورة عزيز .. ويجعل ملك من الملائكة
على صورة عيسى .. فيتبع هذا اليهود ويتبع هذا النصارى .. ثم
نادتهم آلهتهم الى النار فهذا الذى يقول الله تعالى :

« واقرب الوعد الحق فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا
قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين . انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم أنتم لها واردون . لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها ، وكل فيها
خالدون . لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون . ان الذين سبقت لهم
منا الحسنى أولئك عنها مبعدون . لا يسمعون حسيصها ، وهم فى ما اشتتت
أنفسهم خالدون . لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم
الذى كنتم توعدون . يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب ، كما بدأنا
أول خلق نعيده ، وعدا علينا ، انا كنا فاعلين » (٣٢) .

« فاذا لم يبق الا المؤمنون وفيهم المنافقون .. جاءهم الله فيما
شاء من هيئة فقال : يا أيها الناس .. ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم
وما كنتم تعبدون .. فيقولون : والله مالنا الا الله ، وما كنا نعبد غيره ..
فينصرف عنهم — وهو الله — فيمكث ما شاء أن يمكث .. ثم يأتيهم
فيقول : يا أيها الناس .. ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم
تعبدون .. فيقولون : والله ما لنا الا الله ، وما كنا نعبد غيره ..
فيكشف عن ساقه ويتجلى لهم من عظمتهم ما يعرفون به أنه ربهم ..
فيخروا سجدا على وجوههم .. ويخر كل منافق على قفاه .. ويجعل الله
أصلابهم كصيصى البقر — أى قرونها — ثم يأذن الله لهم فيرفعون
رؤوسهم — وذلك قوله تعالى : « يوم يكشف عن ساق ويدعون الى
السجود فلا يستطيعون . خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ، وقد كانوا
يدعون الى السجود وهم سالمون » (٣٣) .

قال : « ويضرب الله بالمصراط بين ظهرائى جهنم كقد (٣٤) الشعر ..

(٣٢) الانبياء : ٩٧ — ١٠٤ (٣٣) القلم : ٤٢ ، ٤٣

(٣٤) القد : السير من الجلد .

أو كعقد الشعر .. وكحد السيف .. عليه كلاليب وخطاطيف وحسك
كحسك السعدان .. ودونه جسر دحض^(٣٥) مزلة .. فيمرون كطرف
البصر ، أو كلمخ البصر ، أو كمر الريح ، أو كجياذ الخيل ، أو كجياذ
الركاب ، أو كجياذ الرجال .. فجاج سالم ، ونجاج مخدوش ، ومكدوح^(٣٦)
على وجهه في جهنم ..

فإذا أفضى أهل الجنة الى الجنة قالوا : من يشفع لنا الى ربنا
فيدخلنا الجنة ؟ فيقولون : من أحق بذلك من أبيكم آدم ؟ .. انه خلقه
الله بيده ونفخ فيه من روحه ، وكلمه قبلا .. فيأتون آدم فيطلبون ذلك
اليه .. فيذكر ذنبا ويقول : ما أنا بصاحب ذلك ولكن عليكم بنوح
فانه أول رسله الى خلقه ..

فيأتون نوحا فيطلبون ذلك اليه فيذكر شيئا ويقول : ما أنا بصاحبكم
عليكم بموسى ..

فيطلبون ذلك اليه فيذكر ذنبا ويقول : لست بصاحب ذلك ولكن
عليكم بروح الله وكلمته عيسى ابن مريم ..

فيطلبون ذلك اليه فيقول : لست بصاحب ذلك .. ولكن عليكم
بمحمد — صلى الله عليه وسلم — ولم يذكر ذنبا ..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فيأتوني .. ولى عند ربي
ثلاث شفاعات وعدتهن .. فأنتلق فأتى الجنة فأخذ بحلقة الباب ثم
أستفتح فيفتح لى .. فأحيي ويرحب بى .. فإذا دخلت الجنة فنظرت
الى ربي عز وجل .. خررت له ساجدا .. فيأذن الله لى من حمده
ومجده بشيء ما أذن به لأحد من خلقه .. ثم يقول لى الله : ارفع
رأسك يا محمد .. واشفع تشفع .. وسل تعط .. فإذا رفعت رأسى
قال الله — وهو أعلم — : ما شأنك ؟ فأقول : يا رب .. وعدتنى الشفاعة
فشفعنى فى أهل الجنة يدخلون الجنة .. فيقول الله عز وجل : قد
شفعتك .. وأذنت لهم فى دخول الجنة » ..

• (٣٦) اى مرمى

• (٣٥) الدحض : الزلق

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « والذي بعثنى بالحق .
.. ما أنتم فى الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة
بأزواجهم ومساكنهم ... » (٣٧) .



(٣٧) عن « القيامة رأى العين » للأستاذ محمد محمود الصواف .
وقد رواه الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده عن عمرو بن الضحاك
ابن مجالد عن أبى عاصم الضحاك بن مجالد عن أبى رافع اسماعيل بن رافع
عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى عن رجل من الأنصار —
عن أبى هريرة ..
ويقول الدارقطنى : ان اسماعيل بن رافع — أحد رواة — متروك
الحديث . وقال عنه ابن عدى : أحاديثه كلها مما فيه نظر ..
وقال فيه ابن حبان : كان رجلا صالحا .. الا أنه كان يقلب الأخبار ..
حتى صار الغالب على حديثه المناكير التى يسبق الى القلب أنه كان المتعمد
لها .. وقيل : أنه لم يكن من الوضاعين ..
ويبدو أنه قد جمع هذا الحديث بطوله من طرق وأماكن متفرقة .. فجمعه
وساقه سياقة واحدة .. فكان يقص به على أهل المدينة .. الا أن عامة
ما فيه يروى متفرقا فى أسانيد ثابتة .

* من أهوال يوم القيامة :

يصف الله تعالى لنا أهوال ذلك اليوم العظيم فيقول وهو
أصدق القائلين :

* « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ، وبرزوا لله الواحد
القهار » (١) .

* « يا أيها الناس اتقوا ربكم ، ان زلزلة الساعة شيء عظيم .
يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها
وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » (٢) .

* « اذا زلزلت الأرض زلزالها . وأخرجت الأرض أثقالها .
وقال الانسان ما لها . يومئذ تحدث أخبارها . بأن ربك أوحى لها .
يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم » (٣) .

* « اذا وفعت الواقعة . ليس لوقعتها كاذبة . خافضة رافعة .
اذا رجت الأرض رجا . وبست الجبال بسا . فكانت هباء منبثا .
وكنتم أزواجا ثلاثة . فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة . وأصحاب
المشأمة ما أصحاب المشأمة . والسابقون السابقون . أولئك المقربون .
في جنات النعيم » (٤) .

* « ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا . فيذرها
قاعا صفصفا . لا ترى فيها عوجا ولا أمثا . يومئذ يتبعون الداعي
لا عوج له ، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا . يومئذ
لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا . يطعم ما بين
أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما . وغنت الوجوه للحى القيوم ،
وقد خاب من حمل ظلما » (٥) .

* « ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون . ليوم عظيم . يوم يقوم
الناس لرب العالمين » (٦) .

(٢) الحج : ١ ، ٢
(٤) الواقعة : ١ - ١٢
(٦) المطففين : ٤ - ٦

(١) ابراهيم : ٤٨
(٣) الزلزلة : ١ - ٦
(٥) طه : ١٠٥ - ١١١

* ((يوم يكون الناس كالفراش المبتوث • وتكون الجبال دلعهن المنفوش)) (٧) •

* ((فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة • وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة • فيومئذ وقعت الواقعة • وانشقت السماء فهي يومئذ واهية • والمك على أرجائها ، ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية • يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية • فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه • انى ظننت انى ملاق حسابيه • فهو فى عيشة راضية • فى جنة عالية • قطوفها دانية • كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية • وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه • ولم أدر ما حسابيه • يا ليتها كانت القاضية • ما أغنى عنى ماله • هلك عنى سلطانيه)) (٨) •

* ((ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن أقرب اليه من حبل الوريد • اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد • ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد • وجاءت سكرة الموت بالحق • ذلك ما كنت منه تحيد • ونفخ فى الصور ، ذلك يوم الوعيد • وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد • لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد)) (٩) •

* ((اذا السماء انشقت • وأذنت لربها وحقت • واذا الأرض مدت • وألقت ما فيها وتخلت • وأذنت لربها وحقت • يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه • فأما من أوتى كتابه بيمينه • فسوف يحاسب حسابا يسيرا • وينقلب الى أهله مسرورا • وأما من أوتى كتابه وراء ظهره • فسوف يدعو ثبورا • ويصلى سغيرا)) (١٠) •

* ((فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان)) (١١) •

* ((اذا السماء انفطرت •• واذا الكواكب انتثرت • واذا البحار فجرت • واذا القبور بعثرت • علمت نفس ما قدمت وأخرت)) (١٢) •

* ((يوم تمور السماء مورا • وتسير الجبال سيرا • فويل يومئذ للمكذبين)) (١٣) •

(٧) القارعة : ٤ ، ٥

(٩) سورة ق : ١٦ — ٢٢

(١١) الرحمن : ٣٧

(١٣) الطور : ٩ — ١١

(٨) الحاقة : ١٣ — ٢٩

(١٠) الانشقاق : ١ — ١٢

(١٢) الانفطار : ١ — ٥

* ((اذا الشمس كورت ، واذا النجوم انكموت ، واذا الجبال سيرت ، واذا العشار عطلت ، واذا الوحوش حشرت ، واذا الرخطار سجرت ، واذا النفوس زوجت ، واذا المؤودة سيئت ، يا ايها الذين آمنوا ، واذا الصحف نشرت ، واذا السماء كُشِطت ، واذا الجعيم سعرت ، واذا الجنة أزلفت ، علمت نفس ما أحضرت)) (١٤) .

* ((فاذا برق البصر ، وخسف القمر ، وجمع الشمس والقمر ، يقول الانسان يومئذ أين المفر)) (١٥) .

* ((تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، فاصبر صبرا جميلا ، انهم يرونه بعيدا ، ونراه قريباً ، يوم تكون السماء كالمهل ، وتكون الجبال كالعهن ، ولا يسأل حميم حميماً)) (١٦)

* ((وترى كل أمة جاثية ، كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون ، هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ، انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون)) (١٧) .

* ((يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ، ان وعد الله حق ، فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الغرور)) (١٨) .

* ((يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم ، قالوا لا علم لنا ، انك أنت علام الغيوب)) (١٩) .

* ((يوم يقوم الروح والملائكة صفا ، لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا ، ذلك اليوم الحق ، فمن شاء اتخذ الى ربه ما يبا ، انا انذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا)) (٢٠) .

* ((فاذا جاءت الصاخة ، يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ، وجوه يومئذ مسفرة ، صاخكة مستبشرة ، ووجوه يومئذ عليها غبرة ، ترهقها ققرة ، أولئك هم الكفرة الفجرة)) (٢١) .

(١٥) القيامة : ٧ — ١٠

(١٧) الجاثية : ٢٨ — ٢٩

(١٩) المائدة : ١٠٩

(٢١) عبس : ٣٣ — ٤٢

(١٤) التكوين : ١ — ١٤

(١٦) المعارج : ٤ — ١٠

(١٨) لقمان : ٣٣

(٢٠) النبأ : ٣٨ — ٤٠

* « ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون • حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون • وقَالُوا لجلودهم لم تشهدنم علينا ، قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شئ وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون • وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون • وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين » (٢٢) •

* « ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل • قالوا سبحانه ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا • فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ، ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا • وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق ، وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون ، وكان ربك بصيرا • وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا ، لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا كبيرا • يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا • وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » (٢٣) •

* « أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا • فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا • ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا • ثم لنحن أعم بالذين هم أولى بها صليا • وان منكم الا واردها ، كأن على ربك حتما مقضيا • ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا » (٢٤) •

والآيات فى وصف هذا اليوم المهول كثيرة •• انما اجتزأنا منها بما يعطى لمحة سريعة •• حتى لا يخرج الكتاب عن موضوعه ••

* * *

● يخبرنا الله تعالى •• بأهوال ذلك اليوم العظيم •• يوم يأذن لاسرافيل عليه السلام بالنفخة الأولى •• نفخة الفزع ••

فالأرض تهتز وتترلزل من أعماقها .. والجبال تتحرك تحركا مهولا ..
 ثم تتفتت وتصير غبارا متطايرا في الهواء .. تماما كالصوف المنفوش
 في تفرق أجزائه وتطايرها ..
 ثم تدك الأرض والجبال دكة واحدة .. فترداد الأرض اتساعا
 بعد أن انمحت الجبال وزالت الآكام ..
 وتستمر الأرض في اضطرابها وتصدعها .. فتطرح ما أودعه الله
 جوفها من المعادن والكنوز ..
 وتتبعثر القبور فتلفظ ما أودعه الناس في باطنها من أجساد
 ودفائن ..
 وتزال الحواجز بين البحار .. فتتفتح وتتصل .. وتتأجج منها
 النيران المهولة ..
 وتضطرب السماء اضطرابا عظيما .. ويقرن بين الشمس والقمر
 فيطلعان من المغرب ..
 ثم يؤذن للسموات بالزوال .. فتتصدع .. وتلف الشمس وينمحي
 ضوءها .. ويذهب ضوء القمر .. وينطمس نور النجوم ..
 وتغلى السماء فتكون كالفضة الذائبة .. ثم تتحول الى حمرة كدرة
 كالزيت المغلى .. ثم تتشق فتصبح ضعيفة واهية .. وتتساقط منها
 الكواكب مبعثرة ..
 ولا تزال النيران تتصاعد من جوف الأرض وأعماق البحار ..
 حاملة معها المعادن والصخور المنصهرة .. كما تتساقط النار من السماء
 مع تساقط الكواكب والنجوم ..
 لقد تعود الناس أن تمطرهم السماء ماء .. ولكنها اليوم تمطرهم
 نارا !!
 في ذلك اليوم المهول .. تهرع الوحوش من أوكارها وجحورها ..
 هائجة مائجة .. لا تعرف لهذا الهول النازل تفسيرا .. ولا تفهم لهذا
 الانقلاب تعليلا !!
 وينتشر الناس كالفراش المبعوث .. في كثرته وتدافعه .. هائمين
 يميننا وشمالا .. ضعفاء أذلاء .. لا حول لهم ولا قوة .. أبصارهم
 حائرة .. وعقولهم ذاهلة .. يملأهم الفرع ويأخذهم الهول ..
 يتساءلون وما من مجيب : ما للأرض تزلزل ؟! .. وما للسماء تفجر ؟!
 وما للبحار تفور ؟! .. الى أين يلجأون ؟! .. والى من يفرون ؟!

لقد فقدت جميع الأشياء خواصها .. وتفككت الروابط كلها ..

فأرحام الحبالى تسقط أجنتها .. والأب لا يحمل جريرة عن ابنه ..
والأبناء لا يغنون عن آبائهم شيئاً .. وتذهل كل أم عن رضيعها ..
ويتنكر كل ابن لأمه .. ولا يعرف الأخ أخاه أو أخته .. ويفر الرجل
من زوجه وأبنائه ..

كل منهم مشغول يطلب النجاة لنفسه .. والناس في فزعهم وهولهم
يتمايلون كأنهم سكارى .. وليسوا بسكارى .. ولكن الهول النازل
بهم يأخذ بعقولهم .. ويطيش بألبابهم ..

حتى الرسل والأنبياء يذهلون .. من هول ما يرون .. يسألهم
الله تعالى عما أجابهم به الناس حين أرسلوا اليهم .. فيقولون :
لا علم لنا !! يعقد الرعب ألسنتهم .. ويطيش الفرع بألبابهم ..
فلا يتذكرون ما عانوه من أقوامهم ..

وشعار كل مخلوق : نفسى .. نفسى ..
عندئذ يتأكد الناس أن الساعة قد جاءت .. وأن الأرض قد
استجابت لأمر ربها ..

● ثم يأذن الله بالنفخة الثانية .. نفخة الموت والصعق ..
فيهلك من في السموات والأرض .. ولا يبقى الا الله تعالى .. ذو الجلال
والاكرام .. يبقى آخراً بعد اذ كان أولاً ..

● ثم تنفخ الثالثة .. للبعث والنشور .. ويأذن الله تعالى
للأرواح أن تقرن بأجسادها .. فقد حان يوم الحساب .. وهو طويل
عسير .. مقداره خمسين ألف سنة .. وسيعلم فيه كل انسان ما قدم
وأخر .. من خير أو شر ..

وتأتى كل نفس .. برة كانت أم فاجرة .. يسوقها سائق ..
ويصحبها شاهد .. لتجنى ثمرة ما زرعت في حياتها الأولى ..
والناس بين حائر وذاهل .. لا يسأل قريب عن حال قريبه ..
فلكل منهم شأن يغنيه .. وكل منهم مشغول بنفسه يطلب لها النجاة ..

* * *

لقد خلق الله الناس .. ويعلم ما تحدثهم به أنفسهم .. ويعلم
أحوالهم كلها .. سرها وجهرها .. فهو أقرب اليهم من أوردتهم التى
تسكن أجسامهم ..

ومع هذا .. فقد جعل لكل منهم ملكين حافظين .. عن يمين
وشمال .. فما يلفظ من لفظه الا وليديه ملك موكل بها .. حافظ
لها مهيا نكتابتها .. وما يعمل من عمل الا ويسجله ملكاه .. ان خيرا
فخير .. وان شرا فشر .. فكل شيء يعد ليوم الحساب ..
ولم يترك الله الناس على جهلهم .. بل أخبرهم بما أعد لهم ..
من ثواب وعقاب ..

ولكن الناس — عادة — يغفلون عن هذه الأمور .. حتى تأتيهم
غاشية الموت .. ذلك الأمر الذى يفرون منه وهو ملاحقهم .. واليوم
يفيقون من غفلتهم ويصحون من غشيتهم .. فقد زالت الحجب ..
وأصبحت الأبصار كلها نافذة قوية .. واتضحت لهم الأمور على
حقيقتها .. تماما كما أخبرهم الله من قبل ..

لقد حذرنا الله تعالى من عذاب ذلك اليوم العظيم .. وأخبرنا
أنه قريب .. وأنتا سننظر وحيدى الى ما قدمت أيدينا ..

ولم يلزمنا تعالى باتباع طريق واحد .. بل وضح لنا طريق الخير
وطريق الشر .. وبين عاقبة سلوك كل منهما .. وترك لنا الخيار ..
فمن شاء فليؤمن .. ومن شاء فليكفر .. ولن ينجو الا من يتخذ الى
ربه مرجعا كريما .. ولن يكون ذلك الا بالايمان والعمل الصالح ..
فما بال الناس — وقد رأوا ما كانوا يوعدون — يذهب بهم
الفزع وتأخذهم الحيرة ؟



ثم تنزل ملائكة السماء .. فينتشرون فى أرجاء الأرض .. وينزل
حملة العرش .. ويقوم جبريل والملائكة .. مصطفىين خاشعين ..
لا يتكلم واحد منهم الا باذن من الله تعالى .. وعندئذ ينطق .. ولا ينطق
الا بالصواب ..

لقد طالما جحد الجاحدون وجود الملائكة .. بل بالغوا فى
السخرية والاستهزاء وطلبوا رؤيتها — بل اشتطوا فطلبوا رؤية ربهم —
فسيرونها فى ذلك اليوم العظيم .. وستكون رؤيتهم اياها مبعث نفرة
لهم وليس بشرى .. عندئذ يستعيذون منهم كما كانوا يستعيذون مما كان
يفزعهم فى الدنيا !!

فى هذا اليوم العظيم .. يتجلى الله تعالى على أهل المحشر بقسطه

وعذله .. ويتجلى على أهل الجنة برحمته واحسانه .. ويتجلى على
أهل النار بعظمته وجبروته ..

واليوم للحساب .. يوم عدل وقسط .. فينصب الميزان ..
وتوزن الأعمال .. وينال كل ذى حق حقه ..

ستنشر الصحف .. وتتطير الكتب .. ويتسابق الناس لالتقاط
صحائفهم ..

ومن الناس من يأخذ كتابه بيمينه .. ومنهم من يأخذه بشماله
أو من وراء ظهره .. ذراية له واحتقارا لشأنه ..

فأما من تناول كتابه بيمينه .. فسوف يحاسب حسابا سهلا هينا ..
ويرجع الى عشيرته وآله من المؤمنين مبتهجا مسرورا .. يعرض عليهم
كتابهم فرحا فخورا .. فقد أيقن من قبل — عندما كان في الدنيا —
أنه سوف يقف هذا الموقف .. فأعد لهذا اللقاء عدته .. وهو لذلك
سعيد بالنتيجة التى حصل عليها .. فخور بالشرف والتكريم اللذين
نالهما ..

كيف لا .. وقد بشره الله بجنة عرضها السموات والأرض ..
ثمارها قريبة المنال .. سهلة التناول .. مباحة فى كل وقت .. وشرابها
اللبن والشهد المصفى جزاء وفاقا لما قدم من عمل صالح ..

وأما ذلك الذى تناول كتابه بشماله .. فسوف يتعالى صياحه
وعويله .. متمنيا لنفسه الهلاك .. ليته لم يعط كتابه .. ولم يعلم
حسابه .. ليت الموتة التى قام منها كانت الفاصلة فى أمره .. ليته
بقى ترابا بعد الموت فلم يبعث .. بل ليته أصبح ترابا بعد اذ بعث !!

لقد ضاع كل شيء .. ذهبت العزة .. وزالت السطوة .. وسقط
الجبروت .. فلم يبق له الا الهوان والحسرة !!

كيف لا .. وقد أيقن أنه صائر الى الجحيم .. يسوقه اليها
حراس غلاظ شداد .. يكبلونه بالسلاسل والأغلال .. ويسحبونه على
وجهه الى النار .. ليس له فيها من طعام الا الشوك ممزوجا بغسالة
أهل النار من دم وقيح وصدید !!



ويخبرنا الله تعالى في كتابه العزيز .. بأنه سيحشر الكافرين جميعا الى النار .. أولهم وآخرهم .. ليتم الزام الحجة عليهم ..
والانسان بطبعه يحب المراء ويجيد الجدل .. فما يكاد أولئك الكافرون يقتربون من النار .. ويواجهون بما ارتكبوا من آثام .. حتى يتعالى مرأئهم وجدالهم .. جاحدين ما قدمته أيديهم !!

ويأمر الله تعالى أعضاءهم بالنطق .. فتنطق .. وتشهد عليهم أسماعهم وأبصارهم وجلودهم .. وتكذبهم أيديهم وأرجلهم .. فيقولون لأعضائهم : لم شهدتم علينا وقد كنا ندفع عنكم العذاب ؟! فتجيبهم قائلة : انما أنطقنا الله الذي أنطق الأشياء كلها .. وهو الذي أوجدكم من العدم .. واليه وحده المرجع والمآل .. ولكنكم كنتم تجحدون ..

لقد استتروا في الدنيا من الناس .. فهل كانوا يستطيعون الاستتار عن جوارحهم وأعضائهم مخافة أن تشهد عليهم ؟!

لقد كانوا في عبثهم ولهوهم يظنون أن الله تعالى لا يعلم كثيرا من أعمالهم .. لقد ستروها عن أعين الناس وأتوها خفية .. ولكنهم لم يستتروا من الله .. فأهلكهم ظنهم الفاسد .. وأصبحوا يوم القيامة من الخاسرين ..

أما ما عملوه في دنياهم من مظاهر البر والاحسان .. فقد فعلوه رياء وابتغاء للرفعة بين الناس .. ولهذا يحبط الله عملهم ويحرمهم ثوابه .. فالיום تقوم الأعمال بالايان وحده .. وما كانوا مؤمنين !!

* * *

في ذلك اليوم العصيب — أعاذنا الله من شره — يحشر أهل كل دين جاثين على ركبهم .. متحفزين لاجابة النداء ..
فتدعى كل أمة الى سجل أعمالها .. ويقال لهم : اليوم تستوفون جزاء ما قدمتم .. فهذا كتابنا سجلت فيه أعمالكم .. وأخذ كل منكم كتابه بيده .. ينطق عليه بما عمل من خير أو شر .. شهادة صدق وعدل .
لقد كانت الملائكة تكتب أعمالكم .. لتحاسبوا اليوم على ما فرط منكم ..

ويخبرنا الله تعالى في كتابه الكريم .. بأن الناس سوف يقسمون انى ثلاثة أصناف ..

أصحاب اليمين .. وهم أهل المنزلة الرفيعة .. وما أعظم مكانتهم •
وأصحاب الشمال .. وهم أهل المنزلة الدنية .. وما أسوأ
حالهم ..

والصنف الثالث .. هم السابقون الى الخيرات في الدنيا .. ولهذا
يسبقون اليوم الى الدرجات العلا في الآخرة .. أولئك هم المقربون عند
الله تعالى .. يدخلهم ربهم برحمته وعدله جنات النعيم ..

* * *

كيف تتعجبون — أيها الجاحدون — من قدرة الله تعالى على البعث
في الآخرة .. أليس الله تعالى قد أوجدكم من العدم ؟!

أليست إعادة المخلوق أهون عليه من البدء به ؟!

لقد عجب الكافرون من أمر البعث .. وكذبوا به !!

بلى .. سيجمعهم الله يوم القيامة مع شياطينهم الذين زينوا لهم
كفرهم ..

وسيحضهم تعالى جميعا جاثين حول جهنم .. ذليلة نفوسهم ..
خاشعة أبصارهم ..

وسوف ينزع من كل جماعة أشدهم تمردا عليه وكفرا به ..
فيدفع بهم قبل غيرهم الى أشد العذاب ..

أليس الله وحده هو العليم بمن هو أحق بالسبق الى دخول جهنم
والاصطلاء بلهيبها ؟!

ويؤكد لنا الله تعالى أن الناس جميعا سيردون تلك النار .. مؤمنهم
وكافرهم .. برهم وفاجرهم !!

يرأها المؤمن حين يمر بها مجتازا الصراط الى الجنة سالما ..
لا يصيبه لهيبها .. ولا يمسه لفحها ..

ويسقط فيها الكافر خالدا مخلدا .. يصلى لهيبها .. ويحترق جلده
بنارها .. وكلما نضج جلده بدله الله جلدا غيره .. الى ما لا نهاية ..

أعاذنا الله بفضله ورحمته من شر ذلك اليوم وأهواله ..

* * *

* البعث :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بين النفختين أربعون » قيل : أربعون يوما ؟ قال أبو هريرة : أبيت .. قيل : أربعون شهرا ؟ قال : أبيت .. قيل : أربعون سنة ؟ قال : أبيت .. « ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما تنبت البقل .. وليس من الانسان شئ الا يبلى الا عظم واحد : وهو عجب الذنب .. منه يركب الخلق يوم القيامة » (٢٥) [وقد تقدم] . ولمسلم قال : « ان في الانسان عظما لا تأكله الأرض أبدا .. فيه يركب الخلق يوم القيامة » قالوا : أى عظم هو يا رسول الله ؟ قال : « عجب الذنب » (٢٦) .

وفى رواية قال : « كل ابن آدم تأكله الأرض .. الا عجب الذنب .. منه خلق وفيه يركب » [وعجب الذنب : هو العظم الحديد الذى يكون فى أسفل الصلب ، وأصل الذنب من ذوات الأربع] .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يأكل التراب كل شئ من الانسان الا عجب ذنبه » .. قيل : وما هو يا رسول الله ؟ قال : « مثل حبة خردل منه تنشئون » (٢٧) . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يقول : « انكم ملائكة حفاة عراة غرلا » - وزاد فى رواية : « مشاة » .

وفى رواية قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال : « يا أيها الناس .. انكم محشورون الى الله حفاة عراة غرلا » (٢٨) « كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعدا علينا ، انا كنا فاعلين » (٢٨) .. ألا وان أول الخلائق يكسى ابراهيم عليه السلام .. ألا وانه سيجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال .. فأقول : يا رب .. أصحابى .. فيقول : انك لا تدري ما أحدثوا بعدك .. فأقول كما قال العبد الصالح : « وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شئ شهيد » ان تعذبهم فانهم

(٢٥) رواه البخارى ومسلم .

(٢٦) رواه مالك وأبو داود والنسائى .

(٢٧) رواه احمد وابن حبان . (٢٨) الانبياء : ١٠٤

عبادك ، وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم» (٢٩) قال : فيقال لى :
انهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم » — زاد فى رواية :
« فأقول : سحقا .. سحقا » (٣٠) .

وعن الحسن بن على رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة » . فقالت امرأة : يا رسول الله .. فكيف يرى بعضنا بعضا ؟ فقال : « ان الأبصار شاخت » — فرفع صلى الله عليه وسلم بصره الى السماء : أى يدعو أن يخفف عذابه وينجى الصالحين — فقالت المرأة : يا رسول الله .. ادع الله أن يستر عورتى . قال : « اللهم استر عورتها » (٣١) .
وقد تقدمت أحاديث فى البعث تحت عنوان « البعث حق » (٣٢) فى هذا الكتاب .

وعن أنس رضى الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله .. قال الله تعالى : « **الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم** » (٣٣) .. أيحشر الكافر على وجهه ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه » ؟ — قال قتادة حين بلغه : بلى وعزة ربنا (٣٤) .
وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « انكم تحشرون رجالا وركبانا وتجرون على وجوهكم » (٣٥) .

وعن المقداد رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل » — قال سليم بن عامر : والله ما أدرى ما يعنى بالميل مسافة الأرض أو الميل الذى تكحل به العين — قال : « فتكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق .. فمنهم من يكون الى كعبيه .. ومنهم من يكون الى ركبتيه .. ومنهم من يكون الى حقويه .. ومنهم .. »

(٢٩) المائدة : ١١٧ ، ١١٨

(٣٠) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى .

(٣١) رواه الطبرانى . (٣٢) انظر ص ٢٣٨ وما بعدها .

(٣٣) الفرقان : ٣٤ (٣٤) رواه البخارى ومسلم .

(٣٥) رواه الترمذى .

من يلجمه العرق الجاما » .. وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب في الأرض عرقهم سبعين ذراعا .. وأنه يلجمهم حتى يبلغ آذانهم » (٣٦) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : « يوم يقوم الناس لرب العالمين » (٣٧) قال : « يقوم أحدهم في رشحه الى أنصاف أذنيه » (٣٨) .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : الأرض كلها نار يوم القيامة .. والجنة من ورائها كواعبها وأكوابها .. والذي نفس عبد الله بيده .. أن الرجل ليفيض عرقا حتى يسيح في الأرض قامته .. ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه .. وما مسه الحساب .. قالوا : مم ذلك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : مما يرى الناس ويلقون (٣٩) .

وقد مر بنا (٤٠) حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي رواه عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : « أن الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة فيقول : يا رب .. أرحنى ولو الى النار » .

ورواه الحاكم من حديث الفضل بن عيسى عن المنكدر عن جابر بلفظ : « أن العرق ليلزم المرء في الموقف حتى يقول : يا رب .. أرسالك بى الى النار أهون على مما أجد .. وهو يعلم ما فيها من شدة العذاب » قال الحاكم : صحيح الاسناد .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يوم يقوم الناس لرب العالمين » : مقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة .. فيهون ذلك على المؤمن كتدلى الشمس للغروب الى أن تغرب » (٤١) .

(٣٦) رواه البخارى ومسلم . (٣٧) المطففين : ٦

(٣٨) رواه البخارى ومسلم والترمذى .

(٣٩) رواه الطبرانى . (٤٠) انظر ص ٢٤٢ وما بعدها .

(٤١) رواه أبو يعلى وابن حبان .

وعن أبي سعيد رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » (٤٢) فقيل : ما أطول هذا اليوم ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسى بيده .. انه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة » (٤٣) .

وروى الشيخان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله : الامام العادل .. وشاب نشأ في عبادة الله .. ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه .. ورجلان تحابا في الله : اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه .. ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال : انى أخاف الله .. ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه .. ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم .. قياما أربعين سنة شاخصة أبصارهم ينتظرون فصل القضاء » .

قال : « وينزل الله عز وجل في ظلل من الغمام من العرش الى الكرسي .. ثم ينادى مناد : أيها الناس .. ألم ترضوا من ربكم الذى خلقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا أن يولى كل انسان منكم ما كانوا يعبدون في الدنيا .. أليس ذلك عدلا من ربكم ؟ قالوا : بلى .. فينطلق كل قوم الى ما كانوا يعبدون ويتولون في الدنيا » .

قال : « فينطلقون ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون .. فمنهم من ينطلق الى الشمس .. ومنهم من ينطلق الى القمر والأوثان من الحجارة .. وأشباه ما كانوا يعبدون .. »

قال : « ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى .. ويمثل لمن كان يعبد عزيزا شيطان عزيز .. ويبقى محمد — صلى الله عليه وسلم — وأمته .. »

قال : « فيتمثل الرب تبارك وتعالى .. فيأتيهم فيقول : ما لكم لا تتطلقون كما انطلق الناس ؟ »

(٤٢) المعارج : ٤

(٤٣) رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان .

قال : فيقولون : ان لنا الها ما رأيناها .. فيقول : هل تعرفونه
ان رأيتموه ؟ فيقولون : ان بيننا وبينه علامة اذا رأيناها عرفناها ..
قال : « فيقول : ما هي ؟ فيقولون : يكشف عن ساقه .. فعند
ذلك يكشف عن ساقه فيخر كل من كان مشركا يرائي لظهره .. ويبقى
قوم ظهورهم كصياصي البقر — أى قرونها — يريدون السجود
فلا يستطيعون .. وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون ..
ثم يقول : ارفعوا رؤوسكم .. فيرفعون رؤوسهم فيعطيه نورهم
قدر أعمالهم .. فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين
أيديهم .. ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك .. ومنهم من يعطى
مثل النخلة بيده .. ومنهم من يعطى أصغر من ذلك حتى يكون آخرهم
رجلا يعطى نوره على ابهام قدمه .. يضىء مرة ويطفأ مرة .. فاذا
أضاء قدمه قدم .. واذا أطفأ قام ..
قال : « والرب تبارك وتعالى أمامهم حتى يمر بهم الى النار ..
فيبقى أثره كحد السيف ..

قال : « فيقول : مروا .. فيمرون على قدر نورهم .. منهم من
يمر كطرفه العين .. ومنهم من يمر كالبرق .. ومنهم من يمر كالسحاب
.. ومنهم من يمر كانقضاخ الكواكب .. ومنهم من يمر كالريح ..
ومنهم من يمر كئسد الفرس .. ومنهم من يمر كئسد الرجل .. حتى
يمر الذى يعطى نوره على ظهر قدميه .. يحبو على وجهه ويديه
ورجليه .. تجر يد وتعلق يد .. وتجر رجل وتعلق رجل .. وتصيب
جوانبه النار .. فلا يزال كذلك حتى يخلص .. فاذا خلص وقف عليها
فقال : الحمد لله الذى أعطانى ما لم يعط أحدا اذ أنجاني منها بعد
اذ رأيته ..

قال : « فينطلق به الى غدير عند باب الجنة .. فيغتسل فيعود
اليه ريح أهل الجنة وألوانهم .. فيرى ما فى الجنة من خلل الباب ..
فيقول : رب أدخلنى الجنة .. فيقول الله : أتسأل الجنة وقد نجيتك
من النار ؟ فيقول : رب اجعل بينى وبينها حجابا حتى أسمع حسيستها ..
قال : « فيدخل الجنة .. ويرى — أو يرفع له — منزل أمام
ذلك .. كأن ما هو فيه بالنسبة اليه حلم .. فيقول : رب أعطنى ذلك
المنزل .. فيقول : لعلك ان أعطيته تسأل غيره ؟ فيقول : لا وعزتك
.. لا أسأل غيره .. وأى منزل أحسن منه .. فيعطاه فينزله ..

ويرى أمام ذلك منزلا كأن ما هو فيه بالنسبة إليه حلم • قال :
رب أعطني ذلك المنزل •• فيقول الله تبارك وتعالى : لعلك ان أعطيته
تسأل غيره ؟ فيقول : لا وعزتك •• وأى منزل أحسن منه • فيعطاه
فينزله ثم يسكت •• فيقول الله جل ذكره : مالك لا تسأل ؟ فيقول :
رب قد سألتك حتى استحييتك • فيقول الله جل ذكره : ألم ترض
أن أعطيك مثل الدنيا منذ خلقتها الى يوم أفنيتها وعشرة أضعافه ؟
فيقول : أتتهزأ بى وأنت رب العزة ؟

قال : « فيقول الرب جل ذكره : لا ولكنى على ذلك قادر ••
فيقول : ألحقنى بالناس • فيقول : الحق بالناس •

قال : « فينطلق يرمل فى الجنة حتى اذا دنا من الناس •• رفع له
قصر من درة فيخر ساجدا • فيقول له : ارفع رأسك •• مالك ؟ فيقول :
رأيت ربى — أو تراءى لى ربى — فيقال : انما هو منزل من منازلك •
قال : « ثم يأتى رجلا فيتهيا للسجود فيقال له : مه •• فيقول :
رأيت أنك ملك من الملائكة •• فيقول : انما أنا خازن من خزانك ••
وعبد من عبيدك •• تحت يدى ألف قهرمان على ما أنا عليه ••
قال : « فينطلق أمامه حتى يفتح له باب القصر ••

قال : « وهو من درة مجوفة سقائفها وأبوابها وأغلقها ومفاتيحها
منها يستقبله جوهرة خضراء مبطنة بجمراء فيها سبعون بابا •• كل
باب يفضى الى جوهرة خضراء مبطنة •• كل جوهرة تفضى الى جوهرة
على غير لون الأخرى •• فى كل جوهرة سرر وأزواج ووصائف ••
أدناها حوراء عيناء عليها سبعون حلة •• يرى مخ ساقها من وراء
حللها •• كبدها مرآته وكبده مرآتها •• اذا أعرض عنها اعراضة
ازدادت فى عينه سبعين ضعفا عما كانت قبل ذلك •• فيقول لها :
والله لقد ازددت فى عيني سبعين ضعفا •• وتقول له : وأنت لقد
ازددت فى عيني سبعين ضعفا •• فيقال له : أشرف ، فيشرف •• فيقال له :
ملكك مسيرة مائة عام ينفذه بصرك •• »

قال : فقال له عمر : ألا تسمع ما يحدثنا ابن أم عبد يا كعب
عن أدنى أهل الجنة منزلا •• فكيف أعلاهم ؟
قال : يا أمير المؤمنين •• ما لا عين رأت •• ولا أذن سمعت •• (٤٤) •

* * *

(٤٤) رواه ابن أبي الدنيا والطبرانى والحاكم ••

* الشفاعة لأهل الموقف :

عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه قال : أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فصلى الغداة .. ثم جلس حتى اذا كان من الضحى ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس مكانه حتى صلى الأولى والعصر والمغرب .. كل ذلك لا يتكلم حتى صلى العشاء الآخرة .. ثم قام الى أهله .. فقال الناس لأبي بكر رضى الله عنه : سل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شأنه ؟ صنع اليوم شيئاً لم يصنعه قط ..

فقال : « نعم .. عرض على ما هو كائن من أمر الدنيا والآخرة .. فجمع الأولون والآخرون بصعيد واحد .. حتى انطلقوا الى آدم عليه السلام .. والعرق يكاد يلجمهم .. فقالوا : يا آدم .. أنت أبو البشر .. اصطفاك الله .. اشفع لنا الى ربك . فقال : قد لقيت مثل الذى لقيتم .. انطلقوا الى أبيكم بعد أبيكم .. الى نوح « ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين » (٤٥) .
« فينطلقون الى نوح عليه السلام فيقولون : اشفع لنا الى ربك .. فأنت اصطفاك الله واستجاب لك فى دعائك .. فلم يدع على الأرض من الكافرين ديارا .. فيقول : ليس ذاكم عندي .. فانطلقوا الى ابراهيم فان الله اتخذه خليلا ..

« فينطلقون الى ابراهيم عليه السلام .. فيقول : ليس ذاكم عندي .. فانطلقوا الى موسى فان الله كلمه تكليما ..
« فينطلقون الى موسى عليه السلام .. فيقول : ليس ذاكم عندي . ولكن انطلقوا الى عيسى ابن مريم .. فانه يبرىء الأكمه والأبرص ويحيى الموتى ..

« فيقول عيسى : ليس ذاكم عندي .. ولكن انطلقوا الى سيد ولد آدم .. فانه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة .. انطلقوا الى محمد فليشفع لكم الى ربكم ..

قال : « فينطلقون الى .. وآتى جبريل .. هيأتى جبريل ربه فيقول : ائذن له وبشره بالجنة .

قال : « فينطلق به جبريل فيخر ساجدا قدر جمعة — أى مقدار أسبوع — ثم يقول الله تبارك وتعالى : يا محمد .. ارفع رأسك وقل يسمع .. وأشفع تشفع .. غيرفع رأسه .. فاذا نظر الى ربه خر ساجدا قدر جمعة أخرى .. فيقول الله : يا محمد .. ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع . فيذهب ليقع ساجدا فيأخذ جبريل بضبعيه — أى ما تحت ابطه — ويفتح الله عليه من الدعاء ما لم يفتح على بشر قط .. فيقول : أى رب .. جعلتنى سيد ولد آدم ولا فخر .. وأول من تتشق عنه الأرض يوم القيامة .. ولا فخر .. حتى انه ليرد على الحوض أكثر ما بين صنعاء وأيلة . ثم يقال : ادعوا الصديقين فيشفعون .. ثم يقال : ادعوا الأنبياء .. فيجىء النبی معه العصاة .. والنبي معه الخمسة والستة .. والنبي ليس معه أحد ..

ثم يقال : ادعوا الشهداء فيشفعون فيمن أرادوا . فاذا غطت الشهداء ذلك يقول الله جل وعلا : أنا أرحم الراحمين .. أدخلوا جنتي من كان لا يشرك بى شيئا ..

فيدخلون الجنة .. ثم يقول الله تبارك وتعالى : انظروا في النار هل فيها من أحد عمل خيرا قط ؟ فيجدون في النار رجلا فيقال له : هل عملت خيرا قط ؟ فيقول : لا .. غير أنى كنت أسامح الناس في البيع .. فيقول الله : اسمحوا العبدى كاسماحه الى عبيدى ..

ثم يخرج من النار آخر فيقال له : هل عملت خيرا قط ؟ فيقول : لا .. غير أنى كنت أهزت ولدى اذا مت فأحرقونى بالنار .. ثم اطحنونى حتى اذا كنت مثل الكحل اذهبوا بى الى البحر فذرونى مع الريح .. فقال الله : لم فعلت ذلك ؟ قال : من مخافتك .. فيقول : انظر الى ملك أعظم ملك .. فان لك مثله وعشرة أمثاله .. فيقول : لم تسخر بى وأنت الملك ؟ .. فذلك الذى ضحكت به من الضحى » (٤٦) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : يا رسول الله .. ماذا رد اليك ربك من الشفاعة ؟ قال : « الذى نفس محمد بيده .. لقد ظننت أنك أول من يسألنى عن ذلك من أمتى لما رأيت من حرصك على العلم .. والذى نفس محمد بيده .. لما يهمنى من انقصافهم على أبواب الجنة أهم عندى من

(٤٦) رواه أحمد والبخاري وأبو يعلى وابن حبان .

تمام شفاعتى لهم .. وشفاعتى لمن شهد أن لا اله الا الله مخلصا
وأن محمدا رسول الله يصدق لسانه قلبه وقلبه لسانه » (٤٧) .

وغن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« كل نبى سأل سؤلا — أو قال : لكل نبى دعوة قد دعاها لأمته —
وانى اختبأت دعوتى شفاعاة لأمتى » (٤٨) .

وعن أم حبيبة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال : « أريت ما تلقى أمتى من بعدى .. وسفك بعضهم دماء بعض
فأحزننى .. وسبق ذلك من الله عز وجل كما سبق فى الأمم قبلهم ..
فسألته أن يولينى فيهم شفاعاة يوم القيامة .. ففعل » (٤٩) .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم عام غزوة تبوك قام من الليل يصلى .. فاجتمع رجال من
أصحابه يحرسونه حتى اذا صلى وانصرف اليهم فقال لهم : « لقد
أعطيت الليلة خمسا ما أعطيهن أحد قبلى .. أما أنا فأرسلت الى
الناس كلهم عامة ، وكان من قبلى انما يرسل الى قومه .. ونصرت
على العدو بالرعب ولو كان بينى وبينه مسيرة شهر لملئ منه ..
وأحلت لى الغنائم أكلها ، وكان من قبلى يعظمون أكلها وكانوا يحرقونها
.. وجعلت لى الأرض مساجد وطهورا أينما أدركتنى الصلاة تمسحت
وصليت ، وكان من قبلى يعظمون ذلك انما كانوا يصلون فى كنائسهم
وبيعهم . والخامسة هى ما هى .. قيل لى : سل فان كل نبى قد
سأل .. فأخبرت مسألتى الى يوم القيامة .. فهى لكم ولن شهد
أن لا اله الا الله » (٥٠) .

وعن عبد الرحمن بن أبى عقيل رضى الله عنه قال : انطلقت
فى وفد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيناها فأنخنا بالباب ..
وما فى الناس أبغض الينا من رجل نلج عليه .. فماخرجنا حتى ما كان
فى الناس أحب الينا من رجل دخل عليه .. فقال قائل منا : يا رسول الله
.. ألا سألت ربك ملكا كملك سليمان ؟ قال : فضحك ثم قال : « ففعل
لصاحبكم عند الله أفضل من ملك سليمان .. ان الله لم يبعث نبيا الا أعطاه
دعوة .. منهم من اتخذها دنيا فأعطياها .. ومنهم من دعا بها على

(٤٨) رواه البخارى ومسلم .

(٥٠) رواه أحمد .

(٤٧) رواه أحمد وابن حبان .

(٤٩) رواه البيهقى .

قومه اذ عصوه فأهلكوا بها .. فان الله أعطاني دعوة فاخترتها عند ربي
شفاعة لأمتي يوم القيامة» (٥١) .

صلى الله عليك يا سيدى يا رسول الله .. يا من قال فيك ربك :
« عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » (٥٢) .

يحشر الناس يوم القيامة في صعيد واحد .. حفاة عراة ..
وتدنو الشمس من الرؤوس حتى تكون منها كمقدار ميل .. والعرق
يلجم الناس جميعا حتى ليقول بعضهم : يا رب .. أرحنى .. ولو الى
النار !!

ويطول الموقف بالناس .. شاخصة أبصارهم أربعون سنة ..
ينتظرون القضاء في أمرهم .. يطوفون بالأنبياء راجين شفاعتهم ..
وما يغنى عنهم ذلك شيئا .. فاليوم يوم الكرامة .. يوم يظهر الله
كرامة نبيه صلى الله عليه وسلم على الأمم كافة .. فقد قال وقوله الحق :
« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » (٥٣) .. وقد اختبأ صلى الله عليه
وسلم دعوته عند ربه شفاعة للناس في هذا اليوم .. فيشفع للناس
جميعا سائلا مولاه تعالى أن يبدأ حسابهم .. لتجزى كل نفس ما عملت
.. ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ..

صلى الله عليك يا سيدى يا رسول الله .. وجزاك أفضل ما جزى
به نبيا عن أمته ..

* * *

* الحساب :

عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
« من نوقش الحساب عذب » . فقلت : أليس يقول الله : « فأما من أوتى
كتابه بيمينه . فسوف يحاسب حسابا يسيرا . وينقلب الى أهله
مسرورا » ؟ (٥٤) فقال : « انما ذلك العرض .. وليس أحد يحاسب
يوم القيامة الا هلك » (٥٥) .

(٥١) رواه الطبرانى والبخارى . (٥٢) التوبة : ١٢٨

(٥٣) الأنبياء : ١٠٧ (٥٤) الانشقاق : ٧ — ٩

(٥٥) رواه البخارى ومسلم وأبو داود .

وعن ابن الزبير رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من نوقش الحساب هلك » (٥٦) .

وعن أبى بردة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع : عن عمره فيما أفناه .. وعن عمله ما عمل به .. وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه .. وعن جسمه فيما أبلاه » (٥٧) .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لن تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع خصال : عن عمره فيما أفناه .. وعن شبابه فيما أبلاه .. وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه .. وعن عمله ماذا عمل فيه » (٥٨) .

وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسئل عن خمس : عن عمره فيما أفناه .. وعن شبابه فيما أبلاه .. وعن ماله من أين اكتسبه .. وفيما أنفقه .. وماذا عمل فيما علم » ..
وعنه رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة .. وأول ما يقضى بين الناس في الدماء » (٥٩) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لتردن الحقوق الى أهلها يوم القيامة .. حتى يقاد للشاة الجلاء من الشاة القرناء » (٦٠) .

ورواه أحمد بلفظ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يقتص للخلق بعضهم من بعض حتى للجاء من القرناء .. وحتى للأذرة من الذرة » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليختصن كل شيء يوم القيامة حتى الشاتان فيما انتطحتا » (٦١) .

(٥٧) رواه الترمذى .
(٥٩) رواه الشيخان والنسائى .
(٦١) رواه أحمد وأبو يعلى .

(٥٦) رواه البزار والطبرانى .
(٥٨) رواه البزار والطبرانى .
(٦٠) رواه مسلم والترمذى .

وعن عبد الله بن أنيس رضى الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « يحشر الله العباد يوم القيامة — أو قال الناس — عراة غرلا بهما » قال : قلنا : وما بهما ؟ قال : « ليس معهم شيء .. ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الديان .. أنا الملك .. لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه .. ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه منه حتى المظنة » قال قلنا : كيف واننا نأتى عراة غرلا بهما ؟ قال : « الحسنات والسيئات » (٦٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أتدرون من المفلس » ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ..

قال : « المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة .. ويأتى قد شتم هذا .. وقذف هذا .. وأكل مال هذا .. وسفك دم هذا .. وضرب هذا ..

فيعطى هذا من حسناته .. وهذا من حسناته .. فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه .. أخذ من خطاياهم فطرحه عليه ثم طرح في النار » (٦٣) .

وعنه رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء منه فليحلله منه اليوم .. من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم .. ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته .. وان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » .

* * *

● ولقد كان صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى لأُمَّته .. فعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتى .. وكان بيده سواك .. فدعا وصيفة له — أو لها — حتى استبان الغضب في وجهه .. فخرجت أم سلمة الى الحجرات فوجدت الوصيفة وهى تلعب ببهمة — أى ولد الضأن — فقالت :

(٦٣) رواه مسلم .

(٦٢) رواه أحمد .

ألا أراك تلعبين بهذه البهمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك ؟
فقلت : لا والذي بعثك بالحق ما سمعتك .. فقال صلى الله عليه وسلم :
« لولا خشية القود لأوجعتك بهذا السواك » !!

وفي رواية : « لولا القصاص لضربتك بهذا السواك » (٦٤) .

ولهذا روى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ضرب مملوكه سوطا ظلما اقتص منه يوم القيامة » (٦٥)
وعن عائشة رضى الله عنها أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم جلس بين يديه فقال : يا رسول الله .. ان لى مملوكين يكذبوننى ويخونوننى ويعصونى .. وأضربهم وأشتتهم فكيف أنا منهم ؟
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك اياهم .. فان كان عقابك اياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك .. وان كان عقابك اياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا لا لك ولا عليك .. وان كان عقابك اياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل الذى بقى قبلك » .

فجعل الرجل ييكى بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهتف ..

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالك ؟ ما تقرأ كتاب الله :
« ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين » (٦٦) .

فقال الرجل : يا رسول الله .. ما أجدر شيئا خيرا من فراق هؤلاء — يعنى عبيده — أشهدك أنهم كلهم أحرار (٦٧) .

* * *

● ولن يدخل أحد الجنة بعمله .. ولكن بفضل الله ورحمته ..

روى واثلة بن الأسقع رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم قال : « يبعث الله يوم القيامة عبدا لا ذنب له فيقول الله : أى الأمرين أحب اليك .. أن أجزيك بعملك أو بنعمتى عندك ؟ قال : يا رب .. انك تعلم أنى لم أعصك .. قال : خذوا عبدى بنعمة من

• (٦٥) رواه البزار والطبرانى .

• (٦٧) رواه أحمد والترمذى .

• (٦٤) رواه أبو يعلى .

• (٦٦) الانبياء : ٤٧

نعمى .. فما تبقى له حسنة الا استغرقتها تلك النعمة .. فيقول : رب
بنعمتك ورحمتك .. فيقول بنعمتى ورحمتى» (٦٨) .

وعن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تقول : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « سددوا وقاربوا وأبشروا .. فانه لن يدخل
أحد الجنة عمله » .. قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا ..
الا أن يتغمدنى الله برحمته » (٦٩) .

وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه
وسلم قال : « يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين : ديوان
فيه العمل الصالح .. وديوان فيه ذنوبه .. وديوان فيه النعم من
الله عليه .. فيقول الله عز وجل لأصغر نعمة — أحسبه قال فى ديوان
النعم — : خذى ثمنك من عمله الصالح .. فتستوعب عمله الصالح .. ثم
تنحى وتقول : وعزتك ما استوفيت .. وتبقى الذنوب والنعم ، وقد ذهب
العمل الصالح .. فاذا أراد الله أن يرحم عبدا قال : يا عبدى ..
قد ضاعفت لك حسناتك وتجاوزت عن سيئاتك — أحسبه قال : ووهبت
لك نعمى » (٧٠) .



● وفى ذلك اليوم العظيم .. ينطق الله الجلود والأعضاء .. فتشهد
على أصحابها بما جنوا فى حياتهم الدنيا .. وتشهد الأرض بما عمل
على ظهرها ..

عن أنس رضى الله عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم فضحك .. فقال : « هل تدرون مم أضحك » ؟ قلنا : الله
ورسوله أعلم . قال : « من مخاطبة العبد ربه .. فيقول : يا رب ..
ألم تجرنى من الظلم ؟ يقول : بلى .. فيقول : انى لا أجزى اليوم
على نفسى شاهدا الا منى .. فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا
والكرام الكاتبين شهودا .. قال : فيختم على فيه ويقول لأركانہ :
انطقى .. فتتطق بأعماله .. ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول :
بعدا لكن وسحقا .. فعنكن كنت أناضل » .

(٦٩) رواه البخارى ومسلم .

(٦٨) رواه الطبرانى .

(٧٠) رواه البزار .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : « يومئذ تحدث أخبارها » (٧١) . قال : « أتدرون ما أخبارها » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « فان أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها . . تقول عمل كذا وكذا » (٧٢)

وعنه رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : « يوم ندعوا كل أناس بإمامهم ، فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرأون كتابهم ولا يظلمون فتيلا . ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا » (٧٣) .

قال : يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه . . ويمد له في جسمه ستون ذراعا . . ويبيض وجهه . . ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلأ . . قال : فينطلق الى أصحابه فيروونه من بعيد فيقولون : اللهم بارك لنا في هذا . . حتى يأتيهم فيقول : أبشروا . . فان لكل رجل منكم مثل هذا . .

وأما الكافر فيعطى كتابه بشماله مسودا وجهه . . ويمد له في جسمه ستون ذراعا على صورة آدم . . ويجعل على رأسه تاج من نار . . فيراه أصحابه فيقولون : اللهم اخزه . . فيقول : أبعدم الله . . فان لكل رجل منكم مثل هذا » (٧٤) .

وعن عتبة بن عبد الله رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو أن رجلا يخر على وجهه من يوم ولد الى يوم يموت هرما في مرضات الله عز وجل لحقره يوم القيامة » (٧٥) .

وعن محمد بن أبي عميرة رضى الله عنه — وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، أحسبه رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لو أن رجلا خر على وجهه من يوم ولد الى يوم يموت هرما في طاعة الله عز وجل لحقره ذلك اليوم ولود أنه رد الى الدنيا كيما يزداد من الأجر والثواب » (٧٦) .

(٧٢) رواه ابن حبان .

(٧١) الزلزلة : ٤

(٧٣) الاسراء : ٧١ ، ٧٢

(٧٤) رواه الترمذى وابن حبان والبيهقى .

(٧٦) رواه أحمد .

(٧٥) رواه الطبرانى .

فالرجل يقضى حياته منذ يولد الى أن يموت .. ساجدا خاشعا.
خاضعا لربه .. يقضى عمره كله .. من مهده الى لحدّه في طاعة الله ..
فاذا حاسبه الله على فضله الذى غمره في حياته لاستصغر عمله وتمنى
لو يرجع الى الدنيا ليزداد من الصالحات ..

* * *

* رؤية الله تعالى :

عن أبى هريرة رضى الله عنه : قالوا : يا رسول الله .. هل نرى ربنا
يوم القيامة ؟ فقال : « هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست
في سحابة » ؟ قالوا : لا .. قال : « فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر
ليس في سحابة » ؟ قالوا : لا .. قال : « فوالذى نفسى بيده ..
لا تضارون في رؤية ربكم الا كما تضارون في رؤية أحدهما .. فيلقى
العبد ربه فيقول : أى فل — يا فلان — ألم أكرمك وأسودك وأزوجك ..
وأسخر لك الخيل والابل .. وأذرك ترأس وتربع ؟ فيقول :
بلى يا رب ..

فيقول : أظننت أنك ملاقى ؟ فيقول : لا .. فيقول : غانى أنساك
كما نسيتنى ..

ثم يلقي الثانى فيقول : أى فل — يا فلان — ألم أكرمك وأسودك
وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل .. وأذرك ترأس وتربع ؟ فيقول :
بلى يا رب ..

فيقول : أظننت أنك ملاقى ؟ فيقول : لا .. فيقول : انى أنساك
كما نسيتنى ..

ثم يلقي الثالث فيقول : أى فل — يا فلان — ألم أكرمك وأسودك
وأزوجك .. وأسخر لك الخيل والابل وأذرك ترأس وتربع ؟ فيقول :
بلى يا رب .. فيقول : أظننت أنك ملاقى ؟

فيقول : أى رب .. آمنت بك وبكتابك وبرسلك .. وصليت وصمت
وتصدققت — ويثنى بخير ما استطاع — فيقول : ههنا اذن ..

ثم يقول : الآن نبعث شاهدا عليك ..

فيبتكر في نفسه من ذا الذى يشهد على !! .. فيختتم على فيه ..
ويقال لفخذه : انطقى .. فينطق الله فخذه ولحمه وعظامه بعمله ..

وذلك ليعذر من نفسه .. وذلك المنافق .. وذلك الذي يسخط الله عليه» (٧٧) .

وعنه أيضا رضى الله عنه أن الناس قالوا : يا رسول الله .. هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ .. قال : « هل تمارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحب ؟ قالوا : لا يا رسول الله .. قال : هل تمارون فى الشمس ليس دونها سحب ؟ قالوا : لا . قال : فانكم ترونه كذلك .. يحشر الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئا فليتبعه .. فمنهم من يتبع الشمس .. ومنهم من يتبع القمر .. ومنهم من يتبع الطواغيت .. وتبقى هذه الأمة .. فيها منافقوها .. فيأتيهم الله فيقول : أنا ربكم ؟ فيقولون : هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا .. فاذا جاء ربنا عرفناه ..

فيأتيهم الله فيقول : أنا ربكم .. فيقولون : أنت ربنا .. فيدعوهم . ويضرب الصراط بين ظهرائى جهنم .. فأكون أول من يجوز من الرسل بأمرته .. ولا يتكلم يومئذ أحد الا الرسل .. وسلام الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم ..

وفى جهنم كالليب مثل شوك السعدان — هل رأيتم شوك السعدان ؟ قالوا : نعم .. قال : فانها مثل شوك السعدان .. غير أنه لا يعلم قدر عظمها الا الله .. تخطف الناس بأعمالهم .. فمنهم من يوبق بعمله .. ومنهم من يخردل ثم ينجو ..

حتى اذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله .. فيخرجونهم بآثار السجود .. وحرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود .. فيخرجون من النار وقد امتحشوا — أى احترقوا — فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل .. ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد .. ويبقى رجل بين الجنة والنار .. وهو آخر أهل النار دخولا الجنة .. مقبل بوجهه قبل النار . فيقول : يا رب .. اصرف وجهى عن قد قبشنى — أى سمنى — ريحها .. وأحرقنى ذكاه .. فيقول : عسيت أن أفعل أن تسأل غير ذلك ؟ فيقول : لا وعزتك .. فيعطى الله ما شاء من عهد وميثاق ..

(٧٧) رواه مسلم — ويرأس : أى يصير رئيسا .. ويربع : أى يأخذ ما يأخذه رئيس الجيش لنفسه وهو ربيع الغنائم .

فيصرف الله وجهه عن النار .. فاذا أقبل به على الجنة رأى بهجتها .. سكت ما شاء الله أن يسكت .. ثم قال : يا رب .. قدمنى عند باب الجنة .. فيقول الله : أليس قد أعطيت العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذى كنت سألت ؟ فيقول : يا رب .. لا أكون أشقى خلقك .. فيقول : فما عسيت ان أعطيتك ذلك أن تسأل غيره ؟ فيقول : لا وعزتك لا أسألك غير هذا .. فيعطى ربه ما شاء من عهد وميثاق ..

فيقدمه الى باب الجنة .. فاذا بلغ بابها رأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور .. فسكت ما شاء الله أن يسكت .. فيقول : يا رب .. أدخلنى الجنة . فيقول الله : ويحك يا ابن آدم .. ما أغدرك ؟ أليس قد أعطيتنى العهد أن لا تسأل غير الذى أعطيت ؟ فيقول : يا رب .. لا تجعلنى أشقى خلقك ..

فيضحك الله منه .. ثم يأذن له فى دخول الجنة .. فيقول : تمن .. فيتمنى حتى اذا انقطعت أمنيته قال الله : تمن من كذا وكذا .. يذكره ربه — حتى اذا انتهت به الأمانى قال الله : لك ذلك ومثله معه ..

فقال أبو سعيد الخدرى لأبى هريرة رضى الله عنهما : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله : لك ذلك وعشرة أمثاله » ..

فقال أبو هريرة رضى الله عنه : ثم أحفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قوله : « لك ذلك ومثله معه » .. قال أبو سعيد رضى الله عنه : أشهد أنى سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لك ذلك وعشرة أمثاله » .

فقال أبو هريرة : وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا الجنة « (٧٨) » . وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قلنا : يا رسول الله .. هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم .. نول تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحب .. وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحب » ؟ قالوا : لا يا رسول الله ..

قال : « فما تضارون فى رؤية الله تعالى يوم القيامة الا كما تضارون فى رؤية أحدهما ..

(٧٨) رواه البخارى .

إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن : لتتبع كل أمة ما كانت تعبد ..
فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب الا يتساقطون
في النار .. حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغير
أهل الكتاب ..

فيدعى اليهود فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد
عزيرا ابن الله .. فيقال : كذبتكم .. ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ..
فماذا تبغون ؟ قالوا : عطشنا يا ربنا فاسقنا .. فيشار اليهم ألا تردون ؟
فيحشرون الى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في
النار ..

ثم تدعى النصارى فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا
نعبد المسيح ابن الله .. فيقال لهم : كذبتكم .. ما اتخذ الله من صاحبة
ولا ولد .. فماذا تبغون ؟ فيقولون : عطشنا يا ربنا فاسقنا .. فيشار
اليهم ألا تردون ؟ فيحشرون الى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا
.. فيتساقطون في النار ..

حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر .. أتاهم
الله في أدنى صورة من التي رأوه فيها .. قال : فما تنتظرون ؟ ..
تتبع كل أمة ما كانت تعبد .. قالوا : يا ربنا .. فارقنا الناس في الدنيا
أفقر ما كنا اليهم .. ولم نصاحبهم .. فيقول : أنا ربكم .. فيقولون :
نعوذ بالله منك .. لا نشرك بالله شيئا — مرتين أو ثلاثا — حتى ان
بعضهم ليكاد أن ينقلب ..

فيقول : هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها ؟ فيقولون : نعم ..
فيكشف عن ساق .. فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا أذن
الله له بالسجود .. ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله
ظهره طبقة واحدة .. كلما أراد السجود خر على قفاه ..

ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول
مرة .. فقال : أنا ربكم .. فيقولون : أنت ربنا ..

ثم يضرب الجسر على جهنم .. وتحل الشفاعة .. ويقولون :
اللهم سلم سلم ..

قيل : يا رسول الله .. وما الجسر ؟

قال : دحض مزلة .. فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة يكون بنجد ..
فيها تشويكة يقال لها السعدان .. فيمر المؤمنون كطرف العين ..

وكالبرق وكالريح .. وكالطير .. وكأجاويد الخيل والركاب .. فجاج مسلم .. ومخدوش مرسل .. ومكدوش في نار جهنم ..
حتى اذا خلص المؤمنون من النار .. فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله في استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لآخوانهم الذين في النار » .

وفي رواية : « فما أنتم بأشد مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار اذا رأوا أنهم قد نجوا في آخوانهم .. فيقولون : ربنا كانوا يصومون معنا .. ويصلون ويحجون .. فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم .. فتحرم صورهم على النار .. فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار الى نصف ساقه والى ركبته .. ثم يقولون : ربنا ما بقى فيها ممن أمرتنا به .. فيقال : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه .. فيخرجون خلقا كثيرا .. ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا .. ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه .. فيخرجون خلقا كثيرا .. ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا .. ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه .. فيخرجون خلقا كثيرا .. ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها خيرا » .

وكان أبو سعيد يقول : ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا ان شئتم :

« ان الله لا يظلم مثقال ذرة ، وان لك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما » (٧٩) .

« فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة .. وشفع النبيون ولم يبق الا أرحم الراحمين .. فيقبض قبضة من النار .. فيخرج منها قوما من النار لم يعملوا خيرا قط .. قد عادوا حمما فيلقاهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة .. فيخرجون كما تخرج الحبة من حميل السيل .. ألا ترونها تكون الى الحجر أو الى الشجر .. ما يكون الى الشمس أصيفر وأخضر .. وما يكون منها الى الظل يكون أبيض ؟ فقالوا : يا رسول الله .. كأنك كنت ترعى بالبادية !!

قال : فيخرجون كاللؤلؤ .. في رقابهم الخواتيم .. يعرفهم
أهل الجنة : هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه
.. ولا خير قدموه ..

ثم يقول : ادخلوا الجنة .. فما رأيتموه فهو لكم .. فيقولون :
ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين ! .. فيقول : لكم عندي
أفضل من هذا .. فيقولون : يا ربنا .. أى شيء أفضل من هذا ؟
فيقول : رضى .. فلا أسخط عليكم أبدا » (٨٠) .

* * *

وروى أبو سعيد رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « ان من أمتى من يشفع للفئام من الناس .. ومنهم من يشفع
للقبيلة .. ومنهم من يشفع للعصبة .. ومنهم من يشفع للواحد حتى
يدخلوا الجنة » ..

وعن عبد الله بن شقيق قال : جلست الى قوم أنا رابعهم ..
فقال أحدهم : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ليدخلن
الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من بنى تميم » .. قلنا : سواك
يا رسول الله ؟ قال : « سواى » ..

قلت : أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
قال : نعم .. فلما قام قلت : من هذا ؟ قالوا : ابن الجدعاء
— أو ابن أبى الجدعاء (٨١) .

وفى رواية ابن ماجه قال : « عن شقيق عن عبد الله بن أبى الجدعاء »
ثم ذكر الحديث .

* * *

وروى الترمذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت :
« يا أيها الناس اتقوا ربكم ، ان زلزلة الساعة شيء عظيم » (٨٢)
قال : « أتدرون أى يوم ذلك » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم .. قال :
« ذلك اليوم ينادى الله فيه آدم فيناديه ربه فيقول : يا آدم ..
ابعث بعث النار .. فيقول : أى رب .. وما بعث النار ؟ فيقول :
من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة » .

(٨٠) رواه البخارى ومسلم . (٨١) رواه ابن حبان وابن ماجه .

(٨٢) الحج : ١

فيئس القوم .. حتى ما أبدوا بضاحكة .. فلما رأى الذي بأصحابه قال : « اعملوا وأبشروا .. فوالذي نفس محمد بيده انكم لم خليقتين ما كانتا في شيء الا كثرتاه .. يأجوج ومأجوج .. ومن مات من بنى آدم وبنى ابليس » ..

فسرى عن القوم بعض الذي يجدون فقال : « اعملوا وأبشروا .. فوالذي نفس محمد بيده .. ما أنتم في الناس الا كالشامة في جنب البعير — أو كالرقمة في ذراع الدابة » .

وعن صفوان بن محرز أن رجلا سأل ابن عمر : كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى ؟ قال : « يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول : أعملت كذا وكذا ؟ فيقول : نعم . ويقول : عملت كذا وكذا ؟ فيقول : نعم .. فيقرره ثم يقول : انى سترت عليك في الدنيا .. وأنا أغفرها لك اليوم » (٨٣) .

* * *

* الصراط :

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشفع لى يوم القيامة . فقال : « أنا فاعل ان شاء الله تعالى » قلت : فأين أطلبك ؟ قال : « أول ما تطلبنى على الصراط » قلت : فان لم ألقك على الصراط ؟ قال : « فاطلبنى عند الميزان » . قلت : فان لم ألقك عند الميزان ؟ قال : « فاطلبنى عند الحوض .. فانى لا أخطئ هذه الثلاثة موطن » (٨٤) .

[نسأل الله تعالى أن يجعلنا بفضلہ وكرمه .. ممن يلقى رسوله صلى الله عليه وسلم في موطن من هذه الثلاثة] .

وقد تقدم معنا في حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه (٨٥) ذكر للصراط .. عند قوله صلى الله عليه وسلم : « فيرفعون رؤوسهم فيعطيه نورهم على قدر أعمالهم .. فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين أيديهم .. ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك .. ومنهم من يعطى مثل النخلة بيده .. ومنهم من يعطى أصغر من ذلك

(٨٤) رواه الترمذى والبيهقى .

(٨٣) رواه البخارى .

(٨٥) انظر ص ٢٦٤

•• حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على ابهام قدمه •• يضىء مرة ويطفأ مرة •• فإذا أضاء قدمه قدم •• وإذا أطفأ قام •• قال : والرب تبارك وتعالى أمامهم حتى يمر بهم الى النار فيبقى أثره كحد السيف •• قال : فيقول : مروا •• فيمرون على قدر نورهم •• منهم من يمر كطرفه العين •• ومنهم من يمر كالبرق •• ومنهم من يمر كالسحاب •• ومنهم من يمر كأنقضاخ الكواكب •• ومنهم من يمر كالريح •• ومنهم من يمر كشذ الفرس •• ومنهم من يمر كشذ الرجل •• حتى يمر الذى يعطى نوره على ظهر قدميه •• يحبو على وجهه ويديه ورجليه •• تجر يد وتعلق يد •• وتجر رجل وتعلق رجل •• وتصيب جوانبه النار •• فلا يزال كذلك حتى يخلص •• فإذا خلص وقف عليها فقال : الحمد لله الذى أعطانى ما لم يعط أحدا اذ أنجانى منها بعد اذ رأيتها ••

وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه^(٨٦) قوله : « ويضرب الصراط بين ظهراى جهنم •• فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته •• ولا يتكلم يومئذ أحد الا الرسل •• وسلام الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم •• وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان •• هل رأيتم شوك السعدان ؟ قالوا : نعم •• قال : فانها مثل شوك السعدان •• غير أنه لا يعلم قدر عظمها الا الله •• تخطف الناس بأعمالهم •• فمنهم من يوبق — أى يهلك — بعمله •• ومنهم من يخرذل — أى يوزن بميزان العدل — ثم ينجو » ••

وفى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه^(٨٧) قوله : « ثم يضرب الجسر على جهنم •• وتحل الشفاعة •• ويقولون : اللهم سلم سلم •• قيل : يا رسول الله •• وما الجسر ؟ قال : دحض — أى زلق — مزلة — أى موضع زلل الأقدام — فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة — نبات ذو شوك — يكون بنجد •• فيها تشويكة يقال لها السعدان •• فيمر المؤمنون كطرف العين — أى كلمح البصر — وكالبرق •• وكالريح •• وكالطير •• وكأجاويد الخيل والركاب •• فجاج مسلم •• ومخدوش مرسل — أى مخموش ممزق — ومكدوش — أى مصروع — فى نار جهنم » ••

[أعاذنا الله من شر ذلك الموقف] •

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : يوضع الصراط على سواء جهنم .. مثل حد السيف المرفف مدحضة مزلة عليه كلاليب من نار يخطف بها .. فممسك يهوى فيها .. ومصروع .. ومنهم من يمر كأبرق فلا ينشب ذلك أن ينجو .. ثم كالريح فلا ينشب ذلك أن ينجو .. ثم كجرى الفرس .. ثم كرمل الرجل .. ثم كمشى الرجل .. ثم يكون آخرهم انسانا رجل قد لوحته النار ولقى فيها شرا .. حتى يدخله الله الجنة بفضل رحمته .. فيقال له : تمن وسل .. فيقول : أى رب .. أتتهزأ منى وأنت رب العزة ؟ فيقال له : تمن وسل .. حتى اذا انقطعت به الأمانى .. قال : لك ما سألت ومثله معه » (٨٨) .

وعن حذيفة وأبى هريرة رضى الله عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يجمع الله الناس » — فذكرا الحديث الى أن قالا : « فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقوم ويؤذن له .. وترسل معه الأمانة والرحم .. فيقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا .. فيمر أولكم كمر البرق » .

قال قلت : بأبى أنت وأمى .. أى شىء كمر البرق ؟ قال : « ألم تروا الى البرق كيف يمر ويرجع فى طرفة عين ؟ ثم كمر الريح .. ثم كمر الطير وشد الرجال تجرى بهم أعمالهم .. ونبيكم — صلى الله عليه وسلم — قائم على الصراط يقول : رب سلم سلم .. حتى تعجز أعمال العباد .. حتى يجىء الرجل فلا يستطيع السير الا زاحفا .. قال : وفى حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة .. تأخذ من أمرت .. فمخدوش ناج .. ومكدوش فى النار .. والذى نفس أبى هريرة بيده .. ان قعر جهنم لسبعين خريفا » (٨٩)

وعن عبيد بن عمير رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الصراط على جهنم مثل حرف السيف .. بجنبتيه الكلاليب والحسك .. فيركبه الناس فيختطفون .. والذى نفسى بيده وانه ليؤخذ بالكلوب الواحد أكثر من ربعة ومضر » (٩٠) .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يجىء الظالم يوم القيامة حتى اذا كان على جسر جهنم ..

(٨٩) رواه مسلم .

(٨٨) رواه الطبرانى .

(٩٠) رواه البيهقى .

بين الظئمة والوعرة .. لقيه المظلوم فعرفه وعرف ما ظلمه به ..
 فما يبرح الذين ظلموا — بضم الظاء — يقصون من الذين ظلموا
 — بفتحها — حتى ينزعوا ما فى أيديهم من الحسنات .. فان لم يكن لهم
 حسنات رد عليهم من سيئاتهم حتى يوردوا الدرك الأسفل من النار» (٩١)
 وعن أم مبشر الأنصارية رضى الله عنها .. أنها سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة رضى الله عنها : « لا يدخل
 النار أن شاء الله من أهل الشجرة أحد .. الذين بايعوا تحتها ..
 قالت : بلى يا رسول الله .. فانتهرها .. فقالت حفصة : « وان منكم
 الا واردها » (٩٢) . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : قد قال الله تعالى :
 « ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا » (٩٣) .

وعن أبى سمية قال : اختلفنا فى الورود ؟ فقال بعضنا : لا يدخلها
 مؤمن .. وقال بعضنا : يدخلونها جميعا ثم ينجى الله الذين اتقوا ..
 فلقيت جابر بن عبد الله فقلنا : انا اختلفنا ههنا فى الورود .. فقال :
 تردونها جميعا .. فقلت له : انا اختلفنا فى ذلك فقال بعضنا : لا يدخلها
 مؤمن .. وقال بعضنا : يدخلونها جميعا .. فأهوى بأصبعيه الى أذنيه
 وقال : صمنا — أى أصابهما الصمم وعدم السمع — ان لم أكن سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الورود : الدخول لا يبقى
 بر ولا فاجر الا دخلها .. فتكون على المؤمنين بردا وسلاما .. كما
 كانت على ابراهيم .. حتى ان للنار — أو قال لجهنم — ضجيجا من
 بردهم .. ثم بنجى الله الذين اتقوا ويذر الظالمين » (٩٤) .

وعن قيس بن أبى حازم قال : كان عبد الله بن ربيعة واضعا
 رأسه فى حجر امرأته فبكى .. فبكى امرأته .. فقال : ما يبكيك ؟
 قالت : رأيتك تبكى فبكيت .. قال : انى ذكرت قول الله تعالى :
 « وان منكم الا واردها ، كان على ربك حتما مقضيا » ثم ننجى الذين
 اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا » (٩٥) . ولا أدري أنجو منها أم لا (٩٦) ؟
 وروى الحاكم باسناد ذكر أنه على شرط مسلم عن المسيب قال :
 سألت مرة عن قوله تعالى : « وان منكم الا واردها » فحدثنى أن

(٩٢) مريم : ٧١ ، ٧٢
 (٩٤) رواه احمد والبيهقى .
 (٩٦) رواه الحاكم .

(٩١) رواه الطبرانى .
 (٩٣) رواه مسلم وابن ماجه .
 (٩٥) مريم : ٧١ ، ٧٢

ابن مسعود حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يرد الناس النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم .. وأولهم كلمح البرق .. ثم كلمح الريح .. ثم كحضر الفرس .. ثم كالراكب في رحله .. ثم كشد الرجل .. ثم كمشيته » .

* * *

* الميزان :

يقول الله تعالى : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين » (٩٧) .

ويقول تعالى : « فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون . ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون » (٩٨) .

ويقول : « إن الله لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما » (٩٩) .

ويقول جل شأنه : « وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين » (١٠٠) .

ويقول : « قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ، ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » (١٠١) .

ويقول جل وعلا : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » (١٠٢) .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله تعالى يقول يوم القيامة : يا آدم .. ابرز إلى جانب الكرسي عند الميزان .. وانظر ما يرفع اليك من أعمال بنيك .. فمن رجح خيره على شره مثقال حبة فله الجنة .. ومن رجح شره على خيره مثقال حبة فله النار .. حتى تعلم أني لا أعذب الا ظالما » .

(٩٨) الأعراف : ٨ ، ٩

(١٠٠) يونس : ٦١

(١٠٢) الزلزلة : ٧ ، ٨

(٩٧) الأنبياء : ٤٧

(٩٩) النساء : ٤٠

(١٠١) الجمعة : ٨

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : توزن الحسنات والسيئات فى ميزان له لسان وكفتان .. فأما المؤمن فيؤتى بعمله فى أحسن صورة فيوضع فى كفة الميزان فتثقل حسناته على سيئاته .. فذلك قوله تعالى : « فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون » (*) .. ويؤتى بعمل الكافر فى أقبح صورة فيوضع فى كفة الميزان .. فيخف وزنه حتى يقع فى النار ..

وقيل : ان للميزان كفتان .. وخيوط ولسان وشاهين ..
وقيل : ان لكل مكلف ميزانا توزن به أعماله .. فتوضع الحسنات فى كفة .. والسيئات فى كفة ..
وقيل : يجوز أن يكون هناك موازين للعامل الواحد .. يوزن بكل ميزان منها صنف من أعماله ..

وقال حذيفة رضى الله عنه : صاحب الموازين يوم القيامة جبريل عليه السلام .. يقول الله تعالى : يا جبريل .. زن بينهم فرد من بعض على بعض .. قال : وليس ثمة ذهب ولا فضة .. فان كان للظالم حسنات أخذ من حسناته فرد على المظلوم .. وان لم تكن له حسنات أخذ من سيئات المظلوم فتحمل على الظالم فيرجع الرجل وعليه مثل الجبال ..

وقال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه : يؤتى بأعمال كجبال تهامة .. فلا تزن شيئا ..

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : ذكرت النار فبكيت .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يبكيك ؟ قلت : ذكرت النار فبكيت .. فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة ؟ .. فقال : « أما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا .. عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل ؟ وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه عن يمينه أم فى شماله أم وراء ظهره ؟ .. وعند الصراط اذا وضع بين ظهري جهنم حتى يجوز » (١٠٣) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه ، يرفعه قال : ملك موكل بالميزان .. فيؤتى بابن آدم فيوقف بين كفتى الميزان .. فان ثقل ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق : سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها

(١٠٣) رواه أبو داود والحاكم .

(*) المؤمنون : ١٠٢

أبدا .. وإن خف ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق : شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا (١٠٤) .

وعن سلمان رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يوضع الميزان يوم القيامة .. فلو درى — أى وزن — فيه السموات والأرض لو سعت .. فتقول الملائكة : يا رب .. لمن يزن هذا ؟ .. فيقول الله : لمن شئت من خلقى .. فيقولون : سبحانه .. ما عبدناك حق عبادتك » (١٠٥) .

وروى القشيري فى تفسيره : « اذا خفت حسنات المؤمن أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاقة كالأنملة .. فيلقياها فى كفة الميزان اليمنى التى فيها حسناته فترجح الحسنات .. فيقول ذلك العبد المؤمن للنبي صلى الله عليه وسلم : بأبى أنت وأمى .. ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك .. فمن أنت ؟

فيقول : أنا محمد نبيك .. وهذه صلواتك التى كنت تصلى على .. قد وفيتك أحوج ما تكون اليها » .

وعند مجاهد وقتادة والضحاك قالوا : ذكر الميزان مثل .. وليس ثم ميزان .. وإنما هو العدل ..

غير أن الحديث الصحيح .. وما عليه السلف الصالح واتفق عليه جمهور الأمة أنه ميزان حقيقى .. والله أعلم .

وسيقف الناس جميعا بين يدى المولى سبحانه وتعالى يوم القيامة .. وتوزن أعمالهم .. ويجازيهم ربهم بها مهما صغرت أو هانت .. أن خيرا فخير .. وأن شرا فشر .. فلا يغيب عنه تعالى مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء .. ولا أصغر من ذلك ولا أكبر .. سبحانه وتعالى ذكره ، وجل شأنه .

* * *

* الحوض :

روى الترمذى عن سمرة رضى الله عنه .. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أن لكل نبي حوضا ترده أمته .. وأنهم يتباهون أيهم أكثر واردة .. وإنى لأرجو أن أكون أنا أكثرهم واردة » .

(١٠٤) رواه البيهقى والبخارى . (١٠٥) رواه الحاكم .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حوضى مسيرة شهر .. مأؤه أبيض من اللبن .. وريحه أطيب من المسك .. وكيزانه كنجوم السماء .. من شرب منه لا يظمأ أبدا » ..

وفى رواية : « حوضى مسيرة شهر .. وزواياه سواء .. ومأؤه أبيض من الورق » (١٠٦) .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا بغير حساب » .. فقال يزيد بن الأخنس : والله ما أولئك فى أمتك الا كالذباب الأصهب — أى الأحمر — فى الذباب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد وعدنى سبعين ألفا كل ألف سبعين ألفا وزادنى ثلاث حثيات » ..

قال : فما سعة حوضك يا نبي الله ؟ قال : « كما بين عدن الى عمان وأوسع وأوسع — يشير بيديه — قال : فيه مئتان — أى مئتان للماء — من ذهب وفضة » قال : فمأء حوضك يا نبي الله ؟ قال : « أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأطيب رائحة من المسك .. من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا ولم يسود وجهه » (١٠٧) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حوضى كما بين عدن و عمان .. أبرد من الثلج وأحلى من العسل وأطيب ريحا من المسك .. أكوابه مثل نجوم السماء .. من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا .. أول الناس عليه ورودا صعاليك المهاجرين .. قال قائل : من هم يا رسول الله ؟ قال : الشعثة رؤوسهم .. الشحبة وجوههم .. الدنسة ثيابهم .. لا تفتح لهم السدد ولا ينكحون المنعمات .. الذين يعطون كل الذى عليهم .. ولا يأخذون كل الذى لهم » (١٠٨) .

... وعن عتبة بن عبد السلمي رضى الله عنه قال : قام أعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما حوضك الذى تحدث عنه ؟ فقال : « هو كما بين صنعاء الى بصرى .. ثم يمدنى الله فيه بكراع

(١٠٦) رواه الشيخان ، والورق : الفضة .

(١٠٧) رواه أحمد وابن حبان .

(١٠٨) رواه أحمد ، والدنسة ثيابهم : أى الخلقة ثيابهم .

لا يدري بشر ممن خلق أى طرفيه » : قال : فكبر عمر رضوان الله عليه .
فقال صلى الله عليه وسلم : « أما الحوض فيزدحم عليه فقراء المهاجرين
الذين يقتلون في سبيل الله ويموتون في سبيل الله .. وأرجو أن يوردني
الله الكراع فأشرب منه » (١٠٩) .

[والكراع : طرف من ماء الجنة مشبه بالكراع لقلته .. كما في
النهاية] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « بينا أنا قائم على الحوض .. إذا زمرة حتى إذا عرفتهم
خرج رجل من بينى وبينهم فقال لهم : هلم .. فقلت : الى أين ؟ قال :
الى النار والله .. فقلت : ما شأنهم ؟ فقال : انهم ارتدوا على أدبارهم
القهقري ..

ثم إذا زمرة أخرى حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم
.. فقال لهم : هلم .. فقلت : الى أين ؟ قال : الى النار والله .. فقلت :
ما شأنهم ؟ قال : انهم ارتدوا على أدبارهم .. فلا أراه يخلص الى
منهم الا مثل همل النعم » (١١٠) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول وهو بين ظهراى أصحابه : « انى على الحوض
أنظر من يرد منكم .. فوالله ليقتطنن دونى رجال فلاقولن : أى رب
من أمتى .. فيقول : انك لا تدري ما أحدثوا بعدك .. ما زالوا يرجعون
على أعقابهم » (١١١) .

وروى مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ترد
على أمتى الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل ابل الرجل
عن ابنه .. قالوا : يا نبى الله تعرفنا ؟ قال : نعم .. لكم سيما ليست
لأحد غيركم .. تردون على غرا محجلين من آثار الوضوء .. وليصدن
عنى طائفة منكم فلا يصلون .. فأقول : يا رب .. هؤلاء من أصحابى ..
فيجيئنى ملك فيقول : وهل تدري ما أحدثوا بعدك » .

* * *

(١١٠) رواه الشيخان .

(١٠٩) رواه ابن حبان .

(١١١) رواه مسلم .

* الشفاعة الكبرى :

أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم الشفاعة مرتين .. الأولى قبل الحساب اظهارا لكرامته بين الأمم .. والثانية خاصة بأمة صلى الله عليه وسلم .

عن عوف بن مالك الأشجعي رضى الله عنه قال : سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سفرا .. حتى اذا كان في الليل أرقمت عيناى فلم يأتنى النوم .. فقممت فاذا ليس في العسكر دابة الا وضع خده الى الأرض .. وأرى وقع كل شيء في نفسى .. فقلت لآتين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلاكلأنه الليلة حتى أصبح .. فخرجت أتخلل الرجال حتى خرجت من العسكر .. فاذا أنا بسواد فتيممت ذلك السواد .. فاذا هو أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل .. فقالا لى : ما الذى أخرجك ؟ فقلت : الذى أخرجكما ..

فاذا نحن بغيضة منا غير بعيدة .. فمشينا الى الغيضة فاذا نحن نسمع فيها كدوى النحل وكخفيق الرياح .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ههنا أبو عبيدة بن الجراح ؟ قلنا : نعم . قال : ومعاذ بن جبل ؟ قلنا : نعم . قال : وعوف بن مالك ؟ قلنا : نعم . فخرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نسأله عن شيء .. ولا يسألنا عن شيء حتى رجع الى رحله .. فقال : « ألا أخبركم بما خيرنى ربى آنفا ؟ فقلنا : بلى يا رسول الله .. قال : خيرنى بين أن يدخل ثلثى أمتى الجنة بغير حساب ولا عذاب .. وبين الشفاعة .. قلنا : يا رسول الله .. ما الذى اخترت ؟ قال : اخترت الشفاعة . قلنا جميعا : يا رسول الله .. اجعلنا من أهل شفاعتك .. قال : ان شفاعتى لكل مسلم » (١١٢) .

وعند ابن حبان أن الرجلين : معاذ بن جبل وأبا موسى .. وفيه : فقال معاذ رضى الله عنه : بأبى أنت وأمى يا رسول الله .. قد عرفت منزلتى فاجعلنى منهم .. قال : أنت منهم .. قال عوف بن مالك وأبو موسى : يا رسول الله .. قد عرفت أنا تركنا أموالنا وأهلينا وذرائنا .. نوؤمن بالله ورسوله فاجعلنا منهم : قال أنتما منهم ..

(١١٢) رواه الطبرانى وابن حبان .

قال : فأنتهينا الى القوم .. فقال النبي صلى الله عليه وسلم :
 « أتاني آت من ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين
 الشفاعة .. فقال القوم : يا رسول الله .. اجعلنا منهم .. فقال :
 أنصتوا .. فأنصتوا حتى كأن أحدا لم يتكلم .. فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : « هي لمن مات لا يشرك بالله شيئا » ..

وعن سلمان رضى الله عنه قال : « تعطى الشمس يوم القيامة
 حر عشر سنين .. ثم تدنى من جماجم الناس .. قال : فذكر الحديث
 قال : فيأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون : يا نبي الله ..
 أنت الذى فتح الله لك .. وغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ..
 وقد ترى ما نحن فيه فاشفع لنا الى ربك .. فيقول : أنا صاحبكم ..
 فيخرج يجوس بين الناس حتى ينتهى الى باب الجنة .. فيأخذ بحلقة
 فى الباب من ذهب .. فيقرع الباب فيقول : من هذا ؟ فيقول : محمد ..
 فيفتح له حتى يقوم بين يدي الله عز وجل فيسجد فينادى : ارفع
 رأسك .. سل تعطه .. واشفع تشفع .. فذلك المقام المحمود » (١١٣) .

يقول الله تعالى : « أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل
 وقرآن الفجر ، أن قرآن الفجر كان مشهودا • ومن الليل فتعبد به نافلة
 لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا • وقل رب أدخلنى مدخل صدق
 وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا » (١١٤) .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ..
 وبيدى لواء الحمد ولا فخر .. وما من بنى آدم يومئذ فمن سواه
 الا تحت لوائى .. وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر ..
 قال : فيفزع الناس ثلاث فزعات .. فيأتون آدم — فذكر الحديث
 الى أن قال : فيأتونى فأنطلق معهم » .

قال ابن جدعان : قال أنس : فكأنى أنظر الى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال : فأخذ بحلقة باب الجنة فأقعقها — أى أحرکها —
 فيقال : من هذا ؟ فيقال : محمد .. فيفتحون لى ويرحبون فيقولون :
 مرحبا .. فأخر ساجدا فيلهمنى الله من الثناء والحمد .. فيقال لى : ارفع

رأسك .. سل تعطه واشفع تشفع .. وقل يسمع لقولك .. وهو المقام
المحمود الذي قال الله : « عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا » (١١٥) .



وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : كنا مع النبي صلى الله
عليه وسلم في دعوة .. فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه .. فنهس
منها نهسة وقال : « أنا سيد الناس يوم القيامة .. هل تدرون
مم ذاك ؟

يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد .. فيبصرهم الناظر
.. ويسمعهم الداعي .. وتدنو منهم الشمس .. فيبلغ الناس من
الغم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون .. فيقول الناس : ألا ترون
الى ما أنتم فيه وإلى ما بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم ؟

فيقول بعض الناس لبعض : أبوكم آدم .. فيأتونه فيقولون :
يا آدم .. أنت أبو البشر .. خلقك الله بيده .. ونفخ فيك من روحه ..
وأمر الملائكة فسجدوا لك .. وأسكنك الجنة .. ألا تشفع لنا الى ربك ؟
ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا ؟

فقال : ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ..
ولا يغضب بعده مثله .. وانه نهانى عن الشجرة فعصيت .. نفسى
نفسى .. اذهبوا الى غيرى .. اذهبوا الى نوح ..

فيأتون نوحا فيقولون : يا نوح .. أنت أول الرسل الى أهل
الأرض .. وقد سماك الله عبدا شكورا .. ألا ترى الى ما نحن فيه ؟
ألا ترى الى ما بلغنا ؟ ألا تشفع لنا الى ربك ؟

فيقول : ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ..
ولن يغضب بعده مثله .. وانه قد كان لى دعوة دعوت بها على قومى
.. نفسى نفسى .. اذهبوا الى غيرى .. اذهبوا الى ابراهيم ..
فيأتون ابراهيم .. فيقولون : أنت نبي الله وخليله من أهل
الأرض .. اشفع لنا الى ربك .. ألا ترى الى ما نحن فيه ؟
فيقول لهم : ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ..

ولن يغضب بعده مثله .. واني كنت كذبت ثلاث كذبات (١١٦) — فذكرها —
 نفسى نفسى نفسى .. اذهبوا الى غيرى .. اذهبوا الى موسى .
 فيأتون موسى .. فيقولون : يا موسى .. أنت رسول الله فضلك
 الله برسالاته وبكلامه على الناس .. اشفع لنا الى ربك .. ألا ترى
 الى ما نحن فيه ؟

فيقول : ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ..
 ولن يغضب بعده مثله .. واني قد قتلت نفسا لم أؤمر بقتلها ..
 نفسى نفسى نفسى .. اذهبوا الى غيرى .. اذهبوا الى عيسى ..
 فيأتون عيسى .. فيقولون : يا عيسى .. أنت رسول الله
 وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه .. وكلمت الناس في المهد .. اشفع
 لنا الى ربك .. ألا ترى الى ما نحن فيه ؟

فيقول عيسى : ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله
 مثله .. ولن يغضب بعده مثله — ولم يذكر ذنبا — نفسى نفسى نفسى ..
 اذهبوا الى غيرى .. اذهبوا الى محمد — صلى الله عليه وسلم — .
 فيأتونى .. فيقولون : يا محمد .. أنت رسول الله .. وخاتم
 الأنبياء .. وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر .. اشفع لنا الى
 ربك .. ألا ترى الى ما نحن فيه ؟

فلأنطلق فأتى تحت العرش .. فأقع ساجدا لربي .. ثم يفتح
 الله على من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلى ..
 ثم يقال : يا محمد ارفع رأسك .. سل تعطه واشفع تشفع .. فأرفع
 رأسي فأقول : أمتي يا رب .. أمتي يا رب .. أمتي يا رب ..
 فيقال : يا محمد .. أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من
 الباب الأيمن من أبواب الجنة .. وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك
 من الأبواب ..

ثم قال : والذي نفسى بيده .. ان ما بين المصراعين من مصاريع
 الجنة كما بين مكة وهجر .. أو كما بين مكة وبصرى » (١١٧) .

* * *

(١١٦) الأولى : قوله عندما نظر في النجوم : « انى سقيم » والثانية
 قوله عندما حطم الأصنام : « بل فعله كبيرهم هذا » والثالثة : عندما قال
 عن زوجه في مصر : « هي أختي » اتقاء لشر فرعون .
 (١١٧) رواه الشيخان البخارى ومسلم .

وعن أنس رضى الله عنه قال : حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « انى لقائم أنتظر أمتى تعبر — أى على الصراط — اذ جاء عيسى عليه السلام فقال : هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد يسألون — أو قال : يجتمعون اليك — يدعون الله أن يفرق بين جميع الأمم الى حيث يشاء .. لعظم ما هم فيه .. فالخلق ملجمون فى العرق .. فأما المؤمن فهو عليه كالزكمة .. وأما الكافر فيتغشاه الموت .

قال : يا عيسى .. انتظر حتى أرجع اليك .. قال : وذهب نبي الله صلى الله عليه وسلم فقام تحت العرش .. فلقى ما لم يلق منك مصطفى ولا نبي مرسل .. فأوحى الله الى جبريل عليه السلام أن اذهب الى محمد فقل له : ارفع رأسك .. سل تعطه واشفع تشفع ..

قال : فشفعت فى أمتى أن أخرج من كل تسعة وتسعين انسانا واحدا .. قال : فما زلت أتردد على ربي .. فلا أقوم فيه مقاماً الا شفعت .. حتى أعطانى الله من ذلك أن قال : أدخل من أمتك من خلق الله من شهد أن لا اله الا الله يوماً واحدا مخلصاً ثم مات على ذلك » (١١٨) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل من أهل هذه القبلة النار من لا يحصى عددهم الا الله بما عصوا الله واجترأوا على معصيته .. وخالفوا طاعته .. فيؤذن لى فى الشفاعة فأثنى على الله ساجداً كما أثنى عليه قائماً .. فيقال لى : ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع » (١١٩) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان لكل نبي يوم القيامة منبرا من نور .. وانى لعل أطولها وأنورها .. فيجىء مناد ينادى : أين النبي الأمى ؟

فيقول الأنبياء : كلنا نبي أمى .. فالى أيننا أرسل ؟

فيرجع ثانية فيقول : أين النبي الأمى العربى ؟ قال : فينزل محمد صلى الله عليه وسلم حتى يأتى باب الجنة فيقرعه . فيقول : من ؟ فيقول : محمد — أو أحمد — فيقال : أو قد أرسل اليه ؟ فيقول : نعم .. فيفتح له فيدخل .. فيتجلى له الرب تبارك وتعالى ..

ولا يتجلى لشيء قبله .. فيخر الله ساجدا .. ويحمده بمحامد لم يحمده بها أحد ممن كان قبله .. ولن يحمده بها أحد ممن كان بعده .. فيقال له : يا محمد .. ارفع رأسك .. تكلم تسمع واشفع تشفع .. » فذكر الحديث (١٢٠) .

وقد مر بنا حديث حذيفة وأبى هريرة رضى الله عنهما عند ذكر الصراط (١٢١) .. وأوله : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يجمع الله تبارك وتعالى الناس .. قال : فيقوم المؤمنون حتى ترتلف لهم الجنة .. فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة .. فيقول : وهل أخرجكم من الجنة الا خطيئة أبيكم ؟ لست بصاحب ذلك .. اذهبوا الى ابني ابراهيم خليل الله ..

قال : فيقول ابراهيم : لست بصاحب ذلك .. انما كنت خليلا من وراء وراء .. اعمدوا الى موسى الذى كلمه الله تكليما .. قال : فيأتون موسى فيقول : لست بصاحب ذلك .. اذهبوا الى عيسى كلمة الله وروحه ..

فيقول عيسى : لست بصاحب ذلك .. فيأتون محمدا — صلى الله عليه وسلم — فيقوم فيؤذن له .. وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً .. » — ثم ذكر الحديث (١٢٢) .



روى أبو سعيد رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لا يموتون ولا يحيون .. ولكن نابس أصابتهم النار بذنوبهم — أو قال : بخطاياهم — فأما تتهم أماتة حتى اذا كانوا فحماً .. أذن بالشفاعة فجىء بهم ضبائر ضبائر .. فبثوا على أنهار الجنة .. ثم قيل : يا أهل الجنة .. أفيضوا عليهم .. فينبتون نبات الحبة فى حميل السيل » فقال رجل من القوم : كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان بالبادية (١٢٣) .

وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(١٢٠) رواه ابن حبان . (١٢١) انظر ص ٢٨٣

(١٢٢) رواه مسلم ولم يذكر فيه نوحاً عليه السلام .

(١٢٣) رواه مسلم .

« يخرج من النار قوم بالشفاعة كأنهم الثعاريير .. قلنا : وما الثعاريير ؟
قال : الضغابيث » (١٢٤) .

[والضعبوث : ولد الثعلب أو الرجل الضعيف] .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « يخلص المؤمنون من النار .. فيحبسون على قنطرة بين الجنة
والنار .. فيقضى لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا ..
حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة .. فوالذى نفس
محمد بيده .. لأحدهم أهدي بمنزله فى الجنة منه بمنزله كان فى
الدنيا » (١٢٥) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « يدخل الجنة من أمتى زمرة .. سبعون ألفاً تضىء وجوههم
أضائة القمر ليلة البدر » فقام عكاشة بن محصن الأسدى فرفع نمرة
عليه فقال : يا رسول الله .. ادع الله أن يجعلنى منهم . قال : « اللهم
اجعله منهم » .. ثم قام رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله ..
ادع الله أن يجعلنى منهم . قال : « سبقك عكاشة » (١٢٦) .

وعن سلمان رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « لا يدخل الجنة أحد الا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم ..
كتاب من الله لفلان ابن فلان .. أدخلوه جنة عالية .. قطوفها
دانية » (١٢٧) .

وروى أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « أتى باب الجنة يوم القيامة .. فأستفتح فيقول الخازن :
من أنت ؟ فأقول : محمد .. فيقول : بك أمرت أن لا أفتح لأحد
قبلك » (١٢٨) .

* * *

• رواه البخارى (١٢٥)

• رواه الطبرانى (١٢٧)

• رواه الشيخان (١٢٤)

• رواه الشيخان (١٢٦)

• رواه مسلم (١٢٨)

* آخر أهل الجنة دخولا :

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انى لأعلم آخر أهل النار خروجا منها .. وآخر أهل الجنة دخولا الجنة .. رجل يخرج من النار حبوا .. فيقول الله تعالى له : اذهب فادخل الجنة .. فيأتيها فيخيل اليه أنها ملأى .. فيرجع فيقول : يا رب .. وجدتها ملأى .. »

فيقول الله : اذهب فادخل الجنة .. فان لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها — أو : ان لك مثل عشرة أمثال الدنيا — فيقول : أتسخر بى — أو تضحك بى — وأنت الملك ؟

يقول ابن مسعود : فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فكان يقول : « ذلك أدنى أهل الجنة منزلة » (١٢٩)

وعنه أيضا .. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشى مرة ويكبو مرة .. وتسفحه النار — أى تلفحه — فاذا جاوزها التفت اليها فقال : تبارك الذى نجانى منك .. لقد أعطانى الله شيئا ما أعطاه أحدا من الأولين والآخرين .

فترفع له شجرة .. فيقول : يا رب .. أدننى من هذه الشجرة فلاستظل بظلها وأشرب من مائها .. فيقول الله تعالى : لعلنى ان أعطيتكها تسألنى غيرها ؟ .. فيقول : لا يا رب .. ويعاهده ألا يسأله غيرها .. وربى تعالى يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليه .. فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ..

ثم ترفع له شجرة هى أحسن من الأولى .. فيقول : أى رب .. أدننى من هذه الشجرة لأشرب من مائها وأستظل بظلها .. لا أسألك غيرها .. فيقول : يا ابن آدم .. ألم تعاهدنى أن لا تسألنى غيرها ؟ ويقول : لعلنى ان أدنيتك منها تسألنى غيرها .. فيعاهده أن لا يسأله غيرها .. وربى تعالى يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليه .. فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ..

(١٢٩) رواه الشيخان والترمذى .

ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين ..
فيقول : يا رب .. أدنى من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها ..
لا أسألك غيرها .. فيقول : يا ابن آدم .. ألم تعاهدني أن لا تسألني
غيرها ؟ .. قال : بلى يا رب .. هذه لا أسألك غيرها .. وربّه تعالى
يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها ..

فاذا أدناه منها .. سمع أصوات أهل الجنة .. فيقول : أى رب ..
أدخلني بها .. فقال : يا ابن آدم .. ما يصرينى منك — أى ما الذى
يرضيك ويقطع مسألتك — أيرضيك أن أعطيك قدر الدنيا ومثلها معها ؟

قال : يا رب .. أتستهزئ منى وأنت رب العالمين ؟

فيضحك ابن مسعود .. ويقول : ألا تسألونى مم أضحك ؟ ..
فقالوا : مم تضحك ؟ قال : هكذا ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا : مم تضحك يا رسول الله ؟ فقال : من ضحك رب العالمين حين
قال : أتستهزئ منى وأنت رب العالمين .. فيقول : لا أستهزئ منى ..
ولكنى على ما أشاء قدير « (١٣٠) » .

* * *

وصدق الله العظيم القائل : « وما قدرُوا الله حق قدره والأرض
جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى
عما يشركون » .

« ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض الا من
شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون » .

« وأشرقَت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجىء بالنبيين
والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون » . ووفيت كل نفس ما عملت
وهو أعلم بما يفعلون » .

« وسيق الذين كفروا الى جهنم زمراً ، حتى اذا جاءوها فتحت
أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم
وينذرونكم لقاء يومكم هذا ، قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على
الكافرين » . قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها ، فبئس مثوى المتكبرين » .

(١٣٠) رواه مسلم .

« وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا ، حتى اذا جاءوها
وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين .
وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة
حيث نشاء ، فنعم أجر العاملين .

« وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم ،
وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين » (١٣١) .

* * *

نهاية المطاف .. جنة أو نار !!

* الجنة « جعلنا الله من أهلها » :

يقول الله تعالى : « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ، ولهم فيها أزواج مطهرة ، وهم فيها خالدون » (١) .

ويقول : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » (٢) .

ويقول : « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » (٣) .

ويقول تعالى : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا تكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة ، هم فيها خالدون . ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار ، وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق ، ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون » (٤) .

ويقول : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ، ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ، أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » (٥) .

ويقول : « وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد . هذا ما توعدون لكل أبواب حفيظ . من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب . ادخلوها بسلام ، ذلك يوم الخلود . لهم ما يشاءون فيها ، ولدينا مزيد » (٦) .

ويقول جل شأنه : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا . أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الأرائك ، نعم الثواب وحسنت مرتفقا » (٧) .

(٢) آل عمران : ١٣٣
(٤) الأعراف : ٤٢ ، ٤٣
(٦) سورة ق : ٣١ — ٣٥

(١) البقرة : ٢٥
(٣) السجدة : ١٧
(٥) يونس : ٢٦
(٧) الكهف : ٣٠ ، ٣١

ويقول : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا • خالدين فيها لا ينفون عنها حولا » (٨) •

ويقول جل وعلا : « الا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا • جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب ، انه كان وعده مأتيا • لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ، ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا • تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا » (٩) •

ويقول : « ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ، ولباسهم فيها حرير • وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد » (١٠)

* * *

يا للروعة •• جنات عرضها السموات والأرض ؟!
جنات •• ذات أشجار وثمار •• تتخللها الأنهار العذبة التي تجري تحت أشجارها وقصورها !!
ثمرات أشجارها متشابهة في الشكل والجنس •• متميزة في الطعم واللذة !!

ولهم فيها زوجات طاهرات •• كاملات الطهارة •• ليس فيهن ما يعاب !!

جنات عدن •• وجنات الفردوس ؟!
لا يلبسون فيها الا الحرير !!
والملائكة تترينهم بأساور الذهب واللؤلؤ !!
يتكئون فيها على السرر الوفيرة •• بين الوسائد والستر !!
ورزقهم فيها مكفول •• لهم فيها كل ما يشتهون •• وما أعده الله لهم من النعيم لا يخطر على قلب بشر •• ولديه تعالى لهم المزيد من الأفضال والتكريم !!

لا تعلم نفس مقدار ما أعد الله لهم من نعيم عظيم •• لتقر به أعينهم جزاء بما كسبوا من الطاعة والأعمال الصالحة في دنياهم ••
خالدين فيها •• فلا موت ، ولا فناء ، ولا طرد ، ولا أبعاد !!
طهرهم الله تعالى •• فأخرج من قلوبهم الغل والحسد ••
ولا تغشى وجوههم كآبة من هم أو هوان ••

(٩) مريم : ٦٠ - ٦٣

(٨) الكهف : ١٠٧ ، ١٠٨

(١٠) الحج : ٢٣ ، ٢٤

اخوان متحابين .. يعاشرون بعضهم بعضا بالمحبة والسلام ..
لا يسمعون الا خيرا وأمنا .. ولا يجري بينهم لغو في حديث ..
أهمهم الله تعالى الطيب من القول .. والحميد من الفعال ..
يسبحونه تعالى ويقدمونه ويشكرونه ..

لسانهم يلهج في كل وقت وآن : الحمد لله الذي دلنا على طريق
هذا النعيم .. ووفقنا الى سلوكه واتباعه .. فلو لا أنه تعالى هدانا
بارسال الرسل .. ووفقنا الى اتباعهم .. ما كان باستطاعتنا أن نوفق
الى الهداية ..

لقد صدقنا رسلنا وما كذبونا .. لقد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ..
... ولماذا كل هذا يا رب ؟؟

... لأنهم آمنوا وعملوا الصالحات ..
سبحانك ربى .. ما أعذك .. وما أعظمك .. وما أكرمك ..
وهل كانت هدايتهم للإيمان الا بفضلك ؟؟
وهل عملوا الصالحات الا بتوفيقك ؟؟
ولكنه الكريم .. تجلى على عباده الصالحين بكرمه وفضله ..

* * *

ويقول تعالى واصفا حال أهل الجنة : « والذين آمنوا وعملوا
الصالحات لنبوئهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ،
نعم أجر العاملين • الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون » (١١) •
ويقول : « ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون • هم
وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون • لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون •
سلام قولا من رب رحيم » (١٢) •

ويقول : « وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا ، حتى اذا
جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها
خالدين • وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوا من
الجنة حيث نشاء ، فنعم أجر العاملين • وترى الملائكة حافين من حول
العرش يسبحون بحمد ربهم ، وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله
رب العالمين » (١٣) •

(١٢) يس : ٥٥ — ٥٨

(١١) العنكبوت : ٥٨ ، ٥٩

(١٣) الزمر : ٧٣ — ٧٥

ويقول : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون . نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون . نزلا من غفور رحيم » (١٤) .

ويقول جل شأنه : « يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون . الذين آمنوا وبآياتنا وكانوا مسلمين . ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون . يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب ، وفيها ما تشتهيہ الأنفس وتلذ الأعين ، وأنتم فيها خالدون . وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون . لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون » (١٥) .

ويقول تعالى : « ان المتقين فى مقام أمين . فى جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين . كذلك وزوجناهم بحور عين . يدعون فيها بكل فاكهة آمنين . لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى ، ووقاهم عذاب الجحيم . فضلا من ربك ، ذلك هو الفوز العظيم » (١٦) .

ويقول : « والسابقون السابقون . أولئك المقربون . فى جنات النعيم . ثلة من الأولين . وقليل من الآخرين . على سرر موضونة . متكئين عليها متقابلين . يطوف عليهم ولدان مخلدون . بأكواب وأباريق وكأس من معين . لا يصدعون عنها ولا ينزفون . وفاكهة مما يتخيرون . ولحم طير مما يشتهون . وحور عين . كأمثال اللؤلؤ المكنون . جزاء بما كانوا يعملون . لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما . الا قبيلا سلاما سلاما . وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين . فى سدر مخضود . وطلح منضود . وظل ممدود . وماء مسكوب . وفاكهة كثيرة . لا مقطوعة ولا ممنوعة . وفرش مرفوعة . انا أنشأناهم انشاء . فجعلناهم أبناء . عريا أترابا . لأصحاب اليمين . ثلة من الأولين . وثلة من الآخرين » (١٧) .

ويقول جل وعلا : « مثل الجنة التي وعد المتقون ، فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم » (١٨) .

(١٥) الزخرف : ٦٨ — ٧٣

(١٦) الواقعة : ١٠ — ٤٠

(١٤) فصلت : ٣٠ — ٣٢

(١٦) الدخان : ٥١ — ٥٧

(١٨) محمد : ١٥

ويقول : « ان المتقين في جنات ونعيم • فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم • كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون • متكئين على سرر مصفوفة ، وزوجناهم بحور عين • والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء ، كل امرئ بما كسب رهين • وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون • يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم • ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون » (١٩) •

... ولماذا كل هذا يا رب ؟؟

... لأنهم آمنوا وعملوا الصالحات ••

ما أعبدك يا ربى •• وما أعظمك •• وما أكرمك •• سبحانك سبحانك ••

وحسبنا أن نقرأ معا في سورة الرحمن (٢٠) : وصف ما أعده الله تعالى لعباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات •• من الجنات والنعيم •• مما لا عين رأت •• ولا أذن سمعت •• ولا خطر على قلب بشر ••

* * *

روى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لما خلق الله الجنة قال لجبريل : اذهب فانظر اليها •• فذهب فنظر اليها فقال : وعزتك •• لا يسمع بها أحد الا دخلها ••

فحفها بالمكاره • فقال : اذهب فانظر اليها •• فذهب فنظر اليها فقال : وعزتك •• لخشيت أن لا يدخلها أحد ••

ولما خلق النار قال لجبريل : اذهب فانظر اليها • فذهب فنظر اليها فقال : وعزتك •• لا يسمع بها أحد فيدخلها ••

فحفها بالشهوات • فقال : اذهب فانظر اليها •• فذهب فنظر اليها فلما رجع قال : وعزتك •• لقد خشيت ألا يسلم منها أحد الا دخلها » (٢١) •

(١٩) الطور : ١٧ — ٢٤

(٢٠) الآيات من ٤٦ — ٧٨ في سورة الرحمن •

(٢١) رواه أبو داود والترمذي والنسائي •

وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام .. والله لا يجدها عاق ولا قاطع
رحم » (٢٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « ان أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ..
والذين يلونهم على أشد كوكب درى في السماء اضاءة .. لا يبولون
ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يتقلون .. أمشاطهم الذهب .. ورشحهم
المسك .. ومجامرهم الألوة .. أزواجهم الحور العين .. أخلاقهم
على خلق رجل واحد .. على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في
السماء » .

وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول زمرة
تتلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر .. لا يبصقون فيها
ولا يمتخطون ولا يتغوطون .. أنيتهم فيها الذهب .. أمشاطهم من
الذهب والفضة .. ومجامرهم الألوة ورشحهم المسك .. لكل واحد
منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن .. لا اختلاف
بينهم ولا تباغض .. قلوبهم قلب واحد يسبحون بكرة وعشيا » (٢٣) .

[الرشع : العرق ، والمجامر : مواضع البخور ، والألوة : العود] .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« يدخل أهل الجنة الجنة جرذا مردا بيضا جعادا مكطين .. أبناء
ثلاث وثلاثين .. وهم على خلق آدم ستون ذراعا في عرض سبعة
أذرع » (٢٤) .

وعن المقدام رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « ما من أحد يموت سقطا ولا هرما — وانما الناس فيما بين
ذلك — الا بعث ابن ثلاث وثلاثين سنة .. فان كان من أهل الجنة
كان على مسحة آدم .. وصورة يوسف .. وقلب أيوب ، ومن كان
من أهل النار عظموا وفخموا كالجبال » (٢٥) .

(٢٢) رواه الطبراني .

(٢٣) رواه الشيخان والترمذي وابن ماجه .

(٢٤) رواه احمد وابن أبى الدنيا والطبراني والبيهقي .

(٢٥) رواه البيهقي .

وعن المغيرة بن شعبه رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم :
« أن موسى عليه السلام سأل ربه : ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟

فقال : رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة .. فيقال له :
ادخل الجنة .. فيقول : رب .. كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا
أخذاتهم ..

فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ ..
فيقول : رضيت رب .. فيقول له : لك ذلك ومثله ومثله ومثله ..
فقال في الخامسة : رضيت رب ..

فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله .. ولك ما اشتئت نفسك ..
ولدت عينك .

فيقول : رضيت رب .. قال — أى موسى — : رب فأعلاهم منزلة ؟

قال : أولئك الذين أردت .. غرست كرامتهم بيدي .. وختمت
عليها .. فلم تر عين .. ولم تسمع أذن .. ولم يخطر على قلب بشر » (٢٦)
وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « ان أسفل أهل الجنة أجمعين درجة .. لمن يقوم على
رأسه عشرة آلاف خادم .. بيد كل واحد صحفتان واحدة من ذهب
والأخرى من فضة .. فى كل واحدة لون ليس فى الأخرى مثله ..
يأكل من آخرها مثل ما يأكل من أولها .. يجد لآخرها من الطيب
واللذة مثل الذى يجد لأولها .. ثم يكون ذلك ريح المسك الأذهر ..
لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون .. اخوانا على سرر متقابلين » (٢٧)

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال لنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « ألا أحدثكم بغرف الجنة ؟ قال : قلت : بلى
يا رسول الله .. بأبينا أنت وأما .. قال : ان فى الجنة غرفا من أصناف
الجواهر كله .. يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها .. فيها
من النعيم واللذات والشرف : ما لا عين رأت ولا أذن سمعت . قال
تأت : لمن هذه الغرف ؟ قال : لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وأدام
الصيام وصلى بالليل والناس نيام » (٢٨) .

(٢٦) رواه مسلم .

(٢٧) رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى .

(٢٨) رواه البيهقى .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قلنا : يا رسول الله .. حدثنا عن الجنة .. ما بناؤها ؟ قال : « لبنة ذهب ولبنة فضة .. وملاطها المسك .. وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت .. وترابها الزعفران .. من يدخلها ينعم ولا يبأس .. ويخلد لا يموت .. ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه » (٢٩) .

وروى ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة موقوفا قال : « حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة .. ودرجها الياقوت واللؤلؤ .. قال : وكنا نحدث أن رضراض — أى حصى — أنهارها اللؤلؤ وترابها الزعفران » .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : « لكل مسلم خيرة .. ولكل خيرة خيمة ولكل خيمة أربعة أبواب .. يدخل عليها من كل باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن قبل ذلك لا مرحات ولا دفرات ولا سخرات ولا طماحات .. حور عين كأنهن بيض مكنون » (٣٠) .

[يصف الحور العين بأنهن « لا مرحات » : أى فرجهن طبيعى ليس عندهن بطر ، « ولا دفرات » : أى ليس فيهن قذارة أو نتانة أو وساخة ، « ولا سخرات » : أى طائعات مؤدبات محترمات أخلاقهن عالية فلا يستهزئن بأحد ، « ولا طماحات » : أى ناغرات جموحات] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : « حور مقصورات فى الخيام » (٣١) قال : « الخيمة من درة مجوفة .. طولها فرسخ .. ولها ألف باب من ذهب .. حولها سرادق دوره خمسون فرسخا .. يدخل عليه من كل باب منها ملك بهدية من عند الله عز وجل » (٣٢) . وفى رواية للبيهقى قال : « الخيمة درة مجوفة فرسخ فى فرسخ .. لها أربعة آلاف مصراع من ذهب » .

وروى عبادة بن الصامت رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان فى الجنة مائة درجة .. ما بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والأرض .. والفردوس أعلى درجة منها .. تفجر أنهار الجنة الأربعة .. ومن فوقها يكون العرش .. فإذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس » .

(٢٩) زواه أحمد والترمذى والبزار والطبرانى وابن حبان .

(٣٠) رواه ابن أبي الدنيا . (٣١) الرحمن : ٧٢

(٣٢) رواه ابن أبي الدنيا .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله عز وجل :
« انا أعطيناك الكوثر » (٣٣) قال : « هو نهر في الجنة عمقه سبعون
 ألف فرسخ .. ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل .. شاطئاه
 اللؤلؤ والزبرجد والياقوت .. ! خص الله به نبيه صلى الله عليه وسلم
 قبل الأنبياء » (٣٤) .

وعن سماك أنه لقي عبد الله بن عباس رضى الله عنهم بالمدينة
 بعد ما كف بصره .. فقال : يا ابن عباس .. ما أرض الجنة ؟ قال :
 مرمرة بيضاء من فضة كأنها مرآة .. قلت : ما نورها ؟ قال : ما رأيت
 الساعة التي يكون فيها طلوع الشمس ؟ .. فذلك نورها الا أنه ليس
 فيها شمس ولا زمهرير .. قال قلت : فما أنهارها .. أفى أخدود ؟
 قال : لا .. ولكنها تجرى على أرض الجنة مستكفة — أى سخية
 معطية — لا تقيض ههنا ولا ههنا .. قال الله لها كونى فكانت ..
 قلت : فما حلل الجنة ؟ قال : فيها شجرة فيها ثمر كأنه الرمان ..
 فإذا أراد ولى الله منها كسوة انحدرت اليه من غصنها فانفلقت له عن
 سبعين حلة ألوانا بعد ألوان .. ثم تنطبق فترجع كما كانت » (٣٥) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « الظل الممدود شجرة في الجنة
 على ساق قدر ما يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام في كل نواحيها ..
 فيخرج أهل الجنة أهل الغرف وغيرهم فيتحدثون في ظلها .. قال :
 فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحا من الجنة .. فتحرك
 تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا » (٣٦) .

وعن عتبة بن عبد رضى الله عنه قال : جاء أعرابى الى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقال : ما حوضك الذي تحدث عنه ؟ — فذكر الحديث
 الى أن قال — : فقال الأعرابى : يا رسول الله .. فيها فاكهة ؟ قال :
 نعم .. وفيها شجرة تدعى طوبى هي تطابق الفردوس .. فقال :
 أى شجر أرضنا تشبه ؟ قال : ليس تشبه شيئا من شجر أرضك ..
 ولكن أتيت الشام ؟ قال : لا يا رسول الله .. قال : فانها تشبه شجرة
 بالشام تدعى الجوزة تنبت على ساق واحدة .. ثم ينتشر أعلاها ..
 قال : فما عظم أصلها ؟ قال : لو ارتحلت جذعة من ابل أهلك لما قطعنها

(٣٤) رواه ابن أبى الدنيا .

(٣٦) رواه ابن أبى الدنيا .

(٣٣) الكوثر : ١

(٣٥) رواه ابن أبى الدنيا .

حتى تتكسر ترقوتها هرما .. قال : فيها عيب ؟ قال : نعم . قال :
 فما عظم العنقود منها ؟ قال : مسيرة شهر للغراب الأبقع لا يقع
 ولا ينثنى ولا يفتر . قال : فما عظم الحبة منه ؟ قال : هل ذبح أبوك
 تيسا من غنمه عظيما فسلخ اهابه فأعطاه أمك فقال ادبغى هذا ثم
 افرى لنا منه ذنوبا يروى ماشيتنا ؟ قال : نعم .. فان تلك الحبة
 تشبعنى وأهل بيتى .. فقال النبى صلى الله عليه وسلم : وعامة
 عشيرتك » (٣٧) .

وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : « ان فى الجنة شجرة جذوعها من ذهب وفروعها
 من زبرجد ولؤلؤ .. فتهب لها ريح فتصطفق فما سمع السامعون
 بصوت شىء قط ألد منه » (٣٨) .

وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « يأكل أهل الجنة ويشربون .. ولا يمتخطون ولا يتغوطون ولا يبولون
 .. طعامهم ذلك جشاء كريح المسك .. يلهمون التسبيح والتكبير كما
 يلهمون النفس » (٣٩) .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال : « ان الرجل من أهل الجنة
 ليشتهى الشراب من شراب الجنة فيجىء الابريق فيقع فى يده فيشرب ..
 ثم يعود الى مكانه » (٤٠) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : « ان أدنى أهل الجنة منزلة ان له لسبع درجات وهو على
 السادسة وفوقه السابعة .. ان له لثلاثمائة خادم .. ويغدى عليه
 كل يوم ويراح بثلاثمائة صحفة — ولا أعلمه الا قال من ذهب —
 فى كل صحفة لون ليس فى الأخرى .. وانه ليلذ أوله كما يلذ آخره ..
 ومن الأثرية ثلاثمائة اناء .. فى كل اناء لون ليس فى الآخر .. وانه
 ليلذ أوله كما يلذ آخره .. وانه ليقول : يا رب .. لو أذنت لى لأطعمت
 أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما عندى شىء » (٤١) .

(٣٧) رواه الطبرانى والبيهقى وابن حبان وأحمد .

(٣٨) رواه مسلم وأبو داود .

(٣٨) رواه أبو نعيم .

(٤١) رواه أحمد .

(٤٠) رواه ابن أبى الدنيا .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ان طير الجنة كأمثال البخت .. ترعى من شجر الجنة .. فقال
أبو بكر : يا رسول الله .. ان هذه لطير ناعمة .. فقال : أكلتها أنعم
منها — قالها ثلاثا — وانى لأرجو أن تكون ممن يأكل منها » (٤٢) .

وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « انك لتنظر الى الطير فى الجنة فتشتيه ..
فيجىء مشويا بين يديك » (٤٣) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
« من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس .. لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ..
فى الجنة مالا عين رأت .. ولا أذن سمعت .. ولا خطر على قلب
بشر » (٤٤) .

وعن شريح بن عبيد رضى الله عنه قال : قال كعب : « لو أن ثوبا
من ثياب أهل الجنة لبس اليوم فى الدنيا لصعق من ينظر اليه وما حملته
أبصارهم » (٤٥) .

وعن أنس رضى الله عنه يرفعه : « ... ولو اطلعت امرأة من نساء
أهل الجنة الى الأرض لمألت ما بينهما ريحا .. ولأضاعت ما بينهما ..
ولنصيفها — أى خمارها — على رأسها خير من الدنيا وما فيها » (٤٦) .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه
وسلم فى قوله تعالى : « وفرش مرفوعة » (٤٧) .. قال : « ارتفاعها
كما بين السماء والأرض .. ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام » (٤٨) .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه فى قوله عز وجل : « بطائنها من
استبرق » (٤٩) قال : « أخبرتم بالبطائن .. فكيف بالظواهر » (٥٠) .

* * *

(٤٢) رواه أحمد .

(٤٣) رواه ابن أبى الدنيا والبخارى والبيهقى .

(٤٤) رواه مسلم . (٤٥) رواه ابن أبى الدنيا .

(٤٦) رواه البخارى ومسلم . (٤٧) الواقعة : ٣٤ .

(٤٨) رواه ابن أبى الدنيا والترمذى .

(٤٩) الرحمن : ٥٤ . (٥٠) رواه البيهقى .

ولا يزال في صفات الجنة وما أعدّه الله فيها لعباده المتقين من
نعيم مقيم .. لا يزال الكثير والكثير .. يقول الله تعالى وهو أصدق
القائلين :

« ان الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا • عينا يشرب
بها عباد الله يفجرونها تفجيرا • يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره
مستظيرا • ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا • انما
نطمعكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا • انا نخاف من ربنا يوما
عبوسا قمطريرا • فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسورا •
وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا • متكئين فيها على الأرائك ، لا يرون فيها
شمسا ولا زمهريرا • ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا • ويطاف
عليهم بأنية من فضة وأكواب كانت قواريرا • قواريرا من فضة قدروها
تقديرا • ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا • عينا فيها تسمى
سلسبيلا • ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا
منثورا • واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا • عاليهم ثياب سندس
خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا •
ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا » (٥١) .

ويقول : « ان للمتقين مفازا • حدائق وأعنابا • وكواعب أترابا •
وكأسا دهاقا • لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا • جزاء من ربك عطاء
حسابا » (٥٢) .

ويقول جل شأنه : « ان الأبرار لفي نعيم • على الأرائك ينظرون •
تعرف في وجوههم نضرة النعيم • يسقون من رحيق مختوم • ختامه
مسك ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون • ومزاجه من تسنيم • عينا
يشرب بها المقربون » (٥٣) .

ويقول : « وجوه يومئذ ناعمة • لسهيها راضية • في جنة عالية •
لا تسمع فيها لاغية • فيها عين جارية • فيها سرر مرفوعة • وأكواب
موضوعة • ونمارق مصفوفة • وزرابى مبثوثة » (٥٤) .

(٥٢) النبأ : ٣١ — ٣٦

(٥٤) الغاشية : ٨ — ١٦

(٥١) الانسان : ٥ — ٢٢

(٥٣) المطففين : ٢٢ — ٢٨

ويقول جل وعلا : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية • جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك لمن خشى ربه » (٥٥) •



عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ألا أخبركم بأفضل أهل الجنة درجة ؟ قالوا : بلى يا رسول الله • قال : رجل يدخل من باب الجنة فيلتقاه غلمان • فيقولون : مرحبا بسيدينا • • قد آن لك أن تزورنا • • قال : فتمد له الزرابى — أى البسط والطنافس الفاخرة والأثاث والرياش — أربعين سنة • • ثم ينظر عن يمينه وشماله فيرى الجنان • • فيقول : لمن ما ههنا ؟ فيقال : لك • •

حتى اذا انتهى رفعت له ياقوتة حمراء — أو زبرجدة خضراء — لها سبعون شعبا — أى طريقا — فى كل شعب سبعون غرفة • • فى كل غرفة سبعون بابا • • فيقال : اقرأ وارقه • • فيرقى حتى اذا انتهى الى سرير ملكه • • اتكأ عليه • • سعته ميل فى ميل • • له فيه قصور • • فيسعى اليه بسبعين صحيفة من ذهب • • ليس فيها صحيفة فيها من لون أختها • • يجد لذة آخرها كما يجد لذة أولها • • ثم يسعى اليه بألوان الأشربة • • فيشرب منها ما اشتهى • •

ثم يقول الغلمان : اتركوه وأزواجه • • فينطلق الغلمان ثم ينظر • • فاذا حوراء من الحور العين • • جالسة على سرير ملكها • • عليها سبعون حلة ليس منها حلة من لون صاحببتها • • فيرى مخ ساقها من وراء اللحم والدم والعظم والكسوة فوق ذلك • • فينظر اليها فيقول : من أنت ؟ فتقول : أنا من الحور العين من اللاتى خبئن لك • • فينظر اليها أربعين سنة لا يصرف بصره عنها • •

ثم يرفع بصره الى الغرفة • • فاذا أخرى أجمل منها • • فتقول : ما آن لك أن يكون لنا منك نصيب ؟ • • فيرتقى اليها أربعين سنة لا يصرف بصره عنها • •

ثم اذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ • • وظنوا أن لا نعيم أفصل منه • • تجلى لهم الرب تبارك اسمه • • فينظرون الى وجه الرحمن • • فيقول :

يا أهل الجنة .. هلاوني — أى سبحوا وكبروا — فيتجاوبون بتهليل الرحمن ..

ثم يقول : يا داود .. قم فمجدنى كما كنت تمجدنى فى الدنيا ..
قال : فيمجد داود ربه عز وجل « (٥٦) » .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حدثنى جبريل عليه السلام قال : يدخل الرجل على الحوراء فتستقبله بالمعانقة والمصافحة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فبأى بنان تعاطيه .. لو أن بعض بنانها بدا لغلب ضوؤه ضوء الشمس والقمر .. ولو أن طاقة من شعرها بدت للآت ما بين المشرق والمغرب من طيب ريحها ..

فبينما هو متكئ معها على أريكته .. إذ أشرف عليه نور من فوقه .. فيظن أن الله عز وجل قد أشرق على خلقه .. فاذا حوراء تناديه : يا ولى الله .. أما لنا فيك من دولة ؟ فيقول : من أنت يا هذه ؟ فتقول : أنا من اللواتى قال الله تبارك وتعالى : « ولدينا مزيد » (٥٧) ..

فيتحول عندها .. فاذا عندها من الجمال والكمال ما ليس مع الأولى .. فبينما هو متكئ معها على أريكته .. واذا حوراء أخرى تناديه : يا ولى الله .. أما لنا فيك من دولة ؟ .. فيقول : من أنت يا هذه ؟ فتقول : أنا من اللواتى قال الله عز وجل : « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » (٥٨) فلا يزال يتحول من زوجة الى زوجة « (٥٩) » .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : « كأنهن الياقوت والمرجان » (٦٠) قال : « ينظر الى وجهه فى خدها أصفى من المرآة .. وان أدنى لؤلؤة عليها لتضىء ما بين المشرق والمغرب .. وانه ليكون عليها سبعون حلة ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك » (٦١) .

(٥٧) سورة ق : ٣٥

(٥٦) رواه ابن أبى الدنيا .

(٥٨) السجدة : ١٧

(٥٩) رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٦٠) الرحمن : ٥٨

(٦١) رواه أحمد وابن حبان والبيهقى .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كنا جلوسا مع كعب يوما .. فقال : « لو أن يدا من الحور من السماء ببياضها وخواتيمها دلّيت للأضياء لها الأرض كما تضيء الشمس لأهل الدنيا .. ثم قال : انما قلت يدها .. فكيف بالوجه بياضه وحسنه وجماله وتاجه وياقوته ولؤلؤه وزبرجده » (٦٢) .

وروى عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضى عنها قالت : قلت : يا رسول الله .. أخبرنى عن قول الله عز وجل : « وهور عين » (٦٣) ؟

قال : بيض عين ضخم .. شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر ..

قلت : يا رسول الله .. فأخبرنى عن قول الله عز وجل : « كأنهن الياقوت والمرجان » ؟

قال : صفاؤهن كصفاء الدر الذى فى الأصداق الذى لا تمسه الأيدي ..

قلت : يا رسول الله .. فأخبرنى عن قول الله عز وجل : « فيهن خيرات حسان » (٦٤) ؟

قال : خيرات الأخلاق .. حسان الوجوه .

قلت : يا رسول الله .. فأخبرنى عن قول الله عز وجل : « كأنهن بيض مكنون » (٦٥) .

قال : رقتهن كرقعة الجلد الذى فى داخل البيضة مما يلى القشر .. قلت : يا رسول الله .. فأخبرنى عن قول الله عز وجل : « عربا أترابا » (٦٦) ؟

قال : هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز .. رمصا شمطا .. خالقهن الله بعد الكبر فجعلن عذارى .. عربا متعشقات متحبيات .. أترابا على ميلاد واحد ..

قلت : يا رسول الله .. أنساء الدنيا أفضل أم الحور العين ؟

(٦٣) الواقعة : ٢٢

(٦٥) الصافات : ٤٩

(٦٢) رواه ابن أبى الدنيا .

(٦٤) الرحمن : ٧٠

(٦٦) الواقعة : ٣٧

قال : نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة ..

قلت : يا رسول الله .. وبم ذاك ؟

قال : بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله عز وجل .. ألبس الله عز وجل وجوههن النور .. وأجسادهن الحرير .. بيض الألوان .. خضر الثياب .. صفر الحلى .. مجامرهن الدر .. وأمشاطهن الذهب .. يقلن : ألا نحن الخالدات فلا نموت أبدا .. ألا نحن الناعمات فلا نبأس أبدا .. ألا ونحن المقيمات فلا نطعن أبدا .. ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا .. طوبى لمن كناله وكان لنا ..

قلت : يا رسول الله .. المرأة منا تتزوج الزوجين والثلاثة والأربعة في الدنيا .. ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها .. من يكون زوجها منهم ؟

قال : يا أم سلمة .. انها تخير فتختار أحسنهم خلقا .. فتقول : أى رب .. ان هذا كان أحسنهم معى خلقا فى دار الدنيا فزوجنيه .. يا أم سلمة .. ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة » (٦٧) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن الأصوات سمعها أحد قط .. ان مما يغنين به : نحن الخيرات الحسان .. أزواج قوم كرام .. ينظرون بقرة أعيان .. وان مما يغنين به : نحن الخالدات فلا نمته .. نحن الآمات فلا نخفنه .. نحن المقيمات فلا نطعنه » (٦٨) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « ان فى الجنة نهرا طول الجنة .. حافتاه العذارى قيام متقابلات .. يغنين بأحسن أصوات يسمعها الخلائق .. حتى ما يرون أن فى الجنة لذة مثلها ..

قلنا : يا أبا هريرة .. وما ذاك الغناء ؟

قال : ان شاء الله : التسبيح والتحميد والتقديس .. وثناء على الرب عز وجل » (٦٩) .

(٦٧) رواه الطبرانى فى الكبير والوسط .

(٦٨) رواه الطبرانى . (٦٩) رواه البيهقى .

وعن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة .. فقال أبو هريرة :
أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة •
قال سعيد : أو فيها سوق ؟

قال : نعم .. أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« ان أهل الجنة اذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم .. فيؤذن
لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا .. فيزورون الله ويبرز لهم
عرشه .. ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة .. فتوضع لهم
منابر من نور .. ومنابر من لؤلؤ .. ومنابر من ياقوت .. ومنابر من
زبرجد .. ومنابر من ذهب .. ومنابر من فضة •

ويجلس أدناهم — وما فيهم دنىء — على كئبان المسك والكافور ..
ما يرون أن أصحاب الكراسى أفضل منهم مجلسا » ..

قال أبو هريرة : قلت : يا رسول الله .. هل نرى ربنا ؟

قال : « نعم .. هل تتمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ؟
قلنا : لا .. قال : كذلك لا تتمارون في رؤية ربكم عز وجل .. ولا يبقى
في ذلك المجلس أحد الا حاضره الله محاضرة .. حتى انه ليقول للرجل
منكم : ألا تذكر يا فلان يوم عملت كذا وكذا ؟ — يذكره بعض غدراته
في الدنيا — فيقول : يا رب .. أظلم تغفر لى ؟ فيقول : بلى .. فبسة
مغفرتى بلغت منزلتك هذه ..

فبينما هم كذلك .. غشيتهم سحابة من فوقهم .. فأمرت عليهم
طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط .. ثم يقول ربنا تبارك وتعالى :
قوموا الى ما أعددت لكم من الكرامة .. فخذوا ما اشتهيتم ..

قال : فنأتى سوقا قد حفت به الملائكة .. فيه ما لم تنظر العيون
الى مثله .. ولم تسمع الآذان .. ولم يخطر على القلوب ..

قال : فيحمل لنا ما اشتهينا .. ليس يباع فيه شيء ولا يشتري
.. وفي ذلك السوق يلقي أهل الجنة بعضهم بعضا .. قال : فيقبل
الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من دونه — وما فيهم دنىء — فيروعه
ما يرى عليه من اللباس .. فما ينقضى آخر حديثه حتى يتمثل عليه
أحسن منه .. وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها ..

قال : ثم ننصرف الى منازلنا .. فنتلقانا أزواجنا فيقلن : مرحبا
وأهلا .. لقد جئت وان بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا

عليه .. فيقول : انا جالسنا اليوم ربنا الجبار عز وجل .. وبحقنا
أن ننقلب بمثل ما انقلبنا » (٧٠) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « يقول أهل الجنة : انطلقوا
الى السوق .. فينطلقون الى كئبان المسك .. فاذا رجعوا الى أزواجهم
قالوا : انا لنجد لكن ريحا ما كانت لكن .. قال : فيقلن : ولقد رجعتن
بريح ما كانت لكم اذ خرجتم من عندنا » (٧١) .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« اذا دخل أهل الجنة الجنة .. فيشتاق الأخوان بعضهم الى بعض ..
فيسير سرير هذا الى سرير هذا .. وسير هذا الى سرير هذا ..
حتى يجتمعا جميعا .. فيتكىء هذا ويتكىء هذا .. فيقول أحدهما
لصاحبه : أتعلم متى غفر الله لنا ؟ فيقول صاحبه : نعم .. يوم كنا
في موضع كذا وكذا فدعونا الله .. فغفر لنا » (٧٢) .

وروى عن على كرم الله وجهه قال : سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول : « ان فى الجنة لشجرة .. يخرج من أعلاها حلل ..
ومن أسفلها خيل من ذهب .. مسرجة ملجمة .. من در وياقوت ..
لا تروث ولا تبول .. لها أجنحة خطوها مد البصر .. فيركبها أهل
الجنة فتطير بهم حيث شاءوا .. فيقول الذين أسفل منهم درجة ؟
يا رب .. بم بلغ عبادك هذه الكرامة كلها ؟ قال : فيقال لهم : كانوا
يصلون بالليل وكنتم تنامون .. وكانوا يصومون وكنتم تأكلون ..
وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون .. وكانوا يقاتلون وكنتم تجبنون » (٧٣) .

وروى عنه كرم الله وجهه قال : اذا سكن أهل الجنة الجنة ..
أتاهم ملك فيقول : ان الله يأمركم أن تزوروه .. فيجتمعون فيأمر
الله تعالى داود عليه الصلاة والسلام .. فيرفع صوته بالتسبيح
والتهليل .. ثم توضع مائدة الخلد .. قالوا : يا رسول الله .. وما مائدة
الخلد ؟ قال : زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب ..
فيطعمون ثم يسقون ثم يكسون .. فيقولون : لم يبق الا النظر فى

(٧٠) رواه الترمذى وابن ماجه .

(٧١) رواه ابن أبى الدنيا .

(٧٢) رواه ابن أبى الدنيا والبخارى .

(٧٣) رواه ابن أبى الدنيا .

وجه ربنا عز وجل .. فيتجلى لهم فيخرون سجدا .. فيقال : لستم
في دار عمل .. انما أنتم في دار جزاء» (٧٤) .

وعن صهيب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « اذا دخل أهل الجنة الجنة .. يقول الله عز وجل : تريدون
شيئا أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة
وتنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب اليهم
من النظر الى ربهم .. ثم تلا هذه الآية : « للذين أحسنوا الحسنى
وزيادة» (٧٥) .

وروى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « بينا أهل الجنة في مجلس لهم .. اذ سطع لهم
نور على باب الجنة .. فرفعوا رؤوسهم فاذا الرب تبارك وتعالى
قد أشرف عليهم .. فقال : يا أهل الجنة سلوني .. فقالوا : نسألك
الرضا عنا . قال : رضائي أحلكم داري .. وأنا لكم كرامتي .. وهذا
أوانها فسلوني ..

قالوا : نسألك الزيادة .. قال : فيؤتون بنجائب من ياقوت أحمر
.. أزمتها من زمرد أخضر وياقوت أحمر .. فيحملون عليها .. تضع
حواضرها عند منتهى طرفيها .. فيأمر الله عز وجل بأشجار عليها الثمار
.. فتجىء جوار من الحور العين .. وهن يقلن : نحن الناعمات
فلا نبأس .. ونحن الخالدات فلا نموت .. أزواج قوم مؤمنين كرام .
ويأمر الله عز وجل بكثبان من مسك أبيض أذفر .. فينثر عليهم
ريحا يقال لها « المثيرة » .. حتى تنتهي بهم الى جنة عدن — وهى
قصة الجنة — فتقول الملائكة : يا ربنا .. قد جاء القوم .. فيقول :
مرحبا بالصادقين .. مرحبا بالطائعين .

قال : فيكشف لهم الحجاب .. فينظرون الى الله تبارك وتعالى ..
فيتمتعون بنور الرحمن .. حتى لا ينظر بعضهم بعضا ..
ثم يقول : أرجعوههم الى القصور بالتحف . فيرجعون وقد أبصر
بعضهم بعضا .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فذلك قوله :
« نزلنا من غفور رحيم» (٧٦) .

(٧٤) رواه أبو نعيم .

(٧٥) رواه مسلم والترمذى والنسائى — والآية من سورة يونس : ٢٦

(٧٦) رواه أبو نعيم والبيهقى — والآية من سورة فصلت : ٣٢

وعن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« أتانى جبريل .. فاذا فى كفه مرآة كأصفى المرايا وأحسنها .. وإذا
فى وسطها نكتة سوداء .. قال قلت : يا جبريل .. ما هذه ؟ قال :
هذه الدنيا صفاؤها وحسنها . قال قلت : وما هذه اللمعة السوداء
فى وسطها ؟ قال : هذه الجمعة .. قال قلت : وما الجمعة ؟ قال : يوم
من أيام ربك عظيم .. وسأخبرك بشرفه وفضله واسمه فى الدنيا
والآخرة .

أما شرفه وفضله واسمه فى الدنيا والآخرة : فان الله تبارك وتعالى
جمع فيه أمر الخلق .. وأما ما يرجى فيه فان فيه ساعة لا يوافقها
عبد مسلم أو أمة مسلمة .. يسألان الله فيها خيرا الا أعطاهما إياه ..
وأما شرفه وفضله واسمه فى الآخرة .. فان الله تعالى اذا صير أهل
الجنة الى الجنة .. وأدخل أهل النار النار .. وجرت عليهم أيامها
وساعاتها .. ليس بها ليل ولا نهار الا قد علم الله مقدار ذلك وساعاته
.. فاذا كان يوم الجمعة فى الحين الذى يبرز — أو يخرج — فيه أهل
الجمعة الى جمعتهم .. نادى مناد : يا أهل الجنة .. اخرجوا الى دار
المزيد .. لا يعلم سعتها وعرضها وطولها الا الله عز وجل .. فيخرجون
فى كئبان من المسك » .

قال حذيفة : وانه لهو أشد بياضا من دقيقكم هذا ..

قال : « فيخرج غلمان الأنبياء بمنابر من نور .. ويخرج غلمان
المؤمنين بكراسى من ياقوت ..

قال : فاذا وضعت لهم وأخذ القوم مجالسهم .. بعث الله تبارك
وتعالى عليها ريحا تدعى « المثيرة » .. تثير عليهم أثابير المسك الأبيض
فتدخله من تحت ثيابهم .. وتخرجه فى وجوههم وأشعارهم .. فتلك
الريح أعلم كيف تصنع بذلك المسك من امرأة أحدكم لو دفع اليها
كل طيب على وجه الأرض .. لكانت تلك الريح أعلم كيف تصنع بذلك
المسك من تلك المرأة لو دفع اليها ذلك الطيب باذن الله عز وجل ..

قال : ثم يوحى الله سبحانه الى حملة العرش فيوضع بين ظهرانى
الجنة .. وبينه وبينهم الحجب .. فيكون أول ما يسمعون منه أن
يقول : أين عبادى الذين أطاعونى بالغيب ولم يرونى .. وصدقوا
رسلى واتبعوا أمرى ؟ فسلونى فهذا يوم المزيد ..

قال : فيجتمعون على كلمة واحدة : رب .. رضينا عنك فارض عنا •
 قال : فيرجع الله تعالى في قولهم : أن يا أهل الجنة .. انى لو لم
 أرض عنكم لما أسكنتكم جنتى .. فسلونى فهذا يوم المزيد ..
 قال : فيجتمعون على كلمة واحدة : رب .. وجهك أرنا ننظر اليه •
 قال : فيكشف الله تبارك وتعالى تلك الحجب .. ويتجلى لهم
 فيغشاهم من نوره شيء .. لولا أنه قضى عليهم أن لا يحترقوا لا حترقوا
 مما غشيهم من نوره ..

قال : ثم يقال لهم : ارجعوا الى منازلكم •
 قال : فيرجعون الى منازلهم وقد خفوا على أزواجهم وخفين
 عليهم مما غشيهم من نوره تبارك وتعالى .. فاذا صاروا الى منازلهم
 تراد النور وأمكن حتى يرجعوا الى صورهم التى كانوا عليها ..
 قال : فتقول لهم أزواجهم : لقد خرجتم من عندنا على صورة
 ورجعتم على غيرها ؟

قال فيقولون : ذلك بأن الله تبارك وتعالى تجلى لنا فنظرنا منه
 الى ما خفينا به عليكم ..
 قال : فلهم فى كل سبعة أيام الضعف على ما كانوا • قال :
 وذلك قوله عز وجل : « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين
 جزاء بما كانوا يعملون » (٧٧) •

وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال : « ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وأزواجه
 ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة .. وأكرمهم على الله من ينظر
 الى وجهه غدوة وعشية .. ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « وجوه يومئذ ناضرة • الى ربها ناظرة » (٧٨) •

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال : « ان الله عز وجل يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ..
 فيقولون : لبيك ربنا وسعديك .. والخير فى يديك .. فيقول : هل
 رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط
 أحدا من خلقك .. فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون :

(٧٧) رواه البزار — والآية من سورة السجدة : ١٧

(٧٨) رواه أحمد والترمذى — والآية من سورة القيامة : ٢٢ ، ٢٣

وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا » (٧٩) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله عز وجل : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت .. ولا أذن سمعت .. ولا خطر على قلب بشر .. واقرأوا ان شئتم : « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين » (٨٠) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما خلق الله جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت .. ولا أذن سمعت .. ولا خطر على قلب بشر .. ثم قال لها : تكلمي فقالت : « قد أفلح المؤمنون » (٨١) .

وفي رواية : « خلق الله جنة عدن بيده .. ودلى فيها ثمارها .. وشق فيها أنهارها .. ثم نظر إليها فقال لها : تكلمي فقالت : « قد أفلح المؤمنون » فقال : وعزتي وجلالي .. لا يجاورني فيك بخيل » (٨٢) .

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « غدوة في سبيل الله أو روحة .. خير من الدنيا وما فيها .. ولقاب قوس أحدكم أو موضع قدمه من الجنة .. خير من الدنيا وما فيها .. ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة أطلت إلى أهل الأرض لأضاعت الدنيا وما فيها .. ولملت ما بينهما ريحا .. ولنصيفها — يعني خمارها — خير من الدنيا وما فيها » (٨٣) .

[والقاب : مقبض القوس ، والقدر — بكسر القاف وتشديد الدال : هو السوط] .

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة .. ينادي مناد : ان لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا .. وان لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا .. وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا .. وان لكم أن تتعموا .. »

(٧٩) رواه البخاري ومسلم والترمذي .

(٨٠) رواه الشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه — والآية من

سورة السجدة : ١٧ (٨١) المؤمنون : ١

(٨٢) رواه الطبراني وابن أبي الدنيا .

(٨٣) رواه الشيخان والترمذي .

فلا تبأسوا أبداً •• وذلك قول الله عز وجل : « ونودوا أن تلکم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون » (٨٤) .

وعن أبی سعيد الخدری رضی الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « یؤتی بالموت كهیئة كبش أملح •• فینادی مناد : یا أهل الجنة •• فیشرئبون وینظرون •• فیقول : هل تعرفون هذا ؟ فیقولون : نعم •• هذا الموت — وكلهم قد رآه ••

ثم ینادی مناد : یا أهل النار •• فیشرئبون وینظرون •• فیقول : هل تعرفون هذا ؟ فیقولون : نعم •• هذا الموت — وكلهم قد رآه ••

فیذبح بین الجنة والنار •• ثم یقول : یا أهل الجنة خلود فلا موت •• ویا أهل النار خلود فلا موت •• ثم قرأ : « وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضی الأمر ، وهم فی غفلة وهم لا یؤمنون » (٨٥) . •• وأشار بیده الى الدنيا » (٨٦) .

وفی رواية : « اذا كان يوم القيامة أتى بالموت كالکبش الأملح •• فیوقف بین الجنة والنار فیذبح وهم ینظرون •• فلو أن أحدا مات فرحاً لمات أهل الجنة •• ولو أن أحدا مات حزناً لمات أهل النار » .

وعن ابن عمر رضی الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا صار أهل الجنة الى الجنة •• وأهل النار الى النار •• جیء بالموت حتی یجعل بین الجنة والنار فیذبح •• ثم ینادی مناد : یا أهل الجنة : لا موت •• یا أهل النار : لا موت •• فیزداد أهل الجنة فرحاً الى فرحهم وأهل النار حزناً الى حزنهم » .

وفی رواية أن النبی صلى الله عليه وسلم قال : « یدخل الله أهل الجنة الجنة •• وأهل النار النار •• ثم یقوم مؤذن بینهم فیقول : یا أهل الجنة لا موت •• ویا أهل النار لا موت •• كل خالد هیماء هو فیه » (٨٧) .

* * *

(٨٤) رواه مسلم والترمذی — والآية من سورة الاعراف : ٤٣

(٨٥) مریم : ٣٩

(٨٦) رواه الشيخان والنسائی والترمذی .

(٨٧) رواه البخاری ومسلم .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أنفق زوجين في شيء من الأشياء في سبيل الله دعى من أبواب الجنة : يا عبد الله .. هذا خير .. فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة .. ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد .. ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة .. ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان » ..

فقال أبو بكر رضى الله عنه : بأبى أنت وأمى يا رسول الله .. ما على من دعى من تلك الأبواب من ضرورة .. فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ فقال : « نعم .. وأرجو أن تكون منهم » (٨٨) .

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ — أو يسبغ — الوضوء .. ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .. الا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » (٨٩) .

وعنه رضى الله عنه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « في الجنة ثمانية أبواب .. باب منها يسمى الريان لا يدخله الا الصائمون » (٩٠) .

وعن عتبة بن عبد الله السلمي رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من مسلم يتوفى له ثلاثة من الولد .. لم يبلغوا الحنث .. الا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية .. من أيها شاء دخل » (٩١) .

وروى أبو هريرة رضى الله عنه في حديث الشفاعة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ... فأنتلق .. فأنتى العرش .. فأقع ساجدا لربى .. فيقيمنى رب العالمين مقاما لم يقمه أحدا قبلى ولا يقيمه أحدا بعدى .. فأقول : يا رب .. أمتى أمتى .. فيقول : يا محمد .. أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن — وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب — والذي نفس

(٨٨) رواه البخارى ومسلم . (٨٩) رواه مسلم .

(٩٠) رواه البخارى ومسلم .

(٩١) رواه ابن ماجه وعبد الله بن أحمد .

محمد بيده .. ان ما بين مصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر — أو هجر ومكة » .

وفي لفظ : « لكما بين مكة وهجر .. أو كما بين مكة وبصرى » (٩٢) .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من صلى الصلوات الخمس .. وصام شهر رمضان .. كان حقا على الله أن يغفر له : هاجر أو قعد حيث ولدته أمه » .. قلت : يا رسول الله .. ألا أخرج فأوذن الناس ؟ قال : « لا .. دع الناس يعملون .. فان في الجنة مائة درجة .. بين كل درجتين مثل ما بين السماء والأرض .. وأعلاها درجة منها الفردوس .. وعليها يكون العرش .. وهى أوسط شئ في الجنة .. ومنها تفجر أنهار الجنة .. فاذا سألتكم الله فاسألوه الفردوس » (٩٣) .

وروى ابن ماجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينا أهل الجنة في نعيمهم .. اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم .. فاذا الرب قد أشرف عليهم .. فقال : السلام عليكم يا أهل الجنة .. وهو قول الله عز وجل : « سلام قولا من رب رحيم » (٩٤) .. فلا يلتفتون الى شئ مما هم فيه من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم » .



فاللهم .. انا نسألك من الخير كله .. عاجله وآجله .. ما علمنا منه وما لم نعلم .. ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله .. ما علمنا منه وما لم نعلم ..

اللهم .. انا نسألك من خير ما سألك عبدك ونبيك — صلى الله عليه وسلم .. ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه عبدك ونبيك — صلى الله عليه وسلم ..

اللهم انا نسألك الجنة وما قرب اليها من قول أو عمل .. ونعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول أو عمل .. ونسألك أن تجعل كل قضاء قضيت له لنا خيرا ..

(٩٣) رواه الترمذى .

(٩٢) رواه الشيخان .

(٩٤) يس : ٥٨

اللهم اغسل عنا خطايانا بالماء والثلج والبرد .. ونق قلوبنا
من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس .. وباعد بيننا وبين
خطايانا كما باعدت بين المشرق والمغرب ..

اللهم انا أسلمنا أنفسنا اليك .. وفوضنا أمورنا اليك .. وألجأنا
ظهورنا اليك .. وخلينا وجوهنا اليك .. لا ملجأ ولا منجى منك
إلا اليك .. آمنا برسولك الذي أرسلت .. وبكتابك الذي أنزلت ..
وصل اللهم على سيدنا ومولانا .. وحبيبنا : محمد وعلى آله
وصحبه وسلم .



• النار • • « أعاننا الله من شرها » :

يقول الله تعالى : « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله ، ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب • اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب • وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراؤا منا ، كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ، وما هم بخارجين من النار » (١) .

ويقول : « ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ، ان الله كان عزيزا حكيما » (٢) .

ويقول : « والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون • فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته ، أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ، حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله ، قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين • قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار ، كلما دخلت أمة لعنت أختها ، حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فأتهم عذابا ضعفا من النار ، قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون • وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون • ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ، وكذلك نجزي المجرمين • لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ، وكذلك نجزي الظالمين » (٣) .

ويقول تعالى : « ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ، قالوا نعم » فاذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين • الذين يصدون عن سبيل الله

(٢) النساء : ٥٦

(١) البقرة : ١٦٥ — ١٦٧

(٣) الأعراف : ٣٦ — ٤١

ويصفونها عوجا وهم بالآخرة كافرون . وبينهما حجاب ، وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ، ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم ، لم يدخلوها وهم يطمعون . وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين . ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون . أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ، ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون . ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ، قالوا ان الله حرهما على الكافرين . الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا ، فاليوم ننسأهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون « (٤) .

ويقول جل شأنه : « والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ، ما لهم من الله من عاصم ، كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما ، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم ، فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون » (٥) .

ويقول : « يوم يأت لا تكلم نفس الا بإذنه ، فمنهم شقى وسعيد . فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق . خالدين فيها ما دامت السموات والأرض الا ما شاء ربك ، ان ربك فعال لما يريد » (٦) .

ويقول جل وعلا : « ونقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، أنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها ، وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه ، بئس الشراب وساءت مرتفقا » (٧) .

ويقول : « أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء ، أنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا . قل هل ننبئكم بالآخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا . ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى «ورسلى هزوا » (٨) .

(٥) يونس : ٢٧ ، ٢٨

(٧) الكهف : ٢٩

(٤) الأعراف : ٤٤ — ٥١

(٦) هود : ١٠٥ — ١٠٧

(٨) الكهف : ١٠٢ — ١٠٦

ويقول : « وقال الشيطان لما قضي الأمر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم ، وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى ، فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ، ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى ، انى كفرت بما أشركتمون من قبل ، ان الظالمين لهم عذاب أليم » (٩) .

* * *

هل اتضحت القضية ؟!

هل علم الذين كفروا وطغوا وبغوا .. وكذبوا الرسل ما لهم ؟!
هل عرف الذين اتخذوا من دون الله أندادا وأولياء وشفعاء مصيرهم ؟!

لقد أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ..
وجعل التوحيد هو أساس هذا الدين ..

فالله وحده هو الخالق .. وهو وحده الرازق .. وهو وحده المحيى .. وهو وحده المميت .. واليه وحده المصير ..
والمؤمن .. هو الذى يسلم قياده لله تعالى .. فلا تنقطع طاعته له ..
لأنه يعلم أن أمره كله بيد الله وحده ..

وما جاء به الرسول — صلى الله عليه وسلم — هو الحق من عند ربه .. ولهذا يطيعه المؤمن فى كل ما جاء به .. لأنه يعلم أن طاعة الرسول من طاعة الله ..

وعلى هذا فالطريق واضح .. من شاء الايمان فليؤمن ..
فذلك خير له ..

ومن شاء الكفر فليكفر .. فما ظلم الا نفسه !!
ولكن الشياطين أضلت بعض الناس عن طريق ربهم .. وسلكت بهم فى عبادتهم طرقا شتى ..

فاتخذوا من عباد الله أربابا من دونه .. يطيعونهم فيما شرعوا ..
ويتوجهون اليهم بالسؤال والدعاء .. متخذين منهم وسائط وشفعاء ..

وجعلوا ولائهم لهم من دون الله !!
وسينكشف لهؤلاء العذاب الذى أعده الله لهم .. يوم يكون الملك لله وحده .. وتكون الطاعة له وحده ..

عندئذ يعرفون أن عملهم — في حياتهم الدنيا — كان باطلا ..
وكانوا يظنون أنهم يحسنون صنعا ..

فيلجأون الى أوليائهم وشفعائهم .. طالبين منهم النجاة .. ظانين
أنهم سيجدون عندهم الغناء بعد أن أخلصوا لهم في الدنيا الولاء ..

ولكنهم يتتكرون لهم .. ويتبرأون منهم .. ويقولون : ما دعوناكم
لطاعتنا في معصية ربكم .. وانما هو هو اكم وسوء تصرفكم !!

حتى ابليس نفسه .. سوف يتبرأ منهم .. ويقول : هل أجبرتكم
على أمر من الأمور ؟ .. انما كان شأني واياكم أن دعوتكم فاستجبتم
لدعوتي .. ودعاكم الله فأعرضتم عن دعوته .. لقد غفلتم عن أمر
ربكم فلا تلومونى ولكن لوموا أنفسكم .. فأنى برىء منكم ومن
أعمالكم !!

عندئذ .. تنقطع الصلات والمودات التى كانت بينهم فى الدنيا
.. ويصير بعضهم لبعض أعداء .. ويتبين الأتباع أنهم كانوا على
ضلال فى حياتهم الدنيا .. وأنهم قد خسروا أعمالهم كلها .. وبدأت
لهم سيئات أعمالهم فكانت حسرة عليهم .. فيندمون ، وماذا يفيد
الندم ؟

ويتمنون أن يعودوا الى الدنيا .. ليتنكروا لآلهتهم وأوليائهم
وشفعائهم .. كما تبرأوا منهم .. ولكن : هيهات أن يعودوا !!

* * *

ويصف لنا الله تعالى أهوال النار يوم القيامة — أعاذنا الله من
شرها — فيقول :

« وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الأمر ، وهم فى غفلة وهم
لا يؤمنون » (١٠) .

ويقول تعالى : « فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من
فوق رؤوسهم الحميم . يصهر به ما فى بطونهم والجلود . ولهم مقامع
من حديد . كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا
عذاب الحريق » (١١) .

ويقول : « ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى
جهنم خالدون . تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون . ألم تكن آياتى

تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون • قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا غوما ضالين • ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون • قال اخسأوا فيها ولا تكلمون» (١٢) •

ويقول : « ويستعجلونك بالعذاب ، ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب ، وليأتيتهم بغتة وهم لا يشعرون • يستعجلونك بالعذاب وأن جهنم أحيطه بالكافرين • يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون » (١٣) •

ويقول جل شأنه : « ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين • قال الذين استكبروا للذين استضعفوا نحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم ، بل كنتم مجرمين • وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا ، وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا ، هل يجزون إلا ما كانوا يعملون » (١٤) •

ويقول : « أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم • أنا جعلناها فتنة للظالمين • إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم • طلعها كأنه رؤوس الشياطين • فأنهم لا يكون منها فمالتون منها البطون • ثم إن لهم عليها لشويا من حميم • ثم إن مرجعهم لالى الجحيم » (١٥) •

ويقول تعالى : « هذا ، وإن للطاغين لشر مآب • جهنم يصلونها فبئس المهاد • هذا فليذوقوه حميم وغساق • وآخر من شكه أزواج • هذا فوج مقتحم معكم ، لا مرحبا بهم ، انهم صالوا النار • قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم ، أنتم قدمتموه لنا ، فبئس القرار • قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار » (١٦) •

ويقول : « وإذا يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا أنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار • قال الذين استكبروا أنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد • وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب • قالوا أو لم تك تأتيكم

(١٣) - العنكبوت : ٥٣ - ٥٥

(١٥) الصافات : ٦٢ - ٦٨

(١٢) المؤمنون : ١٠٣ - ١٠٨

(١٤) سبأ : ٣١ - ٣٣

(١٦) سورة ص : ٥٥ - ٦١

رسلكم بالبينات ، قالوا بلى ، قالوا فادعوا ، وما دعاء الكافرين إلا في ضلال» (١٧) .

ويقول : « ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون . لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون . وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين . ونادوا يا مالك ليقتض علينا ربك ، قال انكم ماكثون » (١٨) .

ويقول جل وعلا : « ان شجرة الزقوم . طعام الاثيم . كالمهل يغلى في البطون . كغلي الحميم . خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم . ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم . ذق انك انت العزيز الكريم . ان هذا ما كنتم به تمترون » (١٩) .

ويقول : « يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد » (٢٠) .

ويقول : « ان المجرمين في ضلال وسعر . يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر » (٢١) .

ويقول تعالى : « هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون . يطوفون بينها وبين حميم آن . فبأى آلاء ربكما تكذبان » (٢٢) .

* * *

ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتعوذ من عذاب النار . . ويأمرنا أن نتعوذ منه . . عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم : كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن . . قولوا : « اللهم انى أعوذ بك من عذاب جهنم . . وأعوذ بك من عذاب القبر . . وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال . . وأعوذ بك من فتنة الحيا والمات » (٢٣) .

وعن أم حبيبة — زوج الرسول — رضى الله عنها قالت : سمعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول : اللهم أمتعنى بزواجى رسول الله . . وبأبى أبى سفيان . . وبأخى معاوية . . فقال : « سألت الله لآجال مضروبة . . وأيام معدودة . . وأرزاق مقسومة . . لن يعجل

(١٨) الزخرف : ٧٤ — ٧٧

(١٧) غافر : ٤٧ — ٥٠

(٢٠) سورة ق : ٣٠

(١٩) الدخان : ٤٣ — ٥٠

(٢٢) الرحمن : ٤٣ — ٤٥

(٢١) القمر : ٤٧ ، ٤٨

(٢٣) رواه مالك ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى .

شيئاً منها قبل أجله ولا يؤخر .. ولو كنت سألت الله أن يعيذك من النار وعذاب القبر كان خيراً وأفضل» (٢٤) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما استجار عبد من النار سبع مرات الا قالت النار : يا رب .. ان عبدك فلانا استجار منى فأجره .. ولا سأل عبد الجنة سبع مرات الا قالت الجنة : يا رب .. ان عبدك فلانا سألنى فأدخله الجنة » (٢٥) .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان لله ملائكة سيارة يتبعون مجالس الذكر » — فذكر الحديث الى أن قال : « فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم : من أين جئتم ؟ فيقولون : جئنا من عند عبادك يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك .. قال فما يسألونى ؟ قالوا : يسألونك جنتك .. قال : وهل رأوا جنتى ؟ قالوا : لا أى رب .. قال : فكيف لو رأوا جنتى ؟

قالوا : ويستجيرونك . قال : ومما يستجيرونى ؟ قالوا : من نارك يا رب . قال : وهل رأوا نارى ؟ قالوا : لا .. قال : فكيف لو رأوا نارى ؟

قالوا : ويستغفرونك . قال فيقول : قد غفرت لهم .. وأعطيتهم ما سألوا .. وأجرتهم مما استجاروا » (٢٦) .

وعن أنس رضى الله عنه قال : كان أكثر دعاء النبى صلى الله عليه وسلم : « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة .. وفى الآخرة حسنة .. وقنا عذاب النار » (٢٧) .

فاللهم ربنا .. انك لست باله استحدثناه .. ولا برب ابتدعناه .. ولا كان لنا قبلك من اله نلجأ اليه ونذكر .. ولا أعانك على خلقنا أحد فنشركه فيك .. تباركت ربنا وتعاليت .. اللهم انك تسمع كلامنا .. وترى مكاننا .. وتعلم سرنا وعلانيتنا .. لا يخفى عليك شىء من أمورنا .. ونحن البائسين الفقراء المستغيثين المستجيرين الوجلين المشفقين .. المقرين المعترفين بذنوبنا ..

(٢٥) رواه أبو يعلى .

(٢٧) رواه البخارى .

(٢٤) رواه مسلم .

(٢٦) رواه الشيخان .

نسألك مسألة المساكين .. ونبتهل اليك ابتهاال المذنبين الأذلاء ..
وندعوك دعاء الخائفين .. من خضعت لك رقابهم .. وفاضت لك
عبراتهم .. وذلت لك أجسامهم .. ورغمت لك أنوفهم ..
اللهم لا تجعلنا بدعائك أشقياء .. وكن بنا رؤوفا رحيمًا ..
يا خير المسترلين .. وياخير المعطين ..
اللهم اننا ننزل بك حاجتنا وان قصر رأينا .. وضعفت أعمالنا ..
افتقرنا الى رحمتك .. نسألك يا قاضى الأمور .. وياشافي الصدور ..
كما تجير بين البحور أن تجيرنا من عذاب السعير .. ومن دعوة الثبور ..
ومن فتنة القبور ..
اللهم ما قصرت عنه آراؤنا .. ولم تبلغه نياتنا .. ولم تبلغه
مسألتنا من خير وعده أحدنا من خلقك أو خير أنت معطيه أحدنا من
عبادك .. فاننا نرغب اليك فيه .. ونسألك برحمتك يا رب العالمين ..
اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل ومحمد — عليهم السلام —
نعوذ بك من النار ..

* * *

ولا يزل في وصف النار الكثير .. والكثير ..

يقول الله تعالى وهو أصدق القائنين : « وأصحاب الشمال
ما أصحاب الشمال • في سموم وحميم • وظل من يحموم • لا بارد
ولا كريم • أنهم كانوا قبل ذلك مترفين • وكانوا يصرون على الحنث
العظيم • وكانوا يقولون أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون •
أو آباؤنا الأولون • قل ان الأولين والآخرين • لمجموعون الى ميقات
يوم معلوم • ثم انكم أيها الضالون المكذبون • لاكلون من شجر من
زقوم • فمائلون منها البطون • فشاربون عليه من الحميم • فشاربون
شرب الهيم • هذا نزلهم يوم الدين » (٢٨) .

ويقول : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها
الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم
 ويفطون ما يؤمرون • يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم ، انما
تجزون ما كنتم تعملون » (٢٩) .

ويقول : «والَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ، وَبُئْسَ الْمَصِيرُ .
إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ . تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ،
كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ . قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا
نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ .
وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ . فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ
فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ» (٣٠) .

ويقول جل شأنه : « وَأَمَّا مَنْ أَوْتَى كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي
لَمْ أُوْتِ كِتَابِيهِ . وَلَمْ أَدْرَ مَا حِسَابِيهِ . يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ . مَا أَغْنَى
عَنِّي مَالِيهِ . هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ . خَذُوهُ فَعْلُوهُ . ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُوهُ .
ثُمَّ فِي سُلْسَلَةٍ ذُرْعَاهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ . إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
الْعَظِيمِ . وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ . فليس له اليوم ههنا حميم .
وَلَا طَعَامَ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ . لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ» (٣١) .

ويقول : «يُودِ الْمَجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمئِذٍ بَنِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ
وَأَخِيهِ . وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤَيِّهِ . وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يَنْجِيهِ .
كَلَّا إِنَّهَا لَأُظَى . نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى . تَدْعُوا مِنْ أَدْبُرٍ وَتَوَلَّى . وَجَمْعُ
فَأَوْعَى» (٣٢) .

ويقول : « وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا . وَذَرْنِي
وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا . إِنْ لَدَيْنَا أَنْكَالٌ وَجَحِيمًا . وَطَعَامًا
ذَا غَصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا . يَوْمَ تَرْجَفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا
مَهِيلًا» (٣٣) .

ويقول جل وعلا : « ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا . وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا
مَمْدُودًا . وَبَنِينَ شُهُودًا . وَمَهَّدْتُ لَهُ تَحْهِيدًا . ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ . كَلَّا
إِنَّهُ كَانَ لَا يَأْتِنَا غَنِيدًا . سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا . إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ . فَقَتَلَ كَيْفَ
قَدَرَ . ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَرَ . ثُمَّ نَظَرَ . ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ . ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ .
فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ . إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ . سَأَصْلِيهِ سَقَرًا .
وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ . لَا تُبْقَى وَلَا نَقَرٌ . لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ . عَلَيْهَا تَسْفَعُ
عَشْرٌ» (٣٤) .

(٣١) الحاقة : ٢٥ — ٣٧

(٣٣) الزمل : ١٠ — ١٤

(٣٠) الملك : ٦ — ١١

(٣٢) المعارج : ١١ — ١٨

(٣٤) المدثر : ١١ — ٣٠

ويقول : « انا أعتدنا للكافرين سلاسلًا وأغلالًا وسعيرًا » (٣٥) .

ويقول : « ويل يومئذ للمكذبين . انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون . انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب . لا ظليل ولا يغنى من اللهب . انها ترمى بشرر كالقصر . كأنه جمالات صفر . ويل يومئذ للمكذبين . هذا يوم لا ينطقون . ولا يؤذن لهم فيعتذرون . ويل يومئذ للمكذبين . هذا يوم الفصل ، جمعناكم والاولين . فان كان لكم كيد فكيدون . ويل يومئذ للمكذبين » (٣٦) .

ويقول تعالى : « ان جهنم كانت مرصادا . للطاغين مآبا . لاثين فيها أحقابا . لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا . الا حميما وغساقا . جزاء وفاقا . انهم كانوا لا يرجون حسابا . وكذبوا بآياتنا كذابا . وكل شيء أحصيناه كتابا . فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا » (٣٧) .

ويقول : « هل أتاك حديث الغاشية . وجوه يومئذ خاشعة . عاملة ناصبة . تصلى نارا حامية . تسقى من عين آنية . ليس لهم طعام الا من ضريع . لا يسمن ولا يغنى من جوع » (٣٨) .

ويقول : « كلا اذا دكت الأرض دكا دكا . وجاء ربك والملك صفا صفا . وجاء يومئذ بجهنم ، يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى . يقول يا ليتنى قدمت لحياتى . فيومئذ لا يعذب عذابه أحد . ولا يوثق وثاقه أحد » (٣٩) .

ويقول جل شأنه : « ويل لكل همزة لمزة . الذى جمع مالا وعدده . يحسب أن ماله أخذه . كلا لينبذن فى الحطمة . وما أدراك ما الحطمة . نار الله الموقدة . التى تطلع على الأفئدة . انها عليهم مؤصدة . فى عمد ممددة » (٤٠) .

* * *

عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا النار — قال : وأشاح — ثم قال : اتقوا النار — ثم أعرض وأشاح ثلاثا حتى ظننا أنه ينظر اليها — ثم قال : اتقوا النار ولو بشق تمرة . . فمن لم يجد فبكلمة طيبة » (٤١) .

(٣٦) الرسائل : ٢٨ — ٤٠

(٣٨) الغاشية : ١ — ٧

(٤٠) سورة الهمزة .

(٣٥) الانسان : ٤

(٣٧) النبأ : ٢١ — ٣٠

(٣٩) الفجر : ٢١ — ٢٦

(٤١) رواه البخارى ومسلم .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية :
« وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ » (٤٢) . . دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قريشاً فاجتمعوا . . فعم وخص فقال : يا بني كعب بن لؤى أنقذوا
أنفسكم من النار . . يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار . .
يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار . . يا بني عبد المطلب أنقذوا
أنفسكم من النار . . يا فاطمة أنقذي نفسك من النار . . فأنى لا أملك
لكم من الله شيئاً » (٤٣) .

وعنه رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنما
مثلى ومثل أمتى كمثلى رجل استوقد ناراً . . فجعلت الدواب والفراش
يقعن فيها . . فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقتحمون فيها » (٤٤) .
وفي رواية لمسلم : « إنما مثلى كمثلى رجل استوقد ناراً . . فلما
أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب يقعن فيها . . وجعل
يحجزهن ويغلبهن . . فيقتحمن فيها . . قال : فذلكم مثلى ومثلكم . .
وأنا آخذ بحجزكم عن النار . . هلم عن النار . . هلم عن النار . .
فيغلبونى ويقتحمون فيها » . .

وروى عن كليب بن حزن رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : « أطلبوا الجنة جهدكم . . واهربوا من النار
جهدكم . . فإن الجنة لا ينام طالبها . . وإن النار لا ينام هاربها . . وإن
الآخرة اليوم محفوفة بالمكاره . . وإن الدنيا محفوفة باللذات والشهوات
فلا تلهينكم عن الآخرة » (٤٥) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم :
أتى بفرس يجعل كل خطو منه أقصى بصره . . فصار وسار معه جبريل
عليه السلام . . فأتى على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم . .
كلما حصدوا عاد كما كان . . فقال : يا جبريل . . من هؤلاء ؟ قال :
هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله . . تضاعف لهم الحسنات بسبعمئة ضعف
وما أنفقوا من شئ فهو يخلفه . .

ثم أتى على قوم ترسخ رؤوسهم بالحجارة . . كلما رضخت عادت

(٤٢) الشعراء : ٢١٤

(٤٣) رواه الشيخان والترمذى والتسائى .

(٤٤) رواه البخارى ومسلم . (٤٥) رواه الطبرانى .

كما كانت .. ولا يفتر عنهم من ذلك شيء .. قال : يا جبريل .. من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين تشاقلت رؤوسهم عن الصلاة ..

ثم أتى على قوم على أديبارهم رقاع .. وعلى أقبالهم رقاع .. يسرحون كما تسرح الأنعام إلى الضريع والزقوم ورضف جهنم . قال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم .. وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد ..

ثم أتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة .. لا يستطيع حملها وهو يريد أن يزيد عليها .. فقال : يا جبريل .. ما هذا ؟ قال : هذا رجل من أمتك عليه أمانة الناس لا يستطيع أدائها وهو يريد أن يزيد عليها . ثم أتى على قوم تقرض شفاههم وألسنتهم بمقاريض من حديد .. كلما قرضت عادت كما كانت .. لا يفتر عنهم من ذلك شيء .. قال : يا جبريل .. ما هؤلاء ؟ قال : خطباء الفتنة ..

ثم أتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم .. فيريد الثور أن يدخل من حيث خرج فلا يستطيع .. قال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة فيندم عليها .. فيريد أن يردّها فلا يستطيع ..

ثم أتى على واد فوجد ريحا طيبة .. ووجد ريح مسك مع صوت .. فقال : ما هذا ؟ قال : صوت الجنة تقول : يا رب ائتنى بأهلى وبما وعدتني .. فقد كثر غرسى وحريرى وسندسى واستبرقى .. وعبقري ومرجانى وفضتى وزهبي وأكوابى وصحافى وأباريقى .. وفواكهى وغلى ومائى ولبنى وخمرى .. ائتنى بما وعدتني . قال : لك كل مسلم ومسلمة .. ومؤمن ومؤمنة .. ومن آمن بى وبرسلى .. وعمل صالحا ولم يشرك بى شيئا .. ولم يتخذ من دونى أندادا .. فهو آمن . ومن سألتنى أعطيته .. ومن أقرضنى جزيته .. ومن توكل على كفيت .. انى أنا الله لا اله الا أنا .. لا خلف لميعادى .. قد أفلح المؤمنون .. تبارك الله أحسن الخالقين .. فقالت : قد رضيت ..

ثم أتى على واد فسمع صوتا منكرا .. فقال : يا جبريل .. ما هذا الصوت ؟ قال : هذا صوت جهنم تقول : يا رب ائتنى بأهلى وبما وعدتني .. فقد كثر سلاسلى وأغلالى وسعيرى .. وحميمى وغساقى وغسلينى .. وقد بعد قعرى واشتد حرى .. ائتنى بما وعدتني ..

قال : لك كل مشرك ومشركة .. وخبيث وخبيثة .. وكل جبار
لا يؤمن بيوم الحساب .. قالت : قد رضيت « — فذكر الحديث في
قصة الاسراء وفرض الصلاة وغير ذلك (٤٦) .

وعن أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
قال : « والذي نفسى بيده .. لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا .. قالوا : وما رأيتم يا رسول الله ؟ قال : رأيتم الجنة والنار » (٤٧) .
وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : جاء جبريل الى
النبي صلى الله عليه وسلم في حين غير حينه الذى كان يأتيه فيه ..
فقام اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا جبريل .. مالى أراك
متغير اللون ؟ فقال : ما جئتك حتى أمر الله عز وجل بمنافخ النار ..
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جبريل .. صف لى النار
وانعت لى جهنم .

فقال جبريل : ان الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام
حتى ابيضت .. ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت .. ثم أمر
فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت .. فهي سوداء مظلمة لا يضىء
شررها ولا يطفأ لهبها ..

والذى بعثك بالحق لو أن قدر نقب ابرة فتح من جهنم لمات
من فى الأرض كلهم جميعا من حره ..

والذى بعثك بالحق لو أن خازنا من خزنة جهنم برز الى أهل الدنيا
لمات من فى الأرض كلهم من قبح وجهه ومن نتن ريحه ..

والذى بعثك بالحق لو أن حلقة من حلق سلسلة أهل النار التى
نعت الله فى كتابه وضعت على جبال الدنيا لارفضت وما تقارت حتى
ينتهى الى الأرض السفلى ..

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حسبي يا جبريل لا ينصدع
قلبي فأموت !

قال : فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل وهو يبكى
.. فقال : تبكى يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذى أنت به ؟

فقال : ومالى لا أبكى ؟ .. أنا أحق بالبكاء لعلى أكون فى علم
الله على غير الحال التى أنا عليها .. وما أدري لعلى ابتلى بها ابتلى

(٤٧) . رواه مسلم وابو يعلى .

(٤٦) . رواه البزار .

به ابليس .. فقد كان من الملائكة(*) .. وما أدري لعلى أبتلى
بما ابتلى به هاروت وماروت .

قال : فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل عليه
السلام .. غما زالا يكيان حتى نوديا : أن يا جبريل ويا محمد ..
ان الله عز وجل قد أمنكما أن تعصياه ..

فارتفع جبريل عليه السلام وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمر بقوم من الأنصار يضحكون ويلعبون .. فقال : أتضحكون ووراءكم
جهنم ؟ .. فلو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ..
ولما أسغتم الطعام والشراب .. ولخرجتم الى الصعدات تجأرون
الى الله « (٤٨) » .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال لجبريل : « مالى لا أرى ميكائيل ضاحكا قط ؟ قال : ما ضحك
ميكائيل منذ خلقت النار » (٤٩) .

وعنه رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان ناركم
هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم .. ولولا أنها أطفئت بالماء
مرتين ما استمتعتم بها .. وانها لتدعو الله أن لا يعيدها فيها » (٥٠) .
وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
« ناركم هذه ما يوقد بنو آدم جزء واحد من سبعين جزءا من نار جهنم .
قالوا : والله ان كانت لكافية . قال : انها فضلت عليها بتسعة وستين
جزءا كلهن مثل حرها » (٥١) .

وزاد فى رواية : « ... وضربت بالبحر مرتين .. ولولا ذلك
ما جعل الله فيها منفعة لأحد » .

وفى رواية للبيهقى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« تحسبون أن نار جهنم مثل ناركم هذه ؟ .. هى أشد سوادا من
القار .. هى جزء من بضعة وستين جزءا منها — أو نيف وأربعين
شك أبو سهيل — .

(*) روى الضحاك عن ابن عباس قال : « كان ابليس فى حي من
أحياء الملائكة يقال لهم الجن ، خلقوا من نار السموم من بين الملائكة » —
راجع تفسير ابن كثير لسورة البقرة .

(٤٨) رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٤٩) رواه أحمد . (٥٠) رواه ابن ماجه والحاكم .

(٥١) رواه مالك والبخارى ومسلم والترمذى .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« لو كان في هذا المسجد مائة ألف أو يزيدون .. وفيهم رجل من أهل النار
فتنفس فأصابهم نفسه لأحترق المسجد ومن فيه » (٥٢) .

ورواه البزار بلفظ : « لو كان في المسجد مائة ألف أو يزيدون
ثم تنفس رجل من أهل النار لأحرقهم » .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لو أن غربا من جهنم جعل في وسط الأرض لأذى نتن ريحه وشدة حره
ما بين المشرق والمغرب .. ولو أن شررة من شرر جهنم بالمشرق لوجد
حرها من المغرب » (٥٣) .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى : « إذا رأتهم
من مكان بعيد » (٥٤) من مسيرة مائة عام .. وذلك إذا أتى بجهنم
تقاد بسبعين ألف زمام يشد بكل زمام سبعون ألف ملك .. لو تركت لأنت
على كل بر وفاجر : « سمعوا لها تغيظا وزفيرا » (٥٤) : تترفر زفرة
ولا تبقى قطرة من دمع الا ندرت .. ثم تترفر الثانية فتقطع القلوب
من أماكنها .. تقطع اللاهوات والحناجر وهى قوله : « وبلغت القلوب
الحناجر » (٥٥) .

وعن أنس رضى الله عنه قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه الآية : « وقودها الناس والحجارة » (٥٦) فقال : « أوقد عليها
ألف عام حتى احمرت .. وألف عام حتى ابيضت .. وألف عام حتى
اسودت .. فهى سوداء مظلمة لا يضىء لهما » (٥٧) .
وفي رواية : « لا يذلفا لهما » .

وعن أبي سعيد رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« ويل واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ
قعره » (٥٨) .

(٥٣) رواه الطبرانى .

(٥٢) رواه أبو يعلى .

(٥٤) الفرقان : ١٢

(٥٥) رواه آدم بن أبي إياس في تفسيره — والآية من سورة

الأحزاب : ١٠

(٥٧) رواه البيهقى والأصبهاني

(٥٦) البقرة : ٢٤ ، التحريم : ٦

(٥٨) رواه أحمد والترمذى .

وفي رواية الترمذي قال : « واد بين جبلين يهوى فيه الكافر سبعين خريفا قبل أن يبلغ قعره » .

وعنه رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى : « سَارَهُقَهُ صَعُودًا » (٥٩) قال : « جبل من نار يكلف أن يصعده .. فاذا وضع يده عليه ذابت .. فاذا رفعها عادت .. واذا وضع رجله عليه ذابت .. فاذا رفعها عادت .. يصعد سبعين خريفا ثم يهوى كذلك » (٦٠) .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه في قوله تعالى : « فسوف يلقون غيا » (٦١) قال : « واد في جهنم يقذف فيه الذين يتبعون الشهوات » (٦٢) .

وعن على كرم الله وجهه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تعوذوا بالله من جب الحزن — أو وادى الحزن — قيل : يا رسول الله .. وما جب الحزن — أو وادى الحزن — ؟ قال : واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة .. أعده الله للقراء المرائين » (٦٣) .

وعن شفي بن ماتع قال : « ان في جهنم قصرا يقال له « هوى » يرمى الكافر من أعلاه أربعين خريفا قبل أن يبلغ أصله .. قال الله تعالى : « ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى » (٦٤) .. وان في جهنم واديا يدعى « أثاما » فيه حيات وعقارب .. فقار احداهن مقدار سبعين قلة سم .. والعقرب منهن مثل البغلة الموكفة تلدغ الرجل .. ولا يلهيها ما يجد من حر جهنم عن حموة لدغتها فهو لمن خلق له .. وان في جهنم واديا يدعى « غيا » يسيل قيحا ودما .. وان في جهنم سبعين داء كل داء مثل جزء من أجزاء جهنم » (٦٥) .

وعن عطاء بن يسار رضى الله عنه قال : « ان في النار سبعين ألف واد .. في كل واد سبعين ألف شعب .. في كل شعب سبعين ألف جحر .. وفي كل جحر حية تأكل وجوه أهل النار » (٦٦) .

(٥٩) المدثر : ١٧

(٦٠) رواه أحمد والحاكم والترمذي .

(٦١) مريم : ٥٩ (٦٢) رواه الطبراني والبيهقي .

(٦٣) رواه البيهقي . (٦٤) طه : ٨١

(٦٥) رواه ابن أبي الدنيا موقوفا .

(٦٦) رواه البخاري وابن أبي الدنيا .

وفي رواية عن نفير بن مجيب قال : « ان في جهنم سبعين ألف واد .. في كل واد سبعون ألف شعب .. في كل شعب سبعون ألف دار .. في كل دار سبعون ألف بيت .. في كل بيت سبعون ألف بئر .. في كل بئر سبعون ألف ثعبان .. في شقوق كل ثعبان سبعون ألف عقرب .. لا ينتهي الكافر أو المنافق حتى يواقع ذلك كله » (٦٧) .

وعن أبي أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أن صخرة وزنت عشر خلفات قذف بها من شفير جهنم .. ما بلغت قعرها سبعين خريفا حتى ينتهي الى غي .. وأثام .. قيل : وما غي وأثام ؟ قال : بئران في جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار .. وهما اللتان ذكرهما الله في كتابه : « أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غيا » (٦٨) وقوله : « ومن يفعل ذلك يلق أثاما » (٦٩) .

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لسرادق النار أربعة جدر .. كثف كل جدار مسيرة أربعين سنة » (٧٠) .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أن رصاصة مثل هذه — وأشار مثل الجمجمة — أرسلت من السماء الى الأرض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل .. ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها » (٧١) .

وعن يعلى بن منية رفع الحديث الى النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ينشئ الله سحابة سوداء مظلمة .. فيقال : يا أهل النار أى شيء تطلبون ؟ .. فيذكرون بها سحابة الدنيا فيقولون : يا ربنا .. الشراب .. غتمطرهم أغلالا تريد في أغلالهم .. وسلاسل تريد في سلاسلهم .. وجمرا تلتهب عليهم » (٧٢) .

(٦٧) رواه ابن أبي حاتم . (٦٨) مريم : ٥٩

(٦٩) رواه الطبراني والبيهقي — والآية من سورة الفرقان : ٦٨

(٧٠) رواه الترمذي والحاكم .

(٧١) رواه أحمد والترمذي والبيهقي .

(٧٢) رواه الطبراني .

وعن محمد بن هاشم رضى الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية :
« ناراً وقودها الناس والحجارة » (٧٣) قرأها النبي صلى الله عليه وسلم
فسمعها شاب الى جنبه فصعق .. فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
رأسه في حجره رحمة له .. فمكث ما شاء الله أن يمكث ثم فتح عينيه
فقال : بأبني أنت وأمي .. مثل أى شئ الحجر ؟ قال : أما يكفيك
ما أصابك ؟ على أن الحجر الواحد منها لو وضع على جبال الدنيا كلها
لذابت منه .. وان مع كل انسان منهم حجرا وشيطانا » (٧٤) .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه في قوله تعالى : **« وقودها الناس
والحجارة »** قال : « هي حجارة من كبريت .. خلقها الله يوم خلق
السموات والأرض في السماء الدنيا يعدها للكافرين » (٧٥) .

وعن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي رضى الله عنه قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان في النار حيات كأمثال
أعناق البخت .. تلسع احداهن اللسعة فيجد حرها سبعين خريفا ..
وان في النار عقارب كأمثال البغال الموكفة تسلع احداهن اللسعة فيجد
حموتها أربعين سنة » (٧٦) .

وعن يزيد بن شجرة قال : « ان لجهنم لجبابا .. في كل جب
ساحلا كساحل البحر .. فيه هوام وحيات كالبحاثى وعقارب كالبعال
الذل .. فاذا سأل أهل النار التخفيف قيل : اخرجوا الى الساحل ..
فتأخذهم تلك الهوام بشفاههم وجنوبهم وما شاء الله من ذلك ..
فتكشطها فيرجعون فيبادرون الى معظم النيران .. ويسلط عليهم الجرب
حتى ان أحدهم ليحك جلده حتى يبدو العظم .. فيقال : يا فلان ..
هل يؤذيك هذا ؟ فيقول : نعم . فيقال له : ذلك بما كنت تؤذى
المؤمنين » (٧٧) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« ان الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى
جوفه .. فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه — وهو الصهر —
ثم يعاد كما كان » (٧٨) .

(٧٤) رواه ابن ابى الدنيا .

(٧٣) التحريم : ٦

(٧٥) رواه الحاكم موقوفا .

(٧٦) رواه أحمد والطبرانى وابن حبان .

(٧٨) رواه الترمذى والبيهقى .

(٧٧) رواه ابن ابى الدنيا .

وفي رواية البيهقي : « ... فيخلص فينفذ الجمجمة حتى يخلص الى جوفه » ..

والحميم : هو المذكور في القرآن الكريم في قوله تعالى : « وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم » (٧٦) .

وعن ابي امامة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : « ويسقى من ماء صديد » يتجرعه » (٨٠) قال : يقرب الى فيه فيكرمه .. فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه .. فاذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره .. قال الله عز وجل : « وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم » (٨١) .. ويقول : « وان يستقيثوا يغاثوا بماء كاتل يشوى الوجوه ، بئس الشراب » (٨٢) .

وعن ابي سعيد رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لو أن دلوا من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا » (٨٣) .

وعن ابي موسى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن الخمر ، وقاطع الرحم ، ومصدق بالسحر .. ومن مات مدمن الخمر سقاه الله جل وعلا من نهر الغوطة .. قيل : وما نهر الغوطة ؟ قال : نهر يجري من فروج المومسات .. يؤذى أهل النار ريح غروجهم » (٨٤) .

وعن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من شرب الخمر لم يرض الله عنه أربعين ليلة .. فان مات مات كافرا .. فان عاد كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال . قيل : يا رسول الله .. وما طينة الخبال ؟ قال : صديد أهل النار » (٨٥) .

وعن أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من غارق الدنيا وهو سكران دخل القبر سكران .. وبعث من قبره

(٨٠) ابراهيم : ١٦ ، ١٧

(٧٩) محمد : ١٥

(٨١) محمد : ١٥

(٨٢) رواه احمد والترمذى — والآية من سورة الكهف : ٢٩

(٨٣) رواه الترمذى .

(٨٤) رواه احمد وابن حبان والحاكم .

(٨٥) رواه احمد وابن حبان .

سكران .. وأمر به الى النار سكران .. فيه عين يجرى منها التبيح والدم .. هو طعامهم وشرابهم ما دامت السموات والأرض » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية : « اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » (٨٦) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم .. فكيف بمن يكون طعامه » (٨٧) .

وعن أبي الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يلقي على أهل النار الجوع .. فيعدل ما هم فيه من العذاب .. فيستغيثون فيغاثون بطعام من خريع .. لا يسمن ولا يغنى من جوع .. فيستغيثون فيغاثون بطعام ذى غصة .. فيذكرون أنهم يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب .. فيستغيثون بالشراب فيدفع اليهم بكلايب الحديد .. فاذا دنت من وجوههم شوت وجوههم .. فاذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم .. »

فيقولون : ادعوا خزنة جهنم .. فيقولون : « أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ، قالوا بلى ، قالوا فادعوا ، وما دعاء الكافرين الا في ضلال » (٨٨) .

قال : فيقولون : ادعوا مالكا فيقولون : « يا مالكا ليقض علينا ربك » (٨٩) قال : فيجيبهم : « انكم ماكثون » (٩٠) .

قال الأعمش : نبئت أن بين دعائهم وبين اجابة مالك اياهم ألف عام .. قال فيقولون : ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم .. فيقولون : « ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين . ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون » (٩٠) قال : فيجيبهم : « اخسأوا فيها ولا تكلمون » (٩١) قال : فعند ذلك يؤسوا من كل خير .. وعند ذلك يأخذون في الزفير والحسرة والويل » (٩٢) .

(٨٦) آل عمران : ١٠٢

(٨٧) رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان .

(٨٨) غافر : ٥٠

(٨٩) الزخرف : ٧٧

(٩٠) المؤمنون : ١٠٦ ، ١٠٧

(٩١) المؤمنون : ١٠٨

(٩٢) رواه الترمذى والبيهقى .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : « لو أن رجلا من أهل النار أخرج الى الدنيا لمات أهل الدنيا من وحشة منظره .. ونتن ريحه .. قال : ثم بكى عبد الله بكاء شديدا » (٩٣) .

وعن أبى العجلان قال : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الكافر ليجر لسانه فرسخين يوم القيامة يتوطؤه الناس » (٩٤) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « أتدرى ما سعة جهنم ؟ قال مجاهد : قلت : لا .. قال : أجل والله .. والله ما تدرى ان بين شحمة أذن أحدهم وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفا .. تجرى فيه أودية القيح والدم . قلت : أنهارا ؟ قال : لا .. بل أودية » (٩٥) .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « **وهم فيها كالحون** » (٩٦) قال : تشويه النار .. فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه .. وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرته » (٩٧) .

وعنه رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان أهون أهل النار عذابا رجل منتعل بنعلين من نار يغلى منهما دماغه مع أجزاء العذاب .. ومنهم من فى النار الى كعبيه مع أجزاء العذاب .. ومنهم من فى النار الى ركبتيه مع أجزاء العذاب .. ومنهم من قد اغتمر » (٩٨) .

وعند مسلم : « ان أدنى أهل النار عذابا منتعل بنعلين من نار يغلى دماغه من حر نعليه » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان أهون أهل النار عذابا أبو طالب .. وهو منتعل بنعلين يغلى منهما دماغه » (٩٩) .

وعن سمرة بن جندب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « منهم من تأخذه النار الى كعبيه .. ومنهم من تأخذه النار الى

(٩٣) رواه ابن أبى الدنيا موقوفا .

(٩٤) رواه البيهقى والترمذى .

(٩٥) رواه أحمد والحاكم . (٩٦) المؤمنون : ١٠٤

(٩٧) رواه أحمد والترمذى والحاكم .

(٩٨) رواه أحمد والبخارى . (٩٩) رواه مسلم .

ركبتيه .. ومنهم من تأخذه النار الى حجزته .. ومنهم من تأخذه النار الى عنقه .. ومنهم من تأخذه النار الى ترقوته» (١٠٠) .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى : « **فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ** » (١٠١) قال : يجمع بين رأسه ورجليه ثم يقصف كما يقصف الحطب» (١٠٢) .

وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قرأ هذه الآية : « **كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ** » (١٠٣) قال : « يا كعب .. أخبرنى عن تفسيرها فان صدقت صدقتك .. وان كذبت رددت عليك .. فقال : ان جلد ابن آدم يحرق ويجدد في ساعة أو في يوم مقدار ستة آلاف مرة .. قال : صدقت » (١٠٤) .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « **يُؤْتَى بِأَنعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ..** ثم يقال له : يا ابن آدم .. هل رأيت خيرا قط ؟ هل مر بك نعيم قط ؟ فيقول : لا والله يا رب .. »

ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة .. فيقال له : يا ابن آدم .. هل رأيت بؤسا قط ؟ هل مر بك من شدة قط ؟ .. فيقول : لا والله يا رب .. ما مر بى بؤس قط ولا رأيت شدة قط » (١٠٥) .

وعن سويد بن غفلة رضى الله عنه قال : اذا أراد الله أن ينسى (*) أهل النار جعل للرجل منهم صندوقا على قدره من نار .. لا ينبض منه عرق الا فيه مسمار من نار .. ثم تضرم فيه النار .. ثم يقفل بقفل من نار .. ثم يجعل ذلك الصندوق في صندوق من نار ثم يضرم بينهما نارا .. ثم يقفل بقفل من نار .. ثم يجعل ذلك الصندوق في صندوق من نار ثم يضرم بينهما نار ثم يقفل .. ثم يلقي — أو يطرح في النار .. فذلك قوله : « **لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظِلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظِلَلٌ** ، ذلك يخوف الله به عباده ، يا عباد فاتقون » (١٠٦) .. وذلك قوله :

(١٠٠) رواه مسلم . (١٠١) الرحمن : ٤١

(١٠٢) رواه البيهقى موقوفا . (١٠٣) النساء : ٥٦

(١٠٤) رواه البيهقى . (١٠٥) رواه مسلم .

(*) بضم الباء وتسكين النون وفتح السين والياء .

(١٠٦) الزمر : ١٦

« لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون » (١٠٧) .. قال : فما يرى أن في النار أحدا غيره » (١٠٨) .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : أن أهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاما .. ثم يقول : « انكم ماكثون » .. ثم يدعون ربهم فيقولون : « ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون » فلا يجيبهم مثل عمر الدنيا .. ثم يقول : « اخسأوا فيها ولا تكلمون » ثم يئأس القوم فما هو الا الزفير والشهيق تشبه أصواتهم أصوات الحمير .. أولها شهيق وآخرها زفير » (١٠٩) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يرسل البكاء على أهل النار فيكون حتى تنقطع الدموع .. ثم يكون الدم حتى يصير في وجوههم كهيئة الأخدود .. لو أرسلت فيه السفن لجرت » (١١٠) .

وفي رواية قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يا أيها الناس .. ابكوا فان لم تبكو فتباكوا .. فان أهل النار يكون في النار حتى تسيل دموعهم في خدودهم كأنها جداول .. حتى تنقطع الدموع فيسيل - يعنى الدم - فيقرح العيون » .

ورواه الحاكم مختصرا عن عبد الله بن قيس مرفوعا قال : « أن أهل النار ليبكون حتى لو أجريت السفن في دموعهم لجرت .. وانهم ليبكون الدم مكان الدمع » .. وقال : صحيح الاسناد .

* * *

وبعد .. فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يؤتى بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط .. فيقال : يا أهل الجنة .. فيطلعون خائفين وجلين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه .. »

ثم يقال : يا أهل النار .. فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه .. فيقال : هل تعرفون هذا ؟ .. قالوا : نعم .. هذا الموت ..

(١٠٧) الانبياء : ١٠٠

(١٠٨) رواه البيهقى موقوفا .

(١٠٩) رواه الطبرانى والحاكم موقوفا .

(١١٠) رواه ابن ماجه وأبو يعلى .

قال : فيؤمر به فيذبح على الصراط .. ثم يقال للفريقين كلاهما :
خلود فيما يجدون • لا موت فيها أبدا « (١١١) •

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح .. فيوقف بين الجنة والنار
.. ثم ينادى مناد : يا أهل الجنة .. فيقولون : لبيك ربنا .. قال
فيقال : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ربنا .. هذا الموت ..

ثم ينادى مناد : يا أهل النار .. فيقولون : لبيك ربنا .. قال
فيقال لهم : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ربنا .. هذا الموت ..

فيذبح كما تذبح الشاة .. فيأمن هؤلاء وينقطع رجاء هؤلاء « (١١٢)

* * *

* موعظة للحارث المحاسبى :

ويقول أبو عبيد الله الحارث بن أسد المحاسبى البصرى فى كتابه
« التوهم » :

« فتوهم ممرك على الجسر بشدة الخوف وضعف البدن ..
وأن يكون مغضوبا عليك غير معفى عنك .. ولم تشعر الا وقد زلت
قدمك عن الصراط .. فتوهم نفسك ان لم يعف عنك أن زلت رجلك
عن الصراط .. فقلت فى نفسك مع ذلك : ذهبت أبدا .. هذا الذى
كنت أحاذر وأخاف ..

وطار عقلك .. ثم زلت الأخرى فتنكست هامتك .. وارتفعت
عن الصراط رجلاك .. فلم تشعر الا والكلوب قد دخل فى جلدك ولحمك
.. فجذبت به وبادرت اليك النار ثائرة غضبانة لغضب مولاها ..
فهى تجذبك وأنت تهوى من الجسر وتنادى حين وجدت مس
لفحها : ويلى .. ويلى !!

وقد غلب على قلبك الندم والتأسف .. ألا كنت أرضيت الله
عز وجل فرضى عنك وأقلعت عما يكره قبل أن تموت فغفر لك ؟؟
حتى اذا وجدت فى جوفها .. التحمت عليك بحريقها .. وقلبك
قد بلغ غاية حرقة ومضيضه .. فتورمت فى أول ما ألقىت فيها ..
ونادى الله عز وجل النار وأنت مكبوب على وجهك تنادى بالويل

(١١١) رواه ابن ماجه .

(١١٢) رواه أبو يعلى والطبرانى والبزار .

والثبور .. فناداها : « هل امتلأت » ؟ فسمعت نداءه وسمعت
اجابته : « هل من مزيد » ؟

يقول : هل من سعة وانت في قعرها .. وهى تتلهب في بدنك ..
لها قصيف في جسدك .. ثم لم تلبث أن تقطر بدنك وتساقط لحمك ..
وبقيت عظامك .. ثم أطلقت النار على ما في جوفك فأكلت ما فيه ..
فتوهم كبذك والنار تداخل فيها .. وانت تنادى فلا ترحم .. وتبكي
وتعطى الندم .. ان رددت : ألا تعود فلا تقبل توبتك ولا يجاب
ندائك ..

فتوهم نفسك وقد طال فيها مكثك وألح العذاب .. فبلغت غاية
الكرب .. واشتد بك العطش فذكرت الشراب في الدنيا .. ففرغت
الى الحميم .. فتناولت الاناء من يد الخازن الموكل بعذابك .. فلما
أخذته نشت كفك من تحته .. وتفسخت لحرارته .. وهيج حريقه ..
ثم قربته الى فيك غشوى وجهك .. ثم تجرعتة فسلخ حلقك ..
ثم وصل الى جوفك فقطع أمعاءك .. فناديت بالويل والثبور ..
وذكرت شراب الدنيا وبرده ولذته .. ثم أقلعت الحريق .. فبادرت الى
حياض الحميم لتبرد بها .. كما تعودت في الدنيا الاغتسال والانغماس
في الماء .. اذا اشتد عليك الحر ..

فلما اغتمست في الحميم تسليخ من قرنك الى قدمك .. فبادرت
الى النار رجاء أن تكون هى أهون عليك .. ثم اشتد عليك حريق النار
.. فرجعت الى الحميم وأنت تطوف بينها وبين حميم آن .. وهو
الذى قد انتهى حره .. وتطلب الروح فلا روح بين الحميم وبين
النار .. تطلب الروح فلا روح أبدا ..

فلما اشتد بك الكرب والعطش .. وبلغ منك المجهود ذكرت الجنان
.. فهاجبت غصة من فؤادك الى حلقك أسفا على جوار الله عز وجل ..
وحزنا على نعيم الجنة ..

ثم ذكرت شرابها وبرد مائها وطيب عيشها .. فتقطع قلبك حسرة
لحرمان ذلك .. ثم ذكرت أن فيها بعض القرابة من أب أو أم أو أخ ..
وغيرهم من القرابة فناديتهم بصوت محزون من قلب محترق قلق
يا أماه أو يا أبتاه أو يا أخاه أو يا خاله أو يا عماه أو يا أختاه ..
شربة من ماء .. فأجابوك بالخيبة فتقطع قلبك حسرة بما خيخوا من
أملك .. وبما رأيت من غضبهم عليك لغضب ربك عز وجل ..

ففرغت الى الله بالنداء .. بالمرجع والعتبى أن يردك الى الدنيا ..
فمكث عنك دهرًا طويلًا لا يجيبك هوأنا بك .. وان صوتك عنده ممقوت
.. وجاهك عنده ساقط .. ثم ناداك بالخفية منه أن : « اخصاوا فيها
ولا تكلمون » ..

فلما سمعت نداءه بجلال كلامه بالتخسية لك ابتداء .. فمثلك
لا تجاب .. ومناخرك وفيك ملجومة بلجام .. فبقى نفسك مترددًا
في جوفك لا مخرج له .. فضاقت نفسك في صدرك وبقيت قلقلًا ترهب ..
لا تطيق الكلام ولا يخرج منك نفس .. ثم أراد أن يزيدك آياسا وحسرة
.. فأطبق أبواب النار عليك وعلى أعدائه فيها ..

فما ظنك ان لم يعف عنك .. وقد سمعت رجوف بابها قد أغلق
.. فيا آياسك ويا آياس سكان جهنم حين سمعوا وقع أبوابها تطبق
عليهم .. فعلموا عند ذلك أن الله عز وجل انما أطبقها لئلا يخرج منها
أحد أبدا .. فتقطعت قلوبهم آياسا .. وانقطع الرجاء منهم ألا يخرج
أبدا ولا مخرج منها ولا محيص لهم من عذاب الله عز وجل أبدا ..
خلود فلا موت .. وعذاب لا زوال له عن أبدانهم .. ودوام حرق
قلوبهم ومضيضها .. فلا روح ولا راحة تعلق بهم أبدا ..
أحزان لا تنقضى .. وغموم لا تنفد .. وسقم لا يبرأ .. وقيود
لا تحل .. وأغلال لا تفك أبدا .. وعطش لا يروون بعده أبدا ..
وكرب لا يهدأ أبدا .. وجوع لا يشبعون بعده أبدا .. الا بالزقوم
ينشب في حلوقهم ..

فيسغيثون بالشراب ليسوغوا به غصصهم فيقطع أمعاءهم ..
وحسرة فوت رضوان الله عز وجل في قلوبهم .. وكمد حرمان جوار الله
عز وجل يتردد في صدورهم .. لا يرحم بكأؤهم .. ولا يجاب دعاؤهم
.. ولا يغاثون عند تضرعهم .. ولا تقبل توبتهم .. ولا تقال عثرتهم ..
غضب الله عز وجل عليهم فلا يرضى عنهم أبدا .. اذ أبغضهم
ومقتهم .. وسقطوا من عينه .. وهانوا عليه فأعرض عنهم ..
فلو رأيتهم وقد عطشوا وجاعوا .. فنادوا من أهل الجنة الأقرباء
.. فقالوا جميعا : يا أهل الجنة .. يا معشر الآباء والأمهات والأخوة
والأخوات .. خرجنا من قبورنا عطاشا .. وأوقفنا بين يدي الله عز وجل
عطاشا .. وأمر بنا ربنا الى النار عطاشا .. أفئضوا علينا من الماء
أو مما رزقكم الله ..

فأجابوهم باستخسية .. فتراجع في قلوبهم الحسرة والندامة ..
فهم فيها يتقلقون .. لا ينفخ وجوههم روح أبدا .. ولا يذوقون
منها باردا أبدا .. ولا يطبقون جفونهم على عمى نوم أبدا .. فهم
في عذاب دائم وهوان لا ينقطع .. فمثل نفسك بهذا الوصف ان لم
يعف عنك ..

فلو رأيت المعذبين في خلقهم .. وقد أكلت النار لحومهم ..
ومحت محاسن وجوههم .. واندرس تخطيطهم .. فبقيت العظام مواصلة
محتركة مسودة .. وقد قلقوا واضطربوا في قيودهم وأغلالهم .. وهم
ينادون بالويل والثبور .. ويصرخون بالبكاء والعويل .. اذن لذاب
قلبك فزعا من سوء خلقهم .. وتضعفت من رائحة ننتهم .. ولما بقى
روحك في بدنك من شدة وهج أبدانهم وحرارة أنفاسهم ..

فكيف بك اذا نظرت انى نفسك فيها وأنت أحدهم .. وقد زال
من قلبك الأمل والرجاء .. ولزمه القنوط والاياس .. وعطفت على
بدنك فتقحمت على الحدقتين فسمعت تفضيضهما انتقاما .. وبدلا من
نظرك الى مالا يحب ولا يرضى .. ودخلت النار في مسامعك فتسمع
لها فيه قصيفا وجلبة .. والتحفت عليك فنفضت منك العظام .. ودوبت
اللحام .. واطلعت الى الجوف فأكلت الكبد والأحشاء .. فغلب على
قلبك الحسرات والندامة والتأسف ..

فتوهم ذلك بعقل فارغ .. وقد هاجت منه رحمة لضعفك ..
وارجع عما يكره مولاك وترضى .. عسى أن يرضى عنك .. وأعد به
بعقلك واستقله يقلك عثراتك .. وابك من خشيته عسى أن يرحمك
ويقبل عثراتك ..

فان الخطر عظيم .. وان البدن ضعيف .. والموت منك قريب ..
والله جل جلاله مع ذلك مطلع يراك .. وناظر لا يخفى عليه منك
سروا علانية ..

فاحذر نظره بالمقت والبغضة والغضب والقلاء .. وأنت لا تشعر
مراحا أو قرير العين .. فاحذر الله عز وجل وخفه .. واستحى منه
وأجله .. ولا تستخف بنظره ولا تتهاون باطلاعه .. وأجل مقامه
عليك وعلمه بك .. وافرقه واخشه قبل أن يأخذك بغتة ..

ولير أثر مصيبة مخالفتك نه ليعلم ما قد بلغ منك خلافه ..
 فيعظم حزنك ويشتد غمك بمخالفته .. وليعلم أنه قد بلغ اليك خلافه ..
 فان علم ذلك منك صفح عنك وعفى عنك ..
 فلا تتعرض لله عز وجل فانه لا طاقة لك بغضبه .. ولا قوة
 لعذابه .. ولا صبر لك على عقابه .. ولا صبر عندك عن جواره
 فتدارك نفسك قبل لقائه .. فكأنك بالموت قد نزل بك بغتة .. الموت
 فكأن قد نزل » (١١٣) .

* * *

« ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا اصرا
 كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ،
 واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم
 الكافرين » (١١٤) .

« ربنا لا ترغ قلوبنا بعد از هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة ،
 انك أنت الوهاب . ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، ان الله
 لا يخلف الميعاد » (١١٥) .

« ربنا اننا آما فاعفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار » (١١٦) .
 « ربنا آما بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين » (١١٧)
 « ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا
 على القوم الكافرين » (١١٨) .

« ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقنا عذاب النار . ربنا انك
 من تدخل النار فقد أخزيتة ، وما للظالمين من أنصار . ربنا اننا سمعنا
 مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاعفر لنا ذنوبنا وكفر
 عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار . ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا
 يوم القيامة ، انك لا تخلف الميعاد » (١١٩) .

« صدق الله العظيم »

* * *

(١١٣) كتاب « التوهم » للحارث المحاسبى ، ص ٢٦ — ٢٩ : طبع
 دار التراث العربى — سنة ١٩٨٠ م .

(١١٥) آل عمران : ٨ ، ٩

(١١٤) البقرة : ٢٨٦

(١١٧) آل عمران : ٥٣

(١١٦) آل عمران : ١٦

(١١٨) آل عمران : ١٤٧

(١١٩) آل عمران : ١٩١ — ١٩٤

الفصل الخامس

عالم الغيب والشهادة

- * ميزان عدل ..
- * غيب السموات والأرض ..
- * من أسماء الله وصفاته ..
- العظيم ..
- السميع البصير ..
- اللطيف الخبير ..
- القادر المقتدر ..
- * لا يعلم الغيب الا الله تعالى ..
- الملائكة لا يعلمون الغيب .
- الأنبياء لا يعلمون الغيب .
- الجن لا يعلمون الغيب .
- * مزاعم وأباطيل ..
- علم الظاهر .. وعلم الباطن !!
- أهل الشريعة وأهل الحقيقة ..
- مسألة الخضر .
- هل كان نبيا .. أم وليا ؟
- * ما هو التصوف الاسلامي ؟
- تعريف التصوف .. أصله ونشأته .
- الوجه الآخر للعملة ..
- * السحر .. والكهانة !!

عالم الغيب والشهادة

✽ ميزان عدل :

يقول الله تعالى على لسان لقمان الحكيم :

« يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله ، ان الله لطيف خبير » (١) .

روى أن ناثان بن لقمان الحكيم .. سأل أباه : عن الحبة تقع في سفلى البحر .. أيعلمها الله ؟

فراجع له لقمان بهذه الآية ..

وقيل انه قال لأبيه : يا أبت .. ان عملت الخطيئة حيث لا يرانى أحد .. كيف يعلمها الله ؟

فقال له لقمان : « يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة .. » فما زال ابنه يضطرب حتى مات .. قاله مقاتل ..

والمعنى على الرواية الأولى : أنه لو كان للانسان رزق مثل حبة خردل في هذه المواضع .. جاء الله بها حتى يسوقها الى من هى رزقه .. أى لا تهتم للرزق حتى تشتغل به عن أداء الفرائض ، وعن اتباع سبيل من أناب الى الله .

ومن هذا المعنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم للعبد الله ابن مسعود رضى الله عنه : « لا تكثر همك .. ما يقدر يكن وما ترزق يأتك » .

وعلى القول الثانى : ان المظلمة أو الخطيئة ولو كانت مثقال حبة من خردل .. محصنة محجبة .. فى داخل صخرة صماء .. أو غائبة ذاهبة فى أرجاء السموات والأرض .. يأتى بها الله يوم القيامة .. يوم لا تتظلم نفس شيئاً .. لأنه تعالى لا تخفى عليه خافية .. ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض .

(١) لقمان : ١٦

ولهذا قال : « ان الله لطيف خبير » .. أى لطيف العلم فلا تخفى عليه الأشياء وان دقت ولطفت وتضاءلت .. خبير بدبيب النمل فى الليل البهيم .. والمراد .. أن هذه الحبة فى حقارتها .. لو كانت داخل صخرة ، فإن الله سييدها ويظهرها بلطيف علمه (٢) .

* * *

يقول الله تعالى : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين » (٣) .

ويقول تعالى : « فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون . ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون » (٤) .

ويقول جل شأنه : « ان الله لا يظلم مثقال ذرة ، وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما » (٥) .

ويقول : « وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين » (٦) .

ويقول جل وعلا : « ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » (٧) .

ويقول تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » (٨) .

لا مفر من الموت الذى يهرب الناس منه .. فانه ملاقيهم مهما طاللت أعمارهم .. ثم يردون الى عالم السر والعلانية .. الله الخبير المتعال .. واليه وحده مصيرهم بعد هذه الحياة الدنيا .. فيخبرهم تعالى بما كانوا يعملون .. ويجازيهم بما يستحقون .. فهو وحده عالم السر والعلانية .. ولا يغيب عن علمه تعالى شئ فى وزن الذرة .. فى الأرض ولا فى السماء .. ولا أصغر من ذلك ولا أكبر منه ..

(٢) الجامع لأحكام القرآن للامام القرطبى ، وتفسير القرآن العظيم للامام ابن كثير .

(٣) الأنبياء : ٤٧

(٥) النساء : ٤٠

(٧) التوبة : ٩٤ ، الجمعة : ٨

(٤) الأعراف : ٨ ، ٩

(٦) يونس : ٦١

(٨) الزلزلة : ٧ ، ٨

والله تعالى يحاسب عباده على الخير والشر .. مهما صغير أو ضؤل
.. ومهما كان الخير قليلا فانه يوشك أن يكثر .. ومهما كان الذنب
يسيرا فانه يوشك أن يكثر .. وهو تعالى يسجل الكبير والصغير عنده
في كتاب بين واضح ..

ويخبرنا تعالى بأنه سيضع الموازين العادلة يوم القيامة^(٩) ..
فلا تظلم نفس بنقص شيء من حسناتها .. أو زيادة شيء من سيئاتها
.. حتى ولو كانت مثل الحبة الصغيرة .. فان الله تعالى سيأتي بها
ويحاسب عليها ..

وكفى أن يكون الله تعالى هو المحاسب حتى لا تظلم نفس شيئا ..
لأنه تعالى بعدله لا ينقص من أجر العامل ولا يزيد في عذابه شيئا ..
وان كان بكرمه يضاعف للمحسن ثواب حسناته مهما قلت .. ويعطى
من فضله العطاء الكبير غير المقابل بالحسنات التي يضاعفها لمن يشاء ..
في ذلك اليوم العظيم .. حين يسألنا الله ويخبرنا بأعمالنا ..
سيكون تقدير الأعمال للجزاء عليها تقديرا عادلا .. فالذين كثرت
حسناتهم ورجحت على سيئاتهم هم الفائزون الذين يصونهم الله تعالى
عن النار ويدخلهم الجنة ..

أما الذين كثرت سيئاتهم .. ورجحت على حسناتهم فانهم
الخاسرون .. فقد باعوا أنفسهم للشيطان .. وتركوا التدبر في آيات الله
كفرا وعنادا .. فهؤلاء مصيرهم الى النار .. وهذا هو العدل الذي
يقيمه الله تعالى يوم القيامة ..

* * *

* غيب السموات والأرض :

يقول الله تعالى : « وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض
ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين »^(١٠) .
والذى لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ..
يقتضى أن يكون عليما .. سميعا بصيرا .. لطيفا خبيرا .. قادرا
مقتدرا ..

(٩) تحدثنا عن « الميزان » في الفصل الرابع من هذا الكتاب — راجع
صفحة ٢٨٥ وما بعدها .
(١٠) يونس : ٦١

ليس لعلمه ولا لسمعه ولا لبصره .. أو لطفه وخبرته وقدرته
حدود ..

وهذه الصفات لا تكون الا الله تعالى وحده .. فهو وحده الخالق
.. وهو وحده العليم بما خلق ..

يقول الله تعالى : « الله الذى خلق السموات والأرض وانزل من
السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى
البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ،
وسخر لكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل ما سألتموه ، وان تعدوا نعمة
الله لا تحصوها ، ان الانسان لظلوم كفار » (١١) .

ويقول جل شأنه : « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ،
ويعلم ما فى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى
ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين . وهو الذى يتوفاكم
بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ،
ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون » (١٢) .

ويقول : « الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تفيض الأرحام
وما تزداد ، وكل شيء عنده بمقدار . عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال .
سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب
بالنهار » (١٣) .

ويقول تعالى : « ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم
ما فى الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى
أرض تموت ، ان الله عليم خبير » (١٤) .

ويقول : « وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق ، ويوم يقول
كن فيكون ، قوله الحق ، وله الملك يوم ينفخ فى الصور ، عالم الغيب
والشهادة ، وهو الحكيم الخبير » (١٥) .

ويقول جل وعلا : « والله غيب السموات والأرض واليه يرجع الأمر
كله فاعبده وتوكل عليه ، وما ريك بغافل عما تعملون » (١٦) .

(١٢) الأنعام : ٥٩ ، ٦٠

(١٤) لقمان : ٣٤

(١٦) هود : ١٢٣

(١١) ابراهيم : ٣٢ — ٣٤

(١٣) الرعد : ٨ — ١٠

(١٥) الأنعام : ٧٣

والانسان يرى في محيط محدود .. بقدر ما يصل اليه بصره ..
ولكن الله تعالى لا يحد بصره حدود .. فهو سبحانه الذي يشاهد
ويرى .. ولا يغيب عنه ما في السموات العلا .. وما في الأرض
وما بينهما وما تحت الثرى ..

وهو سبحانه الحاضر الذي لا يغيب ..
ولهذا عندما أمر تعالى موسى وأخاه هارون عليهما السلام بالذهاب
الى فرعون مصر .. وأبديا خوفهما من أن يفرط عليهما أو يطغى ..
قال لهما تعالى : « لا تخافا ، اننى معكما أسمع وأرى » (٢٤) .

* * *

* اللطيف الخبير :

يقول الله تعالى : « والله ميراث السموات والأرض ، والله بما
تعملون خبير » (٢٥) .

ويقول تعالى : « بديع السموات والأرض ، أنى يكون له ولد
ولم تكن له صاحبة ، وخلق كل شيء ، وهو بكل شيء عليم . ذلكم الله
ريكم ، لا اله الا هو ، خالق كل شيء فاعبدوه ، وهو على كل شيء وكيل .
لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » (٢٦) .

ويقول جل شأنه : « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » (٢٧) .

● وقد ورد اسمه تعالى « اللطيف » في ٦٠ آية ..

وللطيف معان كثيرة .. منها أنه يفيض بالخير كل الخير على
عباده برفق ورحمة .. وذلك يظهر من قوله تعالى : « الله لطيف بعباده
يرزق من يشاء ، وهو القوى العزيز » (٢٨) .

ومنها أنه العليم بدقائق الأمور .. خافيتها وباطنها .. وهذا
ما تشير اليه الآية الكريمة : « يا بنى انما ان تك مثقال حبة من خردل
فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله ، ان الله
لطيف خبير » (٢٩) .

(٢٥) آل عمران : ١٨٠

(٢٧) المائدة : ١٤

(٢٩) لقمان : ١٦

(٢٤) طه : ٤٦

(٢٦) الأنعام : ١٠١ — ١٠٣

(٢٨) الثورى : ١٩

فهو وحده العليم بخفيات الأمور .. البر بعباده الذى يلف بهم
من حيث لا يعلمون .. ويهى مصالحهم من حيث لا يحتسبون ..

* * *

● كما ورد اسمه تعالى « الخبير » فى ٣٣ آية ..

فالله سبحانه وتعالى الخبير .. الذى يسمع ويصر ويعلم ..
ويعلمه الذى احتوى الوجود وما قبله .. وما بعده .. يأمر فيكون ..
وما أمره فى كل الكون ووحداته .. والانسان فى مختلف حالاته ..
الا لأنه الخبير ..

الخبير الذى يعلم الخير فيما أراد .. مما يصلح الوجود
والعباد .. لذلك نجد أن لفظ « الخبير » قد ارتبط « بالحكيم » فى عدة
آيات مثل قوله تعالى : « وهو القاهر فوق عباده ، وهو الحكيم
الخبير » (٣٠) .

ووردت مع « اللطيف » فى آيات أخرى مثل قوله تعالى :
« ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » (٣١) .

ولحقت بلفظ « العليم » فى آيات مثل قوله جل شأنه :
« وما تدري نفس بأى أرض تموت ، ان الله عليم خبير » (٣٢) .

وهو سبحانه الخبير الذى يعلم من الانسان كل ما يعمل ..
ويعلم كل الجوانب والدوافع والأهداف والنوايا التى كانت فى الانسان
فى عمله .. وكانت منه فى صنعه ..

ولذلك تكررت الآيات التى تؤكد أن الله سبحانه وتعالى هو الخبير
بما يعمل عباده وبما يصنعونه فى مثل قوله تعالى : « والله خبير بما
تعملون » (٣٣) .. وقوله تعالى : « ان الله خبير بما يصنعون » (٣٤) .

فهو سبحانه الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ..
ولا تتحرك حركة .. ولا تسكن ساكنة فى السموات والأرض الا ويعلم
مستقرها ومستودعها ..

* * *

(٣١) الملك : ١٤
(٣٣) آل عمران : ١٥٣

(٣٠) الانعام : ١٨
(٣٢) لقمان : ٣٤
(٣٤) النور : ٣٠

* القادر المقدر :

يقول الله تعالى : « أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا ، ان الله على كل شيء قدير » (٣٥) .

ويقول جل شأنه : « وأن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ، فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، والله على كل شيء قدير » (٣٦) .
ويقول : « والله ملك السموات والأرض ، والله على كل شيء قدير » (٣٧) .

ويقول : « يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير » (٣٨) .
ويقول تعالى : « وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير » (٣٩) .
وقد ورد اسمه تعالى « القدير » في ٣٩ آية .
والقادر سبحانه وتعالى . . هو الذى لا يعجزه شيء . . أى شيء .
وفى استطاعته أن يفعل ما يشاء . . كيف يشاء . . وأنى يشاء . .
لا يتقيد فى ذلك بأسباب . . ولا يأخذ الأمر منه أى جهد أو حساب .
وهو سبحانه المقدر لقضائه المدبر شئون الكون بقدر وحكمة .
والمقدر جل شأنه . . هو من يمسك بقدرته هذا الوجود . .
فلا يخرج عنها كائن ولا موجود . . وهذه القدرة لا بداية لها . .
ولا نهاية فيها . . غير محدودة . . وليست مقطوعة . .
قدرة بمعرفة آثار بعضها أطاعت السموات فعلت . . وامتدت
الأرض فانبسطت . . وانقضبت الجبال ووقفت . . وانشقت البحار
وجرت . .
فهو سبحانه عظيم القدرة . . المسيطر بقدرته البالغة على خلقه . .
المتكمن بسلطانه من ملكه . . قدر فكان الوجود مظهر اقتداره . .



وكتب أستاذنا فضيلة الشيخ محمد الغزالى تحت عنوان « الكمال الأعلى » (٤٠) يقول :

(٣٥) البقرة : ١٤٨	(٣٦) البقرة : ٢٨٤
(٣٧) آل عمران : ١٨٩	(٣٨) المائدة : ١٧
(٣٩) الحج : ٦	
(٤٠) عقيدة المسلم — للشيخ محمد الغزالى ، الطبعة الرابعة سنة ١٩٨٤ ، ص ٨٣ — ٨٥ ، ٩١ — ٩٥	

« القدرة : العالم وما فيه من سكون وحركة ، أثر لقدرة الله سبحانه وتعالى • وليست لشيء ما ، قدرة ذاتية يستمدّها من طبيعته المجردة •

فاذا رأيت البذور تشق التربة وتنمو رويدا رويدا لتستوى على سوقها فذلك بقدرة الله •

واذا رأيت الأمواج تلطم الشطآن ، رائحة غادية لا تهدأ حتى تثور ، فذلك بقدرة الله •

واذا رأيت القاطرات أو الطائرات تنهب الفضاء ، وتطوى الأبعاد ، وتحمل الأثقال • فذلك بقدرة الله •

واذا رأيت البشر يموج بعضهم في بعض ، وينفعلون بالحب والبغض والفرح والحزن ، وينطلقون عاملين ، أو يهدأون نائمين ، فذلك بقدرة الله •

وسواء شعرت أو لم تشعر ، فنبضات قلبك في حناياك ، وسريان دمك في عروقك ، وكمون الحس في أعصابك ، وتجدد الحياة في خلاياك ، وانسكاب الافرازات من غدك • ذلك كله بقدرة الله !

لا تحسبن شيئا في الكون قادرا بنفسه •
فكما أن القدرة أبدعته أولا من عدم ، فقد أودعت فيه من أسرارها ، وبثت فيه من آثارها ، ما يدل عليها •

وبعض الجاحدين من علماء الطبيعة يردون ما يقع تحت أبصارهم من هذه الدلائل الباهرة الى مجهول محض • أو قوى كامنة في المواد والعناصر المختلفة •

وهذا تخريف شائن ، وتسفيه للعقل ، ومغالطة للواقع •
ان النور المتولد عن انتشار الكهرباء في الأسلاك ، والحركة الناشئة عن امتداد الأبخرة في المواسير ، والحديد المرتفع في الجو ، نتيجة تغيير المراوح الدائرة لمقادير الضغط — في الطائرة — كل أولئك لا يرفع قدر عنصر من العناصر المخلوقة فيهبه الوجود المستقل ، فضلا عن الایجاد الرائع !

لماذا يطلب منا أن نظن في مواد التربة أنها — بقدرتها — خلقت النبات ؟

ولو كان ذلك حقا فما الذى يمنع التربة أن تكون الها !

ولو كانت العناصر جميعا بهذه المثابة مع حركاتها وسكونها ،
غأى خبط نقع فيه نتيجة هذا الفرض الأحق ؟
أليس أقصر طريق نصل به الى الحق أن فنظر الى العالم كله ،
من أرضه لسماؤه • على أنه صنع القدرة العليا ، وأن كل ما يتجدد
فيه انما يقع تحت اشراف القدرة وهيمنتها ؟!

من المؤسف أن تكون السمة الغالبة على كافة العلوم الطبيعية
أنها تقوم على البحث المجرد في مادة الوجود ، وتعرف حقيقة العلاقات
والتطورات والروابط بين شتى العناصر •
وقلما تلتفت الى شيء بعد ذلك ، اذا وفقت الى نتائج معينة في
موضوع بحثها •

وتنتهى أغلب هذه العلوم بمن يدرسونها الى علم جيد بالمخلوقات ،
وجهل مطبق بخالقها ، لأنه لم ترد اليه اشارة ما في غضون البحوث
الكثيرة المتشعبة •

وهذه — لا ريب — خيانة علمية ، فان دراسة هذا الكون العظيم
تنفذ الى صميم الفكر الحر بأشعة من الهدى والايمان ، وتجعل الانسان
يتطلع — ملء الفؤاد — بعواطف الرهبة والرغبة — الى هذا الخالق
العظيم •

وهذه البحوث المجردة تشعر بآثار القدرة الرائعة فيما تتناوله
من نواحي الطبيعة ، غير أنها تطويها طيا تحت أسماء مبهمة ، وتستدرج
المتعلم باجراء الملاحظات والتجارب ثم تشغله بتدوين النتائج •
أما الالتفات من وراء هذه الحجب الشفافة الى عظمة الله جل جلاله
فأمر لا يكثر له كثير من علماء الكون والحياة •

وهكذا تظل بحوثهم مبتورة ، لأنها تنقصها الحلقة المفقودة بين
الخلق والخالق •

من ذلك كله نعلم أن الله قدير على كل شيء ، وأنه قوى متين ،
وأنه لا يؤوده خلق ولا أمر •

« وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض ، انه
كان عليما قديرا » (٤١) •

والقدرة في مجالها الواسع لا يعيها شيء ألبتة ، وآثارها التي
نشهدها تدل على طاقة لا تقف عند حدود •
وليس معنى ذلك بدهشة أن تخرج القدرة على منطقها •
فيقال — مثلا — : انها لا تستطيع قلب الحقائق !

وقد كان الدكتور « زكي مبارك » سخيفا ، ولعه كان « مسطولا »
يوم كتب في « البلاغ » : ان الله لا يستطيع اخراجي من ملكه ، وان الله
لا يستطيع الجمع بين النقيضين !!
والجنون فنون « ا ه •

* * *

ثم يتحدث عن علم الله تعالى فيقول :
« الله تعالى عليم بكل شيء ، لم يسبق معرفته جهل ، ولا يعدو
عليها نسيان ، ولا يمكن أن تخالف الواقع •
وعلمه محيط بالأمس واليوم والغد ، بالظاهر والباطن ، بالدنيا
والآخرة •
قد يعرف الانسان شيئا عن حاضره ، وقد يذكر طرفا من ماضيه ،
وما وراء ذلك فهو بالنسبة اليه عماء •
بيد أن الانسان لا يذكر من ماضيه الطويل الا قليلا من الحوادث ،
ولا يدري من تاريخ العالم الذي يعيش فيه شيئا طائلا •
لكن الله — وحده — يحصى أعمالنا الماضية ساعة ساعة ، ويسجل
أحوال العالم الغابر دولة دولة ، وحادثة حادثة •
(قال فما بال القرون الأولى • قال علمها عند ربي في كتاب ، لا يضل
ربي ولا ينسى) « (٤٢) •

انه علم يشرق على كل شيء ، فيجلى بواطنه وخوافيه ، ويكشف
بداياته ونهاياته ، ويكتنه ذاته وصفاته •
فالمشهود والغيب لديه سواء ، والقريب والبعيد ، والقاصي والداني •
(اليه يرد علم الساعة ، وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل
من أنثى ولا تضع الا بطنه) « (٤٣) •

والعلم الالهى يشرف على كل شىء اشرافا تاما ، ويهيمن على
أطوار الموجودات — ما يحس منها وما يتوهم — هيمنة كاملة .

فعدد ما فى صحارى الأرض من رمال ، وعدد ما فى بحار الدنيا
من قطرات ، وعدد ما فى الأشجار من ورقات ، وعدد ما فى الأغصان
من ثمار ، وما فى السنابل من حبوب ، وما فى رؤوس البشر وجلودهم
من شعر .

ثم ما يمكن أن يطرأ على هذه الأعداد الكثيرة من أحوال شتى ،
وما تحتاجه فى وجودها من قوى متجددة ، وما يعترىها من أوصاف
متغيرة . ذلك كله يستوعبه شعاع واحد من أشعة العلم التى لا تدرى
عقولنا من كثرتها الا قليلا : « وأسرؤا قولكم أو اجهرؤا به ، انه عليم
بذات الصدور . ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » (٤٤) .

وهذا العلم من خصائص الذات المقدسة .

وقد ينير الله بعض العقول بحقائق يسيرة — على قدر طاقتها من
المعارف الكونية ، أو رشحات ضئيلة من الغيوب الخفية ، حسب قواعد
مدرسة ، وحكم مأنوسة .

وما وصل اليه البشر من ذلك مقرر معروف ، وما أوتوا الا القليل .
أما الله عز وجل فكما قال فى كتابه :

« وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر ،
وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب
ولا يابس الا فى كتاب مبين » (٤٥) .

* * *

وعن عائشة رضى الله عنها : « الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات »
لقد جاءت المجادلة « خولة » الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى جانب البيت تحدثه وما أسمع ما تقول ، فأنزل الله عز وجل :

« قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله
يسمع تحاوركما ، ان الله سميع بصير » (٤٦) .

أجل ! فما من كلام يدور بين الناس ، أو حديث يتجادبون أطرافه
الا سبق وقعه الى سمع الرحمن ، جل وعلا ، قبل أى شىء !

(٤٥) الانعام : ٥٩

(٤٤) الملك : ١٣ ، ١٤

(٤٦) المجادلة : ١

ولا تحسبن أن الله حين يسمع نجوى جماعة يشغله ذلك عن سماع قوم آخرين •

كلا ، فما يشغله شأن عن شأن ، وما تغيب عنه همسة وسط الضجيج ، ولا تشتبه عليه لغة على اختلاف الألسنة •
أنك — بالوسائل التي هدى إليها البشر — تجلس في المشرق فتنتقل إليك محطات الاذاعة الأغاني ، والأحاديث من المغرب ، طاوية الأبعاد الشاسعة •

فما أدرانا بما وراء ذلك من أسرار الكون •
وما أيسر — في منطق العقل — أن يشرف رب الكون بسمعه على كل حركة وسكنة في الوجود تتبعث من مصدرها القريب أو البعيد — وليس ثم قرب ولا بعد بالنسبة الى الله — فيعلم كنهها ويسمع صوتها وييصر وضعها ! ان ربك يسمع كل صوت •
وهناك أصوات يسمعها ويحبها « ما أذن — ما استمع — الله لشيء أذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به » •
وكما يحب الله صوت الوحي ، تتلوه الألسنة ، يكره أصوات الفحش والسوء •

« لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم ، وكان الله سميعا عليما » (٤٧) •

ولا تستكثر أن يقال لك : ان الله يسمع خفقان القلوب في حنايا الخلق أجمعين •

فما القلوب الا أثر قدرته ، شحنها بالحياة ثم دفعها فهي تسير الى أجل معلوم ، فكيف لا يسمع أثر ما أوجد ؟
وكما أن الله يسمع كل شيء ، فهو يشهد كل شيء ، ورؤيته تنظر في أعماق الظلمات فتستشف كوامنها •

فما هو بحاجة الى ضياء ييصر به الخفى ، أو مكبر يعظم به الدقيق •

إذا كنت ثالث ثلاثة ، فاعلم أن هناك رابعا ييصر ما تفعلون ، ويسمع ما تفعلون •

« له غيب السموات والأرض ، أبصر به وأسمع ، ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا » (٤٨) •

عندما أرسل الله موسى وهارون الى فرعون ، توجسا من طغيانه
وقالا :

« ربنا أننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطفى • قال لا تخافا ،
اننى معكما أسمع وأرى » (٤٩) •

انه معهما ، ومع كل كائن ، من بدء الخلق الى قيام الساعة ،
وما قبل ذلك وما بعد ذلك ، يسمع ويرى •

وهو — سبحانه — قد ركب في وجوهنا هذه العيون التى نقرأ بها
ونكتب ، ونشهد بها ما نشاء •

ولكن ما قيمة رؤيتنا هذه الى جانب الرؤية الالهية المحيطة الشاملة •

أو أن كل ذى بصر انتظموا صفا يستغرق محيط الأرض ، ثم
اجتهدوا فى رؤية ما حولهم ، ما أبصروا شيئا يذكر الى جانب الرؤية
الالهية التى تستوعب جميع المدركات ، من جميع الجهات ، فى وقت واحد •
سواء فيها المستخفى بالليل والشارب بالنهار ، الخالى وحده ،
والبارز للناس :

« وما تكون فى شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل
الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه » (٥٠) •

والاحساس بهذه الحقيقة جزء من الدين ، بل هو قمته العليا :

« الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه ، فانه
يراك » •

وملاحظة العبد لله ، أساسها شعوره بأنه سبحانه قائم على كل
نفس بما كسبت ، ومطلع على ما أسرت وأعلنت ، وذلك وحده لب
التقوى وسر الاخلاص » اه •

* * *

لا يعلم الغيب الا الله تعالى ..

الله سبحانه وتعالى هو وحده بكل شئ عليم .
وهو وحده .. السميع البصير ..
وهو وحده .. اللطيف الخبير ..
وهو وحده .. على كل شئ قدير ..
وهو وحده .. الذى يعلم غيب السموات والأرض ..
وهو وحده .. عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ..
يقول الله تعالى : « قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله » (١) .

يستوى فى ذلك الملائكة .. والأنبياء والرسل .. والانس والجن ..

* * *

* الملائكة لا يعلمون الغيب :

لا يتم ايمان المسلم الا اذا آمن بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله ،
واليوم الآخر ، والقضاء خيره وشره .
يقول الله تعالى : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ،
كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله » (٢) .
وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « خلقت الملائكة من نور .. وخلق الجان من مارج من نار ..
وخلق آدم مما وصف لكم » ..
فالملائكة اذن موجودون .. والايمان بهم ضرورى ليتم ايمان
المسلم ..

وهم أجسام نورانية .. خلقها الله تعالى من نور .. ولم يجعلهم
ذكورا أو اناثا .. لا يأكلون أو يشربون .
لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .
يسبحون الليل والنهار لا يفترون ..

(*) استعنا فى كتابة هذا المبحث بالجامع لأحكام القرآن للإمام
القرطبى ، وتفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير ، وقصص الأنبياء له .

(٢) البقرة : ٢٨٥

(١) النمل : ٦٥

ويجب على المسلم الايمان بمن ذكر منهم تفصيلا : كجبريل ، وميكائيل ، وملك الموت ، ونافخ الصور ، وحملة العرش ، وخازن النار ، والحفظة ، والزبانية .. وبباقي الملائكة اجمالا .

كما يجب الايمان بوظائفهم التي أوكلها الله تعالى اليهم .. من تبليغ للرسل .. أو كتابة لأعمال الانسان .. أو كتابة رزقه وأجله وشقاوته وسعادته .. وقبض الأرواح .. وسؤال الموتى في قبورهم .. وحراسة الآدميين .. وحضور المساجد وأماكن العبادة ومجالس الخير والذكر ..

الى غير ذلك من الوظائف الموكلة لبعضهم مما هو مفصل في الكتاب والسنة .. ومع كل هذه الخصائص التي خصهم الله بها .. فانهم لا يعلمون الغيب ..

* * *

يقول الله تعالى : « واذا قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال انى أعلم ما لا تعلمون .. »
« وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين .. »

« قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ، انك أنت العليم الحكيم . »
« قال يا آدم أنبئهم باسمائهم ، فلما أنبأهم باسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » (٣) .

لما أراد الله خلق آدم — عليه السلام — أعلم الملائكة بما يريد .. وأخبرهم بذلك على سبيل التنويه بخلق آدم وذريته .. كما يخبر بالأمم العظيم قبل وقوعه : « انى جاعل فى الأرض خليفة » .
فقال بعض الملائكة فى أنفسهم : لن يخلق ربنا خلقا الا كنا أعلم منه وأكرم عليه منه ..
وكنتم هذا البعض قوله فى نفسه ..

ثم تساءلوا مستكشفين ومستعلمين عن وجه الحكمة في ذلك :
« أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » ؟

ولم يكن سؤالهم على وجه الاعتراض والتنقص لآدم وذريته
أو حسدا لهم ..

ويقول ابن عباس رضى الله عنهما : كانت الجن قبل آدم بألفى عام
.. فسفكوا الدماء .. فبعث الله اليهم جندا من الملائكة فطردوهم
الى جزائر البحور ..

ولهذا أيقن الملائكة أن الأرض لا يخلق فيها الا من يكون أغلب
أحواله بهذه المثابة .. فقد خبروا أمر الجن ، ومن قبلهم الحن ..
قبل خلق آدم عليه السلام ..

وقارنوا بين أنفسهم وبين هذا المخلوق الجديد .. وتساءلوا
عن وجه الحكمة في خلقه .. أليسوا يعبدون الله في كل الأحوال ..
ولا يقدر أن يعصاه منهم أحد ؟ .. فإذا كان المراد من خلق آدم
وذريته عبادة الله تعالى .. فما هم الملائكة لا يفترون عن العبادة
ليل نهار !!

ولكن الله العليم الحكيم .. الذى لا يسئل عما يفعل .. أجابهم
على تساؤلهم بقوله : « انى أعظم ما لا تعلمون » .. فهو وحده الذى
يعلم المصلحة الراجحة من خلق آدم وذريته مما لا يعلمه الملائكة ..
فقد شاء تعالى أن يوجد من نسله الأنبياء والمرسلون .. والصديقون
والشهداء والصالحون ..

ثم بين لهم شرف آدم عليهم فى العلم .. فعلمه أسماء الذوات
وأفعالها .. كبيرها وصغيرها .. عظيمها وحقيقها ..
يقول ابن عباس رضى الله عنهما : علمه سائر الأسماء التى يتعارف
بها الناس .. كإنسان ، ودابة ، وأرض ، وسهل ، وبحر ، وجبل ،
وجمل ، وحمار .. وأشباه ذلك من الأمم وغيرها ..

بل انه تعالى علمه اسم كل دابة وكل طير وكل شيء .. كالصحفة
والقدر .. حتى الفسوة والفسية — كما قال مجاهد وسعيد بن جبير
وقتادة وغيرهم ..

ثم عرض تعالى المسميات على الملائكة .. وطلب منهم تعريفها
قائلا : « أنبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين » .. وذلك ردا على
من قال منهم : لا يخلق ربنا خلقا الا كنا أعلم منه ..
فمعجز الملائكة جميعا .. وقالوا : سبحانك أن يحيط أحد بشيء من
علمك من غير تعليمك ..

فأمر آدم عليه السلام باخبارهم بما عجزوا عنه .. فأخبرهم ..
ولو كانت الملائكة تعلم الغيب .. لما عجزت عن معرفة الاسماء
بعد أن عرضت عليهم مسمياتها ..
بل ان الملائكة عجزت عن قراءة أفكار آدم عليه السلام .. بعد
أن انطبعت على صفحاتها هذه الاسماء !!
فقال تعالى : « ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض
وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » .. فأنبأهم تعالى بأنه يعلم ما أبدوه
من تساؤل .. وما كتموه في أنفسهم من ظن لم ينطقوا به ..
ثم أمرهم بالسجود لآدم .. تشريفا له .. وتكريما للعلم الذى
أودعه الله اياه ..

* * *

* الانبياء .. لا يعلمون الغيب :

والرسل الكرام .. الذين اصطفاهم الله تعالى .. وأرسلهم الى
الناس بالهدى والايمان .. مبشرين ومنذرين ..
هؤلاء الرسل لا يعلمون الغيب .. الا ما ارتضاه الله لهم ..
وأوحاه اليهم ليكون دليلا على صدق رسالتهم ..

يقول الامام الذهبى فى تفسير قوله تعالى : « عالم الغيب
فلا يظهر على غيبه أحدا » الا من ارتضى من رسول » (٤) :

« قال ابن الجوزى : « عالم الغيب » هو الله عز وجل ، لا شريك له
فى ملكه .. « فلا يظهر » أى فلا يطلع « على غيبه » الذى لا يعلمه
أحد من الناس « الا من ارتضى من رسول » لأن الدليل على صدق
الرسك اخبارهم بالغيب .. والمعنى — يقول الذهبى — أن من ارتضاه

للمرسالة أطلعه على ما شاء من الغيب .. وفى هذا الدليل على من
زعم أن النجوم تدل على الغيب .. فهو كافر والله أعلم» (٥) .



● وهذا آدم عليه السلام .. أبو البشر .. خلقه الله بيده ..
ونفخ فيه من روحه .. وعلمه الأسماء كلها .. وأسجد له الملائكة ..
وأسكنه وزوجه الجنة .. وأباح لهما ثمارها .. الا شجرة واحدة
نهاهما عنها .. ولم يتركهما سدى .. بل حذرهما الشيطان وكيده ..
وأطلعهما بأنه سيعمل جهده على اخراجهما من الجنة كما طرد منها ..
ولكن آدم .. مع ما حباه الله تعالى من عظيم الخصال .. نسى
ولم يكن له عزيمة .. فعصى ربه وأكل من الشجرة التى نهى عن الأكل
منها .. فأخرجه الله وزوجه من الجنة ..

يقول الله تعالى : « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا
الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين . وقلنا يا آدم اسكن أنت
وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقريا هذه الشجرة فتكونا
من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا
اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين .
فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، انه هو التواب الرحيم . قلنا
اهبطوا منها جميعا ، فاما ياتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون » (٦) .

أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم تشريفا له وتكريما للعلم
الذى أودعه الله اياه ..

ولكن ابليس قارن بين نفسه وبين آدم عليه السلام .. فرأى
أنه أشرف منه .. وظن أن النار التى خلق منها أشرف من الطين
الذى خلق منه آدم .. فامتنع عن السجود له .. مع وجود الأمر له
ولسائر الملائكة بالسجود ..

ويقول الامام ابن كثير : « القياس اذا كان مقابلا بالنص كان
فاسد الاعتبار .. ثم هو فاسد فى نفسه .. فان الطين أنفع وأخير من
النار .. لأن الطين فيه الرزانة والحلم والأناة والنمو .. والنار فيها

(٥) الكبائر — للامام الذهبى — طبع دار التراث العربى — ص ٢٥

(٦) البقرة : ٣٤ — ٣٨

الطيش والخفة والسرعة والاحراق .. ثم ان آدم شرفه الله تعالى
بخلقه بيده .. ونفخ فيه من روحه .. وعلمه الاسماء كلها .. ولهذا
أمر الملائكة بالسجود له ..

ترفع ابليس عن السجود لآدم وأبدى احتقاره له .. فخالف
بذلك الأمر الالهي .. وحين أراد أن يعتذر كان اعتذاره أشد من
ذنبه .. فقال مكابرا : « أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من
طين » (٧) .

فخرج عمدا باستكباره وعناده عن طاعة الله ..

يقول تعالى : « قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج
انك من الصافرين » قال أنظرني الى يوم يبعثون . قال انك من
المنظرين . قال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم
من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ، ولا تجد أكثرهم
شاكرين . قال اخرج منها مذعوما مدحورا ، لمن تبعك منهم لأملأن جهنم
منكم أجمعين » (٨) .

ويقول ابن مسعود رضى الله عنه : ان الله أخرج ابليس من الجنة
.. وأسكنها آدم فكان يمشى فيها وحده ليس له فيها زوج يسكن
اليها .. فقام من نومه فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة .. خلقها
الله تعالى من ضلعه .. فسألها : من أنت ؟ قالت : امرأة . قال :
ولم خلقت ؟ قالت : لتسكن الى .. فقالت الملائكة ينظرون ما بلغ علمه :
ما اسمها يا آدم ؟ قال : حواء .. قالوا : ولم كانت حواء ؟ قال :
لأنها خلقت من شيء ..

ولم يتركهما الله وشأئهما .. بل حذرهما من ابليس ومكره ..
وأعلمهما بكراهيته وعداوته لهما .. فقال تعالى : « يا آدم ان هذا عدو
لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . ان لك الا تجوع فيها
ولا تعرى . وانك لا تطما فيها ولا تصحى » (٩) .

وقال له : « اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما
ولا تقريا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » (١٠) .

(٨) الاعراف : ١٣ — ١٨

(١٠) الاعراف : ١٩

(٧) الاعراف : ١٢

(٩) طه : ١١٧ — ١١٩

قيل : هي الكرم .. وقيل : الحنطة .. وقيل : النخلة ، وقيل :
التينه ..

وقال أبو العالية : كانت شجرة من أكل منها أحدث .. ولا ينبغي
في الجنة الحدث .. والله أعلم بحقيقتها .

ولم يتركهما الشيطان ينعمان بنعيم الجنة .. بعد أن كانا السبب
في طرده منها .. فوسوس لهما حتى يخرجهما من النعيم والنصرة
والسرور .. الى دار التعب والكد والشرور .. فقال لآدم : هل أدلك
على الشجرة التي اذا أكلت منها حصل لك الخلد فيما أنت فيه من
النعيم ، واستمرت في ملك لا يبيد ولا ينقضي ؟ .. انها الشجرة
التي نهاك الله عن الأكل منها .. وما نهاكما عن ذلك حتى لا تخرجا
فيما أنتما فيه .. فهذه هي شجرة الخلد .. ومن أكل منها خلد
ولم يميت !!

وأقسم على صحة قوله .. ولم يكن آدم يتصور أن مخلوقا يمكن
أن يقسم بالله كاذبا .. فصدقه وأكل من الشجرة !!

« وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين . فدلّاهما بغرور ، فلما ذاقا
الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ،
وناداهما ربهما ألم أنهما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما
عدو مبين . قالوا رينا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن
من الخاسرين . قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم في الأرض
مستقر ومتاع الى حين . قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها
تخرجون » (١١) .

ويقول تعالى : « ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد
له عزما » (١٢) .

وعن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ان أباكم آدم كان كالنخلة السحوق ستون ذراعا .. كثير الشعر
مواري العورة .. فلما أصاب الخطيئة في الجنة بدت له سوءاته ..
فخرج من الجنة فلقبته شجرة فأخذت بناصيته .. فناداه ربه :
أفرارا مني يا آدم ؟ .. قال : بل حياء منك يا رب مما جئت به » .

ويقول : « ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم » (١٧) .

ويقول تعالى . « هو الله الذي لا اله الا هو ، عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم » (١٨) .

ويقول : « أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء » (١٩) .

عن اياس بن سلمة قال : حدثني أبي أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم . . اذ جاءه رجل بفرس له يقودها عقوق . . ومعه مهرة له يبيعهها . . فقال له : من أنت ؟ . . قال : « أنا نبي الله » . .

قال : وما نبي الله ؟ . . قال : « رسول الله » .

قال الرجل : متى تقوم الساعة ؟

فقال صلى الله عليه وسلم : « غيب . . ولا يعلم الغيب الا الله » .
قال : متى تمطر السماء ؟

فقال صلى الله عليه وسلم : « غيب . . ولا يعلم الغيب الا الله » .
قال الرجل : ما في بطن فرسي هذا ؟

فقال صلى الله عليه وسلم : « غيب . . ولا يعلم الغيب الا الله » .
قال : أرني سيفك . . فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم سيفه . .
فهزه الرجل ثم رده اليه . .

فقال صلى الله عليه وسلم : « أما انك لم تكن تستطيع الذي أردت » .

يقول اياس : وكان الرجل قال : أذهب اليه فأسأله عن هذه الخصال ثم أضرب عنقه (٢٠) .

وروى أن الحارث بن عمرو بن حارثة بن محارب بن حفصة — رجل من أهل البادية — جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم . . فسأله عن الساعة ووقتها . . وقال : ان أرضنا أجذبت ، فمتى ينزل الغيث ؟ . . وتركت امرأتي حبلى ، فماذا تلد ؟ . . وقد علمت أين ولدت ، فبأي أرض أموت ؟

(١٨) الحشر : ٢٢

(١٧) المائدة : ٩٧

(١٩) آل عمران : ٥

(٢٠) أسباب النزول للتيسابورى ص ٢٣٤

فأنزل الله تعالى : « ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام ، وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدري نفس بأي أرض تموت ، ان الله عليم خبير » (٢١) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مفاتيح الغيب خمسة لا يعلمهن الا الله تعالى : لا يعلم متى تقوم الساعة الا الله .. ولا يعلم ما تغيض الأرحام الا الله .. ولا يعلم ما في غد الا الله .. ولا يعلم بأي أرض تموت الا الله .. ولا يعلم متى ينزل الغيث الا الله » (٢٢) .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : كنت مستترا بأستار الكعبة .. فجاء ثلاثة أنفار كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم .. قرشى وختناه ثقفيان — أو ثقفى وختناه قرشيان — فتكلموا بكلام لم أفهمه .. فقال بعضهم : أترون أن الله سمع كلامنا ؟ فقال الآخر : اذا رفعنا أصواتنا سمع ، واذا لم نرفع لم يسمع .. وقال الآخر : ان سمع منه شيئا سمعه كله ..

قال : فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم .. فنزل قوله تعالى : « وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون . وذلكم ظنكم الذى ظننتم بركم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين » (٢٣) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : تبارك الذى وسع علمه كل شيء .. انى لأسمع كلام خويلة بنت ثعلبة .. ويخفى على بعضه وهى تشتكى زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وهى تقول : يا رسول الله .. أبلى شبابى .. ونشرت له بطنى .. حتى اذا كبر سنى وانقطع ولدى ظاهر منى .. اللهم انى أشكو اليك ..

فما برح حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات : « قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ، ان الله سميع بصير » (٢٤) .

(٢١) المصدر السابق .. والآية من سورة لقمان : ٣٤

(٢٢) رواه البخارى .

(٢٣) اسباب النزول — المرجع السابق — ص ٢٥٠ ، والآية من

(٢٤) المجادلة : ١

سورة فصلت : ٢٢ ، ٢٣

وفي رواية أنها قالت : الحمد لله الذي توسع لسمع الأصوات كلها ..
جاءت المجادلة فكلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وأنا في جانب
البيت لا أدري ما تقول .

وكان من خبر المجادلة .. ما رواه عبد الله بن سلام رضى الله عنه
قال : حدثتني خويلة بنت ثعلبة .. وكانت عند أوس بن الصامت
أخي عبادة بن الصامت قالت : دخل على ذات يوم وكلمني بشر ..
وهو فيه ضجر فعاودته فغضب .. فقال : أنت على كظهر أمي ..
ثم خرج في نادى قومه ثم رجع الى فراودني عن نفسي .. فامتنعت
منه .. فشادني فشادته .. فغلبته بما تغلب به المرأة الرجل الضعيف
.. فقلت : كلا والذي نفس خويلة بيده .. لا تصل الى حتى يحكم
الله تعالى في وغيك بحكمه ..

ثم أتينا النبي صلى الله عليه وسلم أشكو ما لقيت .. فقال :
« زوجك وابن عمك .. اتقى الله وأحسنى صحبتته » .. فما برحت
حتى نزل القرآن : « قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها .. »
حتى انتهت الى الكفارة ..

قال — صلى الله عليه وسلم — : « مريه فليعتق رقبة » ..

قلت : يا نبي الله .. والله ما عنده رقبة يعتقها ..

قال : « مريه فليصم شهرين متتابعين » ..

قلت : يا نبي الله .. شيخ كبير ما به من صيام ..

قال : « فليطعم ستين مسكينا » ..

قلت : يا نبي الله .. والله ما عنده ما يطعم ..

قال : « بلى .. سنعيه بعرق من تمر .. مكتل يسع ثلاثين صاعا »

قلت : وأنا أعينه بعرق آخر .. فقال : « قد أحسنت ..

فليتصدق » ..

وفي رواية عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : ان أوس بن الصامت
ظاهر من امرأته خويلة بنت ثعلبة .. فشكت ذلك الى النبي صلى الله
عليه وسلم .. فقالت : ظاهر مني حين كبر سني ورق عظمي ..

فأنزل الله تعالى : « الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن
أمهاتهم ، ان أمهاتهم الا اللائي ولدنهم ، وانهم ليقولون منكرا من القول
وزورا ، وان الله لعفو غفور . والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون
لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ، ذلكم توعظون به ، والله

بما تعملون خبير . فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ، فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ، ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله ، وتلك حدود الله ، وللكافرين عذاب أليم» (٢٥) .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأوس : « أعتق رقبة » فقال : مالى بذلك يدان .. قال : « فصم شهرين متتابعين » .. قال : أما انى اذا أخطأنى أن لا آكل فى اليوم كل بصرى .. قال : « فأطعم ستين مسكينا » قال : لا أجد الا أن تعيننى منك بعون وصلة .. قال : فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا .. حتى جمع الله له والله رحيم .. وكانوا يرون أن عنده مثلها .. وذلك ستون مسكينا» (٢٦) .

وعن مقاتل رضى الله عنه قال : نزلت : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » (٢٧) فى رجلين :

كان أحدهما يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة .. ويقول : ما هذا بشىء .. وانما نؤجر على ما نعطى ونحن نحبه ..

وكان الآخر يتهاون بالذنوب اليسير : الكذبة والغيبة والنظرة .. ويقول : ليس على من هذا شىء .. انما أوعدهم الله بالنار على الكبائر ..

فأنزل الله عز وجل يرغبهم فى القليل من الخير فانه يوشك أن يكثر .. ويحذرهم اليسير من الذنب فانه يوشك أن يكثر (٢٨) .

* * *

(٢٦) المصدر السابق ص ٢٧٤

(٢٨) المصدر نفسه ص ٢٥٠

(٢٥) المجادلة : ٢ - ٤

(٢٧) الزلزلة : ٧ ، ٨

من أسماء الله وصفاته

✽ العظيم :

- وردت صفة العلم لله تعالى في ١٤٠ آية ..
- فقال تعالى : « قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله »
ويعلم ما في السموات وما في الأرض ، والله على كل شيء قدير » (١) .
- وقال : « ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله
علام الغيوب » (٢) .
- وقال تعالى : « أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون » (٣) .
- وقال : « وهو الله في السموات وفي الأرض ، يعلم سركم وجهركم
ويعلم ما تكسبون » (٤) .
- وقال جل شأنه : « وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى » (٥) .
- وقال : « انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون » (٦) .
- وقال : « واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه » (٧) .
- وقال عز من قائل : « يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور » (٨) .
- وقال تعالى : « ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ،
ونحن أقرب اليه من حبل الوريد » (٩) .
- وقال : « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم » (١٠) .
- وقال : « والله بما تعملون عليم » (١١) .

(*) استعنا في هذا المبحث بكتاب « مع الله في أسمائه الحسنی »
للدكتور عبد الرزاق نوفل ، وكتاب : « حق الله على العباد » للأستاذ الشيخ
طه عبد الله العنفي .

- | | |
|-------------------|--------------------|
| (١) آل عمران : ٢٩ | (٢) التوبة : ٧٨ |
| (٣) البقرة : ٧٧ | (٤) الأنعام : ٣ |
| (٥) طه : ٧ | (٦) الأنبياء : ١١٠ |
| (٧) البقرة : ٢٣٥ | (٨) غافر : ١٩ |
| (٩) سورة ق : ١٦ | (١٠) البقرة : ٢٥٥ |
| (١١) البقرة : ٢٨٣ | |

والعلم لله تعالى .. ليس من جنس ما نعلم .. ولا بالكيفية التي بها نعلم .. اذ أن من يعلم من البشر لابد قد مرت به فترة لم يكن يعلم .. فأتخذ من الأسباب والسبل ما جعلته بها يعلم .. ولكن علم الله سبحانه وتعالى علم أبدي أزلي .. والعلم يحدث للانسان بما هو واقع به أو بغيره .. وفيما هو موجود وقائم .. فلا يعلم الانسان — أى انسان — غيبا .. ولكن علم الله سبحانه وتعالى واسع بحيث يشمل ما لم يقع .. فهو يعلم بالأمر الذى يقع .. ويعلم به حال وقوعه .. ويعلم ما هو ليس بقائم .. اذ يعلمه قبل وقوعه .. كما أنه جل شأنه يعلم ما خفى وما هو فى الغيب .. وصدق الله العظيم اذ يقول : « قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب » (١٢) .

واذا أردنا أن نتخيل بعض درجات علمه تعالى .. ونتصور القليل مما يعلم .. فعلينا بالتدبر والتأمل فى قوله تعالى : « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين » (١٣) .

فالغيب كله .. والعن كله يعلمه الله .. وكل ما فى البر من مخلوقات وكائنات وأشياء .. وكل ما فى البحر من أسماك وحشرات ونباتات .. يعلم بها الله .. بل يعلم ما يطراً عليها وما يحدث لها وما يقع فيها .. وما تسقط ورقة من شجرة أو نبات أو كائن الا ويعلمها .. والحبة تحت الأرض للترع أو مخفأة .. فى أرض زراعية أو صحراء قاحلة .. يعلم بها الله .. كيف لا .. وهو الذى خلقها وأوجدها .. « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » (١٤) .

نعم .. يعلم من خلق كل ما يقع لما خلق .. وكل ما لم يقع .. فهو سبحانه لا تخفى عليه خافية .. قاصية أو دانية .. وهو العالم بما كان وبما يكون .. وبما لا يكون .. جل شأن الله .



✽ السميع البصير :

يقول الله تعالى : « ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير » (١٥) .
ويقول : « وله ما سكن في الليل والنهار ، وهو السميع العليم » (١٦)
ويقول : « ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا ، وهو السميع
العليم » (١٧) .

ويقول جل شأنه : « ان الله هو السميع البصير » (١٨) .
ويقول : « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ، ان الله
سميع بصير » (١٩) .

ويقول : « هو الذى خلق السموات والارض في ستة ايام ثم
استوى على العرش ، يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل
من السماء وما يعرج فيها ، وهو معكم أين ما كنتم ، والله بما تعملون
بصير » (٢٠) .

ويقول تعالى : « ان الله يعلم غيب السموات والارض ، والله
بصير بما تعملون » (٢١) .

ويقول : « ان الله بعباده لخبير بصير » (٢٢) .

ويقول جل وعلا : « ألم يعلم بأن الله يرى » (٢٣) .

ونحن عندما نقول : « زيد سميع » .. فانما نعنى أن زيدا ليس
بأصم .. وأن حاسة السمع عنده سليمة ..

وإذا قلنا : « عمرو بصير » .. فانما نقصد أنه مبصر وليس
بكفيف .. وأن حاسة البصر عنده قوية ..

ولكن سمع زيد .. وبصر عمرو .. محدودان بحدود لا يتجاوزانها .
أما إذا قلنا : « ان الله هو السميع البصير » — وأدخلنا أداة
التعريف على الصفتين — فان المعنى الذى لا معنى سواء .. أنه
لا سميع ولا بصير باطلاق سوى الله تعالى ..

(١٦) الانعام : ١٣

(١٨) غافر : ٢٠

(٢٠) الحديد : ٤

(٢٢) فاطر : ٣١

(١٥) الشورى : ١١

(١٧) يونس : ٦٥

(١٩) الحج : ٧٥

(٢١) الحجرات : ١٨

(٢٣) الطلق : ١٤

● وقد ورد اسم الله « السميع » في ٤٣ آية •
ومن المعروف أن السمع يتم عن طريق اهتزاز الهواء بالصوت
حتى يصل الى الأذن •• لتهتز أجهزتها فيسمع الانسان ••
ولكن الله سبحانه وتعالى يسمع بلا أذن وبلا اهتزاز للهواء ••
فهو سبحانه يسمع ما في البحر •• وما فوق السموات حيث
لا هواء ولا اهتزاز ••
وإذا كانت قدرة البشر على السمع انما هي لطاقات محدودة ••
والى أبعاد محدودة •• فان الله جل شأنه يسمع القريب والبعيد —
القريب منا نحن والبعيد عنا •• اذ لا بعيد عنه أو قريب منه — لأنه
سبحانه موجود في كل الوجود ••
فالسماع من الله تعالى سماع من غير جنس ما نعلم أو نعرف ••
انه يسمع ما يجول بخاطر الانسان •• فهو يسمع ما لم يتحدث به ••
يسمع الحديث الذى لم يصل بعد الى طور الكلمات •• ولم يخرج
بعد لى حيز الأصوات •• سبحانه وتعالى هو السميع العليم ••
فلا تخفى عليه سبحانه أصوات خلقه فى سمائه أو أرضه ••
فهو المدرك للمسموع وان خفى •• لا يفوت سمعه شيء •• ولا يشغله
نداء عن نداء •• وهو وحده الذى يسمع النملة السوداء •• على الصخرة
الصماء •• فى الليلة الظلماء ••



● كما ورد اسمه تعالى « البصير » في ٣٦ آية ••
والبصير مثبتة من البصر أى الرؤية •• والانسان عندما يرى
فليعرف ما لم يسبق أن عرفه •• أو ليزداد به معرفة وعلم •• فكلما
رأى عرف أكثر ••
ولكن الله سبحانه وتعالى سبق فى علمه ما يراه •• فما يراه يعلمه ••
وما يعلمه يراه •• ولا يسبق أحدهما الآخر ••
والانسان يرى بقدر ما تمكنه له أجهزة بصره •• وهى العيون ••
ولكن الله جل شأنه تعالى عن الشبه •• وتنزه عن المثل •• فلا عين
له ولا جهاز يرى به •• ولكنه يرى بقدرته ، وقدرته لا تحد ••
ويرى بعظمته ، وعظمته لا تنتهى •• ولذلك غانه يرى ما خفى وما ظهر
•• وما وضح وما استتر •• فلا يخفى عليه خافية •• ولا يحتجب
عنه أى مستتر ••

وعن مجاهد قال : أمر الله ملكين أن يخرجوا آدم وحواء من جواره
•• فنزع جبريل التاج عن رأسه •• وحل ميكائيل الأكليل عن جبينه ••
وتعلق به غصن فظن آدم أنه قد عوجل بالعقوبة •• فنكس رأسه
يقول : العفو •• العفو •• فقال الله تعالى له : أفرارا مني ؟ قال :
بل حياء منك يا سيدي ••

يقول الأوزاعي : مكث آدم في الجنة مائة عام — وفي رواية
ستين عاما — وبكى على الجنة سبعين عاما •• وعلى خطيئته سبعين
عاما •• وعلى ولده حين قتل أربعين عاما !!

وعن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« قال آدم عليه السلام : رأيت يا رب ان تبت ورجعت أعائدي الى
الجنة ؟ فقال : نعم •• فذلك قوله : « فتلقى آدم من ربه كلمات
فتاب عليه » (١٣) •

والمقصود •• هل لو كان آدم عليه السلام يعلم الغيب •• أكان
يأكل من الشجرة التي نهاه الله عنها •• في حين أن طرده من الجنة
ناتج عن الأكل منها ؟!

* * *

● وهذا نوح عليه السلام •• أول الأنبياء وأطولهم عمرا ••
وأول داع الى التوحيد •• لبث في قومه ألف سنة الا خمسين عاما
يدعو الى افراد الله وحده بالعبادة •• وسماه الله تعالى : عبدا شكورا ••

عانده قومه وكابروه •• وأصروا على ضلالهم وطغيانهم ••
فكفوا على عبادة الأصنام والأوثان •• ونصبوا له العداوة في كل
وقت وأوان •• وتنقصوه وتنقصوا من آمن به •• وسخروا منهم
وتوعدوهم بالرجم والاخراج •• ونالوا منهم وبالغوا في أمرهم ••
وما آمن معه الا قليل ••

فلما يئس منهم دعا ربه فقال : « رب ان قومي كذبون • فافتح
بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين » (١٤) •

وألجأوه بكفرهم وعنادهم الى أن يقول : « رب انهم عصوني
واتبعوا من لم يزد له ماله وولده الا خسارا • ومكروا مكرا كبيرا •

(١٣) البقرة : ٣٧

(١٤) الشعراء : ١١٧ ، ١١٨

وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا ودا ولا سواها ولا يغوث ويعوق ونسرا • وقد أضلوا كثيرا ، ولا تزد الظالمين الا ضلالا » (١٥) •

وقال : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا • اتك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا » (١٦) •

فأوحى الله تعالى إليه : « أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون • واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا ، انهم مغرقون » (١٧) •

كما قال : « فأوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا ووحينا فاذا جاء امرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول منهم ، ولا تخاطبني في الذين ظلموا ، انهم مغرقون » (١٨)

وشرع نوح عليه السلام في صنع السفينة التي أمره الله بينائها • ويقال : ان الله تعالى لما استجاب له أمره أن يغرس شجرا ليعمل منه السفينة •• فغرسه وانتظره مائة سنة •• ثم نجره في مائة أخرى •• وقيل : في أربعين سنة •• والله أعلم •

وقيل : انها كانت من خشب الساج •• وقيل من الصنوبر كما ورد في التوراة ••

ويقول الثوري : أمره الله أن يجعل طولها ثمانين ذراعا •• وأن يطلى ظاهرها وباطنها بالقار •• وأن يجعل له جؤجؤا أزور — أي صدرا مائلا منحرفا — يشق الماء ••

وقيل : كان طولها ثلاثمائة ذراع في عرض خمسين ذراعا •• وقيل : ستمائة في عرض ثلاثمائة •• وعن ابن عباس : ألف ومائتا ذراع في عرض ستمائة ذراع •• وقيل كان طولها ألفى ذراع وعرضها مائة ذراع •• والله أعلم •

واتفق القول بأن ارتفاعها كان ثلاثين ذراعا ••

وكانت من ثلاث طبقات •• كل واحدة عشرة أذرع •• فالسفلى للدواب والوحوش •• والوسطى للناس •• والعليا للطيور •• وكان بابها في عرضها ، ولها غطاء من فوقها مطبق عليها ••

(١٦) نوح : ٢٦ ، ٢٧

(١٨) المؤمنون : ٢٦

(١٥) نوح : ٢١ — ٢٤

(١٧) هود : ٣٦ ، ٣٧

كل هذا •• وقومه يمرون عليه ساخرين مستهزئين •• حتى اذا جاء أمر الله •• أرسل من السماء مطرا لم تعهده الأرض قبله ولا تمطره بعده •• كان كأثرأراه القرب •• وأمر الأرض غنبت من جميع فجأجها وسائر أرجائها ••

يقول تعالى : « فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر • ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر • وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر • وحملناه على ذات ألواح ودسر » (١٩) •

ويقال : ان الماء قد ارتفع على أعلى جبل فى الأرض خمسة عشرة ذراعا •• وقيل : ثمانين ذراعا •• وعم جميع الأرض طولها والعرض •• سهلها وحزنها •• وجبالها وقفارها ورمالها •• ولم يبق على وجه الأرض ممن كان بها من الأحياء عين تطرف ولا صغير ولا كبير ••

فى هذا الهول المهول •• ينادى نوح ابنه ليركب معه •• فيأبى عليه ويعصى أمره •• وقيل ان هذا الابن هو « يام » أخو سام وحام ويافث •• وقيل اسمه « كنعان » •• فاتبع قومه فى كفرهم وخالف أباه فى دينه •• فهلك مع الهالكين ••

يقول الله تعالى : « وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين • قال ساوى الى جبل يعصمنى من الماء ، قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم ، وحال بينهما الموج فكان من المفرقين • وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين » (٢٠) •

قضى الأمر •• واستقرت الأمور •• وعندئذ تحركت عواطف الأبوة : « ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين • قال يا نوح انه ليس من أهلك ، انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ، انى أعظك أن تكون من الجاهلين • قال رب انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم ، والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين » (٢١) •

(٢٠) هود : ٤٢ — ٤٤

(١٩) القمر : ١٠ — ١٣

(٢١) هود : ٤٥ — ٤٧

كيف يراجع ربه وقد قال له : « ولا تخاطبني في الذين ظلموا ،
انهم مفرقون » •

تري لو كان نوح عليه السلام يعلم الغيب •• أكان يراجع ربه
في أمر ابنه في حين أنه مكتوب في عداد العاصين الهالكين ؟!

* * *

● وهذا ابراهيم عليه السلام •• أبو الأنبياء •• الذي زكاه
الله تعالى فقال عنه : « ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك
من المشركين • شاكرا لأنعمه ، اجتباه وهداه الى صراط مستقيم •
وآتيناه في الدنيا حسنة ، وانه في الآخرة لمن الصالحين » (٢٢) •

يخبرنا الله تعالى أنه لم يعرف الملائكة حين وفدوا اليه في طريقهم
الى قوم لوط عليه السلام •• فذبح لهم عجلا سمينا وقربه اليهم ••
بل وأوجس في نفسه خيفة حين وجدهم لا يقربون طعامه (!!) ظنا منه
أنهم أضياف عاديين من البشر !!

يقول تعالى : « ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا
سلاما ، قال سلام ، فما لبث ان جاء بعجل حنيذ • فلما رأى أيديهم
لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ، قالوا لا تخف انا أرسلنا
الى قوم لوط » (٢٣) •

وقال جل وعلا : « هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين •
اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما ، قال سلام قوم منكرون • فراغ الى
أهله فجاء بعجل سمين • فقربه اليهم قال ألا تأكلون • فاوجس منهم
خيفة ، قالوا لا تخف ، وبشروه بغلام عليم » (٢٤) •

وقال : « ونبئهم عن ضيف ابراهيم • اذ دخلوا عليه فقالوا
سلاما قال انا منكم وجلون • قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم •
قال أبشروني على أن مسنى الكبر فبم تبشرون • قالوا بشرناك بالحق
فلا تكن من القانطين • قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون •
قال فما خطبكم أيها المرسلون • قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين » (٢٥)

(٢٣) هود : ٦٩ ، ٧٠

(٢٥) الحجر : ٥١ — ٥٨

(٢٢) النحل : ١٢٠ — ١٢٢

(٢٤) الذاريات : ٢٤ — ٢٨

لما اشتد كفر قوم لوط وطغيانهم .. أنزل الله الملائكة بعذابهم — قيل كانوا جبريل وميكائيل وإسرافيل — فلما مروا بإبراهيم عليه السلام نزلوا عنده ليبيشروه بالولد الذي طال انتظاره .. وكان من عادته أن كل من نزل به يحسن ضيافته وقراه ..

ولم يعرف إبراهيم عليه السلام أنهم رؤساء الملائكة .. بل ظنهم ضيوفا عاديين من البشر .. فأسرع عليه السلام إلى حظيرته وأتى بعجل سمين فذبحه ثم شواه .. وقدمه إليهم ليأكلوا .

ولكنهم قبضوا أيديهم عن الطعام فلم تمتد إليه — فالملائكة لا تأكل ولا تشرب — فلما قبضوا أيديهم نكرهم وخاف على نفسه منهم .. وظن أن وراءهم شرا يقصدونه به ..

ومن آداب الضيافة أنه إذا قدم الطعام أن يبادر الضيف إليه .. فكرامة الضيف تعجيل التقديم .. وكرامة المضيف المبادرة بالقبول .. ولكن هؤلاء الأضياف يخرجون على العادة ويخالفون السنة .. فلا تمتد أيديهم إلى طعامه .. لذا خافهم .. فان الضيف إذا امتنع عن طعام مضيفه كان ذلك دليلا على شريخفيه في نفسه !!

فلما رأى الملائكة خوفه ووجلهم .. قالوا : « لا تخف ، انا أرسلنا إلى قوم لوط » .. وعندئذ سكنت نفسه وهذا باله ..

والمقصود .. أن إبراهيم عليه السلام .. لم يعرف الملائكة عندما مروا به .. فذبح العجل وقدمه إليهم .. فهل كان يجهل أمرهم لو كان يعلم الغيب ؟!

* * *

● وهذا لوط بن هاران بن تارح — وهو آزر — ابن أخى إبراهيم الخليل عليهما السلام .. لم يعرف الملائكة حين أتوه ..

يقول الله تعالى : « ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب . وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات ، قال يا قوم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم ، فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفى ، أليس منكم رجل رشيد . قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد . قال لو أن لى بكم قوة

أو آوى الى ركن شديد • قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك» (٢٦) •

خرجت الملائكة من عند ابراهيم •• قاصدين قرية لوط — عليهما السلام — وكان بينه وبين هذه القرية أربعة فراسخ •• فبصرت بنتا لوط — وهما تستقيان — بهن •• ورأتا هيئة حسنة •• فقالتا : ما شأنكم ؟ ومن أين أقبلتم ؟ قالوا : أقبلنا من فلسطين •• ونريد هذه القرية ••

قائلا : فان أهلها أصحاب الفواحش !! فقالوا : أ ، من يضيفنا ؟ قالتا : نعم •• هذا الشيخ •• وأشارتا الى أباهما •• فلما رأى لوط عليه السلام هيئتهم •• خاف قومه عليهم وساءه مجيئهم •• وضاق صدره به وكرهه •• وقال في نفسه : هذا يوم شديد تره ••

وقيل : ان الملائكة الثلاثة وجدوا ابنته تستقى الماء من نهر سدوم •• فسألوها الدلالة على من يضيفهم •• وخافت عليهم قومها بعد أن رأت هيئتهم •• فقالت لهم : مكانكم •• ثم ذهبت الى أبيها فأخبرته خبرهم •• فخرج اليهم •• فقالوا : نريد أن تضيفنا الليلة •• فقال عليه لسلام : أوما سمعتم بعمل هؤلاء القوم ؟

قالوا : وما عملهم ؟ •• قال : أشهد بالله انهم لشر قوم في الأرض •• وقد كان الله عز وجل قال لملائكته : لا تعذبوهم حتى يشهد لوط عليهم أربع شهادات — فلما قال لوط هذه المقالة قال جبريل عليه السلام لأصحابه : هذه واحدة ••

وتردد نقول بينهم •• حتى كرر لوط الشهادة أربع مرات •• ثم دخل بهم المدينة ••

ويقال ان امرأة لوط — وكانت على ملة قومها — لما رأت الأضياف وجمالهم وهيئتهم •• خرجت حتى أتت مجالس قومها •• فقالت لهم : ان لوطا قد أضاف الليلة فتية ما رؤى مثلهم جمالا •• وكذا •• وكذا •• الخ ••

فحينئذ جاءه قومه يهرعون اليه •• قاصدين أضيافه •• فقام

اليهم لوط عليه السلام مدافعا .. يناشدهم ألا يهينوه في أضيافه ..
وآلا يذلوه .. والقوم في غيهم وضلالهم ..

فلما أصروا على ضلالهم .. عرض على سيدين من سادتهم أن
يزوجهما بابتنتيه « رثيا » و « زعوراء » .. راجيا أن يردا أتباعهما
عن أضيافه .. خاصة وأن القوم يهابونهما ويطيعونهما .

ولكنهما ردا عليه قائلين : « لقد علمت ما لنا في بناتك من حق » .
فضلا عن أنه ليس لنا اليهم تعلق .. ولاهن قصدنا .. ولا لنا عادة
بذلك .. وانك لتعلم أننا لا نبغى سوى أضيافك !!

يقول ابن عباس رضى الله عنهما : كان هذين الرئيسين قد خطيا
بناته فلم يجبهما .. وأراد ذلك اليوم أن يفدى أضيافه ببناته !!

وكانت عادة القوم أن من رد في خطبة امرأة لم تحل له أبدا ..
وكان لوط عليه السلام قد ردهما من قبل .. ولذا قال : « لقد علمت
مالنا في بناتك من حق » .

ويقول مجاهد وسعيد بن جبير : أشار بقوله « بناتى » الى
النساء جملة .. اذ نبى القوم أب لهم ..

وعن أبى عبيدة قال : انما كان الكلام مدافعة ولم يرد امضاءه ..
وقال عكرمة : لم يعرض عليهم بناته ولا بنات أمته .. وانما
قال لهم هذا لينصرفوا .. والله أعلم .

فلما اشد الأمر على لوط عليه السلام .. قال يناشدهم : أليس
فيكم رجل صالح يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .. ولكنهم استمروا
في غيهم وضلالهم .. فقال متفجعا مستكينا بعد أن رأى ضعفه عنهم
وعدم قدرته على دفعهم : « لو أن لى بكم قوة » — أى أنصارا وأعوانا
أستعين بهم على ردكم .. « أو آوى الى ركن شديد » — أى ألجأ الى
عشيرة وكثرة أغالبكم بها ..

لقد طفح الكيل .. وبلغ به فعلهم الى هذا القول .. مع علمه
بما عند الله تعالى من القوة والمنعة والنصر ..

عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « يرحم الله لوطا لقد كان يأوى الى ركن شديد » .

ويقول ابن عباس رضى الله عنهما : أغلق لوط بابيه .. والملائكة
معه فى الدار .. وهو يناظر قومه ويناشدهم من وراء الباب .. وهم
يعالجون تسور الجدار .. فلما رأت الملائكة ما لقى من الجهد والكرب

والنصب بسببهم قالوا : يا لوط .. ان ركنك لشديد .. وانهم آتيهم عذاب غير مردود .. وانا رسل ربك فافتح الباب ودعنا واياهم .. ففتح الباب فضربهم جبريل عليه السلام بجناحه فطمس أعينهم وعموا .. وانصرفوا على أعقابهم يقولون : النجاء ..

ثم كان من أمرهم ما قص الله علينا في كتابه الكريم من تدميرهم وخسفهم وانزال العذاب بهم ..

فهل كان لوط عليه السلام يقف هذا الموقف العصيب .. لو كان يعلم الغيب ويعرف أنه ينافح عن ملائكة أرسلوا لهلاك القوم الظالمين؟! *

● وهذا يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام .. الكريم ابن الكريم ابن الكريم .. ظل ييكي ابنه يوسف وبنيامين حتى ابيضت عيناه .. بينما أولهما يعيش في مصر وزيراً عزيزاً .. والآخر يعيش في كنفه آمناً مطمئناً .. وهو يحسبهما في عداد الهلكى ..

لقد قص علينا القرآن الكريم قصة يوسف عليه السلام مع اخوته حين ألقوه في الجب حسداً له وحقداً عليه ..

وقص علينا ما كان من حبسه في السجن بضع سنين لذنب لم يرتكبه ..

وما كان من تأويله لرؤيا الملك .. وخروجه من السجن .. وتوليته منصب الوزارة ..

ثم يقول الله تعالى : « وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي ، فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين . قال اجعلني على خزائن الأرض ، انى حفيظ عليم . وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ، يتبوا منها حيث يشاء ، نصيب برحمتنا من نشاء ، ولا نضيع أجر المحسنين » (٢٧) .

وجاء اخوة يوسف الى مصر يطلبون الميرة .. بعد أن أصابتهم سنى الجذب التى عمت المنطقة كلها .

ويقول تعالى : « وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون . ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ، ألا ترون أنى أوفى الكيل وأنا خير المنزلين . فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون . قالوا سنراود عنه أباه وانا لفاعلون » (٢٨) .

وكان أن أحضروا أخاهم بنيامين إلى مصر .. فلما دخلوا على يوسف : « آوى إليه أخاه ، قال أنى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون » (٢٩) .

ثم ما كان من احتجازه إياه بما أخبر الله تعالى في القرآن الكريم . ويعود الأخوة إلى أبيهم .. تاركين بنيامين خلفهم بين يدي أخاه .. وزير مصر وعزيزها .. ثم يعتذرون إلى أبيهم بما اعتذروا به .. إلا أن يعقوب عليه السلام يتولى عنهم وهو يقول : « يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم » قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين . قال إنما أشكوا بثى وحزنى إلى الله » (٣٠) .

والمقصود .. لو كان يعقوب عليه السلام يعلم الغيب .. هل كانت عيناه تبيضان حزنا وبكاء على ولديه .. وأحدهما يتقلد في مصر أعلى مناصبها .. والآخر يعيش في كنفه آمنا مطمئنا ؟!

* * *

● وهذا موسى بن عمران — عليه السلام — اصطنعه الله لنفسه .. وصنعه على عينه .. وألقى عليه محبة منه !! شرح صدره .. ويسر أمره .. وحل عقدة لسانه .. وكلمه تكليما !!

ثم بعثه وأخاه هارون نبيين كريمين .. وأرسلهما إلى فرعون مصر ومايكها .. وأيدهما بالمعجزات الباهرة .. والآيات الدالة الناطقة !! أنجاه من اليم صغيرا .. وشق له البحر كبيرا !! ألقته أمه في اليم بيديها .. فأعاده الله إليها كي تقر عينها ولا تحزن !! كان فرعون يبحث عنه ليقتله .. فرباه في بيته ، ثم جعل موت فرعون على يديه !! جعل معجزته في عصاه ويده .. وأنزل عليه كتابا من السماء فيه هدى ونور .

أنبع له من الصخرة ماء .. وأنزل عليه المن والسلوى من السماء !!

اختاره الله .. وفضله على بنى إسرائيل ..

يقول الله تعالى : « قال رب اشرح لى صدرى • ويسر لى امرى •
واحلل عقدة من لسائى • يفتحها قولى • واجعل لى وزيراً من أهلى •
هارون أخى • أشدد به أزرى • واشركه فى امرى • كى نسبك كثيراً •
ونذكرك كثيراً • انك كنت بنا بصيراً • قال قد أوتيت سؤلك يا موسى •
ولقد مننا عليك مرة أخرى • اذ أوحينا الى أمك ما يوحى • أن اقدفيه
فى التابوت فاقدفيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدولى وعدوله ،
وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عيني » (٣١) •

ويقول تعالى : « واصطنعتك لنفسى • اذهب أنت وآخوك بآياتى
ولا تتيا فى ذكرى • اذهبا الى فرعون انه طغى • فقولا له قولاً لينا لعله
يتذكر أو يخشى • قالاً ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى •
قال لا تخافا ، اننى معكما أسمع وأرى » (٣٢) •

ويقول جل شأنه : « ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً
وعلماً ، وكذلك نجزي المحسنين » (٣٣) •

ومع هذا •• لم يكن عليه السلام مع ما حباه الله من فضائل ••
وأسبغ عليه من نعم •• يعلم الغيب ••

خرج موسى عليه السلام من مصر هارباً •• بعد أن قتل المصرى
وجد أعوان فرعون فى طلبه •• حتى ورد ماء مدين ••

وكان ما قصه القرآن الكريم من زواجه بابنة شعيب وقضاؤه
الأجل المتفق عليه صداقاً لها •• ثم اشتاق الى أهله •• ففقل عائداً
متخفياً •• وسأر بأهله وبعض أولاده قاصداً مصر ••

واتفق ذلك فى ليلة مظلمة باردة •• فتأهوا فى طريقهم فلم يهتدوا
الى السلوك فى الدروب المألوفة •• وجعل يورى زناده فلا يورى
شيئاً •• واشتد المظلام والبرد ••

فبينما هو كذلك اذ أبصر عن بعد ناراً تأجج فى جانب الطور ••
ويقول الامام ابن كثير : « قال لأهله امكثوا انى آنست ناراً » •
وكأنه — والله أعلم — رآها دونهم •• لأن هذه النار هى نور فى
الحقيقة ، ولا يصلح رؤيتها لكل أحد ، « لعلى آتيكم منها بخبر »
أى لعلى أستعلم من عندها عن الطريق « أو جذوة من النار لعلكم
تصطلون » فدل على أنهم كانوا قد تأهوا عن الطريق فى ليلة باردة

ومظلمة ، لقوله تعالى في الآية الأخرى : « وهل أتاك حديث موسى •
اذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس
أو أجد على النار هدى » (٣٤) فدل على وجود الظلام وكونهم تاهوا
عن الطريق •• وجمع الكل في سورة النمل في قوله : « اذ قال موسى
لأهله انى آنست نارا سأتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس
لعلكم تصطلون » (٣٥) •• وقد آتاهم بخبر وأى خبر ، ووجد عندها
هدى وأى هدى ، واقتبس منها نورا وأى نور ؟

يقول الله تعالى : « فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس
من جانب الطور نارا ، قال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم
منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون • فلما آتاها نودى من
شاطئ الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى
انى أنا الله رب العالمين • وأن ألق عصاك ، فلما رآها تهتز كأنها جان
ولى مدبرا ولم يعقب ، يا موسى أقبل ولا تخف ، انك من الآمنين » (٣٦) •
ويقول جل شأنه : « وما تلك بيمينك يا موسى • قال هى عصاى
أتوكؤا عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى • قال ألقها
يا موسى • فالتقاها فاذا هى حية تسمى • قال خذها ولا تخف ، سنعيدها
سيرتها الأولى » (٣٧) •

امتثل موسى — عليه السلام — لأمر ربه •• وألقى العصا التى
يعتمد عليها •• فاذا هى تصير حية عظيمة •• لها ضخامة هائلة ••
وأنياب تصك •• وهى مع ذلك فى سرعة حركة الجان — ضرب من
الحيات يقال له الجان والجنان ، وهو لطيف ولكنه سريع الاضطراب
والحركة جدا — فجمعت عصاه بين الضخامة والسرعة الشديدة ••
فلما رآها موسى عليه السلام ولى هاربا منها •• ولم يلتفت اليها ••
فناداه ربه أن أقبل ولا تخف •• انك من الآمنين ••

ثم أمره تعالى بأن يتناولها •• فانه تعالى سيعيدها سيرتها
الأولى •• عصا كما كانت •• ويقال انه هابها جدا •• فأدخل يده فى
كمه •• ثم وضعها فى وسط فمها •• ويقال أمسك بذيها •• فلما استمكن
منها عادت عصا ذات سبعين كما كانت !!

(٣٥) النمل : ٧

(٣٧) طه : ١٧ — ٢١

(٣٤) طه : ٩ ، ١٠

(٣٦) القصص : ٢٩ — ٣١

والمقصود .. هل كان موسى يخاف عصاه التي يعرفها منذ
صحابها عندما أنقذت حياة .. لو كان يعلم الغيب ؟ !

* * *

● وهذا داوود عليه السلام .. ألان له الله الحديد .. وعلمه
صناعة الدروع .. وسخر له الجبال والطير يسبحن معه بالعشى
والاشراق .. وأعطاه الملك العظيم .. وآتاه الحكمة وفصل الخطاب ..
يقول الله تعالى : « ولقد آتينا داوود وسليمان علما ، وقالوا الحمد
لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين » (٣٨) .

ويقول تعالى : « ولقد آتينا داوود منا فضلا ، يا جبال
أوبى معه والطير ، وألنا له الحديد . أن اعمل سابغات وقدر في
السرد ، واعملوا صالحا ، انى بما تعملون بصير » (٣٩) .

ويقول جل شأنه : « واذكر عبدنا داوود ذا الأيد ، انه أواب .
انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق . والطير محشورة ،
كل له أواب . وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب » (٤٠) .

عن الحسن البصرى وقتادة والأعمش قالوا : كان الله قد ألان
له الحديد حتى كان يفتله بيده لا يحتاج الى نار ولا مطرقة !!
وقال قتادة : كان أول من عمل الدروع من زرد .. وانما كانت
قبل ذلك من صفائح ..

وعن ابن شاذب : أنه كان يعمل كل يوم درعا يبيعها بستة آلاف
درهم .

وقد ثبت في الحديث الشريف أن « أطيب ما أكل الرجل من
كسبه ، وان نبى الله داوود كان يأكل من كسب يده » .

وعن ابن عباس ومجاهد وغيرهما : أن الله تعالى وهبه من الصوت
العظيم ما لم يعطه أحدا .. بحيث أنه كان اذا ترنم بقراءة كتابه يقف
الطير في الهواء يرجع بترجيئه .. ويسبح بتسبيحه .. وكذلك الجبال
تجيبه وتسبح معه كلما سبح بكرة وعشية !!

وعن الأوزاعى قال : حدثنى عبد الله بن عامر قال : أعطى داوود
من حسن الصوت ما لم يعط أحد قط .. حتى ان كان الطير والوحش
ينعكف حوله حتى يموت عطشا وجوعا .. وحتى ان الأنهار لتقف !!

(٣٩) سبا : ١٠ ، ١١

(٣٨) النمل : ١٥

(٤٠) سورة ص : ١٧ - ٢٠

ومع هذا .. لم يعرف داوود عليه السلام الملكين حين تسور عليه المحراب ليحتكما اليه .. وجلس يقضى بينهما وقد ظنهما خصمين من البشر .

يقول الله تعالى : « وهل أتاك نبا الخصم اذا تسوروا المحراب . اذ دخلوا على داوود ففزع منهم قالوا لا تخف ، خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط . ان هذا اخى له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى في الخطاب . قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ، وان كثيرا من الخطاء ليبنى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعطوا الصالحات وقليل ما هم ، وظن داوود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأتاب . فغفرنا له ذلك ، وان له عندنا لزلفى وحسن مآب » (٤١) .

روى أن داوود عليه السلام قال يوما : يا رب .. ما من يوم الا ومن آل داوود لك فيه صائم .. وما من ليلة الا ومن آل داوود لك فيها قائم .. فأوحى الله اليه : يا داوود .. منك ذلك أو منى ؟ .. وعزتى لأكلنك الى نفسك .

قال : يا رب .. فاعف عني .. قال : أكلنك الى نفسك سنة .. قال : لا ، بعزتك .. قال : فشهرا .. قال : لا ، بعزتك .. قال : فأسبوعا .. قال : لا ، بعزتك .. قال : فيوما .. قال : لا ، بعزتك .. قال : فساعة .. قال : لا ، بعزتك .. قال : فلحظة ..

فقال له الشيطان : وما قدر لحظة ؟ .. فقال : كلنى الى نفسى لحظة .. فوكله الله الى نفسه لحظة .. وقيل له هى فى يوم كذا .. وفى وقت كذا ..

فلما جاء ذلك اليوم جعله للعبادة .. ووكل الأحراس حول مكانه — قيل كانوا أربعة آلاف ، وقيل ثلاثين ألفا ، وقيل ثلاثة وثلاثين ألفا — وخلا لعبادة ربه .. ونشر الزبور بين يديه ..

فبينما هو يقرأ الزبور .. اذ مثل الشيطان له فى صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن .. فوقعت بين رجليه .. فمد يده ليأخذها فیدفعها لابن له صغير .. فطارت غير بعيد ولم تؤبسه من نفسها ، فامتد اليها ليأخذها فتنحت عنه .. فاتبعتها فطارت حتى وقعت فى كوة .. فذهب ليأخذها فطارت .. ونظر داوود يرتفع فى اثرها ليعث اليها

من يأخذها .. فإذا به يرى امرأة في بستان على شط بركة تغتسل ..
فلما رأيته غطت جسدها بشعرها .. فوقعت في قلبه !!

ثم ان داوود عليه السلام أقدم على خطبة المرأة .. وكان أوريا
ابن حنان — أحد قواده — قد خطبها لنفسه .. فمال القوم الى تزويجها
من داوود راغبين فيه .. وزاهدين في الخاطب الأول لاسيما وأنه
كان غائبا في دار الحرب !!

ولم يكن داوود عارفا بخطوبتها لأوريا — وقد كان يمكنه معرفة
ذلك لو حاول فيعدل عن هذه الرغبة وعن الخطبة بها ، ولكنه لم يفعل
ذاك من حيث أعجب بها .. فكانت فتنته التي فتن بها في اللحظة التي
وكله الله فيها الى نفسه ..

وقد كان لداوود عليه السلام من النساء العدد الكثير — قيل
تسع وتسعون زوجة — ولم يكن لأوريا سوى هذه الخطيبة .. فلما
غاب في الحرب وخطبها داوود زوجت منه لجلالته .. فاغتم أوريا
نذلك — وقيل انه مات من الغم — وعتب الله على داوود اذ لم يتركها
لخطيبها ..

وبينما داوود يوما في محرابه يتعبد .. بعث الله ملكين في صورة
انسيين — قيل هما جبريل وميكائيل — فمنعهما الحراس من الدخول ..
فتسورا المحراب عليه .. فما شعر وهو في صلاته الا وهما بين يديه
جالسين .. ففزع منهما !!

ويقول ابن العربي : « وكان محراب داوود عليه السلام من
الامتناع بالارتفاع بحيث لا يرتقى اليه آدمى بحيلة الا أن يقيم عليه
أياما أو أشهر بحسب طاقته .. مع أعوان يكثر عددهم .. وآلات
جمعة مختلفة الأنواع » .

ولهذا لما رأى داوود الملكين فزع منهما وقال : ما أدخلكما
علي ؟ ..

قالا : لما لم يأذن لنا الموكلون بالحجاب .. توصلنا الى الدخول
بالتسور .. وخفنا أن يثاقم الأمر بيننا ..
فقبل داوود عذرهما وأصغى الى قولهما ..

قالا : « لا تخف ، خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا
بالحق ولا تشطط » — أي : لا تجر ..

يقول الماوردي : لما كانا ملكين .. ولم يكونا خصمين ولا

باغيين .. ولا يأتى منهما كذب .. فان تقدير كلامهما : ما تقول ان
أتاك خصمان وقالوا بغى بعضنا على بعض ؟ ..

فتكلم أحدهما عن أوريا فقال : « ان هذا اخي » — أى على
دينى ، وأشار الى المدعى عليه — « له نسع وتسعون نعجة »
— كناية عن النساء — « ولى نعجة واحدة » — أى امرأة واحدة —
« فقال أكفلنيها » — أى انزل لى عنها حتى أكفلها — « وعزنى فى
الخطاب » — أى غلبنى ..

فقال داوود عليه السلام : « بعد طنت بسؤال نعجتك الى
نعاجي ، وان كثيرا من الخطاء يبيى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات وقليل ما هم » .

فلما قضى بينهما على هذا النحو .. نظر أحدهما الى صاحبه
فضحك — وقيل ان المدعى عليه هو الذى ضحك — ولم يفتن داوود
للأمر .. فأحبا أن يعرفهما .. فصعدا الى السماء حياى وجهه ..
وقيل : انه سمع ملكا يقول له : فهلا قضيت بذلك على نفسك
يا داوود ؟

عندئذ علم داوود عليه السلام أن الله تعالى قد ابتلاه .. فسجد
خاضعا لربه .. معترفا بذنبه .. تائبا عن خطيئته ..

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم :
ان داوود مكث أربعين ليلة ساجدا .. حتى نبت العشب من دموعه على
رأسه .. وأكلت الأرض من جبينه .. وهو يقول فى سجوده : يا رب ..
داوود زل زلة بعد بها ما بين الشرق والمغرب .. رب ان لم ترحم
ضعف داوود وتغفر ذنبه .. جعات ذنبه حديثا فى الخلق من بعده ..
فقال له جبريل بعد أربعين يوما : يا داوود .. ان الله قد غفر لك ..

وكانت هذه هى فتنة داوود ابانية .. فقد قضى لأحد الخصمين دون
أن يسمع دفاع الآخر .. وكان العدل يقتضيه أن يسمع دفاع المدعى
عليه .. فقد يكف الحق معه .. أن تكون الائمة له ، وأن الآخر قد
اغتصب منه هذه الواحدة ، وأنه عندما ضمها الى نعاجه يكون قد استرد
حقه .. ولكنه عليه السلام لم يفعل !

ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا جلس اليك
الخصمان فلا تقض لأحدهما حتى تسمع من الآخر » ..

والمقصود .. أن نبى الله داوود — من مكانته وما وصفه الله

تعالى به .. ثم يعرف أن المرأة التي تزوجها كانت مخطوبة لغيره ..
كما ثم يعرف حقيقة الملكين اللذين تسورا عليه المحراب .. بل جلس
يقتضى بينهما وهو يظن أنهما خصمان من البشر (٤٢) !!

* * *

● وهذا سليمان بن داود عليهما السلام .. آتاه الله الحكمة
صغيرا .. ومنحه الملك والنبوة .. وسخر له الريح .. وأخضع له
اجن .. وعلمه منطق الطير .. وآتاه من كل شيء علما .. ووعدده
بأنزلفى وحسن المآب ..

يقول الله تعالى : « وورث سليمان داوود ، وقال يا أيها الناس
علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء ، ان هذا لهو الفضل المبين » (٤٣) .
ويقول : « ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره الى الأرض التي
باركنا فيها ، وكنا بكل شيء عالمين . ومن الشياطين من يفوصون له
ويعملون عملا دون ذلك ، وكنا لهم حافظين » (٤٤) .

ويقول جل شأنه : « قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي
لأحد من بعدي ، انك أنت الوهاب . فسخرنا له الريح تجري بأمره
رخاء حيث أصاب . والشياطين كل بناء وغواص . وآخرين مقرنين
في الأصفاد . هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب . وان له
عندنا انزلفى وحسن مآب » (٤٥) .

ويقول جل وعلا : « وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس
والطير فهم يوزعون . حتى اذا أتوا على وادى النمل قالت نملة
يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم
لا يشعرون . فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر
نعمتك التى أنعمت على والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى
برحمتك فى عبادك الصالحين » (٤٦) .

(٤٢) عن الجامع لأحكام القرآن للامام القرطبي بتصريف كبير .. فقد
أورد الامام القرطبي فى تفسير هذه الآيات كثيرا من الروايات .. هى من
قبيل الاسرائيليات التى لا يطمئن القلب اليها .. ولهذا تصرفنا فى استخراج
هذا النص المستشهد به ..

(٤٤) الانبياء : ٨١ ، ٨٢

(٤٣) النمل : ١٦

(٤٦) النمل : ١٧ — ١٩

(٤٥) سورة ص : ٣٥ — ٤٠

ومع كل هذا .. لم يكن سليمان عليه السلام يعلم الغيب .. فلم يعرف حين تفقد الطير أين غاب الهدد .. حتى أخبره الهدد بنفسه !! يقول تعالى : « وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدد أم كان من الغائبين . لأعذبه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين . فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتكم من سبأ نبأ يقين » (٤٧) .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان الهدد مهندسا يدل سليمان عليه السلام على الماء اذا كان بأرض فلاة طلبه فنظر له الماء في تخوم الأرض .. كما يرى الانسان الشيء الظاهر على وجه الأرض .. ويعرف كم مساحة بعده من وجه الأرض .. فاذا ذلهم عليه أمر سليمان عليه السلام الجان فحفروا ذلك المكان حتى يستنبط الماء من قراره .

فنزّل سليمان عليه السلام يوما بفلاة من الأرض .. فتفقد الطير ليرى الهدد فلم يره .. فقال . « مالى لا أرى الهدد أم كان من الغائبين » ؟

فقام رجل من الخوارج يقال له نافع بن الأزرق — وكان كثير الاعتراض على ابن عباس — وقال : قف يا ابن عباس .. غلبت اليوم . قال : ولم ؟ قال : أتخبر عن الهدد أنه يرى الماء في تخوم الأرض .. وأن الصبى ليضع الحبة في الفخ ويحثو على الفخ ترايا .. فيجىء الهدد ليأخذها فيقع في الفخ فيصيده الصبى .. فقال ابن عباس : لولا أن يذهب هذا فيقول رددت على ابن عباس لما أجبته .. ثم قال له : ويحك .. انه اذا نزل القدر عمى البصر وذهب الحذر .. فقال له نافع : والله لا أجادلك في شيء من القرآن أبدا !!

وقال محمد بن اسحاق : كان سليمان عليه السلام اذا غدا الى مجلسه الذى كان يجلس فيه تفقد الطير .. وكان فيما يزعمون يأتيه نوب من كل صنف من الطير .. كل يوم طائر .. فنظر فرأى من أصناف الطير كلها من حضره .. الا الهدد .. فقال : ماله أخطأه بصرى من الطير .. أم غاب فلم يحضر ؟ ..

وتوعده بنتف ريشه والقاؤه في الشمس يأكله النمل .. أو بقتله

ان لم يأتته بعذر بين واضح .. فلما قدم الهدهد قالت له الطير :
ما خلفك ؟ .. فقد نذر سليمان دمك .. فقال : هل استثنى ؟ قالو :
نعم .. قال : « لا عذبه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان
هيبين » .. قال : نجوت اذن ..

يقول الله تعالى : « فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به
وجئتكم من سبا بنبا يقين • انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل
شئ ولها عرش عظيم • وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون
الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون •
ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ويعلم ما تخفون
وما تعانون • الله لا اله الا هو رب العرش العظيم • قال سننظر أصدقت
أم كنت من الكاذبين » (٤٨) .

فهل كان سليمان عليه السلام يجهل أمر الهدهد لو كان يعلم
الغيب ؟ !



● وهذه مريم ابنة عمران عليها السلام .. نذرتها أمها وحى
فى بطنها لله .. فتقبلها ربها بقبول حسن .. واصطفاه وطهرها واصطفاه
على نساء العالمين ..
شهد لها الله وبرأها .. وكانت الملائكة تأتيتها برزقها رغدا فى
محرابها ..

يقول الله تعالى : « اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك
ما فى بطنى محررا فتقبل منى ، انك أنت السميع العليم • فلما وضعتها
قالت رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى ،
وانى سميتها مريم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم •
فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا » (٤٩) .

ويقول : « واذا قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك
 واصطفاك على نساء العالمين • يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع
الراكعين » (٥٠) .

(٤٩) آل عمران : ٣٥ — ٣٧

(٤٨) النساء : ٢٢ — ٢٧

(٥٠) آل عمران : ٤٢ ، ٤٣

ويقول جل شأنه : « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال يا مريم أنى لك هذا ، قالت هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب » (٥١) .

ومع هذا لم تكن تعلم الغيب .. ففرغت عندما تمثل لها روح الله بشرا سويا .. فتعوذت منه .. ثم تمنى الموت لنفسها حين رأت وليدها وخافت من اتهام قومها !!

يقول تعالى : « وأذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا . فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا . قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا . قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا . قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسنى بشر ولم أك بغيا . قال كذلك قال ربك هو على هين ، ولنجعله آية للناس ورحمة منا ، وكان أمرا مقضيا » (٥٢) .

عندما اراد الله تعالى جلت قدرته أن يوجد منها عبده ورسوله عيسى عليه السلام .. أحد الرسل أوى العزم الخمسة العظام .. اعتزلت أهلها وتحت عنهم .. وذهبت الى شرقى المسجد المقدس — قيل لحيض أصابها .. وقيل لغير ذلك — وقال محمد بن اسحاق : ذهبت بتنتها لتستقى الماء .. فاستترت من أهلها وتوارت .. فأرسل الله تعالى اليها جبريل عليه السلام فى صورة انسان تام كامل .. فلما رآته وهى فى مكان منفرد ، وبينها وبين قومها حجاب .. خافته وضنت أنه يريد لها على نفسها .. فقالت : « انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا » . — أى ان كنت تخاف الله — فقال لها الملك مجيبا لها ومزيلا لما حصل عندها من الخوف على نفسها : « انما أنا رسول ربك » — أى لست مما تظنين .. ولكنى رسول ربك بعثنى اليك ليهب لك غلاما زكيا ..

ويقول جل شأنه : « فحملته فانتبذت به مكانا قصيا . فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا » (٥٣) .

(٥٢) مريم : ١٦ — ٢١

(٥١) آل عمران : ٣٧

(٥٣) مريم : ٢٢ ، ٢٣

فتمنت الموت لنفسها .. لأنها عرفت أنها ستبتلى وتمتحن بهذا المولود الذى لا يحمل الناس أمرها فيه على السداد .. ولا يصدقونها فى خبرها .. وبعد أن كانت عندهم عابدة ناسكة .. تصبح عندهم فبما يظنون عاهرة زانية .. فتمنت لو أنها ماتت قبل هذا الحال .. أو أنها لم تخاق ولم تك شيئا ..

فهل كانت عليها السلام لتجهل أمر جبريل عليه السلام .. أو تتمنى الموت بعد أن تلقت بشارة الملائكة بوليدها العظيم .. لو كانت تعلم الغيب ؟ !



* حادثة الافك :

عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه .. فأيتهن خرج بهما خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ..

قالت عائشة : فأقرع بيننا فى غزوة غزاها .. فخرج سهمى .. فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما نزل الحجاب .. فأنا أحمل فى هودجى وأنزل فيه .. فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل .. ودنونا من المدينة قافلين .. آذن ليلة بالرحيل ..

فقمنا حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش .. فلما قضيت شأنى أقبلت الى رحلى .. فاذا عقد لى من جزع ظفار قد انقطع .. فالتصمت عقدى وحبسنى ابتغاؤه .. وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لى فاحتملوا هودجى فدخلوه على بعيرى الذى كنت ركبت وهم يحسبون أنى فيه ..

وكان النساء اذ ذاك خفافا لم يثقلهن اللحم .. انما تأكل العلقة من الطعام .. فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رغووه .. وكنت جارية حديثة السن .. فبعثوا الجمل وساروا ..

فوجدت عقدى بعد ما استمر الجيش .. فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب .. فأمتت منزلى الذى كنت به .. وظننت أنهم سيفقدونى فيرجعون الى .. فبينما أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى خنمت ..

وكان صفوان بن المعطل السلمى ثم الذكوانى من وراء الجيش ..
فأدلى فأصبح عند منزلى .. فرأى سواد انسان نائم .. فأتاني فعرفني
حين رأيته .. وكان يراني قبل الحجاب .. فاستيقظت باسترجاعه
حين عرفني .. فخرمت وجهي بجلبابي .. والله ما كلمني كلمة ..
ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته فوطيء على
يديها فركبتها ..

فانطلق يقود بي الراحلة .. حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا
موغرين في نحر الظهيرة .. فهلك من هلك .. وكان الذي تولى الافك
عبد الله بن أبي بن سلول ..

فقدما المدينة فاشتكت حين قدمت شهرا .. والناس يفيضون
في قول أصحاب الافك .. لا أشعر بشيء من ذلك وهو يرييني في وجعي
أنى لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كان فيه
حين أشتكى .. انما يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم
.. ثم يقول : كيف تيكم ؟ ثم ينصرف .. فذاك الذي يرييني ولا
أشعر ..

حتى خرجت بعد ما نقهت .. فخرجت معي أم مسطح قبل
المناسع — وهو متبرزنا — وكنا لا نخرج الا ليلا الى ليل .. وذلك
قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا .. وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز
قبل الغائط .. فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا ..

فانطلقت أنا وأم مسطح .. وهى ابنة أبي رهم بن عبد مناف ..
وأما بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق .. وابنها مسطح
ابن أثاة .. فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي .. قد فرغنا من شأننا ..
فعرثت أم مسطح في مرطها .. فقالت : تعس مسطح ..

فقلت لها : بئس ما قلت .. أتسبين رجلا شهد بدرا ؟

قالت : أى هنتاه .. أو لم تسمعى ما قال ؟

قلت : وما قال ؟ .. فأخبرتني بقول أهل الافك .. فازددت مرضا
على مرضى .. فلما رجعت الى بيتي ودخل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم — تعنى سلم — ثم قال : كيف تيكم ؟ .. فقلت : أتأذن لى
أن أتى أبوى ؟ ..

قالت : وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما ..

قالت : فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فجئت أبوى ..
فقلت لأمي : يا أمتاه .. ما يتحدث الناس ؟

قالت : يا بنية .. هوني عليك ، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة
عند رجلها يحبها ولها ضرائر .. الا كثرن عليها ..

قالت : فقلت : سبحان الله .. ولقد تحدث الناس بهذا ؟

قالت : فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لى دمع .. ولا
أكتحل بنوم .. حتى أصبحت أبكى ..

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب وأسامة
ابن زيد رضى الله عنهما — حين استلبث الوحى — يستأمرهما فى فراق
أهله ..

قالت : فأما أسامة بن زيد .. فأشار على رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالذى يعلم من براءة أهله .. وبالذى يعلم لهم فى نفسه
من الود .. فقال : يا رسول الله .. أهلك وما نعلم الا خيرا ..

وأما على بن أبى طالب .. فقال : يا رسول الله .. لم يضيق
الله عليك ، والنساء سواها كثير .. وان تسأل الجارية تصدقك ..

قالت : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال : أى
بريرة .. هل رأيت من شئ يريبك ؟

قالت بريرة : لا والذى بعثك بالحق .. ان رأيت عليها أمرا
أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن .. تنام عن عجين أهلها ..
نأتى الداجن فتأكله !!

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعذر يومئذ من عبد الله
ابن أبى بن سؤل .. قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو على المنبر : « يا معشر المسلمين .. من يعذرني من رجل قد بلغنى
أذاه فى أهل بيتى .. فوالله ما علمت على أهلى الا خيرا .. ولقد
ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا .. وما كان يدخل على أهلى الا
معي » ..

فقام سعد بن معاذ الأنصارى فقال : يا رسول الله .. أنا أعذرك
منه .. ان كان من الأوس ضربت عنقه .. وان كان من اخواننا من
الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك ..

قالت : فقام سعد بن عباد — وهو سيد الخزرج — وكان قبل

ذلك رجلا صالحا .. ولكن احتملته الحمية .. فقال لسعد : كذبت لعمر
الله .. لا تقتله ولا تقدر على قتله !!

فقام أسيد بن حضير — وهو ابن عم سعد — ابن معاذ —
فقال لسعد بن عباد : كذبت لعمر الله .. لنقتلنه فانك منافق تجادل
عن المنافقين !!

فتشاور الحيان الأوس والخزرج .. حتى هموا أن يقتتلوا ..
ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر .. فلم يزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا .. وسكت ..

قالت : فمكثت يومى ذاك لا يرقأ لى دمع .. ولا أكتحل بنوم ..
قالت : فأصبح أبواى عندى .. وقد بكيت ليلتين ويوما .. لا أكتحل
بنوم .. ولا يرقأ لى دمع .. يظنان أن البكاء فالحق كبدى ..

قالت : فبينما هما جالسان عندى ، وأنا أبكى .. فاستأذنت على
امراة من الأنصار .. فأذنت لها .. فجلست تبكى معى ..

قالت : فبينما نحن على ذلك .. دخل علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسلم ثم جلس .. قالت : ولم يجلس عندى منذ قيل ما قيل
قبلها .. وقد لبث شهرا لا يوحى اليه فى شأنى ..

قالت : فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ..
ثم قال : « أما بعد .. يا عائشة ، فانه قد بلغنى عنك كذا وكذا ..
فان كنت بريئة فسيبرئك الله .. وان كنت أملت بذنب فاستغفرى الله
وتوبى اليه .. فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب الى الله تاب الله
عليه » ..

قالت : فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص
دمعى حتى ما أمس منه قطرة .. فقلت لأبى : أجب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيما قال !!

قال : والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم !!

فقلت لأمى : أجيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم !!

قالت : ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم !!

قالت : فقلت — وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن —
انى والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى أنفسكم
وصدقتم به .. فليئن قنت لكم انى بريئة ، والله يعلم انى بريئة
لا تصدقونى بذلك .. وليئن اعترفت لكم بأمر ، والله يعلم انى منه بريئة

لتصدقني .. والله ما أجد لكم الا قول أبي يوسف قال : « فصبر جميل ،
والله المستعان على ما تصفون » (٥٤) ..

قالت : ثم تحولت فاضطجعت على فراشي .. قالت : وأنا حينئذ
أعلم أنني بريئة .. وأن الله مبرئى ببراءتي .. ولكن والله ما كنت أظن أن
الله منزل في شأني وحيا يتنى .. ولشأني في نفسي كان أحقر من أن
يتكلم الله في بأمر يتنى .. ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها ..

قالت : فوالله ما رأم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خرج
أحد من أهل البيت .. حتى أنزل عليه .. فأخذه ما كان يأخذه من
البرحاء .. حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق .. وهو في يوم
ثبات من ثقل القول الذي ينزل عليه .. قالت : فلما سرى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم .. سرى عنه وهو يضحك .. فكانت أول كلمة
تكلم بها : « يا عائشة .. أما الله عز وجل فقد برأك » .

فقالت أمي : قومي اليه ..

قالت : فقلت : والله لا أقوم اليه .. ولا أحمد الا الله عز وجل ..
وأُنزل الله تعالى : « أن الذين جاءوا بالافك عصابة منكم ،
لا تحسبوه سرا لكم ، بل هو خير لكم ، لكل امرئ منهم ما اكتسب من
الاثم ، والذي تولى كبره منهم اه عذاب عظيم . لولا اذ سمعتموه
ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين . لولا
جاءوا عليه بأربعة شهداء ، فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند
الله هم الكاذبون . واولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة
لمسكم في ما أفضتكم فيه عذاب عظيم . اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون
بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم .
ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان
عظيم . يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين . ويبين الله
لكم الآيات ، والله عليم حكيم . ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في
الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ، والله يعلم وأنتم لا
تعلمون . ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم » (٥٥) .

* * *

(٥٤) يوسف : ١٨

(٥٥) النور : ١١ - ٢٠ - والحديث رواه البخارى بطوله ..

هذه عائشة أم المؤمنين — رضى الله عنها — الصديقة بنت
الصديق .. وأحب نساء النبي اليه .. لم تعرف بأفك الآفكين في حقتها ..
حتى أخبرتها أم مسطح — بعد شهر كامل — والمدينة كلها ترجف بهذا
الحديث !!

وهذا على بن أبى طالب — رضى الله عنه — أول من أسلم من
الصبيان .. كرم الله وجهه فلم يسجد أضرم قط .. ابن عم الرسول
صلى الله عليه وسلم .. وصهره .. لم تتضح له براءة أم المؤمنين ..
وأشار بطلاقها فالنساء كثيرات !!

وهذا أبو بكر الصديق — رضى الله عنه — خليفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم .. وصاحبه وحبيه .. ثانى اثنين اذ هما في
الغار .. لم يدر كيف يدافع عن ابنته لدى زوجها صلى الله عليه وسلم !!
بل .. وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه .. لبث عنه
الوحى شهرا كاملا .. فلم يعرف براءة زوجه الحبيبة برغم المحنة
الشديدة التى عاشها .. فراح يستشير أسامة وعلي .. ويسأل عنها
بريرة .. حتى أنزل الله براءتها من فوق سبع سموات !!

فهل لقائل بعد هذا — مهما كان شأنه — أن يدعى العلم بالغيب ..
أو أن حجابها قد كشف عنه ؟؟

* * *

* والجن أيضا لا يعلمون الغيب :

يقول الله تعالى : ﴿ وَالسَّيِّمَانِ الرِّيحِ غَدُوها شهر ورواحها شهر ،
وأسلنا له عين القطر ، ومن الجن من يعمل بين يديه بأذن ربه ،
ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير . يعملون له ما يشاء
من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ، اعملوا
آل داود شكرًا ، وقليل من عبادى الشكور . فلما قضينا عليه
الموت ما دلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته ، فلما خر
تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين ﴾ (٥٦) .
عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم :
« ان عفريتًا من الجن تفلت على البارحة ليقطع على صلاتي .. فأمكننى

الله منه فأخذته فأردت أن أربطه الى سارية من سواري المسجد حتى
تنظروا اليه كلكم .. فذكرت دعوة أخى سليمان : « رب اغفر لي
وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي ، انك أنت الوهاب » (٥٧) فرددته
خاسئا « (٥٨) .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قام رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسمعناه يقول : « أعوذ بالله منك .. ألعنك بلعنة الله »
— ثلاثا — وبسط يده كأنه يتناول شيئا .. فلما فرغ من الصلاة قلنا :
يا رسول الله .. قد سمعناك تقول فى الصلاة شيئا لم نسمعك تقوله
قبل ذلك ، ورأيناك بسطت يدك !! قال : « ان عدو الله ابليس جاء
بشهاب من نار ليجعله فى وجهى فقلت : أعوذ بالله منك ثلاث مرات ..
ثم قلت : ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات .. ثم أردت
أخذه .. والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقا يلعب به ولدان
أهل المدينة » (٥٩) .

وعن أبى ثعلبة الخشنى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : « الجن على ثلاثة أصناف .. صنف له أجنحة يطيرون
فى الهواء .. وصنف حيات وكلاب .. وصنف يحلون ويظعنون » (٦٠) .
وذكر ابن أبى حاتم أن ابن أنعم قال : « الجن ثلاثة أصناف ..
صنف لهم الثواب وعليهم العقاب .. وصنف طيارون فيما بين السماء
والأرض .. وصنف حيات وكلاب » .

وذكر أيضا عن الحسن قال : « الجن ولد ابليس والانس ولد
آدم .. ومن هؤلاء مؤمنون ومن هؤلاء مؤمنون .. وهم شركاؤهم
فى الثواب والعقاب .. ومن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمنا فهو ولى الله
تعالى .. ومن كان من هؤلاء وكافرا فهو شيطان » .

وقد سخر الله تعالى لسليمان عليه السلام من الجن الغواصين
الذين يغوصون فى الماء لاستخراج ما فى البحار من الجواهر واللالىء
مما لا يوجد الا فى أعماق البحار .. والطياريين الذين يطيرون فى
الهواء فيأتونه بأخبار الأمم .. والعمال الذين يعملون له ما يشاء ..
لا يفترون ولا يخرجون عن طاعته .. ومن خرج منهم عن الأمر عذبه
ونكل به ..

(٥٨) رواه البخارى .

(٦٠) رواه ابن أبى حاتم .

(٥٧) سورة ص : ٣٥

(٥٩) رواه مسلم .

ويخبرنا الله تعالى أنهم كانوا يبنون له المعابد والقصور الشاهقة ..
ويقومون له التماثيل من النحاس وغيره — وكان هذا سائغا في شريعتهم —
وينشئون له الجفان في حجم الأحواض الضخمة .. ويعملون القصور
الثابتة الراسخة في أماكنها فلا تتحرك ولا تتحول عنها لعظمها وضخامتها ..
ومع كل هذا .. فان الجن لا يعلمون الغيب ..

عن ابن عباس رضى الله عنه قال : كان سليمان عليه السلام
يتجرد في بيت المقدس السنة والسنتين .. والشهر والشهرين ..
وأقل من ذلك وأكثر .. يدخل طعامه وشرابه .. فأدخله في المرة
التي توفي فيها ..

فكان بدء ذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه الا نبتت في بيت المقدس
شجرة .. فبأتيتها فبسألها : ما اسمك ؟ فتقول الشجرة : اسمى كذا
وكذا . فان كانت لغرس غرسها .. وان كانت نبتت دواء قالت : نبت
دواء كذا وكذا ، فبجعلها كذلك .

حتى نبتت شجرة يقال لها الخروبة .. فسألها : ما اسمك ؟
فقالت : أنا الخروبة . فقال : ولأى شىء نبت ؟ فقالت : نبت لخراب
هذا المسجد ..

فقال سليمان : ما كان الله ليخربه وأنا حى .. أنت التى على
وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس ..

فبزرعها وغرسها في حائط له .. ثم دخل المحراب فقام يصلى
متكئا على عصاه .. فمات .. ولم تعلم به الشياطين .. وهم في
ذلك يعملون له يخافون أن يخرج فبعاقبهم ..

وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب .. وكان المحراب له كوى
بين يديه وخلفه .. فكان الشيطان الذى يريد أن يخلع يقول : أأست
جليدا ان دخلت فخرجت من ذلك الجانب .. فبدخل حتى يخرج من
الجانب الآخر ..

فدخل شيطان من أولئك فمر — ولم يكن شيطان ينظر الى سليمان
عليه السلام وهو في المحراب الا احترق — فلم يسمع صوت سليمان ..
ثم رجع فلم يسمع .. ثم رجع فوقع في البيت ولم يحترق .. ونظر
انى سليمان عليه السلام قد سقط ميتا .. فخرج فأخبر الناس أن
سليمان قد مات ..

ففتحوا عنه فأخرجوه ووجدوا منسأته — وهى العصا بلسان
الحبشة — قد أكلتها الأرضة .. ولم يعلموا منذ مات فوضعوا

الأرضة على العصا فأكلت منها يوما وليلة .. ثم حسبوا على هذا النحو فوجدوه قد مات منذ سنة !!

وعن ابن مسعود : فمكثوا يدأبون له من بعد موته حولا كاملا .. فأيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبون .. ولو أنهم علموا الغيب لعلموا بموت سليمان ولم يلبثوا في العذاب سنة يعملون له ذلك .. وذلك قول الله عز وجل : « ما دلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته ، فلما خسر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين » (٦١) ..

يقول : تبين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم .. ثم ان الشياطين قالوا للأرضة : لو كنت تأكلين الطعام لأتيناك بأطيب الطعام .. ولو كنت تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب .. ولكننا سننقل اليك الماء والطين .. قال : فانهم ينقلون اليها ذلك حيث كانت .. ألم تر الى الطين الذي يكون في جوف الخشب .. فهو ما يأتيها به الشيطان تشكرا لها !! يقول الامام ابن كثير : وهذا فيه من الاسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب ..

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : قال سليمان ملك الموت : اذا أمرت بى فأعلمنى .. فأتاه فقال : يا سليمان .. قد أمرت بك ، وقد بقيت لك سويعة .. فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب .. فقام يصلى فاتكأ على عصاه .. قال : فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متوكىء على عصاه .. ولم يصنع ذلك فرارا من ملك الموت .. قال : والجن تعمل بين يديه .. وينظرون اليه يحسبون أنه حي .. قال : فبعث الله دابة الأرض — يعنى الى منسأته — فأكلتها حتى اذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها .. فخر .. فلما رأت الجن ذلك انفضوا وذهبوا .. وصدق الله العظيم .. لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ..

* * *

مزاعم وأباطيل

لنا أن نتساءل .. ماذا لو كان الأنبياء يعلمون الغيب ؟
أكان آدم عليه السلام يأكل من الشجرة .. في حين أن خروجه
من الجنة مرتب على أكله منها ؟!
وهل كان نوح عليه السلام يراجع ربه في أمر ابنه .. في حين
أنه مكتوب في عداد العاصين الهالكين ؟!
أكان إبراهيم عليه السلام يذبح العجل للملائكة .. وهو يعلم أن
الملائكة لا تأكل ولا تشرب ؟!
وهل كان لوط عليه السلام يستमित دفاعاً عن ضيوفه ، ويقف
في وجه قومه .. وهم ملائكة أرسلهم الله لاهلاكهم ؟!
أكانت عينا يعقوب عليه السلام تبيضان من البكاء والحزن ..
في حين أن ابنه وزير في مصر يأمر ويحكم فيها ؟!
وهل كان موسى عليه السلام يفرع من عصاه .. في حين أنها
سوف تعود عصا كما كانت ؟!
أكان داود عليه السلام يجلس للقضاء بين الخصمين .. وقد
أرسله الله له فلم يعرف أنهما من رؤساء الملائكة ؟!
وهل كان سليمان عليه السلام يبحث عن الهدد حين تفقد الطير
فلم يجده فيتوعدده بأشد العقاب .. وهو يعلم أنه في سبأ يطالع
أحوالها ؟!
أكانت مريم عليها السلام تفرع وتتعود من جبريل .. في حين
أنه روح الله ؟!
وهل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستشير أسامة وعلياً
في أمر زوجه ويسأل عنها بريرة .. وهي أطهر نساء الأرض ؟!
الحق .. أن الأنبياء لا يعلمون من الغيب إلا بالقدر الذي ارتضاه
الله لهم وأوحاه إليهم ..
كما أن الملائكة بدورهم لا يعلمون الغيب ..
والجن كذلك .. لا يعلمون الغيب .. فلا يعلم الغيب إلا الله
وحده ..



ثم يأتي بعد ذلك أقوام .. ينسبون لأنفسهم من خوراق العادات
ما لم يأت به الأنبياء والمرسلون !!
ويقول قائلهم^(١) : « أخذتم علمكم ميتا عن ميت .. وأخذنا علمنا
عن الحي الذي لا يموت » !!

يعنون بذلك أن المسلمين قد أخذوا علمهم عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذي أخذه بدوره عن جبريل عليه السلام .. في حين أنهم
يأخذون علمهم عن الله مباشرة !!

وفي اعتقادهم أنهم يرون الله تعالى في صحوهم وفي منامهم ..
فيتحدث اليهم ويتحدثون اليه ..
ويقول قائلهم^(١) : « رأيت رب العزة في المنام فقال لي : كل
الناس يطلبون مني غير أنك تطلبني » !!
سبحانك ربى .. هذا بهتان عظيم ..
فهذا موسى عليه السلام خاطبه الله .. ولكنه لم يره ..

وهذا محمد صلى الله عليه وسلم رفعه الله الى أعلا سماء .. ولكنه
لم يره .. ثم يزعم زاعمهم أنه أوتي ما لم يؤت موسى أو محمد عليهما
الصلاة والسلام !!

عن أبي موسى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال : « حجاب النور — وفي رواية « النار » — لو كشفه لأحرقت
سبحات وجهه — أى أنوار وجهه — ما انتهى اليه بصره من خلقه »^(٢) .
وقال ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى : « لا تدركه
الابصار »^(٣) : « ذاك نوره الذى هو نوره .. اذا تجلى لشيء لا يقوم
له شيء » ..

وهذا موسى عليه السلام نبي الله وكليمه .. مع ما أوتي من
منزلة عالية .. ومرتبة سننية .. لما سمع خطاب الله تعالى سأل رغب
الحجاب .. فأنبأه تعالى بأنه لا يستطيع أن يثبت عند تجليه تبارك
وتعالى .. لأن الجبل نفسه الذى يقف عليه .. والذى هو أقوى وأكبر
ذاتا .. وأشد ثباتا من الانسان لا يثبت عند التجلى من الله الرحمن ..

(٢) متفق عليه .

(١) هو أبو يزيد البسطامي .

(٣) الانعام : ١٠٣

يقول الله تعالى : « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك ، قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا ، فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين » (١٠٠) .

تجلى تعالى بعظمته للجبل .. فلم يتمالك وأقبل فدك على أوله .. ورأى موسى عليه السلام ما يصنع الجبل فخر صعقا ..

عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ : « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا » قال : « هكذا — باصبعه ووضع الابهام على المفصل الأعلى من الخنصر — فساخ الجبل » (١٠١) .

وذكر السدى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهم قال : « ما تجلى — يعنى من العظمة — منه الا قدر الخنصر فجعل الجبل دكا .. قال : ترابا « وخر موسى صعقا » أى مغشيا عليه .. وقال قتادة : ميتا » ..

وهؤلاء السبعون من علماء بنى اسرائيل الذين اختارهم موسى لميقات ربه .. وأصعدهم معه الجبل .. حتى يعتذروا عن بقى حيا من عبدة البقرة .. وليستغفروا لهم حتى يرفع الله عنهم القتل ..

لما سألوا موسى عليه السلام أن يروا الله تعالى .. رجف بهم الجبل وأخذتهم الصاعقة .. ثم بعثهم الله من بعد موتهم ..

يقول تعالى : « واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون » ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون » (١٠٢) .

وقال فى الأعراف : « وأختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا ، فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياى ، أتهلكنا بما فعل السفهاء منا » (١٠٣) .

حدث ما أنبأنا به الله تعالى لموسى عليه السلام وللسبعين الذين اختارهم — وفيهم هارون ويوشع وناذاب وأبيهو ، وهم أفضل علماء بنى اسرائيل — فقد سألوا الله تعالى أمرا عظيما .. سألوه كشف الحجاب لهم .. فلم تستطع بشريتهم الصمود أمام تجلى عظمته سبحانه وتعالى ...

(٥) رواه أحمد .

(٧) الأعراف : ١٥٥

(٤) الأعراف : ١٤٣

(٦) البقرة : ٥٦ ، ٥٥

ولم يره موسى .. ولم يره علماء بنى اسرائيل المختارون ..
فهل يتاح لغيرهم — مهما عظمت منزلته — ما ضعف عنه موسى ومن
معه ؟ !

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم .. لم ير ربه ليلة أسرى به
الى المسجد الأقصى وعرج به الى ما فوق السموات العلا ..
عن مسروق رضى الله عنه قال : كنت متكئا عند عائشة — رضى الله
عنها — فقالت : يا أبا عائشة .. ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم
على الله الفرية ..

قلت : ما هن يا أم المؤمنين ؟

قالت : من رعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد
أعظم على الله الفرية ..

قال : وكنت متكئا فجلست فقلت : يا أم المؤمنين .. أنظرينى
ولا تعجلينى .. ألم يقل الله عز وجل : « ولقد رآه بالأفق المبين » (٨)
ويقول : « ولقد رآه نزلة أخرى » (٩) ؟

قالت : أو لم تسمع أن الله تعالى يقول : « لا تدركه الأبصار
وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » (١٠) .

أو لم تسمع أن الله تعالى يقول : « وما كان لبشر أن يكلمه الله
الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بأذنه ما يشاء ، انه
على حكيم » (١١) .

وروى مسلم عن أبى ذر رضى الله عنهما قال : سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم : هل رأيت ربك ؟ فقال : « نور .. أنى أراه » !؟

وقيل فى تفسير قوله تعالى : « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » (١٢) :
أنه رأى فيما رأى من آيات الله وعجائبه العظمى : جبريل عليه
السلام عند سدرة المنتهى فى صورته له ستمائة جناح .. وقد جعل
الله ما عاينه الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء من العجائب
امتحاناً واختباراً للناس .. يزداد به ايمان المؤمن .. وكفر الكافر ..

(٩) التجم : ١٣

(٨) التكوير : ٢٣

(١٠) الانعام : ١٠٣

(١١) الشورى : ٥١ — والحديث رواه مسلم .

(١٢) النجم : ١٨

فالله سبحانه وتعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ..
ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار .. والرؤية — ولو في المنام —
تقتضى التجسيم والتشبيه .. فكيف يرون الله تعالى ؟ .. وعلى أى
صورة يرونه فيها ؟ .. وبأى لسان يخاطبهم وأى وحى أنزله إليهم ؟!
ان الرؤيا فى أغلب أحوالها انعكاس لما يعتمل فى أعماق النفس
البشرية من أفكار وخيالات .. ثم تطفو حال النوم بحسب تصور الرائي
واعتقاده .. فهم انما رأوا أعماق نفوسهم وخيالاتهم وأوهامهم ..
فما رأوا الله ولا تحدث إليهم ..

انما ذلكم الشيطان سول لهم .. فأضلهم وأعمى أبصارهم !!



ثم يزعمون أنهم يعلمون الغيب .. وأن حجابهم قد كشف عنهم ..
فيشركون أنفسهم بذلك فى خاصية هى من خواص الله تعالى وحده ..
لم تتأت للملك من الملائكة .. أو لنبي من الأنبياء .. أو لانسى أو جنى !!
ثم ينسبون لأنفسهم القدرة على التصرف فى أمور الناس ..
يعطونهم ويمنعونهم .. يحيون من يشاءون منهم ويميتون .. يسلبون
الناس إيمانهم ويمنحونهم إياه .. يمشون على الماء .. ويطيرون
فى الهواء .. ويحولون التراب ذهباً .. ويحيلون الناس مسوخاً
وحيوانات !!

هل هذا هو الاسلام الذى أنزله الله على محمد بن عبد الله صلى الله
عليه وسلم ؟!

هل هذا هو الدين الحق منذ بعث الله تعالى الرسل حتى يرث
الأرض ومن عليها ؟!

ان الدين عند الله الاسلام ..

والاسلام دين توحيد كامل ..

انهم يسمون توحيدنا أوحالا .. ويبتهلون الى ربهم أن ينتشلهم
من أوحال التوحيد .. وأن يغرقهم فى بحار الوحدة !!

ويقولون فى أورادهم : « اللهم انشلى من أوحال التوحيد ،
وأغرقنى فى عين بحر الوحدة .. حتى لا أرى ولا أجد ولا أحس
الابها » !!

والحقيقة عندهم أن ربهم هو النواة التى خرج منها الكون كله ..
وان أسماءه وصفاته هى أجزاء هذا الكون ومظاهره من كل ناطق

وصامت .. وساكن ومتحرك .. ويقولون ان كل عابد مهما عبد من
انسان وحجر وشجر وكوكب وحيوان فما عبد الا ربهم ..
اسمع لقائلهم^(١٣) وهو يقول عن الله تعالى :

وان عبد النار المجوس وما انطفت كما جاء في الأخبار في كل حجة
فما عبدوا غيري وما كان قصدهم سوى وان لم يضمروا عقد نيتي
واسمع الى الآخر^(١٤) يقول عن نفسه :

وقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي اذا لم يكن ديني الى دينه داني
فأصبح قلبي قابلا كل حالة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن
واسمع الى الثالث^(١٥) يقول عن نفسه :

لى الملك فى الدارين لم أر فيهما سوى فأرجو فضله أو فأخشاه
وقد حزت أنواع الكمال ، وأننى جمال جلال الكل ما أنا الا هو
.....

وانى رب للأنام وسيد والى الرابع^(١٦) وهو يقول :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتى أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

الوجود عندهم وحدة واحدة .. انبثق من نواة واحدة ..
ويزعمون أنه سوف يعود الى نواته يوم القيامة .. فمن ثم فلا جنة
ولا نار .. ولا ثواب ولا عقاب .. فمن يثيب من ؟ .. ومن يعاقب من ؟ ..
ما دام الكل فى واحد !!

فهل للائم أن يلومنا .. حين نقول : ان هؤلاء الناس — وهذه
أفكارهم وعقيدتهم — قد خرجوا عن الدين .. ومارقوا منه كما يمرق
السهم من قوسه ؟

انهم يسمون هذا شطحا .. وأنه تنتابهم أحوال ومواجيد فلا
يدرون بما ينطقون .. وأن عقيدتهم لا تقرأ فى الكتب .. ولا تتلقى
عن الأنبياء .. انما هى معنى يقذفه الله فى القلوب ..
ان هذا هو الجنون بعينه ان لم يكن هو الكفر !!

(١٤) هو ابن عربى .

(١٦) هو الحلاج .

(١٣) هو محمد المغربى الشاذلى .

(١٥) هو الجيلى فى الانسان الكامل .

فماذا تسمى القائل (١٧) :

وما الكلب والخنزير الا الهنا وما الله الا راهب في كنيسة

أستغفر الله .. وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ..

وأى اسم نطلقه على الآخر (١٨) حين يقول :

فيحمدنى وأحمده ويعبدنى وأعبده

أو يقول : « سبحان من خلق الأشياء وهو عينها » !!

لقد كان أبو يزيد البسطامي عندما يسمع القارىء يتلوا :
« ان بطش ربك لشديد » يقول : « وعزتى وجلالى .. ان بطشى
لأشد من بطشه » !!

ويروى عنه أنه قال : « قلت يوما : سبحان الله .. فنادانى الخالق
في سرى : هل في عيب تنزهنى عنه ؟ قلت : لا يا رب .. قال : فنفسك
نزه عن ارتكاب الرذائل .. فأقبلت على نفسى بالرياضة حتى تنزهت
عن الرذائل .. وتحلت بالفضائل .. فصررت أقول : « سبحانى سبحانى
.. ما أعظم شأنى .. الجنة لعبة صبيان » (!!) .

ماذا نسمى مثل هذه الأقوال الشاذة .. أهى تجليات وكشف ..
أم شطحات محب .. أم جنون وخبال .. ان لم تكن كفر وضلال ؟
ولكنه الزعم بوحدة الوجود .. والادعاء بأن العبد رب والرب
عبد .. تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ..

وذلك الذى كان يتشوش من قول المؤذن « الله أكبر » .. فيرجمه
ويقول : عليك يا كلب .. نحن كفرنا يا مسلمين حتى تكبروا علينا (!!)
ثم يقول لخادمه : أوصيك أن لا تفعل الخير في هذا الزمان ..
فينقلب عليك بالشر (!!)

أو ذلك الذى ينادى خادمه وهو يصلى .. فان لم يجبه ضربه
وقال له : كم أقول لك لا تعد تصلى هذه الصلاة المشئومة (!!)
أهذا هو بحر الوحدة .. الذى يرجون أن يغرقوا في عينه حتى
لا يروا ، ولا يجدوا ، ولا يحسوا الا بها !!

(١٧) هو محمد بهاء الدين العطار في النفحات القدسية .

(١٨) هو ابن عربى .

اللهم انهم يسمون توحيدنا أوحالا .. ويسمون عقيدتهم وحدة !!
اللهم فأغرقنا في أوحال التوحيد .. كما يسمونها ..
وأنقذنا من بحار الوحدة .. التي يزعمونها !!

* * *

وما نفتات على القوم .. أو نرسل الكلام من عند أنفسنا ..
إنما كلامهم هذا مسطور في كتبهم التي يتداولها الناس .. ويتناقلونه
كابرا عن كابر .. ويلقونه الى أتباعهم فييثون السموم في أفكارهم ..
ويدخلون الزيغ والضلال على عقائدهم ..
نقول هذا .. وفي يدنا أكثر من دليل .. فهذا كتاب مطبوع ..
يباع في أكثر من مكتبة .. طبع عدة طبعات .. وهو في متناول الخاص
والعام ..

ويحمل هذا الكتاب عنوانا مهيبا .. لقطب من أقطابهم .. اتخذ
الناس من قبره مسجدا .. يطوفون به صبح مساء .. يتمسحون بمقامه
ويلتمسون عنده البركة .. ويرجون منه الغوث والنجاة ..
وأستمح القاريء عذرا .. حين أشق عليه فأصعبه لقراءة
مقتطفات قليلة من كتاب « الطبقات الكبرى : المسماة بلواقح الأنوار
في طبقات الأخيار .. لأبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي
الأنصاري الشافعي المصري المعروف بالشعراني .. من أعيان علماء
القرن العاشر الهجري » .

ومعذرة مرة أخرى .. فهذا اسم الكتاب ، واسم مؤلفه ..
يقع هذا الكتاب في ثلاثمائة وست وتسعين صفحة من القطع
الضخم .. ويترجم لأكثر من سبعمائة وثلاثة وعشرين قطبا من أقطابهم
.. أصحاب المقامات العالية ..

وسوف نلترم الحيدة التامة ونحن ننقل المقتطفات التي اخترناها
نقلا أميناً — كنموذج لما يحوى هذا الكتاب وأمثاله .. فنحرص على
إيراد الألفاظ كما جاءت .. برغم ما فيها من ضعف في السياق ..
أوركاكة في الأسلوب !!

وسيرى القاريء في هذه الصفحات القليلة .. ما يكفي لعرض
أفكار القوم وعقيدتهم .. وقانا الله وإياهم شر الفتنة في الدين .. وهدانا
وإياهم الى سواء السبيل .. والله وحده هو المستعان ..

* * *

● يقول ذو النون المصري : « قد جاءتني امرأة فقالت ان ابني اخذه التمساح .. فلما رأيت حرقتها على ولدها أتيت النيل .. وقلت : اللهم أظهر التمساح .. فخرج الى .. فشقت عن جوفه فأخرجت ابنها حيا صحيحا .. فأخذته ومضت وقالت : اجعلني في حل .. فاني كنت اذا رأيتك سخرت منك .. وأنا قاتبة الى الله عز وجل » (!!)

[الطبقات الكبرى ج ١ ص ٧٠]

* * *

● ويقول أبو بكر الكتاني : « النقباء ثلثمائة ، والنجباء سبعون ، والأبدال أربعون ، والأخيار سبعة ، والعمد أربعة ، والغوث واحد .. فمسكن النقباء المغرب ، والنجباء مصر ، والأبدال الشام ، والأخيار سياحون في الأرض ، والعمد في زوايا الأرض ، والغوث مسكنه بمكة .. فإذا عرض حاجة من أمر العامة ابتهل فيها النقباء ، ثم النجباء ، ثم الأبدال ، ثم الأخيار ، ثم العمد ، ثم الغوث .. فلا يتم الغوث مسألته حتى تجاب دعوته » (!!)

[الجزء الأول ص ١١٠]

* * *

● وهذا أبو العباس أحمد المثلث — قطب من أقطابهم — « كان أبوه ملكا بالمشرق .. وكان له مكاشفات عجيبة في مستقبل الزمان .. فكان لا يخبر بشيء الا جاء كما قال .. ويقول : أنا ما أتكلم باختياري » (!!)

وكان الناس مختلفين في عمره .. فمنهم من يقول : هذا من قوم يونس عليه السلام .. ومنهم من يقول : انه رأى الامام الشافعي رضى الله عنه وصلى خلفه بمصر .. ومنهم من يقول : انه رأى القاهرة وهي أخصاص (!!)

وقال الشيخ عبد الغفار القوصي : فسألته عن ذلك فقال : عمرى الآن نحو أربعمئة سنة (!!)

وكان أهل مصر لا يمنعون حريمهم منه في الرؤية والخلوة .. فأنكر عليه بعض الفقهاء فقال : يا فقيه .. اشتغل بنفسك ، فانه بقى من عمرك سبعة أيام وتموت .. فكان كما قال » (!!)

[الجزء الأول ص ١٥٧]

* * *

● وهذا ابراهيم اندسوقي — قطب آخر من أقطابهم — « من أجلاء مشايخ الفقراء .. أصحاب الخرق .. وكان من صدور المقربين .. وكان صاحب كرامات ظاهرة .. ومقامات فاخرة .. ومآثر ظاهرة .. وبصائر باهرة .. وأحوال خارقة .. وأنفاس صادقة .. وهمم عالية .. ورتب سنية .. ومناظر بهية ... الخ (!!)

ويقول اشعرانى : « كتب رضى الله عنه سلاما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرسله مع الحجاج : « سلام على أمير حي المحيا .. جميل المعنى .. سخي المرافف .. أرخى المعاطف .. كريم الخلق .. سنى الصدق .. عرفوظ الوقت .. وردسانى الفهم .. ثاقب المرحب .. محبول الرحب .. قطابة النفل .. قيدوح النمطة .. ليدوح النبطة .. سراسم الوحب .. بهديانى الوعب .. بهبسانى الحداقة .. سهبرى النساقة .. موز الرموز .. عموز النهوز ..

سلاحات أفق فردفانية أمق شوامق اليرامق حيد وفرقيد وفرغات الأسباط ومبيط البساط الكرقولية والقدد القيلولية ..

ان حدول شذول .. وان عرذل خردل .. السبل السبل .. ييط العقود النماعة النياحة .. جاجوى نبا كلكوى سبا .. مقطعات حم .. ومحكمات حكيم .. بدايح لوايح ان شدت أنشدت عنيقبات رسمانية ناتوتية نابهتنية بابلية أرس أرسون كمين كبيوت ناتون نون وجيم ونقطة عين تنعيم ازمح همدج تنسج هيح دهر رعبوت قيداف قيدوف عرائش مجليات شعشانية على قطط النبط لا النمط .. والبعد لا الشطط .. فلاق القندم .. خلاق الزيدم .. وابقى الهندم .. ان طاطا فطاوما .. وان تعاطى فاستبرق ..

يسمع عنين النبك وعنين التبك من أرباح فوائد .. وأدراج قلائد .. ليش من لفظ .. قس الأيادى ولا له بها أيادى .. نهديانية البهاسبهانية .. الرباقل تيشقلت .. بالنباهة أبيا .. وتعطرفت بالسياحة عبا .. طرايقا عجنبنا عرائفها حبا .. ان تمادى تمدى .. وان بعد أعد .. لفظه بارق .. لحظه حاذق .. ان ينشد فردقونية .. قد أعدت بالرشطاط .. من قروربان وحرموزان كروم المرتبلاء ولا أشباه .. ألم تك والدتك والدتك » انتهى (!!)

[الجزء الأول ص ١٦٨ ، ١٦٩]

* * *

[ومعذرة للقطب الكبير .. فلقد تدخلنا في رسالته حتى نيسر
على القارئ بعض المعاناة في متابعتها .. فوضعنا الفواصل بين سطور
رسالته الجليلة .. ونرجوه العفو والسماح اذا كنا قد أخطأنا فوضعناها
في غير أماكنها .. فنحن نجهل هذه اللغة العجيبة التي كتب بها رسالته
الى النبي العربي صلى الله عليه وسلم] !!

● ولهذا القطب الكبير — غفر الله له — قصائد وأشعار ..
أورد بعضها الشعراني في كتابه .. وهي مفصحة عن عقيدة القوم في
وحدة الوجود .. يقول الشيخ من نظمه :

سقاني محبوبى بكأس المحبة	فتهت عن العشاق سكرًا بخلوتي
ولاح لنا نور الجلالة لو أضأ	لصم الجبال الراسيات لدكت
وكنت أنا الساقى لمن كان حاضرا	أطوف عليهم كرة بعد كرة
ونادمني سرا بسر وحكمة	وان رسول الله شىخى وقدوتي
وعاهدنى عهدا حفظت لعهدده	وعشت وثيقا صادقا بمحبتى
وحكمنى فى سائر الأرض كلها	وفى الجن والأشباح والمردية
وفى أرض صين الصين والشرق كلها	وكل الورى من أمر ربى رعيتى
وكم عالم قد جاءنا وهو منكر	فصار بفضل الله من أهل خرقتى
وما قلت هذا القول فخرا فانما	أتى الاذن كى لا يجهاون طريقتى

ويقول أيضا غفر الله له :

تجلى لى المحبوب فى كل وجهة	فشاهدته فى كل معنى وصورة
وخاطبنى منى بكشف سرائرى	فقال أتدرى من أنا قلت منيتى
فأنت منأى بل أنا أنت دائما	اذا كنت أنت اليوم عين حقيقتى
فقال كذاك الأمر لكنه اذا	تعينت الأشياء كنت كنسختى
فأوصلت ذاتى باتحادى بذاته	بغير حلول بل بتحقيق نسبتي
فصرت غناء فى بقاء مؤبد	لذات بديمومة سرمديّة
وغيبنى عنى فأصبحت بسائلا	لذاتى عن ذاتى لشغلى بغيبتي
وأنظر فى مرآة ذاتى مشاهدا	لذاتى بذاتى وهى غاية بغيتى

الى أن يقول :

يرونى فى المرآة وهى صديّة	وليس يرونى بالمرآة الصقيلة
وبى قامت الأنباء فى كل أمة	بمختلف الآراء والكل أمّتى

وفي حضرة المختار فزت ببغيتي
وان سواها لا يلم بفكرتي
اجدد فيها حلة بعد حلة

ولا جامع الا ولى فيه منبر
وما شهدت عيني سوى عين ذاتها
بذاتي تقوم الذات في كل ذروة

ثم يقول :

وسرى في الأكوان من قبل نشأتى
على الدرة البيضاء في خلويتي
بلفظ عنايات وعين حقيقة
واسكن في الفردوس أنعم بقعة
وأعطيت داودا حلاوة نعمة
بحارا وطوفانا على كف قدرة
أنا العبد ابراهيم شيخ الطريقة
[الجزء الأول ص ١٨١ ، ١٨٢]

نعم نشأتى في الحب من قبل آدم
أنا كنت في العلياء مع نور أحمد
أنا كنت في رؤيا الذبيح فداءه
أنا كنت مع ادريس لما أتى العلا
أنا كنت مع عيسى على المهد ناطقا
أنا كنت مع نوح بما شهد الورى
أنا القطب شيخ الوقت في كل حالة
[..... !!!]

* * *

● وكان سهل التستري — أحد أقطابهم — « يقول : أعرف
تلاميذى من يوم : « أأست بريككم » [يعنى رهم في عالم المذر !!]
وأعرف من كان في ذلك الموقف عن يمينى ومن كان عن شمالي ...
ولم أزل من ذلك اليوم أرى تلاميذى وهم في الأصلاب .. لم يحجبوا
عنى الى وقتى هذا » (!!)

وكان يقول : « أشهدنى الله تعالى ما في العلا وأنا ابن ست سنين ..
ونظرت في اللوح المحفوظ وأنا ابن ثمان سنين .. وفككت طلسم السماء
وأنا ابن تسع سنين .. ورأيت في السبع المثاني حرفا معجما حار فيه
الجن والانس ففهمته وحمدت الله تعالى على معرفته .. وحركت
ما سكن .. وسكنت ما تحرك باذن الله تعالى وأنا ابن أربعة عشرة سنة (!!)
[الجزء الأول ص ١٨٣]

* * *

● وهذا أحمد البدوى — قطب الأقطاب — « وكان متلثما
بلثامين .. فاشتبهى تلميذه عبد المجيد يوما رؤية وجهه .. فقال :
يا سيدى .. أريد أن أرى وجهك أعرفه .. فقال : يا عبد المجيد ..
كل نظرة برجل .. فقال : يا سيدى ، أرنى وجهك ولو مت .. فكشف له
اللثام فوقانى فصعق ومات في الحال » (!!) [الجزء الأول ص ١٨٤]

وتخلف الشعرانى عن حضور مولده عام ٩٤٨ هجرية • فقال :
« وكان هناك بعض الأولياء •• فأخبرنى أن سيدى أحمد كان ذلك اليوم
يكشف الستر عن الضريح ويقول : أبطأ عبد الوهاب ما جاء » (!!)
وأراد التخلف سنة من السنين •• يقول : « فرأيت سيدى أحمد
ومعه جريدة خضراء •• وهو يدعو الناس من سائر الأقطار ••
والناس خلفه ويمينه وشماله •• أمم وخلائق لا يحصون •• فمر على
وأنا بمصر فقال : أما تذهب ؟ فقلت : بى وجع •• فقال : الوجع لا يمنع
المحب ••

ثم أرانى خلقا كثيرا من الأولياء وغيرهم الأحياء والأموات ••
من الشيوخ والزماني بأكفانهم يمشون ويزحفون معه يحضرون المولد ••
ثم أرانى جماعة من الأسرى جاءوا من بلاد الافرنج مقيدين مغلولين
يزحفون على مقاعدهم •• فقال : انظر الى هؤلاء فى هذا الحال
ولا يتخلفون (!!)

فقوى عزمى على الحضور فقلت له : ان شاء الله تعالى نحضر ••
فقال : لابد من الترسيم عليك •• فرسم على سبعين عظيمين أسودين
كالأفيال •• وقال : لا تفارقاه حتى تحضرا به (!!)
فأخبرت بذلك سيدى الشيخ محمد الشناوى فقال : سائر الأولياء
يدعون الناس بقصادهم •• وسيدى أحمد يدعو الناس بنفسه الى
الحضور •••

ثم قال : ان سيدى الشيخ محمد السروى تخلف سنة عن
الحضور •• فعاتبه سيدى أحمد وقال : موضع يحضر فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم والأنبياء عليهم الصلاة والسلام معه وأصحابهم
والأولياء رضى الله عنهم ما تحضره ؟ (!!)

فخرج الشيخ محمد الى المولد فوجد الناس راجعين وفات
الاجتماع •• فكان يلمس ثيابهم ويمر بها على وجهه » (!!)

[الجزء الأول ص ١٨٦]

ويقول الشعرانى : « وقد اجتمعت أنا وأخى أبو العباس الحريشى
بولى من أولياء الهند بمصر المحروسة •• فقال : ضيفونى •• فأنى
غريب • وكان معه عشرة أنفس •• فصنعت له فطيرا وعسلا فأكلوا ••

فقلت له : من أى البلاد أنت ؟ فقال : من الهند (!!)

فقلت : وما حاجتك في مصر ؟ قال : حضرنا مولد سيدي أحمد (!!)

فقلت له : متى خرجت من الهند ؟

فقال : خرجنا يوم الثلاثاء .. فتمت ليلة الأربعاء عند سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم .. وليلة الخميس عند الشيخ عبد القادر ببغداد .. وليلة الجمعة عند سيدي أحمد بطندتا (!!)

فتعجبنا من ذلك فقال : الدنيا كلها خطوة عند أولياء الله عز وجل (!!) واجتمعنا به يوم السبت انفضاض المولد طلعة الشمس .. فقلت لهم : من عرفكم بسيدي أحمد في بلاد الهند ؟

فقالوا : يا الله العجب .. أطفالنا الصغار لا يحلفون الا ببركة سيدي أحمد .. وهو من أعظم أيمانهم .. وهل أحد يجهل سيدي أحمد .. ان أولياء ما وراء البحر المحيط وسائر البلاد والجبال يحضرون مولده « (!!) [الجزء الأول ص ١٨٦ ، ١٨٧]

ويقول الشعراني : « وسبب حضوري مولده كل سنة .. أن شياخي العارف بالله تعالى محمد الشناوي — أحد أعيان بيته رحمه الله — قد كان أخذ على العهد في القبة تجاه وجه سيدي أحمد .. وسلمني اليه بيده .. فخرجت اليد الشريفة من الضريح وقبضت على يدي .. وقال : يا سيدي .. يكون خاطرك عليه واجعله تحت نظرك .. فسمعت سيدي أحمد من القبر يقول : نعم « (!!) [الجزء الأول ص ١٨٦] « ويروى أن شخصا أنكر حضور مولده .. فسلب الايمان .. فلم يكن فيه شعرة تحن الى دين الاسلام .. فاستغاث بسيدي أحمد فقال : بشرط أن لا تعود ؟ فقال : نعم .. فرد عليه ثوب ايمانه « (!!) .. ثم قال له : وماذا تنكر علينا ؟ .. قال : اختلاط الرجال والنساء .. فقال : ذلك واقع في الطواف ولم يمنع أحد منه ..

ثم قال : وعزة ربي .. ما عصي أحد في مولدي الا وتاب وجسنت توبته .. واذا كنت أرعى الوحوش والسمك في البحار وأحميهم من بعضهم بعضا .. أهيعجزني الله عز وجل عن حماية من يحضر مولدي « (!!) [الجزء الأول ص ١٨٧]

« ووقع ابن اللبان في حقه .. فسلب القرآن والعلم والايمان .. فلم يزل يستغيث بالأولياء .. فلم يقدر أحد أن يدخل في أمره .. فدلوه على الشيخ ياقوت العرشي فمضى الى سيدي أحمد وكلمه في

القبر وأجابه .. وقال له : أنت أبو الفتيان .. رد على هذا المسكين
رسالة .. فقال : بشرط التوبة .. فتاب ورد عليه رسالته « (!!) »

[الجزء الأول ص ١٨٧]

وكان من خصائصه — فيما يزعمون — أنه يأتي بالأسرى من بلاد
الافرنج .. يقول الشعراني : « وقد شأهت أنا بعيني سنة ٩٤٥
أسيرا على منارة سيدي عبد العال مقيدا مغولا .. وهو مخبط العقل ..
فسألته عن ذلك فقال : بينا أنا في بلاد الافرنج آخر الليل .. توجهت
الى سيدي أحمد .. فاذا أنا به فأخذني وطار بي في الهواء .. فوضعتني
هنا .. فمكث يومين ورأسه دائر عليه من شدة الخطفة » (!!)

[الجزء الأول ص ١٨٧]

[ويروى عنه أنه دعا الله بثلاث دعوات .. فأجاب الله دعوتين
وأبطل الثالثة .. دعا الله أن يشفعه في كل من زار قبره فأجاب الله
ذلك (!!)]

ودعا الله أن يكتب حجة وعمرة لكل من زار قبره فأجاب الله
ذلك (!!)

فدعا الله أن يدخله النار .. فرفض الله ذلك .. قالوا : ولماذا
رفض الله أن يدخلك النار ؟ فقال : لأنني لو دخلتها فتمرغت فيها تصير
حشيشا أخضر .. وحق على الله أن يعذب بها الكافرين] (!!)

* * *

● اسماعيل الامباني — قطب آخر من أقطابهم — « أجرى
الله على يديه انكرامات .. وكلمته البهائم .. وكان يخبر أنه يرى اللوح
المحفوظ ويقول : قطع كذا وكذا لفلان .. فيجىء الأمر كما قال (!!) »

فأنكر عليه شخص من علماء المالكية ، وأفتى بتعزيده .. فبلغ
ذلك الامباني فقال : ومما رأيته في اللوح المحفوظ : أن هذا القاضي
يفرق في بحر الفرات ..

فأرسله ملك مصر الى ملك الافرنج ليجادل القسيس عندهم ..
فانه وعد باسلامه ان قطعهم عالم المسلمين بالحجة .. فلم يجدوا
في مصر أكثر كلاما ولا جدلا من هذا القاضي .. فأرسلوه فغرق في
بحر الفرات » (!!) [الجزء الأول ص ١٨٥]

* * *

● محيي الدين بن عربي — قطب من أقطابهم — « أراد شخص من المنكرين عليه أن يحرق تابوته .. فجاء بنار بعد صلاة العشاء .. فحسف به دون القبر بتسعة أذرع .. فغاب في الأرض .. وفقده أهله من تلك الليلة .. فلما علموا بالقصة جاءوا وحفروا فوجدوا رأسه .. فكلما حفروا نزل وغار في الأرض الى أن عجزوا وردموا عليه التراب » (!!)

* * *

[وابن عربي هذا هو القائل :

وقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبى
فأصبح قلبي قابلا كل حالة
وبيت لأوثان وكعبة طائف
وهو القائل :

فيحمدنى وأحمده ويعبدنى وأعبده (!!)

* * *

● داوود الكبير بن ماخلأ — قطب آخر من أقطابهم — « كان شرطيا في بيت الوالى بالاسكتدرية .. وكان يجلس تجاه الوالى وبينهما اشارة يفهم منها وقوع المتهم أو براءته .. فان أشار اليه أنه برىء عمل بأشارته .. أو أنه فعل ما اتهم به عمل بذلك .. وكانت اشارته أنه ان قبض على لحيته وجذبها الى صدره علم أنه وقع .. وان جذبها الى فوق علم أنه برىء .. وله كلام عال في الطريق .. وكان أميا لا يكتب ولا يقرأ » (!!)

* * *

● ابراهيم الجعبرى — قطب آخر — « ذو الأحوال الغريبة والمكاشفات العجيبة .. وكان مجلس وعظه يطرب السامعين ويستجلب العاصين ..

أخبر بموته قبل وفاته .. ونظر الى موضع قبره وقال : يا قبير .. جاءك دبير ..

وكان يضحك أهل مجلسه اذا شاء في حال بكائهم .. ويكيهم اذا شاء في وسط ضحكهم .. وكان يعظ وهو يمشى بين أهل مجلسه يسدى وينير ...

وكان له مريدة تسمع وعظه وهو بمصر وهى بأرض أسوان من
أقصى الصعيد .. فبينما هو يعظ الناس وهم يكون أنشد :
قاعدة فى الطاقة والكلب ياكل فى العجين
يا كيب كل واتهنى ما للعجين أصحاب
فالتفتت المريدة فاذا بالكلب يأكل فى عجينها .. وأرخوا الحكاية
فجاء الخبر بذلك (!!)

وكان يوما يعظ والناس يكون فقال لهم : قولوا معى : شقم
بقع بالله يقع .. فجاء الخبر أن القاضى المالكى نزل من باب المدرج
فى قلعة مصر .. فوقع فانكسرت رقبتة .. وكان القضاة قد عقدوا
للشيخ عقد مجلس فى منعه من الوعظ وقالوا انه يلحن فى القرآن
وفى الحديث .. فامتنع القضاة الثلاثة وأفتى المالكى بمنعه ..
فجاء القضاة الثلاثة وقبلوا رجل الشيخ وقالوا : كلنا كنا هالكين
لو أفتينا فيك بشيء .. فقال الشيخ : نحن لا نلحن .. انما سمعكم
هو الذى يلحن ويسمع الزور والباطل (!!)

وكان ي كاتب السلطان : من ابراهيم الجعبرى الى الكلب
الزوبرى (!!) .. فكان السلطان يقول : من أطلع هذا على اسمى فى
بلادى .. انه والله اسمى فى بلادنا قبل أن أجيء » (!!)
[الجزء الأول ص ٢٠٣ ، ٢٠٤]

* * *

● حسين أبو على — قطب آخر من أقطابهم — « كان من كمل
العارفين .. وأصحاب الدوائر الكبرى .. وكان كثير التطورات ..
تدخل عليه فى بعض الأوقات تجده جنديا .. ثم تدخل فتجده سبعا (!!)
.. ثم تدخل فتجده فيلا (!!) .. ثم تدخل فتجده صبيا ..
وهكذا (!!)

ومكث نحو أربعين سنة فى خلوة مسدودة بابها .. ليس لها
غير طاقة يدخل منها الهواء (!!)

وكان يقبض من الأرض ويناول الناس الذهب والفضة .. وكان
من لا يعرف أحوال الفقراء يقول هذا كيماوى سيماموى (!!)
ولما شرع الخواجا ابن القنيش البرلسى فى بناء زاويته .. قال
أعداؤه : ان هذا المصروف العظيم انما هو من كيماوى الشيخ حسين ..
فبرطلوا عليه بعض العياق أن يقتلوه .. فدخلوا على الشيخ فقطعوه

بالسيوف .. وأخذوه في تليس وزموه على الكوم .. وأخذوا على قتله
ألف دينار .. ثم أصبحوا فوجدوا الشيخ حسينا جالسا فقال لهم :
غراكم القمر (!!)

وكانت النموس تتبعه حيثما مشى .. في شوارع وغيرها ..
فسموا أصحابه بالنموسية » (!!) [الجزء الثانى ص ٨٧]

* * *

● محمد الشويمى — قطب آخر — « كان من أرباب الأحوال
العظيمه .. وكان يعمل هلالات الموادن والضبيب .. وكان يجلس بعيدا
عن سيدى مدين فكل من مر على خاطره شىء قبيح يسحب العصا
وينزل عليه .. غنبا أو فقيرا .. كبيرا أو صغيرا أو أميرا .. لا يراعى
في ذلك أحدا فكل من يعرف بحاله لا يتجرأ يجلس بين يدى سيدى
مدين أبدا (!!)

ومرض سيدى مدين مرة أشرف فيها على الموت .. فوهبه من
عمره عشر سنين .. ثم مات في غيبة الشويمى فجاء وهو على المغتسل
فقال : كيف مت ؟ .. وعزة ربى لو كنت حاضرك ما خليتك تموت ..
ثم شرب ماء غسله كله » (!!) [الجزء الثانى ص ١٠٣]

* * *

[ونرجو ألا يضيق صدرك — عزيزى القارىء — وأن تصبر
معنا على مطالعة هذه الخرافات .. فالأمر جد لا هزل فيه .. ولا أرب
لنا سوى إزالة ما علق بديننا من أوهام وأباطيل .. ولا نشك لحظة
في أنك تقرنا في ضرورة إزالة ما ألصق زورا بالاسلام .. دين التوحيد
الكامل ..

نحن لا نعادى الأولياء أو نكرهم .. بل نجلهم ونحترمهم ..
ونؤمن بأن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ..
ولا نشن حربا على الصوفيين أو نريدها معهم .. فليس بيننا
وبين تصوفهم تارات أو أحقاد ..

ولكننا نكره الخرافة باسم الولاية ..

ونحارب التضليل باسم الدين ..

ونعادى الكفر فى الاسلام ..

نحن نبغى إزالة ما علق بالتصوف الاسلامى من أباطيل ..
هلا يمكن لذى عقل سليم أن يصدق ما يزعمه هؤلاء القوم من خرافات
وأكاذيب .. تسىء الى التصوف نفسه .. قبل أن تسىء الى الاسلام ..

والأقطاب لا يزالون كثيرين .. والحكايات عنهم لا تنتهى ..
ويزعمون لكل منهم خاصية تميزه عن غيره .. مما لم يأت للأنبيااء
والرسل ..

وعذرنا .. أننا اخترنا نماذج قليلة .. من آلاف الحالات التى
امتلأت بها مثل هذه الكتب الصفراء .. التى تلقى الرواج فى الريف
وبين صفوف العامة .. ففضلهم وتدخل على عقيدتهم الزينغ والضلال ..
والله وحده هو المستعان]

* * *

ولنعد الى « الطبقات الكبرى » نقاب فى صفحاته .. فلا يزال بها
العجب العجائب (!!)

● هذا أبو العباس النعمرى الواسطى — قطب من أقطابهم —
صاحب كرامات .. ومن كراماته : « وقع من جماعته صرة فيها فضة
أيام عباب البحر .. والمركب منحدر .. نواحى سمود .. فلم يشعروا
بها الا بعد أن انحدرت كذا وكذا بلدا .. فأوقف الشيخ المركب ..
وقال : روحوا الى المكان الفلانى وارموا الشبكة تجدوها .. ففعلوا
فوجدوها (!!)

ويروى ابنه أبو الحسن : أنه كان معه — ومعهما عمود رخام —
على جملين .. فجاءوا الى قنطرة ضيقة لا تسع سوى جمل واحد ..
فساق الشيخ الجمل الآخر فمشى على الهواء بالعمود (!!)
ومنها أنه أراد أن يعدى من ميت غمر الى زفتى .. فلم يجد
المعدية فركب على ظهر تمساح وعدى عليه (!!)

ومنها أن الناس لما أرادوا أن يقيموا عمد جامعهم .. بيتوا على
الناس يساعدونهم .. فقام الشيخ وحده فأقام صفين من العمد ..
فأصبحوا فرأوهم واقفين « (!!) : [الجزء الثانى ص ١٢١]

* * *

● وهذا محمد الحضرى — قطب آخر من أقطابهم — « كان
يتكلم بالغرائب والعجائب من دقائق العلوم والمعارف ما دام صاحبا ..
فاذا قوى عليه الحال تكلم بالألفاظ لا يطيق أحد سماعها فى حق الأنبياء
وغيرهم .. وكان يرى فى كذا وكذا بلد فى وقت واحد (!!)

يقول الشعرانى : وأخبرنى الشيخ أبو الفضل السرسى .. أنه
جاءهم يوم الجمعة فسألوه الخطبة فقال : بسم الله .. فطلع المنبر

فحمد الله وأثنى عليه ومجده ثم قال : وأشهد أن لا إله لكم إلا إبليس عليه الصلاة والسلام (!!)

فقال الناس : كفر .. فسل السيف ونزل .. فهرب الناس كلهم من الجامع .. فجلس عند المنبر الى أذان العصر وما تجرأ أحد أن يدخل الجامع .. ثم جاء بعض أهل البلاد المجاورة فأخبر أهل كل بلد أنه خطب عندهم وصلى بهم .. قال : فعددنا له ذلك 'ليوم ثلاثين' خطبة .. هذا ونحن نراه جالسا عندنا في بلدنا (!!)

[الجزء الثاني ص ١٠٦]

* * *

● وهذا عيسى بن نجم خفير البرلسي — قطب آخر — « مكث بوضوء واحد سبع عشرة سنة .. فقد توطأ يوما قبل أذان العصر واضطجع على سريرته وقال للنقيب : لا تمكن أحدا يوقظني حتى أستيقظ بنفسى .. فما تجرأ أحد يوقظه فانتظروه هذه المدة كلها فاستيقظ وعيناه كالدّم الأحمر .. فصلى بذلك الوضوء الذي كان قبل اضطجاعه .. ولم يجدد وضوءا (!!) وكان في وسطه منطقة فلما قام وحلها تتأثر من وسطه الدود (!!)

ونذر شخص أن ولدت فرسه حصانا فهو للشيخ عيسى .. فولدت له حصانا فلما كبر أراد أن يبيعه وقال : أيش يعمل سيدي عيسى ؟ .. فبينما هو مار به ذات يوم وقد صار تجاه سيدي عيسى رمح من صاحبه حتى دخل الزاوية .. فرمح صاحبه وراءه فدخل الحصان قبر الشيخ فلم يخرج » (!!) [الجزء الثاني ص ١٠٧]

* * *

● أبو الحمائل محمد السروي — قطب آخر — « كان يغلب عليه الحال .. فيتكلم بالألسن العبرانية والسريانية والعجمية .. وتارة يزغرت [أي يزغرد] في الأفراح والأعراس كما ترغرت النساء .. وكان إذا قال قولا ينفذه الله له (!!)

وشكا له أهل بلده من الفأر وكثرته في مقثاة البطيخ .. فقال لصاحب المقثاة : رح وناد في الغيط : حسب ما رسم محمد أبو الحمائل أنكم ترحلون أجمعون .. فنادى الرجل لهم كما قال الشيخ .. فلم يمر بعد ذلك اليوم منهم ولا فأرا واحدا » (!!)

وكان مبتلى بزوجته يخاف منها أشد الخوف .. حتى كان يخلو
لفقير في الخلوة فتخرجه من الخلوة بلا اذن من الشيخ .. فلا يقدر
أن يتكلم (!!)

ويقول الشعراني : « وأخبرتني قبل موتها أنه كان كثيرا ما يكون
جالسا عندها .. فتمر عليه الفقراء [أى الأولياء] في الهواء .. فينادونه
فيجيبهم ويطير معهم .. فلا تنظره الى الصباح (!!)

وسمعه الشعراني يحكى يقول : « بينما أنا ذات يوم في منارة
جامع غارسكور ليلة من الليالي .. اذ مر على جماعة طيارة فدعوني
الى مكة .. فطرت معهم .. فحصل عندي عجب بحالى فسقطت في
بحر دمياط .. فلولا كنت قريبا من البر والا كنت غرقت وساروا
وتركوني (!!)

وكان اذا اشتد عليه الحال في مجلس الذكر ينهض قائما ..
ويأخذ بالرجلين ويضرب بهما الحائط » (!! [الجزء الثانى ص ١٢٦ ، ١٢٧]

* * *

● تاج الدين الذاكر — قطب آخر من أقطابهم ، وأرجو من
القارئ ألا يمل — « كان يمكث السبعة أيام بوضوء واحد .. وانتهى
أمره أنه كان في آخر عمره يتوضأ كل أحد عشر يوما وضوءا واحدا (!!)

وعزم عليه جماعة في جامع طولون ليمتحنوه في ذلك .. فدعوه
الى ناحية الجيزة في الربيع .. وصاروا يعملون له الخراف والدجاج
واللبن بالرز وغير ذلك .. وهو يأكل معهم من ذلك كله .. ثم لا يروونه
يتوضأ لا ليلا ولا نهارا مدة تسعة أيام .. فقبل له انك في امتحان
مع هؤلاء .. فتشوش منهم وجاء الى البحر ليعدى .. فعدى في
مركب والجماعة الممتحنون في مركب فغرق بهم (!!)

ومكث [هذا القطب الكبير] خمسا وعشرين سنة لم يضع جنبه
على الأرض » (!! [الجزء الثانى ص ١٢٩]

* * *

● أبو السعود الجارحى — القطب المعروف — « كان ينزل
في سرب تحت الأرض من أول ليلة من رمضان .. فلا يخرج الا بعد
العيد بستة أيام .. وذلك بوضوء واحد من غير أكل .. وأما الماء
فكان يشرب منه كل ليلة قدر أوقية » (!! [الجزء الثانى ص ١٢٩]

* * *

● على أبو خودة — قطب آخر من أقطابهم — « كانت خودته [أى خوذته] من الحديد .. وكان زنتها قنطاراً وثلاثاً .. ولم يزل حاملها ليلاً ونهاراً .. وكان شيخاً أسمر قصيراً .. وكان معه عصا لها شعبتان كل من زاحمه ضربه بها (!!)

وكان يهوى العبيد السود والحبش .. ولم يزل عنده نحو العشرة يلبسون الخوذ .. لكل واحد منهم حمار يركبه .. فكانوا هم جماعته كل موضع ركب يركبون معه .. وما رآه أحد يصلى مع الناس الا وحده (!!)

وكان اذا رأى امرأة أو أمرد راوده عن نفسه [— !! — أى والله] .. وحسس على مقعدته (!!) سواء كان ابن أمير أو ابن وزير .. ولو كان بحضرة والده أو غيره .. ولا يلتفت الى الناس ولا عليه من أحد (!!)

وكان اذا حضر السماع يحمل المنشد ويجرى به كالحصان (!!)

وكان يوماً في دمياط .. فأراد السفر في مركب قد انوسقت ولم يبق منها مكان لأحد .. فقالوا للرئيس : ان أخذت هذا غرقت المركب .. لأنه يفعل في العبيد الفاحشة .. فأخرجه الرئيس من المركب .. فلما أخرجوه من المركب قال : يا مركب تسمى .. فلم يقدر أحد يسيرها بريح ولا بغيره [— !! — هكذا] .. وطلع الجميع من فيها ولم تسر (!!)

وركب يوماً أحد المراكب فمرس عليها الريح .. فضربها بعكازه فلم تتحرك .. فنزل هو وعبيده يمشون على الماء .. الى أن وصنوا شربين والناس ينظرون ذلك » (!!) [الجزء الثانى ص ١٣٥]

* * *

● محمد الشربيني — قطب من أقطابهم — « كان يتكلم على سائر أقطار الأرض كأنه تربى فيها .. ولما ضعف ولده أحمد وأشرف على الموت وحضر عزرائيل يقبض روحه .. قال له الشيخ : ارجع الى ك فراجع فان الأمر نسخ (!!) فرجع عزرائيل وشفى أحمد من تلك الضيقة وعاش بعدها ثلاثين سنة (!!)

وكان يقول للعصا التى كانت معه : كونى انساناً .. فتكون انساناً ويرسلها تقضى الحوائج ثم تعود كما كانت (!!)

وكان يقبض من الهواء كل شيء يحتاجون اليه للبيت وغيره ويعطيه لهم» (!!)

[الجزء الثانى ص ١٣٥ ، ١٣٦]

* * *

● على الدويب — قطب آخر — « كان يمشى على الماء فى البحر .. وما رآه أحد قط نزل من مركب .. وجاء الى مصر وأقام بها عشرين سنة (!!)

وكان يقول : فلان مات فى الهند أو فى الشام أو فى الحجاز .. فبعد مدة يأتى الخبر كما قال (!!)

ولساعات وجدوا فى داره نحو المائة ألف دينار .. وما علموا أصل ذلك فانه كان متجردا من الدنيا » (!!)

[الجزء الثانى ص ١٣٦]

* * *

● ابراهيم بن عصفير — أحد أقطابهم — « كان وهو صغير ينام فى الغيط .. ويأتى البلد وهو راكب الذئب أو الضبع .. وكان يمشى على الماء لا يحتاج الى مركب .. وكان بوله كاللبن الحليب أبيض (!!)

وكان يغلب عليه الحال فيخاصم ذباب وجهه (!!)
وكان يتشوش من قول المؤذن : الله أكبر (!!) .. فيرجمه ويقول : عليك يا كلب ، نحن كفرنا يا مسلمين حتى تكبروا علينا (!!)
وكان أكثر نومه فى الكنيسة .. ويقول : النصرارى لا يسرقون النعال فى الكنيسة بخلاف المسلمين (!!)

وكان يقول : أنا ما عندى من يصوم حقيقة الا من لا يأكل اللحم الضانى أيام الصوم كالنصارى .. وأما المسلمون الذين يأكلون اللحم الضانى والدجاج أيام الصوم فصومهم عندى باطل (!!)
وكان يقول لخادمه : أوصيك أن لا تفعل الخير فى هذا الزمان فينقلب عليك بالشر ، وجرب أنت نفسك (!!)

ومن كراماته : « أن الأمير جانم أراد السفر الى بلاد الروم فشاوره .. فقال : تروح وتجىء سالما .. ففارقه وراح للشيخ محيسن فقال له : ان رحت شنقوك وان قعدت قطعوا رقبتك .. فرجع الى الشيخ ابن عصفير فقال : تروح وتجىء سالما .. وكان الأمر كذلك .. فراح تلك السفرة ورجع سالما ، ثم ضرب عنقه بعد ذلك فصدق الشيخان (!!)

وكان يفرش تحته في مخزنه التبن ليلا ونهارا .. وقبل ذلك كان يفرش زبل الخيل (!!)

وكان اذا مرت عليه جنازة وأهلها يكون .. يمشى أمامها معهم ويقول : زلابية هريسة .. زلابية هريسة « (!!) [الجزء الثانى ص ١٤٠]

* * *

● شهاب الدين الطويل النشيلي — « كان ينادى خادمه وهو يصلى .. فان لم يجبه مشى اليه وصكه ومشى به .. وقال : كم أقول لك لا تعد تصلى هذه الصلاة المشئومة .. فلا يستطيع أحد أن يخلصه منه .. وكان يضرب الانسان على وجهه » (!!) [الجزء الثانى ص ١٤١]

* * *

● محمد الرويجل العريان — قطب من أقطابهم — « كان من أرباب الكشف التام — يقول الشعرانى — : رأيت مرة من بعيد نحو مائة قصبة .. فقال لى رفيقى : هل يحس بأحد اذا ضربه .. فلما وصلنا اليه قال لرفيقي : تضربنى على ايش ؟ (!!)

وكان يدخل ينام فى كانون الطباخ (!!)

ومات مقتولا .. قتله عساكر ابن عثمان حين دخل مصر .. وأخبرنى — يقول الشعرانى — عن قطع رقبتة يوم موته .. وصار يقول : ايش عمل الرويجل يقطعون رقبتة ؟ .. ووقف على شباك محمد بن عثمان وصار يقول : يا سيدى .. ايش عمل الرويجل يقطعون رقبتة ؟ « (!!) [الجزء الثانى ص ١٤١]

* * *

● ابراهيم العريان — قطب آخر من أقطابهم — « كان اذا دخل بلدا سلم على أهلها كبارا وصغارا بأسمائهم كأنه تربى بينهم (!!) وكان يطلع على المنبر ويخطب عريانا فيقول : السلطان ودمياط .. باب اللوق بين القصرين وجامع طيلون ، الحمد لله رب العالمين .. فيحصل للناس بسط عظيم (!!)

وكان اذا صحا يتكلم بكلام حلو .. حتى يكاد الانسان لا يفارقه .. طلع لنا — يقول الشعرانى — مرارا عديدة فى الزواية وسلم على باسمى واسم أبى وأمى .. ثم قال للذى بجنبه : ايش اسم هذا (!!) وكان يخرج الريح بحضرة الأكابر .. ثم يقول هذه خرطة فلان .. ويحلف على ذلك فيخجل ذلك الكبير منه « (!!) [الجزء الثانى ص ١٤٢]

* * *

● محيسن البرلسى — قطب آخر — « كان من أصل من الكشف التام .. فكان يربط عنده عنزا وديكا .. ويجعل النار موقدة عنده في أغلب أوقاته صيفا وشتاء .. وكان على الخواص [أحد أقطابهم] اذا شك في نزول بلاء على أهل مصر يقول : اذهبوا للشيخ محيسن فانظروا النار التى عنده .. هل هى موقودة أو مطفية .. فان كانت مطفية حصل في مصر رخاء ونعمة ، وكان الناس في غاية الراحة (!!)

فأوقد الشيخ محيسن النار فقال الشيخ : الله لا يشره بخير .. فأصبح الناس في شدة عظيمة في مسكنهم لبلاد الهند .. وحصل لهم غاية الصيق » (!!)

ويقول الشعرانى : « وكنت عنده مرة فجاء انسان ومزح معه — وكانت في رجله أكلة من أصحاب النبوة ولم تزل تدود الى أن مات — فقال له ذلك الانسان : الذى جعل في هذه الرجل الاكلة قادر أن يجعلها في الأخرى .. فقال : ما يستحق ذلك الا الذى زنى بامرأة جاره .. فخجل ذلك الانسان .. فقنت له : مالك ؟ .. فقال : هذا وقع لى وأنا شاب في نواحي دمياط منذ خمسين سنة .. فقلت : الذى يطلع على هذا تمزح معه ؟ .. فقال : والله ما علم بهذه الواقعة أحد الا الله عز وجل » (!!) [الجزء الثانى ص ١٤٣]

* * *

● أبو الخير الكليباتى — قطب آخر — « كان من الأولياء المعتقدين .. وله المكاشفات العظيمة مع أهل مصر وأهل عصره (!!) وكان رجلا قصيرا .. في يده عصا فيها حلق وشخايل وكان يعرج .. وكان أغلب أوقاته واضعا وجهه في حلق الخلاة في ميضأة جامع الحاكم (!!)

وكانت الكلاب التى تسير معه من الجن .. وكانوا يقضون حوائج الناس .. ويأمر صاحب الحاجة أن يشتري للكلب منهم اذا ذهب معه لقضاء حاجته رطل لحم .. وكان يدخل الجامع بالكلاب (!!) .. فأنكر عليه بعض القضاة فقال : هؤلاء لا يحكمون باطلا ولا يشهدون زورا .. فرمى القاضى بالزور وجرسوه على ثور بكرش على رأسه .. ولم يزل ممقوتا الى أن مات » (!!) [الجزء الثانى ص ١٤٣]

* * *

● الشيخ أمين الدين امام جامع الغمري — قطب من أقطابهم —
« صاحب كرامات وخوارق — يقول الشعراني : « مما وقع لى معه
أننى كنت أقابل معه فى شرح البخارى فى جزاء الصيد .. فذكر جزاء
التيتل .. فقلت : ما هو التيتل ؟ .. فقال : هذا الوقت تنظره ..
فخرج التيتل من المحراب فوقف على كتفى فرأيته دون الحمار وفوق
قيس المعز .. وله لحية صغيرة .. فقال : ها هو .. ثم دخل الحائط
فقبلت رجله فقال : اكتم حتى أموت » (!!)

ورآه الشعراني : « بعد موته بسنتين فروى له حديثا سنده
بالسريانى ومثته بالعربى .. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« من أدام النوم بعد صلاة الصبح ابتلاه الله تعالى بوجع الجنب » ..
وفى رواية : « ابتلاه الله فى جنبه بالبعج » (!!) ..

وقال عنه أبو العباس الغمري [أحد أقطابهم] : الجامع جثة
والشيخ أمين روحها (!!) .. ومصدق ذلك — يقول الشعراني —
أن الناس كانوا يخرجون من الجامع فى مثل خروج الحج فلم يبق فى
الجامع الا هو فكان الجامع لم يخرج منه أحد .. وكان اذا سافر صار
الجامع كأنه ما فيه أحد » (!!) [الجزء الثانى ص ١٤٦]



● بركات الخياط — قطب آخر — « كان يخطط المضربات
المثمثة .. وكان يقول لمن يخطط له : هات معك فوطه والا يتسخ قماشك
من ثيابى .. وكان دكانه منتنا قذرا .. لأن كل كلب وجدده ميتا أو قطا
أو خروفا يأتى به .. فيضعه داخل الدكان .. فكان لا يستطيع أحد أن
يجلس عنده (!!)

ومدحه الشيخ عبد الواحد للشيخ جمال الدين الصائغ مفتى
الجامع الأزهر وجماعة فقالوا : امضوا بنا نزوره .. وكان يوم جمعة ..
فسلم المؤذن على المنارة فقالوا له : نصلى الجمعة ؟ فقال : ما لى
عادة بذلك (!!) .. فأنكروا عليه فقال : نصلى اليوم لأجلكم (!) ..
فخرج الى جامع الماردانى فوجد فى الطريق مسقاة الكلاب فتطهر
منها (!!) .. ثم وقع فى مشخة حمير (!) .. ففارقوه وصاروا يوبخون
الشيخ عبد الواحد الذى جاء بهم الى هذا الرجل .. وصار الشيخ
بركات يوبخ عبد الواحد ويقول : ايش هؤلاء الحجارة الذى أتيت
بهم ؟ لا يعود لك بالعادة أبدا .. والله يا ولدى مسقاة الكلاب انما

هى مثال مطعمهم ومشرهم .. وكذلك مشخة الحمير اثما هى صبرة
اعتقادهم انجس (!!)

وكان اذا مدموا له لحم الضانى واشتهى لحم حمام ينقلب فى
الحال حماما (!!)

وكان يوما خارج باب زويلة بالقرب من بيت الوالى .. واذا بشخص
تاجر مغربى راكب بغلة .. فمسكه الشيخ وقال : هذا سرق بيتى ..
فدخلوا به بيت الوالى .. فقال للوالى : يا سيدى .. اضربه متارح
وكسارات .. وان مات أنا أزن ديتة .. فلما فرغ الوالى من عقابه نظروا
الى وجه التاجر وقال للوالى : أنا غلظت .. هذا ما هو الذى أخذ
حوائجى .. فضرب الوالى الشيخ بعصاه .. فخرج ورقد على بابه
وقال : والله يا زربون ما أفارق هذه العتبة حتى أعزلك .. فقام فجاء
القاصد بعزله من السلطان فى الحال « (!!) [الجزء الثانى ص ١٤٤]

* * *

● على الخواص — قطب كبير من أقطابهم ، وشيخ الشعرانى
نفسه — « كان أميا لا يكتب ولا يقرأ .. وكان يتكلم عن معانى
القرآن العظيم والسنة المشرفة كلاما نفيسا تحير منه العلماء (!!)
وكان محل كشفه اللوح المحفوظ عن المحو والاثبات .. فكان
اذا قال قولا لا بد أن يقع على الصفة التى قال (!!)

.. يقول الشعرانى : «كنت أرسل له الناس يشاورونه عن أحوالهم ..
فما كان قط يحوجهم الى كلام .. بل كان يخبر الشخص بواقعه اتى
أتى من أجلها قبل أن يتكلم .. فيقول — طلق — مثلا — أو شارك ،
أو فارق ، أو اصبر ، أو سافر ، أو لا تسافر .. فيتخير ويقول : من
أعلم هذا بأمرى (!!)

وكان له طب غريب يداوى به أهل الاستسقاء والجذام والفالج
والأمراض المزمنة .. فكل شئ أشار باستعماله يكون الشفاء فيه « (!!)
[الجزء الثانى ص ١٥٠]

* * *

● عبد القادر السبكى . قطب آخر — « كان من أصحاب
التصريف بقرى مصر .. وكان كثير التلاوة للقرآن كثير الشطح ..
لا يضبر على معاشرته الا أكابر الفقراء [أى الأولياء] .. وكان كثير
التعجب لمن عرف منه أنه يعتقد (!!)

وكان كثير الكشف .. لا يحجبه الجدران والمسافات البعيدة من
اطلاعه على ما يفعله الانسان في قعر بيته .. وكان ليله كله تارة يقرأ
وتارة يضحك وتارة يكلم نفسه الى الصباح (!!)

وكان اذا ذهب الى السوق يسخره أهل الحارة في قضاء
حوائجهم .. فيقضيها لهم على أتم الوجوه .. وكان له في خروجه وعاء
واحد يشتري فيه جميع ما يطلبه الناس من المائعات .. فكان يضع
فيه الشيرج والعسل والزيت الحار وغير ذلك .. ثم يرجع فيعصر من
الاناء لكل أحد حاجته من غير اختلاط (!!)

وكان له حمارة يجعل لها ولأولادها براقع على وجوهها .. ويقول :
انما أفعل ذلك خوفا من العين — وكان اذا لم يجد مركبا يعدي فيه ..
يركبها ويسوقها على وجه الماء الى ذلك البر (!!)

وكان يتكلم بالكلام الذي يستحي منه عرفا .. وخطب مرة عروسا
فراها فأعجبته .. فتعري لها بحضرة أبيها وقال : انظري أنت الأخرى
حتى لا تقولي بعد ذلك بدنه خشن أو فيه برص أو غير ذلك .. ثم
[ثم كلام بذيء .. لا يتفق مع أدب أو عرف أو دين .. مما يخدش
الحياء ويعاقب عليه القانون — ومثل ذلك الكلام كثير منتشر بين صفحات
الكتاب] (!!)

[الجزء الثاني ص ١٨٤]



● شعبان المجذوب — قطب آخر — « كان من أهل التصريف
بمصر .. وكان يخبر بوقائع الزمان المستقبل (!!)

يقول الشعراني : « أخبرني سيدي على الخواص أن الله تعالى
يطلع الشيخ شعبان على ما يقع في كل سنة من رؤية هلالها .. فكان
اذا رأى الهلال عرف جميع ما فيه مكتوبا على العباد (!!)

وكان اذا اطلع على موت البهائم يلبس صبيحة تلك الليلة جلد
البهائم البقر أو الغنم .. أو تسخير الجمال لجهة السلطنة يلبس
الشليف والليف .. فيقع الأمر كما نوه به (!!)

يقول الشعراني : « جاءتني مرة امرأة من الريف .. تريد أن تفسخ
نكاح ابنتها لكون زوجها غاب عنها مدة طويلة .. فباتت عندي من
غير علمي .. فأرسل نقيب لي من الفجر يقول لي : يقول لك الشيخ :
لا تفرق بين رأسين في الحلال .. فعلمت أن زوجها سيرجع فأخبرت
المرأة فرجعت عن ذلك .. وجاء الأمر كما قاله .. هذا والمرأة لم

تخاطبني بكلام .. وانما كانت مضمرة في نفسها أن تخبرني بذلك بكرة
النهار .. فعلم الشيخ بخاطرها (!!)

وكان يقرأ سوراً غير السور التي في القرآن على كراسي المساجد
يوم الجمعة وغيرها .. فلا ينكر عليه أحد .. وكان العامي يظن أنها من
القرآن لتشبهها بالآيات في الفواصل « (!!) [الجزء الثاني ص ١٨٥]

* * *

ماذا نقول بعد هذا ؟
لا يسعنا الا أن نقول : انا لله ، وانا اليه راجعون ..
حسبنا الله ونعم الوكيل ...
لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ..

* * *

قد يكون هؤلاء الرجال قوما صالحين .. يصومون نهارهم ويقومون
ليلهم لا يفترون !!
وقد يكونوا أمضوا حياتهم كلها في ذكر وتسبيح .. وتلاوة أوراد
.. وقراءة قرآن !!

ليس هذا موضوع حديثنا .. ولا نحب أن نتعرض له أو نخوض
فيه .. فلقد أفضوا الى خالقهم .. وقدموا على ما قدموا .. وانما
أجرهم على الله وحده الذي يعلم سرهم ونجواهم .. وهو وحده
الذي يحاسبهم على عقائدهم وأعمالهم ..
أما أن تنسب لهم خوارق العادات بما لم يأت به الرسل الكرام !!
وأن ينسب اليهم العلم بالغيب .. في حين حرم منه الملائكة
والأنبياء وسائر الانس والجن ؟ !

أما حين يلعن الرسول — صلى الله عليه وسلم — المتخذين على
القبور المساجد والسرر .. فيتخذ الناس من قبورهم مساجد ..
ويوقدون عليها الشموع والقناديل !!

وحين ينهى صلى الله عليه وسلم عن النذر لغير الله .. والحلف
بغير الله .. والتوسل الى غيره تعالى .. فتقدم لهم النذور والقرايين ..
ويحلف الناس بهم .. ويتوسلون بمقامهم .. ويرتجون الشفاعة
عندهم !!

أما وهذا هو الحال اليوم • فلا • • ألف مرة لا • •

فإنه وحده هو العليم القدير • •

وهو وحده عالم العيب والشهادة الكبير المتعال • •

وهو وحده الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء • •

ومن نذر لغير الله فقد أشرك • •

ومن حلف بغير الله فقد أشرك • •

ومن توسل إلى غير الله • • فقد أشرك • •

هذا ديننا • • والله وحده وكيلنا • • ومحمد صلى الله عليه وسلم
نبينا وشفيعنا • • وهو وحده أسوتنا وقائدنا • •

يقول الله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (١٩) •
اللهم انا نحكم رسولك صلى الله عليه وسلم فيما شجر بيننا
وبينهم • •

اللهم انا لا نجد في أنفسنا حرجا مما قضى رسولك صلى الله
عليه وسلم • •

اللهم انا نسلم بما قضى تسليما • • •



علم الظاهر .. وعلم الباطن !!

*** أهل الشريعة وأهل الحقيقة :**

قضية الغيب .. من أخطر القضايا التي اهتم بها الاسلام ..
وقد حرص القرآن الكريم في كثير من آياته على تأكيد انفراد الله
وحده بالعلم بالغيب والشهادة ..

وثبت لنا بالدليل العملي أن أمر الغيب قد حجب عن الملائكة الكرام
والأنبياء المرسلين .. وعن كافة الجن والانس ..

يقول الله تعالى : « هو الله الذي لا اله الا هو ، عالم الغيب والشهادة ،
هو الرحمن الرحيم » (١) .

ويقول : « والله غيب السموات والأرض واليه يرجع الأمر
كله » (٢) .

ويقول جل شأنه : « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو » (٣) .
ويقول جل وعلا : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا . الا
من ارتضى من رسول » (٤) .

ويقول لرسوله صلى الله عليه وسلم : « قل لا أملك لنفسي نفعا
ولا ضرا الا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير
وما مسنى السوء ، ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون » (٥) .

ويقول على لسان نوح عليه السلام — أول الأنبياء : « ولا أقول
لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول انى ملك » (٦) .

غير أن فريقا من المسلمين .. ادعوا الكشف والعلم بالغيب ..
وأسسوا عقيدتهم على هذا الادعاء .. وأعرضوا عن الدليل الشرعى
الذى يستند الى الكتاب والسنة ..

وعن طريق هذا الادعاء شككوا الناس في مصادر الشرع ..
بل وأنكروا بعض الأحاديث النبوية الثابتة في الكتب الصحيحة ..
وأولوا بعضها الآخر وفقا لهوائهم !!

(٢) هود : ١٢٣

(٤) الجن : ٢٦ ، ٢٧

(٦) هود : ٣١

(١) الحشر : ٢٢

(٣) الأنعام : ٥٩

(٥) الأعراف : ١٨٨

وتحت رعم تحت الحجب عنهم .. ادعوا بأنهم يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم جهارا .. فيتلقون منه ما يعينهم على تأويل الأحاديث .. أو التميز بين الصحيح منها والضعيف !!

ويقول محيي الدين بن عربي في الفتوحات المكية : « ورب حديث يكون صحيحا عن طريق رواية حصل لهذا الكاشف للذي عاين هذا المظهر .. فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الحديث فأنكره .. وقال له : لم أقله ولا حكمت به .. فيعلم ضعفه فيترك العمل به على بينة من ربه .. وإن كان قد عمل به أهل النقل لصحة طريقه .. وهو في نفس الأمر ليس كذلك » !!

وعلى هذا أقسموا الدين الى شريعة وحقيقة .. وظاهر وباطن !!

وأهل الشريعة — عندهم — ومن بينهم علماء المذاهب الأربعة وفقهاء الشرع وعلماء الحديث .. هم أهل الظاهر !!

وعلى هذا يعتبرونهم طبقة العوام .. لايمانهم بالنصوص الشرعية دون اللجوء الى التأويل !!

أما أهل الحقيقة — في زعمهم — فهم أهل الباطن .. وهم الخاصة الذين يعتمدون على تأويل النصوص الشرعية عن طريق الكشف والخواطر والأحلام !!

ولهذا قال أبو يزيد البسطامي : « أخذتم علمكم ميتا عن ميت .. أخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت » !!

لأن علماء الشريعة يأخذون علمهم عن الرسل .. بينما هم — باعتبارهم أهل الحقيقة — يتجاوزون هذا المستوى فيأخذون علمهم عن الله مباشرة !!

ويقول الجنيد : « لا يبلغ الرجل عندنا مبلغ الرجال حتى يشهد فيه ألف صديق من علماء الرسوم — أي الشريعة — بأنه زنديق .. لأن أحوالهم وراء النقل والعقل » !!

ويقول : « أحب للمبتدئ ألا يشغل قلبه بهذه الثلاث والا تغير حاله : التكسب ، وطلب الحديث ، والتزوج .. وأحب للصوفي ألا يقرأ ولا يكتب لأنه أجمع لهمه » !!

ولهذا يعتقدون أن للقرآن ظاهرا وباطنا .. وأن في كل آية منه .. وكل كلمة .. بل وكل حرف معنى باطنى لا يكشفه الله إلا للخاصة

من عباده — وهم أهل الحقيقة — فتشرق معانيها في قلوبهم أوقات
وجدتهم !!

ويروى ابن عربى فى ذلك حديثا موضوعا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم .. يقول : « ما من آية فى القرآن الا ولها ظاهر وباطن
وحد ومطلع .. ولكل مرتبة من هذه المراتب رجال .. ولكل طائفة
قطب .. وعلى ذلك القطب يدور فلك ذلك الكشف » ..
ثم يعقب على ذلك بقوله : « وقد أجمع أصحابنا أهل الكشف
على صحته » !!

وياسم هذا الكشف — الذى يدعونه — يعطون لأنفسهم الحق فى
تأويل آيات الله تعالى وفقا لأهوائهم .. فتسمع أحدهم يقول :
حدثنى قلبى عن ربى (!!)

وآخر يقول : رأيت رسول الله وحدثنى قال (!!)
ولهم فى ذلك أقوال مأثورة .. فيقول قائلهم : أحسن الظن ولا
تنتقد .. بل اعتقد ..

ويقول الآخر : من اعترض انطرد .. وهكذا !!

* * *

ولهم فى تصريف أمور الكون معتقدات عجيبة .. ومصطلحات
لا يمكن أن ترتقى إليها عقول طبقة العوام من أهل الظاهر أمثالنا ..
فعندهم النقباء الثلاثمائة الذين يسكنون المغرب ..
والنجباء السبعون الذين يسكنون مصر ..
والأبدال الأربعون الذين يسكنون الشام ..
والأخير السبعة — وهم الأقطاب — الذين يسبحون فى الأرض ..
والعمد الأربعة الكامنون فى زوايا الأرض ..
وقطب الغوث ساكن مكة ..

فاذا عرضت للعامة حاجة ابتهل النقباء .. ثم يبتهل النجباء ..
ثم الأبدال .. ثم الأخير .. ثم العمد .. ثم الغوث ، فلا يتم الغوث
مسأله حتى تجاب دعوته !!

هكذا قال أبو بكر الكتانى .. ونقل عنه الشعرانى !!
ثم هذا « الديوان » الذى يحدثنا عنه الدباغ فى « الابريز » ..
فيقول : والديوان مقره غار حراء .. فيجلس الغوث خارج الغار ..
ومكة خلف كتفه الأيمن .. والمدينة أمام ركبته اليسرى .. والأقطاب

الأربعة عن يمينه وهم مالكية .. وثلاثة أقطاب عن يساره من كل مذهب واحد ..

ويجلس الوكيل — وهو قاضي الديوان — أمامه .. ويتكلم الغوث مع الوكيل .. ويتصرف الأقطاب السبعة على أمر الغوث !!
ولكل واحد من هؤلاء السبعة عدد مخصوص يتصرفون تحته ..
ولغة هذا الديوان هي السريانية !!

وإذا اجتمع أهل الديوان فيه .. اتفقوا على ما يكون من ذلك الوقت الى مثله من الغد .. فهم يتكلمون في قضاء الله تعالى في اليوم المستقبل واللييلة التي تليه .. ولهم التصرف في العوالم كلها السفلية والعلوية .. وحتى في الحجب السبعين .. فهم الذين يتصرفون فيه وفي أهله وفي خواطرهم وما تهجس به ضمائرهم .. فلا يهجس في خاطر واحد منهم شيء الا باذن أهل التصريف !!

والشيخ — عندهم — هو الواسطة بين الله وبين المرید .. وهو أمين الالهام كما كان جبريل عليه السلام أميناً للوحى !!

يقول السهروردي في كتاب « عوارف المعارف » :

« كلام الشيخ بالحق من الحق .. فالشيخ للمريدين أمين الالهام كما أن جبريل أمين الوحي .. فكما لا يخون جبريل في الوحي لا يخون الشيخ في الالهام .. وكما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى .. فالشيخ لا يتكلم عن الهوى » !!

وعلى المرید أن يستسلم لشيخه .. منقاداً راضياً بتصرفاته .. يخدمه بالمال والدين .. وألا يعترض عليه فيما يفعله ولو كان ظاهره حراماً .. فمن اعترض انطرد !!

ولا يسأله عن شيء فعله .. لم فعلت هذا ؟ .. فمن قال لشيخه : لم ؟ .. لا يفلح أبداً !!

ويقول الشاذلي : على المرید أن يعتصم بالشيخ ويتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ البحر بقائده .. بحيث يفوض أمره اليه بالكلية .. فلا ينازعه في الأمر ولا يخالفه ..

حتى ليقول شاعرهم :

كن عنده كالميت عند مغسل يقلبه ما شاء وهو مطباع
وسلم له فيما تراه ولو يكن على غير مشروع فثم مضادع

بل ان ذا النون المصرى يقول : « طاعة المرید لشیخه فوق طاعته
لربه » !!

* * *

ومقام الولاية عندهم فوق مقام النبوة !!
يقول محیی الدین بن عربی مدلاً علی ذلك :
« وليس هذا العلم — أى معرفة الله — الا لخاتم الرسل وخاتم
الأولياء .. وما يراه أحد من الأنبياء والرسل الا من مشكاة الرسول
الخاتم .. وما يراه أحد من الأولياء الا من مشكاة الولی الخاتم ..
حتى أن الرسل لا يرونه اذا رأوه الا من مشكاة خاتم الأولياء ..
فان الرسالة والنبوة — أعنى نبوة التشريع ورسالته — ينقطعان ..
وأما الولاية فلا تنقطع أبداً .. فالمرسلون من كونهم أولياء

لا يرونه الا من مشكاة خاتم الأولياء » (!!)

ثم يسوق الكلام الى أن يذكر :

« أن خاتم الأنبياء موضع لبنة فضة .. وأن خاتم الاولياء موضع
لبنتين .. لبنة ذهب ولبنة فضة » (!!)

فهو موضع اللبنة الفضية وهو ظاهره وما يتبعه من الأحكام ..
لأنه يرى الأمر على ما هو عليه فلا بد أن يراه هكذا » (!!)

وهو موضع اللبنة الذهبية فى الباطن .. فانه يأخذ من المعدن
الذى يأخذ منه الملك الذى يوحى به الى الرسل » (!!)

ويتصدى الامام ابن تيمية للرد على هذا الضلال .. فيقول :

« دعواه أن الأولياء كلهم حتى الأنبياء يستفيدون من خاتم
الأولياء .. فهذا مخالف للعقل والشرع .. فان الأنبياء أفضل من
الأولياء .. وخيار الأولياء أتبعهم للأنبياء .. كما كان أبو بكر أفضل
من طلعت عليه الشمس بعد النبيين والمرسلين ..

وكذلك دعواه : أن خاتم الأولياء يأخذ العلم الظاهر من حيث
يأخذ النبى .. ويأخذ العلم الباطن من المعدن الذى يأخذ منه الملك
ما يوحىه الى النبى .. فهذا من أعظم الكفر والضلال .. وهو مبنى على
قول المتفلسفة الذين يجعلون النبوة فيضاً على عقل النبى ..

ويقولون ان الملك هو ما يتمثل فى نفس النبى من الأشكال
النورانية .. فيقولون ان النبى يأخذ عن تلك الصور الخيالية وهى

الملك عندهم .. فمن أخذ المعانى الفعلية عن العقل المجرد كان أعظم وأكمل ممن يأخذ عن الأمثلة الخيالية ..

فهؤلاء اعتقدوا أقوال افلاسفة المحدثين .. وسكوا مسلك الرياضة .. فأخذوا يتكلمون بتلك الأمور الالحادية الفلسفية .. ويخرجونها في قالب المكاشفات والمخاطبات ..

وما ذكروه في خاتم الأولياء لا حقيقة له .. وإن كان قد ذكره الحكيم الترمذى في كتاب « خاتم الأولياء » فقد غلط في ذلك الكتاب غلطا معروفا عند أهل المعرفة والعلم والايمان (*)

ومن هذا المنطلق يقول أبو يزيد البسطامى : « لقد خضنا بحرا وقف الأنبياء بساحله » !!

فالأنبياء يتلقون رسالاتهم عن جبريل .. أما الأولياء فيتلقون علمهم عن الله مباشرة .. ويسمون هذا العلم بالعلم اللدنى .. لأنه من لدن الله ..

ويقول الجيلى : « الولى يسمع نطق الجمادات والنباتات والحيوانات وكلام الملائكة واختلاف اللغات .. وكان البعيد منه كالقريب » .
ثم يقول عن نفسه : « وفى هذا التجلى سمعت علم الرحمانية » ..
ولهذا يعتقدون أن الخضر عليه السلام كان وليا .. وليس نبيا !!
ويزعمون أنه لا يزال حيا يرزق حتى الآن .. وأنه يزورهم ويزورونه .. ويجتمعون به ويتلقون عنه !!

ولما كان للشريعة — فى زعمهم — ظاهرا وباطنا .. فقد اعتبروا موسى عليه السلام من أهل الظاهر .. واعتبروا الخضر من أهل الباطن .. وليس لأهل الظاهر أن يعترضوا على أهل الباطن ..

ولأن موسى عليه السلام من أهل الظاهر .. فقد ذهب الى الخضر ليتعلم منه .. وقد تعلم منه فعلا أمورا غابت عنه .. ولهذا يقولون :
مقام النبوة فى برزخ غويق الرسول ودون الولى
أى أن مقام النبى أكبر درجة من مقام الرسول .. وهو فى نفس الوقت أقل درجة من مقام الولى !!

* * *

(*) علم الحديث — للامام ابن تيمية ص ٥١٦

* مسألة الخضر عليه السلام :

يقول الله تعالى : « وأذ قال موسى لفتهاه لا أبرح حتى ابلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا . فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا . فلما جاوزا قال لفتهاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا . قال أرأيت إذ أوينا الى الصخرة فأنى نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره ، واتخذ سبيله في البحر عجبا . قال ذلك ما كنا نبغ ، فارتدا على آثارهما قصصا .. »

« فوجدا عبدا من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلماها من لدنا علما . قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا . قال انك لن تستطيع معي صبرا . وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا . قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا . قال فان اتبعته فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا .. »

« فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتفريق أهلها لقد جئت شيئا امرا . قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا . قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا .. »

« فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا . قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا . قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني ، قد بلغت من لدني عذرا .. »

« فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا . قال هذا فراق بيني وبينك ، سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا .. »

« أما السفينة فكانت لمساكين يعطون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا .. »

« وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا . فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما .. »

« وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما

وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة
من ربك ، وما فعلته عن أمري ، ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا» (١) .
روى البخارى عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : ان
نوحا البكالى يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو صاحب
بنى اسرائيل ..

فقال ابن عباس : كذب عدو الله .. حدثنا أبى بن كعب أنه سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان موسى قام خطيبا في
بنى اسرائيل .. فسئل : أى الناس أعلم ؟ فقال : أنا .. فعتب الله
عليه اذ لم يرد العلم اليه .. فأوحى الله اليه : ان لى عبدا بمجمع
البحرين هو أعلم منك ..

قال موسى : يا رب .. فكيف لى به ؟ قال : تأخذ معك حوتا فتجعله
في مكمل .. فحيثما فقدت الحوت فهو ثم ..

فأخذ حوتا فجعله في مكمل .. ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع
ابن نون .. حتى اذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما .. واضطرب
الحوت في المكمل .. فخرج منه فسقط في البحر .. واتخذ سبيله في
البحر سريا ..

وأمسك الله عن الحوت جرية الماء .. فصار عليه مثل الطاق ..
فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت .. فانطلقا بقية يومهما
وليلتهما ..

حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه : « آتتا غدا عا لقد لقينا
من سفرنا هذا نصبا » .. قال : ولم يجد موسى النصب حني
جاوز المكان الذى أمره الله به ، فقال له فتاه : « أرايت اذ أويننا الى
الصخرة فانى نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أنكره ،
واتخذ سبيله في البحر عجا » قال : فكان للحوت سريا .. ولموسى
ولفتاه عجا فقال له موسى : « ذلك ما كنا نبغ ، فارتدا على آثارهما
قصصا » ..

قال : فرجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا الى الصخرة .. فاذا
رجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى .. فقال الخضر : وأنى بأرضك
السلام ؟ .. قال : أنا موسى . قال : موسى بنى اسرائيل ؟ قال :

نعم .. أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا « قال انك لن تستطيع معي صبرا » .. يا موسى انى على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه أنت .. وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه .. فقال موسى : « ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا » ..

فقال له الخضر : « فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا » .. فانطلقا يمشيان على ساحل البحر .. فمرت بهما سفينة فكلموهم أن يحملوهم .. فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول — أى أجر — ..

فلما ركبا فى السفينة لم يفجأ الا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم .. فقال له موسى : قوم حملونا بغير نول .. عمدت الى سفينتهم فخرقتها « لتفرق أهلها ، لقد جئت شيئا امرا » قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا • قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا •

قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فكانت الأولى من موسى نسيانا » .. قال : وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر فى البحر نقرة .. فقال له الخضر : ما علمى وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من هذا البحر ..

ثم خرجا من السفينة .. فبينما هما يمشيان على الساحل اذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان — ويقال ان اسمه جيسور — فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله .. ويقال : أضجعه ثم ذبحه بالسكين .. فقال له موسى : « أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا • قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا » — قال : وهذه أشد من الأولى — فقال موسى : « ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبنى ، قد بلغت من لدنى عذرا » ..

« فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض » قال : مائل .. فقام الخضر « فأقامه » بيده .. فقال موسى : قوم أتيئاهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا « لو شئت لاتخذت عليه أجرا • قال هذا فراق بينى وبينك • سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما » ..

وشرع الخضر عليه السلام يفسر لموسى ما غمض عليه ..
فأما ما كان من أمر السفينة .. فانها كانت لمساكين يعملون في
البحر .. وكان أمامهم ملك — قيل انه هدد بن بدد — كان يأخذ كل
سفينة غصبا .. فأراد الخضر اذا هي مرت به أن يدعها لعيبيها ..
فاذا جاوزوا أصلحوها فانتفعوا بها .. ومنهم من يقول : سدوها
بقارورة .. ومنهم من يقول بالقار ..

وأما ما كان من أمر الغلام .. فقد كان أبواه مؤمنين .. وكان
هو كافرا .. فخشى الخضر أن يحملهما حبه على أن يتابعاه على دينه ..
فأراد أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة — لقول موسى أقتلت نفسا
زكية — وأقرب رحما .. هما به أرحم منهما بالأول الذى قتل الخضر ..
وأما ما كان من أمر الجدار .. فقد كان لغلامين يتيمين .. قال
السهيلي : وهما أصرم وصريم ابنا كاشح .. « وكان تحتها كنز لهما »
قيل : كان ذهباً ، قاله عكرمة .. وقال ابن عباس : كان علما . والأشبه
أنه كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه علم ..

عن أبى ذر رضى الله عنه يرفعه قال : « ان الكنز الذى ذكره الله
في كتابه لوح من ذهب مصمت .. مكتوب فيه : عجبت لمن أيقن بالقدر
كيف نصب ؟ وعجبت لمن ذكر النار لم ضحك ؟ وعجبت لمن ذكر الموت
كيف غفل ؟ » ..

وهكذا روى عن الحسن البصرى وعمر مولى غفرة وجعفر الصادق
نحو هذا ..

وأما قوله : « وكان أبوهما صالحا » ، قيل أنه كان الأب السابع ..
وقيل العاشر .. وعلى كل تقدير : فيه دلالة على أن الرجل الصالح
يحفظ في ذريته ..

* * *

* هل كان الخضر نبيا .. أم وليا ؟ *

يعتقد الصوفيون أن الخضر عليه السلام . كان وليا وليس بنبي ..
كما يعتقدون أنه ما زال حيا يرزق !!

وعلى هذه العقيدة أقاموا مزاعمهم التى تؤكد أن الولي أعلم
من النبي .. فقد ذهب موسى عليه السلام — وهو نبي — الى الخضر
ليتعلم منه .. وقد تعلم منه بالفعل علما كان يجهله !!

ويقول الامام ابن كثير : « قوله تعالى : « رحمة من ربك ، وما فطنته عن أمرى » دليل على أنه كان نبيا .. وأنه ما فعل شيئا من تلقاء نفسه بل بأمر ربه فهو نبي .. وقيل رسول » ..
كما يقول : دل سياق القصة على نبوته من وجوه :

أحدها قوله تعالى : « فوجدنا عبدا من عبادنا آتينا رحمة من عندنا وعلما » [وفي هذا دليل على نبوته] ..

الثاني : قول موسى له : « هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا . قال انك لن تستطيع معي صبرا . وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا . قال ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا . قال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا » ..
فلو كان وليا وليس بنبي لم يخاطبه بهذه المخاطبة .. ولم يرد على موسى هذا الرد ..

بل موسى انما سأل صحبته لينال ما عنده من العلم الذى اختصه الله به دونه .. فلو كان غير نبي لم يكن معصوما .. ولم تكن لموسى — وهو نبي عظيم ورسول كريم واجب العصمة — كبير رغبة ولا عظيم طلب في علم ولى غير واجب العصمة .. ولما عزم على الذهاب اليه والتفتيش عنه .. ولو أنه أمضى حقا من الزمان — قيل ثمانين سنة — ثم لما اجتمع به تواضع له وعظمه .. واتبعه في صورة مستفيد منه .. فدل على أنه نبي مثله يوحى اليه كما يوحى اليه .. وقد خص من العلوم الدنية والأسرار النبوية بما لم يطلع الله عليه موسى الكليم .. نبي بنى اسرائيل الكريم . وقد احتج بهذا المسلك بعينه انرمانى على نبوة الخضر عليه السلام ..

الثالث : أن الخضر أقدم على قتل ذلك الغلام .. وما ذلك الا لالوحى اليه من الملك العلام ..

وهذا دليل مستقل على نبوته .. وبرهان ظاهر على عصمته .. لأن الولي لا يجوز له الاقدام على قتل النفوس بمجرد ما يلقي في خلد .. لأن خاطره ليس بواجب العصمة .. اذ يجوز عليه الخطأ بالاتفاق ..

ولما أقدم الخضر على قتل ذلك الغلام الذى لم يبلغ الحلم .. علما منه بأنه اذا بلغ يكفر ويحمل أبويه على الكفر لشدة محبتهم له فيتبعانه عليه .. ففي قتله مصلحة عظيمة تربو على بقاء مهجته ..

صيانة لأبويه عن الوقوع في الكفر وعقوبته .. دل ذلك على نبوته وأنه مؤيد من الله بعصمته ..

وقد رأيت — يقول ابن كثير — الشيخ أبا الفرج ابن الجوزي طرق هذا المسلك بعينه في الاحتجاج على نبوة الخضر وصححه .. وحكى الاحتجاج عليه الرماني أيضا ..

الرابع : أنه لما فسر الخضر تأويل الأفاعيل لموسى ووضح له عن حقيقة أمره وجلّى ، قال بعد ذلك كله : « رحمة من ربك ، وما فعلته عن أمري » يعني ما فعلته من تلقاء نفسي .. بل أمر أمرت به وأوحى إلى فيه .. فدلّت هذه الوجوه على نبوته ..

ان قصة الخضر عليه السلام قد دلتنا على أن الله تعالى قد أطلعه على شيء من الغيب .. وما كان الله ليطلع على هذا الغيب إلا الرسل .. يقول تعالى : « وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء » (٢) .

كما يقول : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا . إلا من ارتضى من رسول » (٣) .

أما عن ادعائهم بأنه ما زال حيا حتى الآن .. وأنه يزورهم ويزورونه .. ويجتمعون به ويتلقون عنه .. فيقول الشيخ على محفوظ في كتابه « الابداع في مضار الابتداع » : لو صح بقاء بشر من لدن آدم إلى قرب خراب الدنيا لحسن ذكر هذا الأمر العظيم في القرآن الكريم مرة على الأقل ..

وسئل بعض أئمة السلف عن ذلك فقرا قوله تعالى : « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد » (٤) .

وسئل الامام البخاري عنه وعن الياس عليهما السلام : هل هما حيان ؟ فأجاب : كيف هذا .. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بقليل : « لا يبقى على رأس المائة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد » ؟ ..

ويقول الامام ابن تيمية : « لو كان الخضر حيا لوجب عليه أن يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويجاهد بين يديه .. ويتعلم منه » ..

(٣) الجن : ٢٦ ، ٢٧

(٢) آل عمران : ١٧٩

(٤) الانبياء : ٣٤

وقد ذهب الى أنه عليه السلام قد مات : البخارى ، وإبراهيم الحربى ، وأبو الحسن ابن المنادى ، وأبو الفرج ابن الجوزى الذى انتصر لذلك وألف كتابا أسماه « عجالة المنتظر فى حالة الخضر » .. ويحتج فيه بأشياء كثيرة .. منها قوله تعالى : « وما جئنا لبشر من قبلك الخلد » .. فالخضر ان كان بشرا فقد دخل فى هذا العموم لا محالة .. ولا يجوز تخصيصه منه الا بدليل صحيح .. والأصل عدمه حتى يثبت .. ولم يذكر فيه دليل على التخصيص عن معصوم يجب قبوله ..

ومنها أن الله تعالى قال : « واذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ، قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » (٥) ..

قال ابن عباس : ما بعث الله نبيا الا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد — صلى الله عليه وسلم — وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه .. وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق .. لئن بعث محمدا وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه .. ذكره البخارى عنه ..

والخضر عليه السلام داخل فى هذا الميثاق .. فلو كان حيا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان أشرف أحواله أن يكون بين يديه ، يؤمن بما أنزل الله عليه .. وينصره أن يصل أحد من الأعداء اليه .. لأنه ان كان وليا فالصديق أفضل منه .. وان كان نبيا فموسى أفضل منه .. فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعته الا أن يتبعنى » (٦) . فذكر موسى عليه السلام من دون الأنبياء دلالة على جلالة قدره وشرفه عليهم .. وقد دلت هذه الآية الكريمة أن الأنبياء كلهم .. لو فرض أنهم أحياء مكلفون فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكانوا كلهم أتباعا له وتحت أوامره وفى عموم شرعه ..

كما أنه صلوات الله وسلامه عليه لما اجتمع بهم ليلة الاسراء رفع فوقهم كلهم .. ولما هبطوا معه الى بيت المقدس وحانت الصلاة

(٥) آل عمران : ٨١

(٦) رواه أحمد فى مسنده .

•• أمره جبريل عليه السلام عن أمر الله أن يؤمهم •• فصلى بهم في محل ولايتهم ودار اقامتهم •• فدل على أنه الامام الأعظم •• والرسول الخاتم المبجل المقدم •• صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ••

فاذا علم هذا — وهو معلوم عند كل مؤمن — علم أنه لو كان الخضر حيا لكان من جملة أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن يقتدى بشرعه لا يسعه الا ذلك ••

ويقول الامام ابن كثير : « وهذا عيسى ابن مريم عليه السلام •• اذا نزل في آخر الزمان يحكم بهذه الشريعة المطهرة •• لا يخرج منها ولا يحيد عنها •• وهو أحد أولى العزم الخمسة المرسلين •• وخاتم أنبياء بنى اسرائيل •• والمعلوم أن الخضر — عليه السلام — لم ينقل بسند صحيح ولا حسن تسكن اليه النفس أنه اجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم واحد •• ولم يشهد معه قتالا في مشهد من المشاهد ••

، وهذا يوم بدر •• يقول الصادق المصدوق فيما دعا به لربه عز وجل •• واستنصره واستفتحه على من كفره : « اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد بعدها في الأرض » •• وتلك العصابة كان تحتها سادة المسلمين يومئذ •• وسادة الملائكة حتى جبريل عليه السلام •• كما قال حسان بن ثابت في قصيدة له •• في بيت يقال انه أفخر بيت قالته العرب :

وببئر بدر اذ يرد وجوههم جبريل تحت لوائنا ومحمد ••

فلو كان الخضر حيا •• لكان وقوفه تحت هذه الراية أشرف مقاماته وأعظم غزواته ••

قال القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلي : سئل بعض أصحابنا عن الخضر •• هل مات ؟ فقال : نعم •• قال : وبلغني مثل هذا عن أبي طاهر ابن الغباري قال : وكان يحتج بأنه لو كان حيا لجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ••

نقله ابن الجوزي في « العجالة » ••

فان قيل : فهل يقال انه كان حاضرا في هذه المواطن كلها •• ولكن لم يكن أحد يراه ؟

فالجواب : ان الأصل عدم هذا الاحتمال البعيد الذي يلزم

منه تخصيص العموميات بمجرد التوهّمات .. ثم ما الحامل له على هذا الاختفاء ؟ وظهوره أعظم لأجره وأعلى في مرتبته وأظهر لمعجزته .. ثم لو كان باقيا بعده .. لكان تبليغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأحاديث النبوية والآيات القرآنية .. وانكاره لما وقع من الأحاديث المكذوبة والروايات المقلوبة والآراء البدعية والأهواء العصبية .. وقاتله مع المسلمين في غزواتهم وشهوده جمعهم وجماعاتهم .. ونفعه إياهم ودفعه الضرر عنهم ممن سواهم .. وتسديده العلماء والحكام .. وتقديره الأدلة والأحكام .. أفضل مما يقال عنه من كونه في الأبصار .. وجوبه الفياض والأقطار .. واجتماعه بعباد لا يعرف أحوال كثير منهم .. وجعله لهم كالنقيب المترجم عنهم .. وهذا الذي ذكرناه لا يتوقف فيه أحد فيه بعد التفهيم .. والله يهدي من شاء الى صراط مستقيم » ..

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ليلة العشاء ثم قال : « أرأيتم ليلتكم هذه ؟ فانه الى مائة سنة لا يبقى ممن هو على وجه الأرض اليوم أحد » .. وفي رواية : « عين تطرف » ..

قال ابن عمر : فوهل الناس — أى فزعوا — من مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه (٧) .. أراد انقطاع قرنه .

وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بقليل — أو بشهر — : « ما من نفس منفوسة — أو ما منكم من نفس اليوم منفوسة — يأتى عليها مائة سنة وهى يومئذ حية » (٨) .

قال ابن الجوزى : فهذه الأحاديث الصحاح تقطع دابر دعوى حياة الخضر .. ولو سلمنا جدلا — وهو ما أثبتنا عدم صحته — أنه كان حيا حتى أدرك زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فهذين الحديثين يقتضيان أنه لم يعيش بعد مائة سنة .. ويستحيل معه بقاءه حيا الى اليوم ..

فالخضر عليه السلام كان نبيا ولم يكن وليا .. كما أنه لم يدرك زمن الرسول صلى الله عليه وسلم .. والله أعلم ..

* * *

(٨) رواه أحمد .

(٧) رواه البخارى ومسلم .

ما هو التصوف الاسلامي ؟

يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، إن الله لا يهدي القوم الكافرين » (١) .
ويقول : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (٢) .

ويقول : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (٣) .
ويقول جل شأنه : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » (٤) .

لقد أكمل الله لنا الدين . . وأتمم النعمة . . ورضى لنا الاسلام ديناً . . وأطلق علينا اسم المسلمين دون سائر الأسماء . . فقال : « هو سماكم المسلمين » (٥) .

ولهذا أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ للناس ما أنزل إليه . . ولا يكتم منه شيئاً . . فإن لم يفعل فما بلغ الرسالة ، ولا أدى الأمانة . .

ثم أمرنا تعالى باتباع ما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم . . واجتناب ما نهى عنه . .

بل انه تعالى أقسم بذاته . . نافيا الايمان عن يأبى الرجوع الى الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يعترضه من خلاف في الرأي أو العقيدة أو الدين . . وفي سائر العبادات والمعاملات . . ويكون ذلك بتحكيمة صلى الله عليه وسلم حال حياته . . وبالرجوع الى سنته بعد موته . .

وغلظ تعالى في ذلك . . فنفي الايمان عن يحكم الرسول ثم يجد في صدره ضيقا مما يقضى به الرسول أو تقضى به السنة المطهرة . .

(٢) الحشر : ٧

(٤) المائدة : ٣

(١) المائدة : ٦٧

(٣) النساء : ٦٥

(٥) الحج : ٧٨

فالمؤمن كامل الايمان — كما وصفه الله تعالى — هو الذى يرجع الى الرسول صلى الله عليه وسلم .. والى سنته المطهرة فى كل شأن من شئونه .. مستلهما الحل لما يعترضه من أمور فى كتاب الله وسنة رسوله .. ثم يرضى بالحل الاسلامى كل الرضا ويسلم تسليما ..

والتسليم لا يكون الا بنبذ الارادة تماما اذا تعارضت مع حكم الله أو حكم رسوله .. وقد وصف الله من لا يحكم بما أنزله تعالى بالكفر .. والظلم .. والفسوق .. نعوذ بالله من ذلك ..

وقد أدى الرسول صلى الله عليه وسلم الأمانة • وبلغ الرسالة .. ونصح للأمة .. وجاهد فى الله حق جهاده .. ولم يكتم شيئا مما أنزله الله عليه .. ولهذا نراه يكرر أكثر من مرة فى حجة الوداع .. وبعد تقرير كل أصل من أصول العقيدة .. يكرر كلمته المشهورة : « ألا هل بلغت » ؟ فيقول الناس : نعم .. فيقول صلى الله عليه وسلم : « اللهم فاشهد » ...

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تركتكم على المحجة البيضاء .. ليلها كنهارها .. لا يزيغ عنها الا هالك » .. وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » (٦) ..

وفى رواية لمسلم : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » .. وعن جابر رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم .. ويقول : « بعثت أنا والساعة كهاتين » — ويقرن بين اصبعيه السبابة والوسطى — ويقول : « أما بعد .. فان خير الحديث كتاب الله .. وخير الهدى هدى محمد — صلى الله عليه وسلم — وشر الأمور محدثاتها .. وكل بدعة ضلالة » (٧) .. ولهذا يقول الامام مالك رضى الله عنه : « من ابتدع فى الاسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم خان الرسالة .. لأن الله جل شأنه يقول : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً » ..

(٦) متفق عليه .

(٧) رواه مسلم .

تعالوا الى كتاب الله .. هل جاء فيه ذكر للتصوف أو الصوفية ؟
لم يرد ذلك في آية واحدة منه !!
تعالوا الى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. هل فيها
ذكر للتصوف أو الصوفية ؟
لم يذكرها صلى الله عليه وسلم مرة واحدة !!
والقرآن الكريم لم يغادر كبيرة ولا صغيرة الا أحصاها ..
والرسول صلى الله عليه وسلم لم يترك كبيرة ولا صغيرة ..
سواء في أمر ديننا أو دنيانا الا وتعرض لها ..
فلماذا لم يرد ذكر التصوف أو الصوفية في كتاب الله أو في سنة
رسوله ان كان لهما أصل في الاسلام !!
هل عرف الصحابة رضوان الله عليهم الصوفية أو التصوف ؟ !
هل قال الصحابة رضوان الله عليهم بوحدة الوجود .. وأن الوجود
حقيقة واحدة لا فرق فيها بين الحق والخلق ؟ !
لم يقل بذلك واحد منهم !!
فلماذا لا نتبع الصراط المستقيم ؟ !
لماذا لا نتبع الرسول ونتخذ منه الأسوة الحسنة ؟ !
لماذا نخالف عن أمره .. ونتعرض للفتنة تصيينا وللعذاب
الأيلم ينزل بنا ؟ !
يقول الله تعالى : « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا
السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » (٨) .
ويقول : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر
لكم ذنوبكم » (٩) ..
ويقول : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا
الله واليوم الآخر » (١٠) .
ويقول : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة
أو يصيبهم عذاب أليم » (١١) .

(٩) آل عمران : ٢١

(١١) النور : ٦٣

(٨) الانعام : ١٥٣

(١٠) الأحزاب : ٢١

ويقول : « انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ، وأولئك هم المفلحون » (١٢) .
فلماذا ننأى عن الفلاح .. ونأبى أن نقول لله ولرسوله : « سمعنا وأطعنا » ؟ !

لماذا نترك الطريق الواضح .. والمحجة البيضاء .. ونتبع الطرق المتشعبة .. والمسالك الوعرة ؟ !

لماذا لا نتدبر قول الله تعالى : « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ، وما يذكر الا أولوا الأبواب » (١٣) ؟ !

لماذا لا نعقل تحذيره تعالى لنا : « ولا تكونوا كالتى نقصت غزلها من بعد قوة أنكاثا » (١٤) ؟ !

عن الحسن بن على رضى الله عنهما قال : حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « دع ما يريك الى ما لا يريك » (١٥) .

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الحلال بين ، وان الحرام بين .. وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس .. فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه .. ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام : كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه .. ألا وان لكل ملك حمى .. ألا وان حمى الله محارمه .. ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله .. واذا فسدت فسد الجسد كله .. ألا وهى القلب » (١٦) .

فاللهم ربنا : أصلح فساد قلوبنا .. وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه .. وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه .. وجنبنا الشبهات .. واهدنا الى صراطك المستقيم ..

(١٢) آل عمران : ٧
(١٥) رواه الترمذى .

(١٢) التور : ٥١

(١٤) النحل : ٩٢

(١٦) متفق عليه .

* تعريف التصوف .. أصله ونشأته :

يعرف أستاذنا الدكتور إبراهيم هلال التصوف فيقول (١٧) :

« التصوف كما يراه الصوفية في عمومها : هو السير في طريق الزهد .. والتجرد عن زينة الحياة وشكلياتها .. وأخذ النفس بأسلوب من التقشف وأنواع من العبادة والأوراد والجوع والسهر .. في صلاة أو تلاوة حتى يضعف في الإنسان الجانب الجسدى .. ويقوى فيه الجانب النفسى أو الروحى ..

فهو إخضاع الجسد للنفس بهذا الطريق المتقدم .. سعيا الى تحقيق الكمال الأخلاقى للنفس — كما يقولون — .. والى معرفة الذات الالهية وكمالاتها .. وهو ما يعبرون عنه بمعرفة الحقيقة ..

« والاسلام يدعو حقيقة الى إخضاع الجسد أو الحس للنفس وللدين والعقل .. ولكن لا عن اتخاذ كل ما أشار به الصوفية .. وانما عن طريق الايمان بالله واليوم الآخر .. وبالرسل والأنبياء جميعهم والعمل بشريعتهم التى تبلورت أخيرا في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم في حدود الطاقة بعد أداء الواجبات .. والانتهاى عن المنهيات .. وبهذا فسلوك التصوف سلوك متزيد .. يظهر في النفس الانسانية معنوياتها .. ويحاول في أحوال تطرفه أو تفلسفه أن يباعد بينها وبين الحياة ..

والله سبحانه يقول : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » (*) ..

« واذا كان التصوف في الاسلام قد غلب عليه هذا الطابع في التعريف المتقدم .. فان ذلك راجع الى أنه قد تأثر في ذلك بفلسفات أجنبية عن الدين الاسلامى وعن بيئته .. سواء أكانت هذه الفلسفات فلسفات أجنبية عن البيئة الاسلامية كلها .. أو أنها أخذت من البيئة الاسلامية عن طريق الشيعة وعن طريق الفلاسفة الاسلاميين ..

(١٧) راجع كتاب التصوف الاسلامى بين الدين والفلسفة — للاستاذ الدكتور إبراهيم هلال — ط أولى سنة ١٩٧٥ ص ١ وما بعدها .

(*) الاعراف : ٣٢

« فالتصوف الاسلامى قد خلط بالدين الاسلامى ما ليس منه فى جانب العبادة والمعرفة .. وأصبحت معرفة الصوفية فى عمومها معرفة فلسفية أو اشراقية لا معرفة دينية فى كشفها ، الى محض التمسك بالكتاب والسنة ..

« والاشراق بالمعنى الفلسفى الصوفى هو تلقى العلم الغيبي والمعرفة الالهية عن العالم العلوى الروحانى بعد سلوك طريق التصوف من رياضة روحية ومجاهدة للنفس بحيث تصفو من الكدورات البشرية .. وحينئذ ينعكس عليها — أو يشرق فيها — من العلوم والمعارف ما هو منقوش فى العالم العلوى الروحانى من الملائكة أو العقول والنفوس الفلكية .. والاشراقيون هم الذين يرون أن المعارف تحصل عن هذا الطريق ويطلبونها به [هامش] ..

« فالاشراق للفلسفى الذى عرف من قبل عند سقراط وأفلاطون وأفلوطين .. وغيرهم من فلاسفة اليونان والهنود والفرس .. والذى يصل فيه المرء بعد مرحلة التجرد والرياضة والعبادة الى مرحلة الكشف والاختبار عن المغيبات .. هو غاية التصوف الاسلامى فى منهجه الفلسفى ..

وقد شاع هذا المنهج بتلك الغاية الاشراقية فى البيئة الاسلامية .. وان كنا وجدنا المنهج السنى والأصول الاسلامية .. بجانب ذلك المنهج الاشراقى .. تعيش معه جنباً الى جنب عند كثير من المتصوفة .. فأفادوا فى علم الأخلاق وفى أصول تربية النفس .. وفى مناهج البحث فى العلوم ..

ويتحدث سيادته عن تأثر التصوف الاسلامى بالفلسفات الأجنبية فيقول (١٨) :

« أدى ولع الصوفية المسلمين بالمنهج الاشراقى .. أن أخذوا المعرفة عن مخالفيهم من أبناء الديانات الأخرى .. التى رثت وبليت ودخلها التبديل والغنوص .. فهذا ابراهيم بن أدهم يفصح لنا عن أصول التصوف وغايته فيقول : « تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان .. »

« ويحدثنا أبو يزيد البسطامي .. أنه سافر مرة حاجا .. فلقية القطب في الطريق وأمره أن يعود قائلا له : ان الله هو ما تراه في بعين قلبك .. لأنه اختارني بيتا له .. فاذا رأيتني فقد رأيتته ، وطففت حول الكعبة .. واذا عبدتني فقد عبدته وسبحت له .. فلا تظنن أنني شيء غيره » (!!)

« فهنا التعظيم للولى أو القطب ... وان كان سر التعظيم هنا قد وضح بفعل التطور .. وهو أن الله قد حل في ذلك القطب .. وأن ذلك القطب مجلى من مجالى الله سبحانه وتعالى .. كما يقول أصحاب مذهب الحلول أو وحدة الوجود » (١٩) !!
ويعقب على ذلك فيقول :

« ... فأبو يزيد هو الذى أدخل في التصوف الاسلامى فكرة وحدة الوجود التى كانت ذائعة ذيوعا عظيما في أنحاء فارس حتى زمن الساسانيين .. وهذه النزعة الفارسية الهندية — أعنى نزعة وحدة الوجود — من خصائص التفكير الشرقى .. كما أن النزعة « الثيوسوفية » — النزعة نحو المعرفة الالهية — من خصائص التفكير اليونانى » (٢٠) ..

ويقول نقلا عن الدكتور محمد مصطفى حلمي (٢١) : « على أن ثمة شبةا ظاهرا بين بعض العقائد والنزعات الفارسية القديمة .. وبين بعض التعاليم والمذاهب الصوفية الاسلامية .. فالزهد في التصوف الاسلامى يشبه الزهد والرهبة المانوية .. كما يشبه الزهد والقناعة والنهى عن ذبح الحيوان في الديانة المزدكية .. ولقد شاعت هذه العقائد فيما شاع بين المسلمين من تراث الفرس القديم .. ووجدت من الشيعة من اعتنقها وتعصب لها .. ومن الصوفية من تلقاها بالقبول وتأثر بها عن قصد أو غير قصد » (٢٢) ..

ويحدثنا عن التصوف الملامتى فيقول (٢٣) :

« فاذا انتقلنا عن هؤلاء وعن معرفتهم .. وعن فنائهم عن أنفسهم .. وذهبنا الى أبى عثمان الحيرى المتوفى سنة ٢٩٨ هـ ، وأبى عمرو

(١٩) المرجع نفسه ص ٤ (٢٠) نفس المرجع والصفحة .

(٢١) في كتابه الحياة الروحية في الاسلام ص ٤٢

(٢٢) التصوف الاسلامى بين الدين والفلسفة — مرجع سابق ص ٨

(٢٣) المرجع نفسه ص ١١

ابن نجيد المتوفى سنة ٣٦١ هـ — وهما من الملامتية — رأينا نمطا آخر من التصوف وهو الفناء عن الأعمال .. أو الاستهتار فيها جلبا لللامة وتعرضا لذم الخلق بدلا من مدحهم ... أو الاتجاه دائما — من جانب اشخص نفسه — نحو النفس باللوم والشك فيها دائما .. والنظر اليها نظرة التقصير .. ونستطيع أن نتبين أن هذا التطرف موجود في كلا الاتجاهين : الفناء عن النفس .. والفناء عن الأعمال ..

» ... واذا اجتمع هذان الاتجاهان في شيء فانما يجتمعان في السلبية نحو دين الله ومجتمعه . فأحدهما لا يبغي من أعماله إلا الوصول الى الله أو الاتحاد به والبعد عن الناس .. والآخر لا يبغي من أعماله إلا الوصول الى مذمة الناس له على خلقه وعمله .. والعمل على اشاعة الفساد واطهاره بينهم « (٢٤) !!

» ونستطيع إذن رد هذا كله الى مصادر غير اسلامية .. منها ما تقدم في تشكيل المذهب الملامتي .. ومنها ذلك العنصر اليوناني والمذهب الغنوصي .. وقد أثر كل منهما تأثيرا كبيرا في الفكر الفلسفي والديني في الاسلام .. وقبل الاسلام وخاصة في التصوف .. والظاهرة الكبرى التي تؤكد لنا صلة التصوف بالمصادر الأجنبية — لسيطرتها على اتجاه المتصوفة عموما — هي ما نراه من المغالاة في الاهتمام بالعرفان « (٢٥) .

ويحدثنا الأستاذ الدكتور عن «المعرفة» أو «العرفان» عند الصوفية .. فيقول (٢٦) :

» ... ومما يحملنا على الجزم بوجود أثر للفلسفة اليونانية في التصوف الاسلامي .. أن نظرية المعرفة فيه ظهرت في غربى آسيا ومصر .. في بلاد تأصلت فيها الثقافة اليونانية أحقابا طويلة .. وكان بعض المبرزين في الكلام فيها من أصل غير عربي ..

وسأكتفى هنا بذكر المعرفة كمثال واحد يوضح ما ذكرناه .. فان ما يسميه الصوفية « للمعرفة بالله » ويعتبرونه من أخص صفاتهم .. يرادف في اللغة اليونانية كلمة « جنوسيس » التي معناها : العلم بلا واسطة الناشئ عن الكشف والشهود .. وقد عرفها هذا التعريف

(٢٥) نفس المرجع ص ١٤

(٢٤) نفس المرجع ص ١٢

(٢٦) المرجع نفسه ص ١٧

كثير من صوفية القرن الثالث .. بل ان كلمة تصوف نفسها ليست اسلامية ..

ثم يقول : « ... أما أجنبية التصوف عن الاسلام بالنسبة للتسمية بتلك الكلمة .. فانها في أصل مضمونها القديم قبل أن تدخل الى الأوساط العربية أو الاسلامية .. لم يكن يراعى فيها لبس الصوف أو القوم الذين يلبسون الصوف .. وإنما كان يراعى فيها طلب النفاذ الى الأسرار الخفية أو المعانى الكونية المغيبة .. واتخاذ الطرق للوصول الى ذلك » (٢٧) .

« ... ان التصوف في ذاته ليس جديداً في الاسلام .. وإنما هو قد عاش في كل بلد ذهب اليه الاسلام .. ونما وترعرع قبل أن يفتحه المسلمون .. فهذا الاتجاه الباطنى .. والبحث فيما وراء الطبيعة عن خفايا الكون .. ومحاولة الوصول اليها بطريق المجاهدة النفسية والجسمية .. لا يعرفه الاسلام ولا يعتبر من سار في هذا الطريق أنه يسير على صراطه المستقيم .. وإنما هو استيراد من خارج الاسلام في المخبر والمظهر .. أو في الحقيقة والشكل ..

« الحقيقة أو الاتجاه أخذ عن أديان مختلفة سماوية وغير سماوية ..

« والشكل أو المظهر .. أخذ عن زى الرهبان المسيحيين .. فجاء علماء العربية فنسبوههم الى الشكل الذى هو ألصق شئ باتجاههم — هذا اذا قلنا ان تلك الكلمة في لفظها عربية — ومن المحتمل أن تكون أجنبية وجدت منذ القدم علماً على هؤلاء الذين يريدون أن يشفوا هوى نفوسهم من ناحية الكون والحياة .. غير مقتنعين بما جاءت به الأديان .. أو جريا وراء الأفكار الفلسفية أو الكهنوتية (٢٨) .. » ومن الراجح أن تكون كلمة تصوف مشتقة من كلمة « ثيوصوفية » اليونانية التى كانت تطلق عند قدماء اليونان على مذهب روحى يعتنقه النساك والزهاد السالفون قبل الاسلام بعدة قرون .. فكانوا يناون بجانبهم عن الدنيا .. ويلجأون الى أنواع من الرياضات الروحية والعبادة مما اقتبسوه عن أنبيائهم ورسلم حبا في التقرب بالروح من خالقهم .. وتلقى الحكمة والمعارف القدسية عنه تعالى .. (٢٩) .

(٢٨) نفس المرجع ص ٢٩

(٢٧) المرجع نفسه ص ٢٧

(٢٩) نفس المرجع ص ٣٠

ثم يقول جزاء الله خيراً^(٣٠) : « ان التصوف الاسلامى وله المسمى بالزهد .. وآخره المعروف بالتصوف .. انما هو استيراد من خارج الاسلام وليس من صميمه .. »

« وان تسميته بالزهد فى أوله انما هى بالنسبة الى جانب منه .. مثل تسمية العباد والنسك والجوعية المتقدمة والحكماء .. »
« وكل هذه أسماء ملحوظ فيها جانب من جوانب التصوف .. وهو يجمعها كلها .. وكل منها يتطابق معه فى وجه من وجوهه أو مذهب من مذاهبه .. »

« ومن هنا يمكن أن ننظر الى تلك الكلمة « صوفى » و « صوفية » فى اطلاقها المبكر قبل الاسلام .. وبعده فى القرن الأول — فى المجال العربى — على جماعة المتعبدین أو الفرد العابد — وأن لا نكذب تلك الروايات التى تقول باطلاقها فى اللغة العربية فى ذلك الوقت المتقدم على الاسلام — على أنها من باب الكلمات الدخيلة فى اللغة العربية .. كما نعرف تطرق تلك الألفاظ اليها فى القديم فى لغات الأمم المختلفة .. »
« ثم جاء المتأخرون واعتبروها منسوبة الى الصوف فى أصح أقوالهم .. خاصة وأن لباس الصوف شاع فى عصر الجمع والتدوين والتأليف .. »

« على أن اطلاقها فى العصر الأول على العباد والنسك ليس ببعيد .. اذا عرفنا أن اتصالاً حقيقياً نشأ فى العالم الاسلامى اتصل فيه المسلمون بالفلسفة اليونانية فى العقود الاسلامية الأولى .. ذلك أن « ابن كثير » وهو مؤرخ ممتاز ذكر لنا فى بعض النصوص أن علوم الأوائل انتشرت فى العالم الاسلامى فى القرن الأول الهجرى .. والمقصود بعلوم الأوائل الفلسفة اليونانية وعلم النجوم وغيرهما من معارف يونانية لم يوافق عليها العقل الاسلامى .. »

« ... فلا مانع أن تكون قد استوردت بلفظها فى ذلك الوقت المتقدم الذى غزت فيه علوم هذا الصنف من الأجانب العالم العربى الاسلامى فى ذلك الوقت أو قبله .. اذا تذكرنا أيضاً أن الأديرة والكنائس كانت منتشرة فى الجزيرة العربية منذ القدم .. وأن العرب لم يكونوا بمعزل منهم .. وكثير منهم خالطهم واعتنق دينهم .. فضلاً

عن أن العرب كانت لهم صلات تجارية بالعالم المتمدن كله في ذلك الوقت .. والذي شاعت فيه ديانات سماوية وغير سماوية ، وفلسفات دينية وميتافيزيقية .. كما كانت هناك الى جانب تلك الصلات التجارية صلات حربية وسياسية بين العالم اليونانى من قديم .. حين غزا الاسكندر بلاد الشرق وبين العالم الرومانى والفارسى والحبشى بعد ذلك .. حتى ظهور الاسلام ..

» فالتصوف في أصله وفي لفظه ومعناه .. متقدمه ومتأخره .. استيراد أجنبى وليس من الاسلام في شيء « (٣١) .. ١ هـ .



● ويقول أستاذنا .. فضيلة الشيخ محمد الغزالى (٣٢) :

» التوحيد جوهر الاسلام ومظهره .. ولبابه وقشوره .. ودعامة التعاليم التى جاء بها .. بل هو رباط بنائه .. ولون طلائه .. ومعقد أصوله وفروعه ..

وليس الاسلام بدعا في الدعوة الى توحيد الله .. فرسل الله — قاطبة — بعثوا بهذا الايمان الخالص ، وجمعوا الناس عليه . وحذروهم من كل شائبة تعكر صفوه وتطفىء رونقه : « وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون » (٣٣) .

غير أن جماهير غفيرة من البشر أبت الا أن تزيغ عن هذا الصراط .. وأن تتشبت بأوهام سخيفة .. باعدتها عن الله .. وأحلتها البوار .. فكان كل نبي سبق .. يجىء بالحق .. ويناشد الأمم أن تثوب انيه .. حتى جاء خاتم المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .. فصدع صرح الشك .. وخط في شغاف القلوب عقيدة الايمان بالله الواحد ..

وكان القرآن الكريم — ولا يزال — النداء العالى لهذا اليقين الحق .. والمجادل القوى عما يعرض له من شبه أو يلتبس به من تخطيط ..

(٣١) نفس المرجع ص ٣٢

(٣٢) ليس من الاسلام — للشيخ محمد الغزالى — الطبعة الخامسة

(٣٣) الانبياء : ٢٥

سنة ١٩٨٣ — ص ١٦١ ، ١٦٢

ومن المؤسف .. أن المسلمين أصابهم مس من داء الاعمى السابعة ..
فظلّوا رسالتهم الجليّة بما شابوا به عقيدة التوحيد .. وبما أقحموه
عليها من بدع وخرافات ..

وهى بدع وخرافات .. تشبه ما انزلق اليه الأولون .. أو هى
ترديد لما كان من لغو .. حذوك النعل بالنعل : « **كذلك قال الذين من
قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم ، قد بينا الآيات لقوم يوقنون** » (٣٤) .
والابتداع قد يأتى بالشئ وضده معا .. ليفسد العقيدة الوسط ..
فتسوية المخلوق بالخالق شرك يفسد عقيدة التوحيد .. وكذلك
افناء الخلق فى الخالق .. ضلال لا أصل له فى هذه الملة ، وان كان
ظاهره أنه غلو فى تقدير الله .. واغراق فى مبدأ التوحيد ..
ويقول فضيلته — جزاه الله خيرا — فى موضع آخر عن « وحدة
الوجود » :

« كنا نظن أن هذه الخرافة قد انتهت بانتهاء أصحاب الشطحات
الذين اشتهروا فى التصوف القديم ..

الا أن نفرا من عصاة المسلمين — فى عصرنا هذا — عندما يتركون
حياة المجون .. ويرغبون فى العودة الى الله .. تصيبهم لوثات غريبة ..
فيحسبون أن من تمام توبتهم تغليب ذات الله على كل ما يعرض
لهم من أشخاص وأشياء .. فتراهم يخرجون من أنفسهم .. ويسلخون
العالم من خصائصه العتيدة .. وقد تتردد على ألسنتهم كلمة « الحلاج »
عندما سئل : من فى الجبة ؟ .. فقال : الله (!!)

ولما كان من المتعذر بناء سلوك عملى على هذه الفكرة .. فان
الجانحين اليها يكتفون بنوع من الجبر الذى يشل الارادة .. والتسليم
لما تفد به الأحداث .. ثم الحديث عن الله الكامن فى كل شئ حديث
استكانة وذوبان ..

وقد أصيب جمهور المسلمين برشاش من هذه الخرافة .. أوقف
نمو المنطق المادى فى بلاد الاسلام .. وخلط بالالهيات أمورا كثيرة ..
لا تمت اليها بسبب ..

ان العالم شئ يغير الله — برغم ما يقوله فريق من المتصوفة —
ولله عز وجل ذاته وأسمائه .. وحقوقه التى فصلت تفصيلا فى كتبه
المنزلة ..

وهناك فرق كبير .. بين وحدة الوجود .. ووحدة الشهود ..

ان المرء قد يستغرق في النظر الى مسألة ما .. استغراقا يذهله عما حوله .. وربما نودى — وهو غارق في بحار الفكر — فلا يسمع النداء ..

فهل هذه الصورة من صور الانحصار الذاتى .. تعنى فناء ما حول الانسان .. لأن الانسان غائب عنه بفكره ؟

والشمس تطلع فتغمر بأشعتها الساطعة أرجاء الكون .. فلا يمكنك أن ترى في الأفق البعيد أو القريب نجما .. حتى اذا عاد الليل ونشر ظلامه أخذت النجوم المختفية عن العين تلوح فرادى وجماعات ..

هل غلبة أشعة الشمس عليها تعنى لمن لا يراها أنها معدومة ؟ .. ان من المؤمنين الأخيار من يعيشون في أنوار الله معيشة رفيعة .. رسخوا في مقام الاحسان حتى ألفوا أطواره الزاهية ..

ومقام الاحسان — كما عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم — « أن تعبد الله كأنك تراه .. فان لم تكن تراه فانه يراك » (٣٥) .

وهذا الالف يصح أن نطلق على حقيقته « وحدة الشهود » .. وهو منحى يغاير تمام المغايرة « وحدة الوجود » .. وان اختلط الأمران على القاصرين ..

وأكثر الذين يعتنقون فكرة ما .. أو تسيرهم عاطفة خاصة .. يقيسون ما يلقاها من شئون الحياة على شئونها .. ألا ترى الرجل الغزل يقول :

لا أرى الدنيا على نور الضحى بل أرى الدنيا على نور العيون

فليس عجيب أن يوجد مؤمنون تستولى على مشاعرهم عاطفة دينية .. تجعل نشاطهم كله محصورا في مرضاة الله .. وتجعل نظرتهم للأمور من هذه الزاوية الخاصة وحدها ..

بل في هذا يساق الحديث المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. أن الله قال : « من عادى لى ولينا فقد آذنته بالحرب » .. وما تقرب الى عبدى بشيء أحب الى مما افترضت عليه .. وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه .. فاذا أحببتك كنت سمعه الذى

يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله
التى يمشى بها .. ولئن سألتنى لأعطينه .. ولئن استعاذنى لأعيذنه » ..
فالحديث يشير الى مرتبة التفانى فى ارضاء الله تفانيا يجعل حواس
المرء وجوارحه مسخرة فى طاعة الله وحده ..

ولا يعنى — ألبتة — أن ادمان العبادة ينتهى بحلول أو اتحاد
كما يتصوره بعض السذج .. أو ينتهى على القليل بطور خارق
لنواميس المعتادة .. كما صور ذلك المتصوفة فى حديث مكذوب :
« عبدى .. أطعنى أجعلك ربانيا .. تقول للشئ كن فيكون » (٣٦) ..



وبعد .. لقد آثرنا فى الصفحات القلائل المتقدمة أن ننتحى جانبا ..
وأن نترك الحديث لفضيلة الشيخ محمد الغزالي .. ومن قبله للأستاذ
الدكتور ابراهيم هلال .. ولم نتدخل فى السياق الا عند اختيار بعض
الفقرات .. أو التنسيق بينها ..
وليس معنى التزامنا موقف الحياد أن نقف سلبيين ازاء هذه
القضية الخطيرة ..

فنحن ندين بالاسلام .. ونتعصب للتوحيد .. عقيدة الاسلام ..
ولا يمكن أن نقف مكتوفى الأيدي .. ونحن نرى عقيدتنا تتعرض
للطعن والهجوم من أعدائها .. بسبب خرافات وأوهام دخيلة ..
ألصقها بعض القوم زورا بالاسلام .. وجعلت منه هدفا سهلا لأعدائه ..
فاللهم افتح لنا البصائر مكان العيون .. وفهمنا الحقائق مكان
الظنون .. واكفنا شر نفوسنا وأهوائنا .. واجعلنا ممن يحب فى
الله .. ويكره لله .. لا لهوى نفوسنا ..

وارحمنا وعافنا واعف عنا .. واشرح صدورنا .. وكفر عنا
سيئاتنا .. وتوفنا مع الأبرار ..



* الوجه الآخر للعملة :

قلنا اننا لا نعادى الأولياء أو نكرهم .. بل نجلهم ونحترمهم ..
ونؤمن بأن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ..

كما قلنا اننا لا نشن حربا على الصوفية .. أو نريدها مع الصوفيين ..
فليس بيننا وبين تصوفهم تارات أو أحقاد ..

ولكننا نكره الخرافة باسم الولاية .. ونحارب التضليل باسم الدين .. ونعادي الكفر في الاسلام ..

اننا نبغى ازالة ما علق بالتصوف الاسلامى من أباطيل .. فلا يمكن لذى عقل سليم أن يصدق ما يزعمه هؤلاء القوم من خرافات وأكاذيب ..
تسبى الى التصوف نفسه .. قبل أن تسبى الى الاسلام !!

وقد عرضنا رأى الاسلام فى أمور الغيب .. وناقشنا مسألة أهل الشريعة وأهل الحقيقة ، وعلم الظاهر وعلم الباطن !!
بقى أن نرى الوجه الآخر للعملة .. ونستمع الى رأى امام جليل من أئمة الصوفية المعتدلين ..

● يقول فضيلة الامام الأكبر .. الدكتور عبد الحليم محمود ..
شيخ الأزهر الأسبق .. وامام الصوفية فى عصرنا هذا عن التصوف (٣٧) :
« ان اليقين الذى لا شك فيه .. هو أن الانسان فى هذه الدنيا الى انتهاء .. وأن الحق الذى لا مرية فيه أن أجل الله آت لا مناص ..
لقد حدد سبحانه الآجال : « فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ، ولا يستقدمون » (٣٨) .

والمؤمن يعرف أن فى عقد ايمانه .. أن الحياة الدنيا فانية ..
وقد تكون ساعات .. وقد تكون شهورا أو سنين .. ولكنها مهما طاللت فانها الى زوال ..

ويعرف المؤمنون قول الله تعالى : « والآخرة خير وأبقى » (٣٩) ..
وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء عبثة » ..

ويعرف المؤمنون أن الانسان مجزى بعمله : ان خيرا فخير .. وان شرا فشر .. وأن الأمر كما يقول الله تعالى : « وكل انسان لزمناه طائره فى عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسييا » (٤٠) ..

(٣٧) فى كتابه : « سلطان العارفين .. ابو يزيد البسطامى »
نشر دار التراث العربى — ص ٩١ وما بعدها .

(٣٩) الاعلى : ١٧

(٣٨) النحل : ٦١

(٤٠) الاسراء : ١٣ ، ١٤

وأَنَّهُ : « فَمَنْ يَعْمَل مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ • وَمَنْ يَعْمَل مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » (٤١) •

وَمِنْ أَدَقِّ أَوْصَافِ الشُّعُورِ الصَّادِقِ تَجَاهَ كَلِمَةِ اللَّهِ الْآخِرَةِ هَذِهِ • •
أَنَّهُ حِينَئِذٍ سَمِعَهَا أَحَدُ الصَّاحِبَةِ قَالَ : « حَسْبِيَ أَنْ لَا أَسْمَعَ غَيْرَهَا » • •
وَيَعْرِفُ الْمُؤْمِنُونَ أَنَّ الْقَبْرَ أَمَّا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ • • وَأَمَّا
حَفْرَةٌ مِنْ حَفْرِ النَّارِ • •

وَيَعْرِفُ الْمُؤْمِنُونَ — مَعَ كُلِّ هَذَا — أَنَّ نَعَمَ اللَّهِ عَلَى الْإِنْسَانِ الَّتِي
لَا تَحْصَى وَلَا تَعْدُ تَتَطَلَّبُ الشُّكْرَ • • وَشُكْرُهَا أَمَّا هُوَ اسْتِعْمَالُهَا فِي مَرْضَاةِ
اللَّهِ سُبْحَانَهُ • • وَشُكْرُهَا — حِينَئِذٍ يُوْدَى — يَدِيمُهَا وَيَزِيدُهَا : « لئن
شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ » (٤٢) •

وَكَانَ مِنَ الْوَاجِبِ — اذْنِ — أَنْ يَسِيرَ الْمُؤْمِنُونَ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي
رَسَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ • • وَأَخَذَ الْعَهْدَ عَلَيْهِمْ فِي عَقْدِ الْإِيمَانِ أَنْ
يَسِيرُوا فِيهِ • • وَخُصُوصًا لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ :
أَوَّلًا — أَنَّ هَذَا الطَّرِيقَ الَّذِي رَسَمَهُ سُبْحَانَهُ لِلْأَفْرَادِ • • وَرَسَمَهُ
لِلْجَمَاعَاتِ هُوَ طَرِيقٌ مَعْصُومٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ
خَلْفِهِ • • وَمَا دَامَ طَرِيقًا مَعْصُومًا فَانْه لَا يَتَأْتَى لِعَاقِلٍ أَنْ يَتْرَكَهُ لِيَسِيرَ
فِي طَرِيقِ خَطِ الْبَشَرِ الَّذِينَ لَيْسُوا بِمَعْصُومِينَ • •

ثَانِيًا — وَمِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ • • أَنَّ الْإِنْخِرَافَ عَنْ طَرِيقِ اللَّهِ إِلَى
الطَّرِيقِ الْبَشَرِيِّ خَلَلٌ فِي الْإِيمَانِ • • وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ الَّذِينَ يَسِيرُونَ فِيهِ
بِأَقْسَى مَا يُوصَفُ بِهِ الْإِنْسَانُ • • أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ فِي حَقِّ الَّذِينَ لَا
يَحْكُمُونَ بِمَا أَنْزَلَ فِي أَنْفُسِهِمْ وَفِي أَسْرِهِمْ وَفِي مَجْتَمَعِهِمْ : « وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ » (٤٣) ، « وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » (٤٤) ، « وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ
هُمُ الْفَاسِقُونَ » (٤٥) •

وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّى يَحْكُمُوا بِمَا فِي شَجَرِ بَيْنِهِمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا
قَضَيْتَ وَيَسْلَمُوا تَسْلِيمًا » (٤٦) •

(٤٢) إِبْرَاهِيمَ : ٧
(٤٤) الْمَائِدَةُ : ٤٥
(٤٦) النِّسَاءُ : ٦٥

(٤١) الزَّلْزَلَةُ : ٧ ، ٨
(٤٣) الْمَائِدَةُ : ٤٤
(٤٥) الْمَائِدَةُ : ٤٧

تحكيم رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته .. وتحكيم سنته بعد انتقاله الى الرفيق الأعلى .. وتحكيم رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد مماته هو تحكيم الوحي المنزل المعصوم من قبل الله تعالى ..

وسارت الأمور على هذا الوضع — رعاية حقوق الله في النفس والأسرة والمجتمع — فترة من الزمن ..

ثم بدأ نوع من الانفصال بين الحاكم الخليفة والحاكم ، الحاكم — ملكا او رئيس جمهورية — وأرخی هذا النوع من الانفصال — وهو لم يكن تاما — نوعا من التراخي في تطبيق الدين في النفس والأسرة والمجتمع .. فهب طائفة من العلماء للتبشير والوعظ والارشاد حتى تستمر راية الدين خفاقة في النفس والأسرة والمجتمع .. وكان هؤلاء العلماء يتمثل فيهم حقيقة الخلافة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .. وصدق فيهم قوله : « وان العلماء ورثة الأنبياء .. وان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما .. انما ورثوا العلم .. فمن أخذ أخذ بحظ وافر » ..

وهذه الوراثة هي وراثة الدعوة ووراثة الهداية ..

ولقد استدرجوا النبوة بين جنبيهم .. كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم .. وساروا بنورها مهديين هادين في مختلف الأجواء ..

وكانوا أقرب الناس درجة من النبوة .. وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الكلمات الجميلة : « وأقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد .. أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل .. وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيا فهم على ما جاءت به الرسل » ..

وساروا — هؤلاء العلماء — ناصحين للحكام وللرعية .. كانوا مصابيح هداية للأوساط الحاكمة .. ومصابيح هداية للشعب .. وكانت مهمتهم بيان شرع الله لهؤلاء وأولئك .. وقد نفضوا أيديهم من دنيا الملوك وأموالهم .. وعاشوا من كسب أيديهم .. فلم يبق في وجه حريتهم مال الملوك ولا دنياهم .. فكانوا بذلك مثلا كريمة للاخلاص لله ولرسوله .. وقد قاموا بالدعوة خير قيام .. وحققوا ما رسمه الله سبحانه للدعاة .. وبينه لهم في القرآن الكريم .. ومن ذلك ما يقوله

سبحانه : « قل هذه سبيلي ادعوا الى الله ، على بصيرة أنا ومن اتبعني » (٤٧) ..

والبصيرة هي التزود من العلم الرباني ..
فتزودوا من أجل ذلك بالعلم قرآنا وسنة .. فكان منهم أعلام
التفسير .. وأمرء المؤمنين في الحديث .. وأنتج العلم في التفسير
وإحديث العلم بالفقه فكان منهم كبار الفقهاء ..
ومما رسمه الله للدعاة أن تكون خشيتهم له وحده .. يقول سبحانه :
« الذين ييلفون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله ، وكفى
بالله حسيبا » (٤٨) ..

كفى بالله حسيبا — سبحانه — لمن يخشاه ولا يخشى الا هو
تعالى .. » ..

ثم يقول فضيلة الامام الأكبر : « ... والأمر الثالث .. مع العلم
والاخلاص الذي يتمثل في خشية الله وحده .. هو أسلوب الدعوة :
« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي
أحسن » (٤٩) ..

ويقول الله تعالى لموسى وأخيه هارون عليهما السلام حينما أرسلهما
الى فرعون : « فقولوا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى » (٥٠) ..
لابد من العلم بموضوع الدعوة ..
ولابد من الاخلاص لله وحده ..

ولابد من العرض الجميل بحسب مقتضى حال المدعويين ..
وهذه الصفات كلها استكملها دعاة الاسلام الأول ..

ولكن كثيرا من الحكام .. وكثيرا جدا من بطانتهم .. بل وبعض
أفراد الشعب من ذوى الشهوات والنزعات كانوا يضيقون ذرعا بهؤلاء
الدعاة .. وانه كما يقول سبحانه : « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
من المجرمين » (٥١) ..

هؤلاء الأعداء من المجرمين .. ماذا كانت نزعتهم التى توجههم
وتقودهم ؟

(٤٨) الأحزاب : ٣٩

(٥٠) طه : ٤٤

(٤٧) يوسف : ١٠٨

(٤٩) النحل : ١٢٥

(٥١) الفرقان : ٣١

انها شهواتهم .. انهم المترفون الذين تحدث عنهم القرآن كثيرا .. يأمرهم الدعاء بالفضيلة فلا يأتون الا الرذيلة .. يقول سبحانه : « **واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه** » (٥٢) .

وقال : « **وما أرسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون** » (٥٣) .

وقال : « **واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها — أى أمرناهم بالفضيلة فأبوا — ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا** » (٥٤) .

وأخذ الملوك .. وأخذت بطانتهم تفكر في كيفية التخلص من هؤلاء العلماء .. وكانت الطرق متعددة ..

لقد استعمل الحكام طريق الرهبة .. فكان الغضب .. وكان التكتيل .. ولكن ذلك لم يكن حاسما بالنسبة لكثير من العلماء الذين آثروا الله ورسوله ..

ولما رأى الملوك ذلك اتخذوا مع طريق الرهبة — طريق الرغبة .. فكانت المناصب .. وكان المال .. وكانت الدنيا ..

ومن لم تثنه الرهبة أطمعته الرغبة !!

ومن كان فقيرا جذبه المال !!

ومن كان غنيا جذبته الرياسة ، وجذبتة المناصب !!

وتعام العالم كثير من الناس ممن لا هم لهم الا دنياهم .. وساروا — بعلمهم — في ركاب الأمراء والملوك .. وتغلب السفلة على الأشراف .. وتغلبت المداهنة على الاخلاص .. وكذلك كان أمر التاريخ في كل الحضارات والدول ..

ولكن بقى في الجو طائفة من العلماء حافظوا على أمر الله .. ورفعوا علم السنة .. وحملوا الدعوة ..

وإن يخلى الله العالم من دعاة اليه .. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق .. لا يضرهم من خذلهم .. ولا من خالفهم الى أن تقوم الساعة » .. وهو حديث يملأ النفس أملا .. ويمسك الأمل في النفس .. والثقة بأن الحق تحمله طائفة عن طائفة .. الى أن تقوم الساعة ..

(٥٣) سبأ : ٣٤

(٥٢) هود : ١١٦

(٥٤) الاسراء : ١٦

وقدر الله سبحانه أن تقوم من بين هذه الطائفة صفوة هي صفوة العلم .. تجردت الى الله سبحانه في النية .. وفي القول .. وفي العمل .. فكانت اخلاصا لا يشوبه نفاق .. والوا الله فوالاهم .. وطرقوا بابا عن طريق العبودية ففتح لهم .. قبلهم في رحابه .. وأنار قلوبهم بنوره .. أحبهم وأحبوه .. ورضى عنهم ورضوا عنه .. لم تفتنهم الدنيا بزخرفها .. ولم تغرهم قصور هارون الرشيد .. ولا رياض المأمون .. ولا مواكب البرامكة .. لقد كان هدفهم الله تعالى : « وأن الى ربك المنتهى » (٥٥) .

وقدوتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » (٥٦) .

حاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا .. ووزنوها قبل أن ينصب لهم ميزان الحساب يوم العرض الأكبر .. « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » (٥٧) .. انهم الصوفية ! » .



ويتساءل فضيلة الامام الأكبر فيقول (٥٨) : « ما هو التصوف .. وما هي سمات الصوفية ؟ »

ويجيب : سأل رجل أبا يزيد عن التصوف فقال : « طرح النفس في العبودية .. وتعلق القلب بالربوبية .. واستعمال كل خلق سنى .. والنظر الى الله بالكلية » .

وهذا تعريف للتصوف .. ورسم لصفات الصوفية من حيث جو نفوسهم وقلوبهم .. وأخلاقهم .. وغايتهم الأخيرة هي الله !! » . فهم منغمسون دائما فيما يحب .. بعيدون باستمرار عما ينهى عنه .. ويبدأ طريقهم بالتوبة الصادقة .. يقول فضيلته :

« والتوبة ألوان .. منها التوبة من المعاصي وهي فرض .. وبعض الناس يظن أنها التوبة لا غيرها فلا توبة الا اذا كانت معصية .. ولكن الأمر غير ما يظن هؤلاء .. فهناك التوبة من الغفلة .. وهناك توبة العبودية .. وتوبة الطاعة » ..

(٥٦) الأحزاب : ٢١

(٥٥) النجم : ٤٢

(٥٨) المرجع السابق ص ٩٨

(٥٧) الشعراء : ٨٨ ، ٨٩

يقول سبحانه : « ان الله يحب التوابين » (٥٩) .. انه سبحانه لم يقل : ان الله يحب التائبين .. وانما قال : « التوابين » .. أى الذين يكثرون من التوبة .. يتوبون حيث لا ذنب .. يتوبون توبة عبادة .. وتوبة عبودية !! » (٦٠) .

واذا صدقت التوبة استتبع المجاهدة .. ومن المجاهدة أن يركز الانسان كيانه كله في اتجاه واحد .. هو الاتجاه نحو الربوبية ! ومن عرف الله فانه يزهد في كل شيء يشغله عنه .. واذا صدقت التوبة دفعت الى العبادة والعبودية .. فان العبادة اذا لم تتسم بالعبودية فانها لا تكون كاملة ..

والمعرفة أقسام .. معرفة العوام .. ومعرفة الخواص .. ومعرفة خواص الخواص .. فمعرفة العوام معرفة العبودية ، ومعرفة الربوبية ، ومعرفة الطاعة ، ومعرفة المعصية ، ومعرفة العدو والنفس .. ومعرفة الخواص معرفة الاجلال والعظمة ، ومعرفة الانسان والمنة ، ومعرفة التوفيق ..

وأما معرفة خاص الخاص .. فمعرفة الأنس والمناجاة .. ومعرفة اللطف والتلطف .. ثم معرفة القلب .. ثم معرفة السر .. ولا تتنافى كل واحدة من هذه الأنواع مع الأخرى ولا تتعارض معها .. وجميعها ضرورية للسالك والمعارف » (٦١) .

* * *

وعن مصادر علم الصوفية يقول فضيلته (٦٢) مستشهدا بقول أبو يزيد البسطامي :

« الحقيقة في العلم والاجتهاد » .. أى العلم والعبادة .. وذلك ينتج الصفاء والالهام ..

والالهام الصادق هو هدف العلماء الربانيين الذين يسرون على طريق القرآن في قوله عن موسى وفتاه : « فوجدنا عبدا من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وطمناها من لدنا طما » (٦٣) .

(٦٠) المرجع نفسه ص ٩٩

(٦٢) نفس المرجع ص ٣٥

(٥٩) البقرة : ٢٢٢

(٦١) نفس المرجع ص ١٠١

(٦٣) الكهف : ٦٥

إن الصوفية يسعون إلى هذا النمط من العلم .. وهذا النمط من العلم يتأتى بتوفيق الله من الجمع بين العلم الكسبي والعبادة .. بشرط أن يكون العلم الكسبي علما اتباعيا » ..

« ... ولقد ضرب الصوفية بسهم وافر في العلم الكسبي .. وكانوا أئمة في هذا المجال .. وقد سبق أن كتبنا ما يلي : « أما عن الصوفية والعلم فإن الصوفية يملكون العلم الاسلامي في قمته .. وفي جميع فروع .. في الفقه وفي التفسير وفي الحديث وفي الأخلاق » .

ثم يقول فضيلته (٦٤) : « وما كان علم الكتب هو غايتهم الأخيرة .. وإنما مع علم الكتب كان طموحهم إلى العلم الوهبي .. العلم الذي يمنحه الله لبعض عباده .. العلم الذي سافر موسى عليه السلام سفرة شاقة مجهدة ليلتقي في نهايتها مع عبد من عباد الله تعالى .. علمه الله من لدنه علما ..

« ... وهو علم يمنحه الله لمن حقق له العبودية .. ولأن هذا العلم — وهو مطمحهم الأخير — لا يتأتى إلا باخلاص العبودية لله .. ولأن اخلاص العبودية لا يتأتى إلا بأن يكون الاستغراق في العمل — صلاة وذكر وصيام — من الأسس الجوهرية في حياة الانسان .. فانهم اتجهوا في صورة موفقة إلى العمل ..

لقد أخذوا الكتاب بقوة .. وكانوا أتقياء .. فأفاض الله عليهم من الهاماته .. واتسم ما دونوه بطابع الروحانية .. واتسم بالانضرة .. وكان طابعه أن يزكو على مر الزمن ..

« ... انهم يفرقون بين نوعين من العلم .. علم كسبي من الكتب ومن المعلمين .. وعلم وهبي — أي الهام عن الله تعالى — وكلا العلمين أثبتهما الله سبحانه وتعالى » ..

* * *

وعن التوكل عند الصوفية يقول فضيلته (٦٥) :

« يمكننا أن نعرف الاسلام بمجموعة من التعاريف تتناسق وتتألف .. ويشرح بعضها بعضا ..

يمكننا أن نعرفه أولا بهذا التعريف الجميل الذي عرفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما سئل عن الاسلام ما هو ؟ فقال : « أن يسلم الله قلبك .. وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك » ..

(٦٥) المرجع نفسه ص ١٠٧

(٦٤) المرجع نفسه ص ٣٨ ، ٣٩

ويمكننا أن نعرفه بالتوحيد .. والله سبحانه وتعالى يقول :
« وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه إنه لا إله إلا أنا
فاعبدون » (٦٦) .

ويمكننا أن نعرفه بأنه المفهوم لقوله تعالى : « اياك نعبد واياك
نستعين » (٦٧) .

ويمكن أن نعرف الاسلام بأنه اسلام الوجه لله .. والله سبحانه
وتعالى يقول : « ومن احسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن » (٦٨) .
وكل هذه التعريفات ينبثق عنها التوكل .. بل ان التوكل على الله
جزء من أجزائها لا ينفك عنها ..

لقد أمر الله سبحانه وتعالى به .. جاعلا منه صفة لا تتفك عن
الايمان قائلاً : « وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين » (٦٩) .
ويأمر به سبحانه أمراً مطلقاً كل مؤمن فيقول : « وعلى الله
فليتوكل المؤمنون » (٧٠) .

وللتوكل صور كثيرة .. منها صورة التفويض ..

وصورة التفويض هذه تحدث عنها القرآن الكريم بمناسبة قصة
رجل مؤمن صادق الايمان .. وقف ناصحاً في وجه الطغيان والجبروت ..
يدعو الى الله ، ويبشر بالتعاليم الصادقة .. وينذر ويهدد بالعقاب في
أسلوب قوى لا يخشى في الله لومة لائم .. تلك هي قصة مؤمن
آل فرعون ..

وبعد أن يذكر فضيلته قصة مؤمن آل فرعون كما جاء بها القرآن ..
يستخلص منها النتيجة .. وهي ما قصه الله سبحانه بقوله : « فوقاه الله
سيئات ما مكروا ، وحاق بآل فرعون سوء العذاب » (٧١) .

ثم يقول فضيلته (٧٢) : « ومن كل ما تقدم ننتهي كما بدأنا بالقول
بأن التوكل جزء لا يتجزأ من الايمان .. والصورة المثلى فيه هي صورة
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان امام المتوكلين .. وكان امام
المناضلين ..

(٦٧) الفاتحة : ٥

(٦٩) المائدة : ٢٣

(٧١) غافر : ٤٥

(٦٦) الانبياء : ٢٥

(٦٨) النساء : ١٢٥

(٧٠) التوبة : ٥١

(٧٢) المرجع نفسه ص ١١٠

ولقد سئل يحيى بن معاذ .. متى يكون الرجل متوكلا ؟ فقال :
إذا رضى بالله وكيلا ..

ويتحدث القرآن عن بعض الظروف التي ظهر فيها أن المؤمنين
الصادقين هم الذين يتخذون الله وكيلا .. يقول سبحانه وتعالى عن
المؤمنين في عزوة أحد : « الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا
لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » (٧٣) ..

ماذا كانت النتيجة ؟ .. انها ما عبر الله سبحانه عنها بقوله :
« فَاَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنْ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانِ اللَّهِ ،
وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ » (٧٤) .

وبعد أن يعرض فضيلته موقف المسلمين والمشركين يوم أحد
يقول : « وَالتَّوَكَّلْ أَوْزَى — وَالتَّوَكَّلْ يَتَّخِذُونَ الْأَسْبَابَ .. وَيَسْتَعِدُّونَ
كَأَكْمَلِ مَا يَكُونُ الْأَسْتِعْدَادُ .. وَأَدَقِ مَا يَكُونُ الْأَسْتِعْدَادُ ..

وبعد .. فان الامام القشيري يقول : « واعلم أن التوكل محله
القلب .. والحركة بالظاهر لا تنافي التوكل بالقلب بعد ما تحقق العبد
أن التقدير من قبل الله تعالى .. فان تعسر شيء فبالتقديره .. وان اتفق
شيء فبالتيسيره .. »

التقدير من قبل الله تعالى .. واذا آمن الانسان بذلك — ولا بد
أن يؤمن به — فهو متوكل ..

والتوكل يتخذ الأسباب اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ..
ويتلون التوكل بحسب درجاته .. ويأخذ اسما تبعا لدرجته .. فيكون
توكلا .. ويكون تسليما .. ويكون تفويضا ..

والتوكل بداية هذا المقام الروحي . والتسليم واسطة .. والتفويض
نهاية .. ان كان للثقة في الله نهاية ..

ومع ذلك .. فان كلمة التوكل تطلق على كل درجاته .. وتستعمل
في كل أنواعه ..



وعن الحب عند الصوفية يقول فضيلة الامام الأكبر (٧٥) :
« الذين يدعون المحبة لله ورسوله كثيرون .. والصادقون منهم قليلون .. »

« ... ولقد وضع القرآن مقياسا لهذا الحب .. يقول تعالى :
« قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » (٧٦) .
ان الحب في الجو الاسلامي اتباع .. اتباع في العقيدة ، واتباع في السلوك !

وقد وجد قوم تركوا العمل .. وقالوا : نحن نحسن الظن بالله ..
فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم كذبوا .. وقال صلى الله عليه وسلم : « لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل » ..
ويقول فضيلة الامام : « ومن أجمل ما كتب الكاتبون في الحب ما كتبه أبو يزيد شارحا الصورة الاسلامية في سموها وجمالها وجلالها .
عن حب الله سبحانه .. فقد حدث ابراهيم بن محمد الخواص قال : سمعت أبا يزيد البسطامي يقول : « ظاهر الصدق وباطنه سواء » ..
ولقد اشترك الايمان والحب في قلب الصديق .. فكلما ازداد الايمان ازداد الحب في الله .. قال الله تعالى : « والذين آمنوا أشد حبا لله » (٧٧) .

فاذا قال ذلك رمى قوس الدنيا بالفرقة .. وقطع حلقوم الطمع بسكين الاياس .. وألجم نفسه بلجام الخوف .. وساقها بسوط الرجاء .. ولبس قميص الصبر .. وتردى برداء التصابر .. واستوى عنده المنع والعطاء .. والشدة والرخاء .. والندم والثناء .. فسقط من ظاهره وباطنه التصنع .. فليس عنده فرق بين الدائق والدينار .. لعلمه أنه لو بورك في الدائق كان أعظم بركة من الدينار !
فاذا كانت هذه حالته قالت الجنة : اللهم أدخل هذا العبد بين ساكني .. فكانت الجنة طالبة له دونه !

واذا رآته النار على هذه الحالة علمت أن نوره يطفىء شررها .. فتعوذت النار منه !
فلو عرج بذلك العبد أعلى عليين لكان شكره ذلك الشكر الذي كان في أعظم البلاء !

(٧٦) آل عمران : ٣١

(٧٥) نفس المرجع ص ١١٧

(٧٧) البقرة : ١٦٥

ولو أنزله الله من أعلى العليين فأسكنه الدرك الأسفل من النار ..
لكان شكره ذلك الشكر الذي كان في أعلى العليين !!



أما عن الحجب عند الصوفية فيقول فضيلته (٧٨) :

« ويعتبر ذو النون — في النهاية — أن الزهد حجاب .. فالزاهد
محجوب بزهد .. ينظر إليه ويقدره ويعتبره ..

ولعل نظرة أبي يزيد تلتقى في الزهد — زهد الزاهدين لا زهد
الصوفية — بنظرة ابن سينا ..

وابن سينا يقول عن زهد الزاهدين : « الزهد عن غير العارف
معاملة ما .. كأنه يشتري بمتاع الدنيا متاع الآخرة » ..

وكلام ابن سينا يعنى أن غاية الزاهد — الذى ليس بصوفى —
من الامتناع عن طيبات هذا العالم أن يمنحه الله فى الدار الآخرة الذى
وأمتع .. انه كتاجر يشتري بمتاع الدنيا متاع الآخرة ..

أما الزاهد العارف — فيما يرى ابن سينا — فانه : « تنزه عما
يشغل سره عن الحق .. وتكبر عن كل شئ غير الحق » !!

أى أن زهد العارف انما هو سمو بنفسه عن كل ما يشغله عن الله
تعالى .. وترفع عن الدنيا .. تلك التى لا تساوى عن الله جناح بعوضة ..

والحجاب الثانى : العبادة ..

انه لا مناص من العبادة .. ولكن اذا نظر الانسان الى العبادة
على أنها وسيلة للتقدير فقد أصبحت حجابا ..

ان العابد اذا رضى عن نفسه لأنه صلى مثلاً واعتبر صلاته من
الأمور التى تضعه فى مكانة رفيعة .. فقد أصبحت صلاته حجابا .. أى
أنها وان أسقطت عنه الفرض .. وأكسبته حسنات فأنها — على الوضع
الذى هو عليه — لا تؤدى به الى القرب .. والله سبحانه وتعالى يقول :
« ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا » (٧٩) .

ثم يقول (٨٠) : « والعبادة على هذا النسق حجاب عن القرب ..

(٧٩) النور : ٢١

(٧٨) المرجع نفسه ص ١٢٦

(٨٠) المرجع نفسه ص ١٢٩

والحجاب الثالث : حجاب العلم ..

العلم الشكلى الذى هو التعمق فى كلام المتكلمين .. وفى الجدال فى المتشابه .. العلم النظرى الذى لا يفيد العمل ولا يحفز على الترقية ..

وإذا كان الله سبحانه قد مدح العلماء .. وإذا كانت مكانة العلم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمكانة السامية .. فإنه العلم الذى لا يصرف عن الله .. بل يقودنا الى زيادة معرفة به ..

والواقع أن العلم سواء أكان ماديا أو روحيا إنما هو زيادة معرفة لله .. لأنه بيان عن آثار صفاته .. فإذا ما بعث فى النفس الكبرياء والخيلاء .. وأصبح العلم فى مثل كبرياء إبليس بعلمه .. فإنه يطرد من رحمة الله ..

وإذا أنتج العلم الخشية .. فإنه ينتج القرب من الله تعالى .. يقول سبحانه : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » (٨١) .

* * *

وبعد .. ليس لنا بعد ما سقنا من آراء فضيلة الامام الأكبر أى تعقيب .. فقد طرحنا كل ما عندنا فى هذه القضية .. وعرضنا مختلف الآراء حولها .. ولعل القارئ قد لمس موقف الحياد الذى التزمناه أزاءها ..

والله نسأل أن يوفق المسلمين الى اتباع كتابه والالتزام بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ..

يقول الله تعالى : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر » (٨٢) .. صدق الله العظيم ..

ويقول صلى الله عليه وسلم : « تركتكم على المحجة البيضاء .. ليلها كنهارها .. لا يزيغ عنها الا هالك » .. صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

السحر والكهانة !!

● وانكاهن .. والساحر .. والعراف .. والمنجم لا يعلمون الغيب .. وليس لهم قدرة التدخل في تغيير المقادير التي قدرها الله على عباده ..

يقول الله تعالى : « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو » (١) .
ويقول : « قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله » (٢) .

ويقول : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا . الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا » (٣) .
ويقول جل شأنه : « ولا تقف ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » (٤) .

ويقول : « ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون » (٥) .

لقد كان الكهنة قديما يدعون معرفة الغيب .. وينسبون لأنفسهم القدرة على تعاطي أخبار المستقبل ، ومعرفة أسرار الناس والاطلاع على ضمائرهم !!

ومنهم من كان يزعم أن له تابعا من الجن ورثيا يلقي اليه بالأخبار !!

ومنهم من كان يزعم معرفة الأمور بمقدمات أسبابها .. وأنه يستدل بهذه المقدمات على مواقعها من كلام السائل أو فعله وحاله !!
ومثل هؤلاء في زماننا هذا — العرافون الذين يدعون معرفة الأشياء المسروقة .. والاخبار عن أماكن الضوال والمخبئات !!

(٢) النمل : ٦٥

(٤) الاسراء : ٣٦

(١) الانعام : ٥٩

(٣) الجن : ٢٦ ، ٢٧

(٥) الامراف : ١٩٦ ، ١٩٧

وهذا كله باطل .. نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم وشدد في التحذير منه ..

عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من تطير أو تطير له .. أو تكهن أو تكهن له .. أو سحر أو سحر له .. ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد — صلى الله عليه وسلم — » (٦) .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أتى كاهنا فصدقه بما قال فقد كفر بما أنزل على محمد — صلى الله عليه وسلم — » (٧) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد برىء مما أنزل على محمد — صلى الله عليه وسلم — ومن أتاه غير مصدق له لم تقبل منه صلاة أربعين ليلة » (٨) .

وعن واثلة بن الأسقع رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أتى كاهنا فسأله عن شيء حجبته عنه التوبة أربعين ليلة .. فان صدقه بما قال كفر » (٩) .

وعن أبي الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لن ينال الدرجات العلا من تكهن .. أو استقسم .. أو رجع من سفره تطيرا » (١٠) .

[والاستقسام : ضرب القداح ، فقد كانوا اذا قصدوا فعلا استقسموا بالأزلام : أى القداح] .

وعن صفية بنت أبي عبيد رضى الله عنها عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما » (١١) .

روى البخارى ومسلم عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الملائكة تنزل من العنان — أى السحاب — فتذكر الأمر قضا في السماء فيستترق الشيطان

(٦) رواه البزار .

(٧) رواه الطبرانى .

(٨) رواه مسلم .

(٩) رواه البزار .

(١٠) رواه الطبرانى .

(١١) رواه الطبرانى .

السمع فيسمعه فيوحيه الى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم» .

وعنها رضى الله عنها قالت : سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أناس عن الكهان فقال : ليس بشيء .. قالوا : يا رسول الله .. أليس قد قالوا كذا وكذا ؟ .. فقال : تلك الكلمة من الحق يحفظها الجنى فيقرها في أذن وليه — أى يلقيها — فيخلط معها مائة كذبة » .



● والسحر في حقيقته خداع وتخيل .. يقول الله تعالى عن سحرة فرعون : « فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم » (١٢) . ويقول عن موسى عليه السلام : « فاذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى » (١٣) .

ويقول جل شأنه : « انما صنعوا كيد ساحر ، ولا يفلح الساحر حيث أتى » (١٤) .

كما أنه سلب لأموال الناس بالباطل .. بما يفعله المشعوذون من صرف الأنظار الناس عما يأتونه من خفة في أيديهم .. فيبهرونهم بما يفعلون .. ويسلبونهم أموالهم بعد أن اعتقدوا فيهم القدرة على اتیان الخوارق ..

والسحر أنواع .. فقد يكون باستجلاب معاونه الشيطان بالتقرب إليه وتسخيره في معرفة الأخبار .. وفي هؤلاء يقول الله تعالى : « هل أنبئكم على من تنزل الشياطين » تنزل على كل أفاك أثيم » (١٥) .

وقد يكون بادعاء معرفة الاسم الأعظم لايهام الناس بأن الجن يطيعونهم .. فينتاد لهم ضعاف العقول من الناس !!

وقد يكون بأخذ العيون والتخيل بتركيب آلات هندسية .. كما فعل سحرة موسى .. فقد أتوا بحبالهم وعصيهم وأدخلوا فيها من الزئبق ما يجعلها تتحرك كأنها حيات تسعى !!

وقد يكون بالاستعانة بالأدوية الملبدة للشعور المزيلة للعقل !!

وقد يكون بعبادة الكواكب والاستعانة بالأرواح السفلية .. الخ !!

(١٣) دلہ : ٦٦

(١٢) الاعراف : ١١٦

(١٥) الشعراء : ٢٢١ ، ٢٢٢

(١٤) طہ : ٦٩

ولهذا غلظ الرسول صلى الله عليه وسلم في اتیان السحر .. وجعله عقابه مساويا لعقاب الكفر .. وتوعد فاعله والمصدق به بالنار يوم القيامة .. والحرمان من الجنة فلا يدخلها أو يشم ريحها ..

فان ما يأتيه السحرة من الأعمال الوضيعة .. والأخلاق المرذولة .. وما يرتكبونه من الموبقات المدمرة للدين والهادمة للإسلام .. الهالكة للحس والمال ما يكفى لتكفير فاعله .. فضلا عما فيه من اشراك بالله .. واعتقاد تأثير السحر بذاته .. الى نسيان قدرة الله تعالى في جميع الأشياء .. بالاضافة الى ما يرتكبونه من أفعال شائنة .. وأعمال سفلية .. واستعانة بالجن وعبادة الشياطين .. حتى يتمكن الساحر من سحره .. مما لا يقدم عليه عابد لوثن أو ساجد لصنم !!

ولهذا تنحط منزلة الساحر عند الله .. وتضيع هيئته يوم القيامة .. ويمنع عنه للعون والمساعدة والرعاية في الدنيا .. بعد أن باع نفسه للشيطان وأصبح أداة طيعة في يده .. يسخرها كيف يشاء لاضلال الناس ..

ولقد فشا السحر في عهد سليمان عليه السلام .. حتى زعم أقوام أن الجن يعلمون الغيب .. وأن ملك سليمان عليه السلام قد قام بالسحر .. وأن تسخير الجن والانس والرياح له كان بتأثيره .. وضلوا في ذلك .. فقد نفوا المعجزة التي آتاها الله نبيه .. وجردوه من العصمة التي عصمها الله اياه .. لأن المؤمن بالسحر وتأثيره فاقد للإيمان بأن الله تعالى هو المؤثر في جميع الأعمال والتصرفات .. وأن علم السحر قد أوجده الله تعالى ليفرق بينه وبين المعجزة التي يأتيها الأنبياء ..

يقول تعالى : « واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على المتكين ببابل هاروت وماروت ، وما يعطمان من أحد حتى يقولوا انما نحن فتنة فلا تكفر ، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ، ولبئس ما شروا به أنفسهم ، لو كانوا يعلمون » (١٦) .

نقد أعلن هاروت وماروت عندما نزلا في بابل أنهما ما أرسلتا
إلا فتننة للناس وابتلاء .. وأن من تعلم السحر منهما وعمل به فقد كفر ..
وأن من اعتقد في تأثيره ونسب له قوة في ذاته فقد كفر .. وأن منه
ما يكون سببا في الأضرار بالناس ووسيلة الى التفريق بين المرء
وزوجه .. في حين أن الله تعالى حرم الأضرار بالناس .. وليس لأحد
قدرة على أن يلحق ضررا بأحد الا أن يشاء الله .. فالسحر وغيره من
الأسباب ليست مؤثرة بذاتها .. بل بأمر الله تعالى ..

ولكن فريقا من الناس ضلوا وأضلوا .. واتبعوا كتب السحرة
التي أملتها شياطين الجن والانس منذ عهد سليمان عليه السلام ..
وقد كانت الشياطين تسترق السمع ثم تضيف الى ما سمعت الكثير
من الأكاذيب .. يلقونها الى الكهنة والسحرة .. فيدونونها عندهم
ويعلمون بها الناس ..

ولهذا عد الرسول صلى الله عليه وسلم السحر من الكبائر السبع
الموبقة ..

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : « اجتنبوا السبع الموبقات .. قالوا : يا رسول الله .. وما هن ؟
قال : الشرك بالله .. والسحر .. وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق ..
وأكل الربا .. وأكل مال اليتيم .. والتولى يوم الزحف .. وقذف
المحصنات الغافلات المؤمنات » (١٧) .

وعنه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر .. ومن سحر فقد أشرك ..
ومن تعلق بشيء وكل اليه » (١٨) .

وعن عثمان بن أبي العاص رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : « كان لداود نبى الله — صلوات الله
وسلامه عليه — ساعة يوقظ فيها أهله يقول : يا آل داود قوموا
فصلوا .. فان هذه الساعة يستجيب الله فيها الدعاء الا لساحر أو
عاهر » (١٩) .

(١٨) رواه للنسائي .

(١٧) رواه البخارى ومسلم .

(١٩) رواه أحمد .

[والعاشر : الذى يأخذ عشر أموال الناس ظلما .. ويضرب عليهم الضرائب الباهظة] ..

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن فان الله يغفر له ما سوى ذلك لمن يشاء : من مات لم يشرك بالله شيئا .. ولم يكن ساحرا يتبع السحرة .. ولم يحقد على أخيه » (٢٠) .

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة مدمن خمر .. ولا مؤمن بسحر .. ولا قاطع رحم » (٢١) .

* * *

● أما المنجمون والعرافون .. فقد اعتقدوا أن للنجوم تأثيرا فى العالم السفلى .. ونسبوا لأنفسهم القدرة على استنبائها والاخبار بالغيب الذى توحىه اليهم .. ويربطون وقوع الأحداث بطلوع النجوم أو أفولها ..

يقول الخطابى : « علم النجوم المنهى عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التى لم تقع وستقع فى مستقبل الزمان بأوقات هبوب الرياح ومجىء المطر وظهور الحر والبرد وتغير الأسعار .. وما كان فى معناها من الأمور التى يزعمون أنهم يدركون معرفتها بمسير الكواكب فى مجاريها .. واجتماعها وافتراقها .. ويدعون أن لها تأثيرا فى السفليات .. وأنها تجرى على قضاء موجباتها .. وهذا منهم تهجم على الغيب وتعاطى علم قد استأثر الله به .. ولا يعلم الغيب سواه » ..

عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية فى اثر سماء كانت من الليل — أى أمطار — فلما آنصرف أقبل على الناس فقال : « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : قال : أصبح من عبادى مؤمن وكافر .. فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى وكافر بالكواكب .. وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب » (٢٢) .

(٢٠) زوارة الطبرائى فى الكبير والاولسط .

(٢١) رواه ابن حبان .

(٢٢) رواه مسلم .

ولهذا نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن اتیان السحرة
والعرافین وتصديقهم .. وقرر أن من يقبل عليهم سائلا إياهم عن
حظه .. أو مستعلما عما يصيبه في مستقبل حياته .. فقد أشرك
بالله .. وأغفل قدرته تعالى .. ولهذا ترد أعماله الصالحة .. ويضرب
بها عرض الحائط .. ولا يقبل الله صلاته لأنها ناقصة لا وزن لها ..

فما قيمة الصلاة إذا لم تهذب صاحبها .. أو تقوى إيمانه بربه ..
أو تذهب عنه الشك والضلال .. ما قيمة هذه الصلاة إذا لم توجد
عند صاحبها الثقة بالله والاعتماد عليه ؟ !

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر ..
زاد ما زاد » (٢٣) — أى كلما زاد من علم النجوم ازداد اثمه ..

وعن قطن بن قبيصة عن أبيه رضى الله عنهما قال : سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « العيافة والطيرة والطرق من
الجبث » (٢٤) .

والعيافة : زجر الطير والتفائل بأسمائها وأصواتها وممرها ..
والطيرة : زجر الطير للتيمن بطيرانه جهة اليمين أو التشاؤم بطيرانه
جهة الشمال .. والطرق : الضرب بالحصى والودع وفتح الكوتشينة
واستطلاع الفنجان والمندل والبخت ونحوها مما يدل على المغيبات ..
والجبث : هو السحر ..

* * *

ان قضية الغيب من أخطر القضايا .. انها احدى قضايا التوحيد !!
ولقد حسنها الله سبحانه وتعالى فقال : « لا يعلم من في السموات
والأرض الغيب الا الله » (٢٥) .

ولم يترك الرسول صلى الله عليه وسلم مناسبة الا وأوضح فيها
أن أمر الغيب الى الله تعالى وحده .. فلا يعلم الغيب سواه ..
حضر صلى الله عليه وسلم يوما غرسا من الأعراس .. وتغننت
جارية بمدحه فكان مما غنت أن قالت : « وفينا نبي يعلم ما في غد » ..

(٢٣) رواه أبو داود وابن ماجه .

(٢٥) النمل : ٦٥

(٢٤) رواه أبو داود .

وفي مثل هذه المناسبات يتساهل الناس عادة فيما يتغنى به
المغنون .. ولا يلتفتون الى كل ما يقال .. فالمجال مجال فرح وأنس ..
ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم .. رأى بثاقب نظره في غناء
هذه الجارية ما يتعارض مع احدى الحقائق الاسلامية الكبرى ..
فنهاها عن مثل هذا القول ..

روى خالد بن ذكوان ، عن الربيع بنت معوذ بن عفراء رضى الله
عنها .. قالت : جاء النبي صلى الله عليه وسلم يدخل حين بنى على (٢٦) ..
فجلس على فراشي كمجلسك مني (٢٧) .. فجعلت جوهرات لنا يضربن
بالدف ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر (٢٨) .. اذ قالت احداهن :
« وغينا نبي يعلم ما في غد » .. فقال صلى الله عليه وسلم : « دعوا
هذه .. وقولي بالذي كنت تغنين » (٢٩) ..

وفي رواية لحماة بن سلمة أنه قال : « لا يعلم ما في غد الا الله » ..
لقد حرص رسول الاسلام .. صلى الله عليه وسلم على تصحيح
العقيدة الاسلامية في مسألة الغيب .. ولو في أغنية من الأغنيات ..
فما كادت الجارية تنسب اليه — صلى الله عليه وسلم — شيئاً من علم
الغيب حتى أمرها من فوره بأن تترك هذا القول .. « فلا يعلم ما في غد
الا الله » .. وطلب اليها أن تعود الى ما كانت تتغنى به من ذكر أوصاف
البطولة والفداء ..

فما بالناس يرى الناس — في هذه الأيام — يتساهلون في هذه المسألة
الخطيرة .. وينسبون علم الغيب لكل من هب ودب .. من أولياء ..
وكهنة .. وسحرة .. ومنجمون ؟ ! ..
وصدق الله العظيم حيث يقول : « وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم
مشركون » (٣٠) ..

* * *

(٢٦) أى حين تزوجت من اياس بن بكير الليثي .

(٢٧) الخطاب لخالد بن ذكوان راوى الحديث .

(٢٨) أى يعددن محاسنهم .

(٢٩) رواه احمد والبخارى والبيهقى والترمذى .

(٣٠) يوسف : ١٠٦

الفصل السادس

الصلاة .. الصلاة !!

- * الصلاة عماد الدين ..
- * متى فرضت الصلاة ..
- * كتابا موقوتا ..
- * خير الأذان ..
- * الطهارة شرط لصحة الصلاة ..
- * الغسل والوضوء والتيمم ..
- * الصلاة ..
- * ثمرة الصلاة ..
- * السنن .. وصلاة التطوع ..
- * قيام الليل وفضله ..
- * تارك الصلاة .. وجاحدها ..
- * .. ويؤتون الزكاة ..
- * الحل الاسلامي لمشكلة الفقر ..
- * موارد الزكاة .. ومقاديرها ..
- * مصارف الزكاة ..
- * مانع الزكاة ..
- * القول في الصدقة ..

الصلاة عماد الدين

قال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه : « يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ، أن ذلك من عزم الأمور » (١) .

أوصى رضى الله عنه ابنه بأن يقوم بحدود الصلاة وفروضها وأوقاتها .. وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بحسب طاقته وجهده .. وأن يصبر على ما أصابه ..

وانما أوصاه بالصبر .. لأنه عرف بالتجربة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. لا بد وأن يناله الأذى من الناس ..

فأوصى ابنه بالصبر على أذاهم .. لأن الصبر على أذى الناس من مكارم الأخلاق .. وعزائم أهل الحزم السالكين طريق النجاة ..

وقيل : انه أوصاه بعظيم الطاعات .. وهى الصلاة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. وهذا انما يريد به بعد أن يمتثل ذلك هو في نفسه ويزدجر عن المنكر .. وهذه هى الطاعات والفضائل أجمع — ذكره الامام القرطبي في تفسيره — ثم قال : وقوله تعالى : « واصبر على ما أصابك » يقتضى حضا على تغيير المنكر وان نالك ضرر .. فهو اشعار بأن المغير يؤذى أحيانا .. وهذا الضرر على جهة الندب والقوة في دات الله ، وأما على اللزوم فلا ..

وقيل : أمره بالصبر على شدائد الدنيا .. كالأمراض وغيرها .. ألا يخرج من الجزع الى معصية الله عز وجل .. وهذا قول حسن لأنه يعم ..

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : من حقيقة الايمان الصبر على المكاره ..

وقيل : ان اقامة الصلاة .. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. من عزم الأمور .. أى مما عزمه الله وأمر به .. قاله ابن جريج ..

* * *

(١) لقمان : ١٧

يقول الله تعالى : « وأستعينوا بالصبر والصلاة ، وانها لكبيرة
الا على الخاشعين » (٢) ..

ويقول تعالى : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا
للّه قانتين » (٣) ..

ويقول : « اتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة ،
إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم
ما تصنعون » (٤) ..

ويقول جل شأنه : « وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ،
إن الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين » (٥) ..

ويتول : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر
وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا
من المهتدين » (٦) ..

ويقول : « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء
ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة » (٧) ..

* * *

ان استقامة الانسان على أمر الله تعالى .. تكون على قدر وضوح
العقيدة في نفسه ويقظة الايمان في قلبه ..

والصلاة هي المرتكز الأساسي لصلة الانسان بربه ..

وهي التي تحيي معاني الايمان في قلبه .. لهذا كانت أفضل الأعمال
بعد الايمان بالله تعالى ..

فبها تحيا عقيدة الحق في نفس الانسان .. وهي التي تجعله
على ذكر لله من مبدأها الى منتهاها ..

وبها يتذكر الانسان اليوم الآخر .. ويتذكر الايمان بالرسول
صلى الله عليه وسلم .. كما يتذكر القرآن — كتاب الله — والطريق
الذي يهدي اليه ..

وهي لغة : الدعاء .. لقوله تعالى : « وصل عليهم ، ان صلاتك

(٣) البقرة : ٢٣٨

(٥) هود : ١١٤

(٧) البينة : ٥

(٢) البقرة : ٤٥

(٤) العنكبوت : ٤٥

(٦) التوبة : ١٨

سكن لهم» (٨) وقوله : « يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » (٩) ..

وهي في اصطلاح الفقهاء : « عبادة ذات أقوال وأفعال .. مفتتحة بالتكبير .. مختتمة بالتسليم .. بشرائط مخصوصة » .. لقوله صلى الله عليه وسلم : « مفتاح الصلاة الطهور .. وتحريمها التكبير .. وتحليلها السلام » ..

وقد اشتق اسم الصلاة من الصلة .. لأنها تصل العبد بربه .. وتقربه من رحمته .. وحكمة مشروعيتها القيام بشكر المنعم على انعامه .. وتكفير ذنوب العباد بأدائها .. وثمرتها سقوط الطلب عن مؤديها .. وبعده عن المخالفات في الدنيا .. ونواله الثواب في الآخرة .. ولعظم شأنها فرضها الله تعالى من فوق سبع سموات .. في ليلة الاسراء قبل الهجرة بعام ونصف .. وللصلاة أنواع .. وشروط .. وأركان — تسمى فرائض — وسنن .. ومكروهات .. ومبطلات ..

فمن أنواعها ما لا يشتمل على ركوع وسجود كصلاة الجنازة .. وما يشتمل عليهما كسائر الصلوات من فرائض ونوافل مسنونة ومندوبة ..

أما عن شروطها .. فقد اتفقت الآراء : على أنها بلوغ دعوة النبي صلى الله عليه وسلم .. والعقل .. والبلوغ .. والنقاء من دم الحيض والنفاس .. والطهارة من الحدثين في البدن .. ومن الخبث غير المعفو عنه في البدن والثوب والمكان .. واستقبال القبلة مع الأمن والقدرة .. وستر العورة لقادر عليه ..

وأما فرائضها (أركانها) : فالنية .. وتكبيرة الاحرام .. والقيام لها لقادر عليه .. وقراءة الفاتحة بالعربية لقادر عليها .. والركوع .. والرفع منه .. والسجود .. والرفع منه .. والطمأنينة .. والقعود الأخير .. والتشهد .. والسلام .. وللمذاهب أقول في ذلك محلها كتب الفقه (١٠) ..

(٩) الأحزاب : ٥٦

(٨) التوبة : ١٠٣

(١٠) راجع الفقه على المذاهب الأربعة قسم العبادات .. وفقه السنة لفضيلة الشيخ السيد سابق جزء العبادات .. وغيرها ..

والأصل في ذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه في الرجل الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة لما أدخل بها .. فقال له : « إذا قمت الى الصلاة فأسبغ الوضوء .. ثم استقبل القبلة .. ثم كبر .. ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن .. ثم اركع حتى تطمئن راکعاً .. ثم ارفع حتى تعتدل قائماً .. ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً .. ثم ارفع حتى تطمئن جالساً .. ثم افعل ذلك في صلاتك كلها » ..

ومثله حديث رفاعة بن رافع الذي أخرجه الدارقطني وغيره .. فبين قوله صلى الله عليه وسلم .. أركان الصلاة .. وسكت عن الإقامة .. ورفع اليدين .. وعن حد القراءة .. وعن تكبير الانتقالات .. وعن التسبيح في الركوع والسجود .. وعن الجلسة الوسطى والتشهد فيها .. وعن الجلسة الأخيرة والتشهد فيها .. وعن السلام .. لم يتعرض الحديث لهذه الأمور .. لأنها كانت كلها معروفة للرجل .. ولكنه كان يسرع في صلاته ولا يطمئن في سجود أو ركوع أو قيام .. فأراد صلى الله عليه وسلم أن يلفته الى ذلك ..



والعبد عندما يقف بين يدي الله تعالى .. مفتتحاً صلاته بالتكبير .. فانما يعبر بذلك عن ايمانه بأن الله تعالى هو الخالق لكل الأشياء .. وبالتالي فهو أكبر من جميع الأشياء ..

وعندما يحمد الله تعالى .. فانما يعبر بذلك عن معرفته بأنه وحده هو الخالق .. وأنه وحده هو المنعم المتفضل عليه بالايجاد والحياة والرزق .. فيتقدم له بالشكر على نعمه وأفضاله ..

وعندما يسبحه في ركوعه وسجوده .. فانما يقر بأنه تعالى ليس له شبيه في ملكه .. ويعترف له وحده بالربوبية .. وأن محل الانسان في الوجود هو العبودية لله تعالى ..

وعندما يصلي على الرسول صلى الله عليه وسلم في تشهد .. فانما يجد البيعة له .. بأن يلتزم تعاليمه .. وينتهي عن نواهيه .. فالحللة اذن .. هي النظم العملي للايمان بالغيب كله ..

وامذا كانت مقياساً وميزاناً للمؤمن الحق .. وكانت خير ما يفعله العبد .. وأعظم ما يتقرب به الى الله .. لأنها الرمز الكامل على معرفته به تعالى .. والقيام بحقوق العبودية له ..

ولما كانت الصلاة هي رمز العبودية لله سبحانه .. وهي التي تعطى العبد اليقظة الدائمة بالايمان .. فانه لا يسهل على الانسان اداءها الا اذا كان ايمانه بالله تعالى واليوم الآخر عميقا في قلبه .. أما مهزوز العقيدة .. ضعيف الايمان .. فان الصلاة تكون من أصعب الأمور عليه .. ولهذا كان أداؤها دليلا على الايمان .. وتركها دليلا على الكفر ..

ولما كانت الصلاة تجديدا للصلة بالله .. وتجديدا للعهد معه .. فان الذنوب والأخطاء كلها تصبح مغفورة مقهورة معها .. والعبد حين يعلم أن صلاته تنهاه عن الفحشاء والمنكر .. فانه يعرف بالتالي أن اقامتها لا تكون الا بترك كل ما أمره الله بتركه .. وفعل كل ما أمره بفعله .

وعن أبي أمامة رضى الله عنه .. أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اتقوا الله .. وصلوا خمسكم .. وصوموا شهركم .. وأدوا زكاة أموالكم .. وأطيعوا ذا أمركم : تدخلوا جنة ربكم » (١١) .

* * *

ولو تدبرنا في الآيات — التي ذكرت فيها الصلاة — لوجدناها تعبر عنها دائما بقوله تعالى : « أقم الصلاة » (١٢) .. و « أقيموا الصلاة » (١٣) .. و « الذين يقيمون الصلاة » (١٤) .. ولو كان المطلوب من الناس مجرد تأديتها أو اتيانها فحسب .. لاكتفى بقوله : « أدوا الصلاة » .. أو « صلوا » ..

فالمقصود من الصلن اذن .. ليس تأدية حركاتها من ركوع وسجود وقيام وقراءة .. يؤديها الجسد واللسان بصورة آلية .. دون تدبر أو فهم بالعقل واللب ..

انما طلب القرآن « اقامة الصلاة » .. وليس تأديتها على أية

حال ..

وعلى هذا .. يكون اقامة انصلا بمعرفة معناها .. والغرض منها . ويكون اقامتها بفهم معاني ما يتلى فيها من قرآن وتدبره ..

(١١) زوايه البيهقي والترمذي .

(١٢) البقرة : ٤٣

(١٣) الاسراء : ٧٨

(١٤) المائدة : ٥٥

كما يكون بفهم معانى الحركات التى تؤدى بها .. من قيام وركوع وسجود وجلوس .. ولماذا شرع السجود مرتين ولم يكن مرة واحدة .. وشرع الركوع مرة واحدة ولم يكن مرتين ؟ !

وعندما يقرن العبد فهمه لمعانى هذه الحركات عند قيامه بها .. يكون بذلك قد أشرك قلبه وعقله مع لسانه وجوارحه فى تدبر وفهم هذه المعانى .. واستغرق بروحه وجسده فى صلاته ..

ويقول ابن عباس رضى الله عنهما : اقامة الصلاة يكون بالقيام بفروضها .. على مواقيتها .. واسباغ الطهور لها .. والخشوع فيها .. والاقبال عليها .. واتمام ركوعها وسجودها .. وتلاوة القرآن فيها .. والتشبه بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ..

ويد الامام القرطبى : اقامة الصلاة أداؤها بأركانها وسننها وهيأتها فى أوقاتها ..

وقيل : يقيمون الصلاة أى يداومون عليها .. والى هذا المعنى يشير عمر رضى الله عنه بقوله : « من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه .. ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع » ..

ونضيف .. ان اقامة الصلاة يكون بالخشوع الكامل فيها والاقبال عليها .. وذلك يتحصل للعبد بتمثل عظمة الرب — سبحانه — الذى يؤدى الصلاة بين يديه .. ومعرفة حقه تعالى على عباده بأن يعبدوه ويطيعوه .. وأن ينفذوا أوامره ويجتنبوا نواهيه ..

والمؤمن حين يقف بين يدى الله تعالى مصليا .. ينخلع عن دنياه كلها انخلاعا تاما وكاملا .. ويطرح أفكاره وخواطره ومشاغله الدنيوية كلها .. ويتجه بروحه وقلبه وعقله الى خالقه .. طالبا رضاه تعالى .. ناشدا التمتع بالوقوف فى حضرته ومناجاته .. طارحا من قلبه وفكره أى غرض دنيوى من رفعة أو جاه أو قبول بين الناس .. فانما الدنيا حطام زائل .. والآخرة خير وأبقى .



والمؤمن حين يقف فى مصلاه بين يدى الله تعالى .. يثوى بصلاته التخلّى عن جميع الأشياء .. واخراج ما فى قلبه سوى الله تعالى .. فلا يستحضر فى وجدانه سوى هيئته وإجلاله وتعظيمه ..

لذا يفتتح صلاته بالتكبير .. رائعا يديه حذو أذنيه .. مقبلا بكفيه على الله تعالى .. طارحا الدنيا كلها وراءه ..

وعندما يقول : « الله أكبر » — وقد طرح الدنيا وراء ظهره —
فإنما يعنى بهذه العبارة أن الله تعالى أكبر من أن يقبل العبد على غيره
أو يتجه لسواه ..

فاذا أقبل العبد على مولاه .. فقد وجب الثناء عليه وحمده ..
اذ وفقه وشرفه بالوقوف بين يديه .. فيتقدم بالشكر لله رب السموات
والأرض .. كما يثنى على « الرحمن » الذى فاضت رحمته على جميع
الأشياء .. حتى على الكافرين .. حامدا « الرحيم » الذى اختص
برحمته المؤمنين يوم القيامة .. فهو تعالى وحده رحمن الدنيا ورحيم
الآخرة ..

ثم يتذكر العبد القيامة .. وأن الله تعالى هو وحده المالك لهذا
اليوم .. وهو وحده سيده والحاكم عليه والمتصرف فيه .. لهذا استحق
وحده التمجيد .. واستحق وحده العبادة والاستعانة .. فلا يعبد
سواه .. ولا يستعين بغيره ..

ثم يسأله تعالى الهداية الى الطريق الواضح الذى لا بدعة فيه
ولا ضلالة .. الطريق الذى اختاره الله للمسلمين الذين رضى عنهم ..
لا طريق اليهود الذين غضب عليهم أو النصارى الذين ضلوا عن سبيله ..

وهذه هى المعانى التى يتدبرها العبد من « الفاتحة » التى
يتلوها فى كل ركعة ..

روى الامام مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله عز وجل — أى فى
الحديث القدسى — : قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ، ولعبدى
ما سأل .. فاذا قال العبد : « الحمد لله رب العالمين » قال الله تعالى :
حمدنى عبدى .. واذا قال العبد : « الرحمن الرحيم » قال الله :
أثنى على عبدى .. واذا قال العبد : « مالك يوم الدين » قال : مجدنى
عبدى — وفى رواية أخرى : « فوض الى عبدى » — واذا قال :
« اياك نعبد واياك نستعين » قال : هذا بينى وبين عبدى ولعبدى
ما سأل .. فاذا قال : « اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » قال : هؤلاء لعبدى ..
ونُعبدى ما سأل ..

فاذا فرغ العبد من تلاوة الفاتحة .. تلا ما تيسر معه من قرآن ..
متدبرا معانيه .. متفهما مراميهِ .. فيشعر قلبه بعظمة الله تعالى ..
وتمتلىء نفسه بالخشوع له والخضوع بين يديه ..

فيعبر عن احساسه بهذا التعظيم وهذا الخضوع بالركوع لخالقه ..
فيركع بجسده وروحه بين يدي كبرياء الله وعظمته قائلاً : « الله أكبر » ..
الله أكبر .. مما وقع في نفسه من كل تعظيم له .. فيقول :
« سبحان ربى العظيم » .. تعبيرا عن احساسه بهذا المعنى .. منزلها
عظمة الله عن العظمة التى يشاهدها فى الكون .. فعظمته تعالى لا تحصى
بها العقول .. ولا تدركها الأبصار ..

فاذا أحس العبد فى نفسه بالتواضع الواجب نحو الله تعالى فى
ركوعه .. أيقن أن من تواضع لله رفعه .. فيرتفع من ركوعه مدركا
فضل الله عليه .. اذ رفعه بعد أن كان راكعا .. فيبادر الى حمده
تعالى والثناء عليه قائلاً : « سمح الله لمن حمده .. ربنا ولك الحمد » ..
ويحس المؤمن بفضل الله عليه .. اذ رفعه بعد أن تواضع له ..
فيزداد تواضعه فيسجد لله .. ناويا وضع نفسه بين يدي ربه أسفل
من كل سفل .. وتحت كل تحت ..

ولهذا كان العبد أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد .. ويحس
العبد بدنوه وقربه من مولاه .. فيسبحه ويمجده قائلاً : « سبحان
ربى الأعلى » .. فهو الأعلى من كل علو .. الأعظم من كل عظيم ..
ويزداد فضل الله على عبده .. فيرفعه من السجود .. فلا يستطيع
أن ينهض من سجوده قائما .. فيجلس شاعرا بالعجز والفاقة الى
الله تعالى .. مستغرقا فى تأمل عظمته سبحانه .. فلا يجد من وسيلة
يعبر بها عن خضوعه الكامل لله الا بأن يكرر السجود .. اعترافا لله
بنعمته وفضله اذ قربه اليه وأدناه منه ..

فاذا تم له ذلك الفهم والتدبر .. أعانه الله على القيام لركعة
ثانية .. فينهض مكبرا الله تعالى .. بعد أن أحس بعظمة الله وشعر
بجلاله ..

فاذا أراد العبد أن ينصرف من صلاته بعد أن أتمها .. وجلس
لإتيان تشهد الأخير .. تداعت على خواطره رحلة الرسول صلى الله عليه
وسلم .. ليلة أسرى به ربه الى السموات العلا .. حيث فرض عليه
الصلاة من فوق سبع سموات .. اشعارا بخطرها واعظاما لشأنها ..

فبيداً بالثناء على الله تعالى : « التحيات لله .. وانصوات
والصّيات » ..

ثم يسلم على الرسول صلى الله عليه وسلم : « السلام عليك
أيها النبي ورحمة الله وبركاته » ..

ثم يدعو لنفسه وللصالحين من عباد الله : « السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين » ..

ويجدد البيعة : « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً
عبده ورسوله » ..

ثم يدعو للرسول صلى الله عليه وسلم .. بعد أن عرف فضله
على أمته .. وأخراجه إياهم من الظلمات إلى النور .. فيقول :
« اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد .. كما صليت على إبراهيم
وعلى آل إبراهيم .. وبارك على محمد وعلى آل محمد .. كما باركت
على إبراهيم وعلى آل إبراهيم .. في العالمين انك حميد مجيد » ..
ولابد أن يعود الإنسان إلى عالمه وحياته التي يحيها في هذه
الدنيا .. ولهذا يسلم على من يجاوره من المصلين والملائكة .. عن
يمين وشمال قائلاً : « السلام عليكم ورحمة الله .. السلام عليكم
ورحمة الله » ..

ثم يقبل على عالمه ودنياه .. بعد أن عادت روحه من رحلة
السماء إلى دنيا الواقع ..

هذه هي معاني الحركات التي يؤديها العبد في صلاته .. وعلى
المؤمن أن يفهمها ويتدبرها .. ويستحضر معانيها عند تأديته لكل
صلاة ..



ولأستاذنا فضيلة الشيخ موسى محمد علي في « التحيات » ..
لمحات مشرقة وتجليات روحانية مضيئة .. يقول جزاه الله خيراً :
« ... فإذا أتيت بالسجدة الثانية .. فقد حصل لك ثلاثة أنواع
من الطاعة : الركوع الواحد .. والسجودان .. وبها تنجو من العقبات
الثلاث المهلكة ..

فبالركوع : تنجو من عقبة الشهوات ..
وبالسجود الأول : تنجو من عقبة الغضب الذي هو رئيس
المؤذيات ..

وبالسجود الثانى : تتجو من عقبة الهوى الذى هو الداعى الى كل المهلكات والمضلات ..

فاذا تجاوزت هذه العقبات .. وتخلصت عن هذه الدركات .. فقد وصلت الى الدرجات العاليات .. وملكت الباقيات الصالحات .. وانتهيت الى عتبة جلال مدبر الأرض والسماوات .. فقل عند ذلك : « التحيات المباركات .. الصلوات الطيبات لله » ..

فالتحيات المباركات باللسان .. والصلوات بالأركان .. والطيبات بالجنان .. وقوة الايمان ..

ثم فى هذا المقام يصعد نور روحك وينزل نور روح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .. فيتلاقى الروحان .. ويحصل هناك : الروح والراحة والريحان .. فلابد لروح سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام من محمودة وتحية فقل :

« السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته » ..

فعند ذلك يقول سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام :

« السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » ..

وكأنه قيل لك : فهذه الخيرات والبركات بأى وسيلة وجدتها ؟ .. وبأى طريق وصلت اليها ؟ فقل :

بقولى : « أشهد أن لا اله الا الله .. وأشهد أن محمدا رسول الله » ..

فقيل لك : ان محمدا — صلى الله عليه وسلم — هو الذى هداك اليه .. فبأى شىء هديتك له ؟

فقل : « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد » ..

فقيل لك : ان ابراهيم هو الذى طلب من الله أن يرسل اليك مثله هذا الرسول .. فقال : « ربنا وأبعث فيهم رسولا منهم » .. فما جزاؤك له ؟ ..

فقل : « كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم » ..

فيقال لك : فكل هذه الخيرات من سيدنا محمد .. أو من سيدنا ابراهيم .. أو من الله تعالى ؟ ..

فقل : بل من الحميد المجيد : « انك حميد مجيد » ..

ثم ان العبد اذا ذكر الله بهذه الأثنية والمدائح .. ذكره الله تعالى فى محافل الملائكة .. بدليل قوله عليه الصلاة والسلام حكاية

عن الله عز وجل : « اذا ذكرنى عبدى فى ملا ذكرته فى ملا خير من ملاه » ..

فاذا سمع الملائكة ذلك اشتاقوا الى هذا السعيد فقال الله : ان ملائكة السموات اشتاقوا الى زيارتك وأحبوا القرب منك .. وقد جاءوك فابدأ بالسلام عليهم .. لتحصل لك ثيه مرتبة السابقتين .. فيقول العبد عن يمينه وعن شماله : « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » (*) .

* * *

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : دخل رجل المسجد فصلى .. ثم جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم يسلم .. فرد عليه السلام وقال : « ارجع فصل فانك لم تحل » .. فرجع ففعل ذلك ثلاث مرات .. قال : فقال : والذي بعثك بالحق .. ما أحسن غير هذا .. فعلمنى .. فقال صلى الله عليه وسلم : « اذا قمت الى الصلاة فكبر .. ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن .. ثم اركع حتى تطمئن راکعاً .. ثم ارجع حتى تعتدل قائماً .. ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً .. ثم ارفع حتى تضمئن جالسا .. ثم اسجد حتى تضمئن ساجداً .. ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها » (١٥) .

ذلك أن الرجل كان يسرع فى صلاته .. فلم تقم له صلاة حيث لم يتدبر معانيها ..

* * *

لهذا كانت الصلاة عماد الدين .. من أقامها فقد أقام الدين .. ومن أضاعها فقد أضاع الدين .. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « رأس الأمر الاسلام .. وعموده الصلاة .. وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله » .. وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله . وأن محمداً رسول الله .. واقام الصلاة .. وايتاء الزكاة .. وحج البيت .. وصوم رمضان » (١٦) ..

(*) انظر مقدمة كتاب « أسرار الصلاة ومهماتها » للامام الغزالى .

(١٥) رواه احمد والبخارى ومسلم .

(١٦) متفق عليه .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« أمرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا
رسول الله .. ويقيموا الصلاة .. ويؤتوا الزكاة .. فان فعلوا ذلك
عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله » (١٧) .
وعن معاذ رضى الله عنه قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى اليمن فقال : « انك تأتى قوما من أهل الكتاب .. فادعهم
الى شهادة أن لا اله الا الله وأنى رسول الله .. فان أطاعوك لذلك
فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على
فقرائهم .. فان هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم .. واتق دعوة
المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب » (١٨) ..

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « ان أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته ..
فان صلحت فقد أفلح وأنجح .. وان فسدت فقد خاب وخسر ..
فان انتقص من فريضته شيئا قال الرب عز وجل : انظروا هل لعبدى
من تطوع ؟ فيكمل منها ما انتقص من الفريضة .. ثم يكون سائر
أعماله على هذا » (١٩) .

وعن عبد الله بن قرط قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة .. فان صلحت صلح
سائر عمله .. وان فسدت فسدت سائر عمله » (٢٠) .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله
عليه وسلم : أى الأعمال أفضل ؟ قال : « الصلاة على وقتها » ..
قلت : ثم أى ؟ .. قال : « بر الوالدين » .. قلت : ثم أى ؟ ..
قال : « الجهاد فى سبيل الله » (٢١) .

ولأهمية الصلاة فى الاسلام .. كانت آخر وصية للرسول صلى
الله عليه وسلم : « الصلاة الصلاة .. وما ملكت أيمانكم » .



(١٨) متفق عليه .

(٢٠) رواه الطبرانى .

(١٧) متفق عليه .

(١٩) رواه الترمذى .

(٢١) متفق عليه .

* متى فرضت الصلاة :

وقد كانت الصلاة أول ما فرضه الله تعالى من العبادات .. وتولى فرضها بمخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به من غير واسطه ..

فعن أنس رضي الله عنه قال : « فرضت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به خمسين .. ثم نقصت حتى جعلت خمسا .. ثم نودى : يا محمد .. انه لا يبدل القول لدى .. وان لك بهذه الخمس خمسين » (٢٢) .

وكان أبو ذر رضي الله عنه يحدث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة .. فنزل جبريل ففرج صدرى .. ثم غسله بماء زمزم .. ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانا .. فأفرغه في صدرى ثم أطبقه .. ثم أخذ بيدي فخرج بي الى السماء الدنيا ..

فلما جئت الى السماء الدنيا .. قال جبريل لخازن السماء : افتح . قال : من هذا ؟ .. قال : هذا جبريل . قال : هل معك أحد ؟ قال : نعم .. معي محمد — صلى الله عليه وسلم — فقال : أرسل اليه ؟ قال : نعم ..

فلما فتح علونا السماء الدنيا .. فاذا رجل قاعد عن يمينه أسودة وعلى يساره أسودة (٢٣) اذا نظر قبل يمينه ضحك .. واذا نظر قبل يساره بكى .. فقال : مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح .. قلت لجبريل : من هذا ؟ قال : هذا آدم .. وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسمة بنيه .. فأهل اليمين منهم أهل الجنة .. والأسودة التي عن شماله أهل النار .. فاذا نظر عن يمينه ضحك .. واذا نظر قبل شماله بكى ..

حتى عرج بي الى السماء الثانية .. فقال لخازنها : افتح .. فقال له خازنها مثل ما قال الأول ففتح — فذكر أنه وجد في السموات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم صلوات الله عليهم — ولم يثبت الراوى كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا .. وإبراهيم في السماء السادسة ..

(٢٢) رواه أحمد والنسائي والترمذي .

(٢٣) أى جمع كثير من الناس .

قال : فلما مر جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم بادريس قال :
مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح .. فقلت : من هذا ؟ قال : هذا
ادريس ..

ثم مررت بموسى فقال : مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح ..
قلت : من هذا ؟ قال : هذا موسى ..

ثم مررت بعيسى فقال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ..
قلت : من هذا ؟ قال : هذا عيسى ..

ثم مررت بإبراهيم فقال : مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح ..
قلت : من هذا ؟ قال : هذا إبراهيم — صلى الله عليه وسلم ..

يقول ابن شهاب : فأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة
الأنصاري كانا يقولان : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ثم عرج
بى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صرير الأقدام » ..

قال ابن حزم وأنس بن مالك : قال النبي صلى الله عليه وسلم :
« ففرض الله على أمتى خمسين صلاة .. فرجعت بذلك حتى مررت
على موسى .. فقال : ما فرض الله لك على أمتك ؟ قلت : فرض خمسين
صلاة .. قال : فارجع الى ربك .. فان أمتك لا تطيق ذلك ..

فراجعتنى فوضع شطرها .. فرجعت الى موسى قلت : قد وضع
شطرها .. فقال : راجع ربك فان أمتك لا تطيق .. فراجعت فوضع
شطرها .. فرجعت اليه فقال : ارجع الى ربك فان أمتك لا تطيق ذلك
فراجعتة ..

فقال : هي خمس وهي خمسون .. لا يبدل القول لدى ..
فرجعت الى موسى .. فقال : راجع ربك .. فقلت : استحييت
من ربى ..

ثم انطلق بى حتى انتهى بى الى سدرة المنتهى .. وغشيها ألوان
لا أدرى ما هي .. ثم أدخلت الجنة فاذا فيها حبايل اللؤلؤ .. واذا
ترابها المسك .. « (٢٤) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « فرض الله الصلاة حين فرضها
ركعتين ركعتين .. فى الحضر والسفر .. فأقرت صلاة السفر ..
وزيد فى صلاة الحضر » (٢٥) .



وروى عن ابن اسحاق أنه قال : « حدثني بعض أهل العلم أن الصلاة حين افترضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم .. أتاه جبريل وهو بأعلى مكة .. فهمز له بعقبه في ناحية الوادي .. فانفجرت منه عين .. فتوضأ جبريل عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه .. ليديه كيف الطهور للصلاة .. ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رأى جبريل توضأ .. ثم قام جبريل فصلى به .. وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته .. ثم انصرف جبريل عليه السلام .. »

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة .. فتوضأ لها ليربها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل .. فتوضأت كما توضأ لها رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ثم صلى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صلى به جبريل .. فصلت بصلاته » (٢٦) .

* * *

* كتابا موقوتا :

يقول الله تعالى : « ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » (٢٧) .

ويقول : « وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ، ان الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين » (٢٨) .

ويقول جل شأنه : « أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل ، وقرآن الفجر ، ان قرآن الفجر كان مشهودا » (٢٩) .

ويقول تعالى : « وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعك ترضى » (٣٠) .

وعن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه جبريل عليه السلام فقال له : « قم فصله .. فصلى الظهر حين زالت الشمس .. ثم جاءه العصر فقال : قم فصله .. فصلى العصر حين صار ظل كل شيء مثله .. ثم جاءه المغرب فقال : قم فصله .. فصلى المغرب حين وجبت الشمس .. ثم جاءه العشاء فقال : قم فصله .. فصلى العشاء »

(٢٦) سيرة النبي — لابن هشام — ج ١ ص ١٥٢

(٢٨) هود : ١١٤

(٣٠) طه : ١٣٠

(٢٧) النساء : ١٠٣

(٢٩) الاسراء : ٧٨

حين غاب الشفق .. ثم جاء الفجر حين برق الفجر — أو قال : سطح
الفجر — .

ثم جاءه من الغد للظهر فقال : قم فصفه .. فصلى الظهر حين
صار كل شيء مثله .. ثم جاءه العصر فقال : قم فصله .. فصلى العصر
حين صار ظل كل شيء مثليه .. ثم جاءه المغرب وقتا واحدا لم يزل
عنه .. ثم جاءه العشاء حين ذهب نصف الليل — أو قال : ثلث الليل —
فصلى العشاء .. ثم جاءه حين أسفر جدا فقال : قم فصله .. فصلى
الفجر .. ثم قال : ما بين هذين الوقتين وقت » (٣١) .

روى الترمذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان
للصلاة أولا وآخرا .. وان أول وقت صلاة الظهر حين تزول الشمس
وآخر وقتها حين يدخل وقت العصر .. وان أول وقت العصر حين
يدخل وقتها — أى حين يكون ظل كل شيء مثله — وان آخر وقتها حين
تصفر الشمس .. وان أول وقت المغرب حين تغرب الشمس وان آخر
وقتها حين يغيب الشفق .. وان أول وقت العشاء حين يعيب الشفق
وان آخر وقتها حين ينتصف الليل .. وان أول وقت الفجر حين يطلع
الفجر وان آخر وقتها حين تطلع الشمس » .

* * *

* خبر الأذان :

عن ابن اسحاق أنه قال : « لما اطمأن رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالمدينة .. واجتمع اليه اخوانه من المهاجرين .. واجتمع أمر
الأنصار استحکم أمر الاسلام .. فقامت الصلاة وفرضت الزكاة والصيام
.. وقامت الحدود وفرض الحلال والحرام .. وتبوأ الاسلام بين
أظهرهم .. وكان هذا الحى من الأنصار هم الذين تبوأوا الدار
والايمان .. »

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها .. انما اجتمع
الناس اليه للصلاة لحين موافقتها .. بغير دعوة .. فهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين قدمها أن يجعل بوقا كبوق يهود الذين يدعون
به لصلاتهم .. ثم كرهه .. ثم أمر بالناقوس فنحت ليضرب به للمسلمين
للصلاة ..

(٣١) رواه أحمد والتسائى والترمذى .. وقال البخارى : هو اصح
شيء فى المواقيت — يعنى امامة جبريل عليه السلام — .

فبينما هم على ذلك .. اذ رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة — أخو بلحارث بن الخزرج — النداء .. فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا رسول الله .. انه طاف بى هذه الليلة طائف .. مر بى رجل عليه ثوبان أخضران .. يحمل ناقوسا فى يده .. فقلت له : يا عبد الله .. أتبيع هذا الناقوس ؟ قال : وما تصنع به ؟ .. قال قلت : ندعو به الى الصلاة .. قال : أفلا أدلك على خير من ذلك ؟ قال قلت : وما هو ؟ .. قال تقول : « الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر .. أشهد أن لا اله الا الله .. أشهد أن لا اله الا الله .. أشهد أن محمدا رسول الله .. أشهد أن محمدا رسول الله .. حى على الفلاح .. حى على الفلاح .. الله أكبر .. الله أكبر .. لا اله الا الله » ..

فلما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : انها لرؤيا حق ان شاء الله .. فقم مع بلال فألقها عليه فليؤذن بها .. فانه آندى صوتا منك ..

فلما أذن بها بلال .. سمعها عمر بن الخطاب رضى الله عنهما .. وهو فى بيته .. فخرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يجرد رداءه وهو يقول : يا نبى الله .. والذى بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذى رأى .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فله الحمد على ذلك » (٣٢) ..

وعن عطاء قال : سمعت عبيد بن عمر الليثى يقول : ائتمر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالناقوس للاجتماع للصلاة .. فبينما عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — يريد أن يشتري خشبتين للناقوس .. اذ رأى عمر بن الخطاب فى المنام : لا تجعلوا الناقوس .. بل أذنوا للصلاة ..

فذهب عمر — رضى الله عنه — الى النبى صلى الله عليه وسلم ليخبره بالذى رأى .. وقد جاء النبى صلى الله عليه وسلم الوحي بذلك .. فما راع عمر الا بلال — رضى الله عنه — يؤذن .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبر بذلك : « قد سبقك بذلك الوحي » ..

وعن عروة بن الزبير — رضى الله عنه — عن امرأة من بنى النجار قالت : كان بيتى من أطول بيت حول المسجد .. فكان بلال يؤذن عليه الفجر غداة .. فيأتى بسحر فيجلس على البيت ينتظر الفجر .. فإذا رآه تمطى ثم قال : اللهم انى أحمدك وأستعينك على قرينى ان يقيموا عنى دينك .. قالت : والله ما علمته كان يتركها ليلة واحدة (٣٣) .



لقد فضل الله هذه الأمة عن الأمم السابقة .. فهداها إلى النداء .. وما يتضمنه من اعلاء شعار الاسلام والجهر بدعوة التوحيد .. ونذكير الناس بها خمس مرات فى كل يوم وليلة .. ولهذا كان أبغض الأشياء إلى الشيطان ..

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا نودى بالصلاة أدبر الشيطان ، له ضراط حتى لا يسمع التأذين .. فإذا قضى النداء أقبل حتى اذا ثوب بالصلاة أدبر .. حتى اذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه .. يقول : اذكر كذا واذكر كذا — لما لم يذكر من قبل — حتى يظل الرجل ما يدرى كم صلى » (٣٤) .

وعنه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو يعلم الناس ما فى النداء والصف الأول ثم لم يجدوا الا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه .. ولو يعلمون ما فى التهجير لاستبقوا إليه .. ولو يعلمون ما فى العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا » (٣٥) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول .. ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا .. ثم سلوا الله لى الوسيلة .. فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى الا لعباد الله .. وأرجو أن أكون أنا هو .. فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة » (٣٦) .

(٣٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٢٣

(٣٥) متفق عليه .

(٣٤) متفق عليه .

(٣٦) رواه مسلم .

وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة القامة والصلاة
القائمة .. آت محمدا الوسيلة والفضيلة .. وابعثه مقاما محمودا
الذى وعدته .. حلت له شفاعتى يوم القيامة » (٣٧) .

وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه
وسلم أنه قال : « من قال حين يسمع المؤذن : أشهد أن لا اله الا الله
وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله .. رضيت بالله ربا ..
وبمحمد رسولا .. وبالإسلام ديننا .. غفر له ذنبه » (٣٨) .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة » (٣٩) .

وعن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة أن أبا سعيد
الخدري رضى الله عنه قال له : انى أراك تحب الغنم والبادية .. فإذا
كنت فى غنمك أو باديتك .. فأذنت للصلاة فارفع صوتك بالنداء ..
فانه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس .. ولا شيء الا شهد
له يوم القيامة .. قال أبو سعيد : سمعته من رسول الله صلى الله
عليه وسلم (٤٠) .

وعن معاوية رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول : « المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة » (٤١) .

* * *

* الطهارة شرط لصحة الصلاة :

يقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم
سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابرى سبيل حتى تفتسلوا ،
وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم
النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ،
ان الله كان عفوا غفورا » (٤٢) .

(٣٨) رواه مسلم .

(٣٧) رواه البخارى .

(٣٩) رواه أبو داود والترمذى .

(٤١) رواه مسلم .

(٤٠) رواه البخارى .

(٤٢) النساء : ٤٣

ويقول جل شأنه : « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين ، وأن كنتم جنبا فاطهروا ، وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » (٤٣) .

قلنا : ان للصلاة أنواع .. وشروط .. وأركان .. وسنن .. ومكروهات .. ومبطلات ..

وقلنا : ان من أنواعها ما لا يشتمل على ركوع وسجود كصلاة الجنابة .. وما يشتمل عليهما كسائر الصلوات من غرائض ونوافل مسنونة ومندوبة ..

كما قلنا : ان الآراء قد اتفقت على أن شروطها : بلوغ دعوة النبي صلى الله عليه وسلم .. والعقل .. والبلوغ .. والنقاء من دم الحيض والنفاس .. والطهارة من الحدثين في البدن .. ومن الخبث غير المعفو عنه في البدن والثوب والمكان ..

كما أن من شروطها استقبال القبلة مع الأمن والقدرة .. وحلول وقتها .. وستر العورة لقادر عليه ..

فلا تصح الصلاة الا باستقبال البيت الحرام حقيقة .. أو اجتهدا ..

ولا تصح الا بحلول وقتها .. فمن صلاها قبل دخول وقتها لم تجز صلاته .. الا فيما أبيح فيه الجمع ..

ولا تصح الا اذا كانت العورة مستورة .. وحد العورة للرجل ما بين السرة إلى الركبة .. والمرأة كلها عورة الا وجهها وكفيها في الصلاة .. وفيما عداها فكلها عورة على القول الذي قامت عليه الأدلة .. كما لا تصح الصلاة لفاقد الوعي كالمجنون والسكران .. سواء أكان بمسكر أو مخدر ..

وقد أفاضت كتب الفقه في تفصيل كل ما له علاقة بهذه الشئون .. ونتحدث هنا عن شرط الطهارة من الحيض والنفاس والجنابة والبول والغائط ..

فلا تصح الصلاة من حائض أو نفساء .. الا بعد النقاء من دم الحيض والنفاس ..

كما لا تصح الا بطهارة كاملة من النجاسات والأحداث .. فمن أصابت ثوبه أو بدنه نجاسة لزمه تطهيرها .. ومن كان جنباً لزمه الاغتسال .. ومن لم يكن متوضئاً لزمه الوضوء .. لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يقبل الله صلاة بغير طهور » ..

وبادىء ذى بدء .. لا تتم الطهارة الا بالاستبراء من نبول والغائط .. وذلك يكون بالاستنجاء بالماء .. أو الاستجمار بالحجارة اذا تعذر الماء ..

* * *

* الغسل والوضوء والتيمم :

وصفت السيدة ميمونة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم ورضي عنها غسله من الجنابة فقالت : « ... فغسل يديه .. ثم صب بيمينه على شماله فغسل فرجه وما أصابه .. ثم مسح بيده على الحائط — أو الأرض — ثم توضأ وضوءه للصلاة غير رجليه .. ثم أفاض عليه الماء .. ثم نحى رجليه فغسلهما » ..

هكذا كان غسل الرسول صلى الله عليه وسلم من الجنابة ..

● وللغسل موجبات — أى أسباب — وشرائط ، وفرائض ، وسنن ، ومندوبات ، وأنواع ، ومكروهات .. ويوجب الغسل أمور خمسة .. وهى : دم الحيض .. والنفاس .. والولادة بلا دم .. وموت المسلم الا اذا كان شهيدا .. واسلام الكافر جنباً ، أما اذا أسلم غير جنب فيندب له الغسل ..

وتحصل الجنابة من جماع أو احتلام ..

أما شروطه : فهى شروط الوضوء — وسنتحدث عنها فى موضعها — الا أن الاسلام ليس شرطاً فى صحة غسل الكتابية بعد انقطاع دم الحيض أو النفاس .. فيجوز لزوجها قربانها بعد غسلها ولو بلا نية .. وفرائض الغسل هى النية عند غسل أول جزء من البدن — ولا يضر تقدمها على ذلك بزمن يسير .. وتعميم الجسم والشعر بالماء الطهور بشرط عدم وجود حائل يمنع وصول الماء الى البشرة كشمع ودهن

وعجين ونحوها .. وكذا الأوساخ المتجمدة على ما يأتي في الحديث
عن الوضوء ..



ويروى لنا عثمان بن عفان رضى الله عنه صفة وضوء الرسول عليه
الصلاة والسلام .. فقد روى أنه — رضى الله عنه — دعا بماء ..
فأفرغ على كفيه ثلاث مرات .. فغسلهما ثم أدخل يمينه في الاناء
فمضمض واستنثر .. ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه الى المرفقين ثلاث
مرات .. ثم مسح رأسه .. ثم غسل رجليه ثلاث مرات ..
ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئى
هذا .. ثم قال : « من توضأ نحو وضوئى هذا .. ثم صلى ركعتين
لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه » ..

● وللوضوء أيضا شروط وفرائض وسنن ومندوبات ومكروهات
ومبطلات ..

أما شروطه .. فمنها شروط وجوب فقط ، وهى : البلوغ ..
ودخول وقت الصلاة .. والقدرة على الوضوء بوجود الماء الكافى له
مع القدرة على استعماله .. فلا يجب الوضوء على فاقد الماء —
ولو حكما — كأن يحتاجه لشرب ونحوه ..

ومنها شروط صحة ، وهى : عدم الحائل المانع من وصول الماء
الى البشرة .. كشمع أو دهن أو عجين ونحوها — مثل طلاء الأظافر —
وكذا الأوساخ المتجمدة على العضو .. وعدم المنافى للوضوء ..
فلا يصح حال حصول ما يبطله من النواقض ..
ومنها شروط وجوب وصحة معا .. وهى : البلوغ .. والدعوة ..
والعقل .. والاسلام ..

وأما عن فرائض الوضوء .. فهى غسل جميع الوجه بالماء
الطهور .. وحده طولا من منبت شعر الرأس المعتاد الى منتهى الذقن ..
وانى منتهى اللحية لمن له لحية .. وحده عرضا ما بين شحمتى الأذنين ..
وغسل اليدين مع المرفقين .. ومسح الرأس .. وان لم يكن عليه
شعر — وغسل الرجلين مع الكعبين — مرة واحدة — لقول الرسول
صلى الله عليه وسلم : « الوضوء مرة مرة » .. أما تكراره فمن
السنة ..

والنية .. والترتيب والموالة من فرائض الوضوء ..

أما سننه فمنها التسمية .. وغسل اليدين الى الرسغين والمضمضة والاستنشاق والاستنثار ومسح الأذنين ظاهرا وباطنا .. وتخليل الأصابع لليدين والرجلين .. وتخليل شعر اللحية .. وتقديم اليمنى على اليسرى .. وإطالة الغرة .. والفور والتتابع والموالة .. يفعل ذلك ثلاث مرات ..

ومكروهات الوضوء هي الاسراف في استعمال الماء .. والزيادة على الثلاث .. ومبالغة الصائم في المضمضة والاستنشاق .. والوضوء في موضع متنجس .. وترك سنة من سننه .. وينقض الوضوء الخارج من السبيلين .. وغيبة العقل بسكر أو مخدر أو اغماء أو جنون .. وكذا النوم .. ولمس ما يشتهي .. على تفصيل في المذاهب .. كما ينقض الوضوء بالردة — أى الخروج عن الاسلام ..

* * *

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان أمتى يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء .. فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل » (٤٤) .

وعنه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا توضأ العبد المسلم — أو المؤمن — فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينه مع الماء — أو مع آخر قطر الماء — فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء — أو مع آخر قطر الماء — فاذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء — أو مع آخر قطر الماء — حتى يخرج نقيا من الذنوب » (٤٥) .

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطايا من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره » (٤٦) .

(٤٥) رواه مسلم .

(٤٤) رواه مسلم .

(٤٦) رواه مسلم .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ — أو فيسبغ الوضوء — ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .. إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » (٤٧) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة .. فقال : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين .. وأنا إن شاء الله بكم لاحقون .. وددت أنا قد رأينا إخواننا » .. قالوا : أو لسنا إخوانك يا رسول الله ؟ قال : « أنتم أصحابي .. وإخواننا الذين لم يأتوا بعد » .. قالوا : كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله ؟ فقال : « رأييت لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم .. ألا يعرف خيله ؟ قالوا : بلى .. يا رسول الله .. قال : « فانهم يأتون غرا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض » (٤٨) .



* التيمم :

قال الله تعالى : « وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ، ان الله كان عفوا غفورا » (٤٩) .

والتيمم لغة : القصد .. وشرعا : القصد الى الصعيد لمسح الوجه واليدين بنية استباحة الصلاة ونحوها .. لعدم الماء .. أو لمن كان به جراحة أو مرض ويخاف زيادته أو تأخر شفاؤه لو استعمل الماء .. أو اذا كان الماء شديد البرودة وغلب على ظنه حصول الضرر باستعماله بشرط العجز عن تسخينه .. أو اذا احتاجه حالا أو مآلا لشربه أو شرب غيره ولو كان كلب غير عقور ..

والصعيد الذى يتيمم به هو التراب الطاهر .. وما كان من جنس الأرض كالرمل والحصى والجص .

(٤٨) رواه مسلم .

(٤٧) رواه مسلم .

(٤٩) النساء : ٤٣

عن أبي أمامة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « جعلت الأرض كلها لى ولأمتى مسجدا وطهورا .. فأينما أدركت رجلا من أمتى الصلاة فعنده طهوره » (٥٠) .

ولما كان التيمم يحل محل الوضوء والغسل عند عدم الماء .. فإنه يباح به ما يباح بهما من صلاة ومس للمصحف وغيرها .. ولا يشترط لصحته دخول الوقت .. فللمتيمم أن يصلى بالتيمم الواحد ما شاء الله من الفرائض والنوافل .. فحكمه كحكم الوضوء سواء بسواء .. لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان الصعيد طهور المسلم وان لم يجد الماء عشر سنين .. فاذا وجد الماء فليمسه بشرته فان ذلك خير » (٥١) .

وعلى المتيمم أن يقدم النية .. ثم يسمي الله تعالى .. ويضرب بيديه الصعيد الطاهر .. ويمسح بهما وجهه ويديه الى الرسغين .. فعن عمار بن ياسر رضى الله عنهما قال : اجتنبت فلم أصب الماء .. فتمعكت فى الصعيد — أى تمرغت — وصليت .. فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : « انما كان يكفيك هكذا — وضرب بكفيه الأرض ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه » (٥٢) .

وفى رواية أنه قال : « انما كان يكفيك أن تضرب بكفيك فى التراب ثم تنفخ فيهما ثم تمسح بهما وجهك وكفيك الى الرسغين » (٥٣) . فدل هذا الحديث على الاكتفاء بضربة واحدة .. والاقتصار فى مسح اليدين على الكفين .. ومن السنة لمن تيمم بالتراب أن ينفخ يديه وينفخهما منه ولا يعفر به وجهه ..

وينقض التيمم كل ما ينقض الوضوء .. كما ينقضه وجود الماء لمن فقداه أو قدر على استعماله لمن عجز عنه .. ولا تجب الاعادة لمن صلى به ثم وجد الماء بعد الفراغ منها .. ولو كان الوقت باقيا ..

* * *

وقد اختص الله تعالى هذه الأمة دون سائر الأمم بالتيمم .. فعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى .. نصرت بالرعب من مسيرة

(٥١) رواه أحمد والترمذى .

(٥٣) رواه الدارقطنى .

(٥٠) رواه أحمد .

(٥٢) رواه الشيخان .

شهر .. وجعلت لى الأرض مسجدا وظهورا .. فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل .. وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى .. وأعطيت الشفاعة .. وكان النبى يبعث فى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة» (٥٤) .

وروت عائشة — رضى الله عنها — سبب مشروعية التيمم قالت : « خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره .. حتى اذا كنا بالبيداء وانقطع عقد لى .. فأقام النبى صلى الله عليه وسلم على التماسه .. وأقام الناس معه .. وليسوا على ماء وليس معهم ماء .. فأتى الناس الى أبى بكر رضى الله عنه فقالوا : ألا ترى الى ما صنعت عائشة ؟ .. »

فجاء أبو بكر — رضى الله عنه — والنبى صلى الله عليه وسلم على فخذى قد نام .. فعاتبنى وقال ما شاء الله أن يقول .. وجعل يطعن بيده خاصرتى فما يمنعنى من التحرك الا مكان النبى صلى الله عليه وسلم على فخذى .. فنام حتى أصبح على غير ماء ..

فأنزل الله تعالى آية التيمم .. قال أسيد بن حضير : ما هى أول بركتكم يا آل أبى بكر !! .. فقالت : فبعثنا البعير الذى كنت عليه .. فوجدنا العقد تحته» (٥٥) .

وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها : أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت .. فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا من أصحابه فى طلبها .. فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء .. فلما أتوا النبى صلى الله عليه وسلم شكوا ذلك اليه .. فنزلت آية التيمم .. فقال أسيد بن حضير : جزاك الله خيرا .. فوالله ما نزل بك أمر قط الا جعل الله لك منه مخرجا .. وجعل للمسلمين منه بركة ..



يقول الامام ابن قدامة : « للطهارة أربع مراتب .. تطهير الظاهر من الأحداث والأنجاس والفضلات .. وتطهير الجوارح من الذنوب والآثام .. وتطهير القلب من الأخلاق المزمومة والرذائل الممقوتة .. »

(٥٥) رواه الجماعة الا الترمذى .

(٥٤) رواه الشيخان .

والرابعة : تطهير السر عما سوى الله تعالى .. وهذا هو الغاية القصوى .. فمن قويت بصيرته سمت الى هذا المطلوب .. ومن عميت بصيرته لم يفهم من مراتب الطهارة الا المرتبة الاولى .. فتراه يضيع أكثر زمانه الشريف .. في المبالغة في الاستنجاء وغسل الثياب .. ظنا منه بحكم الوسوسة وقلة العلم أن الطهارة المطلوبة هي هذه فقط .. وجهلا بسير المتقدمين الذين كانوا يستغرقون انزمان في تطهير القلوب .. ويتساهلون في أمر الظاهر ..

كما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه توضأ من جرة نصرانية .. وكانوا لا يكادون يغسلون أيديهم من الزهم — أى الشحم — ويصلون على الأرض .. ويمشون حفاة .. ويقتصرون في الاستجمار على الأحجار ..

وقد انتهى الأمر الى قوم يسمون الرعونة — أى الحماقة — نظافة .. فترى أكثر زمانهم يمضى في تزيين الظواهر .. وبواطنهم خراب محشرة بخبائث الكبر .. والعجب .. والجهل .. والرياء .. والنفاق ..

ولو رأوا مقتصرًا في الاستجمار على الحجر .. أو حافيا يمشى على الأرض .. أو من يصلى عليها من غير حائل .. أو متوضئًا من آنية عجوز .. لأنكروا عليه أشد الإنكار .. ولقبوه بالقذر .. واستنكفوا من مؤاكلته ..

فانظر كيف جعلوا البذاذة — أى التواضع في اللباس — التى هى من الايمان قذارة .. والرعونة نظافة .. وصيروا المنكر معروفا .. والمعروف منكرا .. لكن من قصد بهذه الطهارة النظافة ولم يسرف فى الماء .. ولم يعتقد أن استعمال الماء الكثير أصل الدين .. فليس ذلك بمنكر ، بل هو فعل حسن « (٥٦) اهـ .



الصلاة

*** كيف كانت صلاة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام :**

لما كانت الصلاة هي عماد الدين وغرة الطاعات .. فقد ورد في فضائلها أخبار كثيرة مشهورة .. ومن أحسن آدابها الخشوع فيها والاقبال على الله تعالى ..

ولقد كانت الصلاة قرّة عين رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وكان إذا حزبه أمر يفرع إليها .. ويقول لبلال : « أرحنا بها يا بلال » ..

وكان صلى الله عليه وسلم يؤدي واجباته الاجتماعية والسياسية وما أقساها .. كما يؤدي واجباته الدينية والأسرية .. ثم يخلو الى ربه فيصلي من الليل حتى تتورم قدماه .. وأشفقت عليه يوما أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فقالت : تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ !

فقال صلى الله عليه وسلم : « أفلا أكون عبدا شكورا » (١) . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حبيب الى من دنياكم الطيب والنساء .. وجعلت قرّة عيني في الصلاة » (٢) .

وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسا ذات يوم والناس حوله .. فقال : « ان الله جعل لكل نبي شهوة .. وان شهوتي في قيام الليل .. اذا قمت فلا يصلين أحد خلفي .. وان الله جعل لكل نبي طعمة .. وان طعمتي هذا الخمس .. فاذا قضيت فهو لولاة الأمر من بعدى » (٣) .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه — أو قال : ساقاه — ففيل له : أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : « أفلا أكون عبدا شكورا » (٤) .

(٢) رواه أحمد والنسائي .

(٤) رواه أبو داود .

(١) رواه الشيخان .

(٣) رواه الطبراني .

وعنه رضى الله عنه قال : تعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صار كالشن البالى .. قالوا : يا رسول الله .. ما يحمك على هذا ؟ .. اليس الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : « بلى .. أفلا اكون عبدا شكورا » ..

وسئل أنس بن مالك رضى الله عنه عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل فقال : ما كنا نشاء من الليل أن نراه مصليا لا رأيناه .. وما كنا نشاء أن نراه نائما الا رأيناه .. وكان يصوم من الشهر حتى نقول : لا يفطر منه شيئا .. ويفطر حتى نقول : لا يصوم منه شيئا^(٥) .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة .. فلم يزل قائما حتى هممت بأمر سوء .. قلنا : ما هممت ؟ قال : هممت أن أجلس وأدعه^(٦) .

وعن أنس رضى الله عنه قال : وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا .. فلما أصبح قيل : يا رسول الله .. ان أثر الوجع عليك بين . قال : « انى على ما ترون .. قد قرأت البارحة السبع الطوال »^(٧) .

وعن حذيفة رضى الله عنه قال : صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة .. فافتتح البقرة .. فقلت : يركع عند المائة . قال : ثم مضى . فقلت : يصلى بها في ركعة فمضى فقلت : يركع بها .. فافتتح النساء فقرأها .. ثم افتتح آل عمران فقرأها .. يقرأ مترسلا .. اذا مر بآية فيها تسبيح سبح .. واذا مر بسؤال سأل .. واذا مر بتعوذ تعوذ ..

ثم ركع فجعل يقول : « سبحان ربى العظيم » فكان ركوعه نحوا من قيامه — أى قدر تلاوة البقرة وآل عمران والنساء — ثم قال : « سمع الله لمن حمده » ثم قام طويلا قريبا مما ركع .. ثم سجد فقال : « سبحان ربى الأعلى » فكان سجوده قريبا من قيامه^(٨) .

[ويلاحظ أنه ذكر سورة النساء مقدمة على آل عمران .. فهكذا كانت في مصحف ابن مسعود] ..

(٦) رواه الشيخان .

(٨) رواه مسلم .

(٥) رواه الشيخان .

(٧) رواه أبو يعلى .

وفي رواية للطبراني عنه قال : « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي .. فصليت بصلاته من ورائه وهو لا يعلم .. فاستفتح البقرة حتى ظننت أنه سيركع ثم مضى — قال سنان : لا أعلمه الا قال : صلى أربع ركعات كان ركوعه مثل قيامه — قال : فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ألا أعلمتني ؟ » ! قال حذيفة : والذي بعثك بالحق نبيا اني لأجده في ظهري حتى الساعة .. قال : « لو أعلم أنك ورائي لخففت » ..

وعن عائشة رضي الله عنها أنها ذكر لها أن ناسا يقرأون القرآن في الليل مرة أو مرتين .. فقالت : أولئك قرأوا ولم يقرأوا .. كنت أقوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة التمام .. فكان يقرأ بالبقرة وآل عمران والنساء .. فلا يمر بآية فيها تخويف الا دعا الله واستعاذ .. ولا يمر بآية فيها استبشار الا دعا الله ورغب فيه » (٩) ..



وأخرج البخاري عن الأسود قال : كنا عند عائشة فذكرنا المواظبة على الصلاة والمواظبة لها .. قالت : « لما مرض النبي صلى الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه .. فحضرت الصلاة فأذن بلال — رضي الله عنه — فقال صلى الله عليه وسلم : « مروا أبا بكر فليصل بالناس » .. فتبيل له : ان أبا بكر رجل أسيف — أي سريع البكاء — اذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس ..

وأعاد صلى الله عليه وسلم فأعادوا له .. فأعاد الثالثة فقال : « انكن صواحب يوسف .. مروا أبا بكر فليصل بالناس » .. فخرج أبو بكر .. فوجد النبي صلى الله عليه وسلم في نفسه خفة .. فخرج يهادي بين رجلين — أي يمشي بينهما معتمدا عليهما من ضعفه — تقول عائشة : كأنني أنظر الى رجليه تخطان من الوجع .. فأراد أبو بكر أن يتأخر فأومأ اليه النبي صلى الله عليه وسلم : أن مكانك .. ثم أتى به حتى جلس الى جنبه » ..

وفي رواية أنها رضي الله عنها قالت : « لقد عاودت رسول الله صلى الله عليه وسلم — في ذلك .. وما حملني على معاودته الا أنني خشيت أن يتشاءم الناس بأبي بكر .. والا أني علمت أنه لن يقوم

مقامه أحد الا تشاءم الناس به .. فأحببت أن يعدل رسول الله عن
أبى بكر الى غيره ..

وعن عبيد الله بن عبد الله قال : دخلت على عائشة فقلت : ألا
تحدثينى عن مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : « بلى ..
ثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فقال : « أصلى الناس » ؟
قلنا : لا .. هم ينتظرونك يا رسول الله .. فقال : « صبوا لى ماء فى
المخضب » .. ففعلنا .. قالت : فاغتسل ثم ذهب لينوء — أى لينهض —
فأغمى عليه ثم أفاق فقال : « أصلى الناس » ؟ قلنا : لا .. هم ينتظرونك
يا رسول الله .. قال : « ضعوا لى ماء فى المخضب » ففعلنا فاغتسل
ثم ذهب لينوء فأغمى عليه — الثانية — ثم أفاق فقال : « أصلى الناس » ؟
قلنا : لا .. هم ينتظرونك يا رسول الله .. قال : « ضعوا لى ماء فى
المخضب » ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمى عليه — الثالثة — ثم
أفاق فقال : « أصلى الناس » ؟ قلنا : لا .. هم ينتظرونك يا رسول
الله ..

قالت : والناس عكوف فى المسجد ينتظرون رسول الله صلى الله
عليه وسلم لصلاة العشاء .. فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
انى أبى بكر رضى الله عنه بأن يصلى بالناس .. وكان أبو بكر رجلا
رقيقا .. فقال : قم يا عمر .. صل بالناس .. فقال : أنت أحق بذلك ..
فصلى بهم تلك الأيام — ثم ذكر خروجه صلى الله عليه وسلم كما تقدم
فى حديث البخارى » (١٠) .

وعن أنس رضى الله عنه أن أبا بكر رضى الله عنه كان يصلى لهم
فى وجع النبى صلى الله عليه وسلم الذى توفى فيه .. حتى اذا كان
يوم الاثنين وهم صفوف فى الصلاة .. فكشف النبى صلى الله عليه
وسلم ستر الحجرة ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف تبسم
يضحك .. فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبى صلى الله عليه
وسلم .. ونكص — أى تأخر — أبو بكر على عقبه ليصل الصف وظن
أن النبى صلى الله عليه وسلم خارج الى الصلاة .. فأشار إلينا
صلى الله عليه وسلم : أن أتموا صلاتكم .. وأرخى الستر وتوفى من
يومه صلى الله عليه وسلم (١١) .

(١١) رواه البخارى .

(١٠) رواه احمد .

وفي رواية عنه قال : « لم يخرج النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثا .. فأقيمت الصلاة فذهب أبو بكر يتقدم .. فقال نبي الله - صلى الله عليه وسلم - : « عليكم بالحجاب » .. فرغعه .. فلما وضع وجه النبي صلى الله عليه وسلم ما نظرنا منظرا كان أعجب إلينا من وجه النبي صلى الله عليه وسلم حين وضع لنا .. فأوماً النبي صلى الله عليه وسلم بيده إلى أبي بكر أن يتقدم .. وأرخى النبي صلى الله عليه وسلم الحجاب فلم يقدر عليه حتى مات صلى الله عليه وسلم » (١٢) .
أرأيتم كيف كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعطى للصلاة أهميتها ؟ ..

أرأيتم كيف كان يفعل حين يقوم الليل .. فيقرأ بالبقرة وآل عمران والنساء .. ثم يركع مثل قيامه للقراءة .. ويسجد مثل ذلك ؟ ..

أرأيتم كيف كان صلى الله عليه وسلم وهو يغالب سكرات الموت .. لا يشغله الا السؤال : « أصلى الناس » .. ولا ينسيه الاغماء ثلاث مرات هذا الشأن الخطير !

أرأيتم كيف يصف أنس - رضى الله عنه - وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .. في يومه الأخير .. وهو يرى المسجد غاصا بالمصلين وصفوفهم متراسة خلف أبي بكر للصلاة فيقول :
« ما نظرنا منظرا كان أعجب إلينا من وجه النبي صلى الله عليه وسلم حين وضع لنا .. كأن وجهه ورقة مصحف تبسم يضحك حتى كدنا أن نفتتن من الفرح برؤيته » ..

وعن أنس رضى الله عنه قال : كانت عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الوفاة : « الصلاة وما ملكت أيمانكم » حتى جعل يغرغر بها وما يفصح بها لسانه (١٣) .
وفي رواية لأحمد قال : « كانت عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الموت : « الصلاة وما ملكت أيمانكم » حتى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يغرغر بها صدره - أي بلغ روحه حلقومه - وما يكاد يفيض بها لسانه ..

(١٢) رواه مسلم .

(١٣) رواه البيهقي والنسائي وابن ماجه .

وعن على رضى الله عنه قال : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آتية بطبق يكتب فيه ما لا تصل أمته من بعده .. قال : فخشيت أن تفوتنى نفسه فقلت : انى أحفظ وأعى . قال : « أوصى بالصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم » .

وفى رواية له قال : « كان آخر كلام النبى صلى الله عليه وسلم : « الصلاة .. الصلاة .. واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم » (١٤) .. أسمعتم أيها المسلمون ؟؟

كان آخر كلام النبى صلى الله عليه وسلم : « الصلاة الصلاة .. واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم » ؟ !

* * *

لقد وعى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم وصيته الأخيرة .. وعملوا بها جهدهم .. بل جعلوها دائما نصب أعينهم ..

وقد مر بنا فى حديث عائشة : « ان أبا بكر رجل أسيف — أى سريع البكاء والحزن — اذا قام مقامك لم يستطع أن يصلى بالناس » .. ولقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول على المنبر : لا اسلام لمن لم يصل (١٥) .

ولهذا يروى المسور بن مخرمة رضى الله عنه يقول : « دخلت على عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وهو مسجى فقلت : كيف ترونه ؟ قالوا : كما ترى .. قلت : أيقظوه بالصلاة .. فانكم لن توقظوه لشيء أفزع له من الصلاة .. فقالوا : الصلاة يا أمير المؤمنين .. فقال : ها الله اذن .. ولا حق فى الاسلام لمن ترك الصلاة ..

فصلى رضى الله عنه وان جرحه يثعب دما » (١٦) .

وعنه رضى الله عنه قال : « لما طعن عمر جعل يغمى عليه .. فقيل : انكم لن تفزعوه بشيء مثل الصلاة ان كانت به حياة .. فقال : الصلاة يا أمير المؤمنين .. الصلاة قد صليت .. فانتبه فقال : الصلاة .. ها الله اذن ! ولا حظ فى الاسلام لمن ترك الصلاة » (١٧) .

* * *

(١٤) رواه البخارى وأبو داود وابن ماجه وابن جرير .

(١٥) رواه ابن سعد عن أبى المليلح .

(١٦) رواه الطبرانى . (١٧) رواه ابن سعد .

وعن عثمان بن عبد الرحمن التيمي قال : قال أبي : « لأغلبن الليلة على المقام .. قال : فلما صليت العتمة تخلصت الى المقام حتى قمت فيه .. قال : فبيننا أنا قائم اذا رجل وضع يده بين كنفى فاذا هو عثمان بن عفان رضى الله عنه .. قال : فبدأ بأمر القرآن فقرأ .. حتى ختم القرآن فركع وسجد .. ثم أخذ نعليه .. فلا أدري أصلى قبل ذلك شيئاً أم لا » (١٨)

ورواه البيهقي والدارقطني وفيه : قال : رأيت عثمان عند المقام ذات ليلة قد تقدم فقرأ القرآن في ركعة ثم انصرف (!!)

وعن محمد بن مسكين قال : قالت امرأة عثمان رضى الله عنه حين أضافوا به : « تريدون قتله ؟ .. ان تقتلوه أو تتركوه فإنه كان يحيى الليل كله في ركعة يجمع فيها القرآن » (١٩) .

وفي رواية عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قالت امرأة عثمان بن عفان رضى الله عنه حين قتلوه : « لقد قتلتموه وأنه ليحيى الليل بالقرآن في ركعة » (٢٠) .

وكان على بن أبي طالب كرم الله وجهه اذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويثقل وجهه .. فقليل له : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها ..

وعن المسيب بن رافع قال : لما كف بصر ابن عباس رضى الله عنهم أتاه رجل فقال له : ان أنت صبرت لى سبعا لم تصل الا مستلقيا تومىء ايماء داويتك فبرأت ان شاء الله تعالى ..

فأرسل الى عائشة وأبى هريرة — رضى الله عنهما — وغيرهما من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم كل يقول : رأيت ان مت في هذه السبع كيف تصنع بالصلاة ؟ فترك عينه ولم يداوها (٢١) .

وعنه رضى الله عنه أنه قال : لما كف بصرى قيل : نداوك وتدع الصلاة أياما .. قال : لا .. ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من ترك الصلاة لقي الله وهو عليه غضبان » (٢٢) .

(١٨) رواه أبو نعيم في الحلية . (١٩) رواه الطبراني .

(٢٠) رواه أبو نعيم . (٢١) رواه الحاكم .

(٢٢) رواه البزار والطبراني .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه كان لا يكاد يصوم ..
وقال : انى اذا صمت ضعفت عن الصلاة .. والصلاة أحب الى من
الصيام .. فان صام صام ثلاثة أيام من الشهر (٢٣) .

وكان عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما اذا قام فى الصلاة كأنه
عود من الخشوع .. وكان ينزل فتنزل العصافير على ظهره ولا تحسبه
الا جذع حائط .. وصلى يوما فى الحجر فجاء حجر قذافة - أى
المنجنيق - فذهب ببعض ثوبه فما انفكت ..

وقيل لخلف بن أيوب : ألا يؤذك الذباب فى صلاتك فطردها ؟
قال : لا أعود نفسى شيئا يفسد على صلاتى .. فقل له : وكيف
تصبر على ذلك ؟ ..

قال : بلغنى أن الفساق يصبرون تحت أسواط السلطان ليقال :
فلان صبور .. ويفتخرون بذلك .. فأنا قائم بين يدى ربى .. أفأتحرك
لذبابه ؟ ..

وكان على بن الحسين رضى الله عنهما اذا توضأ اصفر لونه ..
فقل له : ما هذا الذى يعتادك عند الوضوء ؟ فقال : أتدرون بين يدى
من أريد أن أقوم ؟ ..

ويروى عن مسلم بن يسار أنه كان اذا أراد الصلاة قال لأهله :
تحدثوا أنتم فانى لست أسمعكم ..

ويروى أنه كان يصلى ذات يوم فى جامع البصرة فوقعت خلفه
أسطوانة معقود بناؤها على أربع طبقات .. فتسامع بها أهل السوق
فدخلوا المسجد وهو قائم يصلى مكانه وما انفكت من صلاته ..

فلما فرغ جاءه الناس يهنونه فقال : رعلى أى شىء تهنونى ؟
قالوا : وقعت هذه الأسطوانة العظيمة فسلمت منها .. فقال : متى
وقعت ؟ قالوا : وأنت تصلى . قال : ما شعرت بها ..

هكذا كان شأن الرسول صلى الله عليه وسلم مع الصلاة ..
وهكذا كان شأن صحابته الكرام .. وشأن السلف الصالح رضى الله
عنهم .



ويقول الامام ابن قدامة (٢٤) : « اعلم أن للصلاة أركاناً وواجبات
ربنا .. وروحها النية والاخلاص والخشوع وحضور القلب ..
فإن الصلاة تشتمل على أذكار ومناجاة وأفعال ..

ومع عدم حضور القلب لا يحصل المقصود بالأذكار والمناجاة ..
لأن النطق إذا لم يعرب عما في الضمير كان بمنزلة الهذيان ..
وكذلك لا يحصل المقصود من الأفعال .. لأنه إذا كان المقصود
من القيام الخدمة .. ومن الركوع والسجود الذل والتعظيم .. ولم
يكن القلب حاضراً .. لم يحصل المقصود .. فإن الفعل متى خرج
عن مقصوده بقى صورة لا اعتبار بها ..

قال الله تعالى : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله
التقوى منكم » (٢٥) .

والمقصود أن الواصل إلى الله سبحانه وتعالى هو الوصف الذي
استولى على القلب حتى حمله على امتثال الأوامر المطلوبة .. فلا بد
من حضور القلب في الصلاة .. ولكن سامح الشارع في غفلة تطرأ ..
لأن حضور القلب في أولها ينسحب حكمه على باقيها » .

ثم يقول : « والمعاني التي تتم بها حياة الصلاة كثيرة ..

المعنى الأول : حضور القلب كما ذكرنا .. ومعناه أن يفرغ من
غير ما هو ملابس له ، وسبب ذلك الهمة .. فإنه متى أهمل أمر حضر
قلبك ضرورة .. فلا علاج لاحتضاره إلا صرف الهمة إلى الصلاة ..
وانصراف الهمة يقوى ويضعف بحسب قوة الايمان بالآخرة واحتقار
الدنيا .. فمتى رأيت قلبك لا يحضر في الصلاة .. فاعلم أن سببه
ضعف الايمان .. فاجتهد في تقويته ..

والمعنى الثانى : التفهم لمعنى الكلام .. فإنه أمر وراء حضور
القلب .. لأنه ربما كان القلب حاضراً مع اللفظ دون المعنى .. فينبغى
صرف الذهن إلى ادراك المعنى بدفع الخواطر الشاغلة وقطع موادها ..
فإن المواد إذا لم تنقطع لم تنصرف الخواطر عنها ..

والمواد .. أما ظاهرة وهى ما يشغل السمع والبصر .. وأما باطنة
وهى أشد .. كمن تشعبت به الهموم فى أودية الدنيا .. فإنه لا ينحصر

(٢٤) فى كتابه مختصر منهاج القاصدين — ص ٢٤ ، ٢٥

(٢٥) الحج : ٣٧

فكره في فن واحد .. ولم يغنه غض البصر .. لأن ما دفع في القلب
كاف في الاشتغال به ..

وعلاج ذلك ان كان من المواد الظاهرة .. بقطع ما يشغل السمع
والبصر .. وهو القرب من القبلة .. والنظر الى موضع سجوده ..
والاحتراز في الصلاة من المواضع المنقوشة .. وأن لا يترك عنده
ما يشغل حسه .. فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما صلى في
انبجانية^(٢٦) لها أعلام نزعها وقال : « انها ألهمتني أنفا عن صلاتي » .
وان كان من المواد الباطنة .. فطريق علاجه أن يرد النفس قهرا
الى ما يقرأ في الصلاة ويشغلها به عن غيره .. ويستعد لذلك قبل الدخول
في الصلاة .. بأن يقضى أشغاله .. ويجتهد في تفريغ قلبه ..
ويجدد على نفسه ذكر الآخرة وخطر القيام بين يدي الله عز وجل
وهول المطلع .. فان لم تسكن الأفكار بذلك .. فليعلم أنه انما يتفكر
فيما أهمه واشتهاه .. فليترك تلك الشهوات وليقطع تلك العلائق ..

واعلم أن العلة متى تمكنت لا ينفعها الا الدواء القوي .. والعلة
اذا قويت جاذبت المصلى وجاذبها الى أن تنقضي الصلاة في المجاذبة ..
ومثل ذلك كمثّل رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره .. وكانت
أصوات العصافير تشوش عليه وفي يده خشبة يطيرها بها .. فما يستقر
فكره حتى تعود العصافير فيشتغل بها .. فقليل له : هذا شيء لا ينقطع
.. فان أردت الخلاص فاقطع الشجرة ..

فكذلك شجرة الشهوة .. اذا علت وتفرقت أغصانها .. انجذبت
اليها الأفكار كانجذاب العصافير الى الأشجار .. والذباب الى الأقدار
.. فذهب العمر النفيس في دفع ما لا يندفع .. وسبب هذه الشهوة
التي توجب هذه الأفكار حب الدنيا ..

قيل لعامر بن عبد قيس رحمه الله : هل تحدثك نفسك بشيء من أمور
الدنيا في الصلاة ؟ فقال : لأن تختلف الأسنة في أحب الى من أجد
هذا ..

واعلم أن قطع حب الدنيا من القلب أمر صعب .. وزواله بالكلية
عزيز .. فليقع الاجتهاد في الممكن منه .. والله الموفق المعين ..

(٢٦) كساء منسوب الى « منبج » — بكسر الباء — وهى مدينة من
أعمال حلب .. وقيل الى موضع اسمه « انبجان » .

المعنى الثالث : التعظيم لله والهيبة .. وذلك يتولد من شيئين :
معرفة جلال الله تعالى وعظمته .. ومعرفة حقارة النفس وأنها مستعبدة
.. فيتولد من المعرفتين : الاستكانة ، والخشوع .

ومن ذلك الرجاء : فانه زائد على الخوف .. فكم من معظم ملكا
يهابه لخوف سطوته كما يرجو بره ..

والمصلى ينبغي أن يكون راجيا بصلاته الثواب .. كما يخاف من
تقصيره العقاب » .

ويستطرد رحمه الله ورصى عنه فيقول (٢٧) :

« وينبغي للمصلى أن يحضر قلبه عند كل شيء من الصلاة .. فإذا
سمع نداء المؤذن .. فليمثل النداء للقيامه ويشمر للإجابة .. ولينظر
ماذا يجيب .. وبأى بدن يحضر ..

وإذا ستر عورته فليعلم أن المراد من ذلك تغطية فضائح بدنه
عن الخلق .. فليذكر عورات باطنه وفضائح سره التي لا يطلع عليها
الا الخالق .. وليس لها عنه ساتر .. وأنها يكفرها الندم .. والحياء ..
والخوف ..

وإذا استقبل القبلة . فقد صرف وجهه عن الجهات الى جهة بيت
الله تعالى .. فصرف قلبه الى الله تعالى أولى من ذلك .. فكما أنه
لا يتوجه الى جهة البيت الا بالانصرف عن غيرها .. كذلك القلب
لا ينصرف الى الله تعالى الا بالانصرف عما سواه ..

إذا كبرت أيها المصلى .. فلا يكذب قلبك لسانك .. لأنه إذا
كان في قلبك شيء أكبر من الله تعالى فقد كذبت .. فاحذر أن يكون
الهوى عندك أكبر بدليل إثارك موافقته على طاعة الله تعالى ..

فإذا استعذت .. فاعلم أن الاستعاذة هي لجأ الى الله سبحانه ..
فإذا لم تلجأ بقلبك كان كلامك لغوا .. وتفهم معنى ما تتلو .. واحضر
التفهم بقلبك عند قولك : « الحمد لله رب العالمين » .. واستحضر
لطفه عند قولك : « الرحمن الرحيم » .. وعظمته عند قولك :
« مالك يوم الدين » .. وكذلك في جميع ما تتلو ..

وتدرونا عن زرارة بن أبي أوفى رضى الله عنه أنه قرأ في صلاته :
« فإذا نقر في الناقدور » (٢٨) فخر ميتا .. وما ذاك الا لأنه تصور
تلك الحال فأثرت عنده التلف ..

واستشعر في ركوعك التواضع .. وفي سجودك زيادة الذل ..
لأنك وضعت النفس موضعها .. ورددت الفرع الى أصله بالسجود على
التراب الذي خلقت منه .. وتفهم معنى الأذكار بالذوق •

واعلم أن أداء الصلاة بهذه الشروط الباطنة سبب لجلاء القلب
من الصدا .. وحصول الأنوار فيه التي بها تتلمح عظمة المعبود ..
وتطلع على أسرارهِ وما يعقلها الا العالمون •

فأما من هو قائم بصورة الصلاة دون معانيها .. فانه لا يطلع
على شيء من ذلك بل ينكر وجوده « اه •



سئل حاتم الأصم رضى الله عنه يوما عن صلاته فقال : « اذا
حانت الصلاة .. أسبغت الوضوء .. وأتيت الموضع الذي أريد الصلاة
فيه فأتقعد فيه حتى تجتمع جوارحي .. ثم أقوم الى صلاتي وأجعل
الكعبة بين حاجبي .. والصراط تحت قدمي .. والجنة عن يميني ..
والنار عن شمالي .. وملك الموت ورائي أظنها آخر صلاتي ..

ثم أقوم بين الرجاء والخوف .. وأكبر تكبيرا بتحقيق .. وأقرأ
قراءة بترتيل .. وأركع ركوعا بتواضع .. وأسجد سجودا بتخشع ..
وأقعد على الورك الأيسر .. وأفرش ظهر قدمي .. وأنصب القدم
اليمنى على الابهام .. وأتبعها الاخلاص .. ثم لا أدري أقبلت منى
أم لا ؟

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « حبيب الى من دنياكم :
النساء والطيب .. وجعلت قرّة عيني في الصلاة » •
وفي هذا المعنى يقول الامام ابن القيم (*) :

« وقرّة العين فوق المحبة ، فانه ليس كل محبوب تقر به العين ،
وانما تقر العين على المحبوب الذي يحب لذاته ، وليس ذلك الا الله
الذى لا اله الا هو • وكل ما سواه فانما يحب تبعا لمحبتة ، فيحب
لأجله ، ولا يحب معه ، فان الحب معه شرك ، والحب لأجله توحيد •

(*) في كتابه : « الطريق الى الهداية » نشر دار التراث العربى
سنة ١٩٨٤ م ص ٤٨ - ٥٩

فالشرك يتخذ من دون الله أندادا يحبهم كحب الله ، والموحد انما يحب من يحبه الله ، ويبغض من يبغضه الله ، ويفعل ما يفعله الله ، ويترك ما يتركه الله . ومدار الدين على هذه القواعد الأربعة . وهى : الحب ، والبغض . ويترتب عليهما : الفعل ، والترك ، والعطاء ، والمنع . فمن استكمل أن يكون هذا كله لله فقد استكمل الايمان ، وما نقص منها أن يكون لله عاد ينقص ايمان العبد .

والمقصود أن ما تقر به العين أعلا من مجرد ما يحبه . فالصلاة قرّة عيون المحبين فى هذه الدنيا ، لما فيها من مناجاة من لا تقر بالعيون الا به ، ولا تطمئن ولا تسكن النفس الا اليه ، والتنعّم بذكره ، والتلذذ والخضوع له ، والقرب منه ، ولاسيما فى حال السجود ، وتلك الحال أقرب ما يكون العبد من ربه فيها .

ومن هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم : « أرحنا بها يا بلال » . كما أخبر أن قرّة عينه فيها . فأين هذا من قول من يقول : نصلى ونستريح من الصلاة . فالمحب راحته وقرّة عينه فى الصلاة ، والغافل المعرض ليس له نصيب من ذلك ، بل الصلاة كبيرة شاقة عليه ، اذا قام فكأنه قائم على الجمر حتى يتخلص من واجب الصلاة ، وعجلها وأسرعها ، فهو ليس له قرّة عين فيها ، ولا لقلبه راحة بها .

والعبد اذا قرت عينه بشيء ، واستراح قلبه به ، فاشق ما عليه مفارقتها ، والمتكلف الفارغ القلب من الله والدار الآخرة ، المبتلى بحب الدنيا ، أشق ما عليه الصلاة ، وأكره ما اليه طولها ، مع تفرغه ، وصحته ، وعدم اشغاله .

ومما ينبغى أن يعلم أن الصلاة التى تقر بها العين ، ويستريح بها القلب ، هى التى تجمع ستة مشاهد .

المشهد الأول - الاخلاص :

وهو أن يكون الحامل عليها ، والداعى اليها : رغبة العبد فى الله ، ومحبته له ، وطلبه مرضاته ، والقرب منه ، والتردد اليه ، وامتنال أمره ، بحيث لا يكون الباعث له عليها حظ من حظوظ الدنيا ألبتة ، بل يأتى بها ابتغاء وجه ربه الأعلى ، محبة له ، وخوفا من عذابه ، ورجاء لمغفرته وثوابه .

المشهد الثانى - الصدق والنصح :

وهو أن يفرغ قلبه لله فيها ، ويستفرغ جهده فى اقباله فيها على الله ، وجمع قلبه عليها ، وإيقاعها على أحسن الوجوه وأكملها ، ظاهرا وباطنا • فان الصلاة لها ظاهر وباطن • فظاهرها الأفعال المشاهدة ، والأقوال المسموعة • وباطنها الخشوع والمراقبة ، وتفرغ القلب لله ، والاقبال بكليته على الله فيها ، لا يلتفت قلبه عنه الى غيره ، فهذا بمنزلة الروح لها ، والأفعال بمنزلة البدن ، فإذا خلت من الروح كانت كبدن بلا روح •

أفلا يستحى العبد أن يواجه سيده بمثل ذلك ؟ ولهذا تلف كما يلف الثوب الخلق ، ويضرب بها وجه صاحبها وتقول : ضيعك الله كما ضيعتنى •

والصلاة التى كمل ظاهرها وباطنها تصعد ولها نور وبرهان كنور الشمس حتى تعرض على الله ، فيرضى بها ، ويقبلها ، وتقول : حفظك الله كما حفظتنى •

المشهد الثالث - المتابعة والاعتداء :

وهو أن يحرص كل الحرص على الاعتداء فى صلاته بالنبى صلى الله عليه وسلم ، كما كان يصلى ، ويعرض عما أحدث الناس فى الصلاة من الزيادة والنقصان ، والأوضاع التى لم ينقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شئ منها ، ولا عن أحد من الصحابة •

ولا تقف عند أقوال المرخصين الذين يقفون مع أقل ما يعتقدون وجوبه ، ويكون غيرهم قد نازعهم فى ذلك ، وأوجب ما أسقطوه • ولعل الأحاديث الثابتة ، والسنة النبوية من جانبه ، ولا يلتفتون الى ذلك ، ويقولون : نحن مقلدون لمذهب فلان وفلان •

وهذا لا تخلص عند الله تعالى ، ولا يكون عذرا لمن تخلف عما علمه من السنة ، فان الله تعالى إنما أمر بطاعة رسوله واتباعه وحده ، ولم يأمر باتباع غيره ، وإنما يطاع غيره إذا أمر بما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم • وكل أحد سوى الرسول صلى الله عليه وسلم فمترك أمره •

وقد أقسم سبحانه وتعالى بنفسه الكريمة أنا لا نؤمن حتى نحكم الرسول فيما شجر بيننا ، وننقاد لحكمه ، ونسلم تسليماً (*) . فلا ينفعنا تحكيم غيره ، ولا ينجينا من عذاب الله ، ولا يقبل منا هذا الجواب اذا سمعنا نداءه سبحانه يوم القيامة يقول : « ماذا أجبتكم المرسلين » .

فانه لابد أن يسألنا عن ذلك ويطلبنا بالجواب ، قال تعالى :

« فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين » .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أوحى الى أنكم بى تعيشون ، وعنئ تسئلون » . يعنى المسألة فى القبر .

فمن انتهت اليه سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتركها لقول أحد من الناس ، فسيرد يوم القيامة ويعلم الحق .

المشهد الرابع - الاحسان :

وهو مشهد المراقبة ، وهو : أن تعبد الله كأنك تراه ، وهذا المشهد انما ينشأ من كمال الايمان بالله وأسمائه وصفاته ، حتى كأنه يرى الله سبحانه وتعالى فوق سماواته ، مستويا على عرشه ، يتكلم بأمره ونهييه ، ويدبر أمر الخليقة ، فينزل الأمر من عنده ، ويصعد اليه ، وتعرض أعمال العباد وأرواحهم عند الوفاة عليه .

فيشهد ذلك بقلبه ، ويشهد أسمائه وصفاته ، ويشهد قيوما حيا سميعا بصيرا عزيزا حكيما ، آمرا ناهيا ، يحب ويغضب ، لا يخفى عليه شئ من أعمال العباد ولا أقوالهم ، ولا بواطنهم ، بل يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

ومشهد الاحسان أصل أعمال القلوب كلها ، فانه يوجب الاجلال والتعظيم ، والخشية والمحبة ، والانابة والتوكل ، والخضوع لله سبحانه ، والذل له ، ويقطع الوسوس وحديث النفس ، ويجمع القلب والهم على الله .

(*) وذلك قوله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » . (النساء : ٦٥) .

فحظ العبد من القرب من الله على قدر حظه من مقام الاحسان ،
وبحسبه تتفاوت الصلاة ، حتى يكون بين صلاة الرجلين في الفضل
كما بين السماء والأرض ، وقيامهما وركوعهما وسجودهما واحد •

المشهد الخامس :

آن يشهد أن المنة لله سبحانه في كونه أقامه في هذا المقام ، وأهله
ووفقه لقيام قلبه وبدنه في خدمته ، فلولاً الله سبحانه لم يكن شيء من
ذلك ، كما كان الصحابة يجدون بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
ويقولون :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

قال تعالى : « يمنون عليك أن أسلموا ، قل لا تمنوا على إسلامكم ،
بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين » •

فالله سبحانه هو الذي جعل المسلم مسلماً ، والمصلى مصلياً ،
كما قال الخليل عليه السلام : « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا
أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا » • وقال : « رب اجعلني مقيم الصلاة
ومن ذريتي » •

فالمنة لله وحده في أن جعل عبده قائماً بطاعته ، وكان هذا من أعظم
نعمه عليه ، وقال تعالى : « وما بكم من نعمة فمن الله » • وقال :
« ولكن الله حبيب اليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر
والفسوق والعصيان ، أولئك هم الراشدون » •

وهذا المشهد من أعظم المشاهد وأنفعها للعبد ، وكلما كان العبد
أعظم توحيداً كان حظه من هذا المشهد أتم •

وفيه من الفوائد : أنه يحول بين القلب وبين العجب بالعمل
ورؤيته ، فانه اذا شهد أن الله سبحانه هو المان به ، الموفق له ، الهادي
اليه ، شغله شهود ذلك عن رؤية نفسه ، والاعجاب بعمله ، وأن يصل
به على الناس • فيرفع من قلبه فلا يعجب به ، ومن لسانه فلا يمن
به ، ولا يستكثر به ، وهذا شأن العمل المرفوع •

ومن فوائده : أن يضيف الحمد على وليه ومستحقه ، فلا يشهد
لنفسه حمداً ، بل يشهده كله لله ، كما يشهد النعمة كلها منه ، والفضل
كله له ، والخير كله في يده ، وهذا من كمال التوحيد •

فلا يستقر قلبه في مقام التوحيد الا بعلم ذلك وشهوده ، فاذا علمه ورسخ فيه صار له مشهدا ، واذا صار لقلبه مشهدا أثر له من المحبة والأنس بالله ، والشوق الى لقائه ، والتنعيم بذكره ، وطاعته ، ما لا نسبة بينه وبين أعلا نعيم الدنيا ألبته .

وما للمرء خير في حياته اذا كان قلبه عن هذا مسدودا ، وطريق الوصول اليه عنه مسدودا ، بل هو كما قال تعالى :

« نرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل ، فسوف يعلمون » .

المشهد السادس — رؤية التقصير :

وهو أن العبد لو اجتهد في القيام بالأمر غاية الاجتهاد ، وبذل وسعه ، فهو مقصر ، وحق الله سبحانه عليه أعظم ، والذي ينبغي أن يقابله به من الطاعة والعبودية فوق ذلك بكثير ، وأن عظمته وجلاله سبحانه يقتضى من العبودية ما يليق بهما .

واذا كان خدم الملوك وعبيدهم يعاملونهم في خدمتهم بالاجلال لهم ، والتعظيم والاحترام والتوقير والحياء والمهابة والخشية والنصح ، بحيث يفرغون قلوبهم وجوارحهم لهم ، فمالك الملوك ، ورب السموات والأرض أولى أن يعامل بأضعاف ذلك .

واذا شهد العبد من نفسه أنه لم يعرف لربه في عبوديته حقه ، ولا قريبا من حقه ، علم تقصيره وتفريطه ، وعدم القيام بما ينبغي له من حقه ، وأنه الى أن يغفر له العبودية ويعفو عنه فيها أحوج منه الى أن يطلب منه عليها ثوابا .

وهو لو وفاها حقها لكانت مستحقة عليه بمقتضى العبودية ، فان خدمة العبد وعمله لسيده مستحق عليه بحكم كونه عبده ومملوكه ، فاذا طلب منه الأجرة على عمله وخدمته لعدده الناس أحق أخرق .

هذا وليس هو عبده ومملوكه على الحقيقة ، بل هو عبد الله ومملوكه على الحقيقة من كل وجه . فعمله وخدمته مستحق عليه بحكم كونه عبده ، فاذا أثابه عليه كان ذلك مجرد فضل ومنة واحسان اليه . لا يستحقه العبد .

ومن هنا كان قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لن يدخل أحدكم الجنة بعمله • قيل : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمته » •

وقال أنس بن مالك : « يخرج للعبد يوم القيامة ثلاثة دواوين ، ديوان حسناته ، وديوان سيئاته • وديوان النعم التي أنعم الله عليه بها • فيقول الرب سبحانه لنعمه : خذى حقك من حسنات عبدي • فيقوم أصغرهما ، فيستنفد حسناته • ثم تقول : وعزتك ما استوفيت حتى بعد • فإذا أراد الله أن يرحم عبده وهبه نعمه ، وغفر سيئاته ، وضاعف حسناته » •

وهذا من أدل الدلالات على كمال علم الصحابة بربهم وحقوقه عليهم • كما أنهم أعلم الأمة بنبيهم وشففته ودينه • فإن في هذا الأثر من العلم والمعرفة ما لا يدركه إلا أولو البصائر العارفون بالله وأسمائه ، وصفاته • وحقه •

ومن هنا يفهم قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أبو داود والامام أحمد من حديث زيد بن ثابت وحذيفة بن اليمان وغيرهما : أن الله تعالى لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم « اهـ •

* * *

* ثمرة الصلاة :

إذا أقيمت الصلاة بالخشوع توجب لها •• وأقبل على الله تعالى بها •• فأنها تثمر الرضوان والمغفرة ••

تثمر الفلاح في الدنيا •• والفوز في الآخرة ••

لقوله تعالى : « فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز » (٢٩) ، الجنة ثمرة من ثمار الصلاة ••

لذا كان من دعاء إبراهيم عليه السلام قوله : « رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ، ربنا وتقبل دعاء • ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب » (٣٠) •

(٣٠) إبراهيم : ٤٠ ، ٤١

(٢٩) آل عمران : ١٨٥

فقدم عليه السلام اقامة الصلاة على طلب المغفرة .. لأن المغفرة
ثمرة مرجوة .. وهى غاية والصلاة هى الوسيلة اليها ..
وقال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم : « قل ان صلاتى ونسكى
ومحياى ومماتى لله رب العالمين • لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول
المسلمين » (٣١) .

فأرشدنا تعالى الى الصراط المستقيم .. فكما أن أمر الحياة
والموت بيد الله وحده .. لذا فان الصلاة والعبادة لا تكون الا له
تعالى وحده ..

كما أمره تعالى بارشاد أمته الى هذا الطريق المستقيم فقال :
« قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا
وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلاق » (٣٢) .

ولما كانت الصلاة هى حجر الزاوية فى العبادات كلها .. بعد
شهادة التوحيد والايمان بالرسول .. وهى عنوان التقوى .. فقد
وصف تعالى المتقين بأنهم : « الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة
ومما رزقناهم ينفقون » (٣٣) .

كما وعد الخاشعين فى صلاتهم بالفلاح فقال : « قد أفلح
المؤمنون • الذين هم فى صلاتهم خاشعون » (٣٤) .
ثم وصف المؤمنين بقوله تعالى : « والذين هم على صلواتهم
يحافظون » (٣٥) .

فاذا كان الانسان يحافظ وهو فى الدنيا على ماله برغم كونه
عارية زائلة .. ألا يجب عليه المحافظة على صلاته وهى زخره الوحيد
فى الآخرة ؟ !

وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بقيام الليل فقال : « ومن الليل
فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا » (٣٦) .
كما وصف تعالى عباده بقوله : « والذين يبيتون لربهم سجدا
وقياما » (٣٧) .

-
- | | |
|--------------------------|-----------------------|
| (٣١) الانعام : ١٦٢ ، ١٦٣ | (٣٢) ابراهيم : ٣١ |
| (٣٣) البقرة : ٣ | (٣٤) المؤمنون : ١ ، ٢ |
| (٣٥) المؤمنون : ٩ | (٣٦) الاسراء : ٧٩ |
| (٣٧) الفرقان : ٦٤ | |

ومدحهم لقيامهم وصلاتهم فقال : « كنوا قليلا من الليل ما يهجعون • وبالأسحار هم يستغفرون • وفي أموالهم حق للسائل والمحروم » (٣٨) .

وقال جل شأنه : « انما يؤمن بآتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون • تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون • فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » (٣٩) . وكما مدح الطائعين بصلاتهم • • ذم العاصين بالاعراض عنها واضاعتها فقال : « فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غيا » (٤٠) .

وهذا هو العدل الالهي • • لقد أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات • • غباءوا بغضب الله • • وخسروا دنياهم وأخراهم • •

ولهذا كان لا عون للمسلم في حياته وآخرته الا الصلاة • • ولقد صدق الله تعالى وهو أصدق القائلين : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين • أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب ، أفلا تعقلون • واستعينوا بالصبر والصلاة ، وأنها لكبيرة الا على الخاشعين • الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون » (٤١) .

* * *

● ولقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم فضل الصلاة • • لما لها من شأن عظيم في الاسلام • • فاذا كانت الصلاة هي الفرق ما بين المؤمن والكافر • • فقد كثرت أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم شارحة لنا قيمتها • •

فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أرايتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات • • هل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيء • • قال : « فذلك مثل الصلوات الخمس • • يمحو الله بهن الخطايا » (٤٢) .

(٣٩) السجدة : ١٥ — ١٧

(٤١) البقرة : ٤٣ — ٤٦

(٣٨) الذاريات : ١٧ — ١٩

(٤٠) مريم : ٥٩

(٤٢) متفق عليه .

وعنه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« الصلوات الخمس .. والجمعة الى الجمعة .. كفارة لما بينهما
ما لم تغش الكبائر » (٤٣) .

وروى أبو عثمان رضى الله عنه قال : كنت مع سلمان رضى الله
عنه تحت شجرة .. فأخذ غصنا منها يابساً فحزه حتى تحات ورقه —
أى تساقط — ثم قال : يا أبا عثمان .. ألا تسألنى لم أفعل هذا ؟ ..
قلت : ولم تفعله ؟ ..

قال : هكذا فعل بى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه
تحت شجرة وأخذ منها غصناً يابساً فحزه حتى تحات ورقه .. فقال :
« يا سلمان .. ألا تسألنى لم أفعل هذا ؟ .. قلت : ولم تفعله
يا رسول الله ؟ قال : ان المسلم اذا توضأ فأحسن الوضوء .. ثم صلى
الصلوات الخمس .. تحاتت خطاياها كما تحات هذا الورق » وقال :
**« وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل ، ان الحسنات يذهبن
السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين »** (٤٤) .

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى
عليه وسلم يقول : « ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن
وضوءها وخشوعها وركوعها .. الا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب
ما لم تؤت كبيرة .. وذلك الدهر كله » (٤٥) .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رجلاً أصاب من امرأة قبله ..
فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره .. فأنزل الله تعالى :
**« وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل ، ان الحسنات يذهبن
السيئات »** (٤٦) فقال الرجل : ألى هذا ؟ قال : لجميع أمتى كلهم » (٤٧) .

وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : كان رجلان أخوان
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وكان أحدهما أفضل من
الآخر .. فتوفي الذى هو أفضلهم وعمر الآخر بعده ثم توفي .. فذكر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فضل الأول على الآخر فقال : « ألم يكن
يصلى » ؟ .. قالوا : بلى يا رسول الله .. فقال صلى الله عليه وسلم :

(٤٣) رواه مسلم .

(٤٤) رواه أحمد والنسائى والطبرائى — والآية من سورة هود : ١١٤

(٤٦) هود : ١١٤

(٤٥) رواه مسلم .

(٤٧) متفق عليه .

« ما يدريك ما بلغت به صلاته » ؟ ثم قال عند ذلك : « انما مثل الصلاة كمثل نهر جار بباب رجل غمر عذب يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فماذا ترون يبقى من درنه » (٤٨) .

وزاد الطبراني : « .. ثم عمر الآخر بعده أربعين ليلة .. فذكر .. » الحديث .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : كان رجلان من بلى — حى من قضاة — أسلما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فاستشهد أحدهما وآخر الآخر سنة .. — قال طلحة بن عبيد الله : فرأيت المؤخر منهما أدخل الجنة قبل الشهيد — أى رآه فى منامه — فتعجبت لذلك فأصبحت فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم — أو ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم — فقال : « أليس قد صام بعده رمضان .. وصلى ستة آلاف ركعة .. وكذا وكذا ركعة — أى صلاة سنة — ؟ » (٤٩) .

وزاد ابن ماجه وابن حبان فى آخره : « فلما بينهما أبعد مما بين اسماء والأرض » .

وعن عمرو بن مرة الجهنى رضى الله عنه قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. أرأيت ان شهدت أن لا اله الا الله وأنت رسول الله .. وصليت الصلوات الخمس .. وأديت الزكاة .. وصمت رمضان وقمته .. فممن أنا ؟ قال : « من الصديقين والشهداء » (٥٠) .

* * *

● وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب فى السعى الى المساجد وتعميرها والحرص على الجماعة .. ويأمر باتمام الصفوف الأولى .. وتسويتها والتراص فيها .. كما تصف الملائكة ..

فعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله .. قال : « اسباغ الوضوء على المكاره .. وكثرة

(٤٨) رواه أحمد .

(٤٩) رواه أحمد وابن ماجه وابن حبان والبيهقى .

(٥٠) رواه البزار وابن خزيمة وابن حبان .

الخطا الى المساجد .. وانتظار الصلاة بعد الصلاة .. فذلكم الرباط ..
فذلكم الرباط» (٥١) .

وعنه رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من
تطهر في بيته .. ثم مضى الى بيت من بيوت الله ليقضى فريضة من
فرائض الله .. كانت خطواته احداها تحت خطيئة .. والأخرى ترفع
درجة » (٥٢) .

وعنه أيضا رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« من غدا الى المسجد أو راح .. أعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا
أو راح » (٥٣) .

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « ان أعظم الناس أجرا في الصلاة أبعدهم اليها ممشى فأبعدهم ..
والذى ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الامام أعظم أجرا من الذى يصلى
ثم ينام » (٥٤) .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال : « اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان ..
قال الله عز وجل : **« انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم
الآخر »** (٥٥) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أتى النبي صلى الله عليه
وسلم رجل أعمى فقال : يا رسول الله .. ليس لى قائد يقودنى الى
المسجد .. فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرخص له فيصلى
في بيته فرخص له فلما ولى قال : « هل تسمع النداء بالصلاة ؟ ..
قال : نعم . قال : فأجب » (٥٦) .

وعنه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه .. لا يمنعه أن
ينقلب الى أهله الا الصلاة » (٥٧) .

(٥٢) رواه مسلم .

(٥١) رواه مسلم .

(٥٤) متفق عليه .

(٥٣) متفق عليه .

(٥٥) رواه الترمذى وقال : حديث حسن — والآية من سورة

(٥٦) رواه مسلم .

التوبة : ١٨

(٥٧) رواه البخارى .

وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين ضعفا .. وذلك أنه اذا توضأ فأحسن الوضوء .. ثم خرج الى المسجد لا يخرجه الا الصلاة .. لم يخط خطوة الا رفعت له بها درجة وحطت عنه بها خطيئة .. فاذا صلى لم تنزل الملائكة تصلى عليه ما دام في مصلاه ما لم يحدث ، تقول : اللهم صل عليه .. اللهم ارحمه .. ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة » (٥٨) .

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر ليلة صلاة العشاء الى شطر الليل .. ثم أقبل علينا بوجهه بعدما صلى فقال : « صلى الناس وارقدوا .. ولم تزالوا في صلاة منذ انتظرتموها » (٥٩) .



● وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على صلاة الجماعة لما لها من فضل عظيم .. فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » (٦٠) .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة .. الا قد استحوذ عليهم الشيطان .. فعليكم بالجماعة فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية » (٦١) .

وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : « من سره أن يلقى الله تعالى غدا مسلما .. فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادي بهن .. فان الله شرع لنبийكم صلى الله عليه وسلم سنن الهدى .. وانهن من سنن الهدى .. »

ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبийكم .. ولو تركتم سنة نبийكم لضللتكم ..

(٥٩) رواه البخارى .

(٦١) رواه أبو داود .

(٥٨) رواه البخارى .

(٦٠) متفق عليه .

ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها الا منافق معلوم النفاق .. ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى — أى يتمايل لشدة مرضه — بين الرجلين حتى يقام فى الصف» (٦٢) .

وفى رواية أنه قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنا سنن الهدى .. وان من سنن الهدى الصلاة فى المسجد الذى يؤذن فيه ..

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفسى بيده .. لقد هممت أن آمر بحطب فيحتطب .. ثم أمر بالصلاة فيؤذن لها .. ثم أمر رجلا فيؤم الناس .. ثم أخالف الى رجال فأحرق عليهم بيوتهم » (٦٣) .



● وكان صلى الله عليه وسلم يأمر باتمام الصفوف الأولى وتسويتها والتراس فيها ..

فعن جابر رضى الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها ؟ » .. فقلت : يا رسول الله .. وكيف تصف الملائكة عند ربها ؟ قال : « يتمون الصفوف الأول .. ويتراصون فى الصف » (٦٤) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها .. وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها » (٦٥) .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى أصحابه تأخرا فقال لهم : « تقدموا فائتموا بى .. ويأتكم بكم من بعدكم .. لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله » (٦٦) .
وعن أبى مسعود رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا فى الصلاة ويقول : « استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم .. ليليني منكم أولوا الأحلام والنهى .. ثم الذين يلونهم .. ثم الذين يلونهم » (٦٧) .

(٦٣) متفق عليه .

(٦٥) رواه مسلم .

(٦٧) رواه مسلم .

(٦٢) رواه مسلم .

(٦٤) رواه مسلم .

(٦٦) رواه مسلم .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أقيموا الصفوف .. وحاذوا بين المناكب .. وسدوا الخلال .. ولينوا بأيدي اخوانكم .. ولا تذروا فرجات للشيطان .. ومن وصل صفا وصله الله .. ومن قطع صفا قطعه الله » (٦٨) .

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أتموا الصف المقدم .. ثم الذى يليه .. فما كان من نقص فليكن فى الصف المؤخر » (٦٩) .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سواوا صفوفكم .. فان تسوية الصف من تمام الصلاة » (٧٠) .

وفى رواية للبخارى : « ... فان تسوية الصفوف من اقامة الصلاة » .

وعن البراء رضى الله عنه قال : كنا اذا صلينا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أحببنا أن نكون عن يمينه يقبل علينا بوجهه .. فسمعتة يقول : « رب قنى عذابك يوم تبعث — أو تجمع — عبادك » (٧١) .

* * *

● وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث على صلاة الصبح والعصر والعشاء .. ويرغب فيها .. لأنها الأوقات التى يتكاسل الناس فيها عادة عن الصلاة ..

فعن جندب بن سفيان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى الصبح فهو فى ذمة الله .. فانظر يا ابن آدم .. لا يطلبنك الله من ذمته بشيء » (٧٢) ..

وعن بريدة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « بشروا المشائين فى الظلم الى المساجد بالنور التام يوم القيامة » (٧٣) .

وعن أبى موسى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى البردين دخل الجنة » (٧٤) .

(٦٨) رواه أبو داود .

(٦٨) رواه أبو داود .

(٧١) رواه أبو داود .

(٧٠) متفق عليه .

(٧٣) رواه أبو داود والترمذى .

(٧٢) رواه مسلم .

(٧٤) رواه البخارى ومسلم — والبردان هما الصبح والعصر .

وعن أبي زهير رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها » (٧٥) .

وعن جرير بن عبد الله البجلي رضى الله عنه قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم .. فنظر الى القمر ليلة البدر فقال : « انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر .. لا تضامون في رؤيته .. فان استطعتم أن لا تقبلوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا » (٧٦) .

وفي رواية : « فنظر الى القمر ليلة أربع عشرة » .. ولا تضامون : أى لا ينالكم تعب ولا مشقة في رؤيته ..

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار .. ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر .. ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم الله — وهو أعلم بهم — كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون » (٧٧) .

وعن بريدة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله » (٧٨) .

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل .. ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله » (٧٩) .

وفي رواية للترمذى : « من شهد العشاء في جماعة كان له كقيام نصف ليلة .. ومن صلى العشاء والفجر في جماعة كان له كقيام ليلة » .. وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس صلاة أثقل على المنافقين من صلاة الفجر والعشاء .. ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا » (٨٠) .

* * *

(٧٥) رواه مسلم — ويعنى الفجر والعصر .

(٧٧) متفق عليه .

(٧٦) متفق عليه .

(٧٩) رواه مسلم .

(٧٨) رواه البخارى .

(٨٠) متفق عليه .

* السنن ٠٠ وصلاة التطوع :

قلنا ان الصلاة تنقسم الى فرائض وسنن ونوافل ٠٠ وقد افترض الله تعالى الفرائض على عباده ٠٠ فاذا أقامها العبد وأدى حقها من خشوع واقبال : أثابه الله جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ٠٠ الذين وصفهم الله تعالى بقوله : « الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » (٨١) .

أما اذا أعرض عنها وجحد فرضيتها ٠٠ فانه يخرج بذلك على الاسلام ويحكم بكفره ان لم يرجع عن ضلاله ويتوب الى الله تعالى ٠٠ وقد توعدده الله تعالى بالشدة والضيق في حياته الدنيا ٠٠ فضلا عن العذاب والهوان في الآخرة ٠٠

يقول تعالى : « ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى » (٨٢) .

والحد الأدنى من الصلاة ٠٠ اقامة فرائضها ٠٠ أما من شاء الاستزادة من فضل الله وعبادته ٠٠ فقد فتح له تعالى باب الاستزادة ٠٠ روى أن رجلا من أهل نجد جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠ ثائر الرأس ٠٠ يسمعون دوى صوته ولا يفقهون له قولا ٠٠ حتى دنوا من الرسول صلى الله عليه وسلم ٠٠ فاذا هو يسأله عن الاسلام ٠٠

فكان مما قاله له الرسول صلى الله عليه وسلم أن قال : « خمس صلوات في اليوم والليلة » ٠٠ قال : هل على غيرهن ؟ قال : « لا ٠٠ الا أن تطوع » .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وصيام شهر رمضان » . فقال الرجل : هل على غيره ؟ ٠٠ فقال : « لا ٠٠ الا أن تطوع » ٠٠ وذكر له الرسول صلى الله عليه وسلم الزكاة ٠٠ فقال : هل على غيرها ؟ ٠٠ قال : « لا ٠٠ الا أن تطوع » ٠٠ فأدبر الرجل وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه ٠٠ فقال صلى الله عليه وسلم : « أفلح ان صدق » ٠٠

هذا عن الفرائض وقد بينا فضائلها .. أما السنن التي استتتها
الرسول صلى الله عليه وسلم — وهي صلاة التطوع — فانها تنقسم
الى أربعة أقسام :

الأول : السنن الرواتب .. ويدخل فيها راتبة الظهر .. وهي
ركعتان أو أربع قبلها .. وركعتان أو أربع بعدها ..
وراتبة العصر .. وهي ركعتان أو أربع قبلها .. وليس لها رواتب
بعدها ..

وراتبة المغرب .. وهي ركعتان بعدها ..

وراتبة العشاء .. وهي ركعتان أو أربع بعدها ..

وراتبة الفجر .. وهي ركعتان قبلها .. ولا صلاة بعدها ..

ثم تأتى بعد صلاة العشاء صلاة الوتر التي حض عليها الرسول
صلى الله عليه وسلم فقال : « اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا » ..
وكان صلى الله عليه وسلم — فيما تروى عائشة رضى الله عنها —
يوتر من أول الليل ومن أوسطه ومن آخره .. وانتهى وتره الى
السحر ..

وكان يوقظها من نومها ويقول : « قومى فأوترى يا عائشة » ..
ويمتد وقت الوتر حتى الفجر .. وأقلها ركعة على بعض
المذاهب .. أو ثلاث على رأى آخرين .. وأكثر الوتر احدى عشر
ركعة ..

بالاضافة الى راتبة الضحى .. وأقلها ركعتان وأكثرها ثمان ..
والقسم الثانى منها : هو ما يسن له الجماعة من التطوعات ..
وهو صلاة التراويح فى رمضان .. وصلاة العيدين على القول بأنها
سنة ..

أما القسم الثالث : فهو التطوع المطلق .. وهو مشروع بالليل
والنهار الا فى الأوقات المنهى عن الصلاة فيها .. أو صلاة النافلة
فقط ..

والقسم الرابع من صلوات التطوع : هو صلوات لها أسباب ..
منها تحية المسجد .. وسجود التلاوة .. وسجود الشكر .. وصلاة
الاستخارة .. وصلاة الاستسقاء .. وكسوف الشمس وخسوف
القمر ..

* * *

وكثير من الناس يؤدون النوافل .. وينوون بها زيادة الأجر
والثواب من الله تعالى ..

وحقيقة الأمر .. أن النافلة — فضلا عما فيها من زيادة في الأجر
والثواب — فإنها تجبر ما يكون قد حدث في الفرائض من نقص أو
خلل ..

ومن منا لا يحدث في صلاته نقص أو خلل ؟ !
من منا لا يسهو في صلاته .. أو تحدثه نفسه بأمر من أمور
الدنيا ومتاعها .. فيلهيه ذلك عن الاقبال على صلاته ؟ !
من منا لم يحدث له — ولو مرة واحدة — أن ينصرف من صلاته ..
فلم يدر أخمسا صلى أم أربعاً ؟ !
لقد كان السلف الصالح يتجردون من الدنيا تماما عند اقبالهم
على الصلاة ..

تقول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم في بيته كأحدنا .. فإذا حان وقت الصلاة مضى كأن
لم يعرفنا ولم نعرفه (٨٣) ..

وكان على بن الحسين رضى الله عنهما إذا مشى الى الصلاة اصفر
لونه وارتعد بدنه .. ويقول : أتدرون بين يدي من أقوم ؟
وأصبيت رجل عروة بن الزبير رضى الله عنهما وقرر الطبيب
قطعها .. فاختر أن يقطعها الطبيب وهو في صلاته .. حتى لا يحس
بالألم !!

ولكننا شغلنا أنفسنا بالدنيا وشغلتنا همومها .. فإذا قمنا الى
الصلاة أتيناها متكاسلين أو كارهين .. وننقر فيها نقر انديكة فلا نتم
تلاوتها أو ركوعها أو سجودها !!

وننصرف منها مسرعين الى مشاغل دنيانا وكأن عدوا يطاردنا !!
والويل كل الويل .. لو أطال الامام قليلا في خطبته أو في صلاته ..
لقد أضاع وقت الناس .. وعطل أعمالهم وأضر بمصالحهم !!
فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ..

والحق .. أننا لو اتجهنا الى الله في صلاتنا بالاخلاص اللازم
والخشوع الواجب .. لو أقبلنا عليه بأرواحنا وقلوبنا بعد أن نطرح

(٨٣) رواه النسائي .

وراءنا هموم الدنيا ومشاكلها .. نو فعلنا ذلك لدبر الله أمورنا ..
وما أصبحت لدينا هموم أو عانينا من مشاكل ..

فلقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر يفرع الى الصلاة ويقول : « يا أهلاه .. صلوا » (٨٤) .

ووجهنا صلى الله عليه وسلم الى الدعاء فى سجودنا حتى ييسر الله أمورنا .. فقال : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد .. فأكثروا الدعاء » (٨٥) .

ولهذا سن الرسول صلى الله عليه وسلم النوافل .. لجبر ما يحدث فى صلاتنا من سهو أو خلل أو نقص ..

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول ما يحاسب بل المرء من عبادته الصلاة .. فان كانت تامة كتبت تامة .. وان كانت ناقصة قال الله : انظروا هل لعبدى من نافلة .. فان كانت له نافلة أكلمت بها » (٨٦) .

ولهذا يجب على العبد حين يؤدى صلاة النافلة .. أن ينوى بها جبر ما يكون قد حدث فى صلاته المفروضة من خلل أو نقص .. والله يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه .

* * *

* السنن الراتبة :

وعن أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من عبد مسلم يصلى لله تعالى كل يوم ثنتى عشرة ركعة تطوعا غير الفريضة .. الا بنى الله له بيتا فى الجنة » (٨٧) .

وفى رواية : « الا بنى له بيت فى الجنة » .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها .. وركعتين بعد الجمعة .. وركعتين بعد المغرب .. وركعتين بعد العشاء (٨٨) ..

(٨٥) رواه الترمذى .

(٨٤) رواه الطبرانى .

(٨٦) رواه أبو يعلى والطبرانى .

(٨٨) متفق عليه .

(٨٧) رواه مسلم .

وعن عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بين كل أذانين صلاة .. بين كل أذانين صلاة .. » قال في الثالثة : « لمن شاء » (٨٩) .
والمراد بالأذانين : الأذان الأول ، والاقامة .

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يدع أربعاً قبل الظهر ، وركعتين قبل الغداة (٩٠) .

وعنها رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » (٩١) .

وفي رواية : « لهما أحب الى من الدنيا وما فيها » ..

وعنها أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلى ركعتين خفيفتين بين النداء والاقامة من صلاة الصبح (٩٢) .

وفي رواية : « يصلى ركعتي الفجر .. اذا سمع الأذان فيخففهما حتى أقول : هل قرأ فيهما بأمر القرآن ؟ ! »

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى من الليل مثنى مثنى .. ويوتر بركعة من آخر الليل .. ويصلى الركعتين قبل صلاة الغداة .. وكان الأذان بأذنيه » (٩٣) .

وعنه رضى الله عنه قال : رمقت النبي صلى الله عليه وسلم شهراً .. وكان يقرأ في الركعتين قبل الفجر : « قل يا أيها الكافرون » و « قل هو الله أحد » (٩٤) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلى فيما بين أن يفرغ من صلاة العشاء الى الفجر إحدى عشرة ركعة . يسلم بين كل ركعتين .. ويوتر بواحدة .. فاذا سكت المؤذن من صلاة الفجر وتبين له الفجر وجاءه المؤذن قام فركع ركعتين خفيفتين .. ثم اضطجع على شقه الأيمن .. حتى يأتيه المؤذن للاقامة (٩٥) .

(٩٠) رواه البخارى .

(٩٢) متفق عليه .

(٩٤) رواه الترمذى .

(٨٩) متفق عليه .

(٩١) رواه مسلم .

(٩٣) متفق عليه .

(٩٥) رواه مسلم .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا صلى أحدكم ركعتي الفجر .. فليضطجع على يمينه » (٩٦) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلى فى بيتى قبل الظهر أربعاً .. ثم يخرج فيصلى بالناس ، ثم يدخل فبصلى ركعتين .. وكان يصلى بالناس المغرب .. ثم يدخل فيصلى ركعتين .. ويصلى بالناس العشاء .. ويدخل بيتى فيصلى ركعتين » (٩٧) .
وعن أم حبيبة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها .. حرمه الله على النار » (٩٨) .

وعن عبد الله بن السائب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى أربعاً بعد أن تزول الشمس قبل الظهر . قال : « انها ساعة تفتح فيها أبواب السماء .. فأحب أن يصعد لى فيها عمل صالح » (٩٩) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رحم الله امرءاً صلى قبل العصر أربعاً » (١٠٠) .

وعن أنس رضى الله عنه قال : كنا نصلى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين بعد غروب الشمس قبل المغرب .. فقليل ؛ أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاهما ؟ قال : كان يرانا نصليهما فلم يأمرنا ولم ينهنا (١٠١) .

وعنه رضى الله عنه قال : كنا بالمدينة فاذا أذن المؤذن لصلاة المغرب ابتدروا السوارى .. فركعوا ركعتين .. حتى ان الرجل الغريب ليدخل المسجد فيحسب أن الصلاة قد صليت من كثرة من يصليهما (١٠٢) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا صلى أحدكم الجمعة .. فليصل بعدها أربع » (١٠٣) .

* * *

-
- | | |
|--------------------------------|---------------------|
| (٩٦) رواه أبو داود والترمذى . | (٩٧) رواه مسلم . |
| (٩٨) رواه أبو داود والترمذى . | (٩٩) رواه الترمذى . |
| (١٠٠) رواه أبو داود والترمذى . | (١٠١) رواه مسلم . |
| (١٠٢) رواه مسلم . | (١٠٣) رواه مسلم . |

● وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على صلاة الضحى
وانوتر .. ورغب في أداء النوافل في البيوت .. حتى لا تحرم من
بركتها ..

فعن علي كرم الله وجهه قال : الوتر ليس بحتم كصلاة المكتوبة ..
ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله وتر يحب
الوتر .. فأوتروا يا أهل القرآن » (١٠٤) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : « اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا » (١٠٥) .

وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر من أوله ..
ومن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل .. فان صلاة آخر الليل
مشهودة .. وذلك أفضل » (١٠٦) .

وعن أبي ذر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« يصبح على كل سلامى (١٠٧) من أحدكم صدقة : فكل تسبيحة صدقة ..
وكل تحميدة صدقة .. وكل تهليلة صدقة .. وكل تكبيرة صدقة ..
وأمر بالمعروف صدقة .. ونهى عن المنكر صدقة .. ويجزىء من ذلك
ركعتان يركعهما من الضحى » (١٠٨) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصلى الضحى أربعاً .. ويزيد ما شاء الله (١٠٩) .

وعن أم هانئ فاختة بنت أبي طالب رضى الله عنها قالت : ذهبت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل .. فلما
فرغ من غسله صلى ثمان ركعات .. وذلك ضحى (١١٠) .

وعن زيد بن أرقم رضى الله عنه أنه رأى قوما يصلون من الضحى ..
فقال : أما لقد علموا أن الصلاة في غير هذه الساعة أفضل .. ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « صلاة الأوابين حين ترمض
الفصال » (١١١) .

(١٠٤) رواه أبو داود والترمذى

(١٠٥) متفق عليه .

(١٠٦) رواه مسلم .

(١٠٧) السلامى — بفتح السين : عظام الأصابع في اليد والقدم ..

والجمع : سلاميات .

(١٠٨) رواه مسلم .

(١٠٩) رواه مسلم .

(١١٠) متفق عليه .

(١١١) رواه مسلم .

قال النووي (١١٢) : « ترمض : بفتح التاء والميم وبالضاد المعجمة
يعنى : شدة الحر .. والفصال — جمع فصيل — وهو الصغير من
الابل » ..

فصلاة الضحى تجوز من ارتفاع الشمس الى زوالها .. والأفضل
أن تصلى عند اشتداد الحر وارتفاع الضحى .

وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال : « صلوا أيها الناس فى بيوتكم .. فان أفضل الصلاة صلاة المرء
فى بيته الا المكتوبة » (١١٣) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال : « اجعلوا من صلاتكم فى بيوتكم .. ولا تتخذوها قبورا » (١١٤) .
شبهها صلى الله عليه وسلم بالقبور .. لأن الصلاة لا تجوز فى
المقابر ..

وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « اذا قضى أحدكم صلاته فى مسجده .. فليجعل لبيته نصيبا
من صلاته .. فان الله جاعل فى بيته من صلاته خيرا » (١١٥) .

وعن أبى قتادة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « اذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلى ركعتين » (١١٦) .

* * *

● ويستحب صلاة ركعتين بعد الوضوء لما رواه أبو هريرة
رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال :
« يا بلال .. حدثنى بأرجى عمل عملته فى الاسلام فأنى سمعت دف
نعليك بين يدي فى الجنة » قال : ما عملت عملا أرجى عندي من أنى
لم أتطهر طهورا فى ساعة من ليل أو نهار .. الا صليت بذلك الطهور
ما كتب لى أن أصلى » (١١٧) .

والدف — بفتح الدال — السير اللين ..
والمعنى أن الرسول صلى الله عليه وسلم رآه بين يديه فى
الجنة .. لأن باب الجنة لا يفتح لأحد قبل الرسول صلى الله عليه

(١١٢) فى كتابه : رياض الصالحين .

(١١٤) متفق عليه .

(١١٦) متفق عليه .

(١١٣) متفق عليه .

(١١٥) رواه مسلم .

(١١٧) متفق عليه .

وسلم .. ويتبين لنا من هذا الحديث فضل المبادرة لصلاة النافلة ..
ولو كانت ركعتين اثر الفراغ من الوضوء ..

* * *

● ولما كان ليوم الجمعة من فضل عظيم .. فقد اختصه الرسول صلى الله عليه وسلم بالحث على الاكثار فيه من الفضائل .. ففيه ساعة للإجابة .. ولهذا يجب الاستعداد له بالاغتسال والتطيب .. ولبس أحسن الثياب .. والتبكير بالذهاب الى المسجد .. وكثرة الدعاء فيه .. والاكثار من الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم ..

يقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » (١١٨) .

وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة .. وفيه خلق آدم .. وفيه أدخل الجنة .. وفيه أخرج منها » (١١٩) .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من توضأ فأحسن الوضوء .. ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت .. غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام .. ومن مس الحصى فقد لغا » (١٢٠) .

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الصلوات الخمس .. والجمعة الى الجمعة .. ورمضان الى رمضان مكفرات ما بينهن اذا اجتنبت الكبائر » (١٢١) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على أعواد منبره : « لينتهين أقوام عن ودعهم — أى تركهم — الجمعات .. أو ليختمن الله على قلوبهم .. ثم ليكونن من الغافلين » (١٢٢) .

(١١٩) رواه مسلم .

(١٢١) رواه مسلم .

(١١٨) الجمعة : ٩ ، ١٠ .

(١٢٠) رواه مسلم .

(١٢٢) رواه مسلم .

وعن سلمان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر .. ويدهن من دهنه .. أو يمس من طيب بيته .. ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين .. ثم يصلى ما كتب له .. ثم ينصت إذا تكلم الإمام .. الا هفرف له ما بينه وبين الجمعة الأخرى » (١٢٣) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة (١٢٤) ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة .. ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة .. ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن .. ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة .. ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة .. فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » (١٢٥) .

وعنه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال : « فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلى يسأل الله شيئاً الا أعطاه إياه » — وأشار بيده يقللها (١٢٦) .

وعن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضى الله عنهما قال : قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : أسمعت أباك يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شأن ساعة الجمعة ؟ قال : قلت نعم .. سمعته يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « هي ما بين أن يجلس الإمام الى أن تقضى الصلاة » (١٢٧) .

وعن أوس بن أوس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان من أفضل أيامكم يوم الجمعة .. فأكثروا على من الصلاة فيه .. فان صلاتكم معروضة على » (١٢٨) .



(١٢٣) رواه البخارى .

(١٢٤) أى غسل الكفيل الجنابة فى الصفة .

(١٢٦) متفق عليه .

(١٢٥) متفق عليه .

(١٢٨) رواه أبو داود .

(١٢٧) رواه مسلم .

● ويستحب سجود الشكر عند حصول نعمة ظاهرة .. أو
اندفاع بلية ظاهرة ..

فعن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مكة نريد المدينة .. فلما كنا قريبا من غروراء
نزل ثم رفع يديه .. فدعا الله ساعة .. ثم خر ساجدا .. فمكث
طويلا .. ثم قام فرفع يديه ساعة .. ثم خر ساجدا — فعله ثلاثا —
وقال : « سألت ربي .. وشفعت لأمتي .. فأعطاني ثلث أمتي ..
فخررت ساجدا لربي شكرا .. ثم رفعت رأسي فسألت ربي لأمتي
فأعطاني ثلث أمتي .. فخررت ساجدا لربي شكرا .. ثم رفعت رأسي
فسألت ربي لأمتي .. فأعطاني الثلث الآخر .. فخررت ساجدا
لربي » (١٢٩) .



قيام الليل وفضله

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم : « أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ، أن قرآن الفجر كان مشهودا . ومن الليل فتهد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا . وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا » (١) .

ويقول جل شأنه : « انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون . تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون . فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون . أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا ، لا يستوون » (٢) .

ويقول جل وعلا : « ان المتقين في جنات وعيون . آخذين ما آتاهم ربهم ، انهم كانوا قبل ذلك محسنين . كانوا قليلا من الليل ما يهجعون . وبالأسحار هم يستفرون . وفي أموالهم حق للسائل والمحروم » (٣) .

من بدهيات الأمور .. أن كل مجتهد لابد أن يجد ثمرة لاجتهاده .. ولا يستقيم مع العقل أن يتساوى الجاد في حياته مع الهازل فيها ..

وهل يمكن أن يتساوى — في النتيجة — الخامل مع النشيط .. أو الكسول مع المجد .. أو الفاشل مع الناجح ؟؟

ان طبائع الأمور تأبى مثل هذا المنطق .. فكل مجتهد نصيب ..

والله تعالى يقول : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، انما يتذكر اولوا الالباب » (٤) فحتى في العلم والمعرفة .. لا يتساوى الجاهل مع العالم .. أو الأحمق مع النابه ..

(٢) السجدة : ١٥ — ١٨

(٤) الزمر : ٩

(١) الاسراء : ٧٨ — ٨٠

(٣) الذاريات : ١٥ — ١٩

ولقد أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم — وأمته من بعده — بإقامة الصلاة المفروضة من أول زوال الشمس نحو الغروب الى ظلمة الليل .. وهى الصلوات المفروضة : — الظهر والعصر والمغرب والعشاء — كما أمره بأن يقيم صلاة الفجر التى تشهدها الملائكة .. وهذا أمر عام له صلى الله عليه وسلم ولأمته ..

ثم خصه صلى الله عليه وسلم بأمر زائد عن الصلوات المفروضة .. فأمره بأن يخصص جانبا من الليل للتهجد والعبادة .. فكلفه بصلوات زائدة عن الصلوات الخمس .. رجاء أن يقيمه تعالى يوم القيامة مقاما يحمده فيه الخلائق كلها ..

ولذا يوجهه تعالى — ويوجهنا معه — الى الدعاء بأن يدخله ربه ادخلا مرضيا كريما فى كل ما أدخل فيه من أمر أو مكان .. وأن يخرج منه اخراجا مرضيا كريما .. وأن يجعل له من فضله قوة ينصره بها على أعدائه ..

وقد استجاب الرسول صلى الله عليه وسلم لهذا التكليف .. فكان يقوم من الليل حتى تتورم قدماه .. وبأبى أن يشفق على نفسه وهو الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .. فقد جعل الصلاة قرعة لعينه ..

كما استجاب الصحابة الأجلاء لأمر ربهم وسنة نبيهم .. فرأينا صحابيا كعثمان رضى الله عنه يقوم الليل بالقرآن كله .. يقرأه فى ركعة واحدة ..

والمقياس الصحيح لمعرفة المؤمن بربه المصدق بآياته .. من الكافر به المكذب لها .. هو استجابته لأوامر الله وابتعاده عن نواهيه .. واتعاضه بما جاء به كتابه الكريم ..

لذا نراه يعدل دائما من أسلوب حياته .. ويصحح من منهاجه فيها ليتفق مع صراط الله المستقيم الذى شاء لعباده ..

فنراه دائم السجود لعظمة الله .. منزها اياه عن كل نقص .. مقبلا عليه بكل كمال .. ولا يستكبر أبدا عن الانقياد لآيات ربه .. والاستهداء بهدى نبيه صلى الله عليه وسلم ..

فاذا أوى الى فراشه ليلا .. رأيتاه يتقلب فيه ويتأمل .. كالمرضى أو اللدينغ .. فلا يجد راحته الا فى تنحية بدنه عنه ليقوم الى صلاته .. متوجها الى الله تعالى داعيا اياه .. راجيا رحمته

وثوابه .. خائفا من سخطه وغذابه .. فيجافى جنبه مضجعه .. ويجافى
المضجع جنبه ..



ثم هو لا يكتفى بالعبادات المجانية كما يعمل أكثر الناس .. لأنه
يعلم أن المال مال الله .. أنعم به عليه فضلا منه ورحمة .. فهو
عارية في يده .. يملكه اليوم ويخرج عنه غدا .. فينفق مما رزقه الله
في وجوه الخير سرا وعلانية .. لا يرد سائلا أو مسكينا أو محروما ..
لأنه يعلم أن لهم فيه حقا ثابتا .. ونصيبا واجبا أوجبه الله عليه .
ولهذا فهو يعطى كل ذى حق حقه .. يؤدي حق الله عبادة وصلاة
وقياما .. ويؤدي حق المسكين بذلا وعطاء .. وهو على ثقة من أن
ما عنده هو الذى ينفد .. وما عند الله باق ..
أليس عدلا اذن .. ألا تعلم نفس مقدار ما أعده الله له من النعيم
العظيم .. الذى تقرب به عينه فلا يحزن أبدا ؟
لقد أجهد نفسه وبدنه في عبادة الله وطاعته .. وآن لهما أن
يستقرا ويستريحا .. وأن يجنى ثمرة كده وكدحه في حياته الدنيا ..
جزاء وفاقا لما اكتسب فيها من طاعة وعمل صالح .
ويعقد الله لنا المقارنة .. ويلفت نظرنا الى السؤال البديهي ..
هل يستوى الناس في جزائهم وقد اختلفوا في أعمالهم ؟
هل من كان مؤمنا بالله كمن كان كافرا به عاصيا له ؟
يؤكد لنا تعالى .. انهم لا يستوون ..
وما كان لهم أن يستووا .. « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره .
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » (٥) .



ثم ييشرنا تعالى بأن الذين أطاعوه وخافوه .. سوف ينعمون
في جنات وعيون .. لا يحيط بها الوصف .. ولا يصل اليها الخيال ..
متقبلين ما أعطاهم ربهم من الثواب والتكريم ..
ولماذا هذا يا رب ؟ ..

لأنهم كانوا قبل ذلك — وهم في حياتهم الدنيا — محسنين في
أداء ما طلب منهم .. لقد كانوا لا ينامون من الليل الا أقله .. ويجعلون

(٥) الزلزلة : ٧ ، ٨

أكثره للعبادة بالصلاة والتسبيح .. ويحيونه بتلاوة القرآن وتدبر معانيه .. حتى اذا آذن الليل بالرحيل أخذوا في الاستغفار الى ربهم والتوبة اليه .. راجين رحمته طامعين في نعيمه ..
فكان عدلا اذن .. ألا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين •



يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبد الله بن سلام رضى الله عنه : « أيها الناس .. أفسحوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس نيام .. تدخلوا الجنة بسلام » (١) •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم .. وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل » (٧) •

ويروى لنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما كيفيته .. فيذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « صلاة الليل مثنى مثنى .. فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة » (٨) •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يعقد الشيطان على قافية (٩) رأس أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد .. يضرب على كل عقدة : عليك ليل طويل فارقد .. فان استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة .. فان توضأ انحلت عقدة .. فان صلى انحلت عقدة .. فأصبح نشيطا طيب النفس .. والا أصبح خبيث النفس كسلان » (١٠) •

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أحب الصلاة الى الله صلاة داود .. وأحب الصيام الى الله صيام داود .. كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه .. ويصوم يوما ويفطر يوما » (١١) •

وعن جابر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله

(٧) رواه مسلم •

(٦) رواه الترمذى •

(٨) متفق عليه •

(٩) القافية : مؤخرة الرأس من العنق •

(١١) متفق عليه •

(١٠) متفق عليه •

تعالى خيرا من أمر الدنيا والآخرة الا أعطاه اياه .. وذلك كل ليلة» (١٢) .
وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من نام عن حزبه — أو عن شيء منه — فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر .. كتب له كأنما قرأه من الليل » (١٣) .
وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته .. فان أبت نضح في وجهها الماء .. رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها .. فان أبى نضحت في وجهه الماء » (١٤) .

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا نعس أحدكم في الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم .. فان أحدكم اذا صلى وهو ناعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه » (١٥) .
وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدر ما يقول .. فليضطجع » (١٦) .



● وقد رغب الرسول صلى الله عليه وسلم في قيام رمضان ..
وخص ليلة القدر لما فيها من خير كثير ..
عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » (١٧) .
وعنه رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا .. غفر له ما تقدم من ذنبه » (١٨) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في العشر الأواخر من رمضان ويقول : « تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان » (١٩) .

(١٢) رواه مسلم .

(١٣) رواه مسلم .. والحزب : هو ما يجعله الرجل على نفسه من

قراءة وصلاة كما جاء في النهاية لابن الأثير .

(١٥) متفق عليه .

(١٤) رواه أبو داود .

(١٧) متفق عليه .

(١٦) رواه مسلم .

(١٩) متفق عليه .

(١٨) متفق عليه .

وعنها رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأواخر من رمضان : أحيا الليل .. وأيقظ أهله .. وجد وشد المثزر » (٢٠) .

والمثزر : الازار وهو ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن .. والمعنى هنا أنه صلى الله عليه وسلم كان يتهيأ وينتشر .. كناية عن زيادة الاجتهاد .. فقد كان صلى الله عليه وسلم يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره .. ويجتهد في العشر الأواخر منه ما لا يجتهد في غيرها .. كما روى الامام مسلم عن عائشة رضى الله عنها .. وسألت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : أرأيت ان علمت أى ليلة ليلة القدر .. ما أقول فيها ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « قولى : اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني » (٢١) .

* * *

● ومن التطوع ما ييسن له الجماعة كصلاة العيدين .. ومنها ما له أسباب خاصة كصلاة الاستسقاء .. وصلاة الخسوف والكسوف .. وصلاة الاستخارة .. وسجود التلاوة .. وسجدة الشكر على ما قدمنا .. ومحل ذكره كتب الفقه خوفا من الاطالة ..

* * *

● ولا تجوز الصلاة في المقبرة أو الحمام .. لأن الاسلام يهدف الى طهارة الثوب والبدن والمكان .. وهذه الأماكن يغلب فيها النجاسات ..

فقد أخرج الترمذى وأبو داود وابن ماجه .. عن أبى سعيد رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الأرض كلها مسجد .. الا الحمام والمقبرة » ..

* * *

● كما لا تجوز صلاة الحاقن والجائع ..

لأن من شأن الصلاة الاقبال على الله تعالى .. والجائع أو الحابس لبوله أو غائطه .. يكون متألماً .. مشتت الفكر .. مشوش الصفاء ..

(٢٠) متفق عليه .

(٢١) رواه الترمذى .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يصلى بحضرة الطعام .. ولا وهو يدافعه الأخبثان » (٢٢) .

وعن ثوبان رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ... ولا يصلى وهو حقن حتى يتخفف » (٢٣) .

ويقول القاضى عياض : « ان من صلى على حاله هذه فصلاته باطلة » ..

ويقول بعض أئمة الشافعية : « لا يصلى بحاله هذه .. بل يأكل ويتطهر وان خرج الوقت » ..

وقال الامام النووي : « اذا صلى على حاله وفى الوقت سعة فقد ارتكب المكروه .. وصلاته صحيحة عندنا وعند الجمهور » .



(٢٢) رواه الترمذى والنسائى وأبو داوود وابن ماجه .

(٢٣) رواه أبو داوود .

تارك الصلاة .. وجاحدها ..

يقول الله تعالى : « فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غيا • ألا من تاب وآمن وعمل صالحا » (١) •
ويقول تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون » (٢) •

ويقول : « فويل للمصلين • الذين هم عن صلاتهم ساهون » (٣) •
ويقول جل شأنه : « يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون • خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ، وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون » (٤) •

ويقول جل وعلا : « ما سلحكم في سقر • قالوا لم نك من المصلين • ولم نك نطعم المسكين • وكنا نخوض مع الخائضين • وكنا نكذب بيوم الدين • حتى أتانا اليقين • فما تنفعهم شفاعة الشافعين » (٥) •

● تارك الصلاة الجاحد بها المنكر لها .. كافر خارج عن ملة الاسلام باجماع المسلمين .. أما تاركها مع ايمانه بها واعتقاده فرضيتها .. ولكنه تركها تكاسلا أو تشاغلا عنها — بما لا يعد عذرا في الشرع .. فقد صرحت بعض الأحاديث بكفره ووجوب قتله ..
غير أن كثيرا من علماء السلف والخلف .. رأوا أنه لا يكفر .. بل يفسق ويستتاب .. فان لم يتب قتل حدا عند مالك والشافعي وغيرهما ..

وعند أبي حنيفة : لا يقتل بل يعزر ويحبس حتى يصلى ..
أما أحاديث التكفير .. فقد حملوها على الجاحد أو المستحل للترك ..

وللشوكاني : « والحق أنه كافر يقتل .. أما كفره ، فلأن الأحاديث قد صحت أن الشنارح سمى تارك الصلاة بذلك الاسم .. وجعل الحائل بين الرجل وبين جواز اطلاق هذا الاسم عليه هو الصلاة ..

(٢) المنافقون : ٩

(٤) القلم : ٤٢ ، ٤٣

(١) مريم : ٥٩ ، ٦٠

(٣) الماعون : ٤ ، ٥

(٥) المدثر : ٤٢ — ٤٨

فتركها مقتضى لجواز الاطلاق .. ولا يلزمنا شيء من المعارضات التي أوردتها المعارضون .. لأننا نقول : لا يمنع أن يكون بعض أنواع الكفر غير مانع من المغفرة واستحقاق الشفاعة .. ككفر أهل القبلة ببعض الذنوب التي سماها الشارع كفرا .. فلا ملجئ الى التأويلات التي وقع الناس في مضيقها » .

وقد صرحت بعض الأحاديث النبوية الشريفة بكفر تارك الصلاة .. وصرحت أخرى بوجوب قتله ..

فعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » ^(٦) .

وعن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة .. فمن تركها فقد كفر » ^(٧) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الصلاة يوما فقال : « من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة .. ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وهامان وأبى بن خلف » ^(٨) .

واستند الامام ابن القيم بكون تارك المحافظة على الصلاة مع أئمة الكفر فى الآخرة مما يقتضى كفره .. يقول : « تارك المحافظة على الصلاة اما أن يشغله ماله أو ملكه أو رياسته أو تجارته .. فمن شغله عنها ماله فهو مع قارون .. ومن شغله عنها ملكه فهو مع فرعون .. ومن شغله عنها رياسته ووزارته فهو مع هامان .. ومن شغله عنها تجارته فهو مع أبى بن خلف » ..

وروى الترمذى والحاكم عن عبد الله بن شقيق العقيلي قال : « كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئا تركه كفر غير الصلاة » ..

وقال محمد بن نصر المروزي : سمعت اسحاق يقول : « صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أن تارك الصلاة كافر » ..

(٦) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه .

(٧) رواه أحمد وأصحاب السنن .

(٨) رواه أحمد والطبرانى وابن حبان .

ويقول الإمام ابن حزم : « وقد جاء عن عمر وعبد الرحمن ابن عوف ومعاذ بن جبل وأبى هريرة وغيرهم من الصحابة : « أن من ترك صلاة فرض واحدة متعمدا حتى يخرج وقتها فهو كافر مرتد » .. ولا نعلم لهؤلاء الصحابة مخالفا ..

ويقول المنذرى فى « الترغيب والترهيب » — بعد ذكر مقالة ابن حزم السالفة — يقول : « قد ذهب جماعة من الصحابة ومن بعدهم الى تكفير من ترك الصلاة متعمدا تركها حتى يخرج جميع وقتها .. منهم عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، ومعاذ بن جبل ، وجابر بن عبد الله ، وأبو الدرداء رضى الله عنهم ..

ومن غير الصحابة أحمد بن حنبل ، واسحاق بن راهويه ، وعبد الله بن المبارك ، والنخعى ، والحكم بن عتيبة ، وأبو أيوب السخيتانى ، وأبو داود الطيالسى ، وأبو بكر بن أبى شيبة ، وزهير ابن هرب .. وغيرهم رحمهم الله » (٩) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « عرى الاسلام وقواعد الدين ثلاثة .. عليهن أسس الاسلام .. من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم : شهادة أن لا اله الا الله .. والصلاة المكتوبة .. وصوم رمضان » (١٠) .

وفى رواية : « من ترك منهن واحدة فهو بالله كافر .. ولا يقبل منه صرف ولا عدل .. وقد حل دمه وماله » .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .. ويقيموا الصلاة .. ويؤتوا الزكاة .. فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام .. وحسابهم على الله عز وجل » (١١) .

وعن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « انه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون .. فمن كره فقد برىء .. ومن أنكر فقد سلم ولكن من رضى وتابع » قالوا : يا رسول الله .. ألا نقاتلهم ؟ قال : « لا .. ما صلوا » (١٢) ..

(٩) انظر فقه السنة — للشيخ السيد سابق ج ١ ص ٦٩

(١٠) رواه أبو يعلى . (١١) رواه البخارى ومسلم .

(١٢) رواه مسلم .

فجعل صلى الله عليه وسلم الصلاة مانعا من مقاتلة أمراء الجور ..
وعن أبي سعيد رضى الله عنه قال : بعث على — كرم الله وجهه —
وهو باليمن الى النبی صلى الله عليه وسلم بذهية فقسمها بين
أربعة ..

فقال رجل : يا رسول الله .. اتق الله (!!)
فقال : « ويلك .. أو لست أحق أهل الأرض أن يتقى الله » ؟
ثم ولى الرجل .. فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه :
يا رسول الله .. ألا أضرب عنقه ؟ .. فقال : « لا .. لعله أن يكون
يصلى » ..

فقال خالد : وكم من رجل يقول بلسانه ما ليس فى قلبه ..
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انى لم أومر أن أنقب
عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم » (١٣) .

فجعل صلى الله عليه وسلم الصلاة هى المانعة من القتل ..
ومفهوم المخالفة اذن يقضى بأن عدم الصلاة موجب للقتل ..
وقد ذكر السبكي (١٤) فى طبقات الشافعية .. أن الامامين
الجليلين الشافعى وأحمد رضى الله عنهما تناظرا فى تارك الصلاة ..
قال الشافعى رضى الله عنه : يا أحمد .. أتقول انه يكفر ؟

قال : نعم ..

قال : اذا كان كافرا .. فبم يسلم ؟

قال أحمد : يقول : لا اله الا الله محمد رسول الله ..

فقال : فالرجل مستديم لهذا القول لم يتركه ..

قال : يسلم بأن يصلى ..

فقال الشافعى : صلاة الكافر لا تصح .. ولا يحكم له بالاسلام
بها ..

فسكت الامام أحمد .. رحمهما الله تعالى .. ولهذا كان الشافعى
رضى الله عنه يرى أنه لا يكفر .. بل يفسق ويستتاب .. فان لم يتب
قتل حدا .. ووافقه فى ذلك مذهب الامام مالك ..

* * *

(١٣) رواه البخارى ومسلم .

(١٤) انظر فقه السنة — المرجع السابق ص ٧٠

● يقول ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : « فـخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غيا • الا من تاب وآمن وعمل صالحا » (١٥) : « ليس معنى أضاعوها أنهم تركوها بالكلية •• ولكن أخروها عن أوقاتها » ••

وقال سعيد بن المسيب رضى الله عنه : « هو أن لا يصلى الظهر حتى يأتى العصر •• ولا يصلى العصر الى المغرب •• ولا يصلى المغرب الى العشاء •• ولا يصلى العشاء الى الفجر •• ولا يصلى الفجر الى طلوع الشمس •• فمن مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب وعده الله بالغى •• وهو واد فى جهنم بعيد قعره خبيث طعمه » ••

ويقول سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون فقال : « هو تأخير الوقت » (*) أى أنهم أخروا صلواتهم أوقاتها •• وذلك قوله تعالى : « فويل للمصلين • الذين هم عن صلاتهم ساهون » (١٦) ••

لأن الله سماهم « مصلين » •• ولكنهم تهاونوا بها وأخروها عن وقتها •• فوعدهم تعالى بالويل •• وهو شدة العذاب •• وقيل : هو واد فى جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره •• وهو مسكن من يتهاون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها الا أن يتوب الى الله تعالى ويندم على ما فرط ••

وقال صلى الله عليه وسلم : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة •• فان صلحت فقد أفلح وأنجح •• وان نقصت فقد خاب وخسر » (١٧) ••

وقال المفسرون فى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون » (١٨) : المراد بذكر الله تعالى فى هذه الآية : الصلوات الخمس •• فمن اشتغل بماله فى بيعه وشرائه ومعيشته وضيعته وأولاده عن الصلاة فى وقتها كان من الخاسرين (١٩) ••

(١٥) مريم : ٥٩ ، ٦٠ (*) رواه البزار •

(١٦) الماعون : ٥ ، ٤

(١٧) رواه المنذرى فى الترغيب والترهيب وعزاه للطبرانى •

(١٨) المنافقون : ٩

(١٩) الكبائر : للامام الذهبى ص ١٣

وعن أبي الدرداء رضى الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم :
« من ترك الصلاة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله » (٢٠) .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله عز وجل » (٢١) .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. أى الأعمال أحب الى الله تعالى فى الاسلام ؟ .. قال : « الصلاة لوقتها .. ومن ترك الصلاة فلا دين له .. والصلاة عماد الدين » (٢٢) .

وتقدم .. أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما طعن قيل له : الصلاة يا أمير المؤمنين .. قال : نعم .. أما انه لا حظ لأحد فى الاسلام أضاع الصلاة .. وصلى رضى الله عنه وجرحه يثعب دما .. وسئل على بن أبى طالب كرم الله وجهه عن امرأة لا تصلى .. فقال : من لم يصل فهو كافر (٢٣) ..

ولابن مسعود رضى الله عنه : من لم يصل فلا دين له .. وقال ابن عباس رضى الله عنهما : « من ترك صلاة واحدة متعمدا لقي الله تعالى وهو عليه غضبان » ..

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من لقي الله وهو مضيع للصلاة لم يعبأ الله بشيء من حسناته اذا كان مضيعا للصلاة » ..

وقال صلى الله عليه وسلم : « اذا صلى العبد الصلاة فى أول الوقت صعدت الى السماء ولها نور حتى تنتهى الى العرش فتستغفر لصاحبها الى يوم القيامة وتقول : حفظك الله كما حفظتنى ..

واذا صلى العبد الصلاة فى غير وقتها صعدت الى السماء وعليها ظلمة .. فاذا انتهت الى السماء تلف كما يلف الثوب الخلق .. وبضرب بها وجه صاحبها وتقول : ضيعك الله كما ضيعتنى » (٢٤) .

(٢٠) رواه ابن ماجه والبيهقى . (٢١) رواه أحمد .

(٢٢) رواه البيهقى . (٢٣) رواه الترمذى والحاكم .

(٢٤) رواه الطبرانى والطيالسى والبيهقى .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى بابا عظيما من أبواب الكبائر » (٢٥) .

وعنه رضى الله عنه قال : « اذا كان يوم القيامة يؤتى بالرجل فيوقف بين يدي الله عز وجل .. فيأمر به الى النار .. فيقول : يا رب .. لماذا ؟ فيقول الله تعالى : لتأخيرك الصلاة عن وقتها وحلفك بى كاذبا » ..

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاتهم : من تقدم قوما وهم له كارهون .. ومن استعبد محررا .. ورجل أتى الصلاة دبارا » (٢٦) — أى يأتيها بعد أن تفوته ..

ويقول الامام الذهبى (٢٧) : « من حافظ على الصلوات المكتوبة أكرمه الله تعالى بخمس كرامات : يرفع عنه ضيق العيش ، وعذاب القبر ، ويعطيه كتابه بيمينه ، ويمر على الصراط كالبرق الخاطف ، ويدخل الجنة بغير حساب ..

ومن تهاون بها عاقبه الله تعالى بخمس عشر عقوبة : خمس فى الدنيا .. وثلاث عند الموت .. وثلاث فى القبر .. وثلاث عند خروجه من القبر (*) ..

فأما اللاتى فى الدنيا : فالأولى ينزع البركة من عمره .. والثانية يمحق سيماء الصالحين من وجهه .. والثالثة كل عمل يعمله لا يأجره الله عليه .. والرابعة لا يرفع له دعاء الى السماء .. والخامسة ليس له حظ فى دعاء الصالحين ..

وأما اللاتى تصيبه عند الموت : فانه يموت ذليلا .. والثانية يموت جائعا .. والثالثة يموت عطشانا ولو سقى بحار الدنيا ما روى من عطشه ..

وأما اللاتى تصيبه فى قبره : فالأولى يطبق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه .. والثانية يوقد عليه القبر نارا يتقلب على الجمر

(٢٦) رواه أبو داود .

(٢٥) رواه الحاكم .

(٢٧) فى الكبائر ص ١٧

(*) وهذه أربعة عشر عقوبة ، ولم يذكر الذهبى الخامسة عشر .

ليلا ونهارا .. والثالثة يسلط عليه في قبره ثعبان اسمه الشجاع الأقرع .. عيناه من نار .. وأظافره من حديد .. طول كل ظفر مسيرة يوم .. يكلم الميت فيقول : أنا الشجاع الأقرع .. وصوته مثل الرعد القاصف يقول : أمرنى ربى أن أضربك على تضييع صلاة الصبح الى طلوع الشمس . . . وأضربك على تضييع صلاة الظهر الى العصر .. وأضربك على تضييع صلاة العصر الى المغرب .. وأضربك على تضييع صلاة المغرب الى العشاء .. وأضربك على تضييع صلاة العشاء الى الصبح .. فكلما ضربه ضربة يغوص في الأرض سبعين ذراعا .. فلا يزال في الأرض معذبا الى يوم القيامة ..

وأما اللاتى تصيبه عند خروجه من قبره في موقف القيامة : فشدّة الحساب .. وسخط الرب .. ودخول النار ..

وقيل : انه يأتى يوم القيامة وعلى وجهه ثلاثة أسطر مكتوبات ..
السطر الأول : يا مضيع حق الله ..
السطر الثانى : يا مخصوصا بغضب الله ..
السطر الثالث : كما ضيعت في الدنيا حق الله .. فأيس اليوم أنت من رحمة الله » اهـ .

وروى أنه أول ما يسود يوم القيامة وجوه تاركى الصلاة .. وأن في جهنم واديا يقال له « اللحم » .. فيه حيات كل حية ثخن رقبة البعير .. طولها مسيرة شهر . تلسع تارك الصلاة فيغلى سمها في جسمه سبعين سنة .. ثم يتهرى لحمه .. أعاذنا الله من ذلك ..

* * *

وروى في تفسير قوله تعالى : « فويل للمصلين • الذين هم عن صلاتهم ساهون » (٢٨) أنه الذى ينقر في الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها ..

وعن أبى قتادة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشد الناس سرقة .. الذى يسرق من صلاته » .. قيل : وكيف يسرق من صلاته ؟ .. قال : « لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها » (٢٩) .

(٢٩) رواه أحمد والحاكم .

(٢٨) الماعون : ٤ ، ٥

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا ينظر الله الى رجل لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده » (٣٠) .
وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تلك صلاة المنافق .. يجلس يرقب الشمس حتى اذا كانت بين قرنى شيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها الا قليلاً » (٣١) .

وعن أبي موسى رضى الله عنه قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بأصحابه .. ثم جلس فدخل رجل فقام يصلى .. فجعل يركع وينقر سجوده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ترون هذا ؟ .. لو مات مات على غير ملة محمد — صلى الله عليه وآله وسلم — ينقر صلاته كما ينقر الغراب الدم » (٣٢) .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مصل الا وملك عن يمينه ، وملك عن يساره .. فان أتمها عرجاً بها الى الله تعالى .. وان لم يتمها ضرباً بها وجهه » (٣٣) .
وعن سلمان الفارسي رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الصلاة مكيال .. فمن وفى وفى له .. ومن طفف فقد علمتم ما قال الله فى المطففين » (٣٤) .

والمطفف .. هو المنقص للكيل أو الوزن أو الذرع أو الصلاة .. وعدهم الله بالويل .. وهو واد فى جهنم تستغيث جهنم من حره .. قال الله تعالى : « ويل للمطففين » (٣٥) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا سجد أحدكم فليضع وجهه وأنفه ويديه على الأرض .. فان الله تعالى أوحى الى أن أسجد على سبعة أعضاء : الجبهة والأنف والكفين والركبتين وصدور القدمين .. وأن لا أكف شعراً ولا ثوباً .. فمن صلى ولم يعط كل عضو منها حقه لعنه ذلك العضو حتى يفرغ من صلاته » (٣٦) .

(٣٠) رواه أحمد .
(٣١) متفق عليه .
(٣٢) رواه ابن خزيمة .
(٣٣) رواه الدارقطني .
(٣٤) رواه فى المسند عن سالم بن أبى الجعد عن سلمان .
(٣٥) المطففين : ١ .
(٣٦) متفق عليه .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من سمع المنادى بالصلاة فلم يمنع من اتباعه عذر .. لم تقبل
منه الصلاة التى صلى » قيل : وما العذر يا رسول الله ؟ قال : « خوف
أو مرض » (٣٧) .

وعنه رضى الله عنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « ثلاثة لعنهم الله : من تقدم قوما وهم له كارهون .. وامرأة
باتت وزوجها عليها ساخط .. ورجل سمع : حى على الصلاة ، حى
على الفلاح — ثم لم يجب » (*) .

ولذا كان الربيع بن خيثم رضى الله عنه يخرج الى الصلاة — وقد
سقط شقه من الفالج — يتوكأ على رجلين .. فيقال له : يا أبا محمد ..
قد رخص لك أن تصلى فى بيتك .. أنت معذور .. فيقول : هو ما تقولون
.. ولكن أسمع المؤذن يقول : حى على الصلاة .. حى على الفلاح ..
فمن استطاع أن يجبه ولو زحفا أو حبوا فليفعل ..

وروى ابن عمر : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما خرج يوما
الى حائط له .. فرجع وقد صلى الناس العصر .. فقال : انا لله وانا
اليه راجعون .. فانتتى صلاة العصر فى الجماعة .. أشهدكم أن حائطى
على المساكين صدقة ليكون كفارة لما صنع عمر .
[والحائط هو البستان فيه النخل] .

وعنه أيضا رضى الله عنه قال : كنا اذا تخلف منا انسان فى صلاة
العشاء والصبح فى الجماعة أسأنا به الظن أن يكون قد نافق ..
وذلك لما رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال : « ان هاتين الصلاتين — يعنى العشاء والفجر —
أثقل الصلوات على المنافقين .. ولو يعلمون ما فىهما من الأجر
لأتوهما ولو حبوا » (٣٨) .

* * *

وروى الامام الذهبى (٣٩) عن عبيد الله بن عمر القواريرى — شيخ
البخارى ومسلم وأبى داود قال :

(٣٧) رواه أبو داود وابن حبان وابن ماجه .

(*) رواه الحاكم . (٣٨) رواه البخارى ومسلم .

(٣٩) فى الكبائر ص ٢٤ — المرجع السابق .

« لم تكن تفوتنى صلاة العشاء فى الجماعة قط .. فنزل بى ليلة ضيف فشعلت بسببه وفانتنى صلاة العشاء فى الجماعة .. فخرجت أطلب الصلاة فى مساجد البصرة فوجدت الناس كلهم قد صلوا وغلقت المساجد .. فرجعت الى بيتى وقلت : لقد ورد فى الحديث أن صلاة الجماعة تزيد على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة .. فصليت العشاء سبعا وعشرين مرة .. ثم نمت فرأيت فى المنام كأنى مع قوم على خيل .. وأنا أيضا على فرس ونحن نستبق .. وأنا أركض فرسى فلا ألحقهم .. فالتفت الى أحدهم فقال لى : لا تتعب فرسك فلست تلحقنا . قلت : ولم ؟ قال : لأننا صلينا العشاء فى جماعة .. وأنت صليت وحدك .. فانتبهت وأنا مغموم حزين لذلك » (!!) .

* * *

وروى أن امرأة من بنى اسرائيل جاءت الى موسى عليه السلام .. فقالت : يا رسول الله .. انى أذنبت ذنبا عظيما .. وقد ثبت منه الى الله فادع الله أن يغفر لى ذنبى ويتوب على .. فقال لها موسى عليه السلام : وما ذنبك ؟ قالت : يا نبي الله .. انى زنييت وولدت ولدا .. فقتلته .. فقال لها موسى عليه السلام : اخرجى يا فاجرة لا تنزل نار من السماء فتحرقنا بشؤمك ..

فخرجت من عنده منكسرة القلب .. فنزل جبريل عليه السلام وقال : يا موسى .. الرب تعالى يقول لك : لم رددت التائبة ؟ .. يا موسى .. أما وجدت شرا منها ؟ قال موسى : يا جبريل .. ومن شر منها ؟ قال : تارك الصلاة عامدا متعمدا (٤٠) .

* * *

وعن بعض السلف أنه أتى أختا له ماتت .. فسقط كيس منه فيه مال فى قبرها .. فلم يشعر به أحد حتى انصرف عن قبرها .. ثم ذكره فرجع الى قبرها فنبشه بعد ما انصرف الناس .. فوجد القبر يشتعل عليها نارا .. فرد التراب عليها ورجع الى أمه باكيا حزينا .. فقال : يا أماه .. أخبرينى عن أختى وما كانت تعمل ؟

(٤٠) المرجع السابق ص ١٨

قالت : وما سؤالك عنها ؟ .. قال : يا أمي .. رأيت قبرها يشتعل عليها نارا ..

قال : فبكيت وقالت : يا ولدي .. كانت أختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها (٤١) .

فاذا كان هذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها .. فكيف حال من لا يصلّيها ؟؟

* * *

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يوما لأصحابه : « اللهم لا تدع فينا شقيا ولا محروما » .. ثم قال صلى الله عليه وسلم : « أتدرون من الشقي المحروم » ؟ قالوا : من هو يا رسول الله ؟ .. قال : « تارك الصلاة » .

* * *

وبعد .. يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين :

« ان الانسان خالق هلوعا . اذا مسه الشر جزوعا . واذا مسه الخير منوعا . الا المصلين . الذين هم على صلاتهم دائمون . والذين في أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم . والذين يصدقون بيوم الدين . والذين هم من عذاب ربهم مشفقون . ان عذاب ربهم غير مأمون . والذين هم لفروجهم حافظون . الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم بشهاداتهم قائمون . والذين هم على صلاتهم يحافظون . أولئك في جنات مكرمون » (٤٢) .

« صدق الله العظيم » ..

* * *

••• ويؤتون الزكاة

يقول الله تعالى : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين » (١) .

ويقول : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله » (٢) .

ويقول جل شأنه : « لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك ، والمقيمون الصلاة ، والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما » (٣) .

ويقول : « ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقييا ، وقال الله اني معكم ، لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار ، فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل » (٤) .

ومدح الله اسماعيل عليه السلام بقوله : « واذكر في الكتاب اسماعيل ، انه كان صادقا الوعد وكان رسولا نبيا . وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا » (٥) .

كما مدح المؤمنين بقوله تعالى : « الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، والله عاقبة الأمور » (٦) .

ووصفهم تعالى بأحب الأوصاف اليه . . فقال : « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار » (٧) .

(٢) التوبة : ٧١

(٤) المائدة : ١٢

(٦) الحج : ٤١

(١) البقرة : ٤٣

(٣) النساء : ١٦٢

(٥) مريم : ٥٤ ، ٥٥

(٧) النور : ٣٧

وحض عباده المؤمنين عليها فقال تعالى : « قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلاق » (٨) .

ونلاحظ أن الله تعالى قد قرن — فى الآيات التى سقناها — الصلاة بالزكاة .. حيث جاءت الزكاة مقرونة بالصلاة فى ست وعشرين آية من آيات القرآن الكريم ..

فكما أن جاحد الصلاة كافر .. فإن من يجحد فرضية الزكاة يكفر كذلك ..

فالصلاة والزكاة عمودين من العمد الخمسة التى قام عليها بناء الاسلام ..

يقول ابن عباس رضى الله عنهما : « ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث .. لا تقبل منها واحدة بغير قرينتها ..

أحداها : قوله تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » (٩) .. فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه ..

والثانية : قوله تعالى : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » (١٠) .. فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه ..

والثالثة : قوله تعالى : « أن أشكر لى ولوالديك » (١١) .. فمن شكر الله ولم يشكر والديه لم يقبل منه » (١٢) .

ولهذا كانت صيحة أبى بكر عالية فى وجه عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عندما أراد اثناؤه عن قتال مانعى الزكاة .. فقال : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة .. » وكان الحق مع أبى بكر رضى الله عنه .. فلم يلبث عمر أن اقتنع بوجهة نظره ..

* * *

(٨) ابراهيم : ٣١

(٩) النساء : ٥٩ ، والنور : ٥٤

(١٠) النور : ٥٦ (١١) لقمان : ١٤

(١٢) انظر صفحة ١٠٤ من هذا الكتاب .

* الحل الاسلامى لمشكلة الفقر :

كان الفقر — ولا يزال — هو مشكلة المشاكل التى عانت — ولا تزال — تعاني — منها المجتمعات القديمة والحديثة .. لما يسببه من اختلال فى الأمن .. وتخريب للمرافق .. واشعال لنيران الفتنة بين طبقات المجتمع !!

غالفقير الذى لا يجد كفايته فى مجتمع من المجتمعات .. يحس باغترابه عن ذلك المجتمع وعدم انتمائه اليه .. مما يدفعه الى الاحساس بالخوف والقلق على مستقبله ومستقبل أسرته !!

كما يشعر بالحقده نحو القادرين على العطاء الذين يزيد المال عن حاجاتهم .. فينفقونه ببذخ على ملاذهم وشهواتهم .. بينما هو وأفراد أسرته يتضورون جوعا .. ولا يجدون الكفاف !!

وقد تترلزل عقيدة الفقير وهو يرى المجتمع يتجاهله ويتنكر له .. فيختل بذلك ايمانه تحت ضغط الحاجة وفقدان النصير !!

فاذا اختلت عقيدته وضعف ايمانه .. اختلت أمامه الموازين والقيم كلها .. فيخرج على العرف والمجتمع .. ويلجأ الى السرقة والاعتصاب .. كما يلجأ الى الاتجار فى المواد المحرمة والممنوعة .. ليسد بذلك خلته وفقره .. ويستطيع بذلك أن ينافس المتعاليين عليه بأموالهم من الأغنياء !!



ولا تخرج أسباب الفقر عن واحد من أربعة ..

التعطيل عن العمل ..

أو الضعف عن أدائه وقتا طويلا .. لمرض أو شيخوخة ..

أو ضالة العائد من العمل نفسه ان وجدده ..

أو لسوء التصرف .. وذلك بانفاق المال القليل على الملاذ والشهوات مجاريا بذلك الأغنياء .. بغير تبصر للعواقب أو احتساب لمفاجآت الزمن .. وكم من غنى افتقر لسوء تصرفه ..

فالبطالة .. والمرض .. وضالة الدخول .. وانعدام التخطيط السليم .. هى الأسباب المباشرة للفقر فى أى مجتمع من المجتمعات .. القديمة منها والحديثة !!

ولقد عجزت فلسفات العالم كلها — سواء أكانت رأسمالية أم اشتراكية أم شيوعية — عن إيجاد الحل الدائم والعاقل للقضاء على هذه المشكلة .. كما فشلت في ضمان الاستقرار لمجتمعاتها وإيجاد الوسيلة الفعالة للأمن لكافة الطبقات فيها من ويلات الفقر والحاجة !! ولن تعدم طبقة فقيرة في أى مجتمع من المجتمعات .. سواء الغربية منها أو الشرقية !!

* * *

ولكن الاسلام وحده تمكن من الوصول الى العلاج الناجع والدائم لهذه المشكلة .. بل واستطاع القضاء عليها في عصره الذهبي .. يوم كانت أحكامه وشرائعه وحدها هي التي تسود مجتمعاته !! حتى ان المال ليفيض في عهد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز .. فيأمر عامله بأن يكرى منزلا لمن لا منزل له .. ويزوج من لا زوج له .. ويؤجر خادما لمن لا خادم له !! فكيف استطاع الاسلام مواجهة هذه المشكلة وتوصل الى إيجاد الحل لها ؟؟

هل توصل الى ذلك باطلاق الحرية — كل الحرية — لرأس المال .. يفعل في المجتمع ما يريد .. ويستغل حاجة الناس كيف يشاء ؟ !

انه لو فعل هذا .. لاتسعت الفوارق بين الطبقات .. ولازداد الغنى غنا على غناه .. وازداد الفقير فقرا على فقره !!

هل وجد الاسلام حل هذه المشكلة في تأميم الأموال ومصادرة الممتلكات ؟ !

انه لو فعل هذا .. لانعدمت الفوارق فعلا بين الطبقات .. ولأصبح المجتمع كله طبقة واحدة يجمعها الفقر وتوحد بينها المسغبة !! والمجتمعات المعاصرة — الغربية منها والشرقية — خير شاهد على ذلك ..

ان الاسلام لم يتبع هذا الأسلوب أو ذاك .. انما أوجد الحل الأمثل عن طريق ربط المشكلة الاقتصادية بالعقيدة الدينية نفسها .. فجعل الزكاة ركنا أساسيا في بناء الاسلام ذاته !!

نرى ذلك جليا حين نتأمل وصف القرآن للمؤمنين بالاسلام .. انه يصفهم بأعظم ما فيهم من صفات ..

فالمؤمنون والمؤمنات يتحابون ويتناصرون بمقتضى عقيدة الايمان
التي تجمعهم .. يأمرهم بما يأمر به دينهم الحق ، وينهون عما ينكره
الدين .. يؤدون الصلاة في أوقاتها ، ويؤتون الزكاة لمستحقيها في
أبانها .. يمثلون ما يأمر به الله ورسوله ، ويجتنبون ما ينهى عنه
الله ورسوله ..

يقول الله تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ،
يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة
ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله » (١٣) .

نعم .. يرحمهم الله ما داموا يتراحمون غيما بينهم ..
ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه ابن عمر رضى الله
عنهما : « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا
عبده ورسوله .. واقام الصلاة .. وايتاء الزكاة .. وحج البيت ..
وصوم رمضان » (١٤) .

وبهذا وضع الاسلام المؤمنين به في مواجهة واجبه مباشرة ..
وجعلهم يسهمون في حل مشكلة الفقر بدافع من عقيدتهم والايمان
بربهم .. فهم جميعا مسئولون عن حل هذه المشكلة فيما بينهم ..
وذلك بالصدقة المفروضة — وهى الزكاة — .. وبالصدقات المسنونة
— وهى صدقة التطوع — اذا احتاج الأمر اليها !!

* * *

والمال فى الاسلام مال الله ..
والعبد وكيل عن الله ومستخلف فى المال الذى أوتيته ..
يقول تعالى : « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » (١٥) .
ويقول جل شأنه : « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم
مستخلفين فيه » (١٦) .

ولهذا .. فإن المسلم ينفق من هذا المال عن طيب نفس .. بعد
أن جعل الله من هذا الانفاق طهرة للمال ونماء له ..
يقول تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها
وصل عليهم ، ان صلاتك سكن لهم ، والله سميع عليم » (١٧) .

(١٤) متفق عليه .

(١٦) الحديد : ٧

(١٣) التوبة : ٧١

(١٥) النور : ٣٣

(١٧) التوبة : ١٠٣

ويقول : « قل ان ربي ييسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له »
وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ، وهو خير الرازقين » (١٨) .
ويقول جل شأنه : « وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم
لا تظلمون » (١٩) .

* * *

والأصل في المال أن يكون في خدمة المجتمع كله .. ولا يتأتى
ذلك الا بتداوله بين الناس .. أما اذا حبس عن التداول فانه يصبح
حكرا على فئة قليلة في المجتمع .. وهم الأغنياء .. بينما تحرم الغالبية
الفقيرة من حقها فيه .. ولهذا نرى الاسلام ينهى عن اكتناز المال
ويدعو الى تفتيت الثروات بأحكام المواريث والحض على بذله عن
طريق الزكاة والصدقة فيقول تعالى : « كي لا يكون دولة بين الأغنياء
منكم » (٢٠) .

ومن هذا المنطلق لم يترك الاسلام أمور المال لاجتهاد الناس
وتقديراتهم .. فيشرعون فيها حسب أهوائهم .. بل جعل للمال
المحتبس حدا معيناً مسموحاً به وأعفاه من الزكاة .. فاذا تجاوزه
المال كان على مدخره أن يؤدي عنه نسبة ضئيلة لا تكاد تذكر .. حقا
للفقراء والمحتاجين .. اذ لا شك أن هذا المال لو أخذ دورته
الطبيعية في المجتمع لعاد بالخير الكثير على الجميع .. بما فيهم الفقراء
والمحتاجين ..

أما وقد شاء حائزه — وهو حر في ماله — أن يحبسه عن التداول ..
فان من العدل اذن أن يؤدي تلك النسبة الضئيلة التي فرضها الاسلام
لتعويض الفقراء والمحتاجين عن نصيبهم الذي كان سوف يتول اليهم
لو أخذ هذا المال المحبوس فرصته في التداول ..

والاسلام يراعى دائما العدل في أحكامه .. لهذا جعل لنصاب
الزكاة شرطين أساسيين ..
الأول : أن يكون المال فاضلا عن الحاجات الضرورية التي لا غنى
للإنسان عنها من مأكل وملبس ومسكن ومركب وآلات حرفة .. دون
أن يضع لذلك مقياسا معيناً لا يجوز تجاوزه ..

(١٩) البقرة : ٢٧٢

(١٨) سبأ : ٣٩

(٢٠) الحشر : ٧

والثانى : أن يحول عليه الحول الهجرى .. واعتبر ابتداء الحول من يوم ملك النصاب .. ولا بد من كماله فى الحول كله .. فلو نقص المال أثناء الحول ثم كمل اعتبر ابتداء الحول من يوم كماله .. يقول الامام النووى : « مذهبنا ومذهب مالك وأحمد والجمهور : أنه يشترط فى المال الذى تجب الزكاة فى عينه — ويعتبر فيه الحول كالذهب والفضة والماشية — وجود النصاب فى الحول .. فان نقص النصاب فى لحظة من الحول انقطع الحول .. فان كمل بعد ذلك استؤنف الحول من حين يكمل النصاب » (٢١) .

أما نصاب الزكاة — وهو الحد المسموح به للمال المدخر المعفى من الزكاة — فهو ما لم يبلغ عشرين دينارا من الذهب — أى ما يساوى ٨٥ جراما من الذهب الخالص بسعر السوق يوم اخراج الزكاة .. ومن الفضة حتى تبلغ مائتى درهم — أى ما يساوى ٥٩٥ جراما تقريبا من الفضة الخالصة ..

فإذا بلغ المال المدخر هذا الحد .. وحال عليه الحول .. وكان زائدا عن الحاجات الضرورية للانسان .. أوجب الاسلام ربع العشر زكاة له ..

وماذا يؤثر ربع العشر — ٢.٥٪ — فى مال مكتنز زائد عن الحاجة .. ومحبوس عن التداول لمدة عام كامل ؟ !

* * *

ولقد جعل الاسلام الزكاة حقا للفقير .. وليست منحة من الغنى يمنحها له وقت يشاء .. أو يحرمه منها اذا أراد .. بل هى حق للفقير .. وفى ذلك يقول تعالى : « وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا » (٢٢) .

ويقول جل شأنه : « ان المتقين فى جنات وعيون • آخذين ما آتاهم ربهم ، انهم كانوا قبل ذلك محسنين • كانوا قليلا من الليل ما يهجعون • وبالأسحار هم يستغفرون • وفى أموالهم حق للسائل والمحروم » (٢٣) . كما يقول : « ان الانسان خلق هلوعا • اذا مسه الشر جزوعا • واذا مسه الخير منوعا • الا المصلين • الذين هم على صلاتهم دائمون • والذين فى أموالهم حق معلوم • للسائل والمحروم » (٢٤) .

(٢١) فقه السنة للشيخ السبى سابق — ج ١ ص ٢٥٢ ..

(٢٢) الاسراء : ٢٦ (٢٣) الذاريات : ١٥ — ١٩

(٢٤) المعارج : ١٩ — ٢٥

فجعل الزكاة حقا معلوما .. يؤدي لذوي القربى والمساكين ..
ولأبناء السبيل .. والمسائل والمحروم ..

ولهذا ينظر الاسلام الى مانع الزكاة نظره الى من يجرم في
حق دينه وأمته .. حيث دفعه نضوب الرحمة من قلبه وتحجره الى
سلب المحتاج والجائع حقه الشرعى الذى فرضه الله له ..

يقول تعالى : « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله
هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ،
والله ميراث السموات والأرض ، والله بما تعملون خبير » (٢٥) .

ويقول : « ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فممنكم من
يبخل ، ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ، والله الفنى وأنتم الفقراء ،
وان تقولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » (٢٦) .

الاسلام اذن يعتبر مانع الزكاة لصا سلب الفقير نصيبه من مال
الله الذى استخلفه فيه .. يعتبره سارفا لقمة العيش من فم صاحبها
لا يشبع بها نفسه .. ولكن لينفقها على شهواته وملذاته ..

بالاضافة الى أن مانع الزكاة لم يرض بوعده الله اياه بالثواب في
الآخرة والنماء لماله في الدنيا .. فاختار الشح والبخل على الكرم
والانفاق .. واختار عبادة المال من دون الله .. ولهذا نرى القرآن
الكريم يتوعده بقوله : « والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها
في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى
بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم
تكنزون » (٢٧) .

لقد زهد مانع الزكاة في ثواب الآخرة الذى أعده الله لمن يسدون
حاجة الجوعى والمحتاجين .. فاستحق بذلك العذاب الشديد في
الآخرة .. والقهر والذل في الدنيا ..

العذاب الشديد في الآخرة .. يوم يحمى على أموالهم في نار جهنم
وتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ..

والقهر والذل في الدنيا .. لأنه لشحه وطمعه ان يشبع أبدا ..
ولن يعدم الوسائل لزيادة أمواله ومدخراته .. ولو داس بقدميه كل

(٢٦) محمد : ٣٨

(٢٥) آل عمران : ١٨٠

(٢٧) التوبة : ٣٤ ، ٣٥

القيم وأعرض عن جميع المبادئ .. الى أن يصل به الأمر — بعد أن يصير عبدا للمال — الى حرمان نفسه من جميع متع الحياة .. والتقتير على أبنائه وأسرته حرصا على المال ورغبة في زيادته ..
ولهذا شرع الاسلام قتال مانعي الزكاة .. واعتبرهم خارجين عليه ..

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : « لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وكان أبو بكر رضى الله عنه .. وكفر من كفر من العرب .. فقال عمر رضى الله عنه : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله .. فمن قاتلها فقد عصم منى ماله ونفسه الا بحقها .. وحسابه على الله » ؟

فقال : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة .. فان الزكاة حق المال .. والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها ..
فقال عمر : فوالله ما هو الا أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال .. فعرفت أنه الحق » (٢٨) .

وفي رواية مسلم وأبي داود والترمذى أنه قال : « لو منعوني عقالا — بدلا من « عناقا » .

والعناق أنثى المعز التى لم تبلغ سنة .. والعقال هو الحبل الذى يعقل به البعير !!

حدث هذا فى أول خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى السنة الحادية عشرة من الهجرة .. حين جمع بنو يربوع زكاة أموالهم وأرادوا أن يبيعوها الى أبى بكر .. فمنعهم مالك بن نويرة من ذلك وفرقها فيهم .. فقاتلهم الخليفة لأنهم منعوا حق الله وفرقوا بين الصلاة والزكاة ..

* * *

بهذا المنهج السليم .. استطاع الاسلام حماية الفقير من تزلزل العقيدة تحت ضغط الحاجة وفقدان النصير ..

(٢٨) رواه الجماعة ..

وأستطاع أن يحفظ للفقير آدميته ويصونها من التبذل والامتهان ..
كما حمى عرضه من التبهتك تحت ضغط الحاجة والفقر .. وحماه
من التردى الى الجرائم حتى يسد حاجاته اضروية ..

لقد جعل الاسلام الزكاة مظهرا من مظاهر الحب والوئام والترابط
بين أفراد المجتمع .. وجعل رابطة الاسلام التى تفوق رابطة الدم
والنسب هى التى تدفع اليها ..

ولهذا نرى القرآن الكريم يربط بين الصلاة والزكاة فى أكثر من
موضع .. بل ان أغلب الآيات التى أمرت باقامة الصلاة قرنتها بالحث
على أداء الزكاة ..



وتتكفل الدولة فى ظل النظام الاسلامى بجمع الزكاة .. وعلى
الخاضعين لها أن يؤدوا زكاة أموالهم الى الأجهزة التى تعدها لذلك ..

والدولة هى التى تتولى انفاق حصيلة الزكاة فى سد حاجات الفقراء
والمحتاجين .. كأن تقيم المشاريع التى تعود بنفعها على هذه الفئة من
الناس ..

والاسلام لا يهدف من تشريع الزكاة الى اعطاء الفقير قروشاً
معدودة تسد حاجة وقتية له فى مناسبة معينة .. ثم يبقى بعد ذلك
طيلة العام فى أدنى درجات السلم الاجتماعى .. فقيراً معدماً .. ينتظر
الاحسان من الناس والعون من الدولة ..

انما هدف بتشريع الزكاة الى تحقيق مستوى لائق لمعيشة الفرد
الفقر .. مستوى يليق بوصفه انساناً كرمه الله وجعله خليفة له فى
الأرض ..

مستوى يليق بوصفه مسلماً ينتسب الى دين العدل والاحسان ..
وينتمى الى أمة الاسلام .. التى فضلها الله على سائر الأمم وجعلها
خير أمة أخرجت للناس ..

فاذا لم تستطع الدولة أن تكفل لكل الفقراء فيها حق العمل ..
أو اذا لم يكن الفقير قادراً على العمل لمرض أو عجز أو شيخوخة ..
فلا أقل من أن تكفل له الدولة مستوى لائقاً من المعيشة ..

وأدنى ما يتحقق به هذا المستوى الانساني .. أن يتهيا له ولأسرته
طعام وشراب ملائمين .. وكسوة للشتاء وأخرى للصيف .. وأن يعيش
وأسرته في مسكن يمكنه خمر الصيف وبرد الشتاء !!

هذا هو أدنى مستوى ليكون الإنسان انسانا !!
ونقرأ في كتاب « الخراج » للقاضي أبي يوسف .. رسالة كتبها
الخليفة لأحد عماله .. يبين فيها حق السجين في ظل دولة الاسلام ..
فلا نملك الا أن نمسك الأنفاس انبهارا واعجابا بعدالة الاسلام ..
يقول الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز في رسالته : « لا تدعن
في سجونكم أحدا من المسلمين في وثاق لا يستطيع معه أن يصلى قائما
.. ولا يبيت في قيد الا رجل مطلوب !!

وأجروا عليهم من الصدقة ما يصلحهم في طعامهم وأدمهم !!
ومر بتقدير ما يقوتهم في طعامهم .. وصير ذلك دراهم تجري عليهم
في كل شهر .. فانك ان أجريت الخبز ذهب به ولالة السجن والقوام
والجلاوزة — أي الشرطة !!

وول ذلك رجلا من أهل الخير .. يثبت أسماء من في السجن ممن
تجري عليهم الصدقة .. وتكون الأسماء عنده .. ويدفع ذلك اليهم
شهرا بشهر .. يقف ويدعو باسم رجل رجل يدفع ذلك اليه في يده !!
ويكون للأجراء عشرة دراهم في الشهر .. لكل واحد .. وليس كل
من في السجن يجري عليه !!

وكسوتهم في الشتاء قميص وكساء .. وفي الصيف قميص وازار !!
وكسوة النساء في الشتاء قميص ومقنعة وكساء .. وفي الصيف
قميص وازار ومقنعة !!

وأغنهم عن الخروج في السلاسل يتصدق الناس عليهم .. فانه
من العظيم أن يكون قوم من المسلمين قد أذنبوا وأخطأوا .. وقضى الله
عليهم بما هم فيه فحبسوا .. فيخرجون في السلاسل يتصدقون لما
هم فيه من جهد الجوع .. فربما أصابوا ما يأكلون وربما لم يصيبوا !!
ان ابن آدم لم يعر من الذنوب .. فتفقد أمرهم !!

هذا هو حق السجين الخارج على المجتمع — كما يراه الخليفة —
في ظل عدالة الاسلام .. فكيف بحق الفقير الذي لم يأت بأى جريمة
أو ذنب .. الا أن ظروف حياته جعلته فقيرا معدما .. محتاجا الى
احسان الناس وعون المجتمع !!

أرأيت الى الخليفة كيف دفعه اسلامه — بالرغم من مشاغله — أن يجد لوقت الذي يفكر فيه في أمور السجناء في سجونهم؟!
الاسلام اذن .. يهدف من الزكاة — بالنسبة للفقراء والمساكين الذين لا يستطيعون حرفة ولا يقدرّون على عمل — أن يكفل لهم مستوى معيشي ملائم .. فيعطيهام تمام كفايتهم لمدة عام كامل ..
وبهذا يصون وجوههم عن مسألة الناس .. ويجعلهم يحسون بانتمائهم الى المجتمع الذي يعيشون فيه ..
وبهذا أيضا .. تكون الزكاة بالنسبة لهذا الصنف من الناس معونة دائمة منتظمة .. حتى يزول الفقر بالغنى .. ويزول العجز بالقدره .. وتزول البطالة بالكسب ..



عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذ بن جبل رضى الله عنه الى اليمن .. قال : « انك تأتي قوما أهل كتاب .. فادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله وأنى رسول الله .. فان هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله عز وجل افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة .. فان هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة فى أموالهم .. تؤخذ من أغنيائهم وترد الى فقرائهم .. فان هم أطاعوا لذلك فأياك وكرائم أموالهم .. واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب » (٢٩) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .. ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة .. فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام .. وحسابهم على الله » (٣٠) .

وعن أبى أيوب رضى الله عنه أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة .. قال : « تعبد الله لا تشرك به شيئا .. وتقيم الصلاة .. وتؤتى الزكاة .. وتصل الرحم » (٣١) .

(٣٠) متفق عليه .

(٢٩) متفق عليه .

(٣١) متفق عليه .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. دلنى على عمل اذا عملته دخلت الجنة .. قال : « تعبد الله لا تشرك به شيئا .. وتقيم الصلاة .. وتؤتى الزكاة المفروضة .. وتصوم رمضان » .

قال : والذى نفسى بيده لا أزيد على هذا ..

فلما ولى قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من سره أن ينظره الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا » (٣٢) .

وروى عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه أنه قال : بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على : اقام الصلاة .. وايتاء الزكاة .. والنصح لكل مسلم (٣٣) .

وعن على كرم الله وجهه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله فرض على أغنياء المسلمين فى أموالهم بقدر الذى يسع فقراءهم .. ولن يجهد الفقراء اذا جاعوا أو عروا الا بما يصنع أغنيائهم .. ألا وان الله يحاسبهم حسابا شديدا .. ويعذبهم عذابا أليما » (٣٤) .

وعن أبي كبشة الأنمارى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة أقسم عليهن .. وأحدثكم حديثا فاحفظوه : ما نقص مال من صدقة .. ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها الا زاده الله بها عزا .. ولا فتح عبد باب مسألة الا فتح الله عليه باب فقر » (٣٥) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله عز وجل يقبل الصدقات ويأخذها بيمينه فيربّيها لأحدكم كما يربّي أحدكم مهره أو فلوه أو فصيله .. حتى ان اللقمة لتصير مثل جبل أحد » (٣٦) .

ويقول وكيع .. بعد أن روى الحديث : وتصديق ذلك فى كتاب الله قوله : « ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات » (٣٧) .

(٣٢) متفق عليه .

(٣٣) رواه الترمذى .

(٣٤) التوبة : ١٠٤

(٣٢) متفق عليه .

(٣٤) رواه الطبرانى .

(٣٦) رواه أحمد والترمذى .

ويقول : « يمحق الله الربا ويربى الصدقات » (٣٨) .

والمهر والفلو والفصيل — فى الحديث — هو ولد الفرس ..

وعن أنس رضى الله عنه قال : أتى رجل من تميم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. انى ذو مال كثير .. وذو أهل ومال وحاضرة .. فأخبرنى كيف أصنع وكيف أنفق ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تخرج الزكاة من مالك .. فأنها طهرة تطهرك .. وتصل أقرباءك .. وتعرف حق المسكين والجار والسائل » (٣٩) .

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاث أحلف عليهن .. لا يجعل الله من له سهم فى الاسلام كمن لا سهم له .. وأسهم الاسلام ثلاثة : الصلاة .. والصوم .. والزكاة .. ولا يتولى الله عبدا فى الدنيا فيؤليه غيره يوم القيامة .. ولا يجب رجل قوما الا جعله الله معهم .. والرابعة لو حلفت عليها رجوت أن لا آثم : لا يستتر الله عبدا فى الدنيا الا ستره يوم القيامة » (٤٠) .

وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رجل : يا رسول الله .. أرأيت ان أدى الرجل زكاة ماله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أدى زكاة ماله ذهب عنه شره » (٤١) .

* * *

(٣٩) رواه أحمد .
(٤١) رواه الطبرانى .

(٣٨) البقرة : ٢٧٦
(٤٠) رواه أحمد .

تعريف الزكاة

● الزكاة لغة : هى التطهير والنماء .. قال الله تعالى : « قد أفلح من زكاهها » (١) .. أى طهرها من الأدناس .. ويقال : زكا الزرع اذا نما وزاد ..

● وشرعا : تمليك مال مخصوص لمستحقه بشرائط مخصوصة .. وهى ركن من أركان الاسلام الخمسة .. وفرض عين على كل من توفرت فيه شروطها .. فرضها الله تعالى فى السنة الثانية من الهجرة .. وفرضيتها معلومة من الدين بالضرورة .. ودليل فرضيتها الكتاب والسنة والاجماع ..

● وتجب الزكاة فى خمسة أصناف : الذهب والفضة — ولو كانا غير مضروبين — ويدخل فى حكمهما أوراق البنكنوت والسندات ، وعروض التجارة ، والنعم كالابل والبقر والغنم ، والزروع والثمار ، والمعدن والركاز ..

والمراد من النعم : الابل والبقر والغنم المستأنسة .. أما الوحشى منها أو المتولد بين وحشى ومستأنس — سواء أكانت الأم مستأنسة أم لا — فلا زكاة عليها ..

والمراد بالبقر ما يشمل الجاموس .. وبالغنم ما يشمل الماعز .. ولا زكاة فى الخيل والبغال والحمير .. والفهد والكلب المعلوم ونحوها .. الا اذا كانت للتجارة .. ففيها زكاة التجارة ..



● ويشترط لوجوب الزكاة أمور : منها البلوغ .. فلا تجب على الصبى ..

ومنها العقل .. فلا تجب على المجنون .. وتجب الزكاة فى مال كل منهما .. ويجب على الولي اخراجها منه اذا بلغ نصابا ..

وقد كانت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها تخرج زكاة أيتام كانوا فى حجرها .. ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه

(١) الشمس : ٩

عمر بن شعيب عن أبيه عن جده .. عن عبد الله بن عمرو رضى الله
عنهما قال : « من ولى يتيما له مال فليتجر له ولا يتركه حتى تأكله
الصدقة » فصرح أن في مال اليتيم والصبي صدقة ..

وللصحابه في ذلك آراء .. فيذهب عمر وعلى وعائشة وابن عمر
— رضى الله عنهم — الى أن في مال اليتيم زكاة .. وبه يقول مالك
والشافعى وأحمد وإسحاق ..

بينما يرى سفيان وابن المبارك أنه ليس في ماله زكاة (٢) .

ومن شروط وجوب الزكاة : الاسلام .. فلا تجب الزكاة على
كافر .. سواء أكان أصليا أو مرتدا .. وإذا أسلم المرتد فلا يجب عليه
إخراجها لما مضى من زمن رده ..

وكما أن الاسلام شرط لوجوبها .. فهو شرط لصحتها أيضا ..
لأن الزكاة لا تصح إلا بالنية .. والنية لا تصح من الكافر ..
ومنها الملك التام ..

ومنها حولان الحول القمري على ملك النصاب .. ويجب إخراجها
فورا عند وجوبها .. ويحرم تأخير أوانها عن وقت الوجوب .. إلا
إذا لم يتمكن من أدائها فيجوز له التأخير حتى يتمكن ..
فعن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
« ما خالطت الصدقة مالا قط إلا أهلكته » (٣) .

ورواه الحميدى وزاد فقال : يكون قد وجب عليك في مالك صدقة
فلا تخرجها .. فيهلك الحرام والحلال .

وعن عقبة بن الحارث قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم العصر .. فلما سلم قام سريعا فدخل على بعض نسائه ثم خرج ..
ورأى ما في وجوه القوم من تعاجبهم لسرعته فقال : ذكرت وأنا في
الصلاة تبرأ — أى ذهبا — عندنا فكرهت أن يمسى — أو قال « يبيت » —
عندنا فأمرت بقسمته » (٤) .

ومن هنا أوجب الفقهاء إخراج الزكاة فورا عند وجوبها ..
واستدلوا بذلك عن حرمة تأخير أدائها عن وقت الوجوب ..

(٢) فقه السنة — للشيخ السيد سابق ج ١ ص ٢٥٣ طبع دار التراث

(٣) رواه الشافعى والبخارى .

العربى .

(٤) رواه أحمد والبخارى .

• ويجوز تعجيل الزكاة وأدائها قبل الحول ولو لعامين^(٥) •
 ومن شروط وجوبها أن يبلغ المال المملوك نصاباً • • فلا تجب
 الزكاة إلا على مالك النصاب — والنصاب هو ما نصبه الشارع علامة
 على وجوب الزكاة — ويختلف النصاب باختلاف المال المزكى • •
 ومنها الحرية • • فلا تجب على الرقيق ولو كان مكاتباً • •
 ومنها فراغ المال من الدين • • فمن كان عليه دين يستغرق
 النصاب أو ينقصه فلا تجب عليه الزكاة • •
 ومن مات وعليه زكاة فإنها تجب في ماله • • وتقدم على الغرماء
 والوصية والورثة • • وبهذا الرأي أخذ الشافعي • • عملاً بقوله تعالى :
 « من بعد وصية يوصي بها أو دين »^(٦) • • والزكاة دين قائم لله
 تعالى • •

روى الشيخان عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلاً جاء الى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ان أمي ماتت وعليها صوم
 شهر • • أفأقضيه عنها ؟ فقال : « لو كان على أمك دين • • أكنت قاضيه
 عنها ؟ • • قال : نعم • • فقال صلى الله عليه وسلم : « فدين الله أحق
 أن يقضى » • •



● ولا تجب الزكاة في دور السكنى • • وثياب البدن • • وأثاث
 المنزل • • ودواب الركوب • • وسلاح الاستعمال • • وما يتجمل به
 من الأواني — إذا لم يكن من الذهب أو الفضة فإنها محرمة —
 وكذا لا تجب في المجوهرات كاللؤلؤ والياقوت والزبرجد ونحوها
 إذا لم تكن للتجارة • •
 ولا تجب في آلات الصناعة مطلقاً • • سواء أبقى أثرها في المصنوع
 أم لا • •
 كما لا تجب في كتب العلم — إذا لم تكن للتجارة — سواء أكان
 مالها من أهل العلم أم لا • •



(٥) فقه السنة — المرجع السابق ج ١ — ص ٢٥٥

(٦) النساء : ١٢

● وللزكاة آداب باطنة .. وفي دقائقها يقول الامام ابن قدامة (٧) :

« اعلم أن على مريد الآخرة في زكاته وظائف ..

الأولى : أن يفهم المراد من الزكاة .. وهو ثلاثة أشياء : ابتلاء
مدعى محبة الله تعالى باخراج محبوبه ، والتتزه عن صفة البخل
المهلك ، وشكر نعمة المال ..

الوظيفة الثانية : الاسرار باخراجها لكونه أبعد من الرياء والسمعة
.. وفي الاظهار اذلال للفقير أيضا .. فان خاف أن يتهم بعدم الاخراج
أعطى من لا يبالي من الفقراء بالأخذ بين الجماعة علانية .. وأعطى
غيره سرا ..

الوظيفة الثالثة : أن لا يفسدها بالمن والأذى .. ذلك أن الانسان
إذا رأى نفسه محسنا الى الفقير .. منعما بالاعطاء .. ربما حصل
منه ذلك .. ولو حقق النظر لرأى الفقير محسنا اليه بقبول حق الله
الذي هو طهارة له ..

وإذا استحضر مع ذلك أن اخراجه للزكاة شكر لنعمة المال ..
فلا يبقى بينه وبين الفقير معاملة .. ولا ينبغي أن يحتقر الفقير
لفقره ، لأن الفضل ليس بالمال ولا النقص بعدمه ..

الوظيفة الرابعة : أن يستصغر العطية .. فان المستعظم للفعل
معجب به .. وقد قيل : لا يتم المعروف الا بثلاث : بتصغيره ..
وتعجيله .. وستره ..

الوظيفة الخامسة : أن ينتقى من ماله أحله وأجوده وأحبه اليه ..

أما الحل : فان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا ..

وأما الأجود : فقد قال الله تعالى : « ولا تيمموا الخبيث منه
تتفقون » (٨) وينبغي أن يلاحظ في ذلك أمرين :

أحدهما : حق الله سبحانه وتعالى بالتعظيم له .. فانه أحق من
اختير له .. ولو أن الانسان قدم الى ضيفه طعاما رديئا لأوغر
صدره ..

والثاني : حق نفسه .. فان الذي يقدمه هو الذي يلقاه غدا في
القيامة .. فينبغي أن يختار الأجود لنفسه ..

(٧) في كتابه : مختصر منهاج القاصدين ص ٣٠ - ٣٢

(٨) البقرة : ٢٦٧

وأما أحبه اليه : فلقوله تعالى : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » (٩) .

وكان ابن عمر رضى الله عنهما اذا اشتد حبه لشيء من ماله قربه الله عز وجل .. وروى أنه نزل الجحفة وهو شاك .. فقال : انى لأستهى حيتانا — أى سمكا — فالتمسوا له فلم يجدوا الا حوتا .. فأخذته امرأته فصنعتة ثم قربته اليه .. فأتى مسكين .. فقال ابن عمر رضى الله عنهما : خذه .. فقال له أهله : سبحان الله .. قد عنيتنا .. ومعنا زاد نعطيهِ .. فقال : ان عبد الله يحبه (!!)

وروى أن سائلا وقف بباب الربيع بن خيثم رضى الله عنه .. فقال : أطعموه سكرا — أى حلوى — فقالوا : نطعمه خبزا أنفع له .. فقال : ويحكم .. أطعموه سكرا فان الربيع يحب السكر ..

الوظيفة السادسة : أن يطلب لصدقته من تركو به .. وهم خصوص من عموم الأصناف الثمانية .. ولهم صفات : الأولى : التقوى .. فليخص بصدقته المتقين .. فانه يرد بها همهم الى الله تعالى ..

وقد كان عامر بن عبد الله بن الزبير يتخير العباد وهم سجود .. فيأتيهم بالصرة فيها الدنانير والدراهم .. فيضعها عند نعالهم بحيث يحسون بها ولا يشعرون بمكانه .. فقيل له : ما يمنعك أن ترسل بها اليهم ؟ .. فيقول : أكره أن يتمعر وجه أحدهم — أى يتغير وجهه من الخجل — اذا نظر الى رسولى أو لقينى ..

الثانية : العلم .. فان فى اعطاء العالم اعانة على العلم ونشر لادين وذلك تقوية للشريعة ..

الثالثة : أن يكون ممن يرى الانعام من الله وحده .. ولا يلتفت الى الأسباب الا بقدر ما ندب اليه من شكرها .. فأما الذى عادته المدح عند العطاء فانه سيذم عند المنع ..

الرابعة : أن يكون صائنا لفقره .. ساترا لحاجته .. كما لما للشكوى .. كما قال تعالى : « يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف » (١٠) وهؤلاء لا يحصلون فى شبكة الطالب الا بعد البحث عنهم .. وسؤال أهل كل محلة عن هذه صفته ..

الخامسة : أن يكون ذا عائلة .. أو محبوسا لمرض أو دين ..
فهذا من المحصرين .. والتصدق عليه اطلاق لحصره ..

السادسة : أن يكون من الأقارب وذوى الأرحام .. فان الصدقة
عليهم صدقة وصلة .. وكل من جمع من هذه الخلال خلتين أو أكثر ..
كان اعطاؤه أفضل على قدر ما جمع » ١٠٠ هـ .

* * *

وبعد .. فقد روى الامام البخاري من حديث ابن مسعود رضى الله
عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيكم مال وارثه
أحب اليه من ماله » ؟ قالوا : يا رسول الله .. ما منا أحد الا ماله
أحب اليه .. قال : « فان ماله ما قدم .. ومال وارثه ما أخر » ..

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب — ولا يصعد الى الله
الا الطيب — فان الله يتقبلها بيمينه .. ثم يرببها لصاحبها كما يربى
أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل » (١١) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ان الصدقة لتطفىء غضب الرب
.. وتطفى ميتة السوء » .. وفي حديث آخر قال : « تصدقوا .. فان
الصدقة فكاكم من النار » ..

وعن بريدة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « ما يخرج أحد شيئا من الصدقة حتى يفك عنه لحي سبعين
شيطانا » ..

وعن عائشة رضى الله عنها أنهم ذبحوا شاة .. فقال النبي صلى الله
عليه وسلم : « ما بقى منها » ؟ قالت : ما بقى الا كتفها .. فقال : « بقى
كلها الا كتفها » ..

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم : أى الصدقة أفضل ؟ قال : « أن تصدق وأنت صحيح
شحيح .. تخشى الفقر وتأمل الغنى .. ولا تهمل حتى اذا بلغت
الحلقوم قلت : لفلان كذا .. ولفلان كذا .. وقد كان لفلان » (١٢) .

(١٢) رواه الشيخان .

(١١) رواه الشيخان .

وروى أن راهبا تعبد في صومعة ستين سنة .. ثم نزل يوما
ومعه رغيف .. فعرضت له امرأة فتكشفت له .. فوقع عليها .. فأدركه
الموت وهو على تلك الحال .. وجاء سائل فأعطاه الرغيف .. ثم مات ..

فجىء بعمل ستين سنة فوضع في كفة .. وخطيئته في كفة فرجحت
بعمله .. حتى جىء بالرغيف فوضع مع عمله .. فرجح بخطيئته (١٣) !!



(١٣) رواه ابن قدامة في كتابه « مختصر منهاج القاصدين » .

أحكام الزكاة

يقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخذه إلا أن تفضوا فيه ، واعلموا أن الله غني حميد » (١) .

أوجب الله تعالى الزكاة في الذهب والفضة .. وعروض التجارة .. والسوائيم .. والزروع والثمار .. والمعدن والركاز .. ويقول تعالى في زكاة النقدين — الذهب والفضة — : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم » (٢) .

● وانزكاة (*) واجبة في الذهب والفضة .. سواء أكانا نقودا .. أم سبائك .. أم تبراً .. متى بلغ مقدار المملوك منهما نصاباً .. وحال عليه الحول .. وكان فارغاً عن الدين والحاجات الأصلية .. ● ولا شيء في الذهب حتى يبلغ عشرين ديناراً — ما يساوى ٨٥ جراماً تقريباً من الذهب الخالص عيار ٢٣٥ — فإذا بلغ عشرين ديناراً وحال عليه الحول .. ففيه ربع العشر (٢٥ ٪) وما زاد على النصاب يؤخذ عنه نفس النسبة أيضاً .. عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ليس عليك شيء — يعني في الذهب — حتى يكون لك عشرون ديناراً .. فإذا كانت لك عشرون ديناراً وحال عليها الحول ففيها نصف دينار .. فما زاد فبحسب ذلك .. وليس في مال زكاة حتى يحول عليه الحول » (٣) .

(٢) التوبة : ٣٤

(١) البقرة : ٢٦٧

(*) اقتصرنا — بقدر الامكان — على المبادئ العامة للزكاة .. ولم نتعرض للتفاصيل التي تحمل آراء المذاهب .. ويمكن الرجوع في ذلك الى كتب الفقه المتخصصة .. مثل الفقه على المذاهب الأربعة ، وفقه السنة وغيرها ..

(٣) رواه أحمد وأبو داود والبيهقي وصححه البخاري وحسنه

الحافظ .

● وأما الفضة فلا شيء فيها حتى تبلغ مائتي درهم — ما يساوى ٥٩٥ جراما تقريبا من الفضة الخالصة — فإذا بلغت مائتي درهم ففيها ربع العشر (٢٥٪) وما زاد فبحسابه .. قل أم كثر .. فإنه لا عفو في زكاة النقد بعد بلوغ النصاب ..

وعن علي كرم الله وجهه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « قد عفوت لكم عن الخيل والرقيق .. فهااتوا صدقة الرقة — أى الفضة — من كل أربعين درهما درهم .. وليس في تسعين ومائة شيء .. فإذا بلغت مائتين ففيها خمسة دراهم » (٤) .

● ومن ملك من الذهب أقل من نصاب .. ومن الفضة كذلك لا يضم أحدهما الى الآخر .. ليكمل منهما نصابا لأنهما جنسان .. لا يضم أحدهما الى الثانى كالحال فى البقر والغنم — وسيأتى — فلو كان فى يده تسعة عشر دينارا من الذهب و ١٩٩ درهما من الفضة فلا زكاة عليه ..

● وللفقهاء فى زكاة الدين آراء ..

فالدين اما أن يكون على معترف به باذل له .. وهذا يؤدى صاحبه زكاته الا أنه لا يلزمه اخراجها حتى يقبضه فيؤدى لما مضى .. ويذهب رأى الى أنه يلزمه اخراج الزكاة فى الحال وان لم يقبضه لأنه قادر على أخذه والتصرف فيه ..

وعن عائشة وابن عمر : أنه لا زكاة فيه لأنه غير نام .. فلم تجب زكاته كمروض القنية ..

كما أن من الفقهاء من يرى أنه يزكيه اذا قبضه لسنة واحدة ..

والنوع الثانى من الدين .. اما أن يكون على معسر أو جاحد أو مماطل به فان كان كذلك فلا تجب فيه الزكاة على قول لبعض الفقهاء .. لأنه غير مقدور على الانتفاع به ..

وقيل : يزكيه اذا قبضه لما مضى .. لأنه مملوك يجوز التصرف فيه .. فوجب زكاته لما مضى كالدين على الملىء .. وفى رأى ثالث : أنه يزكيه اذا قبضه لعام واحد ..

● وحكم أوراق البنكنوت والسندات أنها وثائق بديون مضمونة تجب فيها الزكاة اذا بلغت أول النصاب .. لأنه يمكن دفع قيمتها فضة

(٤) رواه أصحاب السنن .

فورا .. والأفضل اخراج الزكاة بنصاب الفضة مراعاة لمصلحة
المفقر ..

● واتفق العلماء على أنه لا زكاة في الماس والدر والياقوت
واللؤلؤ والمرجان والزبرجد ونحو ذلك من الأحجار الكريمة اذا كانت
حليا للنساء .. أما اذا اتخذت للتجارة ففيها الزكاة ..
واختلفوا في حلي المرأة من الذهب والفضة ..

فذهب رأى الى وجوب الزكاة فيه اذا بلغ نصابا .. وهو مذهب
أبي حنيفة وابن حزم ..

بينما يرى الأئمة الثلاثة أنه لا زكاة في حلي المرأة بالغ ما بلغ ..

وحجة من ذهب الى الوجوب حديث عمرو بن شعيب عن أبيه
عن جده قال : أتت النبي صلى الله عليه وسلم امرأتان في أيديهما أساور
من ذهب .. فقال لهما الرسول صلى الله عليه وسلم : « أتحبان أن
يسوركما الله يوم القيامة أساور من نار » ؟ قالتا : لا .. قال : « فأديا
حق هذا الذي في أيديكما » ..

وعن أسماء بنت يزيد قالت : دخلت أنا وخالتي على النبي صلى الله
عليه وسلم وعلينا أسورة من ذهب .. فقال لنا : « أتعطيان زكاته » ؟
قالت : فقلنا : لا .. قال : « أما تخافان أن يسوركما الله أسورة من
نار ؟ .. أديا زكاته » (٥) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : دخل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فرأى في يدي فتحات من ورق — أى خواتيم من غضة — فقال
لى : « ما هذا يا عائشة » ؟ فقلت : صنعتهن أتزين لك يا رسول الله ..
فقال : « أتؤدين زكاتهن » ؟ قلت : لا — أو ما شاء الله — قال :
« هو حسبك من النار » (٦) .

أما من ذهب الى أنه لا زكاة في الحلى .. بالغ ما بلغ .. فلما
رواه البيهقي أن جابرا بن عبد الله سئل عن الحلى .. أفیه زكاة ؟
فقال : لا .. فقيل : وان كان يبلغ ألف دينار ؟ .. فقال : وأكثر ..
كما روى أن أسماء بنت أبي بكر كانت تحلى بناتها بالذهب
ولا تركيه .. نحو من خمسين ألفا ..

(٥) رواه أحمد .

(٦) رواه أبو داود والدارقطني والبيهقي .

وعن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه — كما جاء في الموطأ —
أن عائشة رضى الله عنها كانت تلى بنات أخيها — يتامى في حجرها —
لهن الحلى فلا تخرج من حليهن الزكاة .. وفيه : أن عبد الله بن عمر
كان يحلى بناته وجواريه الذهب .. ثم لا يخرج في حليهن الزكاة ..
وهذا الخلاف بالنسبة للحلى المباح .. أما إذا اتخذت المرأة
حليا ليس لها اتخاذه — كما إذا اتخذت حلية الرجال كحلية السيف
مثلا — فهو محرم ، وعليها الزكاة .. وكذا الحكم في اتخاذ أواني الذهب
والفضة ..

ويلجأ بعض النسوة الى تحويل أموالهن السائلة الى حلى بقصد
بيعه عند ارتفاع قيمته .. وهذا يأخذ حكم التجارة وفيه الزكاة ..
اذ القصد منه نماء المال وليس لاتخاذه زينه .

● وتجب الزكاة في أجرة الدور المؤجرة اذا بلغت نصابا وحال
عليها الحول .. ويذهب أبو حنيفة ومالك : الى أن المؤجر لا يستحق
الأجرة بالعقد وانما يستحقها بانقضاء مدة الايجار .. وعلى هذا
الرأى فمن أجر دارا لا تجب عليه زكاة أجزتها حتى يقبضها ..

بينما يرى الحنابلة أن المؤجر يملك الأجرة من حين العقد .. وعليه
فان من أجر داره تجب الزكاة في أجزتها اذا بلغت نصابا وحال عليها
الحول .. لأن المؤجر يملك التصرف في الأجرة بأنواع التصرفات ..
أما كون الاجارة عرضة للفسخ فانه لا يمنع وجوب الزكاة .. كالصداق
قبل الدخول .. ثم ان كان قد قبض الأجرة أخرج الزكاة منها .. وان
كانت ديناً فهي كالدين معجلاً كان أو مؤجلاً .. أى أنه يؤدي زكاتها
حين يقبضها لما مضى من حين العقد ان كان مضى عليها حول أو أكثر ..
● وفي زكاة صداق المرأة آراء ..

« فمن رأى أبى حنيفة أنه لا زكاة فيه الا اذا قبضته .. لأنه
يدل عما ليس بمال .. فلا تجب فيه الزكاة قبل القبض .. كدين
الكتابة .. ويشترط أن يبلغ بعد قبضه نصابا ويحول عليه الحول ..
الا اذا كان عندها نصاب آخر سوى المهر .. فانها اذا قبضت من
الصداق شيئاً ضمته الى النصاب وزكته بحوله ..

ويرى الشافعى أن المرأة يلزمها زكاة الصداق اذا حال عليه
الحول .. ويلزمها الاخراج عن جميعه آخر الحول .. وان كان قبل

الدخول .. ولا يؤثر كونه معرضا للسقوط بالفسخ — بردة أو غيرها —
أو نصفه بالطلاق ..

بينما يرى الحنابلة أن الصداق في الذمة دين للمرأة .. حكمه
حكم الديون عندهم .. فان كان على ملىء به — أى غنى — فالزكاة واجبة
فيه اذا قبضته أدت لما مضى .. وان كان على معسر أو جاحد فاختيار
الخرقى وجوب الزكاة فيه .. ولا فرق بين ما قبل الدخول أو بعده ..
فان سقط نصفه بطلاق المرأة قبل الدخول .. وأخذت النصف ..
فعلينا زكاة ما قبضته .. دون ما لم تقبضه .. وكذلك لو سقط
الصداق قبل قبضه .. لانفساخ النكاح بأمر من جهتها .. فليس عليها
زكاته « (١) » .



● والصنف الثانى من الزكاة .. هو عروض التجارة ..

وتجب الزكاة فى عروض التجارة باجماع العلماء من الصحابة
والتابعين ومن بعدهم من الفقهاء .. لأنها مال مقصود به التنمية ..
فأشبهه الأجناس الثلاثة التى فيها الزكاة باتفاق .. وهى الذهب والفضة
والماشية والحرث ..

ويقول فى المنار : « جمهور علماء الملة يقولون بوجوب زكاة عروض
التجارة .. وليس فيها نص قطعى من الكتاب أو السنة .. وانما ورد
فيها روايات يقوى بعضها بعضا .. مع الاعتبار المستند الى النصوص ..
وهو أن عروض التجارة المتداولة للاستغلال نقود .. لا فرق بينها
وبين الدراهم والدنانير التى هى أثمانها .. الا فى كون النصاب يتقلب
ويتردد بين الثمن وهو النقد ، والمثلن وهو العروض .. فلو لم تجب
الزكاة فى التجارة لأمكن لجميع الأغنياء — أو أكثرهم — أن يتجروا
بنقودهم .. ويتحروا أن لا يحول الحول على نصاب من النقدين
أبدأ .. وبذلك تبطل الزكاة فيهما عندهم ..

ورأس الاعتبار فى المسألة : أن الله تعالى فرض فى أموال الأغنياء
صدقة لمواساة الفقراء .. ومن فى معناهم .. واقامة المصالح العامة ..
وأن الفائدة فى ذلك للأغنياء تطهير أنفسهم من رذيلة البخل .. وتركيتها
بفضائل الرحمة بالفقراء .. وسائر أصناف المستحقين ومساعدة الدولة

والأمة في إقامة المصالح العامة .. والفائدة للفقراء وغيرهم واعانتهم
على نوائب الدهر ..

مع ما في ذلك من سد ذريعة المفسد في تضخم الأموال وحصرها
في أناس معدودين .. وهو المشار إليه بقوله تعالى — في حكمة قسمة
النفس : « كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم » (٨) ..
فهل يعقل أن يخرج من هذه المقاصد الشرعية كلها التجار الذين
ربما تكون معظم ثروة الأمة في أيديهم ؟ ...

● وتصير العروض للتجارة — كما يقول صاحب « المغنى »
بشرطين :

« الأول : أن يملكه بفعله كالبيع ، والنكاح ، والخلع ، وقبول
الهبة ، والوصية ، والغنيمة ، واكتساب المباحات ..
لأن ما لا يثبت له حكم الزكاة بدخوله في ملكه لا يثبت بمجرد
النية كالصوم .. ولا فرق بين أن يملكه بعوض أم بغير عوض ..
لأنه ملكه بفعله فأشبهه الموروث .

والثاني : أن ينوى عند تملكه أنه للتجارة .. فان لم ينو عند
تملكه أنه للتجارة .. لم يصير للتجارة وان نواه بعد ذلك ..
وان ملكه بارث — وقصد أنه للتجارة — لم يصير للتجارة ..
لأن الأصل القنية .. والتجارة عارض فلا يصير إليها بمجرد النية ..
كما لو نوى الحاضر السفر .. لم يثبت له حكم السفر بدون الفعل ..
وان اشترى عرضا للتجارة فنوى به الاقتناء صار للقنية وسقطت الزكاة
منه » (٩) .

وعن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال : « أما بعد .. فان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذي نعدده
للبيع » (١٠) .

وعن أبى ذر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« في الابل صدقتها .. وفي الغنم صدقتها .. وفي البقر صدقتها ..
وفي البز — أى المتاع — صدقته » (١١) .

(٩) فقه السنة ج ١ ص ٢٦١

(٨) الحشر : ٧

(١٠) رواه أبو داود والبيهقى .

(١١) رواه الدارقطنى والبيهقى .

وعن أبي عمرو بن حماس عن أبيه قال : كنت أبيع الأدم والجباب
— أي الجلد والجفان — فمر بي عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال :
أد صدقة مالك .. فقلت : يا أمير المؤمنين .. انما هو الأدم . قال :
قومه .. ثم أخرج صدقته (١٢) .

● وانما تجب الزكاة في قيمتها لا في عينها .. ويضم عند
التقويم بعضها الى بعض ولو اختلفت أجناسها كثياب ونحاس .. كما
يضم الربح الناشئ عن التجارة الى أصل المال في الحول .. وكذلك
المال الذى استفاده من غير التجارة .. وفي ذلك تفصيل في المذاهب ..
وإذا كان الذهب أو الفضة مخلوطا .. فلا زكاة فيهما حتى يبلغ
ما فيهما من الذهب والفضة الخالصين نصابا ..

ومن ملك من عروض التجارة قدر نصاب وحال عليه الحول
وقومه .. أخرج زكاته وهو ربع عشر قيمته (٢٥ ٪) وهكذا يفعل
التاجر في تجارته كل حول .. ولا ينعقد الحول حتى يكون القدر
الذى يملكه نصابا .. فلو ملك عرضا قيمته دون النصاب فمضى جزء
من الحول وهو كذلك .. ثم زادت قيمة النماء به أو تغيرت الأسعار
فبلغ نصابا .. أو باعه بنصاب .. أو ملك في أثناء الحول عرضا آخر
أو أثمانا تم بها النصاب .. ابتدأ الحول من حينئذ ولا يحتسب
بما مضى .. على قول الأحناف والشافعية ..

بينما يرى المالكية أن الحول ينعقد على ما دون النصاب .. فإذا
بلغ في آخره نصابا زكاه ..

ثم اذا نقص النصاب أثناء الحول .. وكمل في طرفيه
لا ينقطع الحول — عند أبي حنيفة — لأنه يحتاج الى أن تعرف قيمته
في كل وقت .. ليعلم أن قيمته فيه تبلغ نصابا .. وذلك يشق ..

ويرى الحنابلة أنه اذا نقص أثناء الحول .. ثم زاد حتى بلغ
نصابا استأنف الحول عليه .. لكونه انقطع بنقصه في أثناءه ..

* * *

(١٢) رواه الشافعى وأحمد وأبو عبيد والدارقطنى والبيهقى
وعبد الرزاق .

● والصنف الثالث من الزكاة الواجبة هو النعم ..
تقدم أن النعم هي الابل والبقر والغنم المستأنسة .. وأن البقر
يشمل الجاموس .. ويشمل الغنم الماعز ..
والزكاة تجب في النعم بشرط أن تكون سائمة — الا عند مالك فلم
يُستَترَط السوم — وبشرط أن تبلغ النصاب الذي يختلف باختلاف
أنواعها ..

والسائمة هي التي ترعى في الكلأ المباح — أى في البرارى — في
أكثر العام .. بخلاف المعلوفة — على آراء في المذاهب ..

● وأول نصاب الابل خمس — فلا زكاة على أربع من الابل —
فاذا بلغتها ففيها شاة من الضأن أو المعز .. وهكذا في كل خمس : شاة ..
الى أن تبلغ عشرين ففيها أربع شياه .. والشاة المجزئة هي ما أتمت
سنة — الا عند الحنابلة فتجزىء ما أتمت ستة شهور ..

فاذا بلغت الابل خمسا وعشرين ففيها بنت مخاض — وهي ما بلغت
من الابل سنة ودخلت في الثانية ..

واذا بلغت ستا وثلاثين ففيها بنت لبون — وهي ما أتمت سنتين
ودخلت في الثالثة ..

فاذا بلغت ستا وأربعين ففيها بنتا لبون ..
وفي احدى وستين جذعة — وهي التي لها أربع سنين ودخلت في
الخامسة ..

فاذا بلغت احدى وتسعين ففيها حقتان — والحقه هي ما أتمت
ثلاث سنين ودخلت في الرابعة ..

فاذا بلغت مائة وحدى وعشرين ففيها ثلاث بنات لبون ..
فاذا بلغت مائة وثلاثين : تغير الواجب .. فيكون في كل أربعين
بنت لبون .. وفي كل خمسين حققة ..

ففي مائة وثلاثين بنتا لبون وحققة .. وفي مائة وأربعين حقتان
وبنت لبون .. وفي مائة وخمسين ثلاث حقائق ..
وهكذا يكون التفاوت بزيادة عشرة فعشرة ..

وما بين كل فريضتين من جميع الفرائض المتقدمة مغفوة عنه
ولا زكاة فيه .. فمثلا الخمس من الابل فيها شاة .. والتسع فيها شاة
أيضا — فلا شيء عليه في مقابلة الأربع الزائدة على أصل النصاب ..
وهكذا ..

● أما البقر .. فأول نصابه ثلاثون .. فإذا بلغت فيها تباع أو تبيعه — وهو ما أوفى سنة ودخل في الثانية ..

فإذا بلغت أربعين ففيها مسنة — وهي ما أوفت سنتين ودخلت في الثالثة ..

فإذا زادت عن ذلك ففى كل ثلاثين تباع أو تبيعه .. وفى كل أربعين مسنة ..

ففى الستين تبيعان أو تبيعه .. وفى السبعين مسنة وتبيع .. وفى الثمانين مستتان .. وفى التسعين ثلاثة أتبعه .. وفى المائة مسنة وتبيعان .. وفى مائة وعشرة مستتان وتبيع .. وفى مائة وعشرين الواجب أربعة أتبعه أو ثلاث مسنات .. وهكذا ..

وما بين الفريضتين معفو عنه ولا زكاة فيه ...

● وأول نصاب الغنم أربعون .. وفيها شاة من الضأن أو المعز بالسن الذى تقدم بيانه فى البقر .. الا أنه اذا كانت الغنم ضأنا تعين الاخراج منها .. واذا كانت معزا فالاجراج من المعز .. وان كانت الغنم ضأنا ومعزا فان الغالب أحدهما .. فالشاة المخرجة تكون منه وان تساويا — مثل أن يكون عنده عشرون من الضأن وعشرون من المعز — خير الساعى فى أخذ الشاة من أى الصنفين شاء ..

فإذا بلغت مائة وأحدى وعشرين ففيها شاتان ..

فإذا بلغت مائتين وواحدة ففيها ثلاث شياه ..

وفى أربع مائة شاة أربع شياه .. وما زاد ففى كل مائة شاة ..

وما بين الفريضتين معفو عنه فلا زكاة فيه ..

● ومن ملك نصابا من الابل أو البقر أو الغنم فنتجت فى أثناء الحول وجبت زكاة الجميع عند تمام حول الكبار .. وأخرج عن الأصل وعن النتاج زكاة المال الواحد ..

● وأجمع الفقهاء على أنه لا تضم الابل الى البقر ولا الى الغنم .. ولا البقر الى الغنم .. فمن ملك من الابل أقل من النصاب .. ومن البقر ومن الغنم كذلك .. فلا يضم أحدها الى الآخر لأنها أجناس متعددة لا يضم أحدها الى الآخر لاكمال النصاب ..

* * *

● ويجب مراعاة حق أرباب الأموال عند أخذ الزكاة من أموالهم
.. فلا يؤخذ من كرائمها وخيارها .. الا اذا سمحت أنفسهم بذلك ..
كما تجب مراعاة حق الفقير .. فلا يجوز أخذ الحيوان المعيب عيبا
يعتبر نقصا عند ذى الخبرة بالحيوان .. الا اذا كانت كلها معيبة ..
وانما تخرج الزكاة من وسط المال ..

وعن الزهري عن سالم عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كتب الصدقة ولم يخرجها الى عماله حتى توفي .. فأخرجها أبو بكر رضى الله عنه فعمل بها حتى توفي .. ثم أخرجها عمر رضى الله عنه من بعده فعمل بها .. قال : فلقد هلك عمر يوم هلك وان ذلك لمقرون بوصيته ..

وقد جاء في كتاب أبي بكر : « لا تؤخذ في الصدقة هرمة — وهى التى سقطت أسنانها — ، ولا ذات عوار — أى العوراء — ، ولا تيس » ..

وعن سفيان بن عبد الله الثقفى أن عمر رضى الله عنه نهى المصدق أن يأخذ الأكلة — أى العاقر من الشاة — ، والربى — أى التى تربي فى البيت للبنها — ، والماخض — أى التى حان ولادها — ، وفحل الغنم — أى التيس المعد للزرو ..

وعن عبد الله بن معاوية الغاضرى أن التنبى صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الايمان : من عبد الله وحده .. وأن لا اله الا هو .. وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه رافدة عليه كل عام — أى تعينه على أداء الزكاة — ولا يعطى الهرمة ، ولا الدرنة ، ولا المريضة ، ولا الشرط ، ولا اللثيمة .. ولكن من وسط أموالكم .. فان الله لم يسألكم خيره ، ولم يأمركم بشره » (١٣) .
والدرنة هى الجرباء ، والشرط أى صغار المال وشراره ، واللثيمة التى تبخل باللبن ..

* * *

● والصنف الرابع من الزكاة هو الزروع والثمار ..

ثبتت فرضية الزكاة فى الزروع والثمار على ما تقدم من الدليل العام بدليل خاص من الكتاب والسنة .. فقد قال تعالى : « يا أيها

(١٣) رواه أبو داود والطبرانى .

الذين آمنوا أنفقوا من طيات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض» (١٤) .

وقال تعالى : « وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابهه ، كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده » (١٥) .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : حقه الزكاة المفروضة . . وقال : العشر ونصف العشر . .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما سقت السماء ففيه العشر . . وما سقى غرب أو دالية ففيه نصف العشر » . والغرب هو الدلو ، والدالية هى الدولاب — أى بآلة كالمساقية والنورج ونحوها — وقد كانت الزكاة تؤخذ على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من الحنطة والشعير والتمر والزبيب . . ولم تكن تؤخذ من الخضروات ولا من غيرها من الفواكه إلا العنب والرطب . .

ولم يختلف أحد من العلماء فى وجوب الزكاة فى الزروع والثمار . . وانما اختلفوا فى الأصناف التى تجب فيها . .

فيرى أبو حنيفة أن الزكاة واجبة فى كل ما أنبتته الأرض . . لا فرق بين الخضروات وغيرها . . واشترط أن يقصد بزراعته استغلال الأرض ونماؤها عادة . . واستثنى الحطب والبوص والحشيش . . والشجر الذى لا ثمر له . . استنادا الى قوله صلى الله عليه وسلم : « غيما سقت السماء العشر » . . وهذا عام يتناول جميع أفرادها . . ولأنه يقصد بزراعته نماء الأرض فأشبهه الحب . .

ويرى مالك : أنه يشترط فيما يخرج من الأرض أن يكون مما يبقى ويبس ويستنبته بنو آدم . . سواء أكان مقتاتا كالقمح والشعير . . أو غير مقتات كالقرطم والسهم . . ولا زكاة عنده فى الخضروات والفواكه كالتين والرمان والتفاح . .

ويرى الشافعى : وجوب الزكاة فيما تخرجه الأرض بشرط أن يكون مما يقتات ويدخر ويستنبته الآدميون كالقمح والشعير . . ويقول النووى : مذهبنا أنه لا زكاة فى غير النخل والعنب من الأشجار . . ولا فى شئ من الحبوب إلا فيما يقتات ويدخر . . ولا زكاة فى الخضروات . .

بينما يرى أحمد : وجوب الزكاة في كل ما أخرجه الله من الأرض من الحبوب والثمار مما يبيس ويبقى ويكال ويستنبته الآدميون في أراضيهم • سواء أكان قوتا كالحنطة أو من القطنيات — كالعديس والحمص والبسلة والتمر واللوبيا والفل وما أشبه لأنها تقطن في البيوت — أو من الأباريز كالكمبرة والكرابيا •• أو من البذور كبذر الكتان والقثاء والخيار •• أو حب البقول كالقرطم والسوسم •• كما تجب عنده فيما جمع هذه الأوصاف من الثمار اليابسة كالتمر والزبيب والمشمش والتين واللوز والبندق والفسق •• ولا زكاة عنده في سائر الفواكه كالخوخ والكمثرى والتفاح والمشمش والتين اللذين لا يجفان •• ولا في الخضروات كالقثاء والخيار والبطيخ والباذنجان واللفت والجزر ••

● وذهب أكثر أهل العلم الى أن الزكاة لا تجب في شيء من الزروع والثمار •• حتى تبلغ خمسة أوسق بعد تصفيتها من التبن والقشر •• فان لم تصف بأن تركت في قشرها فيشترط أن تبلغ عشرة أوسق ••

والوسق ستون صاعا بالاجماع والصاع قدح وثلث •• فيكون النصاب خمسين كيلة ••

روى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة » (١٦) •

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ليس فيما دون خمسة أوسق من تمر ولا حب صدقة » • وذهب أبو حنيفة ومجاهد الى وجوب الزكاة في القليل والكثير •• لعموم قوله صلى الله عليه وسلم : « فيما سقت السماء العشر •• وفيما سقى بنضح أو غرب فنصف العشر » ••

ولهذا يجب العمل بكلا الحديثين •• ولا يجوز معارضة أحدهما بالآخر •• والغاء أحدهما بالكلية •• فان طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فرض في هذا أو في هذا ••

فاذا بلغت الزروع النصاب — أى خمسون كيلة — ففيها العشر (١٠ ٪) اذا كانت تسقى بماء السماء •• ونصف العشر (٥ ٪)

(١٦) رواه أحمد والبيهقى •

إذا سقيت بآلة .. ولا يعتبر الحول .. لأن الزروع يكمل نموها
بالحصاد لا ببقائها .. واعتبر الحول في غيرها لأنه مظنة لكمال النماء
في سائر الأموال .. واعتبر النصاب ليبلغ حدا يحتمل المواساة منه ..
فلهذا اعتبر في الزروع بالنصاب دون الحول ..

* * *

● والصنف الخامس من الزكاة هو المعدن والركاز :
والمعدن هو ما خلقه الله تعالى في الأرض من ذهب أو فضة أو غيرها
كالنحاس والرصاص والمغرة — طين أحمر يصبغ به — والكبريت
ونحوها ..

وتنقسم المعادن الى أقسام ثلاثة :
ما ينطبع بالنار .. ومائع .. وما ليس بمنطبع ولا مائع ..
فالمنطبع .. ما كان كالذهب والفضة والنحاس والرصاص
والحديد ..
والمائع .. ما كان كالقار « الزفت » والنفط والزئبق ونحوها ..
وما ليس بمنطبع ولا مائع .. ما كان كالنورة (*) والجواهر
واليواقيت ..

أما الركاز .. فهو ما يوجد في باطن الأرض — أو على ظهرها —
من دفائن أهل الجاهلية من ذهب وفضة وغيرها .. وكان عليه أو على
شيء منه علامة كفر .. أما ان وجد عليه علامة اسلام .. أو علامة
اسلام وكفر .. فهو لقطة تجرى عليه أحكامها ..
ودليل مشروعية الزكاة فيها قوله تعالى : « واعلموا أنما غنمتم
من شيء فإن لله خمسة وللرسول » (١٧) .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريرة رضى الله
عنه قال : « العجماء جرحها جبار .. والبئر جبار .. والمعدن جبار ..
وفي الركاز الخمس » (١٨) .

أى إذا انفلتت بهيمة فأتلقت شيئاً فهو جبار — أى هدر — وإذا
حفر انسان بئراً فتردى فيه آخر فهو هدر .. وإذا استأجر من يحفر
له معدناً فسقط عليه فقتله فهو هدر ..

(١٨) متفق عليه .

(١٧) الأنفال : ٤١

(*) النورة : بضم النون مع التشديد وفتح الراء — حجر الكلس ،
والنورة : أخلاط من أملاح الكالسيوم والباريون تستعمل لازالة الشعر .
(قاموس) ..

واشترط الفقهاء في زكاة المعدن شروطاً .. فذهب أحمد إلى أنه كل ما خرج من الأرض مما يخلق فيها من غيرها مما له قيمة مثل الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والياقوت والزبرجد والزمرد والفيروز والبللور والعقيق والكحل والزرنيخ والقار والنفط والكبريت والزاج ونحو ذلك .. واشترط فيه أن يبلغ الخارج نصاباً بنفسه أو بقيمته ..

وذهب أبو حنيفة إلى أن الوجوب يتعلق بكل ما ينطبع ويذوب بالنار كالذهب والفضة والحديد والنحاس .. أما المسائح كالقار أو الجامد الذي لا يذوب بالنار كالياقوت .. فان الوجوب لا يتعلق به .. ولم يشترط فيه نصاباً .. فأوجب الخمس في قليله وكثيره ..

وقصر مالك والشافعي الوجوب على ما استخرج من الذهب والفضة .. واشترطاً — مثل أحمد — أن يبلغ الذهب والفضة نصابهما .. واتفقوا على أنه لا يعتبر له الحول .. وتجب زكاته حين وجوده مثل الزرع .. ويجب فيه ربع العشر عند الثلاثة ومصرفه مصرف الزكاة عندهم .. وعند أبي حنيفة مصرفه مصرف الفئ ..

● أما الركاز .. فقد تقدم أنه ما كان من دفن الجاهلية .. وأن الواجب فيه الخمس .. وأما الأربعة أخماس الباقية فهي لأقدم مالك للأرض أن عرف .. وإن كان ميتاً فلورثته أن عرفوا .. والا وضع في بيت المال .. وهذا مذهب أبي حنيفة ومالك والشافعي .. أما أحمد فيرى أنها لمن وجدته .. هذا ما لم يدعه مالك الأرض .. فان ادعى ملكه فالقول قوله اتفاقاً ..

ويجب الخمس في قليله وكثيره .. من غير اعتبار نصاب فيه عند أبي حنيفة وأحمد وأصح الروايتين عن مالك .. وعند الشافعي في الجديد يعتبر النصاب فيه .. وأما الحول فانه لا يشترط بلا خلاف .. واتفق جمهور العلماء على أن الخمس واجب على من وجدته .. من مسلم وذمي وكبير وصغير .. وعاقل ومجنون .. إلا أن ولي الصغير والمجنون هو الذي يتولى الإخراج عنهما ..

قال ابن المنذر : أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم : على أن الذمي في الركاز يجده الخمس .. قاله مالك وأهل المدينة والثوري والأوزاعي وأهل العراق وأصحاب الرأي وغيرهم .. قال الشافعي : لا يجب الخمس إلا على من تجب عليه الزكاة لأنه زكاة (١٩) .

الا أن القوانين الحديثة في الدول .. تجرم التصرف في دفائن
الجاهلية .. كالأثار وغيرها .. وتعتبره من أموال الدولة التي لا يجوز
التصرف فيها ..

* * *

* أحكام عامة في المال المستفاد (٢٠) :

من استفاد مالا .. مما يعتبر فيه الحول — ولا مال له سواء وبلغ
نصابا .. أو كان له مال من جنسه لا يبلغ نصابا فبلغ بالمستفاد نصابا
انعقد عليه حول الزكاة من حينئذ .. فإذا تم الحول وجبت الزكاة فيه ..
فإذا كان المال المستفاد من نمائه كربح التجارة ونتاج الحيوان
— وكان ما عنده منها مبلغ النصاب فربحت العروض وتوالد الحيوان
أثناء الحول وجب اخراج الزكاة على الجميع .. الأصل والمستفاد ..
أما إذا كان المستفاد من جنس النصاب .. ولم يكن متفرعا عنه
أو متولدا منه .. بأن استفاده بشراء أو هبة أو ميراث .. فان الحنفية
يقولون بضم المستفاد الى النصاب ويكون تابعا له في الحول والزكاة ..
وتركى الفائدة مع الأصل ..

ويقول الشافعية والحنابلة بتبعية المستفاد للأصل في النصاب ..
ويستقبل به حول جديد .. سواء أكان الأصل نقدا أو حيوانا ..
مثل أن يكون عنده مائتا درهم ثم استفاد أثناء الحول أخرى .. فانه
يزكى كلا منهما عند تمام حوله ..

بينما يرى المالكية رأى الحنفية في الحيوان .. ورأى الشافعية
والحنابلة في النقدين ..

وإذا كان المستفاد من غير جنس ما عنده .. فانه لا يضم الى
ما عنده في حول ولا نصاب .. بل ان كان نصابا استقل به حولا ..
وزكاه آخر الحول .. والا فلا شيء فيه ..

● والزكاة واجبة في الذمة لا في عين المال .. لأنه قد صح أنه
من وجبت عليه زكاة بر أو شعير أو تمر أو ذهب أو فضة .. وأعطى
زكاته الواجبة عليه من غير هذه الأصناف فانه لا يمنع ذلك .. ولا يكره
له ذلك .. سواء أعطى من تلك العين أو مما عنده من غيرها أو مما
يشتري أو مما يوهب أو مما يستقرض ..

(٢٠) راجع فقه السنة الجزء الأول — باب الزكاة .. بتصرف ..

فصح يقينا — كما يقول ابن حزم — « أن الزكاة في الذمة لا في العين .. اذ لو كانت في العين لم يحل له البتة أن يعطى من غيرها .. ولوجب منعه من ذلك كما يمنع من له شريك في شيء من كل ذلك أن يعطى شريكه من غير العين التي هم فيها شركاء الا بتراضيهما وعلى حكم البيع » ..

● وإذا وجبت الزكاة في المال — بأن حال عليه الحول أو حان حصاده — وتلف المال قبل أداء الزكاة أو تلف بعضه .. فالزكاة كلها واجبة في ذمة صاحب المال سواء أكان التلف بتفريط منه أم بغير تفريط ..

● ولو عزل الزكاة ليدفعها الى مستحقيها .. فضاعت كلها أو بعضها فعليه اعادتها لأنها في ذمته حتى يوصلها الى من أمره الله بايصالها اليه ..

● وتأخير الزكاة لا يسقطها .. فمن مضى عليه سنون وبم يؤد ما عليه من زكاة .. لزمه اخراج الزكاة عن جميعها سواء علم وجوب الزكاة أم لم يعلم .. وسواء أكان في دار الاسلام أم في دار الحرب — في مذهب الشافعى ..

● ولا يجوز دفع القيمة بدل العين المنصوص عليها في الزكوات الا عند عدمها وعدم الجنس .. وذلك لأن الزكاة عبادة .. ولا يصح أداء العبادة الا على الجهة المأمور بها شرعا .. وليشارك الفقراء الأغنياء في أعيان أموالهم ..

● وإذا كان المال مشتركا بين شريكين أو أكثر .. لا تجب الزكاة على واحد منهم .. حتى يكون لكل واحد منهم نصاب كامل ..

● ولا تسقط الزكاة عن ملك نصابا من أى نوع من أنواع المال فباعه قبل الحول أو وهبه أو أتلف جزءا منه بقصد الفرار من الزكاة .. وتؤخذ منه في آخر الحول اذا كان تصرفه هذا عند قرب الوجوب .. ولو فعل ذلك في أول الحول لم تجب الزكاة لأن ذلك ليس بمظنة الفرار ..



مصارف الزكاة

حدد الله تعالى مصارف الزكاة .. ولم يتركها لاجتهادات الناس
أو لعواطفهم يشرعون فيها كيف شاءوا .. كما فصلتها السنة النبوية
المباركة ..

يقول الله تعالى : « **انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين
عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والفارمين وفي سبيل الله وابن السبيل ،
فريضة من الله ، والله عليم حكيم** » (١) .

وعن زياد بن الحارث الصدائي قال : أتيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فبايعته .. فأتى رجل فقال : أعطني من الصدقة ..

فقال صلى الله عليه وسلم : « ان الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره
في الصدقات حتى حكم فيها هو .. فجزأها ثمانية أجزاء .. فان كنت
من تلك الأجزاء أعطيتك » (٢) .

وعن قبيصة بن مخارق الهلالي قال : تحملت حمالة — أى تحمل
بأداء دين لاصلاح ذات البين — فأتيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم أسأله فيها فقال : « أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها » ..
ثم قال : « يا قبيصة .. ان المسألة لا تحل الا لأحد ثلاثة :
رجل تحمل حمالة .. فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ..
ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله .. فحلت له المسألة حتى يصيب
قواما من عيش — أو قال : سدادا من عيش — ورجل أصابته فاقة
حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجا من قومه : لقد أصابت فلانا فاقة ..
فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش — أو قال : سدادا من
عيش — .. فما سواهن من المسألة يا قبيصة فسحت يأكلها صاحبها
سحتا .. » (٣) ..

(٢) رواه أبو داود .

(١) التوبة : ٦٠

(٣) رواه أحمد ، مسلم وأبو داود والنسائي .

والجائحة هي ما أتلف المال كالحريق ونحوه .. والفاقة هي
الفقر والحاجة .. والسداد في العيش : ما تقوم به حاجته ويستغنى به ..
والسحت هو الحرام ..

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال : « لا تحل الصدقة لغنى إلا لخمسة : لعامل عليها .. أو
رجل اشتراها بماله .. أو غارم .. أو غاز في سبيل الله .. أو مسكين
تصدق عليه منها فأهدى منها لغنى » (٤) ..

وعن البراء رضي الله عنه قال : جاء رجل الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال : دلني على عمل يقربني من الجنة ويبعدني من النار ..
فقال : « أعق النسيمة وفك الرقبة » فقال : يا رسول الله .. أو ليسا
واحدا ؟ قال : « لا .. عتق الرقبة أن تنفرد بعنتها .. وفك الرقبة
أن تعين بثمانها » (٥) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : « ثلاثة كلهم حق على الله عونه : الغازي في سبيل الله .. والمكاتب
الذي يريد الأداء .. والناكح المتعفف » (٦) .

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« لا تحل المسألة إلا لثلاث : لذي فقر مدقع .. أو لذي غرم مفظع ..
أو لذي دم موجع » (٧) .

وذو الفقر المدقع : أي الشديد فقره .. والغرم المفظع : أي
ما يلزم أدائه تكلفا وكان شديدا شنيعا مجاوزا للحد فلا يطيقه وحده ..
وذو الدم الموجع .. الذي يتحمل دية عن قريبه أو صديقه القاتل
يدفعها الى أولياء المقتول .. فان لم يدفعها قتل قريبه أو صديقه
أقاتل الذي يتوجع لقتله واراقة دمه — كما يقول صاحب فقه السنة ..
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : أصيب رجل في عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثمار ابتاعها .. فكثر دينه .. فقال
النبي صلى الله عليه وسلم : « تصدقوا عليه » فتصدق الناس عليه ..
فلم يبلغ ذلك وفاء دينه .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لغرمائه : « خذوا ما وجدتم .. وليس لكم إلا ذلك » (٨) .

(٤) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم .

(٥) رواه أحمد والدارقطني . (٦) رواه أحمد وأصحاب السنن .

(٧) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذي .

(٨) رواه مسلم .

فأنت ترى أن الله تعالى .. قد حدد مصارف الزكاة في أصناف ثمانية هم : الفقراء .. والمساكين .. والعاملون عليها .. والمؤلفة قلوبهم .. والأرقاء .. والغارمون .. وأبناء السبيل .. والمجاهدون في سبيل الله ..

ولهذا لا يجوز صرف الزكاة المفروضة الى غيرهم .. فلا تدفع لبناء المساجد أو القناطر .. أو اصلاح الطرقات .. والتوسعة على الأضياف .. وتكفين الموتى وما أشبه .. ولقد سئل الامام أحمد رضى الله عنه عن تكفين الموتى من الزكاة فقال : لا .. ولا يقضى منها دين الميت ..

وقال : يقضى من الزكاة دين الحى .. ولا يقضى منها دين الميت .. لأن الميت لا يكون غارما .. فقيل له : فانما يعطى أهله .. قال : ان كانت على أهله فنعم (٩) .

وحكم الزكاة المفروضة في هذا يختلف عن الصدقات المسنونة .. كصدقة التطوع والفطر .. والكفارات .. فقد أدخل الله عليها ذوى القربى .. واليتامى .. والجار ذى القربى .. والجار الجنب .. والصاحب بالجنب .. وما ملكت الأيمان ..

● والفقراء هم المحتاجون الذين لا يجدون الكفاية .. فاذا صح تعريف الغنى بأنه الذى يملك نصابا زائدا عن حاجته وأولاده الأصلية من مأكـل ومشرب وملبس ومسكن ودابة وآلة حرفة — ونحو ذلك مما لا غنى عنه — فان من عدم هذا القدر فهو الفقير المستحق للزكاة .. لأن الزكاة تؤخذ من الغنى المالك للنصاب .. وتعطى للفقير الذى لا يملك هذا القدر .

● واختلف علماء اللغة وأهل الفقه في الفرق بين الفقير والمساكين .. فذهب يعقوب بن السكيت والقتبى ويونس بن حبيب الى أن الفقير أحسن حالا من المسكين .. وقالوا : ان الفقير الذى له بعض ما يكفيه .. والمساكين الذى لا شىء له ..

وعن مالك : الفقير المحتاج المتعفف .. والمساكين السائل .. وعن محمد بن مسلمة : الفقير الذى له المسكن والخادم الى من هو أسفل .. والمساكين الذى لا مال له ..

وقيل ان المسكين يدخل تحت وصف الفقير .. الا أن له صفة خاصة تميزه عن غيره من سائر الفقراء .. فهو الذى يتعفف عن السؤال ولهذا لا يفطن اليه الناس — عادة — لتجمله وتعففه ..

وواقع الأمر .. أنه لا فرق بين الفقراء والمساكين من حيث حاجتهم وفاقنتهم .. ومن حيث استحقاقهم للزكاة ..

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان .. ولا اللقمة واللقمتان .. انما المسكين الذى يتعفف .. اقرأوا ان شئتم : « لا يسألون الناس الحافا » (١٠) ..

وفى رواية : « ليس المسكين الذى يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان .. والتمرمة والتمرتان .. ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه .. ولا يفطن له فيتصدق عليه .. ولا يقوم فيسأل الناس » (١١) .



ولهذا قلنا : ان الاسلام لا يهدف من تشريع الزكاة الى اعطاء الفقير قروشاً معدودة تسد حاجة وقتية له فى مناسبة معينة .. ثم يبقى بعد ذلك طيلة العام فى أدنى درجات السلم الاجتماعى .. فقيراً معدماً .. ينتظر الاحسان من الناس والعون من الدولة ..

انما هدف الاسلام بتشريع الزكاة الى تحقيق مستوى لائق يعيشه الفرد الفقير .. مستوى يليق بوصفه انساناً كرمه الله وجعله خليفة له فى الأرض ، يليق بوصفه مسلماً ينتسب الى دين العدل والاحسان .. وينتمى الى أمة الاسلام التى فضلها الله على سائر الأمم وجعلها خير أمة أخرجت للناس ..

وذكرنا أن أدنى ما يتحقق به هذا المستوى الانسانى أن يتهيأ له ولأسرته طعام وشراب ملائمين .. وكسوة للشتاء وأخرى للصيف .. وأن يعيش وأسرته فى مسكن يکنه حر الصيف وبرد الشتاء .. فهذا هو أدنى مستوى ليكون الانسان انساناً (١٢) .

(١١) رواه البخارى ومسلم .

(١٠) البقرة : ٢٧٣

(١٢) راجع ص ٥٨٩ من هذا الكتاب .

ويؤكد ما ذهبنا اليه .. ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حيث قال : « اذا أعطيتكم — يعنى فى الصدقة — فأغنوا » .. ويقول القاضى عبد الوهاب : لم يجد مالك لذلك حدا .. فانه قال : « يعطى من له المسكن والخادم والدابة التى لا غنى عنها » .. ويدلنا حديث قبيصة رضى الله عنه أن المسألة تحل للفقير حتى يأخذ ما يقوم بعيشه ويستغنى به مدى حياته .. لأن الرسول صلى الله عليه وسلم بين فيه الحد الذى تقف عنده المسألة فقال : « ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجا من قومه : لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش — أو قال : سدادا من عيش » ..

فحد المسألة أن يصيب الفقير قواما من عيش — أو سدادا من عيش — فاذا استقرت أموره لم تحل له المسألة ولا يعطى من مال الصدقة ..

بل انه عندما يجد كفايته ويملك النصاب المفروض للزكاة .. فانه سوف يكون بدوره موردا جديدا من موارد الزكاة .. فتؤخذ منه لتعطى للفقراء والمساكين .. وهكذا يدور المال دورته فى المجتمع .

● والعاملون عليها : هم الذين تعينهم الدولة لجمع الزكاة ويقومون بتحصيلها .. ويدخل فيهم الحفظة لها .. والرعاة للأنعام منها .. والكتبة لديوانها حتى لو كانوا من الأغنياء .. انما يجب أن يكونوا من المسلمين وألا يكونوا ممن تحرم عليهم الصدقة من آل الرسول صلى الله عليه وسلم .. وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب .. وما يحصلون عليه انما هو بمثابة الأجر لقيامهم بهذا العمل ..

● أما المؤلفه قلوبهم : فهم الجماعة الذين يراد تأليف قلوبهم وجمعها على الاسلام أو تثبيتها عليه لضعف اسلامهم .. أو لكف شرهم عن المسلمين ..

وقد سقط الآن هذا السهم باعزاز الله لدينه ..

جاء عيينة بن حصن والأقرع بن حابس وعباس بن مرداس .. وطلبوا من أبى بكر رضى الله عنه نصيبهم — الذى كان يعطى لهم على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم — فكتب لهم به .. وجاءوا الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأعطوه الخط .. فأبى ومزقه وقال :

هذا شيء كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطيكموه تأليفا لكم على الاسلام .. وأغنى الله عنكم .. فان ثبتتم على الاسلام والا فبيننا وبينكم السيف : « **وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** » (١٣) .

فرجعوا الى أبى بكر رضى الله عنه فقالوا : الخليفة أنت أم عمر ؟ .. بذلت لنا الخط فمزقه عمر !! فقال أبو بكر رضى الله عنه : هو ان شاء .. قالوا : ان أبا بكر وافق عمر (رضى الله عنهما) .

وعلى هذا سار الأمر من بعد .. فلم ينقل عن عثمان أو على رضى الله عنهما أنهما أعطيا أحدا من سهم المؤلفة قلوبهم ..
● وسهم الرقاب : يخص المكاتبين والأرقاء .. فيعان المكاتبون بمال الزكاة لفك رقابهم من الرق .. ويشترى به العبيد ويعتقون .. ولم يبق اليوم عبيد أو أرقاء بعد أن انتهى أمر الرق ..

● والغارمون : هم الذين تحملوا الديون .. وتعذر عليهم أداءها .. وهم على أقسام .. فمنهم من تحمل حمالة .. أو ضمن ديناً فلزمه .. فأجحف بماله .. أو استدان لحاجته الى الاستدانة .. أو فى معصية تاب منها .. فهؤلاء جميعا يأخذون من الزكاة ما يفي بديونهم ..

ويفسر العلماء الحمالة بأنها ما يتحمله الانسان عن غيره ويلزمه فى ذمته بالاستدانة .. ليدفعه فى اصلاح ذات البين ..

وقد كانت العرب اذا وقعت بينهم فتنة اقتضت غرامة فى دية أو غيرها .. قام أحدهم فتبرع بالتزام ذلك والقيام به .. حتى ترتفع تلك الفتنة ..

وهذا بلاشك من مكارم الأخلاق .. لذا كانوا يبادرون الى معاونة من يتحمل حمالة ويعطونه ما تبرأ به ذمته ..

وكان الغارم الذى يتحمل حمالة لا يعد سؤاله الناس فى المعاونة على أدائها نقصا فى قدره .. بل كان يعد ذلك فخرا .. اذ لا يشترط أن يكون عاجزا من الوفاء بها .. بل له السؤال والأخذ وان كان فى ماله الوفاء ..

● وفي سبيل الله : أى الطريق الموصل الى مرضاته من العلم والعمل .. والمراد هنا هو الغزو والجهاد .. وعلى هذا يعطى سهم « سبيل الله » للمتطوعين من الغزاة الذين ليس لهم راتب من الدولة .. فهؤلاء لهم سهم من الزكاة يعطونه .. سواء أكانوا من الأغنياء أم الفقراء ..

ولم يعد العلماء الحج من سبيل الله التى تصرف فيها الزكاة — لأن الحج مفروض على المستطيع دون غيره .. ويقول الامام محمد عبده .. فى تفسير المنار : « وفي سبيل الله » وهو يشمل سائر المصالح الشرعية العامة التى هى ملاك أمر الدين والدولة ..

وأولها — وأولها بالتقديم — الاستعداد للحرب بشراء السلاح وأغذية الجند وأدوات النقل وتجهيز الغزاة ..

ولكن الذى يجهز به الغازى يعود بعد الحرب الى بيت المال — ان كان مما يبقى — كالسلاح والخيول وغير ذلك .. لأنه لا يملكه دائما بصفة الغزو التى قامت به .. بل يستعمله فى سبيل الله .. ويبقى بعد زوال تلك الصفة منه فى سبيل الله .. بخلاف الفقير والعامل عليها والغارم والمؤلف وابن السبيل .. فانهم لا يردون ما أخذوا بعد فقد الصفة التى أخذوا بها ..

ويدخل فى عمومها انشاء المستشفيات العسكرية .. وكذا الخدمة العامة .. واشراع الطرق .. ومنها بناء البوارج المدرعة .. والمناطيد .. والطائرات الحربية .. والحصون .. والخنادق ..

ومن أهم ما ينفق فى سبيل الله — فى زماننا هذا — اعداد الدعاة الى الاسلام .. وارسالهم الى بلاد الكفار .. من قبل جمعيات منظمة تمدهم بالمال الكافى كما يفعله الكفار فى نشر دينهم .. ويدخل فيه النفقة على المدارس للعلوم الشرعية .. وغيرها مما تقوم به المصلحة العامة ..

وفى هذه الحالة يعطى منها معلمو هذه المدارس .. ما داموا يؤدون وظائفهم الشرعية التى ينقطعون بها عن كسب آخر .. ولا يعطى عالم غنى لأجل علمه .. وان كان يفيد به الناس « (١٤) » .

(١٤) تفسير المنار ج ١٠ ص ٤٣٦ طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب .

ويرى الامام محمد عبده : « أنه يجوز الصرف من هذا السهم على تأمين طرق الحج •• وتوفير الماء والغذاء •• وأسباب الصحة للحجاج ان لم يوجد لذلك مصرف آخر » (١٥) ••

● وابن السبيل : وهو المسافر المنقطع عن بلده بشرط أن يكون سفره في طاعة أو في غير معصية •• واتفق العلماء على أنه يعطى من الصدقة ما يستعين به على تحقيق مقصده •• اذا لم يتيسر له شيء من ماله نظرا لفقره العارض ••

هذه هي المصارف الثمانية للزكاة •• كما حددها الله •• فاذا سقط سهم فئة منهم لانعدامها وجب صرفها الى الأصناف الباقية ان وجدوا •• والا فلل موجود منهم •• ولا يجوز ترك صنف منهم مع وجوده •• في رأى الشافعى ••

واختصاص الزكاة بهذه الأصناف الثمانية لا يستلزم أن تكون موزعة بينهم على السوية •• فمن وجب عليه شيء من جنس الصدقة ووضعه في جنس الأصناف فقد فعل ما أمره الله به •• وسقط عنه ما أوجبه الله عليه ••

وتحرم الزكاة على الكفرة والملاحدة •• وعلى آل البيت من بنى هاشم وبنى عبد المطلب •

ولا يجوز أعطائها للآباء والأجداد والأمهات والجندات •• ولا للأبناء والبنات وأبنائهم •• لأن نفقتهم واجبة عليه •• كما لا يجوز اعطاؤها للزوجة •• لنفس السبب ••

انما يجوز أن تعطى الزوجة زكاتها لزوجها •• لتعينه على أعباء الحياة لأنه لا يجب عليها الانفاق عليه •• أما اذا كان يستعين بما يأخذه منها على نفقتها فلا يجوز — في رأى مالك — ويجوز ان كان يصرفه في غير نفقتها ••

ويستحب اعطاء الزكاة للمستحقين من سائر الأقارب كالأخوة والأخوات والأعمام والأخوال والعمات والخالات لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « الصدقة على المسكين صدقة •• وعلى ذى القرابة اثنتان : صلة وصدقة » (١٦) ••

(١٥) المصدر السابق ج ١٠ ص ٢٣٥

(١٦) رواه أحمد والنسائي والترمذى •

وعن ابي سعيد الخدري رضى الله عنه أن زينب امرأة ابن مسعود قالت : يا نبي الله .. انك أمرت اليوم بالصدقة .. وكان عندي حتى غاربت ان اتصدق به فزعم ابن مسعود أنه وولده أحق من تصدقت به عليهم .. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « صدق ابن مسعود .. زوجك وولدك أحق من تصدقت به عليهم » (١٧) ..

ويجوز اعطاء طلبة العلم من الزكاة .. كما يجوز نقلها الى من يستحقها من بلد الى أخرى .. اذا استغنى أهل بلد المزكى عنها ..

* * *

* زكاة الفطر :

أوجب رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر في شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة .. على كل فرد مسلم .. صغيرا كان أم كبيرا .. ذكرا أم أنثى .. حرا أم عبدا .. طهرا للصائم مما يكون قد وقع فيه من اللغو والرفث .. ولتكون عوناً للفقراء والمساكين ..

وتجب على المسلم الحر .. المالك لمقدار صاع من تمر أو شعير يزيد عن قوته وقوت عياله يوما وليلة .. يخرجها عن نفسه وعن تلزمه نفقته من زوجة أو أبناء أو خدم .. وسائر من يتولى أمرهم ويقوم بالانفاق عليهم ..

فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان صاعا من تمر أو صاعا من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين » (١٨) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر بطهرة للصائم من اللغو والرفث .. وطعمة للمساكين .. من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة .. ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات » (١٩) .

والواجب فيها صاع من قمح أو شعير أو تمر أو زبيب .. أو

(١٧) رواه البخارى . (١٨) رواه البخارى ومسلم .

(١٩) رواه أبو داود وابن ماجه والدارقطنى .

أقط أو أرز أو ذرة ونحوها .. مما يعتبر قوتا .. على تفصيل في المذاهب ..

والصاع يساوي قدحا وثلاث — أو قدحين — لأن الصاع أربعة أمداد والمد حفنة بكفى الرجل المعتدل الكفين .. والأقط هو اللبن المجفف الذي لم تنزع زبدته ..

ويجوز عن أبي حنيفة اخراج قيمتها نقودا ..

● وتجب زكاة الفطر في آخر رمضان على تفصيل في المذاهب .. على أن تكون قبل صلاة العيد لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة » .. ويجوز تعجيل اخراجها قبل العيد بيوم أو يومين .

فمن ابن عمر رضى الله عنهما قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بزكاة الفطر أن تؤدي قبل خروج الناس الى الصلاة .. وكان رضى الله عنه يؤديها قبل ذلك باليوم واليومين .. ويجوز عند أبي حنيفة تقديمها على شهر رمضان ..

ولا يجوز تأخيرها عن يوم العيد في رأى أغلب الفقهاء .. كما أنها لا تسقط بالتأخير بعد الوجوب .. بل تصير دينا في ذمة من لزمته حتى تؤدي ولو في آخر العمر ..

● ومصرف زكاة الفطر هو مصرف الزكاة المفروضة .. فتوزع على الأصناف الثمانية التي ذكرها الله تعالى في مصارف الزكاة .. ويجب صرفها في سهم الفقراء والمساكين لقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه البيهقي والدارقطني عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر وقال : « أغنوهم في هذا اليوم » .. وفي رواية : « أغنوهم عن طواف هذا اليوم » ..

ويجوز عند الزهري وأبي حنيفة ومحمد وابن شبرمة اعطاء الذمي من زكاة الفطر لقوله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين » (٢٠) .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما يروى عن
ابن عباس رضى الله عنهما — « أجود الناس .. وكان أجود ما يكون في
رمضان حين يلقاه جبريل .. وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان
فيدارسه القرآن .. فمرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه
جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة » (٢١) .

* * *

(٢١) متفق عليه .

صدقة التطوع

يقول الله تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبیین وآتى المال على حبه ذوی القربى والیتامى والمساکین وابن السبیل والسائلین وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزکاة والموفون بعہدہم اذا عاہدوا ، والصابرین فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئک الذین صدقوا ، وأولئک هم المتقون » (١) .

ويقول تعالى : « وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه ، وما للظالمین من أنصار . ان تبدوا الصدقات فنعمنا هي ، وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ، ويكفر عنكم من سيئاتكم ، والله بما تعملون خبير . ليس عليك هداہم ولكن الله يہدی من یشاء ، وما تنفقوا من خير فلأنفسکم ، وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله ، وما تنفقوا من خير يوف اليکم وأنتم لا تظلمون . للفقراء الذین أحصروا فى سبیل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض يحسبہم الجاہل أغنياء من التعفف تعرفہم بسيماہم لا يسألون الناس الحافا ، وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم . الذین ينفقون أموالہم باللیل والنهار سرا وعلانية فلہم أجرہم عند ربہم ولا خوف علیہم ولا هم یحزنون » (٢) .

ويقول جل شأنه : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله للرسول ولذی القربى والیتامى والمساکین وابن السبیل کی لا يكون دولة بین الأغنياء منکم ، وما آتاکم الرسول فخذوه وما نهاکم عنه فانتهوا ، واتقوا الله ، ان الله شديد العقاب » (٣) .

عن فاطمة بنت قيس رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان فى المال حقا سوى الزكاة » .. ثم تلا هذه الآية : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب » (٤) .. الى آخرها » (٥) .

(٢) البقرة : ٢٧٠ — ٢٧٤

(٤) البقرة : ١٧٧

(١) البقرة : ١٧٧

(٣) الحشر : ٧

(٥) أخرجه الدارقطني .

وعن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضى الله عنهما أن أصحاب
الصفة كانوا ناسا فقراء .. وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث .. ومن كان عنده طعام
أربعة فليذهب بخامس أو سادس » ..

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : « من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ..
ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له » .. قال : فذكر
من أصناف المال ما ذكر .. حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل ..
وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : « لو استقبلت من
أمرى ما استدبرت لأخذت من فضول أموال الأغنياء .. فقسمتها على
فقراء المهاجرين » ..

وكان على بن أبي طالب كرم الله وجهه يقول : « ان الله تعالى
فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفى فقراءهم .. فان جاعوا
أو عروا وجهدوا فبمنع الأغنياء .. وحق على الله تعالى أن يحاسبهم
يوم القيامة ويعذبهم عليه » ..

ويقول الامام محمد عبده : « ولا يحل لمسلم اضطر أن يأكل
ميتة أو لحم خنزير وهو يجد طعاما فيه فضل عن صاحبه المسلم أو
لذمى .. لأنه يجب فرضا على صاحب الطعام اطعام الجائع .. فاذا
كان ذلك كذلك فليس بمضطر الى الميتة .. ولا الى لحم الخنزير ..
وله أن يقاتل على ذلك .. فان قتل فعلى قاتله القود .. وان قتل
المانع فالى لعنة الله .. لأنه منع حقا .. وهو من الطائفة الباغية » ..
ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « على كل مسلم صدقة »
فقالوا : يا نبي الله .. فمن لم يجد ؟ قال : « يعمل بيده فينفع نفسه
ويتصدق » قالوا : فان لم يجد ؟ قال : « يعين ذا الحاجة الملهوف »
قالوا : فان لم يجد ؟ قال : « فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر ..
فانها له صدقة » (٦) ..

وعن أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « على كل نفس في كل يوم طلعت فيه الشمس صدقة منه على
نفسه » قلت : يا رسول الله .. من أين أتصدق ، وليس لنا أموال ؟

قال : « ان من أبواب الصدقة : التكبير وسبحان الله ولا اله الا الله وأستغفر الله .. وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .. وتعزل الشوك عن طريق الناس والعظم والحجر .. وتهدي الأعمى .. وتسمع الأصم والأبكم حتى يفقه .. وتدلل المستدل على حاجة له قد علمت مكانها .. وتسعى بشدة على ساقيك الى اللهفان المستغيث .. وترفع بشدة ذراعيك مع الضعيف .. كل ذلك من أبواب الصدقة منك على نفسك .. ولك في جماع زوجتك أجر » ..

قالوا : يا رسول الله .. أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ .. قال : « أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر ؟ .. فكذلك اذا وضعها في الحلال كان له أجر » (٧) .

وروى أحمد ومسلم رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من استطاع منكم أن يتقى النار فليصدق ولو بشق ثمرة .. فمن لم يجد فبكلمة طيبة » ..

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم .. مرضت فلم تعدني .. قال : يا رب .. كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده ؟ .. أما لو عدته لوجدتني عنده .. يا ابن آدم .. استطعمتك فلم تطعمني . قال : يا رب .. كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه .. أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي .. يا ابن آدم .. استسقيتك فلم تسقني . قال : يا رب .. كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ .. قال : استسقاك عبدي فلان فلم تسقه .. أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي » (٨) .

وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أحمد والترمذي : « كل معروف صدقة .. ومن المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق .. وأن تفرغ من دلوك في انائه » ..

كما قال صلى الله عليه وسلم : « لا يغرس مسلم غرسا .. ولا يزرع زرا فياكل منه انسان ولا دابة ولا شيء الا كانت له صدقة » (٩) .

(٧) رواه أحمد ، والزيادة من (قالوا) عند مسلم .

(٨) رواه البخاري .

(٩) رواه مسلم .

● وأولى الناس بالصدقة أولاد المتصدق وأهله وأقاربه ..
ولا يجوز التصدق على اجنبي وهو محتاج إلى ما يتصدق به لنفقته
ونفقه عياله .. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيما يرويه
الطبراني والحاكم : « أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح » ..
والكاشح هو الذي يضرر العداوة للشخص فإدا كانت على ذي الرحم
المحب .. كان من باب أولى ..

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« إذا كان أحدكم فقيراً فليبدأ بنفسه .. وإن كان فضل فعلى عياله ..
وإن كان فضل فعلى ذوى قرابته — أو قال : ذوى رحمه — وإن كان
فضل فهنا وهناك » (١٠) ..

وروى أبو داود والنسائي والحاكم أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : « تصدقوا » .. فقال رجل : عندي دينار . قال : « تصدق
به على نفسك » قال : عندي دينار آخر . قال : « تصدق به على
زوجتك » قال : عندي دينار آخر . قال : « تصدق به على ولدك »
قال : عندي دينار آخر .. قال : « تصدق به على خادمك » .. قال :
عندي دينار آخر . قال : « أنت به أبصر » ..
وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم وأبو داود : « كفى
بالمرء أثماً أن يضيع من يقوت » ..

● بل أن الصدقة تجب على الحيوان الأعجم .. فقد روى
البخاري ومسلم في صحيحيهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش .. فوجد بئراً فنزل
فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث الثرى من العطش .. فقال الرجل :
لقد بنخ هذا الكلب من العطش الذي كان قد بلغ مني .. فنزل البئر ..
فملاً خفه ماء .. ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب .. فشكر
الله له ، فغفر له .. » قالوا : يا رسول الله .. وإن لنا في البهائم
أجراً ؟ فقال : « في كل كبد رطبة أجر » ..

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بينما كلب يطيف بركية ..
قد كاد يقتله العطش .. إذ رأته بغي من بغايا بنى إسرائيل فنزعت
موقها — أي خفها — فاستقت له به .. فسقته فغفر لها به » (١١) .

(١١) رواه البخاري ومسلم .

(١٠) رواه أحمد ومسلم .

● وتجوز الصدقة على غير المسلمين .. فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : قدمت على أمي وهي مشركة فقلت يا رسول الله .. ان أمي قدمت على وهي راغبة .. أفأصلها ؟ .. قال : « نعم .. صلى أمك » ..

● وأفضل الصدقة هي الصدقة الجارية .. اذ بها يستمر عمل الانسان بعد موته .. فعن أحمد ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية .. أو علم ينتفع به .. أو ولد صالح يدعو له » .

● وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الصدقة تطفئ غضب الرب .. وتدفع ميتة السوء » (١٢) .

وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان صدقة المسلم تزيد في العمر .. وتمنع ميتة السوء .. ويذهب الله بها الكبر والفخر » .

وعنه صلى الله عليه وسلم قال : « صنائع المعروف تقي مصارع السوء .. والصدقة خفيا تطفئ غضب الرب .. وصلة الرحم تزيد في العمر .. وكل معروف صدقة .. وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة .. وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة .. وأول من يدخل الجنة أهل المعروف » .

ولهذا حث الرسول صلى الله عليه وسلم .. على الاكثار من الصدقة ..

فعن حكيم بن حزام رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اليد العليا خير من اليد السفلى ، وأبدأ بمن تعمل .. وخير الصدقة عن ظهر غنى .. ومن يستعفف يعفه الله .. ومن يستغن يغنه الله » (١٣) ..

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا حسد الا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق .. ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها » (١٤) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان ..

(١٢) رواه الترمذي .

(١٣) متفق عليه .

(١٤) متفق عليه .

فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا .. ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفا « (١٥) .

وعنه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله تعالى : أنفق يا ابن آدم .. ينفق عليك » (١٦) .

وعن أبى أمامة صدى بن عجلان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا ابن آدم .. انك ان تبذل الفضل خير لك .. وان تمسكه شر لك .. ولا تلام على كفاف .. وابدأ بمن تعول .. واليد العليا خير من اليد السفلى » (١٧) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما نقصت صدقة من مال .. وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا .. وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز وجل » (١٨) .

وعن أبى كبشة عمر بن سعد الأنمارى رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه : ما نقص مال عبد من صدقة .. ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزا .. ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر — أو كلمة نحوها — وأحدثكم حديثا فاحفظوه .. قال : إنما الدنيا لأربعة نفر :

عبد رزقه الله مالا وعلما .. فهو يتقى فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقا .. فهذا بأفضل المنازل .. وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا .. فهو صادق النية يقول : لو أن لى مالا لعملت بعمل فلان .. فهو ونيته فأجرهما سواء ..

وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما .. فهو يخبط فى ماله بغير علم .. لا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقا .. فهذا بأخبث المنازل ..

وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما .. فهو يقول : لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان .. فهو ونيته فوزهما سواء » (١٩) .

(١٦) متفق عليه .

(١٨) رواه مسلم .

(١٥) متفق عليه .

(١٧) رواه مسلم .

(١٩) رواه الترمذى .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن لنبى صلى الله عليه وسلم قال : « بينما رجل يمشى بفلاة من الأرض .. فسمع صوتا فى سحابة : اسبق حديقة فلان .. فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه فى حرة .. فاذا شرجة من تلك الشرج قد استوعبت ذلك الماء كله .. فتنبع الماء فاذا رجل قائم فى حديقته يحول الماء بمسحاته .. فقال له : يا عبد الله .. ما اسمك ؟ قال : فلان — للاسم الذى سمع فى السحابة — فقال له : يا عبد الله .. لم تسألنى عن اسمى ؟ .. فقال : انى سمعت صوتا فى السحاب الذى هذا ماؤه يقول : اسبق حديقة فلان .. لاسمك .. فما تصنع فيها ؟ .. فقال : أما اذ قلت هذا .. فانى أنظر الى ما يخرج منها .. فأصدق بثلثه .. وأكل أنا وعيالى ثلثا .. وأرد فيها ثلثه » (٢٠) .

وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة .. واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم .. حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » (٢١) .



● وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم المزكى أن يشتري زكاته حتى لا يرجع فيما تركه لله عز وجل .. فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حمل على فرس فى سبيل الله — أى أعطاه لرجل ليجاهد عليه — فوجده يباع .. فأراد أن يبتاعه .. فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك .. فقال : « لا تبتعه .. ولا تعد فى صدقتك » (٢٢) .

● ولا تجوز الصدقة من حرام .. ولا يقبلها الله .. لما رواه مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أيها الناس .. ان الله طيب لا يقبل الا طيبا .. وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين .. فقال عز وجل : « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ، انى بما تعملون عليم » (٢٣) وقال : « يا أيها الذين آمنوا

(٢٠) رواه مسلم . (٢١) رواه مسلم .

(٢٢) رواه الشيخان وأبو داود والنسائي .

(٢٣) المؤمنون : ٥١

كلوا من طيبات ما رزقناكم (٢٤) .. ثم ذكر الرجل يطيل السفر ..
أشعث أغبر يمد يديه الى السماء : يا رب .. يا رب ، ومطعمه حرام
ومشربه حرام وملبسه حرام .. وغذى بالحرام فأنى يستجاب له ..

* * *

ويقول الامام محمد عبده في الصدقة (٢٥) : « وهذا الايتاء غير
ايتاء الزكاة .. وهو ركن من أركان البر .. وواجب كالزكاة .. وذلك
حيث تعرض الحاجة الى البذل في غير وقت أداء الزكاة بأن يرى الواجد
مضطرا بعد أداء الزكاة أو قبل تمام الحول .. وهو لا يشترط فيه نصاب
معين .. بل هو على حسب الاستطاعة ..

فاذا كان لا يملك الا رغيفا .. ورأى مضطرا اليه — في حال
استغنائه عنه بأن لم يكن محتاجا اليه لنفسه أو لمن تجب عليه نفقته —
وجب عليه بذله ..

وليس المضطر وحده هو الذى له الحق فى ذلك .. بل أمر الله
تعالى المؤمن أن يعطى من غير الزكاة « **ذوى القربى** » وهم أحق
الناس بالبر والصلة .. فان الانسان اذا احتاج — وفى أقاربه غنى —
فان نفسه تتوجه اليه بعاطفة الرحم ..

ومن المغروز فى الفطرة : أن الانسان يألم لفاقة ذوى رحمه
وعدمهم .. أشد مما يألم لفاقة غيرهم .. فانه يهون بهوانهم ..
ويعتز بعزتهم .. فمن قطع الرحم ورضى بأن ينعم وذوو قرياه بائسون ..
فهو برىء من الفطرة والدين .. وبعيد عن الخير والبر .. ومن كان
أقرب رحما .. كان حقه أكد وصلته أفضل ..

« **واليتامى** » فانه لموت كافلهم تتعلق كفالتهم وكفايتهم بأهل
الوجد واليسار من المسلمين .. كيلا تسوء حالهم .. وتفسد تربيتهم ..
فيكونوا مصابا على أنفسهم وعلى الناس ..

« **والساكين** » : فانهم لما قعد بهم العجز عن كسب ما يكفيهم
وسكنت نفوسهم للرضا بالقليل عن مد كف الذليل وجبت مساعدتهم ..
ومواساتهم على المستطيع ..

« **وابن السبيل** » : المنقطع فى السفر .. لا يتصل بأهل ولا قرابة ..
كأن السبيل أبوه وأمه ورحمه وأهله .. وهذا التعبير بمكان من
اللفظ .. لا يرتقى اليه سواه ..

وفي الأمر بمواساته واعانته في سفره .. ترغيب من الشرع في
النسيحة والضرب في الأرض ..

« والسائلين » : الذين تدفعهم الحاجة العارضة الى تكف
الناس .. وأخرهم لأنهم يسألون .. فيعطيهـم هذا وهذا .. وقد يسأل
الانسان لمواساة غيره .. والسؤال محرم شرعا .. الا لضرورة يجب
على السائل أن لا يتعدها ..

« وفي الرقاب » : أى في تحريرها وعتقها .. وهو يشمل ابتياع
الأرقاء وعتقهم .. واعانة المكاتبين على أداء نجومهم — أى أقساطهم —
ومساعدة الأسرى على الافتداء ..

وفي جعل هذا النوع من البذل حقا واجبا في أموال المسلمين
دليل على رغبة الشريعة في فك الرقاب .. واعتبارها أن الانسان خلق
ليكون حرا — الا في أحوال عارضة .. تقضى المصلحة العامة فيها أن
يكون الأسير رقيقا — وآخر هذا عن كل ما سبقه لأن الحاجة في تلك
الأصناف قد تكون لحفظ الحياة .. وحاجة الرقيق الى الحرية حاجة
الى الكمال ..

ومشروعية البذل لهذه الأصناف من غير مال الزكاة .. لا تتقيد
بزمان ولا بامتلاك نصاب محدود .. ولا يكون المبدول مقدارا معيناً
بالنسبة الى ما يملك .. ككونه عشرا أو ربع عشر أو عشر العشر مثلا ..
وانما هو أمر مطلق بالاحسان موكول الى أريحية المعطى — بكسر الطاء —
وحالة المعطى — بفتحةا — .

ووقاية الانسان المحترم من الهلاك والتلف .. واجبة على من
قدر عليها .. وما زاد على ذلك فلا تقدير له ..

وقد أغفل الناس أكثر هذه الحقوق العامة .. التي حث عليها
الكتاب العزيز .. لما فيها من الحياة الاشتراكية المعتدلة الشريفة
فلا يكادون يبذلون شيئا لهؤلاء المحتاجين الا القليل النادر لبعض
السائلين .. وهم في هذا الزمان أقل الناس استحقاقا .. لأنهم اتخذوا
السؤال حرفة .. وأكثرهم واجدون ..



● وكما حدثنا الامام ابن قدامة عن آداب دافع الزكاة (٢٦) ..
يحدثنا هنا عن آداب القابض لها .. فيقول :

« لابد أن يكون آخذ الزكاة من الأصناف الثمانية .. وعليه في ذلك وظائف .. الأولى : أن يفهم أن الله تعالى إنما أوجب صرف الزكاة اليه ليكفيه ما أهمه .. ويجعل همومه هما واحدا في طلب رضا الله عز وجل ..

الوظيفة الثانية : أن يشكر المعطى ويدعو له ويثني عليه ..
وليكن ذلك بمقدار شكر السبب .. فان من لم يشكر الناس لم يشكر الله .. كما ورد في الحديث ..

ومن تمام الشكر أن لا يحتقر العطاء وان قل .. ولا يذمه ..
ويغضى ما فيه من عيب .. وكما أن وظيفة المعطى الاستصغار ، فوظيفة الآخذ الاستعظام .. وكل ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله عز وجل ..
فان من لا يرى الواسطة واسطة فهو جاهل .. وانما المنكر أن يرى الواسطة أصلا ..

الوظيفة الثالثة : أن ينظر فيما يعطاه .. فان لم يكن من حل لم يأخذه أصلا .. لأن اخراج مال الغير ليس بزكاة .. وان كان من شبهة تورع عنه .. الا أن يضيق عليه الأمر .. فمن كان أكثر كسبه حراما فأخرج الزكاة ولم يعرف لما أخرجه مالك معين .. كانت الفتوى فيه أن يتصدق به .. فيجوز لهذا الفقير أن يأخذ قدر حاجته عند ضيق الأمر عليه وعجزه عن الصافي .

الوظيفة الرابعة : أن يتوقى مواقع الشبه في قدر ما يأخذ ..
فيأخذ القدر المباح له .. ولا يأخذ أكثر من حاجته .. فان كان غارما لم يزد على مقدار الدين .. أو غازيا لم يأخذ الا مقدار ما يحتاج اليه .. وان أخذ بالمسكنة أخذ قدر حاجته دون ما يستغنى عنه ..
وكل ذلك موكل الى اجتهاده .. والورع ترك ما يريب » (٢٧) .

ويقول في صدقة التطوع : « وأما آدابها .. فنحو ما تقدم في الزكاة .. واختلفوا : أيما أفضل للفقير .. أن يأخذ من الزكاة .. أو من الصدقة .. فقال قوم : من الزكاة أفضل .. وقال آخرون : من الصدقة أفضل ..

(٢٦) راجع ص ٥٩٦ من هذا الكتاب .

(٢٧) مختصر منهاج القاصدين — لابن قدامة ص ٣٢

وأما أفضل الصدقة .. فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سئل
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أى الصدقة أفضل ؟ قال :
« أن تصدق وأنت صحيح شحيح .. تخشى الفقر وتأمل الغنى ..
ولا تهمل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت : لفلان كذا .. ولفلان كذا ..
وقد كان لفلان » أخرجاه فى الصحيحين « (٢٨) .

* * *

كيف كان انفاق الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس .. وما سئل شيئاً فممنعه .. وكان يرغب أهله وصحابته في الانفاق في سبيل الله .. والجود على الفقراء والمساكين .. ضارباً بنفسه المثل الأعلى في البذل والانفاق .. فكان الله عليه وسلم لأصحابه الأسوة الحسنة ..

عن عمر رضى الله عنه أن رجلاً جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه فقال : « ما عندي ما أعطيك ولكن ابتع على شيئاً فإذا جاءنى شيء قضيته » . فقال عمر رضى الله عنه : يا رسول الله .. قد أعطيته فما كلفك الله ما لا تقدر عليه . فكره النبي صلى الله عليه وسلم قول عمر ، فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله .. أنفق ولا تخش من ذى العرش اقلالاً . فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف التبسم في وجهه لقول الأنصارى وقال : « بهذا أمرت » (١) .

وعن جرير رضى الله عنه قال : كنا في صدر النهار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه قوم عراة حفاة مجتأبي النمار أو العباء — أى لابسيها — متقلدى السيوف ، عامتهم من مضر بل كلهم من مضر . فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم — أى تغير وجهه — لما رأى ما بهم من الفاقة . فدخل ثم خرج فأمر بلالاً رضى الله عنه فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة » (٢) الى آخر الآية « ان الله كان عليكم رقيياً » (٣) ، والآية التى فى الحشر : « اتقوا الله ولتتظر نفس ما قدمت لعد » (٤) تصدق رجل من ديناره ، من درهمه ، من ثوبه ، من صاع بره ، من صاع تمره ، حتى قال : ولو بشق تمره » . قال : فجاء رجل من الأنصار

(٢) النساء : ١

(١) رواه الترمذى .

(٣) الحشر : ١٨

بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت • قال : ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتהל كأنه مذهبة — أى استتار كأنه مموه بالذهب — •

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » (٤) •

وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساهم الوجه فخشيت ذلك من وجع فقلت : يا رسول الله •• مالك ساهم الوجه ؟ فقال : « من أجل الدنانير السبعة التي أتينا بها أمس أمسينا وهي في خصم الفراش » • وفي رواية : « أتتني ولم ننفقها » (٥) ، وخصم الفراش — بضم الخاء وتسكين الصاد — جانبه وناصيته ، أى في طياته •

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة دنانير وضعها عند عائشة رضى الله عنها • فلما كان عند مرضه قال : « يا عائشة •• ابعتي بالذهب الى على » ، ثم أغمى عليه وشغل عائشة ما به حتى قال ذلك مرارا ، كل ذلك يغمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشغل عائشة رضى الله عنها ما به ، فبعث الى على فتصدق بها •

وأمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديد الموت ليلة الاثنين فأرسلت عائشة رضى الله عنها بمصباح لها الى امرأة من نسائها فقالت : أهدى لنا في مصباحنا من عكتك السمن فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسى في حديد الموت (٦) •

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتصدق بذهب كان عندنا في مرضه • قالت : فأفاق ، قال : « ما فعلت » ؟ قلت : شغلنى ما رأيت منك • قال : « فهل بها » قال : فجاءت بها اليه سبعة — أو تسعة ، أبو حازم يشك — دنانير ، فقال حين جاءت بها : « ما ظن محمد لو لقي الله وهذه عنده وما تنفى هذا من محمد صلى الله عليه وسلم لو لقي الله وهذه عنده » (٧) •

(٤) رواه مسلم والنسائي • (٥) رواه أحمد وأبو يعلى •

(٦) رواه الطبراني في الكبير • (٧) رواه أحمد والبيهقي •

صلى الله عليك يا سيدى يا رسول الله .. لقد أهتمته الدنانير التى تبقت من الصدقة أن يلقي الله وهذه عنده .. وكأنه صلى الله عليه وسلم حين مات وهو يوصى بالصلاة وما ملكت أيماننا .. كان يوصينا بالزكاة أيضا .. فقرن الزكاة بالصلاة فى آخر يوم له من أيام الدنيا ..

ولقد كان أزواجه صلى الله عليه وسلم أجود النساء على الإطلاق .. ولا عجب فقد عشن فى بيت الرسول .. وتأثرن به .. رضى الله عليهن جميعا .. فقد كن حقا أمهات للمؤمنين ومعلمات لهم .. فعن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما قال : ما رأيت امرأتين أجود من عائشة وأسماء — رضى الله عنهما — وجودهما مختلف ، أما عائشة فكانت تجمع الشئ الى الشئ حتى اذا كان اجتمع عندها قسمت ، أما أسماء فكانت لا تمسك شيئا لغد^(٨) .

وأخرج مالك فى الموطأ أنه بلغه عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها أن مسكينا سألها وهى صائمة وليس فى بيتها الا رغيف فقالت لمولاة لها : أعطيها اياه ، فقالت : ليس لك ما تفطرين عليه ، فقالت : أعطيها اياه . قالت : ففعلت . فلما أمسينا أهدي لنا أهل بيت أو انسان ما كان يهدى لنا شاة وكفتها — أى مطبوخة للأكل — فدعتنى عائشة رضى الله عنها فقالت : كل من هذا . هذا خير من قرصك .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أسرعن لحاقا بى أطولكن يدا » قالت : فكن يقطاولن أيتهن أطول يدا ، قالت : وكانت أطولنا يدا زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق . وفى طريق آخر : قالت عائشة رضى الله عنها : فكننا اذا اجتمعنا فى بيت احدانا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نمد أيدينا فى الجدار نتناول ، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش وكانت امرأة قصيرة ولم تكن أطولنا فعرفنا حينئذ أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انما أراد طول اليد بالصدقة ، وكانت زينب امرأة صناع اليدين فكانت تدبغ وتخرز وتتصدق به فى سبيل الله^(٩) .

* * *

(٩) رواه الشيخان واللفظ لمسلم .

(٨) رواه البخارى .

✽ من انفاق أبى بكر رضى الله عنه :

عن أسماء رضى الله عنها قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج أبو بكر رضى الله عنه احتمل أبو بكر ماله كله معه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم فانطلق بها معه قالت : فدخل علينا جدى أبو قحافة رضى الله عنه وقد ذهب بصره فقال : والله .. انى لأراه قد فجعلكم بماله مع نفسه . قالت : قلت : كلا يا أبت .. انه قد ترك لنا خيرا كثيرا . قالت : وأخذت أحجارا فوضعتها فى كوة فى البيت الذى كان أبى يضع ماله فيها ثم وضعت عليها ثوبا ثم أخذت بيده فقلت : يا أبت .. ضع يدك على هذا المال . قالت : فوضع يده عليه فقال : لا بأس ، اذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفى هذا بلاغ لكم ، ولا والله .. ما ترك لنا شيئا ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك (١٠) .

وعن عمر رضى الله عنه قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أن نتصدق ، ووافق ذلك مالا عندى فقلت : اليوم أسبق أبا بكر رضى الله عنه ان سبقته يوما . فجئت بنصف مالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أبقيت لأهلك » ؟ قلت : أبقيت لهم . قال : « ما أبقيت لهم » ؟ فقلت : مثله . وأتى أبو بكر بكل ما عنده . فقال : « يا أبا بكر .. ما أبقيت لأهلك » ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله . قلت : لا أسبقه الى شيء أبدا (١١) .

وعن الحسن البصرى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه أتى النبى صلى الله عليه وسلم بصدقته فأخفاها . قال : يا رسول الله .. هذه صدقتى والله عز وجل عندى معاد . وجاء عمر رضى الله عنه بصدقته فأظهرها فقال : يا رسول الله .. هذه صدقتى ولى عند الله معاد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عمر .. وترت قوسك بغير وتر . ما بين صدقتيكما كما بين كلمتيكما » (١٢) .



(١١) رواه أبو داود والترمذى .

(١٠) رواه أحمد والطبرانى .

(١٢) رواه أبو نعيم فى الحلية .

* من انفاق عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

ابن عمر — رضى الله عنهما — قال : أصاب عمر بخير أرضا ، فأتى الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أصبت أرضا لم أصب مالا قط أنفس منه فكيف تأمرنى به ؟ قال : « ان شئت حبست أصلها ، وتصدقت بها » ، فتصدق عمر رضى الله عنه أنه لا تباع أصلها ، ولا توهب ، ولا تورث فى الفقراء والقربى والرقاب ، وفى سبيل الله والضيف ، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقا غير متمول فيه (١٣) .

وعن أسلم قال : خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى السوق فلحقت عمر امرأة شابة فقالت : يا أمير المؤمنين .. هلك زوجى ، وترك صببية صغارا ، والله ما ينضجون كراعا ولا لهم زرع ولا ضرع ، وخشيت أن يأكلهم الضبع — أى السنة المجدبة — وأنا بنت خفاف ابن أيماء الغفارى رضى الله عنه وقد شهد أبى الحديبية مع النبي صلى الله عليه وسلم . فتوقف معها عمر ولم يمض ثم قال : مرحبا بنسب قريب . ثم انصرف الى بغير ظهير كان مربوطا فى الدار فحمل عليه غراريتين ملأهما طعاما وجعل بينهما نفقة وثيابا ثم ناولها خطامه ثم قال : اقتاديه فلن يفنى حتى يأتىكم الله بخير . فقال رجل : يا أمير المؤمنين .. أكثرت لها ! فقال عمر : ثكلتك أمك .. شهد أبوها الحديبية مع النبي صلى الله عليه وسلم ، والله .. انى لأرى أبا هذه وأخاها وقد حاصرا حصنا زمانا فافتتحناه ، ثم أصبحنا نستقى سهمائنا فيه (١٤) .

* * *

* من انفاق عثمان بن عفان رضى الله عنه :

عن عبد الرحمن بن حباب السلمى رضى الله عنه قال : خطب النبي صلى الله عليه وسلم فحث على جيش العسرة فقال عثمان بن عفان رضى الله عنه : على مائة بغير بأحلاسها وأقتابها . قال : ثم نزل مرقاة من المنبر ثم حث ، فقال عثمان رضى الله عنه : على مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها . قال : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بيده

(١٤) رواه البخارى والبيهقى .

(١٣) أخرجه الستة .

هكذا يحركها — وأخرج عبد الصمد يده كالمتعجب : ما على عثمان ما عمل بعد هذا (١٥) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يشتري لنا بئر رومة فيجعلها صدقة للمسلمين سقاه الله يوم القيامة من العطش » ، فاشتراها عثمان بن عفان رضى الله عنه فجعلها صدقة للمسلمين (١٦) .

وعن بشير رضى الله عنه قال : لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء ، وكانت لرجل من بنى غفار عين يقال لها رومة وكان يبيع منها القربة بمد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعنيها بعين في الجنة » . فقال : يا رسول الله .. ليس لى ولا لعيالى غيرها ولا أستطيع . فبلغ ذلك عثمان رضى الله عنه فاشتراها بخمس وثلاثين ألف درهم . ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. أتجعل لى مثل الذى جعلت له عينا في الجنة ان اشتريتها ؟ قال : « نعم » . قال : قد اشتريتها وجعلتها للمسلمين (١٧) .



* من انفاق على بن ابي طالب رضى الله عنه :

عن عبيد الله بن محمد ابن عائشة قال : وقف سائل على أمير المؤمنين على فقال للحسن — أو للحسين — رضى الله عنهم : اذهب الى أمك فقل لها : تركت عندك ستة دراهم فهاهنا منها درهما . فذهب ثم رجع فقال : قالت : انما تركت ستة دراهم للدقيق . فقال على : لا يصدق ابمان عبد حتى يكون بما في يد الله أوثق منه بما في يده ، قل لها : ابعتى بالسته دراهم ، فبعثت بها اليه فدفعتها الى السائل . قال : فما حل حبوته حتى مر به رجل معه جمل يبيعه . فقال على : بكم الجمل ؟ قال : بمائة وأربعين درهما . فقال على : اعقله على أن تؤخره بثمانه شيئا ، فعقله الرجل ومضى . ثم أقبل رجل فقال : لمن هذا البعير ؟ فقال على : لى . فقال : أتبيعه ؟ قال : نعم . قال : بكم ؟ قال : بمائتى درهم . قال : قد ابتعته . قال : فأخذ البعير وأعطاه المائتين . فأعطى الرجل الذى أراد أن يؤخره مائة وأربعين درهما وجاء بستين

(١٥) رواه أحمد . (١٦) رواه ابن عدى وابن عساكر .

(١٧) رواه الطبرانى وابن عساكر .

درهما الى فاطمة رضى الله عنها فقالت : ما هذا : س : هذا ما وعدنا الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » (١٨) .

* * *

* من انفاق عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه :

عن أنس رضى الله عنه قال : بينما عائشة رضى الله عنها فى بيتها إذ سمعت صوتا فى المدينة قالت : ما هذا ؟ قالوا : غير لعبد الرحمن ابن عوف قدمت من الشام تحمل كل شيء . قال : وكانت سبعمائة بعير . قال : فارتجت المدينة من الصوت . فقالت عائشة رضى الله عنها : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا » . فبلغ ذلك عبد الرحمن ابن عوف فقال : لئن استطعت لأدخلنها قائما ، فجعلها بأقتابها وأحمالها فى سبيل الله (١٩) .

وعن الزهرى قال : تصدق عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر ماله أربعة آلاف ، ثم تصدق بأربعين ألف ، ثم تصدق بأربعين ألف دينار ، ثم حمل على خمسمائة فرس فى سبيل الله ، ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة فى سبيل الله ، وكان عامة ماله من التجارة (٢٠) .

* * *

* قصة رجل من الأنصار :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أنى مجهود ، فأرسل الى بعض نسائه فقالت : لا والذي بعثك بالحق ما عندى الا ماء . ثم أرسل الى أخرى فقالت مثل ذلك ، حتى قلن كلهن مثل ذلك : لا والذي بعثك بالحق ما عندى الا ماء . فقال : « من يضيف هذا الليلة رحمه الله » ؟ فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يارسول الله . فانطلق به الى رحله فقال لامرأته : هل عندك شيء ؟ قالت : لا . الا قوت صبيانى . قال : فعليهم بشيء ،

(١٨) أخرجه العسكرى — والآية من سورة الانعام : ١٦٠

(١٩) رواه أحمد وأبو نعيم . (٢٠) أخرجه أبو نعيم فى الحلية .

فاذا أرادوا العشاء فنوميههم ، فاذا دخل ضيفنا فأطفئى السراج وأريه أنا نأكل — وفى رواية : فاذا أهوى ليأكل فقومى الى السراج حتى تطفئيه • قال : فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين • فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « قد عجب الله من صنعكما بضيفكما » • زاد فى رواية : فنزلت هذه الآية : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » (٢١) •

* * *

* النهى عن الشح والبخل :

وكما حض الرسول صلى الله عليه وسلم أمته على البذل والانفاق •• فقد نهاهم عن الشح والبخل ••
فعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اتقوا الظلم •• فان الظلم ظلمات يوم القيامة •• واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم •• حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » (٢٢) •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مثل البخيل والمنفق كمثلى رجلين عليهما جنتان من حديد من ثديهما الى تراقيهما •• فأما المنفق فلا ينفق الا سبغت — أو وفرت — على جلده حتى تخفى بنانه وتعفو أثره •• وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا الا لزقت كل حلقة مكانها •• فهو يوسعها فلا تتسع » (٢٣) •

ويقول الامام النووى : « والجنة الدرع •• ومعناه : أن المنفق كلما أنفق سبغت وطالت حتى تجر وراءه وتخفى رجليه وأثر مشيه وخطواته » ••

ومر بنا حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان •• فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً •• ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً » ••

(٢١) رواه البخارى ومسلم والنسائى — والآية من سورة الحشر : ٩

(٢٢) متفق عليه •

(٢٣) رواه مسلم •

وعن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« خصلتان لا تجتمعان في مؤمن : البخل وسوء الخلق » ..

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يجتمع الشح والايمان في قلب
عبد أبدا » ..

و عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ثلاث مهلكات : شح مطاع ..
وهوى متبع .. واعجاب المرء بنفسه » ..

وروى جابر رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وآله
وسلم لبني سلمة : « من سيدكم » ؟ قالوا : جد بن قيس . . . على
أننا نبخله . . فقال : « وأى داء أدوأ من البخل ؟ » .. بل سيدكم بشر
ابن البراء بن معرور » ..

وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم : « اللهم انى أعوذ بك من الجبن
والبخل » ..

وعن سلمان الفارسي قال : اذا مات السخي قالت الأرض والحفظة :
رب تجاوز عن عبدك في الدنيا بسخائه .. واذا مات البخيل قالت :
اللهم احجب هذا العبد عن الجنة .. كما حجب عبادك عما جعلت في
يديه من الدنيا ..

وقال بعض الحكماء : من كان بخيلا ورث ماله عدوه ..
ووصف أعرابي رجلا فقال : لقد صغر في عيني لعظم الدنيا في
عينه ..

وذم آخر قوما فقال : يصومون عن المعروف ويفطرون على
الفواحش ..

* * *

ويقول ابن قدامة المقدسي^(٢٤) : « اعلم أن السخاء والبخل
درجات .. فأرفع درجات السخاء الايثار .. وهو أن تجود بالمال
مع الحاجة اليه ..

وأشد درجات البخل أن يبخل الانسان على نفسه مع الحاجة ..
فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى .. ويشتهي الشهوة
فيمنعه منها البخل ..

فكم بين من يبخل على نفسه مع الحاجة .. وبين من يؤثر على
نفسه مع الحاجة .. فالأخلاق عطايا يضعها الله عز وجل حيث يشاء ..

* * *

عقوبة تارك الزكاة

يقول الله تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم • يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » (١) •

ويقول تعالى : « كل نفس بما كسبت رهينة • إلا أصحاب اليمين • في جنات يتساءلون • عن المجرمين • ما سلككم في سقر • قالوا لم نك من المصلين • ولم نك نطعم المسكين • وكنا نخوض مع الخائضين • وكنا نكذب بيوم الدين • حتى أتانا اليقين • فما تنفعهم شفاعة الشافعين » (٢) •

ويقول جل شأنه : « وويل للمشركين • الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون » (٣) •

ويقول : « ولا يحسبن الذين ييخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ، والله ميراث السموات والأرض ، والله بما تعملون خبير » (٤) •

ويقول جل وعلا : « انما أموالكم وأولادكم فتنة ، والله عنده أجر عظيم • فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » (٥) •
ويقول : « وأما من بخل واستغنى • وكذب بالحسنى • فسنيسره للعسرى • وما يغنى عنه ماله اذا تردى » (٦) •

أجمع الفقهاء على أن الزكاة من الفرائض التي افترضها الله على الناس •• وأنها ضرورة من ضروريات الدين •• بحيث لو أنكر أحد وجوبها خرج عن الاسلام •• وقتل كفرا •• الا اذا كان حديث عهد بالاسلام •• فانه يعذر لجهله بأحكامه ••

(٢) المدثر : ٣٨ — ٤٨

(٤) آل عمران : ١٨٠

(٦) الليل : ٨ — ١١

(١) التوبة : ٣٤ ، ٣٥

(٣) فصلت : ٦ ، ٧

(٥) التغابن : ١٥ ، ١٦

أما من امتنع عن أدائها — مع اعتقاده وجوبها — فإنه يأثم بامتناعه دون أن يخرج ذلك عن الاسلام .. وعلى الحاكم أن يأخذها منه قهرا ويعزره .. ولا يأخذ من ماله أزيد منها ..

الا عند أحمد والشافعي في القديم .. فإنه يأخذها منه ، ونصف ماله عقوبة له .. ويلحق به من أخفى ماله ومنع الزكاة ثم انكشف أمره للحاكم ..

ولو امتنع قوم عن أدائها — مع اعتقادهم وجوبها .. وكانت لهم قوة ومنعة — فإنهم يقاتلون عليها حتى يعطوها .. لما رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله .. وأن محمدا رسول الله .. ويقيموا الصلاة .. ويؤتوا الزكاة .. فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام .. وحسابهم على الله » (٧) .

وقد قاتل أبو بكر الصديق رضى الله عنه مانعى الزكاة .. وقال : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة .. فإن الزكاة حق المال .. والله لو منعوني عناقا — وقيل : عقالا — كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها » .. والعناق هي الأنثى من المعز التي لم تبلغ سنة .. والعقال : هو الحبل الذي يعقل به البعير .

* * *

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع — أى ثعبانا ذهب شعره من كثرة السم — له زبيبتان — أى نكتتان سوداوان فوق عينيه — يطوقه يوم القيامة .. ثم يأخذ بلهزمتيه — يعنى شدقيه — ثم يقول له : أنا كبتك .. أنا مالك » .. ثم تلا هذه الآية : « ولا يحسبن الذين ييخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » (٨) .

(٧) فقه السنة — المجلد الاول ص ٢٥١ ، ٢٥٢

(٨) رواه البخاري ومسلم — والآية من سورة آل عمران : ١٨٠

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ما من صاحب ذهب ولا فضة .. لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم
القيامة صفحت له صفائح من نار .. فأحمى عليها في نار جهنم ..
فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره .. كلما بردت أعيدت له في يوم كان
مقداره خمسين ألف سنة .. حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله ..
اما الى الجنة واما الى النار » .

قيل : يا رسول الله .. فالابل ؟

قال : « ولا صاحب ابل لا يؤدي منها حقها .. ومن حقها حلبها
يوم وردها .. الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر — أى أرض
منخفضة لينة — أو فر ما كانت .. لا يفقد منها فصيلة واحدا .. تطؤه
بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولاهها رد عليه أخراها .. في
يوم كان مقداره خمسين ألف سنة .. حتى يقضى بين العباد .. فيرى
سبيله .. اما الى الجنة واما الى النار » .

قيل : يا رسول الله .. فالبقر والغنم ؟

قال : « ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها .. الا اذا
كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر .. لا يفقد منها شيئاً .. ليس
فيها عقصاء وجلحاء ولا عضباء — أى ملتوية القرنين أو عديمة القرن أو
مكسورته — تتطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها .. كلما مر عليه
أولاهها رد عليه أخراها .. في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى
يقضى بين العباد .. فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار » ..

قيل : يا رسول الله .. فالخيل ؟

قال : « الخيل ثلاثة : هى لرجل وزر .. وهى لرجل ستر ..
وهى لرجل أجر .. فأما التى هى له وزر : فرجل ربطها رياء وفخرا
ونواء — أى اعتداء — على حق الاسلام .. فهى له وزر .

وأما التى هى له ستر : فرجل ربطها في سبيل الله .. ثم لم ينس
حق الله في ظهرها ولا رقابها .. فهى له ستر .

وأما التى هى له أجر : فرجل ربطها في سبيل الله لأهل الاسلام في
مرج أو روضة .. فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة من شئ الا كتب

له عدد ما أكلت حسنات .. وكتب له عدد أرواثها وأبوالها حسنات ..
ولا تقطع طولها — أى المرج — فاستنتت شرفا أو شرفين الا كتب الله
له عدد آثارها وأرواثها حسنات .. ولا مر بها صاحبها على نهر فشربت
منه ، ولا يريد أن يسقيها الا كتب الله له عدد ما شربت حسنات » ..

قيل : يا رسول الله .. فالحمر ؟

قال : ما أنزل على فى الحمر شىء .. الا هذه الآية الفاذة الجامعة :
« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره • ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » (٩) •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أيضا قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « أول ثلاثة يدخلون النار : أمير مسلط .. وذو ثروة
من مال لا يؤدى حق الله تعالى من ماله .. وفقير فخور » (١٠) •

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : « يا معشر المهاجرين .. خصال خمس ان ابتليتم بهن
وينزلن بكم أعوذ بالله أن تدركوهن .. لم تظهر الفاحشة فى قوم قط
حتى يلعنوا بها الا فشا فيهم الأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم ..
ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين — أى بالفقر — وشدة
المؤنة وجور السلطان .. ولم يمنعوا زكاة أموالهم الا منعوا القطر
من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا .. ولم ينقضوا عهد الله وعهد
رسوله الا سلب عليهم عدو من غيرهم فياخذ بعض ما فى أيديهم ..
وما لم تحكم أثمتهم بكتاب الله الا جعل بأسهم بينهم » (١١) •

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « خمس بخمس » .. قالوا : يا رسول الله .. وما خمس
بخمس ؟

قال : « ما نقض قوم العهد الا سلب عليهم عدوهم .. وما حكموا
بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر .. وما ظهرت فيهم الفاحشة
الا فشا فيهم الموت .. ولا طففوا المكيال والميزان الا منعوا النبات
وأخذوا بالسنين .. ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر » (١٢) •

(٩) متفق عليه .. وهذا لفظ مسلم ، والآية من سورة الزلزلة : ٧ ، ٨

(١٠) رواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما — والفقير الفخور :

هو المتكبر . (١١) رواه ابن ماجه والبخارى والبيهقى •

(١٢) رواه الطبرانى والمنذرى •

وعن ابن مسعود رضى الله عنه فى قوله تعالى فى مانعى الزكاة :
« يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم »
قال : لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم .. ولكن يوسع
جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم على حدته ..

ويقول الامام الذهبى فى الكبائر : « فان قيل : لم خص الجباه
والجنوب والظهور بالكى ؟ قيل : لأن الغنى البخيل اذا رأى الفقير
عبس فى وجهه وزوى ما بين عينيه وأعرض بجنبه .. فاذا قرب منه
ولى بظهره .. فعوقب بكى هذه الأعضاء ليكون الجزاء من جنس
العمل » ..

وعن الأحنف بن قيس رضى الله عنه قال : جلست الى ملأ من
قريش .. فجاء رجل — هو أبو ذر رضى الله عنه — خشن الشعر
والثياب والهيئة .. حتى قام عليهم فسلم ثم قال : بشر الكانزين
برضف — أى حجر — يحمى عليه من نار جهنم .. ثم يوضع على حلمة
تدى أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه — أى أعلاه — ويوضع على
نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه فيترزل ..

ثم ولى فجلس الى سارية .. وتبعته وجلست اليه وأنا لا أدرى
من هو .. فقلت : لا أرى القوم الا كرهوا الذى قلت ؟ !

قال : انهم لا يعقلون شيئاً .. قال لى خليلى .. قلت : من
خليلك ؟ قال : النبى صلى الله عليه وسلم .. قال : « أتبصر أحدا » ؟ ..
قال : فنظرت الى الشمس ما بقى من النهار .. وأنا أرى أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يرسلنى فى حاجة له .. قلت : نعم .. قال :
« ما أحب أن لى مثل « أحد » ذهباً أنفقه كله الا ثلاثة دنائير » .. وان
هؤلاء لا يعقلون .. انما يجمعون الدنيا .. لا والله لا أسألهم دنيا ..
ولا أستفتيهم عن دين حتى ألقى الله عز وجل ..

* * *

الفصل السابع

الأمر بالمعروف .. والنهي عن المنكر

- * مجتمع فضائل
- * في الأمر بالمعروف .. والنهي عن المنكر
- * في الأمر بالمعروف .. والنهي عن المنكر
- * من هدى الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام
- * من هدى السلف الصالح
- * الى الذين يقولون ما لا يفعلون

مجتمع فضائل

قال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه .. فيما يقصه علينا القرآن الكريم : « يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ، ان ذلك من عزم الأمور » ..

ويقول الله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون » (١) .

ويقول : « كُتِمَ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » (٢) .

ويقول : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » (٣) .

ويقول جل شأنه : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، ان الله عزيز حكيم » (٤) .

ويقول : « لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون » (٥) .

ويقول جل وعلا : « وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » (٦) .

ويقول تعالى : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » (٧) .
ويقول : « فلما نسوا ما ذكروا به أنجيناهم الذين ينهاون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون » (٨) .

* * *

الاسلام .. هو الدين الذى ارتضاه الله لعباده ..
يقول تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً » (٩) .

(٢) آل عمران : ١١٠

(٤) التوبة : ٧١

(٦) الكهف : ٢٩

(٨) الاعراف : ١٦٥

(١) آل عمران : ١٠٤

(٣) الاعراف : ١٩٩

(٥) المائدة : ٧٨ ، ٧٩

(٧) الحجر : ٩٤

(٩) المائدة : ٣

ويروى أن ابن عباس رضى الله عنهما قرأ هذه الآية وعنده يهودى .. فقال اليهودى : لو أنزلت هذه الآية علينا فى يوم لاتخذناه عيداً .. فقال ابن عباس : فانها نزلت فى عيدين اتفقا فى يوم واحد .. يوم الجمعة وافق ذلك يوم عرفة^(١٠) .

ذلك أن هذه الآية نزلت فى حجة الوداع .. فى السنة العاشرة للهجرة .. والنبي صلى الله عليه وسلم بعرفات على ناقته العضباء .. لقد كمل الدين .. وتمت النعمة .. وارتضى الله تعالى لنا دين الاسلام ..

ولا يكمل الدين — أى دين — الا اذا وضع لأتباعه الأسس التى يبنون عليها مجتمعاتهم .. ويوضح لهم النهج السليم الذى يأخذ بأيديهم نحو المجتمع الفاضل .. فاذا هم بنوا على هذه الأسس .. واتبعوا هذا النهج ضمنوا الخير فى الدنيا والآخرة ..

والاسلام .. الذى ارتضاه الله تعالى لنا .. جاء بالفضائل كلها ليقوم من أخلاق الناس .. ويرشدهم الى الطريق السليم لسعادة الدارين .. واستطاع بذلك فى فترة وجيزة من عمر الزمن أن يحول المجتمع الجاهلى الممزق .. الى مجتمع متدين متماسك .. وما نجح الاسلام فى ذلك الا لحضه على العدل والتراحم .. ودعوته الى الأخوة والمحبة .. ونهيه عن الظلم والبغى .. ونبذته للشقاق والتنازع ..

فمجتمع الاسلام يدعو الى الخير ويدل على الهدى :
« من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً .. ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الأثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً »^(١١) .

مجتمع الاسلام .. يحض على التعاون والبر والتقوى :
« وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الأثم والعدوان ، واتقوا الله ، ان الله شديد العقاب »^(١٢) .

مجتمع الاسلام .. يأمر بالتناصح ويدعو الى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : « الدين النصيحة » .. قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم »^(١٣) .

(١٠) أسباب النزول للنيسابورى ص ١٢٧

(١١) رواه مسلم .

(١٢) المائدة : ٢

(١٣) رواه مسلم .

« بايعنا رسول الله صلى عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره .. وعلى أثرة فينا .. وعلى أن لا ننازع الأمر أهله الا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان .. وعلى أن نقول الحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم » (١٤) .

مجتمع الاسلام .. مجتمع متحاب تسوده العدالة والتراحم :
« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (١٥) .

« اتقوا الظلم .. فان الظلم ظلمات يوم القيامة .. واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم .. حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » (١٦) .

« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » (١٧) .

مجتمع الاسلام .. يعظم حرمان المسلمين ويستتر عوراتهم :
« المسلم أخو المسلم .. لا يظلمه ولا يسلمه .. من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته .. ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة .. ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » (١٨) .
« لا يستر عبد عبدا في الدنيا الا ستره الله يوم القيامة » (١٩) .

مجتمع الاسلام .. يشفق على الضعيف ويرحم المسكين ويكفل اليتيم :

« ابغوني الضعفاء .. فانما تنصرون وترزقون بضعفائكم » (٢٠) .

« الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله » (٢١) .

« أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » — وأشار بالسبابة والوسطى (٢٢) .

مجتمع يحرم الغش والخديعة .. ويعاقب على الكذب والخيانة .. ويدين الغصب والعدوان : « من حمل علينا السلاح فليس منا .. ومن غشنا فليس منا » (٢٣) .

(١٥) متفق عليه .

(١٧) متفق عليه .

(١٩) رواه مسلم .

(٢١) متفق عليه .

(٢٣) رواه مسلم .

(١٤) متفق عليه .

(١٦) رواه مسلم .

(١٨) متفق عليه .

(٢٠) رواه ابو داود .

(٢٢) رواه البخارى .

« أربع من كن فيه كان منافقا خالصا .. ومن كان فيه خصلة
منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها : اذا اؤتمن خان .. واذا
حدث كذب .. واذا عاهد غدر .. واذا خاصم فجر » (٢٤) .

« ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ..
ورجل باع حرا فأكل ثمنه .. ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم
يعطه أجره » (٢٥) .

« لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا .. ولا يبيع
بعضكم على بيع بعض .. وكونوا عباد الله اخوانا .. المسلم أخو
المسلم : لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله .. التقوى ههنا — ويشير الى
صدره ثلاث مرات — بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ..
كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » (٢٦) .

مجتمع شعاره : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ..
والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » (٢٧) .

مجتمع قوامه : « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا
ولا تقاطعوا .. وكونوا عباد الله اخوانا .. ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه
فوق ثلاث » (٢٨) .

مجتمع أبرز سماته : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان :
أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما .. وأن يحب المرء لا يحبه
الا لله .. وأن يكره أن يعود الى الكفر بعد اذ أنقذه الله منه كما يكره
أن يقذف فى النار » (٢٩) .

سئلت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى
عليه وسلم ، فقالت : « كان خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم
القرآن » (٣٠) .

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم المعلم الأول للمجتمع
الاسلامى .. وكان الأسوة والقدوة لأُمَّته .. فلا عجب أن كان قرآنا
يشى على قدمين ..

* * *

(٢٥) رواه البخارى

(٢٧) متفق عليه .

(٢٩) متفق عليه .

(٢٤) متفق عليه .

(٢٦) رواه مسلم .

(٢٨) متفق عليه .

(٣٠) رواه مسلم .

ولقد ظل المسلمون بخير ما تمسكوا بهذه الفضائل وحرصوا عليها ..
فلما أعرض الناس عن هذه الفضائل وأغفلوها .. أصابهم ما أصاب
الأمم من تفكك وضياع ..

وحين تصل الأمور بالناس الى هذا الحد .. يصبح انبعاث فئة
من المؤمنين للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمرا ضروريا .. حتى
تظل الأمة الاسلامية كما وصفها الله تعالى : خير أمة أخرجت للناس ..
تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ..

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. من أهم الواجبات الدينية ..
اذ لو كف الناس عن التناصح لانمحت معالم الدين .. وعم الناس
الفساد .. وضاعت الحقوق .. وتلاشت المجتمعات .. وتهاوت الأمم ..

ولقد بعث الله تعالى النبيين للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..
ولهذا أوجبه تعالى على المؤمنين .. واعتبر الاسلام الساكت عن الحق
شيطان أخرس ..

ومن رحمة الله تعالى بالناس أنه لم يفرض هذا الواجب على جميع
المسلمين فلتتزم الأمة كلها به .. بل جعله فرض كفاية .. اذا قام
به البعض سقط عن باقي الأمة .. فقال تعالى : « ولتكن منكم أمة
يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم
المفلحون » (٣١) .

لذا نرى الرسول صلى الله عليه وسلم حين يشبه المجتمع ..
فانه يشبهه بقوم ركبوا سفينة تمخر بهم عباب البحر .. وكان بعضهم
في السفلى منها والبعض الآخر في أعلاها .. فاذا قال الذين في أسفل
السفينة : اننا نؤذي أصحابنا بالمرور عليهم كلما أردنا التزود بالماء ..
فلو خرقنا في نصيينا خرقا فاستقينا منه ولم نؤذ من فوقنا .. ماذا
يكون حال الركاب جميعا لو تركوهم يفعلون ذلك ؟ ..
لا شك أن السفينة كلها سوف تغرق .. وأن الجميع سوف
يهلكون ..

أما اذا منعوهم عن هذا الفعل .. وأخذوا على أيديهم .. فان
السفينة سوف تتجو وتصل بهم جميعا الى بر الأمان ..
هكذا يكون حال المجتمع .. وعلى هذا تكون أحوال أفراد ..

فالعقيدة الدينية هي السفينة التي تحمل الناس الى بر النجاة ..
وولاية الأمر من حكام وعلماء ورجال دين هم الذين بأعلى السفينة ..
وسائر الناس في أسفلها ..

وعلى ولاية الأمر ورجال الوعظ والارشاد أن يحولوا دون انثلام
العقيدة .. وذلك يكون بالوعظ والارشاد .. والأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر .. بالحكمة والموعظة الحسنة .. لأن العقيدة متى انثلمت
لا يلبث الخرق أن يتسع ولا يجدى فيه ترقيع .. وعندئذ يهلك المجتمع
كله ببعده عن تعاليم الدين .. واعراضه عن عقيدته التي ارتضاها
الله له ..

ومن هنا كان ضروريا في كل مجتمع أن يتصدى بعض أفراد
للباطل .. يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .. فينصحون الغافل
ويزجرون العاصي .. والا هلك المجتمع كله ..

ولم يكلف الشارع الناس من أمرهم عسرا .. فقد أسند الى
قوم تغيير المنكر بأيديهم وهم الحكام .. ولآخرين تغييره باللسان
وهم العلماء وأصحاب الرأي من رجال الدين والوعاظ ..

أما بقية المجتمع ممن لا يملكون حيلة ولا يستطيعون سبيلا ..
فان تغييرهم للمنكر يكون بقلوبهم .. فيعرضون عن أصحابه ..
وبسألون الله الهداية لهم .. والتوفيق لولاية الأمر في ازالته ..
أما لو رأى الناس المنكر .. فلم يغيروه بأيديهم .. أو بالسنتهم ..
أو بقلوبهم — وهو أضعف الايمان — فان الله تعالى سوف يعذبهم بعذاب
من عنده .. ويمكن شرارهم من امتلاك أمورهم وتدبير شئونهم ..

وعندئذ لن ينفع الدعاء أو الوعظ أو الارشاد .. فان الناس لن
يستجيبوا لدعائهم أو يغيروا من واقعهم .. بعد أن أصبح الفساد أمرا
عاديا ألفه الناس في حياتهم .. وتعودوا عليه وعاشوه ..

فاذا وصل الناس الى هذا الحال .. انمحت معالم الدين ..
وضاعت الحقوق وتهاوت الأمم .. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :
« اذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له أنت ظالم .. فقد تودع
منهم » ..



في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده .. فان لم يستطع فبلسانه .. فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » (٣٢) .

وفي رواية : « من رأى منكرا فغيره بيده فقد برىء .. ومن لم يستطع أن يغيره بيده فغيره بلسانه فقد برىء .. ومن لم يستطع أن يغيره بلسانه فغيره بقلبه فقد برىء .. وذلك أضعف الايمان » .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي الا كان له في أمته حواريون وأصحاب .. يأخذون بسنته ويقتدون بأمره .. ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون .. ويفعلون ما لا يأمرهم .. فممن جاهدكم بيده فهو مؤمن .. ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن .. ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن .. وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » (٣٣) .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أول ما دخل النقص على بني اسرائيل أنه كان الرجل يلقي الرجل فيقول : يا هذا .. اتق الله ودع ما تصنع فانه لا يحل لك .. ثم يلقاه من الغد وهو على حاله .. فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده .. فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوبهم بعضهم ببعض » ثم قال : « لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا ، لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون » (٣٤) .

ثم قال : « كلا .. والله لتأمرن بالمعروف .. ولتنهون عن المنكر .. ولتأخذن على يد الظالم .. ولتأطرنه على الحق أطرا .. ولتقصرنه علي »

(٣٣) رواه مسلم .

(٣٢) رواه مسلم .

(٣٤) المائدة : ٧٨ — ٨١

الحق قصرا .. أو ليضرين الله بقلوب بعضكم على بعض .. ثم ليلعنكم
كما لعنهم» (٣٥) .

وعن أم المؤمنين أم سلمة — هند بنت أبي أمية — رضى الله عنها عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « انه يستعمل عليكم أمراء
فتعرفون وتتكرون .. فمن كره فقد برىء .. ومن أنكر فقد سلم ..
ولكن من رضى وتابع » .

قالوا : يا رسول الله .. ألا نقاتلهم ؟
قال : « لا .. ما أقاموا فيكم الصلاة » (٣٦) .

والمعنى أن من كره بقلبه ولم يستطع انكارا بيده ولا لسان فقد
برىء من الاثم وأدى وظيفته .. ومن أنكر بحسب طاقته فقد سلم
من هذه المعصية .. ومن رضى بفعلهم وتابعهم فهو العاصي ..
وعن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضى الله عنها أن النبي صلى الله
عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول : « لا اله الا الله .. ويل للعرب
من شر قد اقترب .. فتحت اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه » —
وحلق باصبعيه الابهام والتي تليها — فقلت : يا رسول الله .. أنهلك
وفينا الصالحون ؟ قال : « نعم .. اذا كثر الخبث » (٣٧) .

وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال : « أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر » (٣٨) .
وعن طارق بن شهاب البجلي رضى الله عنه أن رجلا سأل النبي
صلى الله عليه وسلم : أى الجهاد أفضل ؟ قال : « كلمة حق عند
سلطان جائر » (٣٩) .

وروى الترمذى والحاكم عن جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال : « سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب .. ورجل قام
الى امام جائر فأمره ونهاه فقتله » .
وعن حذيفة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« والذي نفسى بيده لتأمرن بالمعروف .. ولتتهون عن المنكر .. أو
ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه .. ثم تدعونه فلا يستجاب
لكم » (٤٠) .

(٣٥) رواه أبو داود والترمذى . (٣٦) رواه مسلم .
(٣٧) متفق عليه . (٣٨) رواه أبو داود والترمذى .
(٣٩) رواه النسائى . (٤٠) رواه الترمذى .

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مثل القائم في حدود الله والواقع فيها .. كمثل قوم استهموا على سفينة .. فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها .. وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم .. فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا .. فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا .. وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا » (٤١) .

يقول الامام النووي : « القائم في حدود الله .. معناه : المنكر لها القائم في دفعها وازالتها .. والمراد بالحدود : ما نهى الله عنه » .. وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اياكم والجلوس في الطرقات » فقالوا : يا رسول الله .. مالنا من مجالسنا بد .. نتحدث فيها ..

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فاذا أبيتم الا المجلس فأعطوا الطريق حقه » .. قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال : « غض البصر .. وكف الأذى .. ورد السلام .. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » (٤٢) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم : « على كل ميسم من الانسان صلاة كل يوم » .. فقال رجل من القوم : هذا من أشد ما أنبأتنا به . قال : « أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صلاة .. وانحأؤك القذى عن الطريق صلاة .. وكل خطوة تخطوها الى الصلاة صلاة » (٤٣) .

وعن أبى ذر رضى الله عنه أن أناسا قالوا : يا رسول الله .. ذهب أهل الدثور بالأجور .. يصلون كما نصلى .. ويصومون كما نصوم .. ويتصدقون بفضول أموالهم .. قال : « أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به .. ان بكل تسبيحة صدقة .. وكل تكبيرة صدقة .. وكل تحميدة صدقة .. وكل تهليلة صدقة .. وأمر بمعروف صدقة .. ونهى عن منكر صدقة » (٤٤) .

(٤٢) متفق عليه .

(٤٤) رواه مسلم .

(٤١) رواه البخارى .

(٤٣) رواه ابن خزيمة .

وعن أبي كثير السحيمي عن أبيه قال : سألت أبا ذر قلت :
 دلني على عمل اذا عمل العبد به دخل الجنة . قال : سألت عن ذلك
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يؤمن بالله واليوم الآخر » .
 قلت : يا رسول الله . . ان مع الأيمان عملا . قال : « يرضخ مما رزقه
 الله » . قلت : يا رسول الله . . أرأيت ان كان فقيرا لا يجد ما يرضخ
 به ؟ قال : « يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر » قال : قلت : يا رسول الله . .
 أرأيت ان كان عييا لا يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ؟
 قال : « يصنع لأخرق » . قال : أرأيت ان كان أخرق لا يستطيع أن
 يصنع شيئا ؟ قال : « يعين مغلوبا » . . قال : أرأيت ان كان لا يستطيع
 أن يعين مغلوبا ؟ قال : « ما تريد أن يكون في صاحبك من خير ؟ » . .
 يمسك عن أذى الناس » فقلت : يا رسول الله . . اذا فعل ذلك دخل
 الجنة ؟ قال : « ما من مسلم يفعل خصلة من هؤلاء الا أخذت بيده
 حتى تدخله الجنة » (٤٥) .

وروى عن ذرة بنت أبي لهب رضى الله عنها قالت : قلت :
 يا رسول الله . . من خير الناس ؟ قال : « أتقاهم للرب عز وجل . .
 وأوصلهم للرحم . . وأمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر » (٤٦) .
 وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال : « لا تزال لا اله الا الله تنفع من قالها وترد عنهم العذاب
 والنعمة . . ما لم يستخفوا بحقها » . قالوا : يا رسول الله . . وما
 الاستخفاف بحقها ؟ قال : « يظهر العمل بمعاصي الله فلا ينكر
 ولا يغير » (٤٧) .

وعن حذيفة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يقول : « تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا . .
 فأى قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء . . وأى قلب أنكرها نكتت
 فيه نكتة بيضاء حتى يصير على قلبين . . على أبيض مثل الصفا فلا تضره
 فتنة ما دامت السموات والأرض . . والآخر أسود مريدا كالكوز
 مجخيا — أى مائلا منكوسا — لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا
 الا ما أشرب من هواه » (٤٨) .

(٤٥) رواه الطبرانى وابن حبان والحاكم .

(٤٦) رواه أبو الشيخ والبيهقى .

(٤٨) رواه مسلم .

(٤٧) رواه الأصبهاني .

وعن أبي ذر رضى الله عنه قال : « أوصانى خليلي صلى الله عليه وسلم بخصال من الخير : أوصانى أن لا أخاف في الله لومة لائم .. وأوصانى أن أقول الحق وإن كان مرا » (٤٩) .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تبسمك في وجه أخيك صدقة .. وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة » (٥٠) .

وعن عرس بن عميرة الكندي رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها وكرهها — وفي رواية : فأنكرها — كمن غاب عنها .. ومن غاب عنها فريضها كان كمن شهدها » (٥١) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الاسلام أن تعبد الله لا تشرك به شيئاً .. وتقيم الصلاة .. وتؤتي الزكاة .. وتصوم رمضان .. والحج .. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. وتسليمك على أهلك .. فمن انتقص شيئاً منهن فهو سهم من الاسلام يدعه .. ومن تركهن فقد ولى الاسلام ظهره » (٥٢) .

وعن حذيفة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « الاسلام ثمانية أسهم : الاسلام سهم .. والصلاة سهم .. والزكاة سهم .. والصوم سهم .. وحج البيت سهم .. والأمر بالمعروف سهم .. والنهي عن المنكر سهم .. والجهاد في سبيل الله سهم ، وقد خاب من لا سهم له » (٥٣) .

وعن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : دخل النبي صلى الله عليه وسلم فعرفت في وجهه أن قد حضره شيء .. فتوضأ وما كلم أحداً .. فلصقت بالحجرة أستمع ما يقول .. فقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال : « يا أيها الناس .. ان الله يقول لكم مروا بالمعروف وانها عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب .. وتسالوني فلا أعطيكم .. وتستنصروني فلا أنصركم » .. فما زاد عليهن حتى نزل (٥٤) ..

(٥٠) رواه الترمذى وابن حبان .

(٥٢) رواه الحاكم .

(٥٤) رواه ابن ماجه وابن حبان .

(٤٩) رواه ابن حبان .

(٥١) رواه أبو داود .

(٥٣) رواه البزار .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا .. ويوقر كبيرنا .. ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر » (٥٥) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كنا نسمع أن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة لا يعرفه فيقول له : مالك بى وما بينى وبينك معرفة ؟ فيقول : كنت ترانى على الخطأ وعلى المنكر ولا تنهانى » (٥٦) .

وعن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : « بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على اقام الصلاة .. وايتاء الزكاة .. والنصح لكل مسلم » (٥٧) .

وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : يا أيها الناس .. انكم لتقرأون هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » (٥٨) .. وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه » (٥٩) .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » فقال رجل : يا رسول الله .. أنصره إذا كان مظلوماً .. أرايت ان كان ظالماً كيف أنصره ؟ قال : « تحجزه — أو تمنعه — من الظلم .. فان ذلك نصره » (٦٠) .

* * *

* فى الأمر بالمعروف الناهى عن المنكر :

بادئ ذى بدء .. يجب أن يكون الأمر بالمعروف .. الناهى عن المنكر .. متخلقا بالأخلاق الكريمة التى يدعو اليها .. مجتنباً للأخلاق الذميمة التى ينهى عنها .. فيكون بذلك قدوة صالحة للناس .. بأن يبدأ باصلاح حاله قبل الانشغال بأحوال الناس .. وأن ينصح نفسه وأهله قبل أن ينصح غيرهم .. والا كان وعظه وارشاده لا تأثير لهما

(٥٥) رواه أحمد والترمذى وابن حبان .

(٥٦) ذكره رزين . (٥٧) متفق عليه .

(٥٨) المائدة : ١٠٥

(٥٩) رواه أبو داود والترمذى والنسائى .

(٦٠) رواه البخارى .

على الناس .. فالله تعالى يقول : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » (٦١) .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم .. فيما يرويه أسامة ابن زيد رضى الله عنهما : « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار .. فتندلق أقتاب بطنه — أى تخرج أمعاءه من بطنه — فيدور بها كما يدور الحمار في الرحا .. فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يا فلان .. مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى .. كنت آمر بالمعروف ولا آتية .. وأنهى عن المنكر وآتية » (٦٢) .

ويقول الشاعر (٦٣) :

إذا فعل الفتى ما عنه ينهى فمن جهتين لا جهة أساء

ويقول آخر :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وعليه أن يختار لصحبته من هم على شاكلته من أهل الصلاح والتقوى .. لأن « الرجل على دين خليله .. فلينظر أحدكم من يخالل » (٦٤) ..

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول فيما يرويه أبو موسى الأشعري : « انما مثل الجليس الصالح وجليس السوء : كحامل المسك ونافخ الكير .. فحامل المسك اما أن يحذيك .. واما أن تبتاع منه .. واما أن تجد منه ريحا طيبا ، ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك .. واما أن تجد منه ريحا متنتة » (٦٥) .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تصاحب الا مؤمنا .. ولا يأكل طعامك الا تقي » (٦٦) . كما يجب أن يكون الأمر بالمعروف الناهى عن المنكر على جانب كبير من العلم بأمور الدين والفقه فيه .. حتى يمكنه الاستعانة بآيات الكتاب .. والاستشهاد بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم والرد على أسئلة الناس .. وتقديم الفتوى لهم ..

(٦٢) متفق عليه .

(٦١) البقرة : ٤٤

(٦٤) رواه أبو داود والترمذى .

(٦٣) لأبى العلاء المعرى .

(٦٦) رواه أبو داود والترمذى .

(٦٥) متفق عليه .

وليُعلم أن شيوع الجهل بأمور الدين هو السبب الأول وراء انحراف الناس عن تعاليمه .. فعليه التزام الرفق في تقديم النصح للناس .. والتلطف في أمره ونهيهِ .. فلا يلجأ إلى تحديدهم أو مصادمة آرائهم ومعتقداتهم .. فاللطف في النصح من أول عوامل كسب القلوب .. وليتذكر دائما قول الله تعالى لرسوله الكريم : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين » (٦٧) .

وليضع نصب عينيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه .. ولا ينزع من شيء إلا شانه » (٦٨) .
عن أنس رضي الله عنه قال : بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد .. فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : مه .. مه ! قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ترموه .. دعوه » — أي لا تقطعوا عليه بوله — فتركوه حتى بال .. ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له : « إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر .. إنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن » . أو كما قال — قال : فأمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فمسه عليه (٦٩) .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن فتى من قريش أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. ائذن لي في الزنا (!!)

فأقبل القوم عليه وزجروه فقالوا : مه .. مه !

فقال صلى الله عليه وسلم : « ادنه » .. فدنا منه قريبا فقال : « أتحبه لأملك » ؟ قال : لا والله .. جعلني الله فداك .. قال : « ولا الناس يحبونه لأمهاتهم » قال : « أفأحببه لابنتك » ؟ قال : لا والله يا رسول الله .. جعلني الله فداك .. قال : « ولا الناس يحبونه لبناتهم » قال : « أفأحببه لأختك » ؟ قال : لا والله يا رسول الله .. جعلني الله فداك .. قال : « ولا الناس يحبونه لأخواتهم » — وذكر العممة والخالة ..

(٦٨) رواه مسلم .

(٦٧) النحل : ١٢٥

(٦٩) رواه مسلم والطحاوي .

كل ذلك يقول : لا والله يا رسول الله جعلنى الله فداك ويقول صلى الله عليه وسلم : « ولا الناس يحبونه لعماتهم » ، « ولا الناس يحبونه لخالاتهم » — .

قال : فوضع عليه يده وقال : « اللهم اغفر ذنبه .. وطهر قلبه ... وحسن فرجه » .. قال : فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت الى شيء » (٧٠) .
لذا فان من واجب الداعى البعد عن العتاب المباشر .. وتجنب النقد القاسى لعيوب الآخرين .. وعليه أن يتدرج فى اقناع الناس بإيراد الحقائق المقدرة قبل تقديم النصح المباشر لهم ..
كما يجب عليه تحرى الوقت المناسب لتقديم النصح .. لأن ذلك من أهم العوامل فى استجابة الناس الى نصحه .. وعليه ألا يتقدم بالنصح فى ملأ من الناس .. فان من نصح أخاه فى ملأ فكأنما يشهر به ..

ويجب ألا يتعالى على الناس بعلمه .. ولا يلجأ الى الاحراج فى نصحه .. لأن الهدف تقويم الناس وليس اخراجهم .. على أن يكون ذلك بأسلوب موجز .. وبعبارات بسيطة مهيبة .. ليجد نصحه صداه فى قلوب الناس ..

وليعلم الأمر بالمعروف الناهى عن المنكر .. أنه يؤدى بعمله جزءا من الواجبات التى كلف الله بها المسلمين حتى ينالوا ثواب الآخرة قبل ثواب الدنيا .. لذا عليه أن يتجمل بالصبر وتحمل التضحيات والصعاب التى سوف تقابله فى تصديه لاصلاح المعوج من أمور الناس .. فالناس عادة ينفرون ممن يواجههم بعيوبهم ويعرضون عنه ..



ويقول ابن قدامه المقدسى فى آداب الأمر بالمعروف والناهى عن المنكر (٧١) :

« ... أن يعرف المنكر .. فلا ينبغى له أن يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت الأوتار .. ولا يتعرض للشم ليدرك رائحة الخمر .. ولا أن يمس ما قد ستر بثوب ليعرف شكل المزمار .. ولا أن يستخبر جيرانه ليخبروه بما يجرى .. »

(٧٠) رواه أحمد والطبرانى .

(٧١) فى كتابه « مختصر متهاج القاصدين » ص ١٠٩

بل لو أخبره عدلان ابتداء أن فلانا يشرب الخمر .. فله اذ
ذاك أن يدخل وينكر ..

» ... التعريف : فان الجاهل يقدم على الشيء لا يظنه منكرا ..
فاذا عرف أقلع عنه .. فيجب تعريفه باللفظ .. فيقال له : ان الانسان
لا يولد عالما .. ولقد كنا جاهلين بأمور الشرع حتى علمنا العلماء ..
فلعل قرينتك خالية من أهل العلم .. فهكذا يتلطف به ليحصل التعريف
من غير ايذاء .. ومن اجتنب محذور السكوت عن المنكر .. واستبدل
عنه محذور الايذاء للمسلم مع الاستغناء عنه .. فقد غسل الدم بالبول ..
» ... النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله .. ويورد عليه
الأخبار الواردة بالوعيد .. ويحكي له سيرة السلف .. ويكون ذلك
بشفقة ولطف من غير عنف وغضب ..

وهنا آفة عظيمة ينبغي أن يتوقاها .. وهو أن العالم يرى عند
التعريف عز نفسه بالعلم .. وذل غيره بالجهل .. ومثال ذلك مثال من
يخلص غيره من النار باحراق نفسه .. وهو غاية الجهل .. ومذلة
عظيمة .. وغرور من الشيطان ..

ولذلك محك ومعيار .. فينبغي أن يمتحن به المحتسب نفسه ..
وهو أن يكون امتناع الانسان عن المنكر بنفسه .. أو باحتساب غيره
عليه .. أحب اليه من امتناعه عنه باحتسابه .. فان كانت الحسبة شاقة
عليه ثقيلة على نفسه وهو يود أن يكفى بغيره .. فليحتسب ..
فان باعته هو الدين ..

وان كان الأمر بالعكس فهو متبع هوى نفسه .. متوسل الى
اظهار جاهه بواسطة انكاره .. فليثق الله وليحتسب أولا على نفسه ..
وقيل لداوود الطائي : رأيت رجلا دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم
بالمعروف ونهاهم عن المنكر ؟ قال : أخاف عليه السوط . قيل : هو يقوى
على ذلك .. قال : أخاف عليه السيف .. قيل : هو يقوى على ذلك .
قال : أخاف عليه الداء الدفين .. العجب ..



وقال في صفات الأمر بالمعروف الناهي عن المنكر (٧٢) :
» ... ذكرنا آداب المحتسب مفصلة .. وجملتها ثلاث صفات
في المحتسب :

العلم بمواقع الحسبة وحدودها ومواقعها .. ليقصر على حد الشرع .

والثاني : الورع .. فانه قد يعلم شيئاً ولا يعمل به لغرض من الأغراض ..

والثالث : حسن الخلق .. وهو أصل ليتمكن من الكف .. فان الغضب اذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع في قمعه .. ما لم يكن في الطبع خلق حسن ..

قال بعض السلف : لا يأمر بالمعروف الا رفيق فيما يأمر به .. رفيق فيما ينهى عنه .. حلیم فيما يأمر به .. حلیم فيما ينهى عنه .. فقيه فيما يأمر به .. فقيه فيما ينهى عنه ..

ومن الآداب : تقليل العلائق .. وقطع الطمع عن الخلق لتزول المداهنة .. فقد حكى عن بعض السلف أنه كان له سنور .. وكان يأخذ لسنوره في كل يوم من قصاب في جواره شيئاً من الغدد .. فرأى على القصاب منكراً فدخل الدار فأخرج السنور .. ثم جاءه فأنكر على القصاب .. فقال : لا أعطيك بعد هذا شيئاً لسنورك .. فقال : ما أنكرت عليك الا بعد اخراج السنور وقطع الطمع منك ..

وهذا صحيح .. فان من لم يقطع الطمع من الناس من شيئين لم يقدر على الانكار عليهم ..

أحدهما : من لطف ينالونه به .

والثاني : من رضاهم عنه وثنائهم عليه ..

وأما الرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فمتمعين .. قال الله تعالى : « فقولاً له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى » (٧٣) .

وروى أن أبا الدرداء رضى الله عنه مر على رجل قد أصاب ذنباً والناس يسبونونه .. فقال : رأيتم لو وجدتموه في قليب .. ألم تكونوا مستخرجيه ؟ قالوا : بلى .. قال : فلا تسبوا أخاكم .. واحمدوا الله الذي عافاكم .. فقالوا : أفلا تبغضه ؟ فقال : انما أبغض عمله .. فاذا تركه فهو أخى ..

ومر فتى يجر ثوبه .. فهم أصحاب صلة بن أشيم أن يأخذوه بالسنتهم أخذاً شديداً .. فقال صلة : دعوني أكفكم أمره .. ثم

قال : يا ابن أخى .. ان لى اليك حاجة . قال : ما هى ؟ .. قال : أحب
أن ترفع أزارك .. قال : نعم ونعمى عين — أى أقر عينا بطاعتك واتباع
أمرك — فرفع أزاره .. فقال صلة لأصحابه : هذا كان أمثل مما أردتم
.. فانكم لو شتمتموه وأذيتموه لستمكم ..

ودعى الحسن الى عرس .. فجىء بجام من فضة فيه خبيص ..
فتناوله وقلبه على رغيف .. فأصاب منه .. فقال رجل : هذا نهى فى
سكون» اه .



يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « مررت ليلة أسرى بى بقوم
تقرض شفاههم بمقاريض من نار .. فقلت : من أنتم ؟ فقالوا : كنا
نأمر بالخير ولا نأتيه .. وننهى عن الشر ونأتيه » (٧٤) .

ويقول : « ما من رجل يكون فى قوم يعمل فيهم بالمعاصى ..
ويقدر على أن يغيروا عليه ولا يغيرون .. الا أصابهم الله منه بعقاب
قبل أن يموتوا » (٧٥) .

ويقول صلى الله عليه وسلم : « ان الله لا يعذب العامة بعمل
الخاصة .. حتى يروا المنكر بين ظهرائهم وهم قادرون على أن ينكروه
فلا ينكروا .. فاذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة » (٧٦) .

وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أوحى الله عز وجل
الى جبريل عليه السلام أن اقلب مدينة كذا وكذا بأهلها .. فقال :
يا رب .. ان فيهم عبدك الصالح فلانا لم يعصك طرفة عين .. قال
فقال : اقلبها عليه وعليهم .. فان وجهه لم يتمر فى ساعة قط » (٧٧) .

فعلى الحكام أن يغيروا المنكر بأيديهم .. لأنهم وحدهم الذين
يملكون السلطة والقوة ..

وعلى العلماء بالكتاب والسنة أن يغيروه بالسنتهم .. لأنهم
يستطيعون أن يبرهنوا على كلامهم بالأدلة العقلية والنقلية ..

أما العامة .. الذين لا يملكون حيلة ولا يستطيعون سبيلا ..
فعليهم تغيير المنكر بالاعراض عنه .. والتضرع الى الله تعالى بقلوبهم
قائلين :

(٧٥) رواه الترمذى وابن ماجه .

(٧٧) رواه البيهقى .

(٧٤) جزء من حديث شريف .

(٧٦) رواه مسلم .

اللهم ان هذا عمل باطل فغيره .. فالرسول صلى الله عليه وسلم
يأمرنا : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده .. فان لم يستطع فبلسانه
.. فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » ..

ويقول صلى الله عليه وسلم في حديث جامع : « ... واعلم
أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه
الله لك .. وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء
قد كتبه الله عليك » .



من هدى الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا ابن مسعود » .. فقلت : لبيك يا رسول الله — قالها ثلاثا — قال : « أتدرى أى الناس أفضل » ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « فان افضل الناس افضلهم عملا اذا فقهوا في دينهم » . ثم قال : « يا ابن مسعود » .. قلت : لبيك يا رسول الله . قال : « أتدرى أى الناس أعلم » ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : « ان أعلم الناس أبصرهم بالحق اذا اختلف الناس وان كان مقصرا في العمل وان كان يزحف على استه زحفا ، واختلف من كان قبلى على ثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاثة وهلك سائرهن ، فرقة وازت الملوك وقتلوهم على دينهم ودين عيسى ابن مريم وأخذوهم وقتلوهم وقطعوههم بالمناشير ، وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا بأن يقيموا بين ظهرائهم فيدعوهم الى الله ودين عيسى ابن مريم فسادوا في البلاد وترهبوا » ، قال : « وهم الذين قال الله عز وجل : « ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله » (١) — الآية — فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من آمن بى وصدقنى واتبعنى فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يتبعنى فأولئك هم الهالكون » .

وفي رواية : « فرقة أقامت في الملوك والجبابرة فدعت الى دين عيسى فأخذت وقتلت بالمناشير وحرقت بالنيران فصبرت حتى لحقت بالله » (٢) .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انكم على بينة من ربكم ما لم تظهر فيكم سكرتان : سكرة الجهل وسكرة حب العيش وأنتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ولا تجاهدون في سبيل الله ، فاذا ظهر فيكم حب الدنيا فلا تأمرون بالمعروف ولا تنهون عن المنكر ولا تجاهدون في سبيل الله ، القائلون يومئذ بالكتاب والسنة كالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار » (٣) .

(٢) أخرجه الطبرانى .

(١) الحديد : ٢٧

(٣) أخرجه البزار .

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« ألا أخبركم بأقوام ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم يوم القيامة
الأنبياء والشهداء بمنزلهم من الله على منابر من نور يعرفون » ؟
قالوا : من هم يا رسول الله ؟ قال : « الذين يحبون عباد الله إلى الله
ويحبون الله إلى عباده ويمشون على الأرض نصحا » • فقلت : هذا
يحب الله إلى عباده فكيف يحبون عباد الله إلى الله ؟ قال : « يأمرونهم
بما يحب الله وينهونهم عما يكره الله فإذا أطاعوهم أحبهم الله عز وجل » (٤)

وعن حذيفة رضى الله عنه قال : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم :
يا رسول الله •• متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهما
سيدا أعمال أهل البر ؟ قال : « إذا أصابكم ما أصاب بنى إسرائيل » ••
قلت : يا رسول الله •• وما أصاب بنى إسرائيل ؟ قال : « إذا داهن
خياركم فجاركم ، وصار الفقه في شراركم ، وصار الملك في صغاركم ••
فعند ذلك تلبسكم فتنة تكرون ويكر عليكم » (٥) •

* * *

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كيف بكم إذا فسد
شبابكم •• وطغى نساؤكم •• وتركتم جهادكم ؟ قالوا : أو كل ذلك
كائن يا رسول الله ؟ قال : بلى والله •• وأشد من ذلك سيكون •• كيف
بكم إذا تركتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ قالوا : أو كل ذلك
كائن يا رسول الله ؟ قال : بلى والله •• وأشد من ذلك سيكون •• كيف
بكم إذا رأيت المنكر معروفا والمعروف منكرا ؟ قالوا : أو كل ذلك
كائن يا رسول الله ؟ • قال : بلى والله •• وأشد من ذلك سيكون ••
كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر •• ونهيتم عن المعروف » •

[لقد بدأ الأمر بالتفريط في الأمر والنهي •• ثم تحول العصيان
من سيء إلى أسوأ •• وأسلمت كل مرحلة إلى ما هو أشد بلاء منها •• إلى
أن أمروا بالمنكر ونهوا عن المعروف •• وهكذا دائما يكون التطور في
التحلل الذي يعترى الأمم] •

* * *

(٤) أخرجه البيهقي والنقاش وابن النجار •

(٥) رواه الطبراني •

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قعد أبو بكر على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم سمي خليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فحمد الله وأثنى عليه .. وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم مد يديه ثم وضعهما على المجلس الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عليه من منبره ثم قال : سمعت الحبيب وهو جالس على هذا المجلس يتأول هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » (٦) ثم فسرهما .. فكان تفسيره لنا أن قال : « نعم .. ليس من قوم إلا عمل فيهم بمنكر ويفسد فيهم بقبيح فلم يغيروه ولم ينكروه .. إلا حق على الله أن يعمهم بالعقوبة جميعا ثم لا يستجاب لهم » .. ثم أدخل أصبعيه في أذنيه فقال : أن لا أكون سمعته من الحبيب فصمتا (٧) ..

وعن أبي بكر رضى الله عنه قال : إذا عمل قوم بالمعاصي بين ظهراني قوم هم أعز منهم فلم يغيروه عليهم .. أنزل الله عليهم بلاء ثم لم ينزعه منهم (٨) ..

وروى الطبراني عن الأغر أبي مالك قال : « لما أراد أبو بكر أن يستخلف عمر - رضى الله عنهما - بعث إليه فدعاه .. فأثاه فقال : انى أدعوك لأمر متعب لمن وليه .. فأتق الله يا عمر بطاعته ، وأطعه جتقواه .. فان التقى آمن محفوظ .. ثم ان الأمر معروض لا يستوجبه إلا من عمل به .. فمن أمر بالحق وعمل بالباطل ، وأمر بالمعروف وعمل بالمنكر ، يوشك أن تنقطع أمنيته وأن يحبط عمله .. فان أنت وليت عليهم أمرهم فان استطعت أن تجف يدك من دماءهم .. وأن تضمر جطنك من أموالهم .. وأن تكف لسانك عن أعراضهم فافعل .. ولا قوة إلا بالله » ..

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : ما يمنعكم إذا رأيتم السفينة تخرق أعراض الناس أن لا تعربوا عليه ؟ .. قالوا : نخاف لسانه .. فقال : ذاك أدنى أن تكونوا شهداء (٩) ..

(٧) أخرجه ابن مردويه .

(٦) المائدة : ١٠٥

(٨) رواه البيهقي .

(٩) رواه ابن أبي شيبة وأبو عبيدة وابن أبي الدنيا .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كان عمر اذا اراد أن ينهى الناس عن شيء يقدم الى أهله : لا أعلم أحدا وقع في شيء مما نهيت عنه الا أضعفت له العقوبة (١٠) .

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : مروا بالمعروف .. وانها عن المنكر قبل أن يسلط عليكم شراركم ويدعو عليهم خياركم فلا يستجاب لهم (١١) .

وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال : لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتجدن في أمر الله .. أو ليسومنكم أقوام يعذبونكم ويعذبهم الله (١٢) .

وخطب يوما فقال — كرم الله وجهه — في خطبته : أيها الناس .. انما هلك من هلك قبلكم بركوبهم المعاصي ولم تنههم الربانيون والأخبار .. كلما تمادوا في المعاصي ولم تنههم الربانيون والأخبار أخذتهم العقوبات .. فمروا بالمعروف ، وانها عن المنكر قبل أن ينزل بكم مثل الذي نزل بهم .. واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع برزقا ولا يقرب أجلا (١٣) .

وعنه كرم الله وجهه قال : الجهاد ثلاثة : جهاد بيد ، وجهاد بلسان ، وجهاد بقلب ، فأول ما يغلب عليه من الجهاد جهاد اليد ثم جهاد اللسان ثم جهاد القلب ، فإذا كان القلب لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا نكس وجعل أعلاه أسفله (١٤) .

وقال كرم الله وجهه : أول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ثم الجهاد بقلوبكم ، فأى قلب لم يعرف المعروف ولم ينكر المنكر نكس أعلاه أسفله كما ينكس الجراب فينثر ما فيه (١٥) .



وعن طارق بن شهاب قال : جاء عتريس بن عرقوب الشيباني الى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فقال : هلك من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر ، فقال : بل هلك من لم يعرف المعروف وينكر المنكر (١٦) .

(١٠) رواه ابن سعد وابن عساكر .

(١١) أخرجه ابن أبى شيبة . (١٢) أخرجه ابن أبى شيبة .

(١٣) أخرجه ابن أبى حاتم . (١٤) أخرجه البيهقي .

(١٥) أخرجه ابن أبى شيبة وأبو نعيم .

(١٦) أخرجه الطبراني .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : الناس ثلاثة فما سواهم
فلا خير فيه : رجل رأى فئة تقاتل في سبيل الله فجاهد بنفسه وماله ،
ورجل جاهد بلسانه وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، ورجل عرف الحق
بقلبه (١٧) .

وعنه رضى الله عنه قال : جاهدوا المنافقين بأيديكم .. فان لم
تستطيعوا الا أن تكفروا في وجوههم فاكفروا في وجوههم (١٨) .

كما قال رضى الله عنه : اذا رأيت المنكر فلم تستطع له تغييرا
فحسبك أن يعلم الله أنك تكرهه بقلبك .

وقال : ان الرجل يشهد المعصية يعمل بها فيكرها فيكون كمن
غاب عنها .. ويغيب عنها فيرضيها فيكون كمن شهدها .

وقال : ستكون أمور فمن رضيها ممن غاب عنها كان كمن شهدها
ومن كرها ممن شهدها فهو كمن غاب عنها (١٩) .

وقال رضى الله عنه : يذهب الصالحون أسلافا ويبقى أهل الريب
من لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا (٢٠) .

وعن أبى الرقاد قال : خرجت مع مولاى وأنا غلام فدفعت الى
حذيفة رضى الله عنه وهو يقول : ان كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقا وانى لأسمعها من
أحدكم فى المقعد الواحد أربع مرات ، لتأمرن بالمعروف ولتتهون عن
المنكر ولتحضن على الخير أو ليسحتكم الله جميعا بعذاب أو ليأمرن
عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لكم (٢١) .

وعنه قال : لعن الله من ليس منا ، والله لتأمرن بالمعروف ولتتناهون عن
المنكر أو لتقتلن بينكم فليظهروا شراركم على خياركم فليقتلنهم حتى
لا يبقى أحد يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ثم تدعون الله عز وجل
فلا يجيبكم بمقتكم .

وعنه قال : ليأتين عليكم زمان خيركم فيه من لم يأمر بمعروفا
وينه عن منكر (٢٢) !!

(١٨) أخرجه ابن عساکر .

(١٧) أخرجه الطبرانى .

(١٩) أخرجه أبو نعیم وابن أبى شیبة .

(٢١) أخرجه أبو نعیم .

(٢٠) أخرجه أبو نعیم فى الحلیة .

(٢٢) أخرجه أبو نعیم .

وعن عدي بن حاتم رضى الله عنه قال : ان معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى .. وان منكركم اليوم معروف زمان يأتى .. وانكم لن تبرحوا بخير ما دمتم تعرفون ما كنتم تنكرون وتنكرون ما كنتم تعرفون .. وما قام عالمكم يتكلم بينكم غير مستخف (٢٣) .

وعن أبى جعفر الخطمى أن جده عمير بن حبيب بن حماسة رضى الله عنه — وكان قد أدرك النبى صلى الله عليه وسلم عند احتلامه — أوصى ولده فقال : يا بنى .. اياك ومجالسة السفهاء .. فان مجالستهم داء .. ومن يحلم عن السفية يسر ومن يحبه يندم .. ومن لا يرضى بالقليل مما يأتى به السفية يرضى بالكثير .. واذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر فليوطن نفسه على الصبر على الأذى ويثق بالثواب من الله تعالى .. فانه من وثق بالثواب من الله عز وجل لم يضره مس الأذى (٢٤) .

وعن عبد العزيز بن أبى بكرة : أن أبا بكرة رضى الله عنه تزوج امرأة من بنى غدانة وأنها هلكت فحملها الى المقابر فحال اخوتها بينه وبين الصلاة عليها فقال لهم : لا تفعلوا .. فانى أحق بالصلاة منكم ، قالوا : صدق صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصلى عليها ، ثم أنه دخل القبر فدفعوه دفعا عنيفا فوق فغشى عليه فحمل الى أهله فصرخ عليه يومئذ عشرون من ابن و بنت له ، قال عبد العزيز : وأنا يومئذ من أصغرهم ، فأفاق افاقة فقال : لا تصرخوا على .. فوالله ما من نفس تخرج أحب الى من نفس أبى بكرة . ففرع القوم فقالوا : لم يا أبانا ؟ قال : انى أخشى أن أدرك زمانا لا أستطيع أن آمر بالمعروف ولا أنهى عن منكر .. ولا خير يومئذ (٢٥) .

* * *

(٢٤) أخرجه الطبرانى .

(٢٣) أخرجه ابن عساكر .

(٢٥) أخرجه الطبرانى .

من هدى السلف الصالح

روى عن الفرات بن سليمان أن عمر بن عبد العزيز كتب الى
سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب :

« سلام عليك .. فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو .. »

أما بعد .. فان الله عز وجل ابتلانى بما ابتلانى به من أمر هذه
الأمة من غير مشورة منى فيها .. ولا طلب منى لها .. الا قدر من
الرحمن قدره على .. فأسأل الذى ابتلانى أن يعيننى على ما ولانى
من عباد وبلاده .. وأن يرزقنى خيهم العمل بطاعته .. وأن يرزقهم
منى الرأفة والرحمة .. ويرزقنى منهم السمع والطاعة وحسن
المؤازرة .. فاذا جاءك كتابى هذا .. فابعث الى بكتب عمر وسيرته
وقضائه فى أهل القبلة وأهل الذمة .. فانى سائر بسيرته .. ومتبع
أثره ان الله أعاننى على ذلك — ان شاء الله — والسلام .. »

فكتب اليه سالم :

« من سالم بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز .. »

سلام عليك .. فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو .. »

أما بعد .. فان الله تعالى خلق الدنيا لما أراد .. فجعل لها مدة
قصيرة ثم قضى عليها وعلى أهلها بالفناء .. ثم انك يا عمر قد وليت
أمرا عظيما .. فان استطعت أن لا تخسر نفسك وأهلك يوم القيامة
فافعل .. فانه كان فيما مضى قبلك رجال أماتوا ما أماتوا من الحق ..
وأحيوا ما أحيوا من الباطل .. حتى ولد فى ذلك رجال ونساء .. وظنوا
أنها السنة .. فلا يمنعك من نزع عامل أن تقول لا أجدر من يكفينى
عمله .. فانك ان كنت تعمل لله أتاح الله لك أعوانا .. وانما قدر العون
بقدر النية .. وان استطعت أن تجيء يوم القيامة لا يتبعك أحد
بمظلمة .. ويجيء من قبلك وهم غابطون لك .. فافعل فانهم قد
عالجوا نزع الموت .. وعانوا أهوال المطلع .. وانفقت أعينهم التى
كانت لا تنقضى لذاتها .. وانشقت بطونهم التى كانوا لا يشبعون
فيها .. واندقت رقابهم غير متوسدين بعد تظاهر الفرش والمرافق

والسرر والخدم .. وصاروا جيفة في بطون الأرض تحت آكامها ..
وقد كانوا الى جنب مساكين تأذوا من ريحهم بعد انفاق ما لا يحصى
من الطيب .. غانا لله وانا اليه راجعون ..

ما أعظم ما ابتليت به يا عمر .. فمن بعثت من عمالك فازجره
زجرا شديدا شبيها بالعقوبة عن أخذ الأموال وسفك الدماء الا بحقها ..
المال المال يا عمر .. الدم الدم يا عمر ..

كتبت الى أن أبعث اليك بكتب عمر وسيرته .. وان عمر عمل
في غير زمانك وبغير رجالك .. ووليت في زمن تعلم بعد ما عمل ..
وأنا أرجو ان عملت على النحو الذي عمل به عمر بعد ما بلوت من الظلم
أن تكون أفضل من عمر عند الله .. وقل كما قال العبد الصالح :
« وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ، ان أريد الا الاصلاح
ما استطعت ، وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب » (١) .

* * *

وذكر الامام ابن بليان والغزالي وغيرهما : أن الرشيد لما
ولى الخلافة زاره العلماء بأسرهم الا سفيان بن سعيد .. فانه لم
يأته .. وكان بينه وبينه صحبة .. فشق عليه ذلك .. فكتب اليه الرشيد
كتابا يقول فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم .. من عبد الله هارون أمير المؤمنين
.. الى أخيه في الله سفيان بن سعيد ..
أما بعد يا أخى .. فقد علمت أن الله آخى بين المؤمنين .. وقد
آخيتك في الله مؤاخاة لم أصرم فيها حبلك .. ولم أقطع منها ودك ..
وانى منطو لك على أفضل المحبة .. وأتم الأرادة .. ولولا هذه
القلادة التى قلدنيها الله تعالى لأتيتك ولو حبوا .. لما أجد لك فى
قلبي من المحبة .. وانه لم يبق أحد من اخوانى الا زارنى وهنأنى بما
صرت اليه .. وقد فتحت بيوت الأموال .. وأعطيتهم من المواهب
السنية .. ما فرحت به نفسى .. وقرت به عينى .. وقد استبطأتك ..
وقد كتبت كتابا منى اليك أعلمك بالشوق الشديد اليك .. وقد علمت
يا أبا عبد الله ما جاء فى فضل زيارة المؤمن ومواصلته .. فاذا ورد عليك
كتابى هذا فالعجل العجل » ..

ثم أعطى الكتاب لعباد الطالقاني وأمره بإيصاله إليه .. وأن يحصى عليه بسمعه وقلبه دقيق أمره وجليله ليخبره به ..
قال عباد : فانطلقت الى الكوفة فوجدت سفيان في مسجده ..
فلما رآني على بعد قام وقال : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم .. وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق الا بخير ..
قال : فنزلت عن فرسي بباب المسجد .. فقام يصلي ولم يكن وقت صلاة .. فدخلت وسلمت فما رفع أحد من جلسائه رأسه الى !!
قال : فبقيت واقفا وما منهم أحد يعرض على الجلوس .. وقد علتني من هيبتهم الرعدة .. فرميت بالكتاب اليه ، فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له في محرابه .. فركع وسجد وسلم وأدخل يده في كمه وأخذه وقلبه بيده .. ورماه الى من كان خلفه وقال : ليقرأه بعضكم فاني أستغفر الله أن أمس شيئا مسه ظالم بيده ..

قال عباد : فمد بعضهم يده اليه وهو يرتعد كأنه حية تنهشه .. ثم قرأه فجعل سفيان يتبسم تبسم المتعجب .. فلما فرغ من قراءته قال : اقلبوه واكتبوا للظالم على ظهره .. فقليل له : يا أبا عبد الله .. انه خليفة .. فلو كتبت اليه في بياض نقى لكان أحسن .. فقال : اكتبوا للظالم في ظهر كتابه .. فان كان اكتسبه من حلال فسوف يجزي به .. وان كان اكتسبه من حرام فسوف يصلي به .. ولا يبق شيء مسه ظالم بيده عندنا فيفسد علينا ديننا .. فقليل له : ما تكتب اليه ؟ قال : اكتبوا له :

« بسم الله الرحمن الرحيم .. من العبد الميت سفيان الى العبد المعرور بالآمال هارون الذي سلب حلاوة الايمان .. ولذة قراءة القرآن ..

أما بعد .. فاني كتبت اليك أعلمك أنني قد صرمت حبلك .. وقطعت ودك .. وأنت قد جعلتني شاهدا باقرارك على نفسك في كتابك .. بما هجمت على بيت مال المسلمين .. فأنفقته في غير حقه .. وأنفذته بغير حكمه .. ولم ترض بما فعلت وأنت ناء عني .. حتى كتبت الي تشهدني على نفسك ..

فأما أنا فاني قد شهدت عليك أنا واخواني الذين حضروا قراءة كتابك .. وسنؤدى الشهادة غدا بين يدي الله الحكم العدل ..

يا هارون .. هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم ..
هل رضى بفعلك المؤلفه قلوبهم .. والعاملون عليها فى أرض الله ..
والمجاهدون فى سبيل الله وابن السبيل ؟ ..

أم رضى بذلك حملة القرآن وأهل العلم — يعنى العاملين — ؟ ..
أم رضى بفعلك الأيتم والأرامل ؟ .. أم رضى بذلك خلق من رعيته ؟
نشد يا هارون مئزرك .. وأعد للمسألة جوابا .. وللبلاء جلبابا ..
واعلم أنك ستقف بين يدى الحكم العدل .. فائق الله فى نفسك
اذ سلبت حلاوة العلم والزهد .. واذا قراءة القرآن .. ومجانسة
الأخيار .. ورضيت لنفسك أن تكون ظالما وللظالمين !

يا هارون .. قعدت على لسير .. ولبست الحرير .. وأسبلت
ستورا دون بابك .. وتشبهت بالحجة بربر العالمين .. ثم أقعدت
أجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون ..
ويشربون الخمر ويحدون الشارب .. ويزنون ويحدون الزواني ..
ويسرقون ويقطعون السارق .. ويقتلون ويقتلون القاتل .. أفلا كانت
هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن يحكموا بها على الناس !!

فكيف بك يا هارون غدا اذا نادى المناهى من قبل الله : احشروا
الظلمة وأعوانهم .. فتقدمت بين يدى الله ويدك مغولتان الى عذتك ..
لا يفكهما الا عدلك وانصافك .. والظالمون حولك وأنت لهم امام أو سائق
الى النار ..

وكأنى بك يا هارون وقد أخذت بضيق الخناق .. ووردت المساق
.. وأنت ترى حسناتك فى ميزان غيرك .. وسيئات غيرك فى ميزانك
على سيئاتك .. بلاء على بلاء .. وظلمة فوق ظلمة !!

فاتق الله يا هارون فى رعيته .. واحفظ محمدا — صلى الله عليه
وسلم — فى أمته .. واعلم أن هذا الأمر لم يصر اليك الا وهو صائر الى
غيرك .. وكذلك الدنيا تفعل بأهلها واحدا بعد واحد .. فمنهم من تزود
زادا نفعه .. ومنهم من خسر دنياه وآخرته .. وإياك ثم إياك أن تكتب
الى بعد هذا .. فانى لا أجيبك والسلام ..

قال : وألقى الكتاب منشورا من غير طى ولا ختم فأخذته ..
وأقبلت به الى سوق الكوفة .. وقد وقعت الموعظة بقلبي .. فناديت :
يا أهل الكوفة .. من يشتري رجلا هرب الى الله .. فأقبلوا الى بالدراهم
والدنانير .. فقلت : لا حاجة لى بالمال .. ولكن جبة صوف ..

وعبادة قطوانية .. فأنتيت بذلك .. فنزعت ما كان على من الثياب التي كنت أجالس بها أمير المؤمنين .. وأقبلت أقود الفرس الذي كان معي الى أن أتيت باب الرشيد حافيا راجلا .. فهزأ بي من كان على الباب ثم استؤذن لي .. فلما رآني على تلك الحالة قام وقعد .. وجعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بالويل والحرب ويقول : انتفع الرسول وخاب المرسل .. مالى وللدنيا والملك يزول عني سريعا .. فالتقيت الكتاب اليه مثل ما دفع الى .. فأقبل يقرأه ودموعه تنحدر على وجهه وهو يشهق .. فقال بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين .. قد اجتراً عليك سفيان .. فلو وجهت اليه فأثقلته بالحديد .. وضيقته عليه السجن .. فجعلته عبرة لغيره ..

فقال هارون : اتركوا سفيان وشأنه يا عبيد الدنيا .. المغرور من غررتموه .. والشقى — والله — حقا من جالستموه .. ان سفيان أمة وحده ..

ولم يزل كتاب سفيان عند الرشيد يقرأه دبر كل صلاة ويكي حتى توفي رحمه الله تعالى ..



وقد تنشأ ظروف لا تعين الدعاة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. كأن يتعرضوا الى بطش الحكام وتنكيلهم .. ويجرون بذلك المتاعب والأهوال على أنفسهم وأهليهم بلا فائدة تعود على الناس .. ويخسر المجتمع بذلك أظهر عناصره قبل أن يتغير من أمر الباطل شئ ..

والتاريخ يحدثنا أن أبا حنيفة رضى الله عنه ضرب وعذب في سجنه حتى مات .. لأنه رفض القول بخلق القرآن وتمسك بأنه كلام الله القديم !!

وأن مالكا رضى الله عنه عذب وضرب بالسياط حتى انخلع كتفاه .. لأنه كان يفتي ببطلانبيعة المكره قياسا على طلاقه !!

وأن الشافعي رضى الله عنه جيء به من مكة الى بغداد والأغلال في يديه مع بضعة عشر متهما .. قتلوا كلهم بتهمة الخروج على الخلافة .. ولم ينج الشافعي من هذا المصير الا باستعمال الحيلة !!

هؤلاء الأئمة الكبار .. لم تمنعهم جلالة أقدارهم .. أو مكانتهم الدينية من الوقوع تحت بطش الحكام والتكيل بهم !!

وفي مثل هذه الأحوال .. فانه من الخير أن يمسك الداعي عليه لسانه .. وأن يكتفى بالانكار بقلبه متجها الى الله تعالى بالدعاء .. راجيا منه ازالة المنكر واصلاح الحال .. واضعا نصب عينيه قول الله تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » (٢) .

ولنا في صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم — عندما تعرضوا لمثل هذه الأحوال — الأسوة .. فهذا أنس بن مالك رضى الله عنه يسمع من الحجاج بن يوسف ما يكره .. فيهم بالرد عليه لولا أنه يتذكر أولاده وما يمكن أن يتعرضوا له من بطش الطاغية .. فيمسك لسانه ويكتفى بترديد : « انا لله .. وانا اليه راجعون » .

وهذا ابن عمر رضى الله عنهما يتعرض لموقف مشابه مع نفس الطاغية .. فيتذكر تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه » .. وذلك بأن يعرضها لما لا طاقة لها به من بطش وتنكيل .. فيمسك عن الرد والكلام ..

بن علي بن زيد قال : كنت في القصر مع الحجاج .. وهو يعرض الناس من أجل ابن الأشعث .. فجاء أنس بن مالك رضى الله عنه حتى دنا .. فقال له الحجاج : هيه يا خبيثة .. يا جوال الفتن .. مرة مع علي بن أبي طالب — رضى الله عنه — ومرة مع ابن الأشعث ؟ .. أما والذي نفسي بيده .. لأستأصلنك كما تستأصل الصمغة .. ولأجردنك كما يجرد الضب (١) !

فقال أنس : من يعنى الأمير أصلحه الله ؟

قال الحجاج : اياك أعنى .. أصم الله سمعك ..

فاسترجع فقال : « انا لله .. وانا اليه راجعون » ثم خرج من عنده فقال : لولا أنى ذكرت ولدى فخشيتهم لكلمته في مقامى بكلام .. لا يستجيبني بعده أبدا (٣) ..

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت الحجاج يخطب فذكر كلاما أنكرته .. فأردت أن أغير فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه » قال : قلت : يا رسول الله .. كيف يذل نفسه ؟ قال : « يتعرض من البلاء لما لا يطيق » (٤) .

(٣) أخرجه الطبراني .

(٢) البقرة : ١٩٥

(٤) أخرجه البزار .

هذان صحابيـان جليـلان .. رأيا الفتنة محدقة .. والخطر محققا ..
فالتزما جانب الحكمة .. وآثرا السلامة .. واكتفيا بأضعف الايمان !!
فماذا تستفيد الأمة من تعرضهما للاهانة والتنكيل .. وربما للسجن
أو القتل ؟ !

ألا فليتيق الله — في أنفسهم وفي أهليهم — أولئك الذين يلقون
بأيديهم الى التهلكة بحجة أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ..
فيلحقون الأذى والضرر بأنفسهم وذويهم .. دون أن يستفيد المجتمع من
وراء ذلك شيئا !!

وإذا كان الله تعالى قد قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : « ادع الى
سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » (٥) .
وقال من قبله لموسى وأخاه هارون عليهما السلام : « فقولا له قولا
لينا لعله يتذكر أو يخشى » (٦) .

والدعوة التى بعث بها الرسول صلى الله عليه وسلم كانت موجهة
الى المشركين ..

والقول اللين الذى أمر به موسى وهارون عليهما السلام ، كان
موجها الى فرعون ..

فكيف بمن يدعو المسلمين الى العودة الى كتاب ربهم والالتزام
بسنة نبيهم ؟ هل يلجأ الى العنف والقول الخشن والزجر العنيف ؟ ..
أم يلتزم أوامر الله فى القول اللين .. والأمر بالحكمة والموعظة الحسنة ؟ !
يقول الامام ابن قدامة : « ذكرنا درجات الأمر بالمعروف ..
والجائز من ذلك مع السلاطين القسمان الأولان وهما : التعريف
والوعظ ..

فأما تخشين القول نحو : يا ظالم ، يا من لا يخاف الله .. فإن
كان ذلك يحرك فتنة يتعدى شرها الى الغير لم يجز ..

وان لم يخف الا على نفسه فهو جائز عند جمهور العلماء ..
والذى أراه : المنع من ذلك ..

لأن المقصود ازالة المنكر .. وحمل السلطان — بالانبساط عليه —
على فعل المنكر أكبر من المنكر الذى قصد ازالته ..

وذلك أن قرب السلاطين التعظيم .. فان سمعوا من آحاد الرعية
يا ظالم ، يا فاسق .. رأوا غاية الذل ولم يصبروا على ذلك ..

قال الامام أحمد رحمه الله : لا تتعرض للسلطان .. فان سيفه
مسلول .. فأما ما جرى من السلف من التعرض لأمرائهم .. فانهم
كانوا يهابون العلماء .. فاذا انبسطوا عليهم احتملوهم فى الأغلب» (٧) .

* * *

عن أبى هنيذة وائل بن حجر رضى الله عنه قال : سأل سلمة
ابن يزيد الجعفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبى الله ..
أرأيت ان قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم .. ويمنعوننا حقنا ..
فما تأمرنا ؟ ..

فأعرض عنه .. ثم سأله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« اسمعوا وأطيعوا .. فانما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم » (٨) .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « انها ستكون بعدى أثرة .. وأمور تنكرونها » ..
قالوا : يا رسول الله .. كيف تأمر من أدرك منا ذلك ؟ قال : « تؤدون
الحق الذى عليكم .. وتسالون الله الذى لكم » (٩) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « من كره من أميره شيئا فليصبر .. فانه من خرج من السلطان
شبرا مات ميتة جاهلية » (١٠) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم

(٧) مختصر منهاج القاصدين — لابن قدامة ص ١١٥

(٩) متفق عليه .

(٨) رواد مسلم .

(١٠) متفق عليه .

قال : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره .. الا أن يؤمر بمعصية .. فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » (١١) .

وعن عوف بن مالك رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم .. وتصلون عليهم ويصلون عليكم .. وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم .. وتلعنونهم ويلعنونكم » .. قال : قلنا : يا رسول الله .. أفلا ننابذهم ؟ قال : « لا .. ما أقاموا فيكم الصلاة ، لا .. ما أقاموا فيكم الصلاة » (١٢) .



(١٢) رواه مسلم .

(١١) متفق عليه .

الى الذين يقولون ما لا يفعلون

يقول الله تعالى : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب ، أفلا تعقلون » (١) .

ويقول تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون • كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » (٢) .

ويقول على لسان شعيب عليه السلام : « وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه » (٣) .

قيل لأسامة بن زيد رضى الله عنه : لو أتيت عثمان فكلمته ؟ فقال : إنكم لترون أنى لا أكلمه الا أسمعكم •• وانى أكلمه فى السر دون أن أفتح بابا لا أكون أول من فتحه •• ولا أقول لرجل ان كان على أميرا انه خير الناس بعد شىء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم • قالوا : وما هو ؟ •• قال سمعته يقول : « يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار •• فتتدلق أقتابه •• فيدور كما يدور الحمار برجاه •• فيجتمع أهل النار عليه فيقولون : يا فلان •• ما شأنك ؟ أليس كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : كنت آمركم بالمعروف ولا آتية •• وأنهاكم عن الشر وآتية •• »

وانى سمعته — يعنى النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « مررت ليلة أسرى بى بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار •• قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون » (٤) . والأقتاب : هى الأمعاء ، واحدها قتب — بكسر القاف وسكون

التاء — وتتدلق : أى تخرج ••

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت ليلة أسرى بى رجلا تقرض شفاههم بمقاريض من النار •• فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : الخطباء من أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون » (٥) .

(٢) الصف : ٣٠٢

(٤) رواه مسلم .

(١) البقرة : ٤٤

(٣) هود : ٨٨

(٥) رواه ابن حبان .

وفي رواية : « مرت ليلة أسرى بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار .. كلما قرضت عادت .. فقلت : يا جبريل .. من هؤلاء ؟ قال : خطباء من أمتك يقولون ما لا يفعلون » (٦) .

وفي أخرى : « أتيت ليلة أسرى بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار .. فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون .. ويقرأون كتاب الله ولا يعملون به » (٧) .
وعن الحسن رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من عبد يخطب خطبة الا الله سائله عنها يوم القيامة : ما أردت بها ؟ »

قال : فكان مالك — يعني ابن دينار — اذا حدث بهذا بكى ثم يقول : أتحسبون أن عيني تقر بكلامي عليكم وأنا أعلم أن الله سائلني عنه يوم القيامة ؟ قال : ما أردت به ؟ أنت الشهيد على قلبي .. لو لم أعلم أنه أحب اليك لم أقر على اثنين أبدا » (٨) .

وروى عن الوليد بن عقبة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان ناسا من أهل الجنة ينطلقون الى ناس من أهل النار فيقولون : بم دخلتم النار ؟ فوالله ما دخلنا الجنة الا بما تعلمنا منكم ! .. فيقولون : انا كنا نقول ولا نفعل » (٩) .

وعن جندب بن عبد الله الأزدي — صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم — عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج .. يضيء للناس ويحرق نفسه » (١٠) .

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أخوف ما أخاف عليكم بعدى : كل منافق عظيم باللسان » (١١) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الرجل لا يكون مؤمنا حتى يكون قلبه مع لسانه

(٧) للبيهقي .

(٦) لابن أبي الدنيا .

(٨) رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي .

(١٠) رواه الطبراني .

(٩) رواه الطبراني .

(١١) رواه الطبراني والبخاري .

سواء .. ويكون لسانه مع قلبه سواء .. ولا يخالف قوله عمله ..
ويأمن جاره بوائقه» (١٢) .

وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « انى لا أتخوف على أمتى مؤمنا ولا مشركا ..
أما المؤمن فيحجزه إيمانه .. وأما المشرك فيقمعه كفره .. ولكن أتخوف
عليكم منافقا عالم اللسان يقول ما تعرفون ويعمل ما تنكرون » (١٣) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « يبصر أحدكم القذا في عين أخيه .. وينسى الجذع في
عينه » (١٤) .



(١٣) رواه الطبراني .

(١٢) رواه الأصبهاني .

(١٤) رواه ابن حبان .

الفصل الثامن

واصبر على ما أصابك

- * الاسلام يحث على الصبر ..
- * مراتب الصبر وأسمائه ..
- * أقسام الصبر وأحكامه ومشتقاته ..
- * يتلى المؤمن على حسب دينه ..
- * الصبر على تنفيذ الأوامر والطاعات ..
- * الصبر على المناهي والمخالفات ..
- * الصبر على الأقدار والأقضية ..
- * الصبر على الأمراض ..
- * الصبر على موت الأولاد والأقارب والأحباب ..
- * الصبر على الفقر والجوع ..
- * الصبر على الأذى في سبيل الله ..
- * الصبر على هوى النفس ..
- * صبر أيوب عليه السلام ..

الاسلام يحث على الصبر

يقول الله تعالى : « واستعينوا بالصبر والصلاة ، وانها لكبيرة الا على الخاشعين » (١) .

ويقول : « يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة » ان الله مع الصابرين » (٢) .

ويقول جل شأنه : « وبشر الصابرين • الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون • أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون » (٣) .

ويقول تعالى : « ان تمسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها ، وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ، ان الله بما يعملون محيط » (٤) .

ويقول : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » (٥) .

ويقول جل وعلا : « وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا ، ان الله مع الصابرين » (٦) .

ويقول تعالى : « الا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير » (٧) .

ويقول : « انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين » (٨) .

ذكر الله الصبر في القرآن في أكثر من تسعين آية • •
وحض المؤمنين عليه • • وبشرهم بالفلاح في الدنيا والمغفرة في الآخرة • •

ومدح الصابرين • • ووعدهم أن يوفيهم أجرهم بغير حساب • •
فالصبر نصف الايمان • • وليس له جزاء الا الجنة • •

(٢) البقرة : ١٥٣

(٤) آل عمران : ١٢٠

(٦) الأنفال : ٤٦

(٨) يوسف : ٩٠

(١) البقرة : ٤٥

(٣) البقرة : ١٥٥ — ١٥٧

(٥) آل عمران : ٢٠٠

(٧) هود : ١١

والصبر لغة : المنع والحبس .. لأنه حبس النفس عن الجزع ..
وحبس اللسان عن التشكى .. وحبس الجوارح عن لطم الخدود وشق
الجيوب ونحوهما ..

وفي الصبر معان ثلاثة : المنع .. والشدة .. والضم ..

ويقال : صبر اذا أتى بالصبر .. وتصبر اذا تكلفه واستدعاه ..
واصطبر اذا اكتسبه وتعمله .. وصابر — بفتح الباء — اذا وقف خصمه
في مقام الصبر .. وصبر — بالتشديد — نفسه وغيره اذا حملها على
الصبر ..

واسم الفاعل منه : صابر ، وصبار ، ومصابر ، ومصطبر ..

فمصابر من صابر .. ومصطبر من اصطبر .. وصابر — بالفتح —
من صبر .. وأما صبار وصبور فمن أوزان المبالغة من الثلاثي ..

* * *

ويقول الله تعالى : « ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور » (٩) .
ويقول : « وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن
صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وما صبرك الا بالله ، ولا تحزن عليهم
ولا تك في ضيق مما يمكرون . ان الله مع الذين اتقوا والذين هم
محسنون » (١٠) .

ويقول جل شأنه : « انى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم
الفائزون » (١١) .

ويقول تعالى : « قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم ، للذين
أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ، وأرض الله واسعة ، انما يوفى الصابرون
أجرهم بغير حساب » (١٢) .

ويقول : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي
أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم . وما يلقاها الا الذين
صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » (١٣) .

(٩) ابراهيم : ٥ ، ولقمن : ٣١ ، وسبأ : ١٩ ، والشورى : ٢٣

(١٠) النحل : ١٢٦ — ١٢٨ (١١) المؤمنون : ١١١

(١٢) الزمر : ١٠ (١٣) فصلت : ٣٤ ، ٣٥

ويقول : « ولأن صبر وغفر أن ذلك من عزم الأمور » (١٤) .
 ويقول جل وعز : « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
 ونبلوا أخباركم » (١٥) .
 ويقول تعالى : « واصبر لحكم ربك فانك باعيننا ، وسبح بحمد
 ربك حين تقوم . ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم » (١٦) .
 ويقول : « والعصر . ان الانسان لفي خسر . الا الذين آمنوا
 وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » (١٧) .

* * *

* مراتب الصبر وأسمائه :

« وحقيقة الصبر أنه خلق فاضل من أخلاق النفس .. يتمتع به من
 فعل ما لا يحسن ولا يجمل . وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح
 شأنها وقوام أمرها » (١٨) .
 « والصبر المحمود .. هو الصبر النفساني الاختياري عن اجابة
 داعي الهوى المذموم .. لهذا كانت مراتبه وأسماءه بحسب متعلقه ..
 فانه ان كان صبورا عن شهوة الفرج المحرمة سمي عفة .. وضدها
 الفجور والزنا والعهر ..
 وان كان عن شهوة البطن وعدم التسرع الى الطعام أو تناول
 ما لا يجمل منه سمي شرف نفس وشبع نفس .. وسمي ضده شرها
 ودناءه ووضاعة نفس ..
 وان كان عن اظهار ما لا يحسن اظهاره من الكلام سمي كتمان
 سر .. وضده اذاعة وافشاء أو تهمة أو فحشاء أو سبا أو كذبا أو
 قذفا ..
 وان كان عن فضول العيش سمي زهدا .. وضده حرصا ..
 وان كان على قدر يكفى من الدنيا سمي قناعة .. وضدها الحرص
 أيضا ..
 وان كان عن اجابة داعي الغضب سمي حلما .. وضده تسرعا ..

(١٤) الشورى : ٤٣ (١٥) محمد : ٣١
 (١٦) الطور : ٤٨ ، ٤٩ (١٧) سورة العصر .
 (١٨) عدة الصابرين — للإمام ابن القيم — نشر دار التراث العربى
 سنة ١٩٨٠ ص ١١

وان كان عن اجابة داعى العجلة سمي وقارا وثباتا .. رضده
طيشا وخفة ..

وان كان عن اجابة داعى الفرار والهرب سمي شجاعة .. وصدده
جبنا وخورا ..

وان كان عن اجابة داعى الانتقام سمي عفوا أو صفحا .. وضده
انتقاما وعقوبة ..

وان كان عن اجابة داعى الامساك والبخل سمي جودا .. وضده
بخلا ..

وان كان عن اجابة داعى الطعام والشراب فى وقت مخصوص
سمى صوما ..

وان كان عن اجابة داعى العجز والكسل سمي كيسا ..

وان كان عن اجابة داعى اللقاء الكل على الناس وعدم حمل كلهم
سمى مروءة .. فله عند كل فعل وترك اسم يخصه بحسب متعلقه ..
والاسم الجامع لذلك كله « الصبر » .

وهذا يدل على ارتباط مقامات الدين كلها بالصبر من أولها الى
آخرها ..

وهكذا يسمى عدلا اذا تعلق بالتسوية بين المتماثلين .. وضده
الظلم ..

ويسمى سماحة اذا تعلق ببذل الواجب والمستحب بالرضا
والاختيار ..

وعلى هذا جميع منازل الدين « (١٩) » .

رقيلى : « الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب » .

وقيل : « هو الغنى فى البلوى بلا ظهور شكوى » .

وقال الجنيد : « هو تجرع المرارة من غير تعبيس » ..

وقال ذو النون : « هو التباعد عن المخالفات .. والسكون عند
تجرع غصص البلية .. واظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة »

وقال عمرو بن عثمان المكي : « الصبر هو الثبات مع الله وتلقى
بلائه بالرحب والدعة » ..

وقال أبو على الدقاق : « حد الصبر أن لا يعترض على التقدير » ..



* أقسام الصبر وأحكامه ومشتقاته :

واشتق من الصبر التصبر والاصطبار والمصابرة .. والفرق بين هذه الصفات بحسب حال العبد في نفسه وحاله مع غيره ..
فإن حبس نفسه ومنعها عن إصابة داعي ما لا يحسن .. إن كان خلقا له ومملكة سمي « صبرا » ..

وإن كان يتصرف وتمرن وتجرع لمرارته سمي « قصبرا » ..
كما يدل عليه هذا البناء لغة .. فإنه موضوع للتكلف : كالتحمل والتشجع والتكرم والتحمل .. ونحوها .. فإذا تكلفه العبد واستدعاه صار سجية له ..

وأما « الاصطبار » .. فهو أبلغ من التصبر .. لأنه افتعال للصبر بمنزلة الاكتساب .. فالتصبر مبدأ الاصطبار .. كما أن التكسب مقدمة الاكتساب .. فلا يزال التصبر يتكرر حتى يصير اصطبارا ..
و « المصابرة » .. هي مقاومة الخصم في ميدان الصبر .. لأنها مفاعلة تستدعي وقوعها بين اثنين كالمشاة والمضاربة ..

والله تعالى يقول : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » (٢٠) .

فأمرهم بالصبر .. وهو حال الصابر مع نفسه .. والمصابرة وهي حاله في الصبر مع خصمه .. والمرابطة وهي الثبات واللزم والاقامة على الصبر والمصابرة .. فقد يصبر العبد ولا يصابر .. وقد يصابر ولا يرابط .. وقد يصابر ويرابط من غير تعبد بالتقوى .. فأخبر سبحانه أن ملاك ذلك كله التقوى .. وأن الفلاح موقوف عليها فقال : « واتقوا الله لعلكم تفلحون » (٢١) .

وينقسم الصبر الى أقسام ثلاثة ..
صبر على الأوامر والطاعات حتى يؤديها ..
وصبر على المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها ..
وصبر على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها ..
كما تنقسم أحكام الصبر الى خمسة أقسام ..

(٢٠) آل عمران : ٢٠٠

(٢١) عدة الصابرين ص ١٥ ، ١٦ بتصرف .

صبر واجب : وهو الصبر على المحرمات .. وعلى أداء الواجبات ..
والصبر على المصائب التي لا صنع للعبد فيها كالأمراض والفقر
وغيرها ..

وصبر مندوب : وهو الصبر على المكروهات ، وعلى المستحبات ،
وعلى مقابلة الجاني بمثل فعله ..

وصبر محذور : كالصبر عن الطعام والشراب حتى يموت ..
وكذلك الصبر على الميتة والدم ولحم الخنزير عند الخمصة إذا خاف
بتركه الموت — وهم محرم — ويدخل فيه الصبر على ما يقصد هلاكه
من سبع أو حيات أو حريق أو دماء .. أو الصبر على كافر يريد قتله ..
والقسم الرابع : الصبر المكروه .. كأن يصبر عن الطعام والشراب
وللإنسان الخيار بين فعله وتركه أو الصبر عليه ..

وأخيرا : صبر مباح .. وهو الصبر عن كل فعل مستوى الطرفين ..
وللإنسان الخيار بين فعله وتركه أو الصبر عليه ..

* * *

* بينى المؤمن على حسب دينه :

يقول الله تعالى : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة ، والينا
ترجعون » (٢٢) .

والله سبحانه وتعالى .. خلق الخلق ، وخلق مابه غناهم وفقرهم ..
وخلق الغنى والفقر ليبين بهما عباده أيهم أحسن عملا .. وجعل الغنى
والفقر سببا للطاعة والمعصية والثواب والعقاب .. ويقول ابن عباس
رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية : « بالشدة والرخاء .. والصحة
والسقم .. والغنى والفقر .. والحلال والحرام ، وكلها بلاء » ..
ويقول ابن يزيد : « نبلوكم بما تحبون وما تكرهون .. لننظر
كيف صبركم وشكركم فيما تحبون وما تكرهون » ..

وقال الكلبي : « بالشر والفقر .. والبلاء والخير .. بالمال
والولد .. فأخبر سبحانه أن الغنى والفقر مطيئا لابتلاء والامتحان ..
يقول تعالى : « فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول
ربى أكرمنى . وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى
أهاننى . كلا » (٢٣) .

فأخبر سبحانه أنه يبتلى عبده باكرامه له وبتنعيمة له .. ويسط
الرزق عليه كما يبتليه بتضييق الرزق وتقديره عليه .. وأن كليهما
إبتلاء منه وامتحان ..

ثم أنكر سبحانه على من زعم أن بسط الرزق وتوسعته اكرام من
الله لعبده .. وأن تضييقه عليه أهانة منه له .. فقال : « كلا » ..
أى ليس الأمر كما يقول الانسان .. بل قد أبتلى بنعمتى .. وأنعم
ببلائى .. واذا تأملت ألفاظ الآية .. وجدت هذا المعنى يلوح على
صفحاتها ظاهرا للمتأمل » اهـ (٢٤) .

فالله سبحانه قد جعل الغنى والفقر ابتلاء وامتحانا للشكر والصبر ..
والصدق والكذب .. والاخلاص والشرك .. فالدنيا عرض زائل ومتاع
غرور .. والآخرة هى دار الجزاء والثواب ..

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فيما رواه أبو مالك
الأشعري رضى الله عنه : « الطهور شطر الايمان .. والحمد لله تملأ
الميزان .. وسبحان الله والحمد لله تملآن - أو تملأ - ما بين السماء
والأرض .. والصلاة نور .. والصدقة برهان .. والصبر ضياء ..
والقرآن حجة لك أو عليك .. كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها
أو موبقها » (٢٥) .

فاذا كان الطهور شطر الايمان .. لأنه لا تصح عبادة من غير
طهارة .. وكانت الصلاة نورا .. والصدقة برهانا .. والقرآن حجة ..
فان الصبر هو الضياء الذى يستطيع الانسان به أن يبصر هذه الفضائل ..
فيتمسك بها ويداوم عليها .. لذا فان من رزقه الله الصبر .. فقد رزقا
الخير كله ..

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « ما رزق الله عبدا خيرا له
ولا أوسع من الصبر » (٢٦) ..

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
« أربع لا يصبن الا بعجب : الصبر وهو أول العبادة .. والتواضع ..
وذكر الله .. وقلة الشئ » (٢٧) ..

(٢٤) عدة الصابرين ص ١٣٥ ، ١٣٦

(٢٦) رواه الحاكم .

(٢٥) رواه مسلم .

(٢٧) رواه الطبرانى والحاكم .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا اضاءة المال .. ولكن الزهادة في الدنيا ألا تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله .. وأن تكون في ثواب المصيبة اذا أنت أصبت بها أرغب فيها لو أنها بقيت لك » (٢٨) .

وعن علقمة رضى الله عنه قال : قال عبد الله : « الصبر نصف الايمان .. واليقين الايمان كله » (٢٩) .

وعن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الصبر معول المسلم » (٣٠) .
لهذا كان أمر المؤمن اذا شكر أو صبر كله خيرا .. فغن صهيبي رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عجا لأمر المؤمن .. ان أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد الا للمؤمن ، ان أصابته سراء شكر فكان خيرا له .. وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له » (٣١) .

وعن أبي الدرداء رضى الله عنه قال : سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الله عز وجل قال : يا عيسى .. انى باعث من بعدك أمة .. ان أصابهم ما يحبون حمدوا الله .. وان أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا .. ولا حلم ولا علم .. فقال : يا رب .. كيف يكون هذا ؟ .. قال : أعطيتهم من حلمي وعلمي » (٣٢) .
وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أن ناسا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم .. ثم سألوه فأعطاهم .. حتى نفذ ما عنده .. فقال لهم حين أنفق كل شيء بيده : « ما يكن عندي من خير فلن أؤخره عنكم .. ومن يستعفف يعفه الله .. ومن يستغن يغنه الله .. ومن يتصبر يصبره الله .. وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر » (٣٣) .

وروى عن سخيرة — بفتح السين واسكان الخاء بعدهما باء — رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أعطى

(٢٩) رواه الطبرانى موقوفا .

(٣١) رواه مسلم .

(٣٣) رواه الشيخان .

(٢٨) رواه الترمذى .

(٣٠) فكره رزين .

(٣٢) رواه الحاكم .

فشكر ، وابتلى فصبر ، وظلم فاستغفر ، وظلم فغفر (٣٤) .. ثم سكت .
فقالوا : يا رسول الله .. ماله ؟ قال : أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » (٣٥) .
لهذا كان ابتلاء الرجل على قدر دينه .. فكلما كان دينه صلبا
كان بلاؤه شديدا .. وكان أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ..

عن مصعب بن سعد عن أبيه رضى الله عنهما قال : قلت :
يا رسول الله .. أى الناس أشد بلاء ؟ قال : « الأنبياء .. ثم الأمثل
فالأمثل .. يبتلى الرجل على حسب دينه .. فان كان دينه صلبا اشتد
بلاؤه .. وان كان فى دينه رقة ابتلاه الله على حسب دينه .. فما يبرح
البلاء بالعبد حتى يمشى على الأرض وما عليه خطيئة » (٣٦) .

وعن العلاء بن المسيب عن أبيه عن سعد قال : سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم : أى الناس أشد بلاء ؟ قال : « الأنبياء ثم
الأمثل فالأمثل .. يبتلى الناس على قدر دينهم .. فمن ثخن دينه
اشتد بلاؤه .. ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه .. وان الرجل ليصيبه
البلاء حتى يمشى فى الناس ما عليه خطيئة » (٣٧) ..

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « مثل المؤمن كمثل الزرع .. لا تزال الرياح تفيئوه ولا يزال
المؤمن يصيبه بلاء .. ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز .. لا تهتز حتى
تنتخض » (٣٨) ..

وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول : « ما ابتلى الله عبدا ببلاء وهو على طريقة يكرهها ..
الا جعل الله ذلك البلاء كفارة وطهورا ما لم ينزل ما أصابه من البلاء
بغير الله .. أو يدعو غير الله فى كشفه » (٣٩) ..

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « اذا أحب الله عبدا أو أراد أن يصابه .. صب عليه
البلاء صبا .. وثجه عليه ثجا .. فاذا دعا العبد وقال : يا رباه ..

(٣٤) ظلم الاولى : بفتح الظاء واللام ، والثانية بضم الظاء وكسر اللام .

(٣٥) رواه الطبرانى .

(٣٦) رواه ابن ماجه وابن أبى الدنيا والترمذى .

(٣٧) رواه مسلم والترمذى .

(٣٨) رواه ابن حبان .

(٣٩) رواه ابن أبى الدنيا .

قال الله : لبيك عبادي .. لا تسألني شيئا الا أعطيتك .. اما أن أعجله لك واما أن أدخره لك» (٤٠) ..

وعنه رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «ان عظم الجزاء مع عظم البلاء .. وان الله اذا أحب قوما ابتلاهم .. فمن رضى فله الرضا .. ومن سخط فله السخط» (٤١) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الرجل ليكون له عند الله المنزلة .. فما يبلغها بعمل .. فما يزال يبتلي به بما يكره حتى يبلغه اياها » (٤٢) ..

وعنه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من يرد الله به خيرا يصب منه » (٤٣) ..

أى يوجه اليه مصيبة ويصيبه ببلاء ..

وعن محمود بن لبيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا أحب الله قوما ابتلاهم .. فمن صبر فله الصبر .. ومن جزع فله الجزع » (٤٤) ..

وروى عن بريدة الأسلمى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما أصاب رجلا من المسلمين نكبة فما فوقها .. حتى الشوكة .. الا لاحدى خصلتين .. اما ليغفر الله له من الذنوب ذنبا لم يكن ليغفره له الا بمثل ذلك .. أو يبلغ به من الكرامة كرامة لم يكن ليبلغها الا بمثل ذلك » (٤٥) ..

وعن محمد بن خالد عن أبيه عن جده — وكانت له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان العبد اذا سبقت له من الله منزلة فلم يبلغها بعمل .. ابتلاه الله في جسده أو في ماله أو في ولده .. ثم صبر على ذلك .. حتى يبلغه المنولة التى سبقت له من الله عز وجل » (٤٦) ..

(٤٠) رواه ابن أبى الدنيا . (٤١) رواه ابن ماجه والترمذى .

(٤٢) رواه أبو يعلى وابن حبان .

(٤٣) رواه مالك والبخارى . (٤٤) رواه أحمد .

(٤٥) رواه ابن أبى الدنيا .

(٤٦) رواه أحمد وأبو داود وأبو يعلى والطبرانى .

وروى عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله عز وجل ليقول للملائكة : انطلقوا الى عبدى فصبوا عليه البلاء صبا .. فيحمد الله فيرجعون فيقولون : يا ربنا .. صببنا عليه البلاء صبا كما أمرتنا .. فيقول : ارجعوا فانى أحب أن أسمع صوته » (٤٧) ..

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله ليحرب أحدكم بالبلاء كما يحرب أحدكم ذهبه بالنار .. فممنه ما يخرج كالذهب الابريز .. فذاك الذى حماه الله من الشبهات ، ومنه ما يخرج دون ذلك .. فذلك الذى يشك بعض الشك ، ومنه ما يخرج كالذهب الأسود .. فذاك الذى افتن » (٤٨) ..

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المصيبة تبيض وجه صاحبها يوم تسود الوجوه » (٤٩) .
وعنه رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يؤتى بالشهيد يوم القيامة فيوقف للحساب .. ثم يؤتى بالمتصدق فينصب للحساب .. ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينصب لهم ديوان .. فيصب عليهم الأجر صبا .. حتى ان أهل العافية ليتمنون فى الموقف أن أجسادهم قرضت بالمقاريض من حسن ثواب الله » (٥٠) .

وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب .. لو أن جلودهم كانت قرضت بالمقاريض » (٥١) ..

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له ما يكفرها .. ابتلاه الله بالحزن ليكفرها عنه » (٥٢) ..

ودخل شباب من قريش على أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها — وهى بمنى — وهم يضحكون .. فقالت : ما يضحكم ؟ .. قالوا : فلان خر على لهب فسطاط فكادت عنقه — أو عينه — أن تذهب !!

(٤٨) رواه الطبرانى .

(٥٠) رواه الطبرانى .

(٤٧) رواه الطبرانى .

(٤٩) رواه الطبرانى .

(٥١) رواه الترمذى وابن أبى الدنيا .

(٥٢) رواه أحمد .

فقلت : لا تضحكوا .. فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « ما من مسلم يشاك بشوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ..
ومحيت عنه بها خطيئة » ..

وفى رواية للبخارى ومسلم قال صلى الله عليه وسلم : « ما من
مصيبة تصيب المسلم الا كفر الله عنه بها .. حتى الشوكة يشاكها » ..
وفى أخرى لمسلم : « لا يصيب المؤمن شوكة فما فوقها الا نقص
الله بها من خطيئته » .. وفى أخرى : « الا رفعه الله بها درجة وحط
عنه بها خطيئة » ..

وعن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما عن النبى
صلى الله عليه وسلم قال : « ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب
ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم .. حتى الشوكة يشاكها .. الا كفر
الله بها من خطاياها » (٥٣) ..

وفى رواية من حديث أبى هريرة وحده : « ما يصيب المؤمن من
وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن .. حتى الهم يهمه .. الا كفر
به من سيئاته » ..

وفى أخرى : « ما من مؤمن يشاك بشوكة فى الدنيا يحتسبها
الا قص بها من خطاياها يوم القيامة » (٥٤) ..

والنصب هو التعب .. والوصب : المرض ..

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة : فى نفسه وولده وماله ..
حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة » (٥٥) ..

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « من أصيب بمصيبة فى ماله أو فى نفسه فكتمها ولم يشكها
الى الناس .. كان حقا على الله أن يغفر له » (٥٦) ..



(٥٤) رواه ابن أبى الدنيا .

(٥٣) رواه الشيخان .

(٥٦) رواه الطبراتى .

(٥٥) رواه الترمذى والحاكم .

* الصبر على تنفيذ الأوامر والطاعات :

قلنا ان الصبر ينقسم الى أقسام ثلاثة ..

وقلنا ان أول أقسام الصبر : هو الصبر على تنفيذ الأوامر والطاعات التي أمر الله بها عباده حتى تؤدي ..

عن خباب بن الارت رضى الله عنه قال : شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم — وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة — فقلنا : ألا تستنصر لنا ؟ .. ألا تدعو لنا ؟ .. فقال : « قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها .. ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين .. ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه .. ما يصده ذلك عن دينه .. والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه .. ولكنكم تستعجلون » (٥٧) ..

وفي رواية : « وهو متوسد بردة .. وقد لقينا من المشركين شدة .. » الحديث .

ويقص علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما يرويه صهيب رضى الله عنه — قصة أصحاب الأخدود .. الذين صبروا على الأذى وتحملوا المشاق والصعاب حتى الموت في سبيل عقيدتهم وامثالهم لأمر الله ..

فعن صهيب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كان ملك فيمن كان قبلكم .. وكان له ساحر .. فلما كبر قال للملك : انى قد كبرت فابعث الى غلاما أعلمه السحر .. فبعث اليه غلاما يعلمه ..

وكان في طريقه اذا سلك راهب .. فقعده اليه وسمع كلامه فأعجبه .. وكان اذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد اليه .. فاذا أتى الساحر ضربه .. فشكا ذلك الى الراهب فقال : اذا خشيت الساحر فقل : حبسنى أهلى .. واذا خشيت أهلك فقل : حبسنى الساحر ..

فبينما هو على ذلك اذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس .. فقال : اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل ؟ فأخذ حجرا

فقال : اللهم ان كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس .. فرماها فقتلها ومضى الناس .. فأتى الراهب فأخبره .. فقال له الراهب : أى بنى .. أنت اليوم أفضل منى .. قد بلغ من أمرك ما أرى .. وانك ستبتلى .. فان ابتليت فلا تدل على ..

وكان الغلام يبرىء الأكمه والأبرص .. ويداوى الناس من سائر الأدواء .. فسمع به جليس للملك قد عمى .. فأتاه بهدايا كثيرة فقال : ما ههنا لك أجمع ان أنت شفيتنى .. فقال : انى لا أشفى أحدا .. انما يشفى الله تعالى .. فان آمنت بالله تعالى دعوت الله خشفاك .. فأمن بالله تعالى فشفاه الله تعالى .. فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس .. فقال له الملك : من رد إليك بصرك ؟ قال : ربى .. قال : ولك رب غيرى ؟ ! قال : ربى وربك الله .. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام .. فجىء بالغلام فقال له الملك : أى بنى .. قد بلغ من سحرك ما تبرىء الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل ؟ ! فقال : انى لا أشفى أحدا .. انما يشفى الله تعالى ..

فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب .. فجىء بالراهب فقيل له : ارجع عن دينك .. فأبى .. فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه .. فشقه حتى وقع شقاه ..

ثم جىء بجليس الملك ، فقيل له : ارجع عن دينك .. فأبى .. فوضع المنشار في مفرق رأسه .. فشقه به حتى وقع شقاه ..

ثم جىء بالغلام ، فقيل له : ارجع عن دينك .. فأبى .. فدفعه الى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به الى جبل كذا وكذا .. فاصعدوا به الجبل .. فاذا بلغتكم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه .. فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت .. فرجف بهم الجبل فسقطوا .. وجاء يمشى الى الملك .. فقال له الملك : ما فعل بأصحابك ؟ .. فقال : كفانيهم الله تعالى ..

فدفعه الى نفر من أصحابه .. فقال : اذهبوا به فاحملوه في قرقور — نوع من السفن — وتوسطوا به البحر .. فان رجع عن دينه والا فاقتذفوه .. فذهبوا به فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت .. فانكفأت بهم السفينة فغرقوا .. وجاء يمشى الى الملك .. فقال له الملك : ما فعل بأصحابك ؟ فقال : كفانيهم الله تعالى ..

فقال للملك : انك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به .. قال :
 ما هو ؟ قال : تجمع الناس في صعيد واحد .. وتصلبني على جذع ..
 ثم خذ سهمًا من كنانتي .. ثم ضع السهم في كبد القوس .. ثم قل :
 باسم الله رب الغلام .. ثم ارمني .. فانك اذا فعلت ذلك قتلتني ..
 فجمع الناس في صعيد واحد .. وصلبه على جذع .. ثم أخذ
 سهمًا من كنانته .. ثم وضع السهم في كبد القوس .. ثم قال :
 باسم الله رب الغلام .. ثم رماه فوق السهم في صدغه .. فوضع يده
 في صدغه فمات .. فقال الناس : آمنا برب الغلام ..

فأتى الملك فقيل له : رأيت ما كنت تحذر .. قد والله نزل بك
 حذر .. قد آمن الناس .. فأمر بالأخدود بأفواه السكك .. فخذت
 وأضرم فيها النيران .. وقال : من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها —
 أو قيل له : اقتحم — ففعلوا .. حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها ..
 فتقاعست أن تقع فيها .. فقال لها الغلام : يا أماء .. اصبري فانك
 على الحق » (٥٨) .

* * *

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في الصبر
 على أداء ما أمره الله تعالى به .. أمره الله بتبليغ الرسالة فصعد لأمر
 ربه .. وتحمل من الأذى في سبيل الله أشده .. وهانت أمامه الصعاب ..
 فما وهن وما ضعف .. وما استكان .. حتى أدى الأمانة .. وبلغ
 الرسالة .. ونصح للأمة .. وجاهد في الله حق جهاده ..

أخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : « لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد .. وأخفت في الله
 وما يخاف أحد .. ولقد أتت على ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي
 وببلال ما يأكله ذو كبد الا ما يوارى ابطبال » (٥٩) .

وعن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه قال : جاءت قريش الى
 أبي طالب فقالوا : يا أبا طالب .. ان ابن أخيك يأتيك في أفنيتنا وفي
 نادينا غيسمنا ما يؤذينا به ، فان رأيت أن تكفه عنا فافعل . فقال لى :
 يا عقيل .. التمس لى ابن عمك ، فأخرجته من كبس — أى بيت

(٥٨) رواه مسلم .

(٥٩) أخرجه أحمد والترمذي وابن حبان .

صغير — من أكباس أبى طالب ، فأقبل يمشى معى يطلب الفىء يمشى فيه فلا يقدر عليه حتى انتهى الى أبى طالب ، فقال له أبو طالب : يا ابن أخى .. والله ما علمت أن كنت لى لمطاعا ، وقد جاء قومك يزعمون أنك تأتيتهم فى كعبتهم وفى ناديتهم تسمعهم ما يؤذيهم ، فان رأيت أن تكف عنهم . فخلق ببصره الى السماء فقال : « والله ما أنا بأقدر أن أدع ما بعثت به من أن يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من نار » . فقال أبو طالب : والله ما كذب ابن أخى قط ، ارجعوا راشدين (٦٠) .

وعند البيهقى أن أبا طالب قال له — صلى الله عليه وسلم — : يا ابن أخى .. ان قومك قد جاءونى وقالوا كذا وكذا فأبق على وعلى نفسك ، ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت ، فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك ، فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قد بدا لعمه فيه وأنه خاذله ومسلمه وضعف عن القيام معه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عم .. لو وضعت الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فى طلبه » ، ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى . فلما ولى قال له — حين رأى ما بلغ الأمر برسول الله صلى الله عليه وسلم — : يا ابن أخى .. فأقبل عليه فقال : امض على أمرك وافعل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبدا .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لما مات أبو طالب تجهوا بالنبي صلى الله عليه وسلم — أى لقوه بالغلظة والوجه الكريه — فقال : « يا عم .. ما أسرع ما وجدت فقدك » ..

وعن الحارث بن الحارث : قلت لأبى : ما هذه الجماعة ؟ قال : هؤلاء القوم الذين اجتمعوا على صابىء لهم .. قال : فنزلنا فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى توحيد الله عز وجل والايمان وهم يردون عليه ويؤذونه حتى اذا انتصف النهار وانصدع الناس عنه أقبلت امرأة قد بدا نحرها تحمل قدحا ومنديلا فتناوله منها فشرب وتوضأ ثم رفع رأسه فقال : « يا بنية .. خمرى عليك نحرك ولا تخافين على أبيك » . فقلنا : من هذه ؟ قالوا : هذه زينب ابنته — رضى الله عنها — .

(٦٠) أخرجه الطبرانى وأبو يعلى ، كما أخرجه البخارى فى التاريخ .

وعن منبت الأزدي قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية وهو يقول : « يا أيها الناس .. قولوا : لا اله الا الله تفلحوا » ومنهم من تقل في وجهه ، ومنهم من حثا عليه التراب ، ومنهم من سبه حتى انتصف النهار . فأقبلت جارية بعس من ماء فغسل وجهه ويديه وقال : « يا بنية .. لا تخشى على أبيك غيلة ولا ذلة » فقلت : من هذه ؟ قالوا : زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي جارية وضيئة (٦١) .

وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم جعل يقول : « يا بنية .. لا تبكين ، فان الله مانع أباك » .. ويقول ما بين ذلك : « ما نالت قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب .. ثم شرعوا » ..

وعن عروة بن الزبير عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال : قلت له : ما أكثر ما رأيت قريشا أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته ؟ .. قال : حضرتهم — وقد اجتمع أشراغهم في الحجر — فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط . سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيم — أو كما قالوا — قال : فبينما هم في ذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشى حتى استقبل الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت . فلما مر بهم غمزوه ببعض ما يقول . قال : فعرفت ذلك في وجهه ثم مضى . فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجهه ثم مضى . فلما مر بهم الثالثة غمزوه بمثلها فقال : « أتسمعون يا معشر قريش ؟ .. أما والذي نفس محمد بيده ، لقد جئتكُم بالذبح » .. فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل الا على رأسه طائر واقع حتى أن أشدهم فيه وضاعة قبل ذلك ليرفؤه — أى يسكنه ويرفق به ويدعو له — بأحسن ما يجد من القول حتى انه ليقول : انصرف يا أبا القاسم .. انصرف راشدا ، فوالله ما كنت جهولا . فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

حتى اذا كان الغد اجتمعوا في الحجر — وأنا معهم — فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى اذا باداكم

بما تكرهون تركتموه • فبينما هم في ذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا اليه وثبة رجل واحد ، فأطافوا به يقولون : أنت الذى تقول كذا وكذا ؟ لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم • قال : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم .. أنا الذى أقول ذلك » قال : فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع رداءه ، وقام أبو بكر رضى الله عنه دونه يقول وهو ييكى : أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ؟ ثم انصرفوا عنه ، فان ذلك لأشد ما رأيت قريشا بلغت منه قط (٦٢) •

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : لقد ضربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة حتى غشى عليه • فقام أبو بكر رضى الله عنه فجعل ينادى : ويلكم .. أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ؟ • فقالوا : من هذا ؟ فقالوا : أبو بكر المجنون (*) •

وزاد البزار في روايته : فتركوه • وأقبلوا على أبى بكر • وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وأبو جهل بن هشام وشيبة وعتبة — ابنا ربيعة — وعقبة بن أبى معيط وأمّية بن خلف ورجلان آخران كانوا سبعة وهم في الحجر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ، فلما سجد أطال السجود • فقال أبو جهل : أيكم يأتى جزور بنى فلان فياتينا بفريثها فنكفئه على محمد — صلى الله عليه وسلم — فانطلق أشقاهم عقبة ابن أبى معيط فأتى به فألقاه على كتفيه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساجد • •

قال ابن مسعود : وأنا قائم لا أستطيع أن أتكلم ليس عندى منعة تمنعنى فأنا أذهب ، اذ سمعت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبلت حتى ألقت ذلك عن عاتقه ثم استقبلت قريشا تسبهم فلم يرجعوا اليها شيئا ، ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه كما كان يرفع عند تمام السجود • فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته قال : « اللهم عليك بقريش — ثلاثا — عليك بعتبة وعقبة وأبى جهل وشيبة » •

(*) أخرجه أبو يعلى •

(٦٢) أخرجه أحمد •

ثم خرج من المسجد فلقية أبو البختري بسوط يتخبر به ،
فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم أنكر وجهه فقال : مالك ؟ فقال
النبي صلى الله عليه وسلم : « خل عني » • قال : علم الله لا أخلى
عنك أو تخبرني ما شأنك ؟ • • فلقد أصابك شيء • فلما علم النبي
صلى الله عليه وسلم أنه غير مقل عنه أخبره فقال : « ان أبا جهل
أمر فطرح على فرث » • فقال أبو البختري : هلم الى المسجد فأتي
النبي صلى الله عليه وسلم وأبو البختري فدخلوا المسجد ، ثم أقبل
أبو البختري الى أبي جهل فقال : يا أبا الحكم • أنت الذي أمرت
بمحمد — صلى الله عليه وسلم — فطرح عليه الفرث ؟ قال : نعم •
قال : فرفع السوط فضرب به رأسه • قال : فثار الرجال بعضها الى
بعض • قال : وصاح أبو جهل : ويحكم • • هي له انما أراد محمد —
صلى الله عليه وسلم — أن يلقي بيننا العداوة وينجو هو وأصحابه (٦٣) •

وأخرج الطبراني عن قتادة مرسلًا قال : تزوج أم كلثوم بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عتيبة بن أبي لهب ، وكانت رقية
عند أخيه عتبة بن أبي لهب ، فلم يين بها حتى بعث النبي صلى الله
عليه وسلم • فلما نزل قوله تعالى : « تبت يدا أبي لهب »
قال أبو لهب لابنيه عتبة وعتيبة : رأسى في رؤوسكما حرام ان لم تطلقا
ابنتي محمد — صلى الله عليه وسلم — وقالت أمهما بنت حرب
ابن أمية — وهي حمالة الحطب — : طلقاهما يا بني • • فانهما صباأتا ،
فطلقاهما • ولما طلق عتيبة أم كلثوم جاء الى النبي صلى الله عليه
وسلم حين فارقتها فقال : كفرت بدينك وفارقت ابنتك لا تجيئني
ولا أجيئك ، ثم سطا — أي وثب — عليه فشق قميص النبي صلى الله
عليه وسلم وهو خارج نحو الشام تاجرا • فقال النبي صلى الله عليه
وسلم : « أما اني أسأل الله أن يسلط عليك كلبه » • فخرج في تجار
من قريش حتى نزلوا بمكان يقال له « الزرقاء » ليلا فأطاف بهم
الأسد تلك الليلة فجعل عتيبة يقول : ويل أمي • • هذا والله أكلى كما
قال محمد — صلى الله عليه وسلم — قاتلى ابن أبي كبشة وهو بمكة
وأنا بالشام ، فلقد غدا عليه الأسد من بين القوم فضغمه ضغمة فقتله —
أي عضه بملء فيه — •

(٦٣) أخرجه البزار والطبراني •

قال زهير بن العلاء : فحدثنا هشام بن عروة عن أبيه : أن الأسد لما أطاف بهم تلك الليلة انصرف ، فناموا ، وجعلوا عتيبة وسطهم • فأقبل السبع يتخطاهم حتى أخذ برأس عتيبة ففدغه — أى شقه — وخلف عثمان بن عفان بعد رقية على أم كلثوم — رضى الله عنهما • وعن ربيعة بن عبد الدبلى قال : ما أسمعكم تقولون ان قريشا كانت تنال من رسول الله صلى الله عليه وسلم •• فأنى أكثر ما رأيت أن منزله كان بين منزل أبى لهب وعقبة بن أبى معيط •• وكان ينقلب الى بيته فيجد الأرحام والدماء والأنحات قد نصبت على بابه •• فينحى ذلك بسية قوسه ويقول : « بئس الجوار هذا يا معشر قريش » (٦٤) ••

وعن عروة بن الزبير رضى الله عنهما قال : مات أبو طالب وازداد من البلاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة فعمد الى ثقيف يرجو أن يؤوه وينصروه ، فوجد ثلاثة نفر منهم سادة ثقيف وهم اخوة : عبد ياليل بن عمرو ، وخبيب بن عمرو ، ومسعود بن عمرو ، فعرض عليهم نفسه وشكا اليهم البلاء وما انتهك قومه منه ، فقال أحدهم : أنا أسرق ثياب الكعبة ان كان الله بعثك بشيء قط ؟ وقال الآخر : والله لا أكلمك بعد مجلسك هذا كلمة واحدة أبدا لأن كنت رسولا لأنت أعظم شرفا وحقا من أن أكلمك ، وقال الآخر : أعجز الله أن يرسل غيرك ؟

وأفشوا ذلك فى ثقيف الذى قال لهم . واجتمعوا يستهزئون برسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدوا له صفين على طريقه ، فأخذوا بأيديهم الحجارة فجعل لا يرفع رجله ولا يضعها الا رضحوها بالحجارة وهم فى ذلك يستهزئون ويسخرون ، فلما خلاص من صفيهم وقدماه تسيلان الدماء عمد الى حائط من كرومهم ، فأتى ظل حيلة من الكرم فجلس فى أصلها مكروبا موجعا تسيل قدماه الدماء فاذا فى الكرم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، فلما أبصرهما كره أن يأتيهما لما يعلم من عداوتهما لله ولرسوله وبه الذى به فأرسلا اليه غلامهما عداسا بعنب وهو نصرانى من أهل نينوى ، فلما أتاه وضع العنب بين يديه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بسم الله » ، فعجب عداس ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أى أرض أنت يا عداس ؟ »

قال : أنا من أهل نينوى ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من أهل مدينة الرجل الصالح يونس بن متى » ؟ فقال له عداس : وما يدريك من يونس بن متى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم من شأن يونس ما عرف ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحقر أحدا يبلغه رسالات الله تعالى . قال : يا رسول الله .. أخبرني خبر يونس بن متى . فلما أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم من شأن يونس ابن متى ما أوحى إليه من شأنه خر ساجدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جعل يقبل قدميه وهما تسيلان الدماء . فلما أبصر عقبه وأخوه شبيهة ما فعل غلامهما سكنا .

فلما أتاهما قالا له : ما شأنك .. سجدت لمحمد وقبلت قدميه ونم نرك فعلت هذا بأحد منا . قال : هذا رجل صالح حدثني عن أشياء عرفت من شأن رسول بعثه الله تعالى إلينا يدعى يونس بن متى ، فأخبرني أنه رسول الله ، فضحكا وقالا : لا يفتنك عن نصرانيتك ، انه رجل يخدع . ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة (٦٥) .

في ذلك اليوم العصيب .. وقد لقي الرسول صلى الله عليه وسلم من الناس ما لقي .. جلس مجهدا في ظل حائط ونادى ربه مناشدا إياه : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس .. يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي .. إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني .. أم إلى عدو ملكته أمري ؟ .. إن لم يكن بك غضب على فلا أبالي .. ولكن عافيتك هي أوسع لي .. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات .. وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك .. لك العتبى حتى ترضى .. ولا حول ولا قوة إلا بك » ..

وعن عروة أن عائشة رضى الله عنها حدثته أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد ؟ .. فقال صلى الله عليه وسلم : « لقد لقيت من قومك .. وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة .. إذ عرضت نفسي على عبد ياليل ابن عبد كلال .. فلم يجبني إلى ما أردت .. فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب — موضع بقرب مكة — فرفعت

(٦٥) أخرجه أبو يعلى في دلائل النبوة .

رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني .. فنظرت فإذا فيها جبرائيل عليه السلام فناداني فقال : ان الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك .. وقد بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم .. فناداني ملك الجبال فسلم على ثم قال : يا محمد — فقال ذلك .. فما شئت أن أطبق عليهم الأخشبين — وهما جبلا أبو قبيس والأحمر المحيطان بمكة — فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده لا يشرك به شيئا » (٦٦) .

صلى الله عليك يا سيدى يا رسول الله .. ما أعظمك وما أحلمك .. قوم يقعدون لك على جانبي الطريق .. يرضخون قدميك بالحجارة حتى يدموهما .. ويسخرون منك ويسبوك الى أن يلجئوك الى ظل حائط .. تنادى ربك وتشكو اليه ظلم الناس .. حتى اذا ما أرسل اليك ملك الجبال يستئذنك فى أن يطبق عليهم الجبلين .. أبيت ورجوت أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده لا يشرك به شيئا .. أبعد هذا حلم ؟ .. وهل فوق هذا صبر ؟ .. صلوات الله وسلامه عليك يا من بعثت رحمة للعالمين ..

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال أبو بكر : لو رأيتنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم اذ صعدنا الغار فأما قدما رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقطرتا دما وأما قدماى فعادت كأنهما صفوان .. قالت عائشة رضى الله عنها : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتعود الحفية (٦٧) .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أحد وشج في رأسه فجعل يسלט — أى يمسح — الدم عن وجهه ويقول : « كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم الى الله » ؟ فنزل : « ليس لك من الأمر شيء » (٦٨) الآية ، وعند الطبرانى فى الكبير عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : أصيب وجه النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد فاستقبله مالك ابن سنان فمص جرحه ثم ازدردده ، فقال صلى الله عليه وسلم : « من أحب أن ينظر الى من خالط دمه دمي فلينظر الى مالك بن سنان » (٦٩) .

(٦٦) رواه الشيخان والنسائى .

(٦٧) أخرجه ابن مردويه . (٦٨) آل عمران : ١٢٨

(٦٩) أخرجه الشيخان والترمذى .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان أبو بكر رضى الله عنه اذا ذكر يوم أحد قال : ذاك يوم كله لطلحة ، ثم أنشأ يحدث قال : كنت أول من فاء يوم أحد فرأيت رجلاً يقاتل في سبيل الله دونه ، وأراه قال : حمية ، قال : فقلت : كن طلحة حيث فاتنى ما فاتنى فقلت : يكون رجلاً من قومى أحب الى ، وبينى وبين المشركين رجل لا أعرفه وأنا أقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه وهو يخطف المشى خطفا لا أخطفه ، فاذا هو أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه ، فانتهينا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كسرت رباعيته وشج في وجهه .. وقد دخل في وجنته حلقتان من حلق المغفر ..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عليكمما صاحبكما » — يريد طلحة وقد نزل — فلم نلتفت اليه ..

قال : وذهبت لأنزل ذلك من وجهه .. فقال أبو عبيدة : أقسم عليك بحقى لما تركتني .. فتركته .. فكره تناولها — أى الحلقة — بيده فيؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فأزم عليها بفيه — أى عض عليها بفمه — فاستخرج احدى الحلقتين .. ووقعت ثنية مع الحلقة .. وذهبت لأصنع ما صنع .. فقال : أقسمت عليك بحقى لما تركتني .. قال : ففعل مثل ما فعل في المرة الأولى فوقع ثنيته الأخرى مع الحلقة ..

فكان أبو عبيدة رضى الله عنه من أحسن الناس هتما ..

قال : فأصلحنا من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار — أى الحفر — فاذا به بضع وسبعون طعنة ورمية وضربة .. واذا قد قطعت اصبعه فأصلحنا من شأنه (٧٠) .

هكذا كان صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على القيام بدعوته .. والامتنال لأمر ربه .. فجزاه الله خير ما جزى نبيا عن أمته ..



(٧٠) أخرجه أبو داود .

● والقسم الثانى من الصبر .. هو الصبى على المناهى والمخالفات حتى لا يقع العبد فيها .. وهو واجب .. ويكون ذلك باتباع أوامر الله واجتناب نواهيه ..

ولا يخلو ما يلقاه العبد فى الدنيا من نوعين (٧١) :

« أما أحدهما فهو ما يوافق هواه من الصحة والسلامة والمال والجاء .. وكثرة العشيرة والأتباع .. وجميع ملاذ الدنيا .. فالعبد محتاج الى الصبر فى جميع هذه الأمور .. فلا يركن اليها .. ولا يينهمك فى التلذذ بها .. ويراعى حق الله تعالى فى ماله بالانفاق .. وفى بدنه بالمعونة للحق ..

ومتى لم يضبط نفسه عن الانهماك فى الملاذ والركون اليها .. أخرجته ذلك الى البطر والطغيان .. حتى قال بعض العارفين : المؤمن يصبر على البلاء .. ولا يصبر على العافية الا صديق ..

وقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : ابتلينا بالضراء فصبرنا .. وابتلينا بالسراء فلم نصبر ..

ولذلك قال الله تعالى : « لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله » (٧٢) .. وقال : « واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة » (٧٣) . وقال جل شأنه : « ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم » (٧٤) .

فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية .. وهذا الصبر متصل بالشكر .. فلا يتم الا بالقيام بحق الشكر .. وانما كان الصبر على السراء شديدا .. لأنه مقرون بالقدره .. والجائع عند غيبة الطعام أقدر على الصبر منه عند حضور الطعام اللذيذ .. وأما الثانى .. فهو المخالف للهوى .. والقسم الأول منه : الطاعات ، فيحتاج العبد الى الصبر عليها لأن النفس بطبعها تنفر عن العبودية ..

(٧١) عن مختصر منهاج القاصدين ص ٢٣٦ بتصرف .

(٧٢) الأنفال : ٢٨

(٧٣) المنافقون : ٩

(٧٤) التغابن : ١٤

ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة .. ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة .. ومنها ما يكره بسببهما جميعا كالحج والجهاد .. ويحتاج المريد الى الصبر على طاعته في ثلاثة أحوال :

حال قبل العبادة .. وهى تصحيح النية ، والاخلاص .. والصبر عن شوائب الرياء ..

وحال فى نفس العبادة .. وهى أن لا يغفل عن الله تعالى فى أثناء العبادة .. ولا يتكاسل عن تحقيق الآداب والسنن .. فيلازم الصبر على دواعى الفتور الى الفراغ من العمل .

والحال الثالثة بعد الفراغ من العمل .. وهى الصبر عن افشائه والتظاهر به لأجل الرياء والسمعة .. وعن كل ما يبطل عمله .. فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المن والأذى أبطلها ..

أما القسم الثانى منه .. وهو الصبر عن المعاصى .. وما أحوج العبد الى ذلك .. فاذا كان الفعل مما تيسر فعله كمعاصى اللسان من الغيبة والكذب والمراء ونحوه .. كان الصبر عليه أثقل .. فترى الانسان اذا لبس حريرا استنكر ذلك .. ويغتاب أكثر نهاره فلا يستنكر ذلك .. ومن لم يملك لسانه فى المحاورات ولم يقدر على الصبر .. لم ينجح الا العزلة ..

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الصبر ثلاثة : صبر على المصيبة .. وصبر على الطاعة .. وصبر على المعصية .. فمن صبر على المصيبة حتى يردّها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة .. ما بين الدرجة الى الأخرى كما بين السماء والأرض .. ومن صبر على الطاعة كتبت له ستمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الأرض الى منتهى العرش .. ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة .. ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الأرض الى منتهى العرش مرتين » اهـ .



● أما القسم الثالث من أقسام الصبر فهو الصبر على الأقدار والأقضية .. مما لا يدخل تحت الاختبار .. كالمصائب مثل موت الأحبة وهلاك الأموال .. وعمى العين .. وزوال الصحة .. وسائر أنواع البلاء .. والصبر على ذلك من أعلى المقامات لأن سنده اليقين ..

وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « من يرد الله به خيرا يصيب منه » ..

وقريب من هذا القسم .. الصبر على أذى الناس .. كالذى يؤذى بقول أو فعل أو جناية على نفسه أو ماله .. والصبر على ذلك من أعلى المراتب .. فالله تعالى يقول : « وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور » (٧٥) .. ويقول : « ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » (٧٦) .

ويقول الامام ابن قدامة المقدسى فى آداب الصبر (٧٧) :
« من آداب الصبر استعماله فى أول صدمة .. لقوله صلى الله عليه وسلم : « انما الصبر عند الصدمة الأولى » حديث صحيح ..
ومن الآداب الاسترجاع عند المصيبة لحديث أم سلمة رضى الله عنها .. وهو من رواية مسلم ..

ومن الآداب سكون الجوارح واللسان .. فأما البكاء فجائز .. قال بعض الحكماء : الجزع لا يرد الفائت .. ولكن يسر الشامت .. ومن حسن الصبر أن لا يظهر أثر المصيبة على المصاب .. كما فعلت أم سليم امرأة أبى طلحة لما مات ابنها .. وحديثها مشهور فى صحيح مسلم ..

واذا كانت المصيبة مما يمكن كتمانها .. فكتمانها من نعم الله عز وجل الخفية ..

فان قيل : ان كان المراد من الصبر عدم كراهية المصائب .. فلا قدرة للأدمى على ذلك .. وان كان الفرح بوجودها كما حكيتم .. فهو أبعد ..

والجواب : أن الصبر لا يكون الا عن محبوب أو على مكروه .. ولا ينهى عما لا يدخل تحت الكسب .. وهو انزعاج الباطن .. وانما ينهى عن المكتسب كشق الجيوب .. ولطم الخدود .. والقول باللسان .. فأما ما ذكر من فرح بعضهم فهذا فرح شرعى لا طبعى .. اذ الطبع لا بد له من كراهة المصائب » اهـ .

* * *

(٧٦) النحل : ١٢٦

(٧٥) آل عمران : ١٨٦

(٧٧) المرجع السابق ص ٢٣٨ بتصرف .

* الصبر على الأمراض :

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : دخلت على النبی صلی الله عليه وسلم وهو موعك .. فقلت : يا رسول الله .. انك توعك وعكا شديدا .. قال : « أجل .. انى أوعك كما يوعك رجلان منكم » .. قلت : ذلك أن لك أجرين ؟ قال : « أجل .. ذلك كذلك .. ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها .. الا كفر الله بها سيئاته وحطت عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها » (٧٨) .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه أنه دخل على رسول الله صلی الله عليه وسلم وهو موعوك عليه قطيفة فوضع يده فوق القطيفة فقال : ما أشد حماك يا رسول الله ! قال : « انا كذلك يشدد علينا البلاء ويضاعف لنا الأجر » ، ثم قال : يا رسول الله .. من أشد الناس بلاء ؟ قال : « الأنبياء » ، قال : ثم من ؟ قال : « العلماء » ، قال : ثم من ؟ قال : « الصالحون .. كان أحدهم يبتلى بالقمل حتى يقتله ويبتلى أحدهم بالفقر حتى ما يجد الا العباءة يلبسها .. ولأحدهم كان أشد فرحا بالبلاء من أحدكم بالعطاء » (٧٩) .

وعن أبى عبيدة بن حذيفة رضى الله عنه عن عمته فاطمة رضى الله عنها قالت : أتينا رسول الله صلی الله عليه وسلم في نساء نعوذه وقد حم فأمر بسقاء فعلق على شجرة ثم اضطجع تحته فجعل يقطر على فواقه من شدة ما يجد من الحمى فقلت : يا رسول الله .. لو دعوت الله أن يكشف عنك .. فقال : « ان أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » (٨٠) .

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلی الله عليه وسلم طرقة وجع فجعل يشتكى ويتقلب على فراشه فقالت له عائشة : لو فعل هذا بعضنا لوجدت عليه . فقال : « ان المؤمنين ليثدد عليهم وانه ليس من مؤمن تصيبه نكبة شوكة ولا وجع الا كفر الله عنه بها خطيئة ورفع له بها درجة » (٨١) .

(٧٨) متفق عليه .

(٧٩) أخرجه ابن ماجه وابن أبى الدنيا .

(٨٠) أخرجه البيهقى .

(٨١) أخرجه ابن سعد والحاكم والبيهقى .

وعن أنس رضى الله عنه قال : لما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاه الكرب — أى الألم — فقالت فاطمة رضى الله عنها : واكرب أبتاه .. فقال : « ليس على أبيك كرب بعد اليوم » ..

فلما مات قالت : يا أبتاه .. أجاب ربا دعاه ، يا أبتاه .. جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه .. الى جبريل ننعاه ..

فلما دفن قالت فاطمة رضى الله عنها : أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب ؟ (٨٢) .

وعن أبى السفر قال : دخل على أبى بكر رضى الله عنه ناس يعودونه فى مرضه فقالوا : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ألا ندعو لك مطيبا ينظر اليك ؟ قال : قد نظر الى ، قالوا : فماذا قال لك ؟ قال : قال : انى فعال لما أريد (٨٣) .

وعن معاوية بن قررة أن أبا الدرداء رضى الله عنه اشتكى فدخل عليه أصحابه فقالوا : ما تشتكى يا أبا الدرداء ؟ قال : أشتكى ذنوبى ، قالوا : فما تشتهى ؟ قال : أشتهى الجنة ، قالوا : أفلا ندعو لك طبيبا ؟ قال : هو الذى أضجعتنى (٨٤) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : فقد النبي صلى الله عليه وسلم رجلا كان يجالسه فقال : « مالى فقدت فلانا » ؟ فقالوا : اعتبط — وكانوا يسمون الوعك الاعتباط — فقال : « قوموا حتى نعوده » .. فلما دخل عليه بكى الرجل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تبك فان جبريل أخبرنى أن الحمى حظ أمتى من جهنم » (٨٥) .

وروى عن بشير بن عبد الله بن أبى أيوب الأنصارى عن أبيه عن جده قال : عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الأنصار .. فأكب عليه فسأله ، فقال : يا نبى الله .. ما غمضت منذ سبع ولا أحد يحضرنى .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أى أخى .. اصبر ، أى أخى اصبر تخرج من ذنوبك كما دخلت فيها » .. قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ساعات الأمراض يذهبن ساعات الخطايا » (٨٦) .

(٨٢) رواه البخارى .

(٨٣) أخرجه ابن سعد وابن أبى شيبه وأحمد .

(٨٤) أخرجه أبو نعيم فى الحلية .

(٨٥) رواه ابن أبى الدنيا .

(٨٦) أخرجه الطبرانى .

وعن أبي بردة قال : كنت عند معاوية وطبيب يعالج قرحة في ظهره وهو يتضرر .. فقلت له : لو بعض شبابنا فعل هذا لعينا ذلك عليه !! فقال : ما يسرنى أنى لا أجده .. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من عبد يصيبه أذى في جسده إلا كُنْ كفارة لخطاياهُ » (٨٧) .

وفي رواية أنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من شيء يصيب المؤمن في جسده ويؤذيه .. إلا كفر الله به عنه من سيئاته » ..

وعن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا اشتكى المؤمن أخلصه الله من الذنوب كما يخلص الكير خبث الحديد » (٨٨) .

وعن أبي موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا مرض العبد أو سافر .. كتب له مثل ما كان يعمل مقبلاً صحيحاً » (٨٩) .

وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم شجرة فمزها .. حتى تساقط ورقها ما شاء الله أن يتساقط .. ثم قال : « للمصيبات والأوجاع أسرع في ذنوب ابن آدم منى في هذه الشجرة » (٩٠) .

وعن عائشة رضى الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون .. فأخبرها أنه كان عذاباً يبعثه الله تعالى على من يشاء .. فجعله الله تعالى رحمة للمؤمنين .. فليس من عبد يقع في الطاعون فيمكث في بلده صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيب إلا ما كتب الله له .. إلا كان له مثل أجر الشهيد » (٩١) .

(٨٧) رواه ابن أبي الدنيا .

(٨٨) رواه ابن أبي الدنيا والطبراني وابن ماجه .

(٨٩) رواه البخارى وأبو داود .

(٩٠) رواه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى .

(٩١) رواه البخارى .

وعن عطاء بن أبي رباح قال : قال لى ابن عباس رضى الله عنهما : ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ فقلت : بلى . قال : هذه امرأة السوداء . . . أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : انى أصرع وانى أتكشف . . . فادع الله تعالى لى ، قال : « ان شئت صبرت ولك الجنة . . . وان شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك » فقالت : أصبر . . . ثم قالت : انى أتكشف . . . فادع الله أن لا أتكشف . . . فدعا لها (٩٢) .
وعن معاذ بن عبد الله بن حبيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه : « أتحبون أن لا تمرضوا » ؟ قالوا : والله اننا لنحب العافية . . . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وما خير أحدكم أن لا يذكره الله » ؟ (٩٣) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما ضرب على مؤمن عرق قط . . . الا حط الله به عنه خطيئة وكتب له حسنة ورفع له درجة » (٩٤) .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما من أحد من الناس يصاب ببلاء فى جسده الا أمر الله عز وجل الملائكة الذين يحفظونه قال : اكتبوا لعبدى فى كل يوم وليلة ما كان يعمل من خير ما كان فى وثاقى » (٩٥) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا ابتلى الله عز وجل العبد المسلم ببلاء فى جسده قال الله عز وجل للملك : اكتب له صالح عمله الذى كان يعمل . . . وان شفاه غسله وطهره . . . وان قبضه غفر له ورحمه » (٩٦) .

وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من عبد يمرض مرضا الا أمر الله حافظيه : أن ما عمل من سيئة فلا يكتبها . . . وما عمل من حسنة يكتبها عشر حسنات . . . وأن يكتب له من العمل الصالح كما كان يعمل وهو صحيح وان لم يعمل » (٩٧) .

(٩٢) متفق عليه . رواه ابن أبي الدنيا .

(٩٤) رواه ابن أبي الدنيا والطبرانى والحاكم .

(٩٥) رواه أحمد والحاكم . (٩٦) رواه أحمد .

(٩٧) رواه أبو يعلى وابن أبي الدنيا .

وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عجب للمؤمن وجزعه من السقم ! .. ولو كان يعلم ماله من السقم أحب أن يكون سقيما الدهر .. ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع رأسه الى السماء فضحك .. فقيل : يا رسول الله .. مم رفعت رأسك الى السماء فضحكت ؟ فقال : عجبت من ملكين كانا يلتزمان عبدا في مصلى كان يصلى فيه .. فلم يجداه فرجعا فقالا : يا ربنا .. عبدك فلان كنا نكتب له في يومه وليلته عمله الذى كان يعمل .. فوجدناه حبسته في حبالك .. قال الله تبارك وتعالى : اكتبوا لعبدي عمله الذى كان يعمل في يومه وليلته .. ولا تنقصوا منه شيئا .. وعلى أجره ما حبسته وله أجر ما كان يعمل » (٩٨) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله تبارك وتعالى : اذا ابتليت عبدي المؤمن فلم يشكنى الى عواده .. أطلقته من اسارى ثم أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ثم يستأنف العمل » (٩٩) .

وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال : يا رسول الله .. كيف الصلاح بعد هذه الآية : « ايس يا مانيكم ولا أمانى أهل الكتاب ، من يعمل سوءا يجز به » (١٠٠) — الآية — وكل شيء عملناه جزينا به ؟ ! فقال صلى الله عليه وسلم : « غفر الله لك يا أبا بكر .. ألسنت تمرض ؟ ألسنت تحزن ؟ ألسنت يصيبك اللأواء ؟ .. قال : قلت : بلى .. قال : هو ما تجزون به » (١٠١) .

وعن عطاء بن يسار رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا مرض العبد بعث الله اليه ملكين .. فقال : انظروا ما يقول لعواده .. فان هو اذا جاءوه حمد الله وأثنى عليه رفعا ذلك الى الله — وهو أعلم — فيقول : لعبدي ان توفيته أن أدخله الجنة .. وأن أنا شفيعته أن أبدله لحما خيرا من لحمه .. ودما خيرا من دمه وأن أكفر عنه سيئاته » (١٠٢) .

(٩٨) رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى والبخارى .

(٩٩) رواه الحاكم . (١٠٠) النساء : ١٢٣

(١٠١) رواه ابن حبان .

(١٠٢) رواه مالك وابن أبى الدنيا .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الصداع والمليلة لا تزال بالمؤمن وإن ذنبه مثل أحد .. فما تدعه وعليه من ذلك مثقال حبة من خردل » (١٠٣) .. والمليلة — بفتح الميم وكسر اللام — هى الحمى تكون فى العظم .. وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أن الله ليبتلى عبده بالسقم حتى يكفر ذلك عنه كل ذنب » (١٠٤) .

وعن يحيى بن سعيد أن رجلا جاءه الموت فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل : هنيئا له .. مات ولم يبتل بمرض !! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ويحك .. ما يدريك لو أن الله ابتلاه بمرض يكفر عنه سيئاته » (١٠٥) .

وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما من عبد يصرع صرعة من مرض إلا بعثه الله منها طاهرا » (١٠٦) ..

وعن عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنما مثل العبد المؤمن حين يصيبه الوعك والحمى كحديدة تدخل النار .. فيذهب خبثها ويبقى طيبها » (١٠٧) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أن الله عز وجل قال : إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه — يعنى عينيه — فصبر عوضته منهما الجنة » (١٠٨) .

وعنه رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن ربه تبارك وتعالى قال : « أن الله قال : يا جبريل .. ما ثواب عبدي إذا أخذت كريمتيه — أى عينيه — إلا النظر إلى وجهي .. والجوار فى دارى » قال أنس : فلقد رأيت أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يكون حوله يريدون أن تذهب أبصارهم !! (١٠٩) .

(١٠٣) رواه أحمد وابن أبى الدنيا والطبرانى .

(١٠٤) رواه الحاكم . (١٠٥) رواه مالك .

(١٠٦) رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى .

(١٠٧) رواه الحاكم . (١٠٨) رواه البخارى .

(١٠٩) رواه الطبرانى .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه .. فان كان لابد فاعلا فليقل :
اللهم أحيى ما كانت الحياة خيرا لى .. وتوفنى اذا كانت الوفاة
خيرا لى » ..

* * *

* الصبر على موت الأولاد والأقارب والأحباب :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقف على حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه حين استشهد فنظر الى
منظر لم ينظر الى منظر أوجع للقلب منه — أو أوجع لقلبه منه —
ونظر اليه وقد مثل به فقال : « رحمة الله عليك ان كنت ما علمت
لوصولا للرحم ففعولا للخيرات والله لولا حزن من بعدك عليك يسرنى
أن أتركك حتى يحشرك الله من بطون السباع — أو كلمة نحوها —
أما والله على ذلك لأمثلن بسبعين كميتهك » ، فنزل جبريل عليه
السلام على محمد صلى الله عليه وسلم بهذه الآية وقرأ : « وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به » (١١٠) — الى آخر الآية — فكفر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأمسك عن ذلك (١١١) .

وعن مكحول رضى الله عنه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو معتمد على عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه وابراهيم
يجود بنفسه ، فلما مات دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له عبد الرحمن : أى رسول الله .. هذا الذى تنهى الناس عنه ،
متى يرك المسلمون تبكى بيكوا . قال : فلما سريت عنه عبرته قال :
« انما هذا رحم وان من لا يرحم لا يرحم ، انما ننهى الناس عن النياحة
وأن يندب الرجل بما ليس فيه » ، ثم قال : « لولا أنه وعد جامع
وسبيل مئتاء — أى مسلوك — وأن آخرنا لاحق بأولنا لوجدنا عليه
وجدا غير هذا وانا عليه لمحزونون .. تدمع العين ويحزن القلب ،
ولا نقول ما يسخط الرب .. وفضل رضاعه فى الجنة » (١١٢) .

(١١٠) النحل : ١٢٦

(١١١) أخرجه البزار والطبرانى .

(١١٢) أخرجه ابن سعد .

وعن أسامة بن زيد رضى الله عنه قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأرسلت اليه إحدى بناته تدعوه وتخبره أن صبيا لها في الموت فقال للرسول : « أرجع اليها فأخبرها أن الله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى فمرها فلتصبر ولتحتسب » • فعاد الرسول فقال : انها قد أقسمت لتأتينها • فقام النبي صلى الله عليه وسلم وقام معه سعد بن عباد ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب وزيد بن ثابت رضى الله عنهم ورجال ، وانطلقت معهم فرفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبي ونفسه تقعقع كأنها في شئ ففاضت عيناه فقال له سعد : ما هذا يا رسول الله ؟ قال : « هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وانما يرحم الله من عباده الرحماء » (١١٣) •

وعن خالد بن شمير رضى الله عنه قال : لما أصيب زيد بن حارثة رضى الله عنه أتاهم النبي صلى الله عليه وسلم قال : فجهشت بنت زينب في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم • • فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتحب • • فقال سعد بن عباد رضى الله عنه : يا رسول الله • • ما هذا ؟ ! قال : « هذا شوق الحبيب الى حبيبه » (١١٤) •

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « قبل النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن مظعون رضى الله عنه وهو ميت • • وهو يبكى وعيناه تذرفان » (١١٥) • •

وفي رواية لابن سعد أنها قالت : « فرأيت دموع النبي صلى الله عليه وسلم تسيل على خد عثمان بن مظعون » • • وعن أنس رضى الله عنه قال : مر النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكى عند قبر فقال : « اتقى الله واصبرى » فقالت : اليك عنى • • فانك لم تصب بمصيبتي ! — ولم تعرفه — فقيل لها : انه النبي صلى الله عليه وسلم • • فأتت باب النبي صلى الله عليه وسلم فلم تجد عنده بوابين • • فقالت : لم أعرفك • • فقال : « انما الصبر عند الصدمة الأولى » (١١٦) •

(١١٣) أخرجه أحمد والترمذى وابن ماجه وأبو داود •

(١١٤) رواه ابن سعد •

(١١٥) رواه الترمذى •

(١١٦) متفق عليه •

وعن القاسم بن محمد قال : رمى عبد الله بن أبي بكر رضى الله
عنهما بسهم يوم الطائف فانتقضت به بعد وفاة رسول الله صلى الله
عليه وسلم بأربعين ليلة فمات فدخل أبو بكر على عائشة رضى الله
عنها فقال : أى بنية .. والله لكأنما أخذ بأذن شاة فأخرجت من دارنا •
فقلت : الحمد لله الذى ربط على قلبك وعزم لك على رشدك • فخرج
ثم دخل فقال : أى بنية .. أتخافون أن تكونوا دفنتم عبد الله وهو
حى ؟ فقلت : انا لله وانا اليه راجعون يا أبت •

فقال : أستعيز بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ..
أى بنية .. انه ليس أحد الا وله لمتان لمة من الملك ولة من الشيطان •
قال : فقدم عليه وفد ثقيف ولم يزل ذلك السهم عنده فأخرجه اليهم
فقال : هل يعرف هذا السهم منكم أحد ؟ فقال سعد بن عبيد أخو
بنى العجلان : هذا سهم أنا بريته ورشته وعقبته وأنا رميت به ،
فقال أبو بكر : فان هذا السهم الذى قتل عبد الله بن أبي بكر فالحمد لله
الذى أكرمه بيدك ولم يهنك بيده فانه واسع الحمى (١١٧) •

وعن عمر بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب رضى الله عنه قال :
كان عمر يصاب بالمصيبة فيقول : أصبت بزید بن الخطاب فصبرت •
وأبصر عمر رضى الله عنه قاتل أخيه زيد فقال له : ويحك .. لقد
قتلت لى أخا ما هبت الصبا الا ذكرته (١١٨) •

وعن أبى ذر رضى الله عنه أنه قيل له : انك امرؤ ما يبقى لك
ولد ، فقال : الحمد لله الذى يأخذهم من دار الفناء ويدخرهم فى دار
البقاء (١١٩) •

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : مات ابن لأبى طلحة من
أم سليم فقالت لأهلها : لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه ..
فجاء فقربت اليه عشاء فأكل وشرب .. ثم تصنعت له أحسن ما كانت
تصنع قبل ذلك .. فوقع بها ..

فلما أن رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت : يا أبا طلحة ..
أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت .. فطلبوا عاريتهم ..
ألهم أن يمنعوهم ؟ قال : لا .. قالت : فاحتسب ابنك ..

(١١٧) رواه الحاكم والبيهقى • (١١٨) رواه الحاكم والبيهقى •

(١١٩) رواه أبو نعيم •

قال : فغضب ثم قال : تركتني حتى اذا تلطخت ثم أخبرتنى
بأبني .. فانطلق حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره
بما كان .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بارك الله في
ليلتكما » ..

قال : فحملت ، قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في
سفر وهي معه .. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى المدينة
من سفر لا يطرقتها طروقا .. غدنوا من المدينة فضربها المخاض ..
فاحتبس عليها أبو طلحة .. وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ..
قال : يقول أبو طلحة : انك لتعلم يا رب أنه يعجبني أن أخرج
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج .. وأدخل معه اذا دخل ..
وقد احتبست بما ترى ..

تقول أم سليم : يا أبا طلحة .. ما أجد الذي كنت أجد ..
انطلق .. فانطلقا .. وضربها المخاض حين قدمت فولدت غلاما ..
فقال لي : يا أنس .. لا يرضعه أحد حتى تغدو به على رسول الله
صلى الله عليه وسلم .. فلما أصبح احتملته فانطلقت به الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم (١٢٠) .

وفي رواية : « فقال لي أبو طلحة : احمله حتى تأتى به النبي
صلى الله عليه وسلم ، وبعث معه بتمرات .. فقال : « أمعه شيء » ؟
قلت : نعم .. تمرات .. فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم فمضغها
ثم أخذها من فيه فجعلها في في الصبي .. ثم حنكه وسماه عبد الله » .

* * *

* الصبر على الفقر والجوع :

روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال : « اللهم أحييني مسكينا .. وأمتني مسكينا .. واحشرنى
في زمرة المساكين يوم القيامة » .. فقالت عائشة : لم يا رسول الله ؟
قال : انهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا .. يا عائشة
.. لا تردى مسكينا ولو بشق تمره .. يا عائشة .. أحببى المساكين
وقربهم فان الله يقربك يوم القيامة » (١٢١) .

(١٢١) رواه الترمذى .

(١٢٠) رواه مسلم .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يجتمعون يوم القيامة .. فيقال : أين فقراء هذه الأمة ؟ قال : فيقال لهم : ماذا عملتم ؟ فيقولون : ربنا ابتلينا فصبرنا .. ووليت السلطان والأموال غيرنا .. فيقول الله جل وعلا : صدقتم . قال : فيدخلون الجنة قبل الناس وتبقى شدة الحساب على ذوى الأموال والسلطان .. قالوا : فأين المؤمنون يومئذ ؟ قال : توضع لهم كراسى من نور وتظل عليهم الغمام .. يكون ذلك اليوم أقصر على المؤمنين من ساعة من نهار » (١٢٢) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « التقى مؤمنان على باب الجنة .. مؤمن غنى ومؤمن فقير كانا في الدنيا .. فأدخل الفقير الجنة وحبس الغنى ما شاء الله أن يحبس .. ثم أدخل الجنة .. فلقبه الفقير فقال : يا أخى .. ماذا حبسك ؟ والله لقد حبست حتى خفت عليك .. فيقول : يا أخى .. انى حبست بعدك محبسا فظيعا كريها .. ما وصلت اليك حتى سال منى من العرق ما لو ورده ألف بعير كلها أكلة حمض النبات لصدرت عنه رواء » (١٢٣) .

وعن أبى أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهباً .. قلت : لا يا رب .. ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً — أو قال : ثلاثاً أو نحو هذا — فإذا جعت تضرعت اليك وذكرتك .. وإذا شبعت شكرتك وحمدتك » (١٢٤) .

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : أستم فى طعام وشراب ما شئتم ؟ .. لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم وما يجد من الدقل — أى أردأ التمر — ما يملأ بطنه ..

وفى رواية لمسلم عنه قال : لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يظل اليوم يتلوى — أى يضطرب من الجوع — ما يجد من الدقل ما يملأ بطنه (١٢٥) ..

(١٢٢) رواه الطبرانى وابن حبان .

(١٢٣) رواه أحمد . (١٢٤) رواه الترمذى .

(١٢٥) رواه أحمد ومسلم والترمذى .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلى جالسا .. فقلت : يا رسول الله .. أراك تصلى جالسا فما أصابك ؟ قال : « الجوع يا أبا هريرة » فبكيت .. فقال : « لا تبك يا أبا هريرة فان شدة الحساب يوم القيامة لا تصيب الجائع اذا احتسب في دار الدنيا » (١٢٦) ..

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : أرسل إلينا آل أبي بكر — رضى الله عنه — بقائمة شاة ليلا .. فأمسكت وقطع النبي صلى الله عليه وسلم — أو قالت : فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطعت : فتقول للذى تحدثه : هذا على غير مصباح . فقال : يا أم المؤمنين .. على غير مصباح ؟ قالت : لو كان عندنا دهن غير مصباح لأكلناه (١٢٧) . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : ان كان ليمر بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم الأهله ما يسرج في بيت أحد منهم سراج ولا يوقد فيه نار .. ان وجدوا فيه زيتا ادهنوا به .. وان وجدوا ودكا — أى دهنًا — أكلوه (١٢٨) .

وفي رواية لأحمد قال : كان يمر بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم هلال ثم هلال .. لا يوقد في بيوتهم شيء من النار .. لا لخبز ولا لطبخ .. قالوا : بأى شيء كانوا يعيشون يا أبا هريرة ؟ قال : الأسودان : التمر والماء .. وكان لهم جيران من الأنصار — جزاهم الله خيرا — لهم منائح يرسلون اليهم شيئا من لبن ..

وعن عروة عن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تقول : والله يا ابن أختي ، ان كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين ، وما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار . قلت : يا خالة .. فما كان يعيشكم ؟ قالت : الأسودان : التمر والماء ، الا أنه قد كان لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — جيران من الأنصار وكانت لهم منائح ، فكانوا يرسلون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها فيسقيناه (١٢٩) .

(١٢٦) أخرجه أبو نعيم والخطيب وابن عساكر .

(١٢٧) أخرجه أحمد . (١٢٨) أخرجه أبو يعلى .

(١٢٩) أخرجه الشيخان ، والمنائح جمع منيحة .. وأصلها شاة أو

بقرة أو ناقة تجعل لبنها لغيرك ينتفع به ثم ترد اليك .

وعن مسروق قال : دخلت على عائشة رضى الله عنها فدعت لى
بطعام فقالت : ما أشبع فأشاء أن أبكى الا بكيت .. قلت : لم ؟
قالت : أذكر الحال التى فارق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
الدنيا .. والله ما شبع من خبز ولحم مرتين فى يوم ..

وعن ابن جرير عنها قالت : ما شبع رسول الله صلى الله عليه
وسلم من خبز بر ثلاثة أيام تباعا .. منذ قدم المدينة حتى مضى
لسبيله ..

وعن أنس رضى الله عنه قال : لم يأكل النبى صلى الله عليه وسلم
على خوان .. ولم يأكل خبزا مرققا حتى مات (١٣٠) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يبيت الليالى المتتابعة وأهله طاويا — أى جائعا — لا يجدون
عشاء .. وانما كان أكثر خبزهم الشعير (١٣١) ..

ويروى أن أبا هريرة رضى الله عنه مر بقوم بين أيديهم شاة
مصلية — أى مشوية — فدعوه فأبى أن يأكل .. وقال : خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير (١٣٢) ..

وعن أنس رضى الله عنه قال : ان فاطمة رضى الله عنها ناولت
النبى صلى الله عليه وسلم كسرة من خبز الشعير .. فقال لها : « هذا
أول طعام أكله أبوك منذ ثلاثة أيام » (١٣٣) .

وأخرجه الطبرانى وزاد : « فقال : ما هذه ؟ فقالت : قرص
خبزته فلم تطب نفسى حتى أتيتك بهذه الكسرة .. فقال — فذكر
الحديث » ..

وعن أبى طلحة رضى الله عنه قال : شكونا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الجوع .. ورفعنا ثيابنا عن حجر على بطوننا .. فرفع
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين (١٣٤) .

وعن ابن بجير رضى الله عنه — وكان من أصحاب النبى صلى الله
عليه وسلم — قال : أصاب النبى صلى الله عليه وسلم جوع يوما ..
فعمد الى حجر فوضعه على بطنه ثم قال : « ألا رب نفس طاعمة ناعمة

(١٣٠) أخرجه البخارى . (١٣١) أخرجه الترمذى .

(١٣٢) أخرجه البخارى والترمذى .

(١٣٣) أخرجه أحمد . (١٣٤) أخرجه الترمذى .

في الدنيا .. جائعة عارية يوم القيامة .. ألا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين .. ألا رب مهين لنفسه وهو لها مكرم » (١٣٥) ..

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : خرج أبو بكر رضي الله عنه بالهاجرة الى المسجد .. فسمع عمر رضي الله عنه فقال : يا أبا بكر .. ما أخرجك هذه الساعة ؟ قال : ما أخرجني الا ما أجد من حاق الجوع — أي شدته — قال : وأنا والله ما أخرجني غيره ..

فبينما هما كذلك اذ خرج عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ما أخرجكما هذه الساعة » ؟ قالا : والله ما أخرجنا الا ما نجده في بطوننا من حاق الجوع .. قال : « وأنا والذي نفسى بيده ما أخرجني غيره .. فقوموا » ..

فانطلقوا فأتوا باب أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وكان أبو أيوب يدخر لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما كان أو لبنا .. فأبطأ عليه يومئذ فلم يأت لحينه فأطعمه لأهله وانطلق الى نخله يعمل فيه .. فلما انتهوا الى الباب خرجت امرأته فقالت : مرحبا بنبي الله صلى الله عليه وسلم وبمن معه .. فقال لها نبي الله صلى الله عليه وسلم : « أين أبو أيوب » ؟ فسمعه — وهو يعمل في نخل له — فجاء يشتد فقال : مرحبا بنبي الله صلى الله عليه وسلم وبمن معه ، يا نبي الله .. ليس بالحين الذي كنت تجيء فيه .. فقال صلى الله عليه وسلم : « صدقت » ..

قال : فانطلق فقطع عذقا من النخل فيه من كل التمر والرطب والبسر .. فقال صلى الله عليه وسلم : « ما أردت الى هذه ؟ ألا جنيت لنا من تمره » ؟ قال : يارسول الله .. أحببت أن تأكل من تمره ورطبه وبسره ولاذبحن لك مع هذا .. قال : « ان ذبحت فلا تذبحن ذات در » فأخذ عناقا أو جديا فذبحه ، وقال لامرأته : اخبزي واعجني لنا وأنت أعلم بالخبز ..

فأخذ نصف الجدي فطبخه وشوى نصفه .. فلما أدرك الطعام ووضع بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أخذ من الجدي فجعله في رغيف وقال : « يا أبا أيوب .. أبلغ بهذا فاطمة — رضي الله عنها — فانها لم تصب مثل هذا منذ أيام » .. فذهب أبو أيوب الى فاطمة ..

فلما أكلوا وشبعوا قال النبي صلى الله عليه وسلم : « خبز ، ولحم ، وتمر ، وبسر ، ورطب — ودمعت عيناه ، والذي نفسى بيده ، ان هذا هو النعيم الذى تسئلون عنه يوم القيامة » فكبر ذلك على أصحابه فقال : « بل اذا أصبتم مثل هذا فضربتم بأيديكم فقولوا : بسم الله ، فاذا شبعتم فقولوا : الحمد لله الذى أشبعنا وأنعم فأفضل ، فان هذا كفاف بهذا » •

فلما نهض قال لأبى أيوب : « اثنتا غدا » وكان لا يأتى أحد اليه معروفا الا أحب أن يجازيه • قال : وان أبنا أيوب لم يسمع ذلك ، فقال عمر رضى الله عنه : ان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر أن تأتية غدا • فأتاه من الغد فأعطاه وليدة ، فقال : « يا أبنا أيوب استوص بها خيرا ، فاننا لم نر الا خيرا ما دامت عندنا » فلما جاء بها أبو أيوب من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا أجد لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا له من أن أعتقها ، فأعتقها (١٣٦) •



وعن فاطمة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه يوما فقال : « أين ابنائى » — يعنى حسنا وحسينا رضى الله عنهما — قالت : أصبحنا وليس فى بيتنا شيء يذوقه ذائق • فقال على رضى الله عنه : أذهب بهما فانى أتخوف أن ييكيأ عليك وليس عندك شيء ، فذهب الى فلان اليهودى • فتوجه اليه النبي صلى الله عليه وسلم فوجداهما يلعبان فى شربة بين أيديهما فضل من تمر • فقال : « يا على •• ألا تقلب ابنى قبل أن يشدد الحر » ؟ قال : أصبحنا وليس فى بيتنا شيء ، فلو جلست يا رسول الله ، حتى أجمع لفاطمة فضل تمرات • فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اجتمع لفاطمة فضل من تمر ، فجعله فى خرقة ثم أقبل ، فحمل النبي صلى الله عليه وسلم أحدهما وعلى الآخر حتى أكلتهما (١٣٧) •

(١٣٦) أخرجه الطبرانى وابن حبان •

(١٣٧) أخرجه الطبرانى — والشربة بفتح الراء : حوض يكون فى أصل النخلة وحولها يملا ماء لشربها •

وعن عطاء رضى الله عنه قال : نبئت أن عليا رضى الله عنه قال :
مكثنا أياما ليس عندنا شيء ولا عند النبي صلى الله عليه وسلم فخرجت
فاذا أنا بدينار مطروح على الطريق فمكثت هنيهة أوامر نفسي في أخذه
أو تركه ، ثم أخذته لما بنا من الجهد • فأتيت به الضفاطين - الذين
يجلبون الميرة والطعام الى المدن - فاشتريت به دقيقا ثم أتيت به
فاطمة - رضى الله عنها - فقلت : اعجنى واخبزى • فجعلت تعجن
وان قصتها - أى شعر ناصيتها - لتضرب حرف الجفنة من الجهد
الذى بها - ثم خبزت فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته •
فقال : « كلوه فانه رزق رزقكموه الله عز وجل » (١٣٨) •

وعن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت : كنت مرة في
أرض أقطعها النبي صلى الله عليه وسلم لأبى سلمة والزبير - رضى
الله عنهما - في أرض بنى النضير • فخرج الزبير مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولنا جار من اليهود ، فذبح شاة فطبخت ، فوجدت
ريحها فدخلنى ما لم يدخلنى من شيء قط ، وأنا حامل بابنتى خديجة
فلم أصبر ، فانطلقت فدخلت على امرأة اليهودى أقتبس منها نارا
لعلها تطعمنى ، وما بى من حاجة الى النار • فلما شممت الريح ورأيت
ازددت شرها فأطفأته ، ثم جئت ثانيا أقتبس ، ثم ثالثة ، ثم قعدت
أبكى وأدعو الله • فجاء زوج اليهودية فقال : أدخل عليكم أحد ؟
قالت : العربية تقتبس نارا • قال : فلا آكل منها أبدا أو ترسلنى اليها
منها • فأرسل الى بقدحة - يعنى غرفة - فلم يكن شيء في الأرض
أعجب الى من تلك الأكلة (١٣٩) •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : خرجت يوما من بيتى
الى المسجد لم يخرجنى الا الجوع ، فوجدت نفرا من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا أبا هريرة • ما أخرجك هذه الساعة ؟
فقلت : ما أخرجنى الا الجوع • فقالوا : نحن - والله - ما أخرجنا
الا الجوع • فقمنا فدخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم •
فقال : « ما جاء بكم هذه الساعة » ؟ فقلنا : يا رسول الله • جاء بنا

(١٣٩) أخرجه الطبرانى •

(١٣٨) أخرجه هناد •

الجوع . قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بطبق فيه تمر فأعطى كل رجل منا تمرتين فقال : « كلوا هاتين التمرتين واشربوا عليهما من الماء ، فانهما ستجزيانكم يومكم هذا » قال أبو هريرة : فأكلت ثمرة وجعلت ثمرة في حجزتى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا هريرة .. لم رفعت هذه الثمرة » ؟ فقلت : رفعتها لأمى ، فقال : « كلها ، فانا سنعطيك لها تمرتين » فأعطاني لها تمرتين (١٤٠).

* * *

* الصبر على الأذى في سبيل الله :

وكما تحمل الرسول صلى الله عليه وسلم الشدائد في سبيل دعوته .. فقد لاقى صحابته الأهوال في سبيل عقيدتهم ودينهم .. فما وهنوا وما استكانوا .. بل تحملوا صابرين حتى نصرهم الله .. وجعلهم أئمة يهتدى الناس بهم .. فرضى الله عنهم ورضوا عنه ..

عن حكيم عن سعيد بن جبير قال : قلت لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم ؟ قال : نعم .. والله ان كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوى جالسا من شدة الضر الذى به حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة ، حتى يقولوا له : اللات والعزى الهان من دون الله ؟ فيقول : نعم ، افتداء منهم بما يبلغون من جهدهم (١٤١) .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : أول من أظهر الاسلام سبعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمار وأمه سمية ، وصهيب ، وبلال ، والمقداد — رضى الله عنهم — فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه ، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد وصهروهم في الشمس ، فما منهم من أحد الا وقد أتاهاهم على ما أرادوا الا بلالا فإنه هانت عليه نفسه في الله ، وهان على قومه ، فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول : أحد أحد (١٤٢) .

(١٤٠) أخرجه ابن سعد . (١٤١) أخرجه ابن اسحاق .

(١٤٢) أخرجه أحمد وابن ماجه .

وعن عروة بن الزبير رضى الله عنهما قال : كان بلال لجارية من بنى جمح وكانوا يعذبونه برمضاء مكة يلصقون ظهره بالرمضاء لكى يشرك . فيقول : أحد أحد ، فيمر به ورقة — وهو على تلك الحال — فيقول : أحد أحد يا بلال . والله لئن قتلتموه لأتخذنه حنانا (١٤٣) .

وأخرج الحاكم عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بياسر وعمار وأم عمار وهم يؤذون فى الله تعالى ، فقال لهم : « صبرا يا آل ياسر ، صبرا يا آل ياسر فان موعدكم الجنة » .

ورواه ابن الكلبي عن ابن عباس رضى الله عنهما نحوه — وزاد : وعبد الله بن ياسر : وزاد : وطعن أبو جهل سمية فى قبلها فماتت ، ومات ياسر فى العذاب ، ورمى عبد الله فسقط .

وعند أحمد : عن مجاهد قال : أول شهيد كان فى أول الاسلام استشهد أم عمار « سمية » طعنها أبو جهل بحربة فى قبلها .

وعن أبى عبيدة بن محمد بن عمار قال : أخذ المشركون عمارا رضى الله عنه فلم يتركوه حتى سب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر آلهتهم بخير . فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما وراءك » ؟ قال : شرياً رسول الله ، ما تركت حتى نلت منك وذكر آلهتهم بخير . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فكيف تجد قلبك » ؟ قال : أجد قلبى مطمئناً بالايمان . قال : « فان عادوا فعد » .

وعن محمد بن عمار أن النبى صلى الله عليه وسلم لقي عمارا وهو يبكى ، فجعل يمسح عن عينيه وهو يقول : « أخذك الكفار فغطوك فى الماء .. فقلت كذا وكذا ؟ فان عادوا فقل ذاك لهم » (١٤٤) .

وعن الأشعبي قال : سأل عمر رضى الله عنه بلالا عما لقي من المشركين . فقال خباب : يا أمير المؤمنين .. انظر الى ظهري ، فقال عمر : ما رأيت كاليوم ، قال : أوقدوا لى ناراً فما أطفأها الا ودك ظهري (١٤٥) .

(١٤٣) أخرجه الزبير بن بكار .

(١٤٤) أخرجهما أبو نعيم فى الحلية .

(١٤٥) أخرجه أبو نعيم .

وعن أبي ليلى الكندي قال : جاء خباب بن الأرت الى عمر
— رضى الله عنهما — فقال : ادنه ، فما أحد أحق بهذا المجلس منك
الا عمار بن ياسر ، فجعل خباب يريه آثارا في ظهره مما عذبه
المشركون (١٤٦) .

وعن أبي ذر رضى الله عنه قال : أقمت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمكة فعلمنى الاسلام وقرأت من القرآن شيئا ، فقلت :
يا رسول الله .. انى أريد أن أظهر دينى ، فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « انى أخاف عليك أن تقتل » قلت : لا بد منه وان قتلت ،
قال : فسكت عنى ، فجئت — وقريش حلقا يتحدثون فى المسجد —
فقلت : أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، فانقضت الحلق
فقاموا فضربونى حتى تركونى كأنى نصب أحمر ، وكانوا يرون أنهم
قد قتلونى ، فأفقت فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى
ما بى من الحال فقال لى : « ألم أنك » ؟ فقلت : يا رسول الله ..
كانت حاجة فى نفسى فقضيتها ، فأقمت مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فقال : « الحق بقومك فاذا بلغك ظهورى فأتنى » . وأخرج
أبو نعيم أيضا عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر رضى الله عنهما قال :
أتيت مكة فمال على أهل الوادى بكل مدرة وعظم ، فخررت مغشيا
على ، فارتفعت حين ارتفعت كأنى نصب أحمر (١٤٧) .

وعن محمد العبدري عن أبيه قال : كان مصعب بن عمير فتى مكة
شبابا وجمالا وسبييا ، وكان أبواه يحباناه ، وكانت أمه مليئة ، كثيرة
المال تكسوه أحسن ما يكون من الثياب وأرقه ، وكان أعطر أهل
مكة ، يلبس الحضرمى من النعال . فكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يذكره ويقول : « ما رأيت بمكة أحسن لمة ، ولا أرق حلة ،
ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير » . فبلغه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم يدعو الى الاسلام فى دار أرقم بن أبى الأرقم ، فدخل
عليه فأسلم وصدق به ، وخرج فكتم اسلامه خوفا من أمه وقومه .
فكان يختلف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سرا ، فبصر به
عثمان بن طلحة يصلى فأخبر أمه وقومه . فأخذوه فحبسوه ، فلم

(١٤٦) أخرجه أبو نعيم وابن سعد وابن أبى شيبة .

(١٤٧) أخرجه الحاكم والطبرانى وأبو نعيم .

يزل محبوسا ، حتى خرج الى أرض الحبشة في الهجرة الأولى ، ثم رجع مع المسلمين حين رجعوا ، فرجع متغير الحال قد حرج — يعنى يغلظ — فكفت أمه عنه من العذل (١٤٨) .

* * *

أرأيتم يا من ورثتم الاسلام سهلا هينا .. كيف تحمل أسلافكم الشدائد .. وصبروا على الصعاب حتى أورثوكموه دينا قويا متينا .. يحمل لأتباعه العزة والكرامة .. فهلا حافظتم عليه ؟ !
وهل أنتم مستعدون لتحمل ما تحمله أسلافكم — اذا جد الجد — في سبيل اعلاء كلمة الله .. وجعل الاسلام في مكانته اللائقة ؟

* * *

* الصبر على هوى النفس :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليس الشديد بالصرعة .. انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » (١٤٩) .

وعن معاذ بن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه .. دعاه الله سبحانه وتعالى على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين ما شاء » (١٥٠) .

وعن سليمان بن صرد رضى الله عنه قال : كنت جالسا مع النبى صلى الله عليه وسلم ، ورجلان يستبان وأحدهما قد احمر وجهه وانتفخت أوداجه .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انى لأعلم كلمة لو قالها هذا لذهب عنه ما يجد .. لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. ذهب عنه ما يجد » فقالوا له : ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : تعوذ بالله من الشيطان الرجيم (١٥١) .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : لما كان يوم حنين أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا فى القسمة .. فأعطى الأقرع ابن حابس مائة من الابل .. وأعطى عيينة بن حصن مثل ذلك ..

(١٤٨) أخرجه ابن سعد . (١٤٩) متفق عليه .

(١٥٠) رواه أبو داود والترمذى .

(١٥١) متفق عليه .

وأعطى ناسا من أشرف العرب وآثرهم يومئذ في القسمة [يتألف قلوبهم] فقال رجل : والله ان هذه قسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله .. فقلت : والله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأتيته فأخبرته بما قال .. فتغير وجهه حتى كان كالصرف .. ثم قال : « فمن يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله » ؟ ثم قال : « يرحم الله موسى .. قد أودى بأكثر من هذا فصبر » .. فقلت : لا جرم لا أرفع اليه بعدها حديثا (١٥٢) ..

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قدم عيينة بن حصن فنزل على ابن أخيه البحر بن قيس .. وكان من النفر الذين يدينهم عمر رضى الله عنه .. وكان القراء أصحاب مجلس عمر رضى الله عنه ومشاورته كهولا كانوا أو شبانا .. فقال عيينة لابن أخيه : يا ابن أخى .. لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لى عليه .. فاستأذن فأذن له عمر .. فلما دخل قال : هيه يا ابن الخطاب .. فوالله ما تعطينا الجزل .. ولا تحكم فينا بالعدل .. فغضب عمر رضى الله عنه حتى هم أن يوقع به .. فقال له الحر : يا أمير المؤمنين .. ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » (١٥٣) .. وان هذا من الجاهلين .. فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها .. وكان وقافا عند كتاب الله تعالى (١٥٤) .

* * *

(١٥٢) متفق عليه — والصرف — بكسر الصاد — : صبغ أحمر .
(١٥٣) الأعراف : ١٩٩ (١٥٤) رواه البخارى .

صبر أيوب عليه السلام^(١)

ما ذكر الصبر .. الا وذكر أيوب عليه السلام .. ونقد قصص الله تعالى لنا ما كان من أمره ليكون عظة لنا وعبرة .. وأسوة نتأسى بها ..

يقول الله تعالى : « وأيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين . فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر ، وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين »^(٢) .

ويقول جل شأنه : « واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب . اركض برجلك ، هذا مغتسل بارد وشراب . ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولى الألباب . وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنت ، انا وجدناه صابرا ، نعم العبد ، انه أواب »^(٣) .

وهو أيوب بن موص بن رزاح بن العيص بن اسحاق بن ابراهيم الخليل عليه السلام .. وكان رجلا من الروم ..

ويقال ان أمه بنت لوط عليه السلام والمشهور الأول .. أما امرأته فيقال ان اسمها « ليا » بنت يعقوب .. ويقال « رحمة بنت أفراثيم » .. وقيل : « ليا بنت منسا بن يعقوب عليه السلام » ..

وهو من الأنبياء المنصوص على الايحاء اليهم .. يقول الله تعالى : « انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب »^(٤) .



(١) انظر قصص الأنبياء للإمام ابن كثير ص ٢٦٧

(٢) سورة ص : ٤١ — ٤٤

(٣) الأنبياء : ٨٣ ، ٨٤

(٤) النساء : ١٦٣

يقول علماء التفسير والتاريخ وغيرهم : كان أيوب رجلا كثير المال
من سائر صنوفه وأنواعه ، من الأنعام والعبيد والمواشي ، والأراضي
المتسعة بأرض الثنية من أرض حوران • وحكى ابن عساكر : أنها
كلها كانت له • وكان له أولاد وأهلون كثير •

فغلب منه ذلك جميعه ، وابتلى في جسده بأنواع من البلاء لم
ييق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه ، يذكر الله عز وجل بهما •
وهو في ذلك كله صابر محتسب ، ذاكر لله عز وجل في ليله ونهاره
وبصباحه ومساءه •

وطال مرضه حتى عافه الجليس ، وأوحش منه الأنيس ، وأخرج
من بلده وألقى على مزبلة خارجها ، وانقطع عنه الناس ، ولم يبق أحد
يحنو عليه سوى زوجته ، كانت ترعى له حقه ، وتعرف قديم احسانه
اليها وشفقتة عليها • فكانت تتردد اليه فتصلح من شأنه ، وتعيّنه
على قضاء حاجته • وتقوم بمصلحته • وضعف حالها وقل مالها حتى
كانت تخدم الناس بالأجر ، لتطعمه وتقوم بأوده ، رضى الله عنها
وأرضاه ، وهي صابرة معه على ما حل بهما من فراق المال والوند ،
وما يختص بها من المصيبة بالزوج ، وضيق ذات اليد وخدمة الناس ،
بعد السعادة والنعمة والخدمة والحرمة • فانا لله وانا اليه راجعون •

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الصالحون ، ثم الأمثل فالأمثل »
وقال : « يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلابة زيد
في بلائه » •

ولم يزد هذا كله أيوب عليه السلام الا صبرا واحتسابا وحمدا
وشكرا حتى ان المثل ليضرب بصبره عليه السلام ، ويضرب المثل أيضا
بما حصل له من أنواع البلاء •

وعن مجاهد أنه قال : كان أيوب عليه السلام أول من أصابه
الجدري ••

واختلفوا في مدة بلواه على أقوال : فزعم وهب أنه ابتلى
ثلاث سنين لا تزيد ولا تنقص • وقال أنس : ابتلى سبع سنين وأشهرا ،
وألقي على مزبلة لبني إسرائيل تختلف الدواب في جسده حتى فرج
الله عنه وأعظم له الأجر وأحسن الثناء عليه • وقال حميد : مكث

في بلواه ثمانى عشرة سنة ، وقال السدى : تساقط لحمه حتى لم يبق الا العظم والعصب ، فكانت امرأته تأتية بالرماد تفرشه تحته ، فلما طال عليها ، قالت : يا أيوب .. لو دعوت ربك لفرج عنك ، فقال : قد عشت سبعين سنة صحيحا ، فهل قليل له أن أصبر له سبعين سنة ؟ فجزعت من هذا الكلام ، وكانت تخدم الناس بالأجر وتطعم أيوب عليه السلام .

ثم ان الناس لم يكونوا يستخدمونها ، لعلمهم أنها امرأة أيوب ، خوفا أن ينالهم من بلائه أو تعديهم بمخالطته ، فلما لم تجد أحدا يستخدمها ، عمدت فباعت لبعض بنات الأشراف إحدى ضفيريها بطعام طيب كثير ، فأنتت به أيوب ، فقال : من أين لك هذا ؟ وأنكره ، فقالت : خدمت به أناسا . فلما كان الغد لم تجد أحدا فباعت الضفيرة الأخرى بطعام فأنتت به ، فأنكره وحلف لا يأكله حتى تخبره من أين لها هذا الطعام ؟ فكشفت عن رأسها خمارها ، فلما رأى رأسها مخلوقا قال في دعائه : رب « انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين » .

وعن أنس بن مالك — فيما رواه ابن أبى حاتم — أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان نبى الله أيوب لبث في بلائه ثمانى عشرة سنة .. فرفضه القريب والبعيد .. الا رجلين من اخوانه كانا من أخص اخوانه له .. كانا يغدوان اليه ويروحان .. فقال أحدهما لصاحبه : تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين .. قال صاحبه : وما ذاك ؟ قال : منذ ثمانى عشرة سنة لم يرحمه ربه فيكشف ما به .. فلما راحا اليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له .. فقال أيوب : لا أدري ما تقول ؟ غير أن الله عز وجل يعلم أنى كنت أمر على الرجلين يتنازعان .. فيذكران الله فأرجع الى بيتى فأكفر عنهما .. كراهية أن يذكر الله الا فى حق .. »

قال : وكان يخرج فى حاجته .. فاذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يرجع .. فلما كان ذات يوم أبطأت عليه .. فأوحى الله تعالى الى أيوب فى مكانه : أن « اركض برجلك ، هذا مغتسل بارد وشراب » .. فاستبطأته فتلقته تنتظر .. وأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء .. وهو أحسن ما كان .. فلما رآته قالت : أى بارك الله فيك .. هل رأيت نبى الله هذا المبتلى ؟ .. فوالله القدير على ذلك ما رأيت رجلا أشبه به منك اذ كان صحيحا .. قال : فانى أنا هو !!

قال : وكان له أندران — أى بيدران — أندر للقمح وأندر للشعير
•• فبعث الله سحابتين •• فلما كانت أحدهما على أندر القمح أفرغت
فيه الذهب حتى فاض •• وأفرغت الأخرى فى أندر الشعير الورق
— أى الفضة — حتى فاض ••

وعن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة ، قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينما أيوب يغتسل عريانا خر
عليه رجل جراد من ذهب ، فجعل أيوب يحثى فى ثوبه • فناداه ربه
عز وجل : يا أيوب •• ألم أكن أغنيك عما ترى ؟ قال : بلى يا رب ،
ولكن لا غنى لى عن بركتك » •

وقوله تعالى : « اركض برجلك » أى اضرب الأرض برجلك ،
فامتثل ما أمر به • فأنبع الله له عينا باردة الماء ، وأمر أن يغتسل
فيها ويشرب منها ، فأذهب الله عنه ما كان يجده من الألم والأذى ،
والسقم والمرض ، الذى كان فى جسده ظاهرا وباطنا ، وأبدله الله
بعد ذلك كله صحة ظاهرة وباطنة ، وجمالا تاما ومالا كثيرا ، حتى صب
له من المال صبا ، مطرا عظيما جرادا من ذهب •

وأخلف الله له أهله ، كما قال تعالى : « وآتيناه أهله ومثلهم معهم »
فقيل أحياهم الله بأعيانهم ، وقيل آجره فيمن سلف ، وعوضه عنهم
فى الدنيا بدلهم وجمع له شمله بكلهم فى الدار الآخرة ، وقوله :
« رحمة من عندنا » أى رفعنا عنه شدته ، وكشفنا ما به من ضر ،
رحمة منا ورأفة وإحسانا • « وذكرى للعابدين » أى تذكرة لمن ابتلى
فى جسده أو ماله أو ولده ، فله أسوة بنبي الله أيوب ، حيث ابتلاه
الله بما هو أعظم من ذلك فصبر واحتسب حتى فرج الله عنه •

ومن فهم من هذا اسم امرأته فقال : هى « رحمة » من هذه
الآية فقد أبعد النجعة وأغرق النزع • وقال الضحاك عن ابن عباس :
رد الله اليها شبابها وزادها حتى ولدت له ستة وعشرين ولدا ذكرا •



وعاش أيوب بعد ذلك سبعين سنة بأرض الروم على دين الحنيفية
ثم غيروا بعده دين إبراهيم •

وقوله تعالى : « وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنت ، انا وجدناه صابرا ، نعم العبد ، انه اواب » هذه رخصة من الله تعالى لعبده ورسوله أيوب عليه السلام ، فيما كان من حلفه ليضربن امرأته مائة سوط . ففعل حلفه ذلك لبيعها ضفائرها ، وقيل لأنه عارضها الشيطان في صورة طبيب يصف لها دواء لأيوب فأتته فأخبرته فعرف أنه الشيطان ، فحلف ليضربنها مائة سوط . فلما عافاه الله عز وجل أفاته أن يأخذ ضغثا وهو كالعثكال الذي يجمع الشماريخ ، فيجمعها كلها ويضربها به ضربة واحدة ، ويكون هذا منزلا منزلة الضرب بمائة سوط ويبر ولا يحنت .

وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله وأطاعه ، ولا سيما في حق امرأته الصابرة المحتسبة ، المكابدة الصديقة البارة الراشدة ، رضى الله عنها .

وقد ذكر ابن جرير وغيره من علماء التاريخ : أن أيوب عليه السلام لما توفي كان عمره ثلاثا وتسعين سنة ، وقيل انه عاش أكثر من ذلك .

وقد روى ليث عن مجاهد ما معناه : أن الله يحتج يوم القيامة بسليمان عليه السلام على الأغنياء ، وبيوسف عليه السلام على الأرقاء ، وبأيوب عليه السلام على أهل البلاء » رواه ابن عساکر بمعناه .



قال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه : « يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ، ان ذلك من عزم الأمور » .

وعزم الأمور . . هو الترام ما أمر الله به وعزم الناس عليه من مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال . . مما التزمه أهل الحزم السالكين طريق النجاة . .

فاقامة الصلاة . . من محافظة على أوقاتها . . وقيام بأركانها وواجباتها وسننها . . واتمام قيامها وركوعها وسجودها . . وتدبر معانيها والتلاوة فيها . . وحضور القلب والخشوع بين يدي الله تعالى . . من عزم الأمور . .

والزكاة مقرونة بالصلاة .. فعدم التفريق بين الصلاة والزكاة
.. وإيتاء الفقير والمسكين واليتيم والمحتاج حقه في مال الله الذي
استخف لناس فيه .. وعدم البخل والشح في أدائها .. من عزم
الأمر ..

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. والتزام الفضائل واجتناب
الرذائل .. بحسب الطاقة والجهد .. من عزم الأمور ..

والصبر على المكاره من مصائب وعلل وأمراض .. وفقد أحياء
وضياع مال .. وكذا الصبر على الطاعات والتمسك بأوامر الله والمحافظة
عليها بقدر الجهد والوسع .. من عزم الأمور ..

* * *

الفصل التاسع

الكِبَرُ.. والاختيال

- * ولا تصغر خدك للناس ..
- * في ذم الكبر والعجب .. وتقسيم آفات الكبر *
- * العجب والغرور *
- * علاج الكبر والعجب *
- * قصة قارون مع موسى عليه السلام *

ولا تصغر خدك للناس

قال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه : « ولا تصغر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا ، ان الله لا يحب كل مختال فخور • واقصد في مشيك واغضض من صوتك ، ان أنكر الأصوات لصوت الحمير » (١) •

و « الصعر » هو الميل •• يقال : أصاب البعير صعر وصيد •• اذا أصابه داء يلوى منه عنقه ••

ويقال للمتكبر : فيه صعر وصيد •• تشبيها له بالبعير المصعور ••
فالمعنى : لا تلزم خدك الصعر •• لأن المتكبر يميل خده للناس تكبرا عليهم •• واعجابا بنفسه •• واحتقارا لشأنهم ••
يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « يأتي على الناس زمان ليس فيهم الا أصعر أو أبتر » ••

فالأصعر في الحديث •• هو المعرض بوجهه كبرا •• وأراد بذلك أراذل الناس الذين لا دين لهم •• ولهذا يقول صلى الله عليه وسلم : « كل صعار ملعون » •• أى كل ذى أبهة وكبر ••

لذا نرى لقمان الحكيم يقول حين يعظ ابنه : لا تمل خدك للناس كبرا عليهم واعجابا بنفسك واحتقارا لشأنهم ••

وقيل : لا تعرض بوجهك عن الناس اذا كلمتهم أو كلموك •• احتقارا منك لشأنهم •• واستكبارا عليهم •• ولكن ألن لهم جانبك وابسط وجهك اليهم ••

جاء في الحديث الشريف : « ولو أن تلقى أخاك ووجهك منكب •• وأياك وأسبال الأزار •• فانها من المخيلة •• والمخيلة لا يحبها الله » ••

وعن ابن عباس رضى الله عنهما في هذه الآية : « يقول — لقمان — لا تتكبر فتحقر عباد الله وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك » ••

(١) لقمان : ١٨ ، ١٩

وقيل : لا تلوى شديقك اذا ذكر الرجل عندك كأنك تحتقره ..
بل أقبل على الناس متواضعا مؤنسا مستأنسا .. فاذا حدثك أصغرهم
خاصغ إليه حتى يكمل حديثه .. فكذاك كان يفعل الرسول صلى الله
عليه وسلم ..

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تباغضوا ..
ولا تدابروا .. ولا تحاسدوا .. وكونوا عباد الله اخوانا .. ولا يحل
لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث » ..

فالتدابير هو الاعراض وترك الكلام والسلام ونحوه .. وانما
قيل للاعراض تدابير .. لأن من أبغضته أعرضت عنه ووليته دبرك ..
وكذلك يصنع هو بك ..

ومن أحببته .. أقبلت عليه بوجهك وواجهته .. لتسره ويسرك ..
فمعنى التدابير موجود فيمن يصغر خده ..

وقيل : معناه : لا تمش في الأرض مختالا متكبرا .. جبارا
عنيدا .. حتى لا ييغضبك الله تعالى .. فان الله لا يحب كل مختال
معجب في نفسه فخور على غيره ..

عن ثابت بن قيس بن شماس رضى الله عنه قال : ذكر الكبر
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فشدد فيه .. فقال : « ان الله لا يحب
كل مختال فخور » فقال رجل من القوم : والله يا رسول الله .. انى
لأغسل ثيابى فيعجبني بياضها ويعجبني شراك نعلى وعلاقة سوطى ..
فقال صلى الله عليه وسلم : « ليس ذلك الكبر .. انما الكبر أن تسفه
الحق .. وتغبط الناس » ..

ثم يستمر لقمان في تقديم النصيح لابنه فيقول : « ولا تمش في
الأرض مرحا » .. أى متبخترا متكبرا ، « واقصد في مشيك » ..
بأن تمشى مشيا مقتصدا .. ليس بالبطيء المتثبط .. ولا بالسريع
المفرط .. بل ليكن مشيك عدلا وسطا بين بين .. « وانخفض من
صوتك » .. فلا تبالغ في كلامك .. ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة
فيه ..

ولهذا عقب فقال : « ان أنكر الأصوات لصوت الحمير » ..
فان نهيق الحمار من أقبح الأصوات .. وغاية من يرفع صوته أن
يتشبه بالحمار في علو صوته وارتفاعه ..

فضلا عن أن هذه الأفعال .. من تبختر في المشى .. والنشاط فيه من غير شغل وفي غير حاجة .. ورفع الصوت عند الكلام من الأمور التي يبغضها الله تعالى .. لأنها تلازم الفخر والخيلاء .. ولذا قال : « ان الله لا يحب كل مختال فخور » ..

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من جر ثوبه خيلاء .. لا ينظر الله اليه يوم القيامة » .. فالفخور هو الذي يعدد ما أعطى من نعم ثم لا يشكر الله تعالى على عطائه .. وفي تشبيه الصوت المرتفع بنهيق الحمار .. الإشارة الى كراهيته وذمه غاية الذم .. فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله .. واذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان .. فانها رأت شيطانا » ..

والخلاصة .. ان التصعر : بامالة الخد .. ولوى الشدق .. والاعراض عن الناس .. والتدابير لهم واحتقار شأنهم .. من الكبر .. فالكبر هو الفخر والعجب .. وهو الخيلاء والتهيه .. وهى كلها صفات للخلال المرذولة التي يمقتها الله تعالى .. ويكرهها الناس .. يقول تعالى في الحديث القدسي : « الكبرياء ردائى .. والعظمة آزارى .. فمن نازعنى واحدا منهما قذفته فى النار » (٢) .

كما عده الرسول صلى الله عليه وسلم من الكبائر التي توجب لصاحبها النار .. فقال صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بأهل النار ؟ .. كل عتل جواظ مستكبر » (٣) .

والعتل : هو الغليظ الجافى .. والجواظ : هو الجموح المنوع .. وقيل : هو المتعاضم المختال في مشيئه ..

ويقول صلى الله عليه وسلم : « ان أكبر الكبائر الكفر والكبر » (٤) . بل انه صلى الله عليه وسلم جعل الكبر مضادا للإيمان في قوله : « لا يدخل النار من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان » .. ولا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر » (٥) .

* * *

(٢) رواه أبو داود - وانظر الأحاديث القدسية ج ١ ص ٢٧٠
(٣) رواه البخارى ومسلم . (٤) رواه أحمد والطبرانى .
(٥) رواه مسلم .

والكبر هو الذى أخرج إبليس من الجنة وطرده من رحمة الله . .
فاستحق اللعن والابعاد من الجنة بسبب كبره وعصيانه . .

يقول تعالى : « اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين .
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة
كلهم اجمعون . الا إبليس استكبر وكان من الكافرين . قال يا إبليس
ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ، أستكبرت أم كنت من العالين .
قال أنا خير منه ، خلقتني من نار وخلقته من طين . قال فاخرج منها
فانك رجيم . وان عليك لعنتي الى يوم الدين » (٦) .

ويقول الامام ابن كثير فى تفسير هذه الآيات : « ان الله سبحانه
وتعالى أعلم الملائكة قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام بأنه سيخلق
بشرا من صلصال من حمأ مسنون . . وتقدم اليهم الأمر متى فرغ
من خلقه وتسويته فليسجدوا له اكراما واعظاما واحتراما . . وامثالاً
لأمر الله عز وجل . . فامثال الملائكة كلهم ذلك سوى إبليس — ولم
يكن منهم جنسا — كان من الجن فخانته طبعه وجبلته أحوج ما كان
اليه . . فاستكف عن السجود لآدم وخاصم ربه عز وجل فيه . .
وادعى أنه خير من آدم فانه مخلوق من نار . . وآدم خلق من طين . .
والنار خير من الطين فى زعمه . .

وقد أخطأ فى ذلك وخالف أمر الله تعالى . . وكفر بذلك فأبعده
الله عز وجل وأرغم أنفه وطرده عن باب رحمته ومحل أنسه وحضرة
قدسه . . وسماه إبليس اعلاما له بأنه قد أبلس من الرحمة . . وأنزله
من السماء مذموما مدحورا الى الأرض . . فسأل الله النظرة الى يوم
البعث فأنظرة الحليم الذى لا يعجل على من عصاه . .

فلما أمن الهلاك الى يوم القيامة تمرد وطغى وقال : « فبعزتك
لاغوينهم اجمعين . الا عبادك منهم المخلصين » (٧) .

* * *

والكبر . . هو الذى أهلك قارون وفرعون وهامان . . يقول الله
تعالى : « وقارون وفرعون وهامان ، ولقد جاءهم موسى بالبينات
فاستكبروا فى الأرض وما كانوا سابقين . فكلا أخذنا بذنبه ، فمنهم
من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا

يه الأرض ومنهم من أغرقنا ، وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» (٨) .

ويقول في قارون : « أذ قال له قومه لا تفرح ، ان الله لا يحب الفرحين • وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض ، ان الله لا يحب المفسدين • قال انما أوتيته على علم عندي » (٩) .

لقد آتاه الله من المال ما تنوء بمفاتيحه العصابة أولوا القوة • • فاغتر بما أوتيه من مال وجاء • • وظن أنه قد حصل على المال بعلمه وقدرته • • وأن هذا المال ثمرة كده وجده • • ونسى أن المال عارية من الله استخلف فيها الناس • • فطغى وتجبر • • وأخذته العزة بنفسه وماله • • فكانت عاقبته الخسف والهوان : « فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين » (١٠) .

* * *

ويقول الله تعالى : « ولا تمش في الأرض مرحا ، انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا » (١١) .

ويقول تعالى : « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » (١٢) .

ويقول جل شأنه : « ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق » (١٣) .

ويقول : « فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون • لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ، انه لا يحب المستكبرين » (١٤) .

ويقول جل وعلا : « ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزا ، أولئك لهم عذاب مهين • وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كان لم يسمعها كان في أذنيه وقرا ، فبشره بعذاب أليم » (١٥) .

(٩) القصص : ٧٦ — ٧٨

(١١) الاسراء : ٣٧

(١٣) الامران : ١٤٦

(١٥) لقمان : ٦ ، ٧

(٨) العنكبوت : ٣٩ ، ٤٠

(١٠) القصص : ٨١

(١٢) البقرة : ٣٤

(١٤) النحل : ٢٢ ، ٢٣

ويقول تعالى : « وقال موسى انى عزت برى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب » (١٦) .
ويقول : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا ، والعاقبة للمتقين » (١٧) .

* * *

* فى ذم الكبر والعجب وتقسيم آفات الكبر :

يقول الامام ابن قدامة (١٨) : « واعلم أن الكبر خلق باطن يصدر عن أعمال هى ثمرته .. فيظهر على الجوارح .. وذلك الخلق هو رؤية النفس على المتكبر عليه .. يعنى يرى نفسه فوق الغير فى صفات الكمال .. فعند ذلك يكون متكبرا ..
وبهذا ينفصل عن العجب .. فان العجب لا يستدعى غير المعجب .. حتى لو قدر أن يخلق الانسان وحده تصور أن يكون معجبا .. ولا يتصور أن يكون متكبرا .. الا أن يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوقه .. فان الانسان متى رأى نفسه بعين الاستعظام .. حقر من دونه وازدراه ..
وصفة هذا المتكبر أن ينظر الى العامة كأنه ينظر الى الحمير استجهالا واستحقارا ..
وآفة الكبر عظيمة .. وفيه يهلك الخواص .. وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء ..
وكيف لا تعظم آفته .. وقد أخبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « أنه لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر » ..
وانما صار حجابا دون الجنة .. لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين .. لأن صاحبه لا يقدر أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه .. فلا يقدر على التواضع .. ولا على ترك الحقد والحسد والغضب .. ولا على كظم الغيظ وقبول النصيح .. ولا يسلم من الازدراء بالناس واغتيابهم .. فما من خلق ذميم الا وهو مضطر اليه ..
ومن شر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم .. وقبول الحق والانقياد له ..

(١٧) القصص : ٨٣

(١٦) غافر : ٢٧

(١٨) مختصر منهاج القاصدين ص ٢٠٠

وقد تحصل المعرفة للمتكبر .. ولكن لا تطاوعه نفسه على الانقياد
للحق .. كما قال تعالى : « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما
وعلوا » (١٩) .. « فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا » (٢٠) .. « ان اسم
الابشئ مثلنا » (٢١) .

وآيات كثيرة نحو هذا .. وهذا تكبر على الله وعلى رسوله ..
وقد تقدم أن التكبر على العباد هو احتقارهم واستعظام نفسه
عليهم .. وذلك أيضا يدعو الى التكبر على أمر الله تعالى .. كما حمل
ابليس كبره على آدم عليه السلام أن امتنع عن امتثال أمر ربه في
السنجود ..

وقد شرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكبر فقال :
« الكبر : بطر الحق ، وغمط الناس » ومعنى غمط الناس : الازدراء
بهم واستحقارهم .. ويروى : غمض الناس بمعنى غمط الناس « اهـ »
ثم يقول (٢٢) : « واعلم أن العلماء والعباد في آفة الكبر على
ثلاث درجات ..

الأولى : أن يكون الكبر مستقرا في قلب الانسان منهم .. فهو
يرى نفسه خيرا من غيره .. الا أنه يجتهد ويتواضع .. فهذا في
قلبه شجرة الكبر مغروسة الا أنه قد قطع أغصانها ..
الثانية : أن يظهر لك بأفعاله من الترفع في المجالس .. والتقدم
على الأقران .. والانكار على من يقصر في حقه .. فتري العالم يصغر
خده للناس كأنه معرض عنهم .. والعابد يعيش ووجهه كأنه مستقذر
لهم ..

وهذان قد جهلا ما أدب الله به نبيه صلى الله عليه وسلم حين قال :
« واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » (٢٣) .

الدرجة الثالثة : أن يظهر الكبر بلسانه .. كالدعاوى والمفاخر ..
وتركية النفس .. وحكايات الأموال في معرض المفاخرة لغيره .. وكذلك
التكبر بالنسب .. فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك
النسب .. وأن كان أرفع منه عملا ..

(٢٠) المؤمنون : ٤٧

(١٩) النمل : ١٤

(٢١) ابراهيم : ١٠

(٢٢) مختصر منهاج القاصدين ص ٢٠١

(٢٣) الشعراء : ٣١٥

قال ابن عباس : يقول الرجل للرجل : أنا أكرم منك .. وليس أحد أكرم من أحد الا بالتقوى .. قال الله تعالى : « ان أكرمكم عندا الله أتقاكم » (٢٤) ..

وكذلك التكبر بالمال .. والجمال .. والقوة .. وكثرة الأتباع .. ونحو ذلك ..

فالتكبر بالمال أكثر ما يجرى بين الملوك والتجار وغيرهم .. والتكبر بالجمال أكثر ما يجرى بين النساء .. ويدعوهم الى التنقص والغيبة وذكر العيوب ..

وأما التكبر بالأتباع والأنصار .. فيجرى بين الملوك بالمكاثرة بكثرة الجنود .. وبين العلماء بالمكاثرة بالمستفيدين .. وفي الجملة فكل ما يمكن أن يعتقد كمالا .. فان لم يكن في نفسه كمالا .. أمكن أن يتكبر به .. حتى ان الفاسق قد يفتخر بكثرة شرب الخمر والفجور .. لظنه أن ذلك كمال .. اهـ .

* * *

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تواضع لأخيه المسلم رفعه الله .. ومن ارتفع عليه وضعه الله » (٢٥) .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « من يرائى يرائى الله به .. ومن يسمع يسمع الله به .. ومن تطاول تعظيما يخفضه الله .. ومن تواضع خشية يرفعه الله » (٢٦) ..

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اياكم والكبر .. فان الكبر يكون في الرجل وان عليه العباءة » (٢٧) .

وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان أحبكم الى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا .. وإن أبغضكم الى وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون » .. قالوا : يا رسول الله .. قد علمنا الثرثارون والمتشدقون .. فما المتفيهقون ؟ قال : المتكبرون » (٢٨) .

(٢٥) رواه الطبرانى

(٢٤) الحجرات : ١٣

(٢٧) رواه الطبرانى .

(٢٦) رواه الطبرانى .

(٢٨) رواه أحمد والطبرانى والترمذى وابن حبان .

والثرثار : هو الكثير الكلام تكلفا .. والمشدق : المتكلم بملء
شده فيه تقاصحا وتعاضما واستعلاء على غيره .. وهو معنى التمييق
أيضا ..

وعن فضالة بن عبيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : « ثلاثة لا يسأل الله عنهم : رجل نازع الله رداءه — فان رداءه
الكبر وازاره العز — ورجل فى شك من أمر الله .. والقنوط من
رحمته » (٢٩) .

وعن سراقه بن مالك بن جعشم رضى الله عنه أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال : « يا سراقه .. ألا أخبرك بأهل الجنة وأهل النار ؟ ..
قلت : بلى يا رسول الله .. قال : أما أهل النار فكل جعظري جواظ
مستكبر .. وأما أهل الجنة فالضعفاء المغلوبون » (٣٠) .

والجعظري : هو العظيم المستكبر فى نفسه ، أو السوء الخلق
المتسخط ..

وعن حذيفة رضى الله عنه قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم
فى جنازة .. فقال : « ألا أخبركم بشر عباد الله : اللفظ المستكبر ..
ألا أخبركم بخير عباد الله ؟ : الضعيف المستضعف ذو الطمرين لا يؤبه
له ، لو أقسم على الله لأبره » (٣١) .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه
وسلم قال : « احتجت الجنة والنار .. فقالت النار : فى الجبارون
والمتكبرون .. وقالت الجنة : فى ضعفاء المسلمين ومساكينهم .. فقضى
الله بينهما : انك الجنة رحمتى أرحم بك من أشياء .. وانك النار عذابى
أعذب بك من أشياء .. ولكليهما على ملؤها » (٣٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر
اليهم ولهم عذاب أليم : شيخ زان .. ومك كذاب .. وعائل
مستكبر » (٣٣) ..

والعائل بالمد : هو الفقير ..

(٢٩) رواه الطبرانى والحاكم .

(٣٠) رواه الطبرانى .

(٣١) رواه أحمد .

(٣٢) رواه مسلم .

(٣٣) رواه مسلم والنسائى .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« أربعة يبعثهم الله : البياع الحلاف .. والفقير المختال .. والشيخ
الزاني .. والامام الجائر » (٣٤) .

وعن نعيم بن همار الغطفاني رضى الله عنه قال : ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال : « بئس العبد عبد تجبر واختال .. ونسى الكبير
المتعال .. بئس العبد عبد يختل الدنيا بالدين .. بئس العبد عبد
يستحل المحارم بالشبهات .. بئس العبد عبد هوى يضل .. بئس
العبد عبد رغب يذله » (٣٥) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ازاره بطرا » (٣٦) .
وعن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه أن رجلا أكل عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم بشماله .. فقال له : « كل بيمينك » .. قال :
لا أستطيع ! — ما منعه الا الكبر — قال : « لا استطعت » .. قال :
فما رفعها الى فيه (٣٧) .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين .. فيصبيه
ما أصابهم » (٣٨) .

ويقول النووى : يذهب بنفسه : أى يرتفع ويتكبر ..

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « بينما رجل يمشى فى حلة تعجبه نفسه .. مرجل رأسه ..
يختال فى مشيته .. اذ خسف الله به فهو يتجلجل فى الأرض الى يوم
القيامة » (٣٩) .

وروى مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل
الجنة أحد فى قلبه مثقال ذرة من كبر » ..

(٣٤) رواه النسائى وابن حبان .

(٣٥) رواه الطبرانى والترمذى .

(٣٦) متفق عليه . (٣٧) رواه مسلم .

(٣٨) رواه الترمذى .

(٣٩) متفق عليه — ويتجلجل فى الأرض : يغوص ويبذل فيها .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من رجل يختل في مشيته ويتعاضم في نفسه الا لقي الله وهو عليه غضبان » (٤٠) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أول ثلاثة يدخلون النار : أمير مسلط — أى ظالم — وغنى لا يؤدى الزكاة .. وفقير فخور » (٤١) .

وعنه رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة لا ينظر الله انيهم يوم القيامة ولا يزيكهم ولهم عذاب أليم : المسبل .. والمنان .. والمنفق سلعته بالهلف الكاذب » (٤٢) .

والمسبل : هو الذى يسبل ازره أو ثيابه أو سراويله حتى يكون الى قدميه .. لقوله صلى الله عليه وسلم : « ما أسفل من الكعبين من الازار فهو في النار » (٤٣) .

* * *

ويقول الامام الذهبى (٤٤) : « وأشر الكبر : الذى فيه من يتكبر على العباد بعلمه .. ويتعاضم في نفسه بفضيلته .. فان هذا لم ينفعه علمه .. فان من طلب العلم للأخرة كسره علمه وخشع قلبه واستكانت نفسه وكان على نفسه بالمرصاد .. فلا يفتر عنها بل يحاسبها كل وقت .. ويتفقدوها .. فان غفل عنها جمحت عن الطريق المستقيم وأهلكته .. ومن طلب العلم للفخر والرياسة وبطر على المسلمين وتحامق عليهم وازدراهم .. فهذا من أكبر الكبر .. ولا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة من كبر .. ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم » ..

* * *

* العجب والفرور :

والعجب يدعو الى الكبر .. لأنه أحد أسبابه .. فيتولد من العجب الكبر .. ومن الكبر الآفات الكثيرة .. وهذا مع الخلق .. فأما مع الخالق .. فان العجب بالطاعات نتيجة استعظامها ..

(٤١) رواه ابن خزيمة وابن حبان .

(٤٢) رواه البخارى .

(٤٠) رواه الطبرانى .

(٤٢) رواه البخارى .

(٤٤) في كتابه : الكبائر ص ٥٨

هكأنه يمن على الله تعالى بفعلها .. وينسى نعمته عليه بتوفيقه لها ..
ويعمى عن آفات المفسدة لها ..

وانما يتفقد آفات الأعمال من خاف ردها دون من رضيها ..
وأعجب بها ..

والعجب انما يكون بوصف كمال من علم أو عمل .. فان انضاف
الى ذلك أن يرى حقا له عند الله ادلالا .. فالعجب يحصل باستعظام
ما عجب به .. والادلال يوجب توقع الجزاء .. مثل أن يتوقع اجابة
دعائه وينكر رده » (٤٥) .

« ومن الناس من غرته الدنيا .. فقال : النقد خير من النسيئة
.. والدنيا نقد والآخرة نسيئة .. وهذا محل التلبيس .. فان النقد
لا يكون خيرا من النسيئة الا اذا كان مثل النسيئة .. ومعلوم أن عمر
الانسان بالاضافة الى مدة الآخرة ليس بجزء من ألف جزء الى أن
ينقطع النفس .. وانما أراد من قال : النقد خير من النسيئة .. اذا
كانت النسيئة مثل النقد .. وهذا غرور الكفار .

فأما ملابسو المعاصي مع سلامة عقائدهم .. فانهم قد شاركوا
الكفار في هذا الغرور .. لأنهم آثروا الدنيا على الآخرة .. الا أن
أمرهم أسهل من أمر الكفار .. من جهة أن أصل الايمان يمنعهم من
عقاب الأبد ..

ومن العصاة من يفتتر .. فيقول : ان الله كريم .. وانما نتكل
على عفوه .. وربما اغتروا بصلاح آبائهم ..

وقد قال العلماء : من رجا شيئا طلبه .. ومن خاف شيئا هرب
منه .. ومن رجا الغفران مع الاصرار فهو مغرور ..

وليعلم أن الله تعالى مع سعة رحمته شديد العقاب .. وقد قضى
بتخليد الكفار في النار .. مع أنه لا يضره كفرهم .. وقد سلط الأمراض
والمحن على خلق من عباده في الدنيا .. وهو سبحانه قادر على ازالتها
.. ثم خوفنا من عقابه .. فكيف لا نخاف ؟

فالخوف والرجاء سائقان يبعثان على العمل .. وما لا يبعث على
العمل فهو غرور .. يوضح هذا أن رجاء أكثر الخلق عملهم على البطالة
وايثار المعاصي » (٤٦) .



* علاج الكبر والعجب :

فاذا كان الكبر من المهلكات .. وكانت مداواته فرض عين ..
فيجب على الانسان استئصال أصله وقطع شجرته ..
ويكون ذلك بأن يعرف نفسه .. وأن يعرف ربه .. فانه اذا
عرف نفسه حق المعرفة علم أنه أذل من كل ذليل ..
فان أصل وجوده بعد العدم من تراب .. ثم من نطفة خرجت
من مخرج البول .. ثم من علقه .. ثم من مضغة .. فقد صار شيئا
مذكورا بعد أن كان جمادا لا يسمع ولا يبصر .. ولا يحس ولا
يتحرك .. فقد ابتدأ بموته قبل حياته .. وبضعفه قبل قوته .. وبفقره
قبل غناه ..

وليتذكر دائما قول الله تعالى : « قتل الانسان ما أكفره » من
أى شيء خلقه . من نطفة خلقه فقدره . ثم السبيل يسره . ثم أماته
فأقبره » (٤٧) .

ولن يدوم للانسان الوجود على اختياره .. فقد سلطت عليه
الأخلاق المتضادة .. والأمراض الهائلة .. فبينما بنيانه قد تم اذ هو
قد وهى وتهدم .. فلا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا .. وبينما هو يذكر
الشيء فينساه .. ويستئذ الشيء فيرديه .. ويروم الشيء فلا يناله ..
ثم لا يأمن أن يسلب حياته بغتة ..

فاذا جاء الموت — وهو آتية لا محالة — أعاده جمادا كما كان
.. فيلقى في التراب ليحير جيفة منتنة .. وتبلى أعضاؤه .. وتنخر
عظامه .. ويأكل الدود أجزاؤه .. ويعود ترابا كما كان ..
ثم تجمع أجزاؤه المتفرقة من طول البلى .. ويحضر عرضة القيامة
.. ليرى أرضا مبدلة وجبالا مسيرة وسماء منشقة ونجوما منكسرة
.. وشمسا مكورة .. وأحوالا مظلمة .. وجحيما ترغر .. وصحائف
تتشر ..

فيحاسبه الله تعالى على القليل والكثير .. بعد أن أنساه طول الأمل
اياه .. ولكن الله تعالى أحصاه ..
فاذا سيق الى النار .. غالبهائم أحسن حالا منه .. فهي تعود
الى التراب ويتمنى هو ذلك فلا يجد اليه سبيلا .

فمن كانت هذه بدايته ونهايته .. فأى وجه لكبره وفخره واختياله ..

أما معرفة الانسان لربه .. فتكون بالنظر الى آثار قدرته .. وعجائب صنعته .. فتلوح له العظمة .. وتظهر له المعرفة .. فهذا هو العلاج القالع لأصل الكبر ..

فاذا علم الانسان أن الله تعالى هو المنعم عليه بالايجاد .. وهو الذى أوجد الأعمال .. فلا معنى لعجب عامل بعمله .. ولا عالم بعلمه .. ولا جميل بجماله .. ولا غنى بغناه ..

فإن هذا كله من أفضال الله تعالى .. وما الانسان الا محلا تفيض النعم عليه .. وكونه محلا له نعمة أخرى من نعمه تعالى .. ولقائل أن يقول : ان العمل قد حصل بقدرتى .. ولا يتصور العمل الا بوجودى ووجود عملى وارادتى وقدرتى (!!)

ونقول لهذا القائل : من أين قدرتك ؟ .. أليست من الله تعالى ؟ .. فان كان العمل بالقدره فالقدرة مفتاحه .. وهذا المفتاح بيد الله تعالى .. وما لم يعط الانسان المفتاح لا يمكنه العمل ..

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لن يدخل أحد منكم عمله الجنة » .. قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ .. قال : « ولا أنا .. الا أن يتعمدنى الله برحمة منه وفضل » (٤٨) .
واعلم : أن قوما غرتهم الأمانى وقالوا نحن نحسن الظن بالله .. ولكنهم كذبوا فى قولهم .. فلو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل ..

والله الهادى الى سواء السبيل ..

* * *

وحسبنا عظة .. أن نذكر الحديث الشريف الذى أورده الامام المغزالى - رضى الله عنه - ضمن رسالة أرسلها لملك من الملوك يعظه .. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يحشر الأغنياء أربع فرق : رجل جمع مالا من حرام وأنفقه فى حرام ، فيقال : اذهبوا به الى النار .

(٤٨) رواه الشيخان .

ورجل جمع مالا من حلال وأنفقه في حرام ، فيقال : اذهبوا به إلى النار •

ورجل جمع مالا من حلال وأنفقه في حلال ، فيقال : قفوا-هذا وسلوه : لعله ضيع بسبب غناه فيما فرضناه عليه ، أو قصر في الصلاة ، أو في وضوئها ، أو في ركوعها ، أو في سجودها ، أو في خشوعها ، أو ضيع شيئاً من فرض الزكاة والحج ؟

فيقول الرجل : جمعت مالى من حلال ، وأنفقته في حلال ، وما ضيعت شيئاً من حدود الفرائض ، بل أتيت بتمامها •

فيقال : لعلك باهيت بمالك ، واختلت في شيء من ثيابك ؟

فيقول : يا رب •• ما باهيت بمالى ، ولا اختلت في شيء من ثيابى •

فيقال : لعلك فرطت فيما أمرناك من صلة الرحم وحق الجيران والمساكين ، وقصرت في التقديم والتأخير والتفصيل والتعديل ؟

ويحيط به هؤلاء فيقولون : ربنا أغنيته بين أظهرنا وأحوجتنا إليه فقصر في حقنا • فان ظهر تقصيره ، ذهب إلى النار ، والا قيل له : قف •• هات الآن شكر كل نعمة ، وكل شربة ، وكل أكلة ، وكل لذة ، فلا يزال يستل ويستل ••• ••

ثم يقول الامام الغزالي بعد هذا الحديث الشريف : فهذه حال الصالحين المصلحين القائمين بحقوق الله ، فكيف حال المفرطين المنهمكين في الحرام والشبهات ••• ؟

* * *

قصة قارون مع موسى عليه السلام (١)

يقول الله تعالى : « ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ، وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة اذ قال له قومه لا تفرح ، ان الله لا يحب الفرحين • وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض ، ان الله لا يحب المفسدين • قال انما أوتيته على علم عندى ، أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ، ولا يستل عن ذنوبهم المجرمون • فخرج على قومه في زينته ، قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم • وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون • فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين • وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ، لولا أن من الله علينا لخسف بنا ، ويكانه لا يفلح الكافرون • تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا ، والعاقبة للمتقين » (٢) •

قيل : هو قارون بن يصهب بن قاهث •• وموسى عليه السلام ابن عمران بن قاهث •• وعلى هذا فهو ابن عمه •
ويقول ابن جرير : وهذا قول أكثر أهل العلم ••
وكان يسمى المنور لحسن صوته بالتوراة •• ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري •• فأهلكه البغى لكثرة ماله ••
وعن شهر بن حوشب : أنه زاد في ثيابه شبرا طولا ترفعا على قومه •

وقد ذكر الله تعالى كثرة كنوزه •• حتى ان مفاتحه كان يثقل حملها على الفئام من الرجال الشداد — أى الجماعة من الناس ••

(١) قصص الأنبياء للإمام ابن كثير ص ٤٢٠ — ٤٢٥

(٢) القصص : ٧٦ — ٨٣

وقد قيل انها كانت من الجلود .. وانها كانت تحمل على ستين
بغلا !!

وقد وعظه النصحاء من قومه قائلين : « لا تفرح » أى لا تبطر
بما أعطيت وتفخر على غيرك « ان الله لا يحب الفرحين » وابتغ فيما آتاك
الله الدار الآخرة » يقولون : لتكن همتك مصروفة لتحصيل ثواب الله
فى الدار الآخرة ، فانه خير وأبقى ، ومع هذا « لا تنس نصيبك من
الدنيا » أى وتناول منها بمالك ما أحل الله لك ، فتمتع لنفسك
بالملاذ الطيبة الحلال ، « وأحسن كما أحسن الله اليك » أى وأحسن
الى خلق الله كما أحسن الله خالقهم وبارئهم اليك ، « ولا تبغ الفساد
فى الأرض » أى ولا تنسئ اليهم ولا تفسد فيهم ، فتقابلهم ضد ما أمرت
فيهم فيعاقبك ويسلبك ما وهبك ، « ان الله لا يحب المفسدين » .

فما كان جواب قومه لهذه النصيحة الصحيحة ألفصيحة الا أن
« قال انما أوتيته على علم عندى » يعنى أنا لا أحتاج الى استماع
ما ذكرتم ، ولا الى ما اليه أشرتم ، فان الله انما أعطاني هذا لعلمه
أنى أستحقه ، وأنى أهل له ، ولولا أنى حبيب اليه وحظى^(٣) عنده لما
أعطاني ما أعطاني .

قال الله تعالى ردا عليه فيما ذهب اليه : « أو لم يعلم أن الله
قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ،
ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون » أى قد أهلكنا من الأمم الماضين
بذنوبهم وخطاياهم من هو أشد من قارون قوة وأكثر أموالا وأولادا ،
فلو كان ما قال صحيحا لم نعاقب أحدا ممن كان أكثر مالا منه ، ولم
يكن ماله دليلا على محبتنا له واعتنائنا به ، كما قال تعالى :
« وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقريكم عندنا زلفى الا من آمن
وعمل صالحا »^(٤) ، وقال تعالى : « أيحسبون أنما نمدهم به من مال
وينين . نسارع لهم فى الخيرات ، بل لا يشعرون »^(٥) وهذا الرد عليه
يدل على صحة ما ذهبنا اليه من معنى قوله : « انما أوتيته على علم
عندى » .

(٣) حظى : بفتح الحاء وكسر الظاء وضم الياء مع التشديد أى :

(٤) سبأ : ٣٧

فوحظوة .

(٥) المؤمنون : ٥٥ ، ٥٦

يقول تعالى : « فخرج على قومه في زينته » .. ذكر كثير من المفسرين أنه خرج في تجمل عظيم .. من ملابس ومراكب وخدم وحشم .. فلما رآه من يعظم زهرة الحياة الدنيا تمنوا أن لو كانوا مثله .. وغبطوه بما عليه وله .. فلما سمع مقالتهم العلماء .. ذووا الفهم الصحيح الزهاد الألباء قالوا لهم : « ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا » أى ثواب الله في الدار الآخرة خير وأبقى وأجل وأعلى .. قال الله تعالى : « ولا يلقاها الا الصابرون » أى وما يلقى هذه النصيحة وهذه المقالة .. وهذه المهمة السامية الى الدار الآخرة العلية .. عند النظر الى زهرة الدنيا الدنية الا من هدى الله قلبه وثبت فؤاده .. وأيد لبه وحقق مراده .

وما أحسن ما قال بعض السلف : ان الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات .. والعقل الكامل عند حلول الشهوات !
قال الله تعالى : « فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين » ..

لما ذكر تعالى خروجه في زينته واختياله فيها .. وفخره على قومه بها قال : « فخسفنا به وبداره الأرض » كما روى البخارى من حديث الزهري عن سالم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « بينا رجل يجر أزاره اذ خسف به .. فهو يتجلجل في الأرض الى يوم القيامة » .

كما رواه البخارى من حديث جرير بن زيد .. عن سالم عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه ..

* * *

وذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وعن السدى :

ان قارون أعطى امرأة بغيا مالا على أن تقول لموسى عليه السلام وهو في ملأ من الناس : انك فعلت بى كذا وكذا ، فيقال انها قالت له ذلك ، فأرعد من الفرق وصلى ركعتين ، ثم أقبل عليها فاستحلفها من ذلك على ذلك ، وما حملك عليه ؟ فذكرت أن قارون هو الذى حملها على ذلك واستغفرت الله وتابت اليه . فعند ذلك خر موسى لله ساجدا ، ودعا الله على قارون . فأوحى الله اليه : انى قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه ، فأمر موسى الأرض أن تبتلعه وداره ، فكان ذلك .. والله أعلم .

وقد قيل ان قارون لما خرج على قومه في زينته مر بجحفه وبغاله وملابسه على مجلس موسى عليه السلام ، وهو يذكر قومه بأيام الله . فلما رآه الناس انصرفوا وجوه كثير منهم ينظرون اليه ، فدعاه موسى عليه السلام فقال له : ما حملك على هذا ؟

فقال : يا موسى .. أما لئن كنت فضلت على بالنبوة ، فقد فضلت عليك بالمال ، ولئن شئت لتخرجن فلتدعون على ولأدعون عليك .

فخرج موسى وخرج قارون في قومه ، فقال له موسى : تدعو أو أدعو أنا ؟ قال : أدعو أنا ، فدعا قارون فلم يجب له في موسى ، فقال موسى : أدعو ؟ قال : نعم .

فقال موسى : اللهم مر الأرض فلتطعنني اليوم ، فأوحى الله اليه : انى قد فعلت . فقال موسى : يا أرض .. خذيههم . فأخذتهم الى أقدامهم ، ثم قال : خذيههم ، فأخذتهم الى ركبهم ، ثم الى مناكبهم . ثم قال : أقبلى بكنوزهم وأموالهم ، فأقبلت بها حتى نظروا اليها ، ثم أشار موسى بيده فقال : اذهبوا بنى لاوى .. فاستوت بهم الأرض .

وقد روى عن قتادة أنه قال : يخسف بهم كل يوم قامة الى يوم انقيامة ..

وعن ابن عباس أنه قال : خسف بهم الى الأرض السابعة .. وقوله تعالى : « فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين » لم يكن له ناصر من نفسه ولا من غيره .. كما قال : « فما له من قوة ولا ناصر » (٦) .

ولما حل به ما حل من الخسف وذهاب الأموال وخراب الدار .. واهلاك النفس والأهل والعقار .. ندم من كان تمنى مثل ما أوتى .. وشكروا الله تعالى الذى يدبر عبادته بما يشاء من حسن التدبير المخزون .. ولهذا قالوا : « لولا أن من الله علينا لخسف بنا ، ويكأنه لا يفلح الكافرون » ..

يقول قتادة : « ويكأن » بمعنى : ألم تر أن .. والله أعلم . ثم أخبر تعالى أن « الدار الآخرة » وهى دار القرار .. وهى الدار التى يغبط من أعطيها .. ويعزى من حرما انما هى معدة « للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا » ..

فالعلو هو التكبر والفخر .. والأشر والبطر .. والفساد هو عمل المعاصي اللازمة والمتعدية من أخذ أموال الناس .. وافساد معاشهم .. والاساءة اليهم .. وعدم النصح لهم ..

ثم قال تعالى : « والعاقبة للمتقين » ..

وقصة قارون هذه .. قد تكون قبل خروجهم من مصر .. لقوله تعالى : « فخسفنا به وبداره الأرض » .. فان الدار ظاهرة في البنيان .. وقد تكون بعد ذلك في التيه .. والله أعلم ..

* * *

وقد ذكر الله تعالى مذمة قارون في غير ما آية من القرآن ، قال الله تعالى : « ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين • الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب » (٧) .

وقال تعالى في سورة العنكبوت بعد ذكر عاد وثمود : « وقارون وفرعون وهامان ، ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين • فكلا أخذنا بذنبه ، فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا ، وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » (٨) .

فالذى خسف به الأرض قارون كما تقدم ، والذى أغرق فرعون وهامان وجنودهما انهم كانوا خاطئين •

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الصلاة يوما فقال : « من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف » (٩)

* * *

(٨) العنكبوت : ٣٩ ، ٤٠ .

(٧) غافر : ٢٣ ، ٢٤ .

(٩) رواه أحمد .

الفصل العاشر

التواضع .. من صفات الرسل

- * أتباع الرسل
- * القدوة العليا ..
- * من أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم .
- * من تواضعه .. صلى الله عليه وسلم .
- * من حلمه .. صلى الله عليه وسلم .
- * من شفقتة .. صلى الله عليه وسلم .
- * من حياته .. صلى الله عليه وسلم .
- * من جوده وكرمه .. صلى الله عليه وسلم .
- * من صبره .. صلى الله عليه وسلم .
- * من شكره .. صلى الله عليه وسلم .
- * من اجتهاده .. صلى الله عليه وسلم .
- * من ورعه .. صلى الله عليه وسلم .
- * من توكله .. صلى الله عليه وسلم .
- * من خوفه .. صلى الله عليه وسلم .
- * من بكائه .. صلى الله عليه وسلم .
- * من شجاعته .. صلى الله عليه وسلم .
- * من بركته .. صلى الله عليه وسلم .

أتباع الرسل

منذ بعث الله النبيين الى الناس مبشرين ومنذرين •• داعين اياهم الى افراد الله وحده بالعبادة •• آخذين بأيديهم الى طريق النجاة •• هادين اياهم الى سبيل الرشاد • والضعفاء والمساكين هم أول من يستجيب لدعوتهم •• لأنهم يجدون فيها الامن والنجاة •• ويأملون منها الخلاص من الذل والقهر والعبودية ••

لذا نرى المستضعفين هم أول من يهرع الى دعوة الايمان •• وهم دائما في طليعة جنود رسالات السماء •• الملتفون حولها والمساندون لها •• الباذلون في سبيلها المهج والأرواح •• في حين يقاومها السادة والكبراء •• ويقفون منها دائما موقف العناد والمكابرة •• عاملين على القضاء عليها •• آملين في الخلاص من أصحابها ••

ولهذا رأينا بلالا الحبشى •• وسلمانا الفارسي •• وصهيبا الرومي وغيرهم من الأرقاء والموالي والمستضعفين أمثال : أبى ذر وعمار وياسر وسمية وخباب — رضى الله عنهم — من أوائل المبادرين الى الاسلام •• بينما تأخر اسلام الكبراء من أمثال عمرو بن العاص وخالد ابن الوليد •• ومعاوية بن أبى سفيان الى ما قبل الفتح بقليل ••

بل ان أبا سفيان بن حرب — سيد قريش بلا منازع — لم يدخل الاسلام الا حين أهدقت جيوش المسلمين بمكة لفتحها ••

وفي العادة •• يتجبر السادة والكبراء في بطشهم بالدعوات الجديدة •• فينزلون بأتباعها ألوانا من العذاب وصنوفاً من النكال •• محاولين بذلك القضاء على الدين الجديد ••

حتى اذا ما باءت محاولاتهم بالفشل •• لجأوا الى الاغراء والمساومة •• فيعرضون على صاحب الرسالة نبذ الضعفاء وطرده المساكين •• في مقابل انتظامهم في سلك الدين الجديد •• وحجتهم الدائمة النى يلجأون اليها واحدة لا تتغير •• يرددونها المنكرون لرسالات السماء في كل وقت وآن •• منذ كان الرسل وكانت الرسالات ••

ففراهم يدللون على موانع الايمان عندهم أولا : بأن الرسول المبعوث اليهم بشر مثلهم وليس ملكا من الملائكة .. فضلا عن عدم تميزه عليهم بجاه أو شرف أو قوة ..

ثم يثنون : بأن أتباع الرسل ليسوا من الأشراف .. بل هم من العامة وأراذل الناس والضعفاء في المجتمع ..

ومن هنا رأينا الملأ من قوم نوح عليه السلام — وهم الأشراف والوجهاء وأصحاب النفوذ — يقولون : « ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين » (١) .

فاذا ما فشل هذا الأسلوب .. لجأوا الى الاغراء والمساومة .. طالبين أن يقوم النبي بطرد أولئك المستضعفين الذين آمنوا به واتبعوا الدين الجديد ..

وما كان لنوح عليه السلام — أن يستجيب لاغرائهم .. فليس من السلوك الانساني الكريم أن يطرد صاحب الرسالة نفرا من الناس سارعوا الى الايمان بدعوته ويخرجهم من دائرة الاتصال به .. لا لسبب الا لأنهم من عامة الناس وضعفاء المجتمع .. وليسوا من أصحاب الوجاهة والثراء بين أفرادهم ..

ولذا نرى أول الأنبياء — عليه السلام — يرد على اغراء الملأ من قومه بقوله : « يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون »

« ويا قوم لا أسألكم عليه مالا ، ان أجرى الا على الله ، وما أنا بطارد الذين آمنوا ، أنهم ملاقوا ربهم ولكنى أراكم قوما تجهلون »

« ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم ، أفلا تذكرون » (٢) .

ومنطق السادة والكبراء دائما واحد لا يتغير .. وحجتهم دائما واحدة لا تتبدل .. مهما تباعدت الأيام وتطاوت الأزمان ..

لهذا نرى الملأ من قريش يحاولون اغراء الرسول صلى الله عليه وسلم بطرد المؤمنين .. بعد أن أعيتهم الوسائل وضافت بهم الأساليب في صرف المؤمنين عن ايمانهم .. ومستتدين في محاولتهم الجديدة الى نفس الموانع التي ساقها أسلافهم من قبل ..

(١) هود : ٢٧

(٢) هود : ٢٨ — ٣٠

ويروى لنا خباب بن الأرت رضى الله عنه .. نبأ هذه المحاولة فيقول : « جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري .. فوجدا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدا في ناس من الضعفاء من المؤمنين .. فلما رأوهم حول النبي صلى الله عليه وسلم حقروهم .. فأتوه فخلوا به وقالوا : انا نريد أن نجعل لنا منك مجلسا تعرف منا به العرب فضلنا .. فان وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هذه الأعداء .. فاذا نحن جئناك فأقمهم عنك .. فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت .. »

قال : نعم ...

قالوا : فاكتب لنا عليك كتابا ..

قال : فدعا بصحيفة .. ودعا عليا — كرم الله وجهه — ليكتب ونحن قعود في ناحية .. فنزل جبريل عليه السلام فقال : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين » (٢) ثم ذكر الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فقال : « وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ، أليس الله بأعلم بالشاكرين » (٤) .

ثم قال : « واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم ، كتب ربكم على نفسه الرحمة » (٥) .

قال : فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته ...

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس معنا .. فاذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله عز وجل : « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا » (٦) .

ولا تجالس الأشراف : « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا » (١) يعني عيينة والأقرع ، « واتبع هواه وكان أمره فرطا » (٦) أي هلاكا (٧) ..

* * *

(٤) الأنعام : ٥٣

(٣) الأنعام : ٥٢

(٦) الكهف : ٢٨

(٥) الأنعام : ٥٤

(٧) انظر تفسير القرطبي في تفسير سورة الأنعام .

وما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطرد الضعفاء
والمساكين من الذين دخل الإسلام في قلوبهم .. ووجدوا فيه الأمل
المرتجى للخلاص من الذل والعبودية .. وهو الذي وصفه الله تعالى
بقوله . « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » (٨) .

ويقوله جل شأنه : « وانك لعلى خلق عظيم » (٩) .

وقوله : « فيما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب
لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ،
فإذا عزمتم فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين » (١٠) .

ونصحه بقوله تعالى : « واخفض جناحك لمن اتبعك من
المؤمنين » (١١) .

ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « انما أنا رحمة
مهداة » .



لما كان أتباع الرسل وجنود الدعوات هم دائما عامة الناس
من الضعفاء والفقراء والمساكين .. فان تواضع الرسل يصبح من الأمور
البدئية انتى لا تتصور العقول سواها .. حتى تجد الرسائل طريقها
الى قلوب الناس وعقولهم .. فيلتقون حولها ويؤمنون بها ..

ولهذا نرى موسى عليه السلام عندما خرج من مصر خائفا يتلفت
.. فارا من فرعون وجنوده .. هائما على وجهه يجتاز الفياق والقفار ..
لا يدري أين يتوجه ولا الى أين يذهب .. الى أن يصل مدين ..

وما أن يستقر به المقام في مدين .. حتى يأوى الى ظل شجرة
بجوار بئرها .. مكدودا جائعا .. بعد أن قضى الليالى والأيام طاويا
لم يدخل جوفه سوى البقل وأوراق الشجر .. وبعد أن سقطت نعلا
قدميه من الحفاء .. وان بطنه للاصق بظهره من الجوع .. وانه
لمحتاج الى شق تمره ..

(٩) القلم : ٤

(٨) الانبياء : ١٠٧

(١١) الشعراء : ٢١٥

(١٠) آل عمران : ١٥٩

نرى موسى — عليه السلام — وهذه حاله .. يسترعى انتباهه رؤية فئتين تتحيان جانبا بعيداً عن بئر المدينة والزحام حولها .. وتكفكان غنمهما عن الماء حتى لا تختلط بغنم الرعاة الأشداء .. الذين يتسابقون على الماء ولا يجدون بينهم مكانا لضعيف .. يلفت هذا الأمر نظر موسى عليه السلام فيهب مشاعره .. ويحس بضعف الفئتين وهوانهما على الناس .. فاذا بنى الله يهب لمساعدتهما ويتطوع لخدمتهما .. فيبرح مكانه من الشجرة متقدما نحو البئر ثم يرفع الصخرة عن فمها وحده .. ناسيا جوعه وكده .. ويستقى للفئتين ويسقى غنمهما .. ثم يعود الى مكانه من الشجرة قائلاً : « رب انى لما أنزلت الى من خير فقير » (١٢) .

لقد رأى النبي الكريم ضعفه في ضعف الفئتين .. وأحس بما يكابدانه من حيرة وضعف .. فبدفعه تواضعه الطبيعى الى التطوع لخدمتهما .. ناسيا ما يعانيه من ألم الجوع ومشقة السفر .. حتى اذا ما أدى مهمته .. عاد مرة أخرى الى همومه وأحزانه .. فيتذكر جوعه ونصبه ..

ثم نراه بعد ذلك .. يقضى في خدمة صهره عشرة أعوام طوال .. مهرا لزوجته بعد أن آجر نفسه بعفة فرجه وطعام بطنه .. فقضى وهو الذى عاش حياة الأمراء فى قصر ملك مصر معززا مكرما أبر الأجلين وأوفاهما ..

ويتم الله نعمته عليه .. ويكلفه بالرسالة والنبوة .. ويقف عليه السلام يوما خطيبا فى قومه .. ويسأله بعض الناس : أى الناس أعلم ؟ فيقول : أنا .. ولا شك عنده فى ذلك .. فهو نبي ذلك الوقت .. وصاحب الشريعة الذى يأتيه الوحي من السماء .. فهل يوجد أعلم منه ؟ .. ولكن الله يعتب عليه اذ لم يرد العلم اليه تعالى .. فيوحى اليه : ان لى عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك .. ولا يجد نبي الله فى رحيله الى ذلك العبد الصالح ما ينتقص من شأنه .. فيشد الرحال حتى يصل اليه .. فى المكان الذى حدده الله تعالى ..

ويتواضع موسى عليه السلام للخضر قائلاً : « هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً » (١٣) .

وكان ما قصه الله تعالى علينا في سورة الكهف من أمرهما ..
فلم يتكبر نبي الله عن سؤال العبد الصالح عن العلم الذي وهبه الله إياه ..



وهذا المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام .. يقف يوماً بين يدي أتباعه والمؤمنين به .. هاتفا فيهم : « طوبى للمساكين بالروح .. لأن لهم ملكوت السموات .. » (١٤) .

« طوبى للحراني لأنهم يتعززون ..
« طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض ..
« طوبى للجياع والعطاش الى البر لأنهم يشبعون ..
« طوبى للرحماء لأنهم يرحمون ..
« طوبى للأتقياء القلب لأنهم يعاينون الله » .
ويجابه الملا من قومه .. داخضا دعواهم .. مبينا أن السيادة الحقيقية ليست في الغنى والجاه .. فيقول : « لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ .. وحيث ينقب السارقون ويسرقون .. »

« بل اكنزوا لكم كنوزا حيث لا يفسد سوس ولا صدأ .. وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون ..
« لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضا » .

(١٣) الكهف : ٦٦

(١٤) تعنى كلمة طوبى : السعادة والبركة .. وكأنه عليه السلام يقول : « يا لسعادة المساكين بالروح لأن ... » الخ .
والمساكين بالروح .. هم المتواضعون الذين ينكرون ذواتهم ويستصغرون أعمالهم .. ويتهمون أنفسهم بالتقصير في الواجبات التي أوجبها الله عليهم .. فينسبون النقص دائما لأنفسهم .. ويعرفون الكمال كله لله وحده ..
لذا تراهم يطمعون دائما في رحمة الله .. ويأملون في عونه وتأييده .. ويرجون أن يوفقهم في طاعته .. وأن يعينهم على العمل الصالح الذي يحبه ..

فالقيمة الحقيقية ليست فيما يكتنزه الناس من أموال على الأرض ..
لأن المال عارية زائلة .. والناس مستخلفين فيه .. وانما القيمة
الحقيقية فيما يدخره الناس عند الله من تقوى وعمل صالح ..

ويتجه عليه السلام الى المستضعفين والفقراء معزيا اياهم :
« لا يقدر أحد أن يخدم سيدين .. لأنه اما أن يبغض الواحد
ويحب الآخر أو يلزم الواحد ويحتقر الآخر ..
« لا تقدروا أن تخدموا الله والمال ..

« لذلك أقول لكم : لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ..
ولا لأجسادكم بما تلبسون ..

« أليست الحياة أفضل من الطعام ؟ والجسد أفضل من اللباس ؟
« انظروا الى طيور السماء .. انها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع
الى مخازن .. »

ويضع لأتباعه الأسس السليمة في نقل رسالته الى الناس ..
فيقول : « من أراد أن يصير منكم عظيما يكون لكم خادما .. ومن أراد
أن يصير منكم أولا يكون عبدا للجميع » ..

نعم .. فان المتعطرس لا يجد آذنا تصغى اليه .. بعكس
التواضع الذي يجد القلوب تلتف حوله والأرواح تهفو اليه ..

والناس يقولون : « خادم القوم سيدهم » .. لأنه يبذل من
راحته ووقته في سبيل اسعاد المجتمع الذي يعيش فيه ..

بل انه عليه السلام يضرب لنا أروع الأمثلة في التواضع .. فنراه
يجمع تلاميذه قبيل عيد الفصح .. ويتناول معهم العشاء الأخير
بأذلا لهم وصاياهم ..

فلما ينتهى العشاء .. يقوم ويخلع ثيابه .. ثم يأخذ منشفة
يتزر بها .. ويصب الماء في مغسل ثم يأخذ في غسل أقدام التلاميذ
ويمسحها بالمنشفة ..

موقف غريب على التلاميذ لم يفهموه !! فيقف بطرس معترضا :
لا .. لا .. أنت تغسل رجلى يا سيدي ؟ !

ويجيبه عليه السلام بالسكينة كلها .. والحكمة كلها .. والتواضع
كله : لست تعلم أنت الآن ما أنا صانع .. ولكنك ستفهم فيما بعد ..

ولا يفهم بطرس .. فيصيح في سيده : أبدا .. لن تغسل رجلى
أبدا !!

فيقول المسيح عليه السلام : ان كنت لا أغسلك فليس لك معى
نصيب ..

ثم لما يفرغ من درسه العملى الأخير .. يرتدى ثيابه ثم يتكىء
ليوضح لهم ما غمض عليهم : « أتفهمون ما قد صنعت بكم ؟ أنتم
تدعوننى معلما وسيدا .. وحسنا تقولون .. لأنى أنا كذلك ..

» فان كنت أنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم .. فأنتم يجب
أن يغسل بعضكم أرجل بعض .. لأنى أعطيتكم مثالا .. حتى كما
صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضا ..

الحق الحق أقول لكم : انه ليس عبد أعظم من سيده .. ولا رسول
أعظم من مرسله » ..

يا للعظمة .. ويا للحكمة .. ويا للتواضع !!



القدوة العليا (١)

« ان جوانب شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم متعددة تعددا يجعله منفردا عن الرسل بميزات .. ان شاركوه في بعضها فلم يشاركوه في الكل .. فشخصية الرسول — صلى الله عليه وسلم — تمثلت بها كل جوانب الحياة .. وما كل رسول كان له مثل هذا ..

فالرسول — صلى الله عليه وسلم — كان أبا .. وما كل رسول كان أبا ..

وكان زوجا .. وما كل رسول تزوج ..

وكان رئيس دولة ومؤسسها .. وما كل رسول أقام دولة ..

وكان القائد الأعلى لجيش الاسلام .. والمحارب الفذ .. وما كل رسول حارب ..

وبعث للانسانية عامة .. فشرع لها بأمر الله ما يلزمها في كل جوانب حياتها العقيدية والعبادية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية .. ولم يبعث رسول قط الى الانسانية عامة غيره ..

وكان المستشار .. والقاضي .. والمربي .. والمعلم .. والمهذب .. والعابد .. والزاهد .. والصابر .. والرحيم .. الى آخر صفاته عليه الصلاة والسلام التي استوعبت كل جوانب الحياة ..

[فهو صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل .. ورسالته هي الرسالة الخاتمة التي أنزلها الله الى الناس] ..

فكان بذلك بين الرسل : الرسول المفرد .. والعلم الممتاز :
« تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض » (٢) .

وانما كان ذلك .. لأن الله جلت حكمته جعل الاسلام المنزل على محمد — صلى الله عليه وسلم — نظاما شاملا لجوانب حياة البشر كلها .. وجعل حياة رسوله — صلى الله عليه وسلم — نموذجا لدينه كله في كل جوانبه .. حتى تقوم الحجة على الناس مرتين .. مرة بالبيان النظري .. ومرة بالبيان العملي ..

(١) للأستاذ سعيد حوى تحت نفس العنوان في كتابه « الرسول صلى الله عليه وسلم » نشر مكتبة وهبة ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ بتصرف .

(٢) البقرة : ٢٥٣

وشىء آخر .. هو أن البشر فيهم الأب والابن والزوج .. وفيهم
السياسى والاقتصادى ورجل الشورى .. وفيهم المحارب والمسلم ..
وفيهم المبتلى والمعافى .. وفيهم الراعى والرعية .. وفيهم العامل
والتاجر ..

فالحياة البشرية متعددة الجوانب .. وكل انسان فيها يعيش حياة
كاملة تختلف فى بعض جوانبها أو تتفق مع الآخرين ..

وقد فرض الله تعالى على البشر — على اختلاف مستوياتهم وتعدد
مواقف حياتهم — أن يكون الرسول — صلى الله عليه وسلم — لهم
القدوة فى كل شىء .. فما لم تكن شخصية الرسول — صلى الله عليه
وسلم — متعددة الجوانب والمواقف هذا التعدد .. لا يكون قدوة لكل
انبشر فى كل شىء ..

وقد يعجب انسان أن تكون حياة رسول الله — صلى الله عليه
وسلم — من الخصب بحيث تستوعب كل جوانب حياة البشر .. فتكون
لهم فى هذا كله .. ولكنه الواقع الذى تشهد له كل الدراسات النظرية
والعلمية ..

فمثلا .. من الناحية النظرية : ادرس مواقف الصبر عنده ..
فانك تجدها قد استوعبت كل موقف يحتاج الناس فيه الى الصبر ..
لقد أقام الله رسوله — صلى الله عليه وسلم — مقام المخرج من وطنه ..
ومقام من مات له ولد وأولاد وأولاد أولاد .. ومن ماتت له زوجة
وعم وأبناء عم .. بعضهم قتل .. ومقام من فشل فى المعركة ومن
أوذى واستهزى به .. ومقام من شمت فيه .. ومن اتهم بعرض
أحب الخلق اليه .. ومقام من مرض وجرح .. ومقام من جاع وعطش
وخاف .. وغير ذلك من المقامات التى يعتبرها الناس مصائب .. بحيث
لا تصيب الانسان مصيبة الا ويرى رسول الله — صلى الله عليه وسلم —
قد أصيب بمثلها .. وكان له موقف مثالى منها .. فيقف مثله ان كان
مؤمنا ..

ومن الناحية العملية .. فان تاريخ الأمة الاسلامية ما خلا فى
عصر من عصوره من ملايين من أفراد هذه الأمة .. مختلفى المدارك ..
مختلفى المستويات .. مختلفى الاختصاصات .. مختلفى المشارب ..

منهم الغنى .. والفقر .. والقائد .. والرئيس .. والعالم ..
والعابد .. وغيرهم وغيرهم .. كل منهم متمسك بحبل الاقتداء
برسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى الصغرة والكبرة .. حتى
انك لتجد النماذج المتباينة من هؤلاء .. وكل منهم يقيم الدليل على
أن سلوكه هو سلوك رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فيما يسير
عليه .. وكل ذلك فى الواقع ناتج عن الخصب فى حياة الرسول —
صلى الله عليه وسلم — التى استوعبت أحوال البشر جميعا ..

والرسول صلى الله عليه وسلم فى كل موقف من هذه المواقف ..
وفى كل حال من الأحوال .. وفى كل جانب من الجوانب .. كان المثل
الأعلى للبشر والقذوة العليا والوحيدة لهم ..

اذ اليه يرجع الكمال فى كل شىء .. ومنه يعرف الكمال فى كل
شىء ..

ولا كمال لأى انسان مهما كان فى أى حالة .. الا باتباعه والاقتداء
به والتأسى فيه .. لأن الله تعالى لم يعط من الكمال لانسان ما أعطاه
محمدا — صلى الله عليه وسلم — ولم يجتمع فى انسان من الكمالات
ما اجتمع فى شخصه العظيم .. وذلك آية الله على أن هذا الانسان
رسوله .. اذ ما كان هذا ليجتمع لانسان منبت عن الله وكمالاته « اهـ .
بتصرف ..

ويقول الأستاذ سعيد حوى : « ان أبرز سمة فى شخصية الرسول
صلى الله عليه وسلم المتعددة الجوانب أخلاقياته التى لا مثيل لها ..
فلو أنك جمعت كل خلق عظيم فى العالم .. وكل تصرف أخلاقى سليم
تصرفه فى يوم من الأيام انسان .. فان ما تجده فى حياة رسول الله
صلى الله عليه وسلم يربو على هذا كله مجتمعا .. مع انعدام التصرفات
غير الأخلاقية فى حياته عليه الصلاة والسلام .. مما لا تستطيع معه
أن تجد فى حياته كلها تصرفا يمكن أن ترى أعظم منه فى باب الأخلاق
عند غيره صلى الله عليه وسلم » (٣) .

* * *

(٣) المرجع السابق ص ١٠٥

* من أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم :

روى البخارى عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو ابن العاص .. رضى الله عنهما فقلت له : أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة ..

قال : أجل .. والله انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن : « يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا » (٤) ..

فى التوراة : « يا أيها النبى .. انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا .. وحرزا للأمين .. أنت عبدى ورسولى .. سميتك المتوكل .. ليس بفظ ولا غليظ .. ولا سخاب بالأسواق .. ولا يدفع السيئة بالسيئة .. ولكن يعفو ويصفح ..

ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا اله الا الله .. فيفتح بها أعينا عميا .. وآذانا صما .. وقلوبا غلفا » (٥) ..

وعن الامام الحسين بن على رضى الله عنهما قال : سألت أبى عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جلسائه .. فقال :

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر .. سهل الخلق .. لين الجانب ..

ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مشاح .. يتخافل عما لا يشتهى .. ولا يؤيس منه ولا يخيب فيه ..

فقد ترك نفسه من ثلاث : المرء .. والاكبار .. وما لا يعنيه .. وترك الناس من ثلاث : كان لا يذم أحدا .. ولا يعيبه .. ولا يطلب عورته ..

ولا يتكلم الا فيما رجا ثوابه .. واذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير .. فاذا سكت تكلموا ..

لا ينتازعون عنده الحديث .. ومن تكلم عنده أنصتوا اليه حتى يفرغ .. حديثهم عنده حديث أولهم ..

يضحك مما يضحكون منه .. ويتعجب مما يتعجبون منه .. ويمصبر للغريب على الجفوة فى منطقته ومسأله .. حتى ان كان أصحابه يستجلبونهم ..

(٥) الاحاديث القدسية ج ١ ص ٢٠٨

(٤) الاحزاب : ٤٥

ويقول : اذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فارغدوه .. ولا يقبل الثناء الا من مكافئ .. ولا يقطع على أحد حديثه .. حتى يجوز فيقطعه بنهى أو قيام» (٦) .

وعن خارجه بن زيد أن نفرا دخلوا على أبيه زيد بن ثابت رضى الله عنه قالوا : حدثنا عن بعض أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم .. فقال : كنت جاره .. فكان اذا نزل عليه الوحي بعث الى فاتيه فأكتب الوحي .. فكنا اذا ذكرنا الدنيا ذكرها .. واذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا .. واذا ذكرنا الطعام ذكره معنا .. فكل هذا أحدثكم عنه (٧) .

وعن أنس رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشد الناس لطفا .. والله ما كان يمتنع فى غداة باردة من عبد ولا من أمة ولا صبي أن يأتيه بالماء فيغسل وجهه وذراعيه .. وما سأل سائل قط الا أصغى اليه أذنه .. فلم ينصرف حتى يكون هو الذى ينصرف عنه .. وما تناول أحدا بيده الا ناوله اياها فلم ينزع حتى يكون هو الذى ينزعها منه (٨) .

وروى مسلم عنه رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم اذا صلى الغداة .. جاء خدم المدينة بأنيتهم فيها الماء .. فما يؤتى باناء الا غمس يده فيه .. وربما جاءه فى الغداة الباردة فيغمس يده فيها ..

وعنه رضى الله عنه أيضا قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صافح — أو صافحه — الرجل لا ينزع يده من يده .. حتى يكون الرجل ينزع يده .. وان استقبله بوجه لا يصرفه عنه حتى يكون الرجل ينصرف عنه .. ولا يرى مقدما ركبتيه بين يدي جليس له (٩) .

وعن محمد بن مسلمة رضى الله عنه قال : قدمت من سفر .. فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدي .. فما ترك يدي حتى تركت يده (١٠) .

(٦) عن كتاب سيد الشهداء : الإمام الحسين رضى الله عنه — للأستاذ موسى محمد على ص ٦٨ (٧) أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة ١٠

(٨) أخرجه أبو نعيم .

(٩) رواه الترمذى وابن ماجه وابن سعد .

(١٠) أخرجه الطبرانى .

وعن أنس رضى الله عنه قال : ان كانت الوليدة من ولائد أهل المدينة لتجىء فتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت (١١) .

وفى رواية : « ان كانت الأمة من أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتتطلق به فى حاجتها » ..

وعنه رضى الله عنه أن امرأة كان فى عقلها شيء .. فقالت : يا رسول الله .. ان لى اليك حاجة .. فقال : « يا أم فلان .. انظرى أى السكك شئت حتى أقضى حاجتك » .. فخلا معها فى بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها (١٢) ..

وعنه أيضا قال : ما رأيت رجلا قط انتقم أذن النبى صلى الله عليه وسلم فينحى رأسه .. حتى يكون الرجل هو الذى ينحى رأسه .. وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذا بيد رجل فترك يده .. حتى يكون الرجل هو الذى يدع يده (١٣) .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : سألت عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : كان خلقه القرآن .. يرضى لرضاه ويسخط لسخطه ..

وأخرج البيهقى عن زيد بن بابنوس قال : قلنا لعائشة رضى الله عنها : يا أم المؤمنين .. كيف كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ — فذكره .. وفى حديثه : ثم قالت : أتقرأ سورة المؤمنون ؟ .. اقرأ : « **قد أفلح المؤمنون** » الى العشر .. قالت : هكذا كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٤) .

وعن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهله الا قال : « لبيك » ولذلك أنزل الله عز وجل : « **وانك لعلى خلق عظيم** » (١٥) .

(١١) رواه أحمد .

(١٢) رواه مسلم وأخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة .

(١٣) رواه أبو داود . (١٤) رواه النسائى .

(١٥) القلم : ٤ والحديث رواه أبو نعيم فى دلائل النبوة .

وعن صفية بنت حيي — أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : ما رأيت أحدا أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم .. لقد رأيته وقد ركب بى من خير على عجز ناقته ليلا .. فجعلت أنعس فضرب رأسى مؤخرة الرجل .. فمسنى بيده يقول : « يا هذه مهلا .. يا بنت حيي مهلا » .. حتى اذا جاء الصهباء — موضع على راحة من خير — قال : « انى أعذر اليك يا صفية مما صنعت بقومك .. انهم قالوا لى كذا .. وقالوا لى كذا » (١٦) ..

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا أخذ أيسرهما ما لم يكن اثما .. فان كان اثما كان أبعد الناس منه .. وما انتقم لنفسه الا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها (١٧) .

وعنها رضى الله عنها قالت : ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادما له قط .. ولا امرأة .. ولا ضرب بيده شيئا الا أن يجاهد فى سبيل الله .. ولا خير بين شيئين قط الا كان أحبهما اليه أيسرهما .. الا أن يكون اثما .. فاذا كان اثما كان أبعد الناس من الاثم .. ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى اليه حتى تنتهك حرمة الله .. فيكون هو ينتقم لله عز وجل (١٨) .

وعن أبى عبد الله الجدلى قال : سمعت عائشة رضى الله عنها وسألتها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا — أى صياحا — فى الأسواق .. ولا يجزى بالسيئة السيئة .. ولكن يعفو ويصفح — أو قال : يعفو ويغفر — شك أبو داود — . (١٩) .

وعن صالح مولى التوأمة قال : كان أبو هريرة رضى الله عنه ينفذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كان يقبل جميعا ويدبر جميعا ، بأبى وأمى لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا فى الأسواق .. زاد آدم : لم أر مثله قبله ، ولم أر مثله بعده (٢٠) .

(١٦) أخرجه الطبرانى .

(١٧) أخرجه مالك وأبو داود والنسائى وأبو نعيم .

(١٨) أخرجه أحمد . (١٩) أخرجه أبو داود .

(٢٠) رواه يعقوب بن سفيان .

وعن أنس رضي الله عنه قال : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبابا ولا لعانا ولا فاحشا ، كان يقول لاحدنا عند المعاتبة : « ما له تربت جبينه » (٢١) .

وعند البخاري أيضا عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ، وكان يقول : « ان من خياركم أحسنكم أخلاقا » .

وعنه رضي الله عنه قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أخذ أبو طلحة رضي الله عنه بيدي فانطلق بي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. ان أنسا غلام كيس فليخدمك . قال : فخدمته في السفر والحضر ، والله .. ما قال لي شيء صنعته : لم صنعت هذا هكذا ؟ ولا شيء لم أصنعه : لم لم تصنع هذا هكذا ؟ (٢٢) .

كما قال رضي الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا فأرسلني يوما لحاجة فقلت : والله لا أذهب .. وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله صلى الله عليه وسلم .. فخرجت حتى أمر على الصبيان وهم يلعبون في السوق فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض بقفاي من ورائي . قال : فنظرت اليه وهو يضحك فقال : « يا أنيس .. أذهبت حيث أمرتك » ؟ قال : قلت : نعم أنا أذهب يا رسول الله .

قال أنس : والله .. لقد خدمته تسع سنين ما علمته قال شيء صنعته لم فعلت كذا وكذا ؟ أو شيء تركته : هلا فعلت كذا وكذا ؟ (٢٣) .
كما روى عن أنس رضي الله عنه أنه قال : ما مسست ديباجا ولا حريرا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ولا شممت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ولقد خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين .. فما قال لي قط : أف .. ولا قال شيء فعلته : لم فعلته ؟ .. ولا شيء لم أفعله : ألا فعلت كذا ؟ ! (٢٤) .

(٢١) رواه البخاري ومسلم وأحمد .

(٢٢) رواه مسلم .

(٢٣) رواه مسلم .

(٢٤) متفق عليه .

وعن النّوأس بن سمعان رضی الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال : « البر حسن الخلق ، والاثم ما حاك في نفسك ، وكرهت أن يطلع عليه الناس » (٢٥) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضی الله عنهما قال : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا . وكان يقول : « ان من خياركم أحسنكم أخلاقا » (٢٦) .

وعن أبي الدرداء رضی الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق ، وإن الله يبيغض الفاحش البذيء » (٢٧) .

والبذيء : هو الذي يتكلم بالفحش وردىء الكلام . .

وعن أبي هريرة رضی الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ قال : « تقوى الله وحسن الخلق » . .

وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار ، فقال « الفم والفرج » (٢٨) .

وذلك لأن اللسان هو مصدر الكفر والكذب والفحش والغيبة والنميمة . . والفرج هو مصدر الفاحشة من زنا ولواط وسحاق .

وعنه رضی الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ، وخياركم خياركم لنسائهم » (٢٩) .

وعن عائشة رضی الله عنها ، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان المؤمن لا يدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم » (٣٠) .

وعن أبي أمامة الباهلي رضی الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وان كان محقا . . وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وان كان مازحا . . وبيت في أعلا الجنة لمن حسن خلقه » (٣١) .

(٢٦) متفق عليه .

(٢٥) رواه مسلم .

(٢٨) رواه الترمذی .

(٢٧) رواه الترمذی .

(٣٠) رواه أبو داوود .

(٢٩) رواه الترمذی .

(٣١) رواه أبو داوود . . ومعنى زعيم : أى ضامن .

وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« ان من أحبكم الى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ..
وان أبغضكم الى وأبعدكم منى يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون
والمتفيهقون » قالوا : يا رسول الله .. قد علمنا الثرثارون والمتشدقون ..
فما المتفيهقون ؟ .. قال : « المتكبرون » (٣٢) .

ويقول الامام النووى : الثرثار هو كثير الكلام تكلفا .. والمتشددق :
المتطاول على الناس بكلامه ، ويتكلم بملء فيه تفاصحا وتعظيما لكلامه ..
والمتفيهق : أصله من الفهق .. وهو الامتلاء .. وهو الذى يملأ
فمه بالكلام ويتوسع فيه .. ويضرب به تكبرا وارتفاعا .. واظهارا
للفضيلة على غيره .



* من تواضعه .. صلى الله عليه وسلم :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جلس جبريل عليه السلام
الى النبى صلى الله عليه وسلم فنظر الى السماء فاذا ملك ينزل ،
فقال جبريل : هذا الملك ما نزل منذ خلق قبل الساعة ، فلما نزل قال :
يا محمد .. أرسلنى اليك ربك أفملكا نبيا أجعلك أو عبدا رسولا ؟ قال
جبريل : تواضع لربك يا محمد . قال : « بل عبدا رسولا » (٣٣) .

ورواه أبو يعلى باسناد حسن ، كما قال الهيثمى عن عائشه رضى
الله عنها بمعناه مع زيادة فى أوله وزاد فى آخره : قال : فكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا يأكل متكئا يقول : « أكل
كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد » .

وعن أبى غالب قال : قلت لأبى أمامة رضى الله عنه : حدثنا حديثا
سمعتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : كان حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم القرآن يكثر الذكر ويقصر الخطبة ويطول الصلاة
ولا يأنف ولا يستكبر أن يذهب مع المسكين والضعيف حتى يفرغ من
حاجته (٣٤) .

(٣٢) رواه الترمذى .

(٣٣) رواه أحمد والبزار وأبو يعلى .

(٣٤) أخرجه الطبرانى .

وعن أنس رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الذكر ويقل اللغو ويركب الحمار ويلبس الصوف ويجيب دعوة المملوك .. ولقد رأيته يوم خبير على حمار خطامه من ليف (٣٥) .

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف ويعتقل الشاة ويأتى مراعاة الضيف (٣٦) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ويعقل الشاة ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير (٣٧) .

وعنه رضى الله عنه قال : ان كان الرجل من أهل العوالى ليدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصف الليل على خبز الشعير فيجيب (٣٨) .

وعن أنس رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخة فيجيب ولقد كانت له درع عند يهودى فما وجد ما يفكها حتى مات (٣٩) .

والاهالة : ما أذيب من الالية والشحم .. وقيل الدسم الجامد .. والسنخة : أى متغيرة الريح .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رجلا نادى النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثا كل ذلك يرد عليه « لبيك .. لبيك .. لبيك .. » (٤٠) .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال : كانت امرأة تراغت الرجال وكانت بذينة فمرت بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو يأكل ثريدا على طربال فقالت : انظروا اليه يجلس كما يجلس العبد ويأكل كما يأكل العبد ! فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « وأى عبد أعبد منى » ؟ قالت :

(٣٥) أخرجه أبو داود — والمعنى أنه لم يكن يلغو أصلا .. ويستعمل هذا اللفظ فى نفي أصل الشيء .. ويجوز أن يراد باللغو الهزل والدعابة .. وان كان ذلك منه قليلا .

(٣٦) أخرجه البيهقى — ويعتقل الشاة : أى يضع رجلها بين ساقه وفخذيه ويحتلبها .

(٣٨) أخرجه الطبرانى .

(٣٧) أخرجه الطبرانى .

(٤٠) أخرجه أبو يعلى .

(٣٩) أخرجه الترمذى .

وياكل ولا يطعمنى ؟ قال : « فكلى » . قالت : ناولنى بيدك . فناولها فقالت : أطعمنى مما فى فيك . فأعطاها فأكلت فغلبها الحياء فلم تراغث أحدا حتى ماتت (٤١) .

وعن جرير رضى الله عنه أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم من بين يديه فاستقبلته رعدة فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « هون عليك فانى لست بملك انما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد » (٤٢) .
وعن عامر بن ربيعة رضى الله عنه قال : خرجت مع النبى صلى الله عليه وسلم الى المسجد فانقطع شسعہ فأخذت نعله لأصلحها فأخذها من يدي وقال : « انها أثره ولا أحب الأثرة » (٤٣) .

وعن عبد الله بن جبير الخزاعى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمشى فى أناس من أصحابه فتستر بثوب ، فلما رأى ظلة رفع رأسه فإذا هو بملاءة قد ستر بها فقال له : « مه » . وأخذ الثوب فوضعه ، فقال : « انما أنا بشر مثلكم » (٤٤) .

وعن عروة رضى الله عنه قال : سأل رجل عائشة : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل فى بيته ؟ قالت : نعم . . كان يخصف نعله ويخيط ثوبه ، كما يعمل أحدكم فى بيته . وعند البيهقى عن عمرة قالت : قلت لعائشة : ما كان يعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته ؟ قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرا من البشر يفلئ ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه (٤٥) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال العباس : قلت : لا أدرى ما يقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا ، فقلت : يا رسول الله . . لو اتخذت عريشا يظلك ؟ قال : « لا أزال بين أظهركم يطأون عقبى وينازعون ردائى حتى يكون الله يريحنى منهم » (٤٦) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكل طهوره الى أحد ولا صدقته التى يتصدق بها يكون هو الذى يتولاها بنفسه (٤٧) .

(٤١) أخرجه الطبرانى — والطبريال هى الأرض .

(٤٢) أخرجه البزار .

(٤٣) أخرجه الطبرانى .

(٤٤) أخرجه البيهقى والترمذى .

(٤٥) أخرجه الطبرانى .

(٤٦) ذكره القزوينى .

(٤٧) أخرجه البزار .

وعن جابر رضى الله عنه قال : جاء النبی صلی الله علیه وسلم
يعودنی لیس براکب بغلا ولا برذونا (٤٨) .

وعن أنس رضى الله عنه قال : حج رسول الله صلی الله علیه وسلم
على رحل رث وعليه قطيفة لا تساوى أربعة دراهم فقال : « اللهم ..
اجعله حبا لا رياء فيه ولا سمعة » (٤٩) .

وعنه رضى الله عنه قال : دخل رسول الله صلی الله علیه وسلم
مكة يوم الفتح وذقنه على راحلته متخشعا . وقال ابن اسحاق :
حدثني عبد الله بن أبي بكر رضى الله عنهما أن رسول الله صلی الله علیه
وسلم لما انتهى الى ذى طوى وقف على راحلته معتجرا بشقة بردة
حبرة حمراء وأن رسول الله صلی الله علیه وسلم ليضع رأسه تواضعا
لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى أن عثنونه ليكاد يمس
واسطة الرحل (٥٠) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : دخلت يوما السوق مع
رسول الله صلی الله علیه وسلم فجلس الى البزازين فاشتري سراويل
بأربعة دراهم وكان لأهل السوق وزان فقال له : « زن وأرجح » .
وأخذ رسول الله صلی الله علیه وسلم السراويل فذهبت لأحمل عنه
فقال : « صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله الا أن يكون ضعيفا
فيعجز عنه فيعينه أخوه المسلم » ، فقلت : يا رسول الله .. انك لتلبس
السراويل ؟ قال : « أجل في السفر والحضر وبالليل والنهار فأنى
أمرت بالستر فلم أجد شيئا أستر منه » (٥١) .

وعنه رضى الله عنه مثله وزاد : فقال له رسول الله صلی الله
عليه وسلم : « اتزن وأرجح » . فقال الوزان : ان هذه لكلمة ما سمعتها
من أحد ، فقال أبو هريرة : فقلت له : كفك من الزهق والجفاء في
دينك ألا تعرف نبيك ؟ فطرح الميزان ووثب الى يد رسول الله صلی
الله عليه وسلم يريد أن يقبلها فحذف رسول الله صلی الله عليه وسلم
يده منه فقال : « ما هذا .. انما يفعل هذا الأعاجم بملوكها ولست
بملك .. انما أنا رجل منكم » (٥٢) .

(٤٩) أخرجه الترمذی .

(٤٨) أخرجه البخاری .

(٥١) أخرجه الطبرانی وأبو يعلى .

(٥٠) أخرجه البيهقي .

(٥٢) رواه أبو يعلى والطبرانی .

وعن أنس رضي الله عنه أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال :
كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعلُه (٥٣) .

وعن عياض بن حمار رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغي أحد على أحد » (٥٤) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله » (٥٥) .

وعن أبي رفاعة تميم بن أسيد رضي الله عنه قال : انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب . فقلت : يا رسول الله . . رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدرى ما دينه ؟ فأقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وترك خطبته حتى انتهى الى ، فأتى بكرسي فقعده عليه ، وجعل يعلمني مما علمه الله ، ثم أتى خطبته ، فأتتم آخرها (٥٦) .

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أكل طعاما لعق أصابعه الثلاث . قال : وقال : « اذا سقطت لقمة أحدكم ، فليمط عنها الأذى ، وليأكلها ، ولا يدعها للشيطان » وأمر أن تسلت القصعة قال : « فانكم لا تدرون في أي طعامكم البركة » (٥٧) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما بعث الله نبيا الا رعى الغنم » قال أصحابه : وأنت ؟ فقال : « نعم . . كنت أرها على قراريط لأهل مكة » (٥٨) .

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لو دعيت الى كراع أو ذراع لأجبت ، ولو أهدى الى ذراع أو كراع لقبّلت » (٥٩) .
وعن أنس رضي الله عنه قال : كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق — أو لا تكاد تسبق — فجاء أعرابي

(٥٤) رواه مسلم .
(٥٦) رواه مسلم .
(٥٨) رواه البخاري .

(٥٣) متفق عليه .
(٥٥) رواه مسلم .
(٥٧) رواه مسلم .
(٥٩) رواه البخاري .

على قعود له ، فسبقها ، فشق ذلك على المسلمين حتى عرفه ، فقال :
« حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا الا وضعه » (٦٠) .

ومن الأمثلة على تواضعه وحلمه صلى الله عليه وسلم ما رواه
ابن أبي شيبة عن قيس بن وهب عن رجل من بنى سراق قال : قلت
لعائشة : أخبريني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت :
أما تقرأ القرآن : « **وانك لعلى خلق عظيم** » . قالت : كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع أصحابه فصنعت له طعاما وصنعت له حفصة
رضي الله عنها طعاما فسبقتني حفصة فقلت للجارية : انطلقى فأكفئني
قصعتها . فأهوت أن تضعها بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
فكفأتها ، فانكفأت القصعة فانتشر الطعام ، فجمعها النبي صلى الله
عليه وسلم وما فيها من الطعام على الأرض فأكلوا ، ثم بعثت
بقصعتي فدفعها النبي صلى الله عليه وسلم الى حفصة فقال : « خذوا
ظرفا مكان ظرفكم وكلوا ما فيها » . قالت : فما رأيته في وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

* * *

* من حلمه .. صلى الله عليه وسلم :

يقول الله تعالى : « **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله
يحب المحسنين** » (٦١) .

ويقول : « **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** » (٦٢) .
ويقول سبحانه : « **ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي
هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم** » . وما يلقاها
الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » (٦٣) .
ويقول جل شأنه : « **ولن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور** » (٦٤) .

عن عبد الله رضي الله عنه قال : لما كان يوم حنين أثر النبي
صلى الله عليه وسلم ناسا فأعطى الأقرع بن حابس رضي الله عنه مائة
من الابل وأعطى عيينة رضي الله عنه مثل ذلك وأعطى ناسا ، فقال

(٦١) آل عمران : ١٣٤

(٦٣) فصلت : ٣٤ ، ٣٥

(٦٠) رواه البخاري .

(٦٢) الأعراف : ١٩٩

(٦٤) الشورى : ٤٣

رجل : ما أريد بهذه القسمة وجه الله • فقلت : لأخبرن النبي صلى الله عليه وسلم • فأخبرته فقال : « رحم الله موسى • • قد أودى بأكثر من هذا فصبر » •

وفي رواية : فقال رجل : والله ان هذه لقسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجه الله • فقلت : والله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته فأخبرته فقال : « من يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله ؟ • • رحم الله موسى • • قد أودى بأكثر من هذا فصبر » (٦٥) •

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن عبد الله بن أبى لما توفى • • جاء ابنه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أعطنى قميصك أكفنه فيه • • وصل عليه واستغفر له • •

فأعطاه قميصه وقال : « آذنى أصلى عليه » • • فأذنه • • فلما أراد أن يصلى جذبته عمر — رضى الله عنه — وقال : أليس الله نهاك أن تصلى على المنافقين ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « أنا بين خيرتين » قال : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم » (٦٦) • • فصلى عليه فنزلت هذه الآية : « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا » (٦٧) •

وعن عمر رضى الله عنه قال : لما توفى عبد الله بن أبى • • دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه فقام اليه • • فلما وقف عليه يريد الصلاة تحولت حتى قمت فى صدره فقلت : يا رسول الله • • أعلى عدو الله عبد الله بن أبى القائل يوم كذا : كذا وكذا — يعدد أيامه : قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى اذا أكثرت عليه قال : « آخر عنى يا عمر • • انى خيرت فاخترت ، قد قيل لى : « استغفر لهم » — الآية — لو أعلم أنى لو زدت على السبعين غفر له لزدت » • قال : ثم صلى عليه ومشى معه وقام على قبره حتى فرغ منه ، قال : فعجبت من جرأتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم • قال : فوالله • • ما كان الا يسيرا حتى نزلت هاتان الآيتان : « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا » — الآية — فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله عز وجل (٦٨) •

(٦٥) أخرجهما البخارى • (٦٦) التوبة : ٨٠

(٦٧) أخرجه الشيخان والآية من سورة التوبة : ٨٤

(٦٨) رواه أحمد والبخارى والترمذى •

وعن جابر رضى الله عنه قال : لما مات عبد الله بن أبي أتى ابنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. انك ان لم تأتته لم نزل نعيير بهذا ، فاتاه النبي صلى الله عليه وسلم فوجده قد أدخل في حفرته فقال : « أفلا قبل أن تدخلوه » . فأخرج من حفرته وتفل عليه من ريقه من قرنه الى قدمه وألبسه قميصه . ورواه النسائي . وعند البخاري عنه قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي بعدما أدخل في قبره فأمر به فأخرج ووضع على ركبتيه ونفث عليه من ريقه وألبسه قميصه (٦٩) .

وعن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : سحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك أياما ، قال : فجاءه جبريل عليه السلام فقال : ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا في بئر كذا وكذا ، فأرسل اليها من يجيء بها . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستخرجها فجاءه بها فحلها ، قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقل ، فما ذكر ذلك لليهودي ولا رآه في وجهه حتى مات (٧٠) .

وعن أنس رضى الله عنه قال : كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وعليه برد نجراني غليظ الحاشية .. فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة .. فنظرت الى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم .. وقد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته .. ثم قال : يا محمد .. مر لي من مال الله الذي عندك .. فالتفت اليه فضحك .. ثم أمر له بعطاء ..

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها فجاء بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك قالت : أردت لأقتلك . فقال : « ما كان الله ليهلكك » — أو قال : على ذلك — قالوا : ألا نقتلها ؟ قال : « لا » . قال أنس : فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧١) .

(٦٩) رواه أحمد وابن كثير . (٧٠) رواه أحمد والنسائي .

(٧١) أخرجه الشيخان .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن امرأة من يهود أهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مسمومة فقال لأصحابه : « أمسكوا فانها مسمومة » • وقال لها : « ما حملك على ما صنعت » ؟ قالت : أردت أن أعلم ان كنت نبيا فسيطلعك الله عليه وان كنت كاذبا أريح الناس منك • قال : فما عرض لها رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧٢) •

وعن مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلى رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال في مرضه الذى توفى فيه ودخلت عليه أخت بشر بن البراء بن المعرور : « يا أم بشر •• ان هذا الأوان وجدت انقطاع أبهري من الأكلة التى أكلت مع أخيك بخير » • قال ابن هشام : الأبهري : العرق المعلق بالقلب ، قال : فان كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله به من النبوة (٧٣) •

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : جاء الطفيل بن عمرو الدوسى رضى الله عنه الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ان دوسا قد عصت وأبت فادع الله عليهم • فاستقبل القبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع يديه فقال الناس : هلكوا • فقال : « اللهم اهد دوسا وائت بهم •• اللهم اهد دوسا وائت بهم •• اللهم اهد دوسا وائت بهم » (٧٤) •

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأشجع عبد القيس : « ان فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة » (٧٥) •

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله » (٧٦) •

وعنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله رفيق يحب الرفق ، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف ، وما لا يعطى على ما سواه » (٧٧) •

(٧٢) أخرجه البيهقى وأبو داود وأحمد والبخارى •

(٧٣) أخرجه ابن اسحاق • (٧٤) أخرجه الشيخان •

(٧٥) رواه مسلم • (٧٦) متفق عليه •

(٧٧) رواه مسلم •

وعنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الرفق لا يكون في شيء الا زانه ، ولا ينزع من شيء الا شانه » (٧٨) .

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تتفروا » (٧٩) .

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من يحرم الرفق يحرم الخير كله » (٨٠) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أوصني . قال : « لا تغضب » (٨١) .

وعن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله كتب الاحسان على كل شيء ، فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته » (٨٢) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كأنني أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي نبيا من الأنبياء .. صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه .. وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : « اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون » ..

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليس الشديد بالصرعة .. انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » .

* * *

* من شفقتة .. صلى الله عليه وسلم :

عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اني لأدخل في الصلاة وأنا أريد أن أطيلها فأسمع بكاء الصبي .. فأتجاوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه » (٨٣) .

(٧٩) متفق عليه .
(٨١) رواه البخاري .
(٨٣) أخرجه الشيخان .

(٧٨) رواه مسلم .
(٨٠) رواه مسلم .
(٨٢) رواه مسلم .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن أعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينه فى شىء — قال عكرمة رضى الله عنه : أراه قال فى دم — فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ..

ثم قال : « أحسنت اليك » ؟ قال الأعرابى : لا .. ولا أجملت (!!!)

فغضب بعض المسلمين وهموا أن يقوموا اليه .. فأشار صلى الله عليه وسلم اليهم أن كفوا .. فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ الى منزله دعا الأعرابى الى البيت فقال : « انما جئتنا تسألنا فأعطيناك .. فقلت ما قلت !

فزاده رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا وقال : « أحسنت اليك » ؟

فقال الأعرابى : نعم جزاك الله من أهل وعشيرة خيرا ..

قال صلى الله عليه وسلم : « انك جئت تسألنا فأعطيناك فقلت ما قلت .. وفى أنفـس أصحابى عليك من ذلك شىء .. فاذا جئت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدى حتى يذهب عن صدورهم » .. فقال : نعم ..

فلما جاء الأعرابى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان صاحبكم كان جاءنا فسألنا فأعطيناه .. فقال ما قال .. وانا قد دعوناه فأعطيناه فزعم أنه قد رضى .. أكذلك يا أعرابى ؟

فقال الأعرابى : نعم .. فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا ..

فقال صلى الله عليه وسلم : « ان مثلى ومثل هذا الأعرابى .. كمثـل رجل كانت له ناقة فشردت عليه .. فاتبـعها الناس فلم يزيـدوها الا نفورا .. فقال لهم صاحب الناقة : خلوا بينى وبين نـاقتى فأنا أرفق بها وأنا أعلم بها .. فتوجه لها فأخذ من قشام الأرض — أى ثمر النخل — ودعاها حتى جاءت واستجابت وشد عليها رحلها .. وانى لو أطعتمكم حيث قال ما قال لدخل النار » (٨٤) .

* * *

* من حياته .. صلى الله عليه وسلم :

عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء فى خدرها (٨٥) ..

وزاد البخارى فى رواية : « واذا كره شيئاً عرف فى وجهه » ..

وأخرجه البزار عن أنس رضى الله عنه نحوه وزاد : « وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحياء خير كله » ..

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى على رجل صفرة فكرهاها ، قال : فلما قام قال : « لو أمرتم هذا أن يغسل عنه هذه الصفرة » ..

قال : وكان لا يكاد يواجه أحدا بشيء يكرهه (٨٦) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن رجل شيء لم يقل : ما بال فلان يقول ؟ .. ولكن يقول : « ما بال أقوام يقولون كذا وكذا » (٨٧) .

وعن موسى بن عبد الله بن يزيد الخطمى عن مولى لعائشة رضى الله عنها قال : قالت عائشة : ما نظرت الى فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أو قالت : ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط (٨٨) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه فى الحياء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعه فان الحياء من الايمان » (٨٩) .

وعن عمران بن حصين ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحياء لا يأتى الا بخير » (٩٠) .

وفى رواية لمسلم : « الحياء خير كله » أو قال : « الحياء كله خير » .

(٨٥) متفق عليه .

(٨٦) أخرجه أحمد ورواه أبو داود والنسائى والترمذى .

(٨٧) أخرجه أبو داود . (٨٨) أخرجه الترمذى .

(٨٩) متفق عليه . (٩٠) متفق عليه .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الايمان بضع وسبعون — أو بضع وستون — شعبة فأفضلها قول لا اله الا الله ، وأدناها امانة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الايمان » (٩١) .

يقول الامام النووي : « لبضع » : بكسر الباء . ويجوز فتحها ، وهو من الثلاثة الى العشرة . « والشعبة » : القطعة والخصلة . و « الامانة » : الازالة . و « الأذى » : ما يؤذى كحجر وشوك وطين ورماد وقذر ونحو ذلك .

* * *

* من جوده وكرمه .. صلى الله عليه وسلم :

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقى جبريل عليه السلام وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، قال : فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة (٩٢) .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال : لا (٩٣) .

وعن الربيع بنت معوذ بن عفراء رضى الله عنهما قالت : بعثنى معوذ بن عفراء بصاع من رطب عليه آخر من قثاء زغب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان النبی صلى الله عليه وسلم يحب القثاء وكانت حلية قد قدمت من البحرين فملاً يده منها فأعطانيها .

وفي رواية : فأعطاني ملء كفى حلياً أو ذهباً (٩٤) .

والزغب : صغار الريش أول ما يطلع .. وشبهت به — رضى الله عنها — ما على القثاء من الزغب .

وعن أم سنبلة رضى الله عنها أنها أتت النبی صلى الله عليه وسلم بهدية فأبى أزواجه أن يقبلنها فقلن : انا لا نأخذ ، فأمرهن النبی صلى الله عليه وسلم

(٩٢) أخرجه الشيخان .

(٩٤) أخرجه الطبرنى .

(٩١) متفق عليه .

(٩٣) أخرجه الشيخان .

الله عليه وسلم فأخذنها ، ثم أقطعها واديا فاشتراه عبد الله بن جحش من حسن بن علي - رضي الله عنهم (٩٥) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » (٩٦) .

وعن أبي شريح رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته » قالوا : وما جائزته يا رسول الله ؟ قال : « يومه وليلته .. والضيافة ثلاثة أيام ، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه » (٩٧) .

وفي رواية لمسلم : « لا يحل لمسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمه » قالوا : يا رسول الله .. وكيف يؤثمه ؟ قال : « يقيم عنده ولا شيء له يقريه له » .

والمعنى : أن لا يطيل الضيف الإقامة عند مضيفه أكثر من المدة الشرعية .. حتى لا يدفعه الى الاستدانة المفضية الى الاثم من كذب وخلف للوعد ومماثلة ..

* * *

* من صبره .. صلى الله عليه وسلم :

مر بنا نماذج من صبره صلى الله عليه وسلم (٩٨) .. وعن حذيفة رضي الله عنه عن عمته فاطمة رضي الله عنها قالت : أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في نساء نعوده وقد حم فأمر بسقاء فعلق على شجرة ثم اضطجع تحته فجعل يقطر على فواقه من شدة ما يجد من الحمى فقلت : يا رسول الله .. لو دعوت الله أن يكشف عنك .. فقال : « ان أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » (٩٩) .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وجع فجعل يشتكى ويتقلب على فراشه فقالت له عائشة : لو فعل

(٩٥) أخرجه الطبراني . (٩٦) متفق عليه .

(٩٧) متفق عليه .

(٩٨) بالفصل الثامن : ص ٦٩٣ وما بعدها .

(٩٩) أخرجه البيهقي وأحمد والطبراني .

هذا بعضنا لوجدت عليه • فقال : « ان المؤمنين ليشدد عليهم وانه ليس من مؤمن تصييه نكبة شوكة ولا وجع الا كفر الله عنه بها خطيئة ورفع له بها درجة » (١٠٠) •

وعن مكحول رضى الله عنه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معتمد على عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه وابراهيم يجود بنفسه ، فلما مات دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عبد الرحمن : أى رسول الله •• هذا الذى تنهى الناس عنه ، متى يرك المسلمون تبكى بيكوا • قال : فلما سریت — أى كشفت — عنه عبرته قال : « انما هذا رحم وان من لا يرحم لا يرحم ، انما ننهى الناس عن النياحة وأن يندب الرجل بما ليس فيه » ، ثم قال : « لولا أنه وعد جامع وسبيل مئتاء — أى مسلوك — وأن آخرنا لاحق بأولنا لوجدنا عليه وجدا غير هذا وانا عليه لمحزونون •• تدمع العين ويحزن القلب ، ولا نقول ما يسخط الرب وفضل رضاعه في الجنة » (١٠١) •

* * *

* من شكره •• صلى الله عليه وسلم :

عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوجه نحو مشربته فدخل فاستقبل القبلة فخر ساجدا فأطال السجود حتى ظننت أن الله قد قبض نفسه فيها فدنوت منه فرفع رأسه قال : « من هذا » ؟ قلت : عبد الرحمن • قال : « ما شأنك » ؟ قلت : يا رسول الله •• سجدت سجدة خشيت أن يكون الله قد قبض نفسك فيها • قال : « ان جبريل صلى الله عليه وسلم أتانى فبشرنى فقال : ان الله عز وجل يقول : من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه ، فسجدت لله شكرا » (١٠٢) •

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : أقبلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى فلم يزل قائما حتى أصبح فسجد سجدة ظننت أن نفسه قد قبضت فيها ، قال : « تدري لم ذاك » ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، فأعادها على ثلاثا

(١٠٠) أخرجه ابن سعد والحاكم والبيهقى •

(١٠١) أخرجه ابن سعد • (١٠٢) أخرجه أحمد •

أو أربعا فقال : « انى صليت ما كتب لى ربى وأتانى ربى ، فقال لى فى آخرها : ما أفعل بأمتك ؟ قلت : أى رب .. أنت أعلم ، فأعادها على ثلاثا أو أربعا فقال لى فى آخرها : ما أفعل بأمتك ؟ قلت : أنت أعلم يا رب . قال : انى لا أحزنك فى أمتك ، فسجدت لربى وربى شاكر يحب الشاكرين » (١٠٣) .

وعن عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما قال : جئت أزور رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو يوحى اليه ، فلما سرى عنه قال لعائشة رضى الله عنها : « ناولينى ردائى » ، فخرج فدخل المسجد فاذا فيه قوم ليس فى المسجد غيرهم فجلس فى ناحية القوم حتى قضى المذكر تذكروته قرأ تنزيل السجدة فأطال السجود حتى اذا جاء من كان على قدر ميلين وتسامع الناس سجوده فعجز المسجد عن الناس فأرسلت عائشة الى أهلها : احضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد رأيت منه شيئا لم أره ، فرفع رأسه فقال أبو بكر رضى الله عنه : يا رسول الله .. أطلت السجود ! فقال : « سجدت لربى شكرا فيما أعطانى من أمتى سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب » ، فقال أبو بكر : يا رسول الله .. أمتك أكثر وأطيب فاستكثرهم ، فقال مرتين أو ثلاثا ، فقال عمر رضى الله عنه : بأبى أنت وأمى يا رسول الله .. فقد استوهبت أمتك (١٠٤) .

وعن على رضى الله عنه قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية من أهله فقال : « اللهم ان لك على ان رددتهم سالمين أن أشركك حق شكرك » ، فما لبثوا أن جاءوا سالمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحمد لله على سابغ نعم الله » ، فقلت : يا رسول الله .. ألم تقل : ان ردهم الله أن أشكره حق شكره ؟ فقال : « أو لم أفعل » ؟ (١٠٥) .

* * *

(١٠٤) أخرجه الطبرانى .

(١٠٣) أخرجه الطبرانى .

(١٠٥) أخرجه البيهقى .

* من اجتهاده .. صلى الله عليه وسلم :

عن علقمة رضى الله عنه قال : سألت عائشة رضى الله عنها :
أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخص شيئاً من الأيام ؟ قالت :
لا .. كان عمله ديمة .. وأيكم يطيق ما كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يطيق ؟ (١٠٦) .

وعن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قام حتى تفطرت قدماه .. فقليل له : أليس قد غفر الله
لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : « أفلا أكون عبداً شكوراً » ؟ (١٠٧) .

* * *

* من ورعه .. صلى الله عليه وسلم :

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وجد تحت جنبه ثمرة من الليل فأكلها فلم ينم تلك الليلة
فقال بعض نسائه : يا رسول الله .. أرققت الليلة ، قال : « انى وجدت
تحت جنبى ثمرة فأكلتها وكان عندنا تمر من تمر الصدقة فخشيت أن
تكون منه » (١٠٨) .

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الحلال بين ، وان الحرام بين ،
وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات ،
استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات ، وقع فى الحرام ، كالراعى
يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وان لكل ملك حمى ،
ألا وان حمى الله محارمه ، ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح
الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله : ألا وهى القلب » (١٠٩) .
وعن النواس بن سمعان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه
وسلم قال : « البر حسن الخلق ، والاثم ما حاك فى نفسك وكرهت
أن يطلع عليه الناس » رواه مسلم (١١٠) .

و « حاك » أى : تردد فيه .

(١٠٧) أخرجه الشيخان .

(١٠٩) متفق عليه .

(١٠٦) أخرجه الشيخان .

(١٠٨) أخرجه أحمد .

(١١٠) رواه مسلم .

وعن وابصة بن معبد رضى الله عنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « جئت تسأل عن البر » ؟ قلت : نعم ، فقال : « استفت قلبك •• البر ما اطمأنت اليه النفس ، واطمأن اليه القلب ، والاثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر ، وان أفتاك الناس وأفتوك » (١١١) •

وعن الحسن بن علي رضى الله عنهما ، قال : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دع ما يريبك الى ما لا يريبك » (١١٢) •

وعن عطية بن عروة السعدي رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به •• حذرا لما به بأس » (١١٣) •



* من توكله •• صلى الله عليه وسلم :

عن جابر رضى الله عنه أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة نجد ، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركته القائلة في واد كثير العضاة فتفرق الناس يستظلون بالشجر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت ظل شجرة فعلق بها سيفه ، قال جابر : فنمنا نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا فأجبناه واذا عنده أعرابي جالس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان هذا اخترط سيفي وأنا نائم ، فاستيقظت وهو في يده صلتا ، فقال : من يمنعك مني ؟ قلت : الله •• فشام السيف وجلس » • ولم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد فعل ذلك (١١٤) •

وعنه رضى الله عنه قال : قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم محارب وغطفان بنخل فرأوا من المسلمين عرة فجاء رجل منهم يقال له غورث بن الحارث حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف وقال : من يمنعك مني ؟ قال : « الله » ، فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف وقال : « من يمنعك مني ؟ »

(١١١) رواه أحمد والدارمي • (١١٢) رواه الترمذي •
(١١٣) رواه الترمذي • (١١٤) أخرجه الشيخان •

فقال : كن خير آخذ ، قال : « تشهد أن لا اله الا الله » ؟ قال : لا . .
ولكن أعاهدك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك ، فخلي
سبيله ، فأتى أصحابه وقال : جئتم من عند خير الناس (١١٥) .

* * *

* من خوفه . . صلى الله عليه وسلم :

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال أبو بكر رضى الله عنه :
يا رسول الله . . أراك شبت ، فقال : « شيبتنى هود والواقعة والمرسلات
وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت » . وفى رواية له عن أبى سعيد
رضى الله عنه قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يا رسول الله . .
أسرع اليك الشيب ، فقال : « شيبتنى هود وأخواتها : الواقعة وعم
يتساءلون وإذا الشمس كورت » (١١٦) .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال : « كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى
سمعه ينتظر متى يؤمر » ؟ قال المسلمون : يا رسول الله . . فما نقول ؟
قال : « قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا » (١١٧) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
سمع قارئاً يقول : « ان لدينا أنكالا وجحima » فصعق (١١٨) .

* * *

* من بكائه . . صلى الله عليه وسلم :

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « اقرأ على » ، فقلت : اقرأ عليك وعليك أنزل ؟ فقال :
« انى أحب أن أسمع من غيرى » ، قال : فقرأت سورة النساء
حتى اذا بلغت : « فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على
هؤلاء شهيدا » (١١٩) ، قال « حسبك » . فالتفت فاذا عيناه
تذرفان (١٢٠) .

* * *

(١١٥) أخرجه البيهقى .

(١١٦) أخرجه البيهقى .

(١١٧) أخرجه أحمد .

(١١٨) أخرجه ابن النجار — والآية من سورة المزمل : ١٢

(١٢٠) رواه البخارى .

(١١٩) النساء : ٤١

* من شجاعته .. صلى الله عليه وسلم :

عن أنس رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وكان أجود الناس وكان أشجع الناس ، ولقد فرغ أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله راجعا وقد سبقهم الى الصوت وهو على فرس لأبى طلحة رضى الله عنه عرى في عنقه السيف وهو يقول : « لم تراعوا لم تراعوا » • قال : « وجدناه بحرا — أو انه لبحر » — قال : وكان فرسا بيطاً • وعند مسلم عنه قال : كان فرغ بالمدينة فاستعار رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لأبى طلحة يقال له مندوب ، فركبه فقال : « ما رأينا من فرغ وان وجدناه لبحرا » ، قال : كنا اذا اشتد البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم • وعند أحمد والبيهقى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : لما كان يوم بدر اتقينا المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس بأسا (١٢١) •

وعن أبى اسحاق سمع البراء بن عازب رضى الله عنه وسأله رجل من قيس : أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ؟ فقال : لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر • كانت هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكبنا على الغنائم فاستقبلتنا بالسهام ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وان أبا سفيان رضى الله عنه أخذ بزمامها وهو يقول « أنا النبی لا كذب » • وفى رواية للبخارى : أنه قال : « أنا النبی لا كذب .. أنا ابن عبد المطلب » •

وفى رواية أخرى عنه : « ثم نزل عن بغلته » • ورواه مسلم والنسائى ، وعند مسلم عن البراء قال : ثم نزل فاستنصر وهو يقول :

« أنا النبی لا كذب .. أنا ابن عبد المطلب ، اللهم نزل نصرک » • قال البراء : ولقد كنا اذا حمى البأس نتقى برسول الله صلى الله عليه وسلم وان الشجاع الذى يحاذى به (١٢٢) •

* * *

(١٢١) أخرجه الشيخان واللفظ لمسلم .

(١٢٢) أخرجه البخارى .

* من بركته ٠٠ صلى الله عليه وسلم :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : والله الذى لا اله الا هو ، ان كنت لأعتمد بكبدى على الأرض من الجوع ، وان كنت لأشد الحجر على بطنى من الجوع • ولقد قعدت يوما على طريقهم الذى يخرجون منه ، فمر بى النبى صلى الله عليه وسلم ، فتبسم حين رآنى ، وعرف ما فى وجهى وما فى نفسى ، ثم قال : « أبا هر » قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : « الحق » ومضى فاتبعته ، فدخل فاستأذنت ، فأذن لى فدخلت ، فوجد لبنا فى قدح فقال : « من أين هذا اللبن » ؟ قالوا : أهده لك فلان — أو فلانة — قال : « أبا هر » قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : الحق الى أهل الصفة فادعهم لى •

قال : وأهل الصفة أضياف الاسلام ، لا يأوون على أهل ، ولا مال ، ولا على أحد ، وكان اذا أتته صدقة بعث بها اليهم ، ولم يتناول منها شيئا ، واذا أتته هدية أرسل اليهم ، وأصاب منها وأشركهم فيها ، فسألتنى ذلك فقلت : وما هذا اللبن فى أهل الصفة ! كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها ، فاذا جاءوا وأمرنى فكنت أنا أعطيهم ، وما عسى أن يبلغنى من هذا اللبن ، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بد ، فأتيتهم فدعوتهم ، فأقبلوا واستأذنوا ، فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت •

قال : « يا أبا هر » قلت : لبيك يا رسول الله • قال : « خذ فأعطهم » قال : فأخذت القدح ، فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ، ثم يرد على القدح ، فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ، ثم يرد على القدح حتى انتهيت الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد روى القوم كلهم ، فأخذ القدح فوضعه على يده ، فنظر الى فتبسم ، فقال : « أبا هر » قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : « بقيت أنا وأنت » قلت : صدقت يا رسول الله ، قال : « اقعد فاشرب » فقعدت فشربت • فقال : « اشرب » فشربت ، فما زال يقول : « اشرب » حتى قلت : لا والذى بعثك بالحق ما أجد له مسلكا ! قال : « فأرنى » فأعطيته القدح ، فحمد الله تعالى ، وسمى وشرب الفضلة (١٢٣) •

وعن جابر رضى الله عنه قال : انا كنا يوم الخندق نحفر ، فعرضت كدية شديدة — أى صخرة — فجاءوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : هذه كدية عرضت فى الخندق • فقال : « أنا نازل » ثم قام ، وبصّنه معصوب بحجر ، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول ، فضرب ، فعاد كثييا أهيل — أو أهيم — فقلت : يا رسول الله •• ائذن لى الى البيت ، فقلت لامراتى : رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم ما عن ذلك صبر فعندك شىء ؟ فقالت : عندى شعير وعناق ، فذبحت العناق ، وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم فى البرمة ، ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم ، والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافي قد كادت تنضج ، فقلت : طعيم لى فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان ، قال : « كم هو » ؟ فذكرت له فقال : « كثير طيب ، قل لها لا تنزع البرمة ، ولا الخبز من التنور حتى آتى » فقال : « قوموا » فقام المهاجرون والأنصار ، فدخلت عليها فقلت : ويحك •• جاء النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرون والأنصار ومن معهم ! قالت : هل سألك ؟ قلت : نعم •• قال : « ادخلوا ولا تضاغطوا » فجعل يكسر الخبز ، ويجعل عليه اللحم ، ويخمر البرمة والتنور اذا أخذ منه ، ويقرب الى أصحابه ، ثم ينزع ، فلم يزل يكسر ويغرف حتى شبعوا ، وبقي منه ، فقال : « كلى هذا وأهدى ، فان الناس أصابتهم مجاعة » (١٢٤) •

وفى رواية : قال جابر : لما حفر الخندق رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم خمصا ، فانكفأت الى امرأتى فقلت : هل عندك شىء ، فانى رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا ؟ فأخرجت الى جرابا فيه صاع من شعير ، ولنا بهيمة داجن فذبحتها ، وطحنت الشعير ، ففرغت الى فراغى ، وقطعتها فى برمتها ، ثم وليت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : لا تقضحنى برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه ، فجئته فسايرته فقلت : يا رسول الله •• ذبحنا بهيمة لنا ، وطحنت صاعا من شعير ، فتعال أنت ونفر معك ، فصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا أهل الخندق •• ان جابرا قد صنع سؤرا فحيها بكم » فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تنزلن

(١٢٤) متفق عليه — والعناق : العنز الصغيرة ••

برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء » فجئت ، وجاء النبي صلى الله عليه وسلم يقدم الناس ، حتى جئت امرأتى فقالت : بك وبك ! فقلت : قد فعلت الذى قلت . فأخرجت عجينا ، فبصق فيه وبارك ، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ، ثم قال : « ادع خابزة فلتخبز معك ، واقدحى من برمتكم ولا تنزلوها » وهم ألف ، فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا ، وان برمتنا لتغط كما هى ، وان عجينا ليخبز كما هو .

* * *

● يقول الامام « البوصيرى » فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم (*) :

ظلمت سنة من أحياء الظلام الى
 أن اشتكت قدماء الضر من ورم
 وشد من سغب أحشاء وطوى
 تحت الحجارة كشحا مترف الأدم (١٢٥)
 وراودته الجبال الشم من ذهب
 عن نفسه فأراها أيما شمم (١٢٦)
 وأكدت زهده فيها ضرورته
 ان الضرورة لاتعدو على العصم (١٢٧)
 وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من
 لولاه لم تخرج الدنيا من العدم
 محمد سيد الكونين والثقلين
 — والفريقين من عرب ومن عجم (١٢٨)

(*) من قصيدته « البردة المباركة » .

(١٢٥) السغب : الجوع ، الكشح : هو ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف ، وهى اقصر الأضلاع وآخرها ، وهى من لدن السرة الى المتن ، مترف : أى رقيق ، الأدم : الجلد .

(١٢٦) راودته : خادعته ، الشم : العالية الشامخة ، الشمم : الإباء .

(١٢٧) ضرورته : حاجته ، العصم — بكسر العين وفتح الصاد : جمع عصمة ، أى أن الحاجة والضرورة لا سبيل لهما على من عصمه الله وحفظه .

(١٢٨) الثقلان : الانس والجن .

نبينا الأمر الناهي فلا أحد
 أبر في قول لا منه ولا نعم
 هو الحبيب الذي ترجى شفاعته
 لكل هول من الأهوال مقتحم (١٢٩)
 دعا الى الله فالمستمسكون به
 مستمسكون بحبل غير منفصم (١٣٠)
 فاق النبيين في خلق وفي خلق
 ولم يدانوه في علم ولا كرم (١٣١)
 وكلهم من رسول الله ملتصق
 غرغا من البحر أو رشفا من الديم (١٣٢)
 وواقفون لديه عند حدهم
 من نقطة العلم أو من شكلة الحكم
 فهو الذي تم معناه وصورته
 ثم اصطفاه حبيبا باريء النسم (١٣٣)
 منزله عن شريك في محاسنه
 فجوهر الحسن فيه غير منقسم
 دع ما ادعته النصارى في نبيهم
 واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم (١٣٤)
 وانسب الى ذاته ما شئت من شرف
 وانسب الى قدره ما شئت من عظم
 فان فضل رسول الله ليس له
 حد فيعرب عنه ناطق بفهم

(١٢٩) مقتحم — بفتح الحاء : مهجوم عليه ومتورط فيه .

(١٣٠) منفصم : منقطع .

(١٣١) خلق : الأولى بفتح الخاء ، والثانية : بضمها .

(١٣٢) رشفا : مصا بالشفقتين ، الديم — بكسر الدال وفتح الياء : جمع ديمة ، وهى مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق ، ومعنى هذا أن ما جاء به الأنبياء السابقون صلوات الله عليهم من الهدى اذا قيس الى هدى محمد صلى الله عليه وسلم كان كغرفة من بحر أو رشفة من مطر .

(١٣٣) النسم : الأرواح ، جمع نسمة .

(١٣٤) احتكم : تصرف فى المدح كما تشاء .

لو ناسبت قدره آياته عظما
أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم (١٣٥)
لم يمتحنا بما تعيا العقول به
حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم (١٣٦)
أعيا الوري فهم معناه فليس يرى
للقرب والبعد فيه غير منفهم (١٣٧)
كالشمس تظهر للعينين من بعد
صغيرة وتكل الطرف من أمم (١٣٨)
وكيف يدرك في الدنيا حقيقته
قوم نيام تسلوا عنه بالحلم
فمبلغ العلم فيه أنه بشر
وأنه خير خلق الله كلهم
وكل آى أتى الرسل الكرام بها
فانما اتصلت من نوره بهم (١٣٩)
فانه شمس فضل هم كواكبها
يظهرون أنوارها للناس في الظلم
أكرم بخلق نبي زانه خلق
بالحسن مشتمل بالبشر متسم (١٤٠)
كالزهر في ترف والبدر في شرف
والبحر في كرم والدهر في همم (١٤١)

-
- (١٣٥) الدارس : البالى ، الرمم : جمع رمة ، وهى اجساد الموتى .
(١٣٦) ترتب : حالة الجزم من « ترتب » أى نشك ، نهم — بفتح
النون وكسر الهاء ، من وهم بهم اذا أخطأ وسها .
(١٣٧) أعيا : اتعب وأعجز .
(١٣٨) منفهم : مغلوب بالحجة ، من أمم : من قرب .
(١٣٩) آى : جمع آية ، أى معجزة .
(١٤٠) مشتمل : ملفوف ، أى أن الحسن حاطه من كل ناحية ،
متسم : معلم ، أى أن بشره وطلاقة وجهه من علاماته المميزة .
(١٤١) أى رقة ، شرف : علو .. وقد وصف البحر بالكرم لوفرة
مواده وكثرة ما ينتفع به ، فشبه به الرسول صلوات الله عليه لهذا المعنى ،
ونسبت الهمم للدهر لما يقع فيه من الحوادث الجسام ، فشبه به
لأن الدين الذى جاء به قلب أمور الكون قلبا ، وكان أعظم حادث عرفه
التاريخ لمابدا من آثاره فى العادات والأخلاق والعقائد .

كأنه ، وهو فرد ، من جلالته
 في عسكر حين تلقاه وفي حشم (١٤٢)
 كأنما اللؤلؤ المكنون في صدف
 من معدني منطلق منه ومبتسم
 لا طيب يعدل تربا ضم أعظمه
 طوبى لمنتشق منه وملثم (١٤٣)

* * *

● ويقول أمير الشعراء « أحمد شوقي » في صفاته عليه الصلاة والسلام (*) :

واليتيم رزق بعضه وذكاء (١٤٤)	نعم اليتيم بدت مخايل فضله
وبقصده تستدفع البأساء (١٤٥)	في المهد يستسقى الحيا برجائه
يعرفه أهل الصدق والأمناء	بسوى الأمانة في انصبا والصدق لم
منها وما يتعشق الكبراء	يا من له الأخلاق ما تهوى العلا
دينا تضىء بنوره الآناء	لو لم تقم دينا ، لقامت وحدها
يغرى بهن ويولع الكرماء	زانتك في الخلق العظيم شمائل
وملاحة (الصديق) منك أياء (١٤٦)	أما الجمال ، فأنت شمس سمائه
ما أوتى القواد والزعماء	والحسن من كرم الوجوه ، وخيره
وفعلت ما لا تفعل الأنواء (١٤٧)	فاذا سخوت بلغت بالجود المدى
لا يستهين بعفوك الجهلاء	واذا عفوت فقادرا ، ومقدرا
هذان في الدنيا هما الرحماء	واذا رحمت فأنت أم ، أو أب
في الحق ، لا ضغن ولا بغضاء (١٤٨)	واذا غضبت فانما هي غضبة

(١٤٢) جلالته : عظم قدره ، حشم : خدم .
 (١٤٣) الطيب : كل ذى رائحة عطرة ، يعدل : يساوى ، طوبى :
 معناها الحسنى والسعادة والجنة ، منتشق : شام ، ملثم : مقبل ،
 أى السعادة لمن يشمه ويقبله . (عن « البردة المباركة » — نشر كتاب
 التحرير) .

(*) من قصيدته « الهزمية النبوية » ..

(١٤٤) المخيلة : المظنة .

(١٤٥) استسقى الرجل : طلب السقى ، والحيا : المطر .

(١٤٦) أياء الشمس وإياتها : نورها وحسنها .

(١٤٧) النوء : المطر . (١٤٨) الضغن : الحقد .

وإذا رضيت فذاك في مرضاته
 وإذا خطبت فللمنابر هزة
 وإذا قضيت فلا ارتياب ، كأنما
 وإذا حميت الماء لم يورد ، ولو
 وإذا أجرت فأنت بيت الله ،
 وإذا ملكت النفس قمت ببرها
 وإذا بنيت فخير زوج عشرة
 وإذا صحبت رأى الوفاء مجسما
 وإذا أخذت العهد أو أعطيته
 وإذا مشيت الى العدا فغضنفر
 وتمد حلمك للسفيه مداريا
 في كل نفس من سطاك مهابة
 والرائى لم ينض المهند دونه
 ورضا الكثير تحلم ورياء (١٤٩)
 تعرفو الندى ، وللقلوب بكاء (١٥٠)
 جاء الخصوم من السماء قضاء
 أن القياصر والملوك ظمء
 يدخل عليه المستجير عدا
 ولو أن ما ملكت يداك الشاء
 وإذا ابتنيت فدونك الآباء (١٥١)
 في بردك الأصحاب والخلطاء
 فجميع عهدك ذمة ووفاء
 وإذا جريت فانك النكباء (١٥٢)
 حتى يضيق بعرضك السفهاء
 ولكل نفس في نداك رجاء (١٥٣)
 كالسيف لم تضرب به الآراء (١٥٤)

* * *

● كما يقول في قصيدته « نهج البردة » (*) :

المادحون وأرباب الهوى تبع
 لصاحب البردة الفيحاء ذى القدم (١٥٥)
 مديحه فيك حب خالص وهوى
 وصادق الحب يملأ صادق الكلم (١٥٦)

(١٤٩) التحلم : تكلف الحلم .

(١٥٠) الندى : النادى .

(١٥١) بنى بأهله : زف اليهم ، وابتنى : صار له بنون .

(١٥٢) الغضنفر : الأسد ، والنكباء : ريح بين ريحين .

(١٥٣) سطا : جمع سطوة .

(١٥٤) نضا السيف من غمده : سله ، والمهند : السيف المطبوع

من حديد .

(*) الشوقيات لأحمد شوقي ج ١ ص ١٩٩ - ٢٠١

(١٥٥) تبع : أخبر بالمصدر مبالغة ، وأفرده لأنه يستوى فيه الواحد

والجمع ، أو على تقدير مضاف ، أى ذوو تبع ، أى مقتدون به . والقدم :

المتقدم والمنزلة ، وصاحب البردة : هو الامام البوصيرى .

(١٥٦) مديحه حب : أى ناشئ من الحب ، أو ذو حب أى دال عليه .

الله يشهد أنى لا أعارضه
 من ذا يعارض صوب العارض العرم^(١٥٧)
 وانما أنا بعض الغابطين ، ومن
 يغبط وليك لا يذمم ، ولا يلم^(١٥٨)
 هذا مقام من الرحمن مقتبس
 ترمى مهابته سبحانه بالكم^(١٥٩)
 البدر دونك فى حسن وفى شرف
 والبحر دونك فى خير وفى كرم
 شم الجبال اذا طاولتها انخفضت
 والأنجم الزهر ما واسمتها تسم^(١٦٠)
 والليث دونك بأسا عند وثبته
 اذا مشيت الى شاكى السلاح كمى^(١٦١)
 تهفو اليك - وان أدميت حبتها
 فى الحرب - أفئدة الأبطال والبهم^(١٦٢)
 محبة الله ألقاها ، وهيتها
 على ابن آمنة فى كل مصطدم^(١٦٣)

-
- (١٥٧) الصوب : الانصباب ومجىء السماء بالمطر ، والعارض :
 السحاب المعترض فى الأفق ، والعدم : يريد المطر الشديد .
 (١٥٨) الغابط : الذى يتمنى مثل ما للغير ، وليس هذا القدر بمذموم ،
 ويذمم : يذم .
 (١٥٩) البكم : الخرس ، وسحبان : هو سحبان وائل من بنى باهلة ،
 كان يضرب بفصاحته المثل .
 (١٦٠) يقال : واسمه من الحسن فوسمه : غلبه فيه ، انخفاض
 الجبال : كناية عن أن ظهورها قصيرة بالنسبة لارتفاع قدره صلى الله عليه
 وسلم وعلو شأنه .
 (١٦١) الكمى : لابس السلاح .
 (١٦٢) تهفو : هفا الظبى فى المشى يهفو هفوا وهفوانا : أسرع
 وخف فيه ، والمراد هنا شدة ميل القلوب له وانجذابها اليه - صلى الله
 عليه وسلم ، وحببة القلب : سويداؤه ، والبهم : جمع بهمة وهو الشجاع .
 (١٦٣) مصطدم : بمعنى المصدر ، أى الاصطدام ، أو الموضع :
 أى موضع الاصطدام ، وهو ميدان الحرب .

كأن وجهك تحت النقع بدر دجى
 يضىء ملتثما ، أو غير ملتثم (١٦٤)
 بدر تطلع فى بدر فغرته
 كغرة النصر ، تجلو داجى الظلم (١٦٥)
 ذكرت باليتم فى القـرآن تـكرمة
 وقيمة اللؤلؤ المكنون فى اليتـم (١٦٦)
 الله قسم بين الناس رزقهم
 وأنت خيرت فى الأرزاق والقسم (١٦٧)
 ان قلت فى الأمر : لا ، أو قلت فيه : نعم
 فخيرة الله فى « لا » منك أو « نعم »
 أخوك عيسى دعا ميتا ، فقام له
 وأنت أحييت أجيالا من الزمم
 والجهل موت ، فان أوتيت معجزة
 فابعث من الجهل ، أو فابعث من الرجم (١٦٨)
 قالوا : غزوت ، ورسـل الله ما بعثوا
 لقتل نفس ، ولا جاءوا لسفك دم
 جهل ، وتضليل أحلام ، وسفسطة
 غتحت بالسيف بعد الفتـح بالقـلم

(١٦٤) النقع : غبار الحرب .

(١٦٥) بدر : موضع بين الحرمين الشريفين ، وفيه كانت الفزوة المشهورة التى دمع فيها الشرك وأعز الاسلام .

(١٦٦) اليتـم فى الناس : فقدان الأب وهو فى الأشياء : التفرد وعدم وجود نظائر لها ، واللؤلؤ اليتيمة : التى لا نظير لها فى العقد : ذكرت باليتـم فى القرآن : يشير الى قوله تعالى : « ألم يجدك يتيما فآوى » وحرك التاء اتباعا لحركة الياء قبلها فى قوله : اليتـم ، ولا يخفى ما فيه من حسن التعليل .

(١٦٧) يشير الى الحديث الذى رواه الترمذى عنه صلى الله عليه وسلم قال : « عرض على ربي أن يجعل لى بطحاء مكة ذهبا ، فقلت : لا يارب .. ولكن أشبع يوما وأجوع يوما » ..

(١٦٨) والجهل موت : كالترشيح للاستعارة فى البيت السابق ، وهو تشبيه بليغ ، وأوتيت : خطاب لغير معين ، والرجم : القبر .

لما أتى لك عفووا كل ذى حسب
تكفل السيف بالجهال والعمم^(١٦٩)
وانشر ان تلقه بالخير ضقت به
ذرعا ، وان تلقه بالشر ينحسم

* * *

صلى الله وسلم وبارك عليك يا سيدى يا رسول الله ..
يا من بعثك الله رحمة للعالمين .. ووصفك بقوله تعالى : « لقد
جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين
رؤوف رحيم »^(١٧٠) .. فأسبغ عليك صفتين من صفاته تعالى ..
وكنت لأمتك الرحمة المهداة .. والسراج المنير الذى أخرج الله به
الناس من الظلمات الى النور .

لقد جعلك الله لنا مثلا أعلا في الحلم ، والتواضع ، والشفقة ،
والرحمة ، والجود ، والكرم .
وكنت لنا القدوة العظمى في الصبر ، والشكر ، والاجتهاد ،
والورع ، والحياء ، والتوكل على الله ..

وكما كنت — صلى الله عليك — أخوف الناس من الله في مقام
الخوف منه تعالى ، فقد كنت أشجعهم حين تتطلب الشجاعة ويفتقد
الاقدام ..

فلنتأسى — معشر المسلمين — بسيرة رسولنا صلى الله عليه
وسلم .. ولنتذكر دائما أن الله تعالى حين مدح أسلافنا ونوه بهم
قال — وهو أصدق القائلين : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة
حسنة »^(١٧١) .

ولنتقدم الى الله تعالى بالحمد كل الحمد .. والشكر كل الشكر
أن جعلنا من أمة ذلك الرسول الكريم .. والنبي العظيم .. صلى الله
عليه وسلم .

* * *

(١٦٩) العمم : اسم جمع للعامية .
عن « الشوقيات » — لأحمد شوقي — ج ١ — ط . المكتبة التجارية
الكبرى .

(١٧١) الأحزاب : ٢١

(١٧٠) التوبة : ١٢٨

خاتمة

من وصايا القرآن الكريم

- * في العقيدة والعبادات •
- * في الآداب والفضائل •
- * في الحلال والحرام •
- * في الحدود والكفارات •
- * في أحوال الأسرة •
- * في الموارث والمعاملات المالية •

من وصايا القرآن الكريم

* في العقيدة والعبادات :

يقول الله تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبیین وآتى المال على حبه ذوى القربى والیتامى والمساكين وابن السبیل والسائلین وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرین فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئک الذین صدقوا ، وأولئک هم المتقون » • (البقرة : ١٧٧)

● « يا أيها الذین آمنوا أطیعوا الله وأطیعوا الرسول وأولى الأمر منکم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله والیوم الآخر ، ذلك خیر وأحسن تأویلا » •

(النساء : ٥٩)

● « قل يا أيها الناس انى رسول الله اليکم جميعا الذى له ملک السموات والأرض ، لا اله الا هو یحیی ویمیت ، فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلکم تهتدون » • (الأعراف : ١٥٨)

● « يا أيها الذین آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهکم وأيديکم الى المرافق وامسحوا برؤوسکم وأرجلكم الى الکعبین . وان كنتم جنبا فاطهروا ، وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منکم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهکم وأيديکم منه ، ما يريد الله لیجعل علیکم من حرج ولكن یرید لیطهرکم وليتم نعمته علیکم لعلکم تشکرون » •

(المائدة : ٦)

● « يا أيها الذین آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابرى سبیل حتى تغتسلوا ، وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منکم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهکم وأيديکم ، ان الله كان عفوا غفورا » • (النساء : ٤٣)

● « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين * فان خفتكم فرجالا أو ركبانا ، فاذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون » •

(البقرة : ٢٣٨ ، ٢٣٩)

● « واذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتكم الذين كفروا ، ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا * واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ، ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ، ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم ، وخذوا حذركم ، ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا * فاذا قضيت الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم ، فاذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة ، ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » •

(النساء : ١٠١ - ١٠٣)

● « يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون * فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون * واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما ، قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة ، والله خير الرازقين » •

(الجمعة : ٩ - ١١)

● « يسألونك ماذا ينفقون ، قل ما أنفقتم من خير فلولو الدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وما تفعلوا من خير فان الله به عليم » •

(البقرة : ٢١٥)

● « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ، والكافرون هم الظالمون » •

(البقرة : ٢٥٤)

● « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم * الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون * قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ، والله غنى حلیم * يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا ، لا يقدرُونَ على شيء مما كسبوا ، والله لا يهدي القوم الكافرين * ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فأنت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل ، والله بما تعملون بصير » •

(البقرة: ٢٦١ - ٢٦٥)

● « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ، ولا تيمموا الخبيث منه تتفقون ولستم بأخذه إلا أن تغمضوا فيه ، واعلموا أن الله غنى حميد * الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ، والله واسع عليم » •

(البقرة: ٢٦٧ ، ٢٦٨)

● « وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه ، وما للظالمين من أنصار * ان تبدوا الصدقات فنعماً هي ، وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ، ويكفر عنكم من سيئاتكم ، والله بما تعملون خبير * ليس عليكم هداهم ولكن الله يهدي من يشاء ، وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم ، وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله ، وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون * للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافاً ، وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم * الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » •

(البقرة: ٢٧٠ - ٢٧٤)

● « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا وبذی القربى والیتامى والمساكين والجار ذی القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبیل وما ملکت أیمانکم ، ان الله لا یحب من کان مختالا فخورا * الذین یخلون ویأمرون الناس بالبخل ویکتُمون ما آتاهم الله من فضله ، وأعتدنا للکافرین عذابا مهینا * والذین ینفقون أموالهم رثاء الناس ولا یؤمنون بالله ولا بالیوم الآخر ، ومن ینک الشیطان له قرینا فساء قرینا * وماذا علیهم لو آمنوا بالله والیوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله ، وکان الله بهم علیمًا » •

(النساء : ۳۶ — ۳۹)

● « یا أيها الذین آمنوا کتب علیکم الصیام کما کتب علی الذین من قبکم لعلکم تتقون * آیاما معدودات ، فمن کان منکم مریضا أو علی سفر فعدة من أيام أخر . وعلى الذین یطیقونه فدية طعام مسکین ، غم من تصوع خیرا فهو خیر له ، وأن تصوموا خیر لکم ، ان کنتم تعلمون * شهر رمضان الذی أنزل فیہ القرآن هدی للناس وبینات من الهدى والغرقان . فمن شهد منکم الشهر فلیصمه ، ومن کان مریضا أو علی سفر فعدة من أيام أخر ، یرید الله بکم الیسر ولا یرید بکم العسر ولتکملوا العدة ولتکبروا الله على ما هداکم ولعلکم تشکرون * واذا نسألك عبادى عنى فانى قریب ، أجیب دعوة الداع اذا دعان ، فلیستجیبوا لى ولیؤمنوا بى لعلهم یرشدون * أحل لکم لیلة الصیام الرفث الی نسائکم ، هن لباس لکم وأنتم لباس لهن ، علم الله أنکم کنتم تختابون أنفسکم فتاب علیکم وعفا عنکم ، فالآن باشروهن وابتغوا ما کتب الله لکم ، وکلوا واشربوا حتی یتبین لکم الخیط الأبیض من الخیط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصیام الی اللیل ، ولا تباشروهن وأنتم عاکفون فی المساجد ، تلك حدود الله فلا تقربوها ، كذلك یبین الله آیاته للناس لعلهم یتقون » •

(البقرة : ۱۸۳ — ۱۸۷)

● « وأتموا الحج والعمرة لله ، فان أحصرتم فما استیسر من الهدى ، ولا تحلقوا رؤوسکم حتی یبلغ الهدى محله ، فمن کان منکم مریضا أو به أذى من رأسه ففدية من صیام أو صدقة أو نسک ، فاذا أمنتُم فمن تمتع بالعمرة الی الحج فما استیسر من الهدى ، فمن

لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم ، تلك عشرة كاملة ، ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ، واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب * الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وترودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الألباب * ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ، فإذا أفضت من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ، واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين * ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ، إن الله غفور رحيم * فإذا قضيتُم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا ، فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق * ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار • أولئك لهم نصيب مما كسبوا ، والله سريع الحساب * واذكروا الله في أيام معدودات ، فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه ، لمن اتقى ، واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون » •

(البقرة : ١٩٦ — ٢٠٣)

● « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم ، إن الله يحكم ما يريد * يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ، وإذا حللتم فاصطادوا ، ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الأثم والعدوان ، واتقوا الله ، إن الله شديد العقاب » •

(المائدة : ١ ، ٢)

* في الآداب والفضائل :

يقول الله تعالى :

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما * والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما * والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ، إن عذابها كان غراما * إنها ساءت مستقرا ومقاما * والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا

وكان بين ذلك قواما * والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا * الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما * ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب الى الله متابا * والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما * والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا * والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما * أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما * خالدين فيها ، حسنت مستقرا ومقاما » •

(الفرقان : ٦٣ — ٧٦)

● « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون * واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون * ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون * ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم » •

(آل عمران : ١٠٢ — ١٠٥)

● « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » •

(الأنفال : ٢ — ٤)

● « لا تجعل مع الله الها آخر فتتعد مذموما مخذولا * وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ، اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا * ربكم أعلم بما فى نفوسكم ، ان تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا * وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا * ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ، وكان

ان شيطان لربه كفورا * واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها
فقل لهم قولا ميسورا * ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط فتقعد ملوما محسورا * ان ربك ييسط الرزق لمن يشاء
ويقدر ، انه كان بعباده خبيرا بصيرا * ولا تقتلوا اولادكم خشية
املاق ، نحن نرزقهم واياكم ، ان قتلهم كان خطئا كبيرا * ولا تقربوا
الزنا ، انه كان فاحشة وساء سبيلا * ولا تقتلوا النفس التي حرم
الله الا بالحق ، ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في
القتل ، انه كان منصورا * ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي
أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا بالعهد ، ان العهد كان مسئولا *
وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ذلك خير وأحسن
تأويلا * ولا تقف ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد
كل أولئك كان عنه مسئولا * ولا تمش في الأرض مرحا ، انك لن
تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا • كل ذلك كان سيئه عند ربك
مكروها * ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ، ولا تجعل مع الله
الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا •

(الاسراء : ٢٢ - ٣٩)

● « قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون *
والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون * والذين
هم لفروجهم حافظون * الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم
غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون * والذين
هم لأماناتهم وعهدهم راعون * والذين هم على صلواتهم يحافظون *
أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » •

(المؤمنون : ١ - ١١)

● « الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات ، والطيبات
للطيبين والطيبون للطيبات ، أولئك مبرأون مما يقولون ، لهم مغفرة
ورزق كريم * يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى
تستأنسوا وتسلموا على أهلها ، ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون * فان
لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، وان قيل لكم
ارجعوا فارجموا ، هو أزكى لكم ، والله بما تعملون عليم * ليس عليكم
جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم ، والله يعلم ما تبدون

وما تكتُمون * قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم ، ان الله خبير بما يصنعون * وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدین زینتهن الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدین زینتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبناءهن أو أخوانهن أو بنی أخوانهن أو بنی أخواتهن أو نسائهن أو ما ملکت أیمانهن أو التابعین غیر أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذین لم یظهروا على عورات النساء ، ولا یضربن بأرجلهن لیعلم ما یخفین من زینتهن ، وتوبوا الى الله جمیعا أيها المؤمنون لعلکم تفلحون * وأنکحوا الأيامی منکم والصالحین من عبادکم وامائکم ، ان یكونوا فقراء یغنهم الله من فضله ، والله واسع علیم * ولیستعفف الذین لا یجدون نکاحا حتی یغنیهم الله من فضله ، والذین یتتغون الکتاب مما ملکت أیمانکم فکاتبوهم ان علمتم فیهم خیرا ، وآتوهم من مال الله الذی آتاکم ، ولا تکرهوا فتیاتکم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحیاة الدنیا ، ومن یکرههن فان الله من بعد اکراههن غفور رحیم •

(النور : ٢٦ - ٣٣)

● « یا أيها الذین آمنوا لیستثذبنکم الذین ملکت أیمانکم والذین نم یبلغوا الحلم منکم ثلاث مرات ، من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثیابکم من الظهیرة ومن بعد صلاة العشاء ، ثلاث عورات لکم ، لیس علیکم ولا علیهم جناح بعدهن ، طوافون علیکم بعضکم على بعض ، كذلك یمین الله لکم الآیات ، والله علیم حکیم * واذا بلغ الأطفال منکم الحلم فلیستأذنوا کما استأذن الذین من قبلهم ، كذلك یمین الله لکم آیاته ، والله علیم حکیم * والقواعد من النساء اللاتی لا یرجون نکاحا فلیس علیهن جناح أن یضعن ثیابهن غیر متبرجات بزینة ، وأن یستعففن خیر لهن ، والله سمیع علیم * لیس على الأعمی حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المریض حرج ولا على أنفسکم أن تأکلوا من بیوتکم أو بیوت آبائکم أو بیوت أمهاتکم أو بیوت أخوانکم أو بیوت أخواتکم أو بیوت أعمامکم أو بیوت عماتکم أو بیوت أخوالکم أو بیوت خالاتکم أو ما ملکتکم مفاتحه أو صدیقکم ، لیس علیکم جناح أن تأکلوا جمیعا أو أشتاتا ، فاذا دخلتم بیوتا فسلموا على أنفسکم تحية من عند الله مبارکة طيبة ، كذلك یمین الله لکم الآیات لعلکم تعقلون •

(النور : ٥٨ - ٦١)

● « يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ، ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا * وفرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا * واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ، ان الله كان لطيفا خبيرا * ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا وذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما » •

(الأحزاب : ٣٢ - ٣٥)

● « يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عيهن من جلابيهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ، وكان الله غفورا رحيما » •

(الأحزاب : ٥٩)

● « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين * واعلموا أن فيكم رسول الله ، لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ، أولئك هم الراشدون * فضلا من الله ونعمة ، والله عليم حكيم * وان طائفتان من المؤمنين اقاتلتا فأصلحا بينهما ، فان بغت احدهما على الأخرى فقاتلتا التي تبغى حتى تفيء الى أمر الله ، فان فاءت فأصلحا بينهما بالعدل وأقسطوا ، ان الله يحب المقسطين * انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون * يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون * يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ، أوجب أحدكم أن ياكل لحم أخيه ميتا ، فكروهتموه ، واتقوا الله ، ان الله تواب رحيم * يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير » •

(الحجرات : ٦ - ١٣)

* في الحلال والحرام :

يقول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون * انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ، ان الله غفور رحيم » . (البقرة : ١٧٢ ، ١٧٣)

● « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ، ذلكم فسق ، اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون ، اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً ، فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فإن الله غفور رحيم * يسألونك ماذا أحل لهم ، قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله ، فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه ، واتقوا الله ، ان الله سريع الحساب * اليوم أحل لكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم ، والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ، ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين » .

(المائدة : ٣ - ٥)

● « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين * وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ، واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون » . (المائدة : ٨٧ ، ٨٨)

● « يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون * وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا ، فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين * ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا و عملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا ، والله يحب المحسنين » . (المائدة : ٩٠ - ٩٣)

● « ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين * فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين * وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضرتكم اليه ، وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم ، ان ربك هو أعلم بالمعتدين * وذروا ظاهر الاثم وباطنه ، ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون * ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق ، وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم ، وان أطعتموهم انكم لمشركون » •

(الأنعام : ١١٧ - ١٢١)

● « قل لا أجد في ما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم » •

(الأنعام : ١٤٥)

● « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ، ألا تشركوا به شيئا ، وبوالدين احسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من املاق ، نحن نرزقكم وإياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون * ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالفسط ، لا تكلف نفسا الا وسعها ، واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون * وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » •

(الأنعام : ١٥١ - ١٥٣)

● « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون * قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » •

(الأعراف : ٣٢ ، ٣٣)

● « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع وحرم الربا ، فممن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ، ومن عاد فأولئك أصحاب النار ، هم فيها خالدون * يمحى الله الربا ويربى الصدقات ، والله لا يحب كل كفار أثيم * ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون * يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين * فان لم تفعلوا فآذنوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلکم رؤوس أموالکم لا تظلمون ولا تظلمون * وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لکم ، ان كنتم تعلمون * واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » •

(البقرة : ٢٧٤ - ٢٨١)

● « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون * وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ، ان الله يعلم ما تفعلون * ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة ، إنما يبلوكم الله به ، وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تاختفون * ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهذى من يشاء ، ولتسئلن عما كنتم تعملون * ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فقتل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ، ولكم عذاب عظيم * ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا ، إنما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون * ما عندكم ينفد ، وما عند الله باق ، ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون * من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » •

(النحل : ٩٠ - ٩٧)

* * *

* في الحدود والكفارات :

يقول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ، الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ، فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ، ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم * ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » •

(البقرة : ١٧٨ ، ١٧٩)

● « الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله وأعلموا أن الله مع المتقين » •

(البقرة : ١٩٤)

● « واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ، فان شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا * واللذان يأتيانها منكم فآذوهما ، فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما ، ان الله كان توابا رحيمًا * انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم ، وكان الله عليما حكيما * وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار ، أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما » •

(النساء : ١٥ — ١٨)

● « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم * الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم ، فاعلموا أن الله غفور رحيم » •

(المائدة : ٣٣ ، ٣٤)

● « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله ، والله عزيز حكيم * فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه ، ان الله غفور رحيم » • (المائدة : ٣٨ ، ٣٩)

● « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص ، فمن تصدق به فهو كفارة له ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » • (المائدة : ٤٥)

● « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ، فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ، ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم ، واحفظوا أيمانكم ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون » • (المائدة : ٨٩)

● « يا أيها الذين آمنوا ليلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب ، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم * يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليزوق وبال أمره ، عفا الله عما سلف ، ومن عاد فينتقم الله منه ، والله عزيز ذو انتقام * أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسبيارة ، وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما ، واتقوا الله الذي إليه تحشرون * جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ، ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم » • (المائدة : ٩٤ - ٩٧)

● « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين * الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك ، وحرم ذلك على المؤمنين * والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ، وأولئك هم الفاسقون * الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم * والذين يرمون

أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين * والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين * ويدروا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين * والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين » •

(النور : ٢ - ٩)

● « الذين يظهرون من نسائهم ما هن أمهاتهم ، ان أمهاتهم الا اللائى ولدنهم ، وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا ، وان الله لعفو غفور * والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ، ذلكم توعظون به ، والله بما تعملون خبير * فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ، فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ، ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله ، وتلك حدود الله ، وللكافرين عذاب أليم » • (المجادلة : ٢ - ٤)

* * *

* في أحوال الأسرة :

يقول الله تعالى :

« ويسألونك عن اليتامى ، قل إصلاح لهم خير ، وان تخالطوهم فإخوانكم ، والله يعلم المفسد من المصلح ، ولو شاء الله لأعنتكم ، ان الله عزيز حكيم * ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ، ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ، ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ، ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم ، أولئك يدعون الى النار ، والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه ، ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون * ويسألونك عن المحيض ، قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن ، فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ، ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين * نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ، وقدموا لأنفسكم ، واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه ، وبشر المؤمنين * ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس ، والله سميع عليم * لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ، والله غفور حلیم * للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر ، فان هاءوا فان الله غفور رحيم * وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم *

والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ، ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن أن كن يؤمن بالله واليوم الآخر ، وبعولتهن أحق بردهن في ذلك أن أرادوا إصلاحا ، ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة ، والله عزيز حكيم * الطلاق مرتان ، فامسك بمعروف أو تسريح بإحسان ، ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله ، فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ، تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون * فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ، فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يترابعا أن ظنا أن يقيما حدود الله ، وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون * وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ، ولا تتخذوا آيات الله هزوا ، واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ، واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم * وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ، ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ، ذلكم أزكى لكم وأطهر ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون * والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين ، لمن أراد أن يتم الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، لا تكلف نفس إلا وسعها ، لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده ، وعلى الوارث مثل ذلك ، فإن أرادا فصلا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما ، وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتكم بالمعروف ، واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير * والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا ، فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف ، والله بما تعملون خبير * ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم ، علم الله أنكم ستذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا ، ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله ، واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه ، واعلموا أن الله غفور حلیم * لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفضوا لهن فريضة ، ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره

متاعا بالمعروف ، حقا على المحسنين * وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح ، وأن تعفوا أقرب للتقوى ، ولا تنسوا الفضل بينكم ، ان الله بما تعملون بصير » • (البقرة : ٢٢٠ — ٢٣٧)

● « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا الى الحول غير اخراج ، فان خرجن فلا جناح عليكم في ما فعلن في أنفسهن من معروف ، والله عزيز حكيم * وللمطلقات متاع بالمعروف ، حقا على المتقين * كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون » • (البقرة : ٢٤٠ — ٢٤٢)

● « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيبا * وآتوا اليتامى أموالهم ، ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تاكلوا أموالهم الى أموالكم ، انه كان حوبا كبيرا * وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ، ذلك أدنى ألا تعولوا * وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ، فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا » • (النساء : ١ — ٤)

● « يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ، ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة ، وعاشروهن بالمعروف ، فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا * وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيته احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا ، أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا * وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا * ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء الا ما قد سلف ، انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا * حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين

الأختين إلا ما قد سلف ، ان الله كان عفورا رحيمًا * والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيماكنكم ، كتاب الله عليكم ، وأهل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين ، فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن فريضة ، ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة ، ان الله كان عليما حكيما * ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيماكنكم من فتياتكم المؤمنات ، والله أعلم بإيماكنكم ، بعضكم من بعض ، فانكحوهن بلذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان ، فإذا أحسن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ، ذلك لمن خشى العنت منكم ، وأن تصبروا خير لكم ، والله غفور رحيم * يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم ، والله عليم حكيم * والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما * يريد الله أن يخفف عنكم ، وخلق الانسان ضعيفا » . (النساء : ١٩ — ٢٨)

● « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ، واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، ان الله كان عليا كبيرا * وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدوا اصلاحا يوفق الله بينهما ، ان الله كان عليما خبيرا » . (النساء : ٣٤ ، ٣٥)

● « ويستفتونك فى النساء ، قل الله يفتيكن فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط ، وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما * وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا ، والصلح خير ، وأحضرت الأنفس الشح ، وان تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا * ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ، وان تصلحوا وتتقوا فإن الله كان عفورا رحيمًا * وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته ، وكان الله واسعا حكيما » . (النساء : ١٢٧ — ١٣٠)

● « وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ،
 ان يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله ، والله واسع عليم * وليستعفف
 الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله ، والذين يبتغون
 انكتاب مما ملكت أيمانكم فكاذبوهم ان علمتم فيهم خيرا ، وآتوهم من
 مال الله الذي آتاكم ، ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا
 لتبتغوا عرض الحياة الدنيا . ومن يكرههن فان الله من بعد اكرههن غفور
 رحيم » • (النور : ٣٢ . ٣٣)

● « وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ،
 وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله » • (الأحزاب : ٣٣)
 ● « يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من
 قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها ، فمتعهن وسرحوهن
 سراحا جميلا » • (الأحزاب : ٤٩)

● « يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا
 العدة ، واتقوا الله ربكم ، لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن
 يأتين بفاحشة مبينة ، وتلك حدود الله . ومن يتعد حدود الله فقد ظلم
 نفسه ، لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا * فاذا بلغن أجلهن
 فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوى عدل منكم
 وأقيموا الشهادة لله ، ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ،
 ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل
 على الله فهو حسبه ، ان الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شيء
 قدرا * واللائى يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن
 ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن ، وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ،
 ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا * ذلك أمر الله أنزله اليكم ،
 ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا * أسكنوهن من حيث
 سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضييقوا عليهن ، وان كن أولات
 حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ، فان أرضعن لكم فآتوهن
 أجورهن ، وأتمروا بينكم بمعروف ، وان تعاسرتم فسترضع له أخرى *
 لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ،
 لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها ، سيجعل الله بعد عسر يسرا » •
 (الطلاق : ١ - ٧)

* * *

* في المواريث والمعاملات المالية :

يقول الله تعالى :

● « كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف ، حقا على المتقين * فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ، ان الله سميع عليم * فمن خاف من موص جنفا أو اثما فأصلح بينهم فلا اثم عليه ، ان الله غفور رحيم » . (البقرة : ١٨٠ - ١٨٢)

● « يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله ، فليكتب وليمل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا ، فان كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليمل وليه بالعدل ، واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل أحدهما فتذكر أحدهما الأخرى ، ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ، ولا تساموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله ، ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا ، الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها ، وأشهدوا اذا تبايعتم ، ولا يضار كاتب ولا شهيد ، وان تفعلوا فانه فسوق بكم ، واتقوا الله ، ويعلمكم الله ، والله بكل شيء عليم * وان كنتم على سفر ولم تجدوا كتابا فلهان مقبوضة ، فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربه ، ولا تكتموا الشهادة ، ومن يكتمها فانه آثم قلبه ، والله بما تعملون عليم » . (البقرة : ٢٨٢ - ٢٨٣)

● « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة ، واتقوا الله لعلكم تفلحون » . (آل عمران : ١٣٠)

● « وآتوا اليتامى أموالهم ، ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم ، انه كان حوبا كبيرا * وان خفتهم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتهم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ، ذلك أدنى ألا تعولوا » . (النساء : ٢ ، ٣)

● « وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم ، ولا تأكلوها اسرافا وبادارا أن يكبروا ، ومن كان غنيا فليستعفف ، ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف ، فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم ، وكفى بالله حسييا * للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر ، نصيبا مفروضا * واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا * وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا * ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا ، وسيصلون سعيرا * يوصيكم الله في أولادكم ، للذكر مثل حظ الأنثيين ، فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك ، وان كانت واحدة فلها النصف ، ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد ، فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث ، فان كان له اخوة فلأمه السدس ، من بعد وصية يوصى بها أو دين ، آبائكم وأبنائكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا ، فريضة من الله ، ان الله كان عليما حكيما * ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد ، فان كان لهن ولد فلكن الربع مما تركن ، من بعد وصية يوصين بها أو دين ، ولهـن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد ، فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم ، من بعد وصية توصون بها أو دين ، وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس ، فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث ، من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار ، وصية من الله ، والله عليم حلیم * تلك حدود الله ، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك الفوز العظيم * ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين » ●

(النساء : ٦ - ١٤)

● « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ، ولا تقتلوا أنفسكم ، ان الله كان بكم رحيما * ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا ، وكان ذلك على الله يسيرا * ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما * ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم

على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ،
واسألوا الله من فضله ، ان الله كان بكل شيء عليما * ولكل جعلنا
موالى مما ترك الوالدان والأقربون ، والذين عقدت أيمانكم فآتوهم
نصيبهم ، ان الله كان على كل شيء شهيدا » •

(النساء : ٢٩ - ٣٣)

● « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ، ان امرؤ هلك ليس
له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك ، وهو يرثها ان لم يكن لها ولد ،
فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك ، وان كانوا اخوة رجالا ونساء
فللذكر مثل حظ الأنثيين ، يبين الله لكم أن تضلوا ، والله بكل شيء
عليم » •

(النساء : ١٧٦)

● « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحكمكم الموت
حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم ان أنتم ضربتم
في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت ، تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان
بالله ان ارتبتم لا نشترى به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله
انا اذن لمن الآثمين * فان عثر على أنهما استحقا اثما فآخران يقومان
مقامهما من الذين استحق عليهم الأولين فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من
شهادتهما وما اعتدينا انا اذن لمن الظالمين * ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة
على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم ، واتقوا الله واسمعوا ،
والله لا يهدي القوم الفاسقين » •

(المائدة : ١٠٦ - ١٠٨)

* * *

كلمة ختام ..

« الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله » ..

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد .. كما صليت على سيدنا ابراهيم وعلى آل سيدنا ابراهيم .. وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد .. كما باركت على سيدنا ابراهيم .. وعلى آل سيدنا ابراهيم .. فى العالمين .. انك حميد مجيد ..

وبعد ...

فيقول العبد الفقير الى الله تعالى .. راجى عفوه وغفرانه : محمد الأنور بن أحمد أحمد ابراهيم البلتاجى :

هذا ما من به الله علينا بفضلہ وكرمه .. فان كنت قد قصرت وأهملت فمن نفسى ومن الشيطان ..

وان كنت قد أصبت فمن الله وحده ..

تحدثنا فى الفصل الأول : عن الحكيم والحكمة .. فذكرنا ما كان من أمر لقمان — رضى الله عنه — عن أصله وجنسه وصناعته .. وبحثنا فى هل كان نبيا أم وليا .. وعرضنا لنماذج من وصاياه ..

ثم تحدثنا عن الحكمة .. ما هى ؟ .. وماذا عنى بها القرآن الكريم .. وماذا يعنى من وصف النبوة والأنبياء بالحكمة .. مع ذكر للحكمة لدى بعض الأنبياء عليهم السلام .. ونماذج من حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم ..

وفى الفصل الثانى : تحدثنا عن أولى الوصايا على الإطلاق .. وهى النهى عن الشرك بالله تعالى وافراده وحده بالربوبية ..

وكان طبيعيا ونحن نتحدث عن الشرك الأكبر وهو شرك العبادة .. أن نتعرض لعبادة الأصنام .. وعبادة النجوم والكواكب .. وعبادة مظاهر الطبيعة .. ثم عبادة الملوك والفراعين .. وكيف دخل الشرك فى الأديان السماوية كاليهودية والنصرانية وخرجنا من ذلك الى أن تعظيم الموتى كان هو أول طريق الى الاشراك بالله ..

ثم انتقلنا الى الشرك الأصغر .. وهو شرك العقائد .. فذكرنا
أن الرياء في العبادات من الشرك .. وأثبتنا أن النذر لغير الله والتوجه
الى غيره بالدعاء .. واتخاذ التماائم والتولة .. وإدعاء علم الغيب ..
والايمان بالسحر واتيان العرافين والكهنة .. واستحلال أكل ما حرم
الله والتشريع في دين الله بغير ما أنزل .. كلها من مظاهر الشرك ..
وخلصنا الى أن الشرك ظلم عظيم .. ظلم من الانسان لنفسه
قبل أن يكون ظلما لغيره ..

وفي الفصل الثالث .. وخصصناه للبر بالوالدين .. ذكرنا أن
شكر الله مقرون بشكر الوالدين .. وأن من شكر الله تعالى ولم يشكر
لوالديه فما شكر الله .. وتحدثنا عن بر الأم وطاعتها وأنه مقدم على
الطاعات والقربات .. كما أن غضبها يحبط العمل .. لما تتحملة في حملها
ووضعها وتربيتها لأولادها من وهن على وهنها الطبيعي الذي خلقها
الله عليه ..

كما ذكرنا أن البر بالوالدين يرفع الكربات ويزيد في الرزق ويطيل
في العمر .. كما أن سب الآباء والأمهات وعقوقهم من الكبائر التي
نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عنها .. وأثبتنا أن البر بالوالدين
يكون بطاعتها في كل أمر .. وتعرضنا الى وجوب الانفاق على الوالدين
وايثارهما بكل خير .. وأن البر بهما واجب ولو كانا مشركين .. ثم
تحدثنا عن صلة الرحم ووجوبها ..

واذ كان كل حق يقابله واجب .. فقد رأينا أن نتحدث عن واجبات
الآباء نحو أبنائهم .. وختمنا الفصل بنماذج من الوصايا الأخالدة ..
فعرضنا جانباً من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى بن أبي طالب
كرم الله وجهه .. كما أثبتنا وصية أعرابية لابنتها ليلة زفافها الى جانب
وصية حكيم لابنته ..

وفي الفصل الرابع .. وعنوانه « المرجع الى الله » .. تعرضنا
للوصايا الغيبية التي تبدأ برحلة القدوم منذ نشأة الانسان جنينا في
بطن أمه .. الى خروجه للحياة الدنيا .. ثم انتقلنا الى رحلة العودة
.. فذكرنا أحوال الميت .. وواجبات الأحياء نحو موتاهم .. ثم
بدأنا في رحلة العودة الى الله .. بذكر أحوال الاحتضار وسؤال القبر
.. والأحكام المتعلقة بزيارة القبور وما يتعلق بها من نهى عن البناء
فوقها وتجسيصها وتحريم تعظيمها ..

ثم صحبنا الروح في عالم البرزخ .. وتحدثنا عن بعض أمارات
القيامة الصغرى والكبرى .. والبعث .. والنشور .. والحساب ..
الى أن وصلنا مع الروح الى نهاية المطاف .. فاما الى جنة عرضها
السموات والأرض أعدت للمتقين .. واما الى نار وقودها الناس
والحجارة أعدت للكافرين ..

وفي الفصل الخامس : عالم الغيب والشهادة — تحدثنا عن غيب
السموات والأرض — وعن بعض أسماء الله تعالى : العليم والسميع
والبصير ، واللطيف والخبير .. والقادر والمقتدر .. وخرجنا من ذلك
الى أنه لا يعلم الغيب الا الله تعالى ..

فالملائكة لا يعلمون الغيب .. وكذا الأنبياء والجن لا يعلمون
الغيب .. ثم انتقلنا الى بعض المزاعم والأباطيل التي ألصقت زورا
بالاسلام .. وتحدثنا عن علم الظاهر وعلم الباطن .. وعن أهل الشريعة
وأهل الحقيقة .. وتعرضنا لمسألة الخضر عليه السلام .. هل كان
نبيا أم وليا .. لنخرج من ذلك الى مناقشة مسألة التصوف في الاسلام
.. فبحثنا في تعريفه وأصله ونشأته .. وعرضنا آراء بعض العلماء
الأجلاء الذين تحدثوا في هذه المسألة الشائكة .. وختمنا الفصل بالحديث
عن السحر والكهانة وادعاء معرفتهم للغيب ..

وخصصنا الفصل السادس للحديث عن الصلاة .. والزكاة ..
فعرضنا أحكام الصلاة من طهارة ووضوء وآذان وصلاة مكتوبة ومسنونة
ومندوبة .. وتحدثنا عن آداب الصلاة واقامتها .. وكيف كانت صلاة
الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ..

ثم انتقلنا الى الزكاة .. وهي العبادة التي قرنها الله في كتابه
بالصلاة .. لأنه من فرق بين الصلاة والزكاة كان خارجا عن الاسلام ..
فتحدثنا عن الحل الاسلامي لمشكلة الفقر .. وكيف وجده في
الزكاة .. وكان لزاما علينا أن نتحدث عن الأصناف الواجب فيها الزكاة
وشروط وجوبها والآداب الباطنة لها .. الى جانب الآداب الباطنة لآخذ
الزكاة والصدقة ..

وختمنا الفصل بالحديث عن انفاق الرسول صلى الله عليه وسلم
وخلفائه الراشدين .. وما ذكر عن الشح والبخل وعقوبة تارك الزكاة ..

وفي الفصل السابع : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. تحدثنا عن مجتمع الاسلام وكيف كان مجتمعا فاضلا يدعو الى الفضائل ويحث عليها .. كما عرضنا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. والشروط اللازمة في الأمر بالمعروف الناهي عن المنكر .. واستشهدنا بقبس من هدى الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ..

وفي الفصل السابع : بينا أن الاسلام يحث على الصبر .. فعرضنا لمراتبه وأسمائه وأقسامه .. وأن المؤمن يبتلى على حسب دينه .. ثم تحدثنا عن أنواع الصبر .. من الصبر على تنفيذ الأوامر والطاعات .. الى الصبر على المناهي والمخالفات .. والصبر على الأقدار والأقضية .. والصبر على الأمراض وموت الأولاد والأقارب والأحباب .. الى الصبر على الفقر والجوع .. والصبر على الأذى في سبيل الله .. والصبر على هوى النفس ..

وختمنا حديث الصبر بالحديث عن صبر أيوب عليه السلام .. مضرب الأمثال في الصبر ..

وخصصنا الفصل التاسع : للحديث عن الكبر والاختيال .. وما جاء في ذمهما .. وتقسيم آفات الكبر .. كما تحدثنا عن لعجب والغرور .. وعلاج الكبر والعجب .. ثم ما كان من عاقبة تكبر قارون وبغيه ..

أما الفصل العاشر : وعنوانه « التواضع من صفات الرسل » .. فقد تحدثنا فيه عن جانب من أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم .. من تواضعه وحلمه وشفقته .. وحيائه وجوده وكرمه .. وصبره وشكره واجتهاده .. وورعه وتوكله .. وخوفه من الله وبكائه .. وشجاعته وبركته صلى الله عليه وآله وسلم ..

وختمنا الفصل ببعض ما قيل في مدحه صلى الله عليه وسلم في البردة المباركة ، والهمزية ، ونهج البردة مما يتناسب مع بقية الفصل ..

ثم ختمنا الكتاب .. بخير ما يختتم به .. فأوردنا بعض الآيات التي جاء بها القرآن الكريم عن العقيدة والعبادات .. والآداب والفضائل .. والحلال والحرام .. والحدود والكفارات .. وأحوال الأسرة .. والمواريث والمعاملات المالية ..

فله تعالى الحمد والشكر على جليله نعمه وعظيم قضله .. فهو
وحده صاحب الفضل والمنة والكرم ..



وكان الفراغ من طبعه بمطابع دار التراث العربى للطباعة والنشر
لصاحبها « أحمد حمدي أحمد شعبان » فى يوم الخميس ٢٨ رمضان
سنة ١٤٠٤ هـ - الموافق ٢٨ يونية سنة ١٩٨٤ م .

والله أسأل أن يتقبل هذا العمل المتواضع خالصا لوجهه تعالى ..
وأن يغفر لى ولوالدى وللمؤمنين .. وأن يجعله فى ميزان حسناتى :
« يوم لا ينفع مال ولا بنون ، الا من أتى الله بقلب سليم » .

انه تعالى سميع الدعاء .. مجيب الرجاء .. وهو على كل شىء
قدير ..

« ربنا تقبل منا ، انك أنت السميع العليم » ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

محمد الأنور البلتاجى



أهم المراجع

- ١ — القرآن الكريم •
- ٢ — الأحاديث القدسية — نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية •
- ٣ — الحياة الأخرى : للدكتور عبد الرزاق نوفل — نشر مكتبة الأنجلو المصرية •
- ٤ — أسباب النزول : للنيسابورى — نشر دار الكتب العلمية بيروت •
- ٥ — أسد الغابة في معرفة الصحابة : لابن الأثير — نشر دار الشعب •
- ٦ — أسرار الصلاة ومهماتها : للإمام الغزالي — نشر دار التراث العربى •
- ٧ — الإسلام : للأستاذ سعيد حوى — نشر مكتبة وهبة •
- ٨ — اغاثة اللفهان من مكائد الشيطان : لابن قيم الجوزية — نشر دار التراث العربى •
- ٩ — الأغاني : لأبى الفرج الأصفهاني — نشر دار الشعب •
- ١٠ — الأنشئ : للدكتور أحمد محمد كمال •
- ١١ — الترغيب والترهيب : للمنذرى — نشر دار احياء التراث العربى بيروت •
- ١٢ — التصوف الإسلامى بين الدين والفلسفة : للدكتور ابراهيم هلال — نشر دار النهضة العربية •
- ١٣ — تفسير القرآن العظيم : لابن كثير — نشر دار التراث العربى •
- ١٤ — تفسير المنار : للشيخ محمد عبده — نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب •
- ١٥ — تلبيس إبليس : لابن الجوزى — نشر المؤسسة السعودية المصرية •
- ١٦ — التوهم : للحارث المحاسبى — نشر دار التراث العربى •
- ١٧ — الجامع الصحيح : للإمام مسلم — نشر دار التحرير •
- ١٨ — الجامع لأحكام القرآن : للقرطبى — نشر دار الشعب •

١٩. — حق الآباء على الأبناء : للشيخ طه عبد الله العفيفي — نشر دار الاعتصام •
٢٠. — حق الله على العباد : للشيخ طه عبد الله العفيفي — نشر دار الاعتصام •
٢١. — حياة الصحابة — للكندهلوى — نشر دار التراث العربى •
٢٢. — الرسول صلى الله عليه وسلم : للأستاذ سعيد حوى — نشر مكتبة وهبة •
٢٣. — رياض الصالحين : للنووى — نشر دار التراث العربى •
٢٤. — الروح : لابن قيم الجوزية — نشر دار عمر بن الخطاب •
٢٥. — الزواج المثالى : د • فان دفلد — ترجمة محمد فتحي — نشر دار الخانجي •
٢٦. — سلطان العارفين •• أبو يزيد البسطامي : للشيخ عبد الحلیم محمود — نشر دار التراث العربى •
٢٧. — سيد الشهداء •• الامام الحسين رضى الله عنه : للأستاذ موسى محمد على — نشر دار التراث العربى •
٢٨. — سيرة النبی : لابن هشام — نشر دار التراث العربى •
٢٩. — صحيح البخارى : للامام البخارى — نشر دار الشعب •
٣٠. — الطبقات الكبرى •• المسماة بلواقح الأنوار فى طبقات الأخيار : للشعرانى — نشر مصطفى البابى الحلبي •
٣١. — الطريق الى الهداية : لابن قيم الجوزية — نشر دار التراث العربى •
٣٢. — عدة الصابرين : لابن قيم الجوزية — نشر دار التراث العربى •
٣٣. — عقيدة المسلم : للشيخ محمد الغزالى — نشر دار الكتب الاسلامية •
٣٤. — علم الحديث : لابن تيمية — نشر دار الكتب الاسلامية •
٣٥. — فقه السنة : للشيخ السيد سابق — نشر دار التراث العربى •
٣٦. — الفقه على المذاهب الأربعة (العبادات) — نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب •
٣٧. — قصص الأنبياء : لابن كثير — نشر دار التراث العربى •
٣٨. — الكبائر : للذهبي — نشر دار التراث العربى •

- ٣٩ — كيف ندعو الناس : للأستاذ عبد البديع صقر — نشر مكتبة وهبة •
- ٤٠ — ليس من الإسلام : للشيخ محمد الغزالي — نشر دار الكتب الإسلامية •
- ٤١ — مختصر منهاج القاصدين : لابن قدامة — نشر دار التراث العربى •
- ٤٢ — المسند : للإمام أحمد بن حنبل — نشر دار الاعتصام •
- ٤٣ — مع الله فى أسمائه الحسنى : للدكتور عبد الرزاق نوفل — نشر المركز الثقافى العربى للنشر والتوزيع •
- ٤٤ — المنتخب من تفسير القرآن الكريم — نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية •
- ٤٥ — من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم : للشيخ طه عبد الله العفيفى — نشر دار التراث العربى •
- ٤٦ — الموطأ : للإمام مالك — نشر دار الشعب •
- ٤٧ — الوصايا الخالدة : للأستاذ عبد البديع صقر — نشر مكتبة وهبة •
- ٤٨ — يوم القيامة : للدكتور عبد الرزاق نوفل — نشر دار الشعب •
- ٤٩ — البردة المباركة : للإمام البوصيرى — نشر كتاب التحرير •
- ٥٠ — الشوقيات : لأحمد شوقى — ج ١ — نشر المكتبة التجارية الكبرى •

* * *

محتویات الكتاب

الاهــــــــــــداء	الصفحة
المقـــــــــــــدمة	٥
وصايا حكيــــــــم	٧
تفسير مختصر للآيات	١١
	١٢

الفصل الأول : الحكيم والحكمة
(١٣ - ٥٢)

١٥	لقمان الحكيم .
١٦	أصله وجنسه
١٧	صناعته
١٩	هل كان نبيا ؟؟
٢٢	نماذج من وصاياه
٢٥	ما هي الحكمة ؟
٢٦	الحكمة في القرآن الكريم .
٣٠	وصف النبوة والانبياء بالحكمة
٣١	ذكر الحكمة لدى بعض الانبياء
٣١	من حكمة يوسف عليه السلام
٣٣	من حكمة داوود عليه السلام
٣٤	من حكمة سليمان عليه السلام
٣٦	مخايل الحكمة تبدو على ابراهيم عليه السلام منذ صباه
٣٧	من حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم
٣٧	حادثة اعادة بناء الكعبة وحكمته صلى الله عليه وسلم فيها
٣٨	حكمته صلى الله عليه وسلم في الهجرة
٤٠	استخلافه أبى بكر الصديق فى الصلاة من الحكمة
٤٣	وتطلق الحكمة على الكتب المنزلة
٤٥	شكر الله وحمده

الفصل الثاني : أولى الوصايا (٥٣ - ٩٩)

٥٥	دعوة الأنبياء والرسائل
٥٧	الشرك الأكبر .. والشرك الأصغر
٥٨	افراد الله وحده بالعبادة
٥٩	كان الناس أمة واحدة
٦٠	عبادة الأصنام
٦٤	أصنام قريش
٦٩	تعظيم الموتى .. وعبادة الأصنام
٧١	عبادة النجوم والكواكب
٧٣	عبادة مظاهر الطبيعة
٧٥	عبادة الملوك والفراعين
٧٦	الشرك .. والأديان السماوية
٨١	تحدى
٨٥	الشرك الأصغر : شرك العقائد
٨٨	الرياء في العبادات من الشرك
٩٠	النذر لغير الله من الشرك
٩١	التمائم والتولة من الشرك
٩١	السحر وإتيان العراف والكاهن من الشرك
٩٣	ادعاء علم الغيب من الشرك
٩٥	استحلال أكل ما حرمه الله من الشرك
٩٥	من شرع في دين الله فقد أشرك
٩٧	ظلم عظيم

الفصل الثالث : ووصينا الإنسان بوالديه (١٠١ - ١٥٦)

١٠٣	شكر الله مقرون بشكر الوالدين
١٠٦	بر الأم وطاعتها
١٠٨	بر الأم مقدم على الطاعات والقربات
١٠٩	غضب الأم يحبط العمل
١١١	وهن على وهن
١١٤	موعظة بليغة للامام الذهبي
١١٥	انبر بالوالدين يرفع الكربات
١١٥	البر بالوالدين يزيد الرزق ويطيل في العمر

١١٨	•	•	•	•	•	سب الآباء والأمهات من الكبائر
١١٩	•	•	•	•	•	بر الوالدين يكون بطاعتهم في كل أمر
١٢٤	•	•	•	•	•	وجوب الانفاق على الوالدين
١٢٥	•	•	•	•	•	البر بالوالدين .. ولو كانا مشركين
١٢٧	•	•	•	•	•	صلة الرحم
١٣١	•	•	•	•	•	عقوق الوالدين من أكبر الكبائر
١٣٥	•	•	•	•	•	بر ابن .. وعقوق آخر !!
١٣٧	•	•	•	•	•	حقوق تقابلها واجبات
١٣٩	•	•	•	•	•	اختيار الزوجة الصالحة من حقوق الإبناء
١٤٠	•	•	•	•	•	أن يستتر الأب حين يأتي أهله ويتعوذ من الشيطان
١٤١	•	•	•	•	•	وأن يؤذن في أذنه بعد ولادته
١٤١	•	•	•	•	•	وأن يتخير له اسما حسنا
١٤٢	•	•	•	•	•	وأن يعق عنه يوم سابعه
١٤٢	•	•	•	•	•	وأن يحننه .. ذكرا كان أم أنثى
١٤٣	•	•	•	•	•	وأن ينفق عليه من كسب طيب
١٤٤	•	•	•	•	•	وأن يساوى بين ابنائه في المعاملة
١٤٥	•	•	•	•	•	وأن يحسن تأديبهم وتربيتهم ورعايتهم
١٤٩	•	•	•	•	•	وصايا خالدة
١٤٩	•	•	•	•	•	من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم
١٤٩	•	•	•	•	•	من وصايا على بن أبى طالب كرم الله وجهه
١٥٣	•	•	•	•	•	من وصية ذى الاصبع العدوانى لابنه أسيد
١٥٣	•	•	•	•	•	من وصية أعرابية لابنتها ليلة زفافها
١٥٤	•	•	•	•	•	وصية حكيم لابنته
١٥٦	•	•	•	•	•	عود الى وصايا لقمان

الفصل الرابع : المرجع الى الله (١٥٧ - ٣٥٣)

١٥٩	•	•	•	•	•	المرجع الى الله
١٦٠	•	•	•	•	•	قضايا غيبية
١٦٢	•	•	•	•	•	رحلة القدوم : الميلاد
١٦٩	•	•	•	•	•	رحلة العودة : الموت
١٧٤	•	•	•	•	•	واجبات نحو الموتى
١٧٦	•	•	•	•	•	النهي عن اللطم والنواح
١٧٨	•	•	•	•	•	أمور واجبة على الأحياء

١٧٨	غسل الميت
١٧٩	الصلاة على الميت
١٨١	تشيع الجنازة
١٨١	الأسراع بها
١٨٣	بداية الطريق
١٨٤	الاحتضار وسؤال القبر
١٨٥	احتضار طفل من الأبرار
١٩٦	نهاية طاغية ملحد
١٩٨	ضمة القبر
١٩٩	فتنة القبر
٢٠٠	زيارة القبور للرجال دون النساء
٢٠١	نهى النساء عن زيارة القبور
٢٠٢	النهى عن البناء فوق القبر وتجسيصه وتعظيمه
٢٠٣	راى لفضيلة الشيخ السيد سابق
٢٠٥	راى لفضيلة الشيخ محمد الغزالي
٢٠٩	النهى عن الصلاة الى القبور والجلوس عليها
٢١٠	النهى عن احداث المرأة فوق ثلاث الا على زوج
٢١١	النهى عن تمنى الموت
٢١٢	عالم البرزخ
٢١٥	الموتى يعرفون زيارة الاحياء لهم
٢١٦	الميت ينتفع بتلقيته في القبر
٢١٦	الأرواح تتلاقى وتتزاور وتتذاكر
٢١٧	أرواح الاحياء تتلاقى مع أرواح الأموات
٢٢١	عذاب القبر هو عذاب البرزخ .. ونعيمه هو نعيمه
٢٢٦	علامات على الطريق
٢٢٨	بعض امارات القيامة
٢٣١	النار .. والدخان .. وطلوع الشمس من مغربها
٢٣٢	المسيح الدجال
٢٣٤	ياجوج وماجوج
٢٣٦	الدابة
٢٣٨	البعث .. والنشور .. والحساب
٢٣٨	البعث حق
٢٣٩	النفخ في الصور
٢٤٢	حديث أبى هريرة الطويل

٢٥٠	من أهوال يوم القيامة
٢٦٠	البعث
٢٦٦	الشفاعة لأهل الموقف
٢٦٩	الحساب
٢٧٥	رؤية الله تعالى
٢٨١	الصراط
٢٨٥	الميزان
٢٨٧	الحوض
٢٩٠	الشفاعة الكبرى
٢٩٧	آخر أهل الجنة دخولا
٣٠٠	نهاية المطاف .. جنة أو نار !!
٣٠٠	الجنة « جعلنا الله من أهلها »
٣٢٦	النار « أعاذنا الله من شرها »
٣٤٩	موعظة للحارث المحاسبى

الفصل الخامس : عالم الغيب والشهادة

(٤٩٢ - ٣٥٥)

٣٥٧	ميزان عدل
٣٥٩	غيب السموات والأرض
٣٦٥	من أسماء الله وصفاته
٣٦٥	العليم
٣٦٧	السميع البصير
٣٦٩	اللطيف الخبير
٣٧١	القادر المقتدر
٣٧٨	لا يعلم الغيب الا الله تعالى
٣٧٨	الملائكة .. لا يعلمون الغيب
٣٨١	الأنبياء .. لا يعلمون الغيب
٣٨٢	— آدم عليه السلام
٣٨٥	— نوح عليه السلام
٣٨٨	— ابراهيم عليه السلام
٣٨٩	— لوط عليه السلام
٣٩٢	— يعقوب عليه السلام
٣٩٣	— موسى عليه السلام
٣٩٦	— داوود عليه السلام

٤٠٠	— سليمان عليه السلام
٤٠٢	— مريم ابنة عمران عليها السلام
٤٠٤	— حادثة الافك
٤٠٩	والجن أيضا لا يعلمون الغيب
٤١٣	مزاعم وأباطيل
٤٤٣	علم الظاهر وعلم الباطن
٤٤٣	أهل الشريعة وأهل الحقيقة
٤٤٩	مسألة الخضر عليه السلام
٤٥٢	هل كان الخضر نبيا .. أم وليا
٤٥٨	ما هو التصوف الاسلامي ؟
٤٦٢	تعريف التصوف .. أصله ونشأته
٤٦٢	رأى للأستاذ الدكتور ابراهيم هلال
٤٦٨	رأى لفضيلة الشيخ محمد الغزالي
٤٧١	الوجه الآخر للعملة
٤٧٢	من آراء فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود
٤٨٥	السحر والكهانة

الفصل السادس : الصلاة .. الصلاة !!

(٤٩٣ — ٦٥٢)

٤٩٥	الصلاة عماد الدين
٥٠٧	متى فرضت الصلاة
٥٠٩	كتابا موقوتا
٥١٠	خبر الأذان
٥١٣	الطهارة شرط لصحة الصلاة
٥١٥	الفصل والوضوء والتيمم
٥١٥	الفصل
٥١٦	الوضوء
٥١٨	التيمم
٥٢٢	الصلاة
٥٢٢	كيف كانت صلاة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام
٥٣٩	ثمرات الصلاة
٥٤٣	الترغيب في السعي الى المساجد وتعميرها
٥٤٥	الترغيب في صلاة الجماعة
٥٤٦	الأمر باتمام الصفوف الأولى وتسويتها

٥٤٧	الترغيب في صلاة الصبح والعصر والعشاء . . .
٥٤٩	السنن .. وصلاة التطوع . . .
٥٥٢	السنن الراتبة . . .
	الحث على صلاة الضحى والوتر .. والترغيب في أداء النوافل
٥٥٥	في البيوت . . .
٥٥٦	ويستحب صلاة ركعتين بعد الوضوء . . .
٥٥٧	صلاة الجمعة . . .
٥٥٩	سجود الشكر . . .
٥٦٠	قيام الليل وفضله . . .
٥٦٤	قيام رمضان . . .
٥٦٥	لا تجوز الصلاة في المقبرة والحمام . . .
٥٦٥	لا تجوز الصلاة لحاقن أو جائع . . .
٥٦٧	تارك الصلاة وجاحدها . . .
٥٧١	معنى « أضاعوا الصلاة » . . .
٥٧٩	ويؤتون الزكاة . . .
٥٨١	الحل الاسلامي لمشكلة الفقر . . .
٥٩٣	تعريف الزكاة . . .
٥٩٣	الاصناف الواجبة فيها . . .
٥٩٣	شروط وجوب الزكاة . . .
٥٩٥	ما لا يجب فيه الزكاة . . .
٥٩٦	الآداب الباطنة للزكاة . . .
٦٠٠	أحكام الزكاة . . .
٦٠٠	زكاة المال . . .
٦٠٤	زكاة عروض التجارة . . .
٦٠٧	زكاة النعم . . .
٦٠٩	زكاة الزروع والثمار . . .
٦١٢	زكاة المعادن والركاز . . .
٦١٤	أحكام عامة في المال المستفاد . . .
٦١٦	مصارف الزكاة . . .
٦٢٤	زكاة الفطر . . .
٦٢٧	صدقة التطوع . . .
٦٣٦	الآداب الباطنة لأخذ الزكاة والصدقة . . .
٦٣٨	كيف كان اتفاق الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام . . .
٦٤١	من اتفاق أبي بكر الصديق رضي الله عنه . . .

٦٤٢	.	.	.	من انفاق عمر بن الخطاب رضى الله عنه
٦٤٢	.	.	.	من انفاق عثمان بن عفان رضى الله عنه
٦٤٣	.	.	.	من انفاق على بن أبى طالب كرم الله وجهه
٦٤٤	.	.	.	من انفاق عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه
٦٤٤	.	.	.	قصة رجل من الأنصار
٦٤٥	.	.	.	النهى عن الشح والبخل
٦٤٨	.	.	.	عقوبة تارك الزكاة

الفصل السابع : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (٦٥٣ - ٦٩١)

٦٥٥	مجتمع فضائل
٦٦١	في الأمر بالمعروف .. والنهى عن المنكر
٦٦٦	في الأمر بالمعروف الناهى عن المنكر
٦٧٤	من هدى الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام
٦٨٠	من هدى السلف الصالح
٦٨٩	الى الذين يقولون ما لا يفعلون

الفصل الثامن : واصبر على ما اصابك (٦٩٣ - ٧٤٧)

٦٩٥	الاسلام يحث على الصبر
٦٩٧	مراتب الصبر وأسمائه
٦٩٩	أقسام الصبر وأحكامه ومشتقاته
٧٠٠	يبتلى المؤمن على حسب دينه
٧٠٧	الصبر على تنفيذ الأوامر والطاعات
٧١٨	الصبر على المناهى والمخالفات
٧١٩	الصبر على الأقدار والاقضية
٧٢١	الصبر على الأمراض
٧٢٧	الصبر على موت الأولاد والاقارب والأحباب
٧٣٠	الصبر على الفقر والجوع
٧٣٧	الصبر على الأذى فى سبيل الله
٧٤٠	الصبر على هوى النفس
٧٤٢	صبر أيوب عليه السلام

الفصل التاسع : الكبر .. والاختيال (٧٧٠ — ٧٤٩)

٧٥١	ولا تصغر خدك للناس
٧٥٦	في ذم الكبر والعجب .. وتقسيم آفات الكبر
٧٦١	العجب والغرور
٧٦٣	علاج الكبر والعجب
٧٦٦	قصة قارون مع موسى عليه السلام

الفصل العاشر : التواضع .. من صفات الرسل (٨٢٠ — ٧٧١)

٧٧٣	اتباع الرسل
٧٨١	القدوة العليا
٧٨٤	من أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم
٧٩٠	من تواضعه صلى الله عليه وسلم
٧٩٥	من حلمه .. صلى الله عليه وسلم
٧٩٩	من شفقتة .. صلى الله عليه وسلم
٨٠١	من حيائه .. صلى الله عليه وسلم
٨٠٢	من جوده وكرمه .. صلى الله عليه وسلم
٨٠٣	من صبره .. صلى الله عليه وسلم
٨٠٤	من شكره .. صلى الله عليه وسلم
٨٠٦	من اجتهاده .. صلى الله عليه وسلم
٨٠٦	من ورعه .. صلى الله عليه وسلم
٨٠٧	من توكله .. صلى الله عليه وسلم
٨٠٨	من خوفه .. صلى الله عليه وسلم
٨٠٨	من بكائه .. صلى الله عليه وسلم
٨٠٩	من شجاعته .. صلى الله عليه وسلم
٨١٠	من بركته .. صلى الله عليه وسلم
	من قصيدة « البردة المباركة » للإمام البوصيري في مدح الرسول
٨١٢	صلى الله عليه وسلم
	من قصيدة « الهزمية المباركة » لأمير الشعراء أحمد شوقي في
٨١٥	صفاته عليه الصلاة والسلام
٨١٦	من قصيدة « نهج البردة » لأحمد شوقي

خاتمة : من وصايا القرآن الكريم
(٨٢١ - ٨٤٩)

الصفحة							
٨٢٣	في العقيدة والعبادات .
٨٢٧	في الآداب والنضائل .
٨٣٢	في الحلال والحرام .
٨٣٥	في الحدود والكفارات .
٨٣٧	في أسـوال الأسـرة .
٨٤٢	في الموارث والمعاملات المالية .
٨٤٥	كلمة ختام .
٨٥٠	أهم المراجع .
٨٥٣	محتويات الكتاب .

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

● بحمد الله وتوفيقه — تقوم « دار التراث العربى » بصنع ونشر كتب التراث القديم المحققة تحقيقا علميا .. بالاضافة الى روائع مؤلفات المحدثين من ذوى الخبرة العلمية بالشئون الاسلاميه فى مختلف المجالات ..

وعندما نقوم بتأدية هذه الرسالة .. ليس لنا قصد من ورائها سوى خدمة القارئ المسلم .. وتيسير حصونه على لكتاب الاسلامى بسعر يكون فى متناول الجميع ..

● ويسر الدار أن تتقدم بخدماتها للسادة المؤلفين والناشرين لطباعة مؤلفاتهم .. وذلك على أرقى أنواع الورق .. بواسطة أحدث آلات الجمع الآلى وماكينات الطباعة الحديثة .. بالاضافة الى صفوة الخبرة المصرية ..

● كما يسرنا أن نعلن بأن مكتبة الدار — بميدان المشهد الحسينى — وفرعها بأول الصناديقية بالقاهرة — تحتوى على مجموعة كبيرة من المصاحف الفاخرة بمختلف الأحجام والخطوط .. ومجلدة بالجلد المحلى بالذهب الحر داخل علب مكسوة بالقטיפه .. ومطعمة بالصدف برسوم بديعة فخمة .. تتناسب مع جميع الأذواق والامكانيات ..

● كما توجد بالمكتبة جميع مطبوعات دور النشر الأخرى .. التى تشمل أحدث ما ظهر فى جميع العلوم ومختلف الفنون ..

● وتعنى المكتبة عناية خاصة بجميع كتب التراث .. وبها قسم خاص يحتوى على النادر من المطبوعات .. كما أن المكتبة مستعدة لشراء كتب التراث القديم بأسعار لا تقبل المنافسة ..

● ولا يسعنا ازاء ما نلاقه من عملائنا الكرام — من معونة وتشجيع وحسن استقبال لمطبوعاتنا — الا أن نتقدم لهم بواجب الشكر والعرفان .. وأن نقطع على أنفسنا العهد بمداومة السير على هذا الطريق .. باذلين الجهد لاجراج المفيد النافع للأمة الاسلامية .. وعلى الله قصد السبيل .. ومنه وحده نستمد العون والتوفيق ..

٢٨ / ٦ / ١٩٨٤

دار التراث العربى للطباعة والنشر والتوزيع
أحمد حمدي أحمد شعبان